النداء الحكيم

أريد من خلال منبركم أن أتوجه بعدة نداءات بل أصرخ بها لعل وعسي أن تجد آذانا صاغية دون أن أروي حكاية أو مشكلة أبدأها بنداء إلي كل زوجة ابن أو فتاة مقبلة علي الزواج أوصيها فيها بحماتها، والحقيقة أن كلمة حماة التي تطلق علي أم الزوج أو أم الزوجة كلمة بغيضة ليتنا نتخلص منها في المجتمعات العربية ونستبدلها بكلمة ماما أو نينة أو أي لقب آخر نتفق عليه غير هذه الكلمة التي تعني في ضمير الكثير الآن إنها حمي. وأتوجه إلي كل زوجة ابن أن ترعي الله في حماتها وتعلم أن أمها قد اقتطفت من لحمها ودمها وجهدها ووقتها الكثير لتصبح ابنتها آنسة جميلة متعلمة متدينة يرغب فيها الخطاب ويتمناها الكثيرون ولكنها كانت ستصبح بيتا وقفا كما يقولون لو لم تقم حماتها ببذل نفس الجهد والدم والعرق الذي بذلته أمها لتمنحها الرجل الذي ترغب في إكمال رحلة حياتها معه ولتعلم أن هذه الحماة قد دفعت الكثير من عمرها لكي تستطيع هي أيضا إكمال دورتها في الحياة كزوجة وكأم. فهي أم لها أيضا ولكنها أدت دورها كأم لها بصورة أخري تتمثل في إعداد رجل لها. وأصعب شيء في العالم هو بناء رجل حتي يستطيع أن يؤدي دوره في المجتمع ويخدم وطنه ودينه وينفع نفسه وبلده. فهل من العدل ياسيدي أن أحرم من تذوق مائدة طيبة عامرة استغرق إعدادها مني عشرين أو ثلاثين عاما ؟ هل يعقل أن يكون أول ماتفعله أية زوجة منذ دخولها بيتها هو أن تحاول التفريق بينه وبين أمه وأخوته ؟ فلا يستطيع الذهاب إلي أمه بمفرده ولا تسمح له الاختلاء بأمه ولو لدقائق بسيطة ؟ ثم تستمر في صب أنواع من الشكوي في أذنيه من ناحية أمه وأخوته حتي ينتهي به الأمر في أحيان كثيرة الي قطع صلة الرحم بهم وإن لم يقطع رحمهم ينتهي به الأمر إلي أن يصبح محايدا ناحية أمه وأخوته فيتصرف معهم عند الشدائد تصرف الغريب الذي لا يعنيه من الأمر شيء. إنني أري كثيرات من أمهات البنات يسيئن معاملة بناتهن ويفرقن بينهن وبين الابن الولد ويفضلونه علي البنت وقد يحملن الفتاة ما لا تطيقه من الأعمال المنزلية لخدمة إخواتها الأولاد أو قد لا يمنحنها الفرصة الكافية للتعليم مثل الصبيان، ورغم ذلك نري هذه الفتاة التي قد تكون قد تعرضت لإساءات في بيت أبيها تغفر لأمها ولاخوتها أي إساءة وجهت لها وتحسن معاملتهم ولا تذكر في قطع صلة الرحم بهم بل تهب لمساعدتهم عند الشدائد وتغفر لهم كل مابدر منهم، علي حين تقف نفس هذه الفتاة في وجه حماتها وتعاديها لو طلبت منها مساعدتها في المنزل

أو أساءت إليها بقصد أو بدون قصد وذلك دون أن تحاول أن تضعها في مكانة الأم فلا ترد عليها أو لا تسيء إليها ولا تبادلها العداء ووالله لو نظرت زوجة الابن إلي والدة زوجها باعتبارها أما فعلية لها لتغاضت عن الكثير ولرأت أن خدمتها حماتها شرف لا يقل عن شرف خدمة أبويها. إن الحماة أم فعلية وإن لم تجر دماؤها في عروقي فهي تجري في عروق أبنائي وفي عروق زوجي أقرب إنسان إلي قلبي ونفسي. وإذا أضفنا إلي ذلك غضب الله الذي يجب أن نخشاه جميعا. فإننا نجد أنه لا شيء في الدنيا يساوي رضا الحماة. فهي تدعو بكل قلبها لمن أرضتها وهي إن أرضتها أرضت ربها بفعلها الخير مرة وبطاعتها لزوجها مرة وبمراعاتها لصلة الرحم مرة أخري. ثم إنها ستصبح محبوبة هي وأبناؤها. أنني لا أتخيل أن يغفل زوجي عن زيارة أمه مرة أسبوعيا علي الأقل(مع العلم بأن أمه في محافظة أخري). ولا أتخيل ألا يتحدث إليها يوميا في التليفون مرة علي الأقل. ولا أتخيل أن يدخل بيتي طعام جميل أو فاكهة غالية أو حلوي لذيذة لا تتذوق منها حماتي وأمي أيضا. لقد رأيت بيوتا عظيمة تنهار مثل الأمم التي تنهار حضارتها بسبب غضب أم الزوج أو أم الزوجة أيضا

فهناك رجال يحلو لهم حرمان زوجاتهم من أمهاتهم وحرمان أهل زوجته من خيراته مع أن القرآن يقول خير ماأنفقتم للوالدين والأقربين، وذكر الوالدين في أول مرتبة عند الانفاق. ولو أن كل زوجة وكل زوج راعيا ربهما في أم كل منهما وحماته لعشنا في مجتمع سعيد يرفرف عليه رضا الله عز وجل الذي لا يرضي بالظلم عامة ولا يرضاه خاصة للأم التي تعبت وربت، فلننصف أمهاتنا وحمواتنا ولنقتص لهم من أنفسنا وليرض كل طرف أم الآخر ويترفع عن الاستئثار بزوجته أو الاستئثار بزوجها لأن من يحرم أما من وليدها يحرمه الله من أحبائه يوم القيامة كما قال الرسول صلي الله عليه وسلم، فلترتدع كل زوجة ولتعامل حماتها علي أنها أم حقيقية لها حق مراجعتها إذا أخطأت ولها حق في ابنها في وقته وجهده وماله وخيره فلا تبخسها حقها لا حرصا علي حماتها التي هي منها بمثابة الأم فعلا فقط ولكن حرصا علي هذه الزوجة وعلي أبنائها أيضا ولأن الله يمهل ولا يهمل وتكون لعنته علي البيت الذي تظلم فيه أم لعنة عظيمة فتوبي الي رشدك يا كل زوجة وضعي نفسك مكان حماتك وستعرفين عندئذ كيف تعامليها وفي نفس الوقت أوجه نداء إلي أم كل زوجة وأخواتها البنات بصفة خاصة لأن كثيرات منهن يقمن بعمل عصابة علي أم الزوج يهدفن منها لمضايقتها وتحريض الزوجة عليها، فأقول لهم اتقين الله ولا تتدخلن إلا بالتحريض علي الخير لا الشر، وأقول للزوجة تعاملي مع أم زوجك بالإحسان إليها بخدمتها ورعايتها ومعاملتها بالحسني لأن ذلك من باب واخفض لهما جناح الذل من الرحمة فهي أمك التي يجب أن تخفضي لها جناح الذل من الرحمة ولا تختلف في شيء عن أمك التي ولدتك وليس هذا بضعف بل هو منتهي القوة، لأنه العفو عند المقدرة، فإنك بأنوثتك وشبابك وحب زوجك لك قد تستطيعين التأثير عليه وإبعاده عن إخوته وأمه ولكنك تترفعين عن الإيقاع بينهما وتسامحيها وتعامليها مثل أمك لاشك في أن ثوابك عند الله سيكون ثواب الصابرين الشاكرين لله علي كل حال. وألتمسي لها العذر فكبر سنها ومعاناتها من بعض الأمراض التي تحل بالإنسان في هذا السن هذا بالاضافة إلي أنها قد تكون فقدت عزيزا سواء أكان زوجها أو أحد أبنائها.. إلخ وقد

تكون عانت حرمانا عاطفيا أو ماديا وتحملت الكثير حتي يكبر أبناؤها فتعطيك إحدهم ألتمسي لها العذر وأطلبي لها الهداية من الله سبحانه وتعالي ولا تسيئي إليها مهما تسيء إليك. وفي نفس الوقت أتوجه بنداء كبير إلي أم الزوج وأقول لها أكملي رسالتك في الحياة تجاه أبنك فلقد عانيت الكثير لتجعليه رجلا في الحياة. فأكملي تضحيتك وعاملي إمرأته بالحسني واعتبريها ابنة لك بعثها الله إليك بدون تعب الحمل والولادة والتربيةاتركيها تستمتع بشبابها مع زوجها فأنت لا تعلمين ماتخبئه لها الأيام فلا تفسدي عليها أيامها الجميلة حتي يكون لديها زاد تنهل منه عندما تكشر لها الأيام عن أنيابها وهو غالبا مايحدث لكل منا حسب نصيبه في الحياة، فقد خلق الإنسان في كبد. وكوني أما حقيقية لها تتسامحين معها عند خطئها وتدركين أنها مازالت صغيرة في السن والخبرة والتجربة في التعامل مع الناس ولا بأس من توجيهها بذكاء وبدون جرح لكرامتها تجاوزي عن سيئاتها ليتجاوز الله عن سيئاتك. وكوني لها كالماء البارد في الصحراء فإذا كنت ذات مال فأغدقي عليها كما تفعلين مع ابنتك وإذا كان لديك الصحة فاحمدي الله عليها ببذل اليسير منها في التيسير علي حياتها بمساعدتها في المنزل خاصة إذا كانت عاملة أو في تربية أبنائها أو لكي تختلس هي لحظات جميلة مع زوجها في نزهة وتقومين أنت في هذا الوقت برعاية الأبناء حتي يعودا. فهي ابنتك بكل المقاييس وهي أم أحفادك ولابد أن توفري لها الجو النفسي الذي يساعدها في مهمتها الخطيرة وهي تربية الأحفاد
.وهو أمر ليس بالهين في هذا الزمان

فان سنة الحياة إننا نذهب ليجيء غيرنا فلماذا لا تجعلين الباقي من عمرك سعادة لكل من حولك وهل هناك أهم من أبنائنا وبناتنا وأزواجهم لكي نمتعهم بالسعادة حتي يتذكرونا بالدعوات بعد عمر طويل. ازرعي الحب لتحصدي الحب وإذا كنت مبتلاة في إحدي بناتك فهذه الزوجة لا ذنب لها واحتسبي الأمر عند الله الذي سعوضك ويعوض ابنتك خيرا ولكن لا تحاسبيها هي علي حسن حظها بابنك وسوء حظ ابنتك في زوجها فهذه أقدار الله وعندما نتقبلها شاكرين حامدين واثقين من رحمة الله ويرفع الله بلاءه عنا ويعوضنا عوض الصابرين أطفأ الله نار قلبك وملأه حبا لجميع أفراد أسرتك.

ملحوظة: كاتبة هذه الرسالة إنسانة متعلمة حاصلة علي ماجستير في أحد العلوم الدقيقة ومن عائلة ميسورة ماديا وذات مركز اجتماعي مرموق. ولكن هذا لا يمنعها من خدمة حماتها إذا لزم الأمر وخفض جناح الذل من الرحمة لها والترفق بها وكيف لا وهي قد أعطتني خلاصة عمرها لكي أكون زوجة وأما.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

يعجبني التعبير الإنجليزي الذي يصف والدي الزوج بأنهما أم وأب الزوجة بمقتضي القانون ويصف والدي الزوجة بأنهما أب وأم الزوج بنفس الصيغة غير أن التعبير العربي الذي يصف والدي الزوج أو الزوجة بأنهما صهرا زوج الابنة أو زوجة الابن لا يقل بلاغة في التعبير عن عمق العلاقة التي ينبغي أن تجمع بين الزوجين وأهل كل منهما.. فالصهر في اللغة هو القريب بالزواج واصهر الي فلان أي اقترب منه، وفي التنزيل الحكيم وهو الذي خلق من الماء بشرا فجعله نسبا وصهرا وكان ربك قديرا٥٤ الفرقان. وتعني ان الله سبحانه وتعالي هو الذي خلق من النطفة بشرا جعلهم ذكورا وإناثا تجمعهم القرابات بالنسب والمصاهرة، ومن آي قدرته جل شأنه ان خلق من النطفة الواحدة نوعين متمايزين من البشر ليتزاوجا ويتصاهرا.

وأحسب ان الوجدان الشعبي حين نحت الكلمة الدارجة الحماة أو الحما وصفا لأم أحد الزوجين أو أبيه، فإنما قد اشتقها من الحماية ـ والحمي بكسر الحاء ـ أي الملاذ الآمن وليس من تلك الكلمة الأخري البغيضة التي تصف عرضا لمرضي ميكروبي ولعل من خلفيات ذلك ان وحدة المجتمع كانت في الأزمان السابقة هي العائلة الكبيرة التي يعيش الأب والأم وأبناؤه المتزوجون وأحفاده وربما أخوته أيضا وأبناؤهم، وليست الأسرة الصغيرة التي تقتصر علي الزوجين وأطفالهما كما هو الحال الآن ومن هنا كانت الفتاة الصغيرة التي تدخل قلعة العائلة الكبيرة زوجة لأحد الأبناء تخضع تلقائيا لسلطة رب العائلة وحمايته أيضا كما تخضع كذلك لسلطة سيدة القلعة وحمايتها في نفس الوقت من غوائل الزمن ومن جور ابنها عليها إذا تجاوز حدوده معها وهي الفتاة الصغيرة المغتربة عن أهلها بالزواج ومن هنا قد يكون لقب الحماة والحما قد التصق بوالدي الزوج، وهكذا ينبغي أن يكون الأمر علي الأقل.

والحق أنه مازال لهذا المفهوم بعض الصدي لدي أصحاب القلوب الحكيمة والضمائر الدينية الذين يعتبرون أنفسهم مسئولين أدبيا وإنسانيا عن حماية زوجة الابن ضد تجاوزاته إذا ظلمها.

كما ان الفضليات من الزوجات الشابات وأزواج البنات الشباب لا يغيب عنهم هذا المفهوم، كذلك في تعاملهم مع أصهارهم باعتبارهم آباء وأمهات اضافيين لهم جاءت بهم عليهم الحياة إلي جوار آبائهم وأمهاتهم الطبيعيين.

غير أننا نحتاج من حين لآخر لأن نذكر البعض بما قد يغيب عنهم في زحام الحياة وحمأة الصراعات الصغيرة التي لا يتوقف أمامها العقلاء ولهذا أشاركك هذا النداء الحكيم ياسيدتي وأحيي فيك التزامك الديني والأخلاقي.

وأذكر الجميع بأن الله سبحانه وتعالي يحب كما أنبأنا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه الرفق في الأمر كله وهو نداء موجه الي كل الأزواج والزوجات الشباب، وكذلك إلي كل الأصهار والآباء والأمهات.

النبــع الصـــافي

أنا مدرس نشأت في أسرة متوسطة لأب قضي جل عمره في القوات المسلحة متطوعا ثم قدم استقالته وعمل سائقا لسيارة أجرة.

وقد ربانا أبي علي العزة والكرامة وتحري الحلال في كل كبيرة وصغيرة، حيث إنه حاصل علي الإعدادية الأزهرية ومازالت ذاكرته تحفظ أكثر من ثلثي القرآن والحمد لله،

وقد تخرجت في كلية الآداب وعملت مدرسا للغة العربية والحمد لله، فقد نجحت في عملي ولمع نجمي في مجال الدروس الخصوصية إلي حد أنني لم أكن أجد وقتا للنوم إلا في نفس الشقة التي ألقي فيها دروسي، وأكرمني الله وتزوجت وأنعم الله علي بولد جميل ومضت الحياة بي كأجمل ما يكون.

ثم توالت البلايا بادئة بمشكلات زوجية شبه مختلقة لأني والحمد لله زوج لا أزعم أنني مثالي، لكني أتقي الله في زوجتي، فإن أحببتها أكرمتها وإن أبغضتها لم أظلمها، واستشرت البعض في سبب هذه المشاكل المفتعلة فأشاروا علي بإخراج صدقات لوجه الله ففعلت. وسألت بعض المشايخ فقالوا لي: عليك بتحري الحلال في مأكلك ومشربك مع أني أبذل العرق والجهد في كل قرش أكسبه.

ثم كانت القشة التي قصمت ظهري يوم أن أصيب والدي في حادث بسيارته الأجرة ماتت علي إثره ابنة أختي ذات السنوات الثلاث وكانت إلي جواره عند وقوع الحادث، وتلقيت الخبر بالتليفون فوقع علي كالصاعقة، وطيلة الطريق وأنا أدعو أن ينجي الله والدي، ودخل أبي حجرة العمليات وبقي فيها ست ساعات مرت علينا كالدهر، وعلمنا من الأطباء أنه أجريت له عملية ترقيع للحجاب الحاجز ورفع للرئتين وخياطة للكبد..

ورافقت والدي في المستشفي ستة وعشرين يوما لا أفارقه، فقد كان مثل طفل صغير يحتاج لمن يقوم علي أبسط حاجاته.

وذات يوم وأنا أري أبي يكابد الآلام أقسمت علي نفسي ونذرت ألا أعطي دروسا خصوصية أبدا، لعل الله يرفع عنا هذا البلاء، ثم من الله علي والدي بالشفاء وعادت الحياة تضغط علي بمطالبها وراتبي كما تعلم لايكفي، وعرض علي أبي أن يساعدني بجزء من معاشه لكني اعتذرت له شاكرا لأن إصلاح السيارة التهم كل ما ادخره أبي من كده ومعاشه.. وسألت أهل الفتيا فقالوا من نذر أن يطيع الله فليطعه فاستمررت في رفض اعطاء أي درس وانسحبت من سوق الدروس الخصوصية، وبالرغم من إنني أعاني إلا أنني والحمد لله مصر علي موقفي وثابت علي قسمي ونذري بارا به والحمد لله علي كل حال.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لا بأس بما فعلت مادمت راضيا عن نفسك وتري أنك أفضل حالا بعده.. فالمهم هو أن يتوافق كل إنسان مع نفسه ومع أفكاره وأن يكون سلوكه متسقا مع ما يؤمن به من قيم ومبادئ حتي ولو لم يشاركه كثيرون فيها، فينجو بذلك من ازدواج الفكر والسلوك، فإذا كان باب الرزق من الدروس الخصوصية قد أغلق بالنسبة لك الآن، فثق من أن الله سبحانه وتعالي سوف يعوضك عنه بمصادر أخري لا تستشعر أية غضاضة وأنت تنهل من نبعها الصافي بإذن الله.

النافذة المضيئة

بإحدى الكليات الجامعية .. وكنت فمنذ ٤ سنوات كنت طالبة أكتب إليك بعد تفكير طويل لأستعين برأيك في حالي أحاول بكل طاقتي أن أتفوق وأحصل على تقدير ممتاز لكي أجد فرصة التعيين كمعيدة في نفس كليتي لأن أسرتي بسيطة ولا أمل لي في وظيفة عن طريق أحد الأقارب كما يفعل المحظوظون .. لذلك وضعت همي في مذاكرة دروسي وكنت أسهر الليل أراجع دروسي وأعيد مراجعتها وحين يصيبني الملل أقف في النافذة بعد منتصف الليل قليلا أشم الهواء وأستريح قليلا ثم أعود للمذاكرة .. وذات مساء لاحظت أن هناك نافذة على بعد قريب مني تظل . . مضاءة معظم ساعات الليل مثلي .. فقدرت انه طالب أو طالبة تذاكر دروسها مثلي النافذة المضيئة في الاستذكار .. وكلما أرهقني التعب ووجدت نفسي بعد فترة مشدودة إلى منافسة صاحب هذه ونظرت إليها فوجدتها مضاءة زال عني التعب وقررت مواصلة المذاكرة ساعة أخرى حتى تنطفيء النافذة الأخرى .. هكذا مضت الليالي بي .. وبعد فترة عرفت أن من يذاكر بها طالب .. وبعد أسابيع أخرى بدأت أحس كأنه يعرفني وأعرفه .. وبعد فترة أخرى كانت قد نشأت بيننا علاقة " ضوئية " إذا جاز هذا التعبير فأصبحنا نتبادل التحية عن طريق إطفاء نور الحجرة وإضاءته عدة مرات كل ليلة . . ثم بدأ يمر تحت نافذتي في النهار ونتبادل الابتسامات ، ثم عرفته وعرفني وعرفت أنه طالب في نهائي الهندسة وأنه يسبقني بعام ولم تمض شهور إلا وتقدم لخطبتي بمجرد تخرجه .. واتفقنا على أن ننتظر لمدة عام إلى أن نتخرج ثم نتزوج ، وقد قربتني منه فترة الخطوبة كثيراً فأحببته حباً عظيماً وأحبني هو كذلك ، ورضينا نحن الاثنين بظروفنا فهو مكافح مثلي لا أحد له سوى أمه .. وأنا ابنة لموظف مكافح ، وجمع بيننا الحب والإحساس بأنه لا نصير لنا في الحياة ، لذلك فلقد قلت له إننا إذا انتظرنا حتى يدخر ثمن الجهاز فسوف تنقضي زهرة العمر ونحن في الانتظار لذلك فإن علينا أن نتزوج الآن ونعد جهازنا فيما بعد حين تسمح ظروفه ولو بعد عشر سنوات .. وكنت قد جهزت الأشياء الخاصة بي في حدود إمكاناتي ففكر هو قليلا في الأمر ثم وافق على أن نتزوج خاصة أني وافقت على الإقامة مع أمه في . . مسكنهما .. وأنه قد عين مهندساً بسبب تفوقه بإحدى الهيئات الحكومية بعد نجاحه في مسابقة التعيين

وهكذا احتفلنا في بيتنا احتفالا بسيطا بالزفاف .. لم يحضره سوى بعض أقاربي وبعض أقاربه .. ولم نقدم فيه للضيوف سوى الشربات وقطع الكيك التي صنعتها أمي . ثم انتقلت معه إلى مسكنه ، وبدأت حياتي الزوجية سعيدة به وبنفسي . واتفقنا على أن نؤجل الإنجاب حتى تتحسن ظروفنا وحتى ندخر مبلغ الجهاز ، ومضت أيامنا سعيدة سعادة البسطاء من أمثالنا . . أساعد حماتي في أعمال البيت .. نعيش معاً حياة مشتركة بلا أي متاعب لأني أحببتها واعتبرتها كأمي وأحبتني هي أيضاً وعطفت علي ، ومضى عامان على زواجنا وزوجي يعمل ليل نهار يخرج من عمله الحكومي إلى عمل آخر ويعود إلى البيت فيستدعونه في العمل الحكومي في منتصف الليل لأنه يعمل في أحد مرافق الخدمات التي تتطلب العمل في أوقات مفاجئة فيخرج نشيطاً ويعود قرب الفجر ، وهو ينفق على البيت جزءا من مرتبه مع معاش أمه ويدخر الباقي لكي نشتري الجهاز .. وبعد كفاح عامين لم ندخر سوى " باكو " بلغة هذه الأيام .. ولم أقلق لأن الأيام أمامنا ولأني سوف أعمل ذات يوم وسوف أساعده في الادخار .. لكن المشكلة هي أن زوجي يا سيدي قد بدأ ينفذ صبره وبدأ يقول لي أنه لا أمل لنا في أي شيء وأن الطريق طويل أمامنا .. ثم بدأ يمضي فترات طويلة صامتاً أو سارحاً وكلما اقتربت منه وحاولت مشاركته أفكاره يبعد عني . . ثم فاجأني منذ ٣ أسابيع بمفاجأة هزتني من أعماقي حين قال لي أنه يشعر أنه ظلمني معه .. لأننا ننام على سرير سفري ونعيش في شقة قديمة شبه خالية من الأثاث ، وليس بها ثلاجة ولا تليفزيون .. وأنه يفكر في أن يتركني لآخذ حظي مع غيره ممن يستطيعون تقديم شبكة ومهر وتأثيث شقة إلى أخر هذا الكلام .. وبكيت وقلت له أن كلا منا يحب الآخر ويرى فيه حياته ومستقبله ، وأنني لست متعجلة لأي شيء ولا يهمني جهاز أو غيره وإنما يهمني أن أضع رأسي كل ليلة على وسادة ينام عليها من يحبني وأحبه .، وهددته بأنه إذا عاد إلى هذا الحديث مرة أخرى فسوف أشكوه لأمه . فانتهى الحديث ، ولكنه بعد أيام أخرى قال لي يا فلانة أنت صعبانة علي لأنك أحببت شاباً فقيراً .. وأنت جميلة وتستطيعين الزواج من شاب ميسور ، فوضعت يدي على فمه ثم قلت له لا تحاججني بذلك لأنك شاب وفي مقتبل العمر والحياة أمامك وإذا كنت تعتبر نفسك فقيراً فلا تنس أيضاُ أنني فقيرة دقة ، ومع ذلك فأنا أعتبر نفسي غنية بك .. واعتبرك أغنى رجل في العالم فلا تعذبني بهذا الكلام .. فسكت لكنه يزداد حزنا يوم بعد يوم .

إنه شاب ممتاز ويعاملني بكل حب وهو مهندس شريف ولو أراد أن يكسب الكثير من عمله لفعل .. لكنه يرفض أن ينحرف ولن ينحرف أبدا لأنه يعرف ربه ويخشى الحرام وأنا أخشاه أكثر منه ، وأريد منك أن تقول له أنني لا أرضى به بديلا وأنني سعيدة معه في الشقة القديمة مع الأثاث القديم وأني مستعدة أن أنام بجواره على حصيرة .. لكن عليه فقط أن يطرد هذه الفكرة من ذهنه لكيلا تعكر عليه حياته .. ولكي نعيش حياتنا كما يعيش كل الناس .. ولا بد لكل ليل من آخر .. إنني أرجوك أن تقول له ذلك على لساني لكي يهدأ ويستريح ويعود إلى نشاطه وابتسامته ؟ فهل تفعل ذلك من أجلي .

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

نعم أفعل يا سيدتي بكل سرور .. لكني مهما أجهدت نفسي في تنميق الكلمات فلن أعثر على كلمات تعبر عن حبك له وتمسكك به أجمل ولا أصدق من كلمات رسالتك هذه .. لذلك فلن أضيف إليها الشيء الكثير .. ولن أعيد تكرار كلمات الحب والوفاء والإخلاص على زوجك الشاب لكني سأطلب منه فقط أن يعيد قراءة رسالتك هذه عدة مرات وأن يعي معناها الكبير .. وأن يعتبرها تميمة حب يقبض عليها بيده ويدفع بها عن نفسه الضيق والملل كلما ضاق صدره بظروف الحياة لأنها زاد عظيم لمن يشق طريقه في الحياة معتصماً بالقيم ورافضاً للانحراف كما يفعل زوجك .. وقوة دفع كبيرة سوف تدفعه بإذن الله إلى مواصلة طريقه المستقيم متمسكاً به ومحتمياً بحبك ضد صعوبات الحياة حتى تتحقق الآمال بإذن الله . ، وعفوا يا سيدي إذا قلت لك أن رسالة زوجتك هذه يشقى كثيرون لكي ينالوا بعضاً من كلماتها الصادقة من شريكات حياتهم الشقية رغم معاناتهم لإسعاد زوجاتهم وتوفير كل متطلبات الحياة لهن ، فلا تفرط في قلبها الذهبي الذي يغمرك بكل هذا الحب ولا تفقد صبرك وجلدك على متاعب الطريق الطويل أعانك الله عليه وأعان كل الشباب من أمثالك على آلامه وتبعاته الجسام

النار المتأججة

أبعث إليك هذه الرسالة ردا علي رسالة الأبواب المغلقة والتي نشرت منذ بضعة أشهر. ولقد تتساءل عن سبب كتابتي لهذا الخطاب علي الرغم من مرور تلك الفترة الطويلة واجيبك بأني عندما قرأت رسالة(الأبواب المغلقة) كتبت ردا عليها ولكنني لم أرسلها لك، ولا أدري لماذا ؟ ولكي تتذكر الرسالة فلقد كانت عن فتاة تعيش مع والدتها، أما والدها فقد طلق امها منذ أن كانت طفلة صغيرة جدا، وذهب وتزوج من امرأة أخري، ولم يخطر بباله أن يسأل عن ابنته ولو مرة واحدة، والآن وبعد أن كبرت هذه الفتاة وأصبحت في سن الزواج يريد والدها أن يقوم بدور الأب بالنسبة لها، وبعثت إليك من تسألك ماذا تفعل معه وهي تكره سيرته ولا تطيق أن تسمع اسمه، وهل تسامحه ؟

وقد كان ردك علي رسالتها بأن تسامحه، وأن تتركه يمارس دور الأب عليها لأن هذا حقه وإلي آخر الرد.

وأنا فتاة في العشرين من عمري، وأدرس بإحدي كليات القمة وأعيش حياة مريحة جدا، وفي مستوي اجتماعي راق، ولكن كل هذا من خير أمي فأنا أعيش مع والدتي، أما والدي فقد انفصل عن والدتي وعمري بضعة أشهر، وترك أمي ولم ينفق علي مليما واحدا منذ ولدت وحتي الآن، وكافحت أمي كفاحا مريرا لكي توفر لي هذه الحياة

الكريمة التي اعيشها والمشكلة أن والدي لم يفكر في يوم من الأيام أن يسأل علي ولو بتليفون ولم يفكر في أن يراني ابدا، وبالاختصار هو قد ألغاني نهائيا من حياته ومن ذاكرته، نسي تماما ان له ابنة علي قيد الحياة، هو الآن متزوج ولديه أولاد من زوجته الثانية.. وبالتالي إن قصتي مشابهة جدا لقصة تلك الفتاة كاتبة رسالة الأبواب المغلقة، وعندما قرأت رسالتها شعرت بأنني أقرء قصتي، ولكنني دهشت لردك عليها الذي تنصحها فيه بأن تصفح عنه وتقبل باقترابه منها فقد كان ردك هذا بمثابة الضربة القاضية التي أصابتني بالحزن الشديد إذ كيف تريد منها أن تنسي أن والدها المفترض أنه الشجرة التي تستظل بها، ومصدر الأمان لها قد ألغاها تماما من حياته واعتبر أنه لا وجود لها في الدنيا، لقد أهملها طوال هذه الفترة بل لم يعطها أي حق من حقوقها، إنني أعتبر نفسي يتيمة علي الرغم من أن والدي حي يرزق وأنا أكره والدي كرها شديدا جدا جدا جدا جدا، بل وأكره اسمه، وأكره رؤيته علي الرغم من أني لم أره أبدا وليس عندي أي استعداد لأن أري هذا المخلوق البغيض فلقد ظلمني ظلما شديدا وسبب لي أضرارا نفسية كبيرة، وقد حاول والدي سامحه الله أن يمارس دور الأب معي عندما علم بأني دخلت إحدي كليات القمة ولكنني رفضت بشدة هذا، وأريد أن أقول لك إنني لا أكرهه من فراغ فهو لم يحاول أن يتقرب مني أبدا أو يرجوني أن أسامحه علي ما فعله بي، بل إنه لم يحاول أن يعوضني عن سنوات الحرمان التي عشتها، لم يحاول أن يعطيني لحظة حب واحدة، أنا لم أشعر قط بحب ودفء وحنان الأب، فكيف لي أن أسامحه، إنني لا أتذكر له حسنة واحدة يمكن أن تشفع له عندي، وأريد أن أبعث رسالة له ولكل الآباء من أمثاله الذين يتناسون أن لهم أبناء وبنات من صلبهم يعيشون بعيدا عن أعينهم، أقول فيها:

أريد أن أخبركم بأننا لا نتشرف ولا نفتخر بأن تكونوا آباءنا، فالحقيقة أنكم عار علينا ونقطة سوداء في حياتنا وتاريخنا، أنتم الشيء الوحيد الذي يكدر علينا صفو حياتنا، وقد استطعنا أن نتأقلم ونعيش حياتنا بدونكم... ماذا تريدون منا الآن بعد مرور كل تلك السنوات الطويلة، الآن فقط تذكرتم أن لكم ابناء وبنات تريدون أن تعطوهم حقوقهم ؟؟

ان من السخف أن يصور لكم خيالكم المريض أننا يمكن أن نصدق هذا في يوم من الأيام، فأنتم المثل الأعلي للأنانية والظلم والاستبداد والسادية... أبعد كل ذلك تريدون أن نبركم ونعطيكم حقوقكم ونسامحكم ونغفر لكم ؟ وأين حقوقنا نحن، بل وأين مشاعرنا وكرامتنا نحن ؟ أتريدون أن نأمن لكم بعد كل ذلك لا وألف لا، ألا تدركون أننا أمانة أودعها الله تعالي بين أيديكم، ولكنكم خنتم هذه الأمانة شر خيانة، أننا نكن لكم مشاعر الكره والبغضاء والاحتقار، ونعتبر أن مجرد التفكير في أن نسامحكم هو قمة الذل الذي يمكن أن يلحق بنا وبكرامتنا وكبريائنا، فجرحكم لقلوبنا البريئة لا يلتئم أبدا.

وحسبي الله ونعم الوكيل فيكم جميعا!.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

نشرت رسالتك كاملة بالرغم من استيائي مما تحمله من عبارات قاسية عن ابيك، لاني اردت ان يطلع بعض الآباء علي حجم الحقد الأسود الذي ينهش قلوب بعض الأبناء تجاه آبائهم نتيجة لاهمالهم لهم او انشغالهم بحياتهم الجديدة عنهم.

أما أنت يا ابنتي فإني أقول لك إنه ليس من السلامة النفسية ولا من الدين ولا من العدل مع النفس او الغير ان ينطوي صدرك علي كل هذا القدر من الكراهية لأحد من البشر خاصة إذا كان أباك ومهما يكن تقصيره في حقك او تقاعسه عن اداء واجبه تجاهك فالكراهية نار تأكل نفسها ان لم تجد ما تأكله.

وكراهيتنا لمن امرنا الله سبحانه وتعالي بأن نصاحبهم في الدنيا معروفا حتي لو ظلمونا توقعنا في دائرة التأثم وتحرمنا من القدرة علي التواصل السليم مع الآخرين وتحرمنا من قدر كبير من السلام النفسي.. وترشحنا للتعاسة والشقاء في الحياة..

فالنفس الطيبة لاتكره احدا كل هذه الكراهية حتي ولو كان قد اساء اليها..

وهي تعتب علي من ظلمها.. لكنها لا تحقد عليه ولا تنتقم منه ولقد تفضل عليه من كان رحيما بها.. لكنها لاتنشغل بكراهيته واجترار الاحقاد عليه..

ولقد تعجز عن حبه لشدة ايلامه لها لكنها لاتنجرف ابدا إلي مستنقع الكراهية العمياء له

وهذا هو معني التسامح الذي أقصده في مثل هذه الحالة..

إنه تسامح مع الحياة طلبا للسلام النفسي.. وضنا بالمشاعر والأوقات والأعصاب من ان تبدد او تحترق هي بنار الكراهية.

وأنت تستطيعين تحييد مشاعرك تجاه أبيك.. فتخففين بذلك من ضغط هذه المشاعر السلبية عليك..

كما تستطيعين أيضا تأجيل الحكم عليه الي حين الاستماع ذات يوم إلي وجهة نظره او اسبابه لاهماله لك وتخليه عنك كل هذه السنوات.. فلعل له عذرا وأنت تلوم كما يقول الشاعر.. ولعل ماقيل لك عنه لم يكن دقيقا بالقدر الكافي او لعله كان معبرا عن وجهة نظر أحادية لا تأخذ باعتبارات الطرف الآخر، فلماذا تضيفين إلي حرمانك من حنان الأب ورعايته.. الحرمان الارادي من السلام النفسي والصحة النفسية ؟!

مشاركة ١١

المياه الراكدة

اعرف جيدا ان مصير رسالتي هذه سيكون سلة المهملات لأنك لاتحب هذا النوع من الرسائل.. ومع ذلك فاني اكتبها لك عسي ان يستفيد بها بعض الزوجات والازواج.
فانا سيدة في الاربعين من العمر تزوجت منذ١٢ عاما، وقد تأخرت في الزواج لاني شغلت بعملي المرموق وصممت آذاني عن عبارات الحب والاعجاب والهيام بحياتي، إلي أن اشتد الحاح أبي وأمي علي للحاق بقطار الزواج قبل ان يفوتني، فقبلت شابا يعمل عملا مهنيا محترما وتزوجته ووجدته بعد الزواج انسانا طيبا وحنوناو عرفت انني المرأة الأولي في حياته ومضت بنا السنوات وانجبت طفلين وشيئا فشيئا حل الفتور بيننا واصبحت حياتنا كالمياه الراكدة لايحركها تيار.. ولايغير من مللها شيء وازداد اهتمامه بعمله.. ورجعت انا للعمل الذي كنت قد انقطعت عنه عند الانجاب، ومنذ ثلاث سنوات ذهبت إلي عيادة طبيب اسنان شاب لعلاج اسناني فابدي اعجابه واهتمامه الفائقين بي، وبعد عدة جلسات حاول ان يعبر عن حبه لي لكني افهمته انني سيدة متزوجة، وان زوجي هو الرجل الأول والأخير في حياتي فالتزم حدوده معي وواصلت بعد ذلك زيارته كلما احتجت للعلاج، وفي احدي هذه الزيارات صارحني بأنه يحبني للغاية ويتمني لو كنت غير متزوجة كي يفوز بي دون الآخرين، فإذا سألتني الآن لماذا واصلت التردد علي عيادته بعد ان صارحني بذلك، ولماذا لم اذهب لعيادة طبيب آخر، سيكون جوابي هو انني قد اعتدت ان اسمع كلمات الاعجاب من الآخرين دون ان تؤثر علي التزامي كما ان هذا الطبيب قد التزم بالحد الذي اوقفته عنده لكنه لم يتوقف بالرغم من ذلك عن ادارة اسطوانة الغزل وكلمات المديح والاعجاب الشديد بجمالي وأخلاقي وأدبي واحترامي لنفسي ورشاقتي.. الخ. وشيئا فشيئا وجدتني احب سماع هذا الكلام منه، بل ووجدتني ايضا اتعمد الذهاب لعيادته وانا في كامل اناقتي وجمالي واسعد باهتمامه بي حين يستقبلي علي باب غرفة الكشف بابتسامة عريضة ولأنني كنت محرومة من سماع كلمات الغزل من زوجي فقد وجدتني استعذب سماع هذه الكلمات من هذا الطبيب، ومنذ عام اكتشفت أن زوجي يعبث في اوراقي كأنما يحاول ان يكتشف فيها شيئا لايعرفه عني.. وضقت بشكه في خاصة حين عرفت انه كان يفعل ذلك طوال السنوات الماضية، وانفجرت فيه لأول مرة منذ تزوجنا. وحاول هو ان يهدئ من روعي وطلب مني أن أخفض صوتي العالي دون جدوي، فاذا به يرفع يده إلي اقصي مدي ثم يهوي بها علي وجهي ليسكتني، فنزلت صفعته علي وجهي كالصاعقة، وكففت عن الصراخ واحسست ان جدارا سميكا قد قام فجأة بيني وبينه وغادرت بيت الزوجية عائدة إلي بيت إبي وبعد فترة قصيرة ذهبت إلي عيادة هذا الطبيب للعلاج ووجدتني اتحدث معه عن مشكلتي مع زوجي، فكان ينبوعا للحنان وحاول ان يخفف عني ولم يحاول ان يستغل الظروف لاستثارتي ضد زوجي بل قال لي ان من حقه ان يعرف عن زوجته كل شئ لانه ليست هناك خصوصية بين الازواج، فزادني هذا الموقف اقترابا منه، واستمررت في الاقامة في بيت أبي ورفضت محاولات زوجي للصلح حتي ضاق بي أبي وانذرني انني إذا حصلت علي الطلاق فلامكان لي في بيته لان بناته لايعرفن الطلاق، فانتقلت للاقامة في شقة أخي المسافر للخارج. وبعد فترة من الوحدة والملل وجدتني ارجع إلي بيت الزوجية وحدي دون ضغط من أحد.. ومضت فترة طويلة دون أن ترجع علاقتي بزوجي إلي طبيعتها السابقة لأن صورته وهو يهوي بيده علي وجهي كانت تقف حائلا بيني وبينه.. ثم اشتعلت الخلافات بيننا من جديد لأن زوجي لم يتفهم حالتي النفسية ولم يتحملني وطالت فترات الخصام بيننا.. وفي هذه الفترة رجعت للتردد من جديد علي عيادة طبيب الأسنان الشاب بعد انقطاع٩ شهور.. وكنت هذه المرة في حالة نفسية سيئة وعلي استعداد لقبول غزله وإعجابه، وذات يوم وقعت مشاجرة عنيفة بيني وبين زوجي هجرت بيت الزوجية علي اثرها ورجعت للإقامة في شقة أخي فذهبت إلي عيادة هذا الطبيب وجلست علي كرسي الأسنان استعدادا للعلاج وجلس هو إلي جواري وسألني عما بي، فلم أجب لكني تنهدت تنهيدة عميقة فأمسك بيدي وضغط عليها بحنان ولم أعترض.. فرفعها إلي فمه وقبلها ولم يتحرك لي ساكن وخلال لحظات انتهي كل شيء، ورجعت إلي بيتي وأنا ذاهلة.. وفي غرفتي وجدتني أبكي بمرارة وأنظر إلي نفسي في المرآة باحتقار ثم أبصق عليها وبعد أيام جاءني صوته يحاول أن يقنعني بأن ما حدث بيننا لم يكن لأحدنا يد فيه إلخ.. ودارت رأسي بكلامه المعسول وغزله الرقيق مرة أخري.. وعرفت منه لأول مرة أنه متزوج وعنده أطفال.. وبالرغم من ذلك فقد تكرر الخطأ بيننا مرة ثانية في المكان نفسه.. ومرة ثالثة أيضا، وبعد هذه المرة الثالثة لم يتصل كما كان يفعل من قبل، وطال تجاهله لي لفترة، وحين اتصلت به ولمته علي ذلك تعلل بمشغولياته العديدة، فأصبحت أنا التي ألاحقه وهو الذي يتعلل بالانشغال والمسئوليات وضيق الوقت إلخ.
وبدأت أفيق مما أوقعت نفسي فيه وذهبت إليه في العيادة وأنا عاتبة عليه لتجاهله لي ففوجئت به يكشر لي عن أنيابه ويسقط عن وجهه قناع الرقة والحنان ويحتد علي في النقاش إلي حد أن دفعني بيده في كتفي وهو في قمة الانفعال، وخرجت من عنده وأنا لا أصدق ما فعلت بنفسي وكرامتي.. وشرفي ولم يغمض لي جفن طوال الليل وعشت الأيام التالية وأنا في أسوأ حال أسأل نفسي كيف انحدرت فجأة من قمة الوقار والاحترام إلي مستنقع السقوط والخطيئة، وأين ذهب عقلي وأنا أتخلي عن التزاماتي ومسئولياتي كزوجة وأم، وضاعف من عذابي وحيرتي أن زوجي قد ظهر بعد هذه المحنة نادما علي ما حدث بيننا من خلافات ومشاجرات طوال العام الأخير وراغبا في استمرار الحياة بيننا بأية شروط أضعها لأنه متمسك بي ويقدر في طيبتي وتسامحي معه.. ووجدتني أرفض العودة إليه بإصرار ليس كرها فيه ولكن خجلا من نفسي.. وكان جوابي علي توسله لي للعودة إلي هو أن هذا الحل لم يعد صالحا الآن للتنفيذ للأسف، دون إفصاح عن السبب، وفي لحظات الصدق مع نفسي اقتنعت بأن

كل مشكلاتي مع زوجي في العام الأخير كانت من أثر تحول مشاعري عنه بسبب هذا الشيطان اللعين الذي غدر بي.. أما زوجي فهو كما هو منذ تزوجته ولم تكن العيوب والأخطاء التي أخذتها عليه سوي تبرير أقنع به نفسي لتحول مشاعري عنه.. وللأسف فإنني لا أستطيع مصارحته بالحقيقة ولا بسبب رفضي الحقيقي العودة إليه الآن بعد ما حدث.. فماذا أفعل مع نفسي لكي أنسي ما حدث وأمحو عن ثوبي الأبيض هذه البقعة القذرة، وماذا أفعل مع زوجي الذي يلح علي هو وكل الأهل في العودة إليه. إنني أكتب إليك لكي تقول لكل زوجة إن الرجل الذي يغازل سيدة متزوجة لا يكون شريف القصد، ولا يكون له سوي هدف واحد يسعي للوصول إليه، وبمجرد بلوغه هدفه تصبح هذه السيدة أرخص عنده من فردة الحذاء، وأقول لكل الأزواج إن قليلا من الاهتمام بالزوجات وشيئا من الرقة والحنان والذوق الذي يتعامل به مع الأخريات سيكون له مفعول السحر في نفس زوجته.. أما أنا فإني نادمة نادمة حتي النخاع.. والسلام.

ولكاتبة هذه الرسالة اقول:

به دائما ويبرع فى التعبير عن وإنما يعجب هناك مثل فرنسى قديم يقول : لايعجب بفستان امرأة .. من يدفع ثمنه هذا الإعجاب من لايكلفة إعجابه به سوى الكلمات السهلة التى لاتترتب عليها أى التزامات وقد يكون مفارقات الحياة التى تستحق التأمل أن من يعجب بفستان امرأة "أى يغفل فى الوقت نفسة عن إظهار اعجابه بفستان زوجته ومن هنا تاتى المفارقة التى تخدع أبصار البعض أحيانا حين تقارن الزوجة بين ندرة كلمات الغزل أو جمالها والإعجاب بجمالها التى تسمعها من زوجها وسخاء وشاعرية كلماتة الطرف الخارجى فى التعبير عن إعجابه بجمالها ورقتها وأناقتها الى أخر هذه المعزوفة الشيطانية التى تدير بعض الرؤوس . ومع أن الأفضل والأمثل دائما هو أن يتبادل الزوجان التعبير عن الحب والإعجاب بالكلمات ةالأفعال وليس بالأفعال وحدها كما يفعل البعض ألا إكتفاء بعض الأزواج بالتعبير العملى الصامت عن الحب والإعجاب لايبرر للزوجة الاستنامة لكلمات الغزل والإعجاب ممن يحاولون غزو حصونها ولايجدون ثغرة ينفذون منها إليها إلا بمثل هذا الغزل الحقير ز ولايبرر كذلك بخلبعض الزوجات بكلمات الحب على أزواجهن لهؤلاء الأزواج أن يطروبوا لكلمات الإعجاب الشاردة التى قد يسمعونها من الأخريات ويبنون عليها حساباتهم وعلاقاتهم مع الأطراف الخارجية . كما لايبرر عقم حديث بعض الأزواج وزوجاتهم واقتصاره على شئون الحياة اليومية والشئون الأسرية لأحد أن ينخدع بمثل هذه المقارنة الظالمة بين "رقة الأخرين " و " تحفظ الشركاء " .. أو خلو أحادثهم من الكلمات الشاعرية لأنهم إنما يتعاملون مع الصورة الخارجية لهؤلاء الاخرين ولايتعاملون مع أعماقهم وسرائرهم وشخصياتهم الحقيقية . ذلك أن العشق أسهل ألف مرة من الزواج كما كان يقول الأديب الفرنسى بلزاك لأنه يتطلب منك أن تكون لطيفا بعض الوقت .. أما الزواج فإنه يتطلب منك أنتكون لطيفا كل الوقت وفى كل الأحوال والظروف وهو مالايقدر عليه أحد فإذا اضطررنا للتعامل مع هؤلاء الأخرين " كل هؤلاء الأخرين " كل الوقت وعلى مستوى العمق وليس على المستوى السطح .. فلا أحد يضمن ألا يكون هذا اللطف قناعا مؤقتا يسقط عن وجوههم عند أول اختبار كما سقط قناع الرقة والحنان واللطف عن وجه طبيبك الشاب فاسفر عن قسوة وانانية وخسة فى التعامل لاتقارن بها كل أخطاء زوجك إذا كانت له أخطاء تستحق التوقف عندها . وجوهر الخطأ فى قصتك هذه هو انك قد استمريت فى التردد على عيادة هذا الطبيب بعد أن غازلك غزلا صريحا مرددا على مسامعك أنشودة انه كان يتمنى لو كنت غير متزوجة لكى يفوز بك دون العالمين أما تبريرك لاستمرارك فى التردد عليه بعد أن غازلك بانك قد ألفت سماع كلمات الإعجاب بجمالك دون أن تدير رأسك وتنسيك التزاماتك كزوجة وأم فهو تبرير خادع وليس صادقا .. لان المرأة المتزوجة التى ترغب حقا فى أن تناى بنفسها عن الأغراء والخطا هى التى تقطع صلتها بحسم بمن غازلها غزلا مكشوفا أو مستترا إذ إن استمرار هذه الصلة بينها وبينه بعد أعلان الإعجاب والهيام .. لايعنى لمن غازلها سوى أن مقاومتهاقد بدأت تتأثر بالفعل بانشودة الغزل التى أنشدها لها وأن المسألة ليست فى النهاية سوى مسألة زمن يطول أو يقصر ثم تنهار حصونها .. وقد تساعد ظروف طارئة فى حياتها على الإسراع بهذا الإنهيار كما حدث معك حين اشتدت خلافاتك مع زوجك ووجدت نفسك تطربين لسماع هذه الكلمات التى رفضتها فى البداية رفضا لينا يشجع على أستمرارها وليس توقفها ثم بدات تستمرين سماعها وتذهبين إلى عيادة هذا الطبيب وأنت فى كامل جمالك وأناقتك لكى تطلبى المزيد منها ولاعجب فى ذلك لأنك قد خطوت الخطوة الأولى على الطريق المنحدر حين رجعت لعيادة هذا الطبيب مرة ثانية بعد أن سمعت منه كلمات الغزل والهيام ولأن لللمديح والإطراء أثر السحر فى نفوس البشر مهما تصوروا فى أنفسهم القدرة على عدم التأثر بهما ولقد قال حكيم عن أحد الأشخاص الذين يتظاهرون بالفضل .. أستطيع أن أحول هذا المغرور ألى مجنون خلال شهر واحد فقيل له : كيف ؟ فاجاب : بالمديح والتملق كما كان الأمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه يبكى إذا حدثه البعض عن افتتان الناس به ويقول : هذا استدراج . أى هذا استدراج من القائل له لكى يعجب بنفسه فيفقد بعض تواضعه ورشده أما أنت ياسيدتى فلقد استسلمت لهذا "الاستدراج" حتى ضغفت مقاومتك تدريجيا وأنهارت حصونك وتكشفت لك الحقيقة المؤلمة فإذا كنت ترغبين حقا فى محو هذه البقعة السوداء من ثوبك فلا سبيل لذلك سوى بلوم النفس على ما اوردتك اليه من موارد التهلكة والندم الصادق على مافعلت والكف عنه وعقد النية على ألا ترجعى اليه ابدأ ومع كثرة الاستغفار والالتزام بالطريق القديم والتفكير الصادق عما حدث يتطهر الثوب تدريجيا مما علق به .. ويصح لك عندها التفكير فى مستقبل علاقتك بزوجك وشكرا

الموت الرخيص

سيدي الفاضل...

كتبت إليك أكثر من رسالة، ثم تراجعت عنها لطول ديباجتها وتفاصيلها

بدون مقدمات ولا تفاصيل إليك رسالتي في نقاط محددة:

أنا أم لشاب كان هو كل ما أملك بحق من الدنيا وما فيها، يوم ولدته كان يوم مولدي الحقيقي وعوضا لي عن مآسي وأهوال وأسي وحزن وشجن وعذاب السنين التي سبقت مولده. لا استطيع تصوير شعوري حين كنت اضمه لصدري وارضعه.. ياااااااااه يا محمد؟

كنت أرضعه حبي وحناني وبمنحني سعادة الدنيا وبهجتها. كنت أشعر بأني أمتلك شيئا غاليا ليس عند كل الأمهات ولا كل النساء.. كان والده - رحمه الله قليل الحيلة وقليل العمل، وكان يحمل بين صدره قلب ملاك يملؤه الحب لكل الناس، برغم بساطة حاله كان رجلا.. فأورث ابنه الرجولة منذ حداثة سنه.. لأسباب يطول شرحها، طلقني زوجي وتزوج بأخري.. تمسكت بأمومتي لمحمد الطفل الصغير الذي لم يتجاوز عمره٨ أعوام، ولم يمانع والده لحسن خلقه ولأنه كان يعلم أني بحاجة لابني.. وسارت بنا الحياة أنا وابني معا علي الحلوة والمرة، وأنا موظفة بالحكومة وراتبي لا يكفينا، ووالده أنا أدري بظروفه المادية، فالتحقت بعمل إضافي.. فكان ذلك يضطرني لإسناد بعض أعمال المنزل لمحمد بجانب مذاكرته، وسارت بنا الحياة في الأفراح نفرح معا، ووقت الشدة نستند علي بعض، وفي تلك الأثناء تقدم لي العديد من العرسان كنت أرفض أي رجل يأخذني من ابني أو يرفض وجود ابني في حضني، حتي تقدم لي من يرضي بوجود محمد ويرضي عنه محمد، وكانت ظروف عمله لا تتيح له الوجود معنا بالقاهرة طوال الأسبوع مما يتيح لنا الوقت أن نكون معا وحدنا لفترة ما.. حتي حملت في طفلتي الأولي ولا أحد بجانبي يرعاني ويذهب معي للأطباء والمستشفيات غير محمد لأني كنت مريضة طيلة فترة حملي، حتي جاء موعد الولادة فكان محمد هو رفيقي بالمستشفي يسهر علي راحتي ورعاية المولودة طوال ثلاثة أيام، وكان زوجي يأتي للزيارة نهارا ويبيت معي محمد ليلا..

المهم يا سيدي وصل محمد للصف الأول الثانوي وأنا كنت مازلت في اجازة الوضع وطلب مني زوجي الانتقال معه للمنصورة، حيث مقر عمله لأنه لا يستطيع فراقنا وطفلته.. أبلغ محمد والده بذلك فقال له اينما تذهب أمك اذهب معها فلا طاقة لها بفراقك.. قام زوجي بنقل محمد من مدرسته.. وسعي بين المدرستين بين القاهرة والمنصورة حتي يسر الله لنا العيش معا.. وكان محمد في الصف الثاني الثانوي حين وصلنا نبأ وفاة والده.. مات أبوابني في الطريق أثناء ذهابه لعمله.. وكانت صدمة كبيرة لي ولمحمد وأخذ زوجي علي عاتقه الإنفاق علي ابني في سني دراسته حتي التحق بكلية الحقوق جامعة المنوفيةو برغم وجود أعمامه وأخواله، وأنا أعيش مع زوجي وطفلتي بالمنصورة، فلما تعثر زوجي ماديا وشعر بذلك محمد، ولأنه لا يتحمل فراقي طلب مني ألا يكمل تعليمه وأن يعمل كي يعول نفسه برغم معارضة زوجي ومعارضتي، بكي محمد قائلا انه كبر وأصبح رجلا ولا سند له في الدنيا.. المهم يا سيدي عمل بشركة مرموقة فكان محبوبا من الجميع وانتقلنا جميعا للعيش بالقاهرة، وتعين محمد مرة أخري وتعلم الميكانيكا بالشركة التي يعمل بها زوجي مهندس ميكانيكا وانجبت طفلا آخر عمره اليوم٤ سنوات

وسافر زوجي للعمل بالسعودية ووفرت الشركة فرصة سفر لمحمد، وفي أثناء تجهيز جواز السفر والأوراق , المطلوبة جاءني فرحا قائلا انه رأي بنتا جميلة ومؤدبة ومدرسة أخيه الصغير بالحضانة، وأن قلبه أخذ يدق دقا شديدا حين رآها وطلب مني أن اخطبها له.. المهم يا سيدي ولا داعي لتفاصيل أنوء بحملها وحدي تمت خطبته وعشت معه أجمل وآخر لحظات حياته، وفي عاد من عمله في الخامسة وقال انه قبض راتبه وانه سيذهب لسداد دين له وكذلك سداد قسط الموتوسيكل.. قلت له اجلها للغد أو يوم الجمعة فقال وسأشهد له عند ربه لن أبيت وعلي دين.. وهكذا ياسيدي ذهب محمد لسداد ديونه وصلة رحمه، وفي تمام الساعة التاسعة مساء وكان يوم عيد رأس السنة الميلادية اتصلت به علي الموبايل وطلبت منه إحضار اللبن لاخوته، فقال حاضر ياماما سأرن عليك وأنا تحت البيت قبل ما اطلع،.. وغفوت غفوة صغيرة فزعت علي صرخة مااااامااااااه فوجدتني كنت احلم والساعة العاشرة والربع مساء استعذت بالله من الشيطان الرجيم ونمت لدقائق وسمعت رنات الموبايل رقم محمد وصورته فقلت في عفوية وانا بين الصحوة والمنام.. ايوه ياحبيبي فرد علي صوت غريب قائلا ان محمد عمل حادث علي كوبري٦ أكتوبر، وقال انه صاحبه وسألني اين ابوه؟

قلت إن ابوه متوفي فكيف تكون انت صديقه؟ فين ابني؟ فين محمد؟ قال انه مغمي عليه وأن سيارة الاسعاف في الطريق فصرخت علي الجيران استغيث بهم وهرولت علي السلم حافية القدمين بملابس النوم ومعي الموبايل وقبل نهاية السلم رن الموبايل كان احد اصدقاء والده قلت الحقني محمد ابني عمل حادثة وانا وحدي، فقال اين انت؟ قلت في طريقي به قال: عودي للبيت محمد تعيشي أنت..

لا تعليق غير إنا لله وإنا اليه راجعون.

بيانات الحادث كما جاءت بمحضر شرطة قسم ثان مدينة نصر.

كان ابني يسير في طريقه حتي جاءت سيارة طائشة علي سرعة١٨٠ كيلو مترا وطارت في الهواء من الاتجاه المعاكس واطاحت برأس ابني فطار في الهواء ووقع مسلما الروح في الحال، وصدمت سيارة أخري بها موظف

وزوجته وحطمتها تحطيما.. وبات ابني في المشرحة وبات الموظف وزوجته بالمستشفي وبات قاتل أبني في أحضان أمه.
وحتي الآن موتوسيكل ابني حطاما بحجز شرطة قسم ثان مدينة نصر وأنا أسدد اقساطه لانه كان باسمي وقاتل ابني حكمت عليه المحكمة بغرامة٢٠٠ جنيه، وتنصل والد الجاني من دفع الدية الشرعية بعدما كان يصر علي دفعها قائلا إن ابنه لم يأخذ حكما وان صهره يعمل مأمور قسم اخبطي رأسك في الحيط!
هكذا هو القانون!! ولا تعليق غير حسبنا الله ونعم الوكيل.. نام ابنه في حضنه وقرت عينه، وباتت عيني تبكي ابني وتشتكي للذي لا يغفل ولا ينام وحسبنا الله ونعم الوكيل فيمن سن قانون الأرض غافلا قانون السماء.
ورسالتي عبر بريدك لابي قاتل ابني: حسبنا الله ونعم الوكيل مالم ترض بدفعه في الدنيا رضاء الله سأقتنصه من لحمك ولحم ابنك في الآخرة، ولن يرضي عنك الله أبدا، ولن أسامحك ما حييت، أبيت داعية لله عز وجل بالقصاص الذي شرعه الله.
أم محمد سليمان عبدالودود

محمد وكريم وقبلهما طارق، وبعدهما عشرات بل مئات من البشر تسيل دماؤهم علي الأسفلت.}
شباب مثل الورد، زوج وأب لطفلين، وعريس سند أمه وفرحتها وأمانها وشاب رياضي يافع، وغيرهم كثيرون يدفعون حياتهم ثمنا لشاب طائش، وآخر جاهل يتحدي القانون بسيارته الميكروباص، كما يفعل أمثاله الآلاف علي مرأي ومسمع الجميع بمن فيهم رجال الشرطة الذين عجزوا عن مواجهة هذه المافيا، وثالث سكير وعمره لم يتجاوز ١٩ عاما.. وفي النهاية جريمتهم قتل خطأ. تهور واندفع واخترق واقتل ولا تقلق فالقانون يحميك، ستدفع تقريبا ما يعادل قيمة مخالفتي المحمول والحزام. يمكن للأب أن يقول لابنه: اياك أن تسير عكس الاتجاه فالقانون صارم ووزير الداخلية يرفض الاستثناءات، إن فعلت قد تسجن ثلاث سنوات، اقتل وسأخرجك من سرايا النيابة بكفالة صغيرة وستحصل علي عقوبة مالية بمئات الجنيهات ولكن في النهاية ستنام في حضني، أما أحضان زوجة طارق وأم محمد وأسرة كريم فستشتعل قلوبهم نارا.
انشغلنا في مناقشة حقيبة الإسعاف والحزام ولم نلتفت كما لم يلتفت أعضاء مجلسي الشعب والشوري أثناء مناقشة القانون لثغرة القتل الخطأ. تلك الثغرة التي تشجع علي الفوضي والانفلات. تلك الثغرة التي يستغلها الأثرياء الذين يدللون أبناءهم علي حساب أرواح البشر، وفتوات الميكروباص. مات طارق وكريم ومحمد وهم لا يعرفون ما ذنبهم.. الموت يلاحقهم أينما كانوا علي الرصيف أو في منتصف الطريق أو علي ظهر موتوسيكل!
لا أعرف كيف ينام هؤلاء الجناة؟.. كيف ينام أحمد قاتل محمد، وكيف قبل والده أن يطهر نفسه وابنه بدفع دية القتل الخطأ لأم محمد؟
لا أعرف كيف ننام جميعا، من وضع هذا القانون ومن صمت عليه؟ أليس هذا واجب أعضاء مجلس الشعب، واجبهم أن يطالبوا بتعديل القانون وتشديد عقوبة القتل الخطأ، خاصة إذا اقترنت بالسكر أو التجاوز في السرعة أو غيرها من المخالفات؟
أليس من الواجب إلزام القاتل بدفع دية فورية شرعية لأهل القتيل مع عدم إعفائه من تنفيذ عقوبة الحبس؟
كل حرف في رسالة أم محمد يؤلم القلب ويشعرنا بالمهانة والعجز والسلبية.. دم طارق وكريم يجب ألا يضيع هدرا، وستظل هذه المساحة مشرعة لكل من تجرع ألم الفراق بسبب عجز القانون، اصلوا أنينكم ونحن معكم حتي تبرد ناركم، ونحمي آخرين من هذا المصير المؤلم بسبب قانون قاصر مخز وقاتل!!
الموت الرخيص
سيدي الفاضل...
كتبت إليك أكثر من رسالة، ثم تراجعت عنها لطول ديباجتها وتفاصيلها
بدون مقدمات ولا تفاصيل إليك رسالتي في نقاط محددة:
أنا أم لشاب كان هو كل ما أملك بحق من الدنيا وما فيها، يوم ولدته كان يوم مولدي الحقيقي وعوضا لي عن مآسي وأهوال وأسي وحزن وشجن وعذاب السنين التي سبقت مولده. لا استطيع تصوير شعوري حين كنت اضمه لصدري وارضعه.. يااااااااه يا محمد؟
كنت أرضعه حبي وحناني وبمنحني سعادة الدنيا وبهجتها. كنت أشعر بأني أمتلك شيئا غاليا ليس عند كل الأمهات ولا كل النساء.. كان والده ـ رحمه الله قليل الحيلة وقليل العمل، وكان يحمل بين صدره قلب ملاك يملؤه الحب لكل الناس، برغم بساطة حاله كان رجلا.. فأورث ابنه الرجولة منذ حداثة سنه.. لأسباب يطول شرحها، طلقني زوجي وتزوج بأخري.. تمسكت بأمومتي لمحمد الطفل الصغير الذي لم يتجاوز عمره٨ أعوام، ولم يمانع والده لحسن خلقه ولأنه كان يعلم أني بحاجة لابني.. وسارت بنا الحياة أنا وابني معا علي الحلوة والمرة، وأنا موظفة بالحكومة وراتبي لا يكفينا، ووالده أنا أدري بظروفه المادية، فالتحقت بعمل إضافي.. فكان ذلك يضطرني لإسناد بعض أعمال المنزل لمحمد بجانب مذاكرته، وسارت بنا الحياة في الأفراح نفرح معا، ووقت الشدة نستند علي بعض، وفي تلك الأثناء تقدم لي العديد من العرسان كنت أرفض أي رجل يأخذني من ابني أو يرفض وجود ابني في حضني، حتي تقدم لي من يرضي بوجود محمد ويرضي عنه محمد، وكانت ظروف عمله لا تتيح له الوجود

معنا بالقاهرة طوال الأسبوع مما يتيح لنا الوقت أن نكون معا وحدنا لفترة ما.. حتي حملت في طفلتي الأولي ولا أحد بجانبي يرعاني ويذهب معي للأطباء والمستشفيات غير محمد لأني كنت مريضة طيلة فترة حملي، حتي جاء موعد الولادة فكان محمد هو رفيقي بالمستشفي يسهر علي راحتي ورعاية المولودة طوال ثلاثة أيام، وكان زوجي يأتي للزيارة نهارا ويبيت معي محمد ليلا..

المهم يا سيدي وصل محمد للصف الأول الثانوي وأنا كنت مازلت في اجازة الوضع وطلب مني زوجي الانتقال معه للمنصورة، حيث مقر عمله لأنه لا يستطيع فراقنا وطفلته.. أبلغ محمد والده بذلك فقال له اينما تذهب أمك اذهب معها فلا طاقة لها بفراقك.. قام زوجي بنقل محمد من مدرسته.. وسعي بين المدرستين بين القاهرة والمنصورة حتي يسر الله لنا العيش معا.. وكان محمد في الصف الثاني الثانوي حين وصلنا نبأ وفاة والده.. مات أبوابني في الطريق أثناء ذهابه لعمله.. وكانت صدمة كبيرة لي ولمحمد وأخذ زوجي علي عاتقه الإنفاق علي ابني في سني دراسته حتي التحق بكلية الحقوق جامعة المنوفيةو برغم وجود أعمامه وأخواله، وأنا أعيش مع زوجي وطفلتي بالمنصورة، فلما تعثر زوجي ماديا وشعر بذلك محمد، ولأنه لا يتحمل فراقي طلب مني ألا يكمل تعليمه وأن يعمل كي يعول نفسه برغم معارضة زوجي ومعارضتي، بكي محمد قائلا انه كبر وأصبح رجلا ولا سند له في الدنيا.. المهم يا سيدي عمل بشركة مرموقة فكان محبوبا من الجميع وانتقلنا جميعا للعيش بالقاهرة، وتعين محمد مرة أخري وتعلم الميكانيكا بالشركة التي يعمل بها زوجي مهندس ميكانيكا وانجبت طفلا آخر عمره اليوم٤ سنوات

وسافر زوجي للعمل بالسعودية ووفرت الشركة فرصة سفر لمحمد، وفي أثناء تجهيز جواز السفر والأوراق , المطلوبة جاءني فرحا قائلا انه رأي بنتا جميلة ومؤدبة ومدرسة أخيه الصغير بالحضانة، وأن قلبه أخذ يدق دقا شديدا حين رآها وطلب مني أن اخطبها له.. المهم يا سيدي ولا داعي لتفاصيل أنوء بحملها وحدي تمت خطبته وعشت معه أجمل وآخر لحظات حياته، وفي عاد من عمله في الخامسة وقال انه قبض راتبه وانه سيذهب لسداد دين له وكذلك سداد قسط الموتوسيكل.. قلت له اجلها للغد أو يوم الجمعة فقال وسأشهد له عند ربه لن أبيت وعلي دين.. وهكذا ياسيدي ذهب محمد لسداد ديونه وصلة رحمه، وفي تمام الساعة التاسعة مساء وكان يوم عيد رأس السنة الميلادية اتصلت به علي الموبايل وطلبت منه إحضار اللبن لاخوته، فقال حاضر ياماما سأرن عليك وأنا تحت البيت قبل ما اطلع،.. وغفوت غفوة صغيرة فزعت علي صرخة ماااااماااااه فوجدتني كنت احلم والساعة العاشرة والربع مساء استعذت بالله من الشيطان الرجيم ونمت لدقائق وسمعت رنات الموبايل رقم محمد وصورته فقلت في عفوية وانا بين الصحوة والمنام.. ايوه ياحبيبي فرد علي صوت غريب قائلا ان محمد عمل حادث علي كوبري٦ أكتوبر، وقال انه صاحبه وسألني اين ابوه؟

قلت إن ابوه متوفي فكيف تكون انت صديقه؟ فين ابني؟ فين محمد؟ قال انه مغمي عليه وأن سيارة الاسعاف في الطريق فصرخت علي الجيران استغيث بهم وهرولت علي السلم حافية القدمين بملابس النوم ومعي الموبايل وقبل نهاية السلم رن الموبايل كان احد اصدقاء والده قلت الحقني محمد ابني عمل حادثة وانا وحدي، فقال اين انت؟ قلت في طريقي به قال: عودي للبيت محمد تعيشي أنت..

لا تعليق غير إنا لله وإنا اليه راجعون.

بيانات الحادث كما جاءت بمحضر شرطة قسم ثان مدينة نصر.

كان ابني يسير في طريقه حتي جاءت سيارة طائشة علي سرعة١٨٠ كيلو مترا وطارت في الهواء من الاتجاه المعاكس واطاحت برأس ابني فطار في الهواء ووقع مسلما الروح في الحال، وصدمت سيارة أخري بها موظف وزوجته وحطمتها تحطيما.. وبات ابني في المشرحة وبات الموظف وزوجته بالمستشفي وبات قاتل أبني في أحضان أمه.

وحتي الآن موتوسيكل ابني حطاما بحجز شرطة قسم ثان مدينة نصر وأنا أسدد اقساطه لانه كان باسمي وقاتل ابني حكمت عليه المحكمة بغرامة٢٠٠ جنيه، وتنصل والد الجاني من دفع الدية الشرعية بعدما كان يصر علي دفعها قائلا إن ابنه لم يأخذ حكما وان صهره يعمل مأمور قسم اخبطي رأسك في الحيط!

هكذا هو القانون!! ولا تعليق غير حسبنا الله ونعم الوكيل.. نام ابنه في حضنه وقرت عينه، وباتت عيني تبكي ابني وتشتكي للذي لا يغفل ولا ينام وحسبنا الله ونعم الوكيل فيمن سن قانون الأرض غافلا قانون السماء.

ورسالتي عبر بريدك لابي قاتل ابني: حسبنا الله ونعم الوكيل مالم ترض بدفعه في الدنيا رضاء الله سأقتنصه من لحمك ولحم ابنك في الآخرة، ولن يرضي عنك الله أبدا، ولن أسامحك ما حييت، أبيت داعية لله عز وجل بالقصاص الذي شرعه الله.

أم محمد سليمان عبدالودود

محمد وكريم وقبلهما طارق، وبعدهما عشرات بل مئات من البشر تسيل دماؤهم علي الأسفلت.}

شباب مثل الورد، زوج وأب لطفلين، وعريس سند أمه وفرحتها وأمانها وشاب رياضي يافع، وغيرهم كثيرون يدفعون حياتهم ثمنا لشاب طائش، وآخر جاهل يتحدي القانون بسيارته الميكروباص، كما يفعل أمثاله الآلاف علي مرأي ومسمع الجميع بمن فيهم رجال الشرطة الذين عجزوا عن مواجهة هذه المافيا، وثالث سكير وعمره لم

يتجاوز ١٩ عاما.. وفي النهاية جريمتهم قتل خطأ. تهور واندفع واخترق واقتل ولا تقلق فالقانون يحميك، ستدفع تقريبا ما يعادل قيمة مخالفتي المحمول والحزام. يمكن للأب أن يقول لابنه: اياك أن تسير عكس الاتجاه فالقانون صارم ووزير الداخلية يرفض الاستثناءات، إن فعلت قد تسجن ثلاث سنوات، اقتل وسأخرجك من سرايا النيابة بكفالة صغيرة وستحصل علي عقوبة مالية بمئات الجنيهات ولكن في النهاية ستنام في حضني، أما أحضان زوجة طارق وأم محمد وأسرة كريم فستشتعل قلوبهم نارا.

انشغلنا في مناقشة حقيبة الإسعاف والحزام ولم نلتفت كما لم يلتفت أعضاء مجلسي الشعب والشوري أثناء مناقشة القانون لثغرة القتل الخطأ. تلك الثغرة التي تشجع علي الفوضي والانفلات. تلك الثغرة التي يستغلها الأثرياء الذين يدللون أبناءهم علي حساب أرواح البشر، وفتوات الميكروباص. مات طارق وكريم ومحمد وهم لا يعرفون ما ذنبهم.. الموت يلاحقهم أينما كانوا علي الرصيف أو في منتصف الطريق أو علي ظهر موتوسيكل!

لا أعرف كيف ينام هؤلاء الجناة؟.. كيف ينام أحمد قاتل محمد، وكيف قبل والده أن يطهر نفسه وابنه بدفع دية القتل الخطأ لأم محمد؟

لا أعرف كيف ننام جميعا، من وضع هذا القانون ومن صمت عليه؟ أليس هذا واجب أعضاء مجلس الشعب، واجبهم أن يطالبوا بتعديل القانون وتشديد عقوبة القتل الخطأ، خاصة إذا اقترنت بالسكر أو التجاوز في السرعة أو غيرها من المخالفات؟

أليس من الواجب إلزام القاتل بدفع دية فورية شرعية لأهل القتيل مع عدم إعفائه من تنفيذ عقوبة الحبس؟ كل حرف في رسالة أم محمد يؤلم القلب ويشعرنا بالمهانة والعجز والسلبية.. دم طارق وكريم يجب ألا يضيع هدرا، وستظل هذه المساحة مشرعة لكل من تجرع ألم الفراق بسبب عجز القانون، واصلوا أنينكم ونحن معكم حتي تبرد ناركم، ونحمي آخرين من هذا المصير المؤلم بسبب قانون قاصر مخز وقاتل!!

المنطقة المحرمة

قرأت لك مرة كلمة لأحد الأدباء الفرنسيين كتب يقول فيها "بولادتي بدأ سوء حظي في الحياة" ، وأنا يا سيدي واحدة ممن تنطبق عليهم هذه العبارة . فقد ماتت أمي فور ولادتي فكرهني أبي لذلك وتشاءم مني ثم تزوج بعد فترة من أخرى وعهد بي لجدتي التركية فرعتني إلى أن بلغ عمري ١٣ سنة فبدأ أبي يطالب بي وجُن جنون جدتي وجنون أسرتها ذات النفوذ ، وأسفرت المنازعات والخلافات عن حل سعيد من وجهة نظرهم هو أن يسرعوا بزواجي وأنا في الرابعة عشرة من عمري خوفًا عليَّ ونظرًا لجمالي اللافت للنظر ، وهكذا أرغمني أبي على قطع دراستي .. ووجدت نفسي بعد قليل زوجة لرجل يكبرني بعشرين سنة فكرهته منذ اللحظة الأولى كما كرهت أبي الذي تسبب في توقفي عن الدراسة .. ولم يكن أمامي خيار آخر سوى أن أنضم إلى أسرة أبي وأصبح خادمة لزوجته فرضيت بالزواج كأهون الضررين ، لكني لم أسعد به وكان زوجي مهندسًا بإحدى الشركات لكنه كان بخيلاً كئيب المنظر ورغم بخله فقد أغدق على أهلي بالهدايا والنقود ليتزوجني . وبعد عام من زواجي كدت أكرر مأساة أمي وأنا أنجب ابني الأول ونجوت منها بمعجزة وبعدها بعامين أنجبت ابني الثاني وأصبحت أمًا لطفلين قبل أن أبلغ الثامنة عشرة من عمري ثم فجأة وجدت نفسي أضيق بكل شيء وأرغب في مواصلة دراستي لأعيش حياة فتاة في سني ورفض زوجي فتمردت عليه لأول مرة وثرت وطالبت بالطلاق وطرقت كل الأبواب للحصول عليه ورفض بإصرار أن يطلقني كما رفضت أسرتي وأبلغتني بصرامة أنه لا طلاق عندنا ولابد أن أعيش مع زوجي على أي وضع لأربي الطفلين .. فانفجرت البراكين داخلي وحرمت نفسي على زوجي نهائيًا بعد ٣ سنوات من زواجنا وخيرته بين قبول ذلك أو الطلاق فأبى إلا أن يضايقني ومرت السنوات على هذا الحال وأنا منطقة محرمة بالنسبة له مهما فعل وكان قد ترقى مديرًا وانتقلنا إلى شقة فاخرة بالإسكندرية بغير أن يحدث أي تقدم في حياتنا ثم ماتت جدتي وورثت عنها بعض المال فحزمت أمري واشتريت شقة وأثثتها بأثاث فاخر وانتقلت إليها وأنا في الثانية والعشرين من عمري ومعي الطفلان ورفعت دعوى طلاق استمرت في قاعات المحاكم بلا نتيجة لمدة ٣ سنوات ويئست من الحصول على الطلاق ويئس هو من استرجاعي فعشت مع الولدين وحدي واحتويتهما . وحاولت أن أشغل حياتي بالعمل بشهادتي وهي الإعدادية الإنجليزية فخرجت أبحث عن عمل مناسب فوجدت جمالي يفتح لي أبوابًا كثيرة لكني رفضت دخولها إذ كنت لا ألبث أن أكتشف أنهم لا يريدون عملي وإنما يريدون الصحبة ، فعدت إلى بيتي .. وعجزت عن احتمال تكاليف الطفلين اللذين لم ينفق عليهما أبوهما قرشًا واحدًا منذ انفصلت عنه فأعدتهما إليه وسافرت إلى لندن للعمل والإقامة ولم أتحمل الابتعاد عنهما أكثر من سنة عدت بعدها واسترددتهما وقررت أن أستكمل دراستي التي انقطعت بزواجي فالتحقت بمدرسة ليلية وأصبحت أستذكر دروس الدراسة الثانوية مع الولدين سنة بسنة .. وتقدمنا نحن الثلاثة إلى امتحان الثانوية العامة في نفس السنة وحصلنا عليها معًا وكانت فرحة لا توصف .. والتحق ابني الأكبر بكلية عملية والتحقت أنا كطالبة منتسبة مع ابني الأصغر بإحدى الكليات النظرية وواصلنا الكفاح وبعت خلال ذلك كل ما تبقى من ميراث جدتي ومجوهراتي وبعد طول انتظار تخرج ابني الأكبر من كليته العملية وعمل عملاً مناسبًا وتخرج ابني الأصغر وعمل بوظيفة مرموقة أما أنا فقد تعثرت في دراستي الجامعية بكل أسف بسبب مرض عصبي ألم بي فعجزت عن الحصول على الليسانس . وفرحت فرحة طاغية بانتهاء العبء وتخرج الولدين وعملهما .. وغبطتني كثيرات على أن مسئوليتي قد انتهت وأنا دون الأربعين وأستطيع أن أعيش حياتي إذا أردت لكني كنت قد كرست حياتي

للولدين ويئست من الحصول على الطلاق وكففت عن المطالبة به ورضيت بحياتي هكذا حرصًا على مشاعر الولدين ، لكن فرحتي لم تطل بتخرجهما وعملهما يا سيدي فمنذ تخرجا واستقلا ماديًا عني حتى تغيرت معاملتهما لي وتباعدا عني بعد أن كنت الأم والصديقة الأولى والوحيدة لهما في الحياة فقد فوجئت بابني الأصغر يتزوج رغمًا عني من ابنة خياطتي ويمضي في المشروع غير حافل باعتراضي .. ويؤجر شقة مفروشة ويقيم بها معها ثم بعدها بقليل تعرف ابني الأكبر وهو الأكثر حنانًا والتصاقًا بي بطبيبة في مثل سنه ورغب في زواجها فزوجتها له بإرادتي . وهنا بدأت المشكلة فقد مات أبوهما وترك لي معاشًا كبيرًا لكنه حجب ميراثه الذي يبلغ حوالي ربع المليون جنيه عني وعن ولديه وأخفاه لدى أهله .. وقال أنه قد فعل ذلك عقابًا لي على كراهيتي له طوال ٣٠ سنة بلا سبب . فكرهني ابناي لذلك وفوجئت بالأصغر يعد أوراقه فجأة للهجرة إلى أمريكا ثم يصطحب زوجته ويهاجر إليها دون أدنى التفات لاعتراضي على هجرته وابتعاده عني ، أما ابني الأكبر الذي تزوج وأنجب طفلاً وكان يزورني بانتظام والذي اعتبرت طفله هو تعويض الحياة لي عن وحدتي ، فقد عزَّ على البعض أن يحمل لي مشاعر الحب فحيكت المكائد بيننا ووقعت الكارثة منذ عام حين تهور عليَّ وأتلف الشقة وقاطعني وحرمني من طفله وانهرت ومرضت ببوادر ذبحة صدرية ونقلت إلى المستشفى فلم يفلح أحد في إقناعه بالسؤال عني في المستشفى .. وها أنا يا سيدي أعيش في شقتي في الثامنة والأربعين من عمري والوحدة تقتلني وقد مات الأهل وتنكر لي الابنان وابتعد عني أحدهما بالهجرة ! والآخر بالقطيعة - فماذا أفعل هل أقتل نفسي وأستريح أرجوك أشِر عليَّ بما أفعل .

• ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

في رسالتك الكثير والكثير مما يستحق أن يتوقف عنده المرء ويعتبر به إبتداءً من درس الزواج المبكر غير المتكافئ .. إلى درس التمرد والمنطقة المحرمة التي استمرت ثلاثين عامًا ! إلى درس الانتقام بعد الرحيل وقد ينتقم الموتى أحيانًا من الأحياء .. إلى درس جحود الأبناء الذي هو أشق من عضة الحية الرقطاء على حد تعبير شكسبير إلى دروس أخرى كثيرة لا أريد أن أشير إليها حتى لا أنكأ جراحًا قديمة لكني لم أفهم بعد كيف يقتص الأب الراحل من ابنيه بحجب ميراثه عنهما إلا أن يكونا باعداه في حياته ولم يعوضاه حرمانه منك فآثر ألا يخلف لهما ولا لك ما تهنأون به في مغيبه ، إنه انتقام قاسٍ على أية حال ومهما كانت مبرراته .. ولا أفهم كيف كرهك ابناك بسببه فإذا كانا قد فعلا ذلك لاعتقادهما أن مجافاتك لأبيهما طول هذه السنين هي سر حرمانهما من ثروته فلماذا لم يحاولا التقريب بينكما بعد أن شبا عن الطوق وأصبحا شابين راشدين .. بل ولماذا لم يؤديا هما حق الأب عليهما فأشعراه بأبوته لهما وتوادا معه بغض النظر عن خلافكما فإذا كانا لم يفعلا وهو أغلب الظن فالمسئولية مشتركة بينكم جميعًا بغض النظر عن موضوع الميراث . ولا يحق لهما أن يكرهاك و يجافياك لهذا السبب بل ولا لغيره من الأسباب ، لأن حق الأم على الأبناء لا يرتبط بأسباب ومن واجبهم أداء حق الرعاية لها سواء قدمت الأسباب أو لم تفعل لأن الابن إنما يتعامل مع ربه في ذلك وليس مع أحد غيره . غير أني أخشى يا سيدتي أن يكون بعض ما تعانين منه مع ابنيك راجعًا إلى أزمة بعض الأمهات اللاتي يكرسن حياتهن لرعاية الأبناء بعد الانفصال عن الزوج فيحاولن أحيانًا تعويض النقص العاطفي في حياتهن بالتغلغل في حياة الأبناء والالتصاق الزائد بهم والرغبة غير الواعية في التسلط عليهم .. وعدم القبول النفسي لنزوعهم الطبيعي نحو الجنس الآخر .. ونحو تكوين أسرة صغيرة والاستقلال بحياتهم عن حياة الأم . وهي أزمة كثيرات يعشن ظروفك ويعجزن عن إدراك الخيط الرفيع بين نزوع الأبناء الطبيعي للاستقلال بحياتهم وبين ما يعتبرونه جحودًا وتنكرًا لتضحياتهن من أجلهم .. فإذا كان الأمر كذلك فلعله يفسر لك رفضك زواج ابنك الأصغر وانزعاجك الشديد من استمراره في مشروع زواجه غير حافل باعتراضك عليه .. ثم إحساسك بالمرارة لإقدامه على الهجرة بغير التوقف أمام رغبتك المشروعة في ألا يبتعد عنك .. لكن ذلك لا يعفيه أبدًا من تقصيره في محاولة استرضائك إلى أن ترضي عن زواجه .. وتقصيره في نيل موافقتك وقبولك بهجرته ليبني حياته كما يتصورها تقديرًا منك لظروفه وليس رغمًا عنك فإن كان لا يحرص أيضًا على الاتصال بك ومودتك من مهجره فإن جرمه يكون أشنع وحسابه عنه مع ربه أشد عسرًا أما الابن الأكبر فبغض النظر عن حقيقة ما جرى .. من المخطئ ومن المصيب فإن قطيعته لك لا يمكن تبريرها أو الدفاع عنها حتى ولو كنت المخطئة في النزاع فمن واجبه تجاه ربه قبل أن يكون تجاهك ألا يقطع ما بينك وبينه أبدًا وألا يباعدك وألا يجافيك .. مهما كانت المبررات .. وهجرته لك وهو على بعد خطوات منك وحرمانك من طفله أشد مرارة على القلب من هجرة من تفصلك عنه البحار والمحيطات ذلك أنه قد أصبح الشمعة الوحيدة التي كان ينبغي لها أن تضئ ظلام وحدتك فعسى أن يشفق على نفسه مما يفعل الآن قبل أن تدور الأيام دورتها ويرد إليه ابنه الجزاء من جنس العمل .. إذا كان لم يعرف بعد أن جحود الأبناء للآباء والأمهات هو الإثم الوحيد الذي يعجل الله العقاب لمرتكبه في الدنيا مع ما يدخره له من عقاب أشد في الآخرة .

فاصبري يا سيدتي .. واشغلي نفسك بنشاط اجتماعي مفيد .. وزوري واستزيري واشكِ لربك بُعد البعيد وجفوة القريب .

ورددي لابنك الغائب الحاضر مع الشاعر العربي :

وكنت أذم إليك الزمان
فأصبحت أذم منك الزمانا

وكنت أعدك للنائبات
فها أنا أطلب منك الأمانا
. فعسى أن يعود إليك نادمًا .. ومستغفرًا .. ومتنازلاً عن أية مبررات لما فعل .. وشكرًا
من رسائل سنة ١٩٩١

أنا الأم التعسة التي كتبت إليك منذ شهور تروي لك قصة حياتها مع زوج لم تحبه طوال زواجهما وابنين كرست لهما حياتها فما أن تخرجا وعملا حتى تزوج الأصغر على غير رغبتها ثم هاجر إلى الخارج وتزوج الأكبر ثم انساق وراء بعض الأهواء فقاطعني منذ عامين كاملين وحرمني من رؤية طفلته الوحيدة ، وتركني لوحدتي وأحزاني في شقتي الواسعة بالإسكندرية مع أن مسكنه ليس بعيدًا عن مسكني ، وقد نشرت هذه الرسالة بعنوان "المنطقة المحرمة" ثم نشرت عدة تعقيبات عليها كان آخرها رسالة الخوف التي تخشى فيها أم لها بعض ظروفي من أن تواجه نفس مصيري في المستقبل لما بدر من بعض أبنائها الذكور من علامات للجحود أثارت مخاوفها .. واليوم أكتب لك مرة أخرى لأشكرك على اختيارك لهذه النوعية من المشاكل الهامة ولأروي لك ما جدَّ في قصتي ، فلقد جاء اليوم الأول من شهر رمضان الكريم وكان رمضان الثاني الذي أستقبله وحيدة منذ مقاطعة ابني – سامحه الله – لي مع أن مسكنه لا يبعد عن مسكني كثيرًا ، وجهزت لنفسي طعام الإفطار البسيط الذي يتناسب مع حالتي الصحية .. وأعددت المائدة فوضعت طبق الشوربة والسلاطة الخضراء والعصير وطبق اللحم المسلوق أمامي وجلست أنتظر مدفع إفطار الإسكندرية .. بعد أن أذَّن المؤذن في إذاعة القاهرة لصلاة المغرب وانتهى ، وخيَّم على المكان صمت حزين وتذكرت أيام السعادة التي كانت مائدة رمضان تجمعني فيها مع ابنيْ والأحاديث الجميلة والضحكات التي نقطع بها وقت الانتظار ثم انطلق المدفع ومددت يدي لأرشف أول ملعقة من الشوربة فوجدت دموعي تتساقط بغزارة فيها وتختلط بها فلم أحتمل الجلوس إلى المائدة أكثر من ٥ دقائق ثم نهضت عنها وقد عافت نفسي الطعام رغم الصيام وخرجت إلى الشرفة ونظرت طويلاً إلى البحر الذي لا يكف عن الصخب وتطلعت إلى السماء وأشهدت ربي على ما أعانيه من إحساس بالمرارة والوحدة والنكران ومضى وقت طويل وأنا في الشرفة ثم عدت للداخل ومضت السهرة كئيبة ونمت ليلي بغير سحور .. وفي الصباح استيقظت على صوت جرس الشقة فنهضت لأفتحه وأنا أتساءل عمن يدق بابي في هذا الوقت من الصباح فوجدت أمامي ابني الأكبر العاق .. يحمل طفلته ذات العامين .. وقبل أن أنطق بشيء أو أسمع شيئًا فوجئت به وهو على الباب يضع طفلته التي لم أرها منذ ولدت بين يديَّ فتلقفتها ولساني معقود من الدهشة واقترب هو مني خجلاً ومنكسرًا ثم قبَّلني وهو يبكي بكاءً مرًا ودعوته للدخول وجلست طفلته في أحضاني ولا أستطيع أن أرفع عيني عنها .. فروى لي أنه قد تعرَّض أمس أي في اليوم الأول من رمضان الذي أمضيته حزينة باكية لحادث تصادم بشع بسيارته وكانت معه زوجته وطفلته فكسرت ذراع زوجته وتم تجبيسها وأصيبت بشلل مؤقت في وجهها ومازالت في المستشفى وأصيب هو بكدمات شديدة ونجا مع الطفلة بأعجوبة وتهشمت السيارة تمامًا وهي غير مؤمَّن عليها ، وطلب مني السماح لأنه قد تعرَّض لظروف سيئة كثيرة منذ قاطعني ، ثم استأذنني في أن يقيم معي شهر رمضان كله تكفيرًا عن ذنبه لعل الله يغفر له ، فرحبت به وبطفلته التي حرمت منها منذ مولدها ، وبعد أيام خرجت زوجته من المستشفى وجاءت إليَّ بالجبس في ذراعها لتقبل يدي بدموعها ولم أنطق بكلمة عن الماضي وطلبت منهما ألا يفتحا أي حديث عنه ورحبت وسعدت بهما كثيرًا ، وعاد ابني الأكبر ابنًا رائعًا كأنما أدبه ربه فأحسن تأديبه ، فإن كان بعض قلبي مازالت به مرارة منه فإني سعيدة بعودته وبعودة زوجته .. وسعيدة سعادة الدنيا بأسرها بحفيدتي الجميلة التي أعادتني إلى الحياة ، وجعلت لأيامي مذاقًا حلوًا جديدًا خاصة حين تناديني بكلماتها المتقطعة وقد وجدت من واجبي أن أكتب لك مرة أخرى لكي تشاركني فرحتي كما شاركتني من قبل محنتي وشاركني فيها معك قراؤك الأفاضل ، فالفضل بعد الله يرجع إليك في عودة ابني إليَّ .. فقد عرف بالمشكلة بعد نشر الرسالة كثيرون من أصدقائه ورؤسائه وقاطعوه شهورًا .. إلى أن أذن الله له بالهداية وعاد .. وحمدت الله على ذلك وقلت "وأما بنعمة ربك فحدث" ولذا أهمس للأم صاحبة رسالة الخوف ، الخائفة من جحود أبنائها في المستقبل بأن تهدأ وتتخفف من مخاوفها وتدع الأمر لعدالة الإله الواحد القيوم الذي يمهل ولا يهمل ولن يضيعها الله أبدًا بإذن الله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

: ولكاتبة هذه الرسالة أقول •

من أحسن فإنما يحسن لنفسه قبل أن يحسن للآخرين ، وهكذا فعل ابنك بعودته إليك نادمًا وطالبًا الصفح عنه وعن زوجته فإن كان لأحد فضل في ذلك بعد الله العادل المتعال الذي أذن له بالهداية إنقاذًا لروحه من الهلاك فهو لأصدقائه ورؤسائه الذين قاطعوه حين عرفوا بالمشكلة .. وهذه هي أهمية الرادع الاجتماعي في تقويم الخاطئين وإعادتهم إلى جادة الصواب إذ أن الحياة لا تتعقد إلا حين يهمل البعض استخدام هذا الرادع في دائرة علاقاته .. فينهض مثلاً تحية للمنحرف وهو يعرف بانحرافه .. ويهش للمختلس والمرتشي والكذوب والمستغل والعاق والماجن والمقصر في عمله وواجباته وهو يعلم بكل نقائصه ، فتختلط الحدود بينهم وبين الشرفاء ولا يحسون هم بأي دافع يدفعهم للعودة للطريق القويم ما دام المجتمع الذي يحيط بهم لا ينبذهم بل ويرحب بهم تمامًا كما يرحب بالأسوياء .. وربما انقلبت الآية فنال من ترحيبهم ما لا يناله البسطاء الشرفاء بسبب إمكانياتهم المادية ، لهذا كله فإني أحيي أصدقاء ابنك ورؤساءه الذين عاملوه بما يستحقه في فترة "جاهليته" وحبذا لو تصرف الجميع مع كل

المنحرفين بهذا الإحساس الفطري السليم الذي ينفر من الإنحراف الخلقي ويدينه إدانة صامتة باجتناب أهله ونبذهم والحمدلله كثيرًا على ذلك .. وشكرًا لك على إسعادي وإسعاد قراء هذا الباب برسالتك المبهجة هذه .. فإن كان لي أن أطلب منك بعد ذلك شيئًا فهو أن تذيبي ما بقي ببعض قلبك من ذيول المرارة السابقة تجاه ابنك العائد إليك ممدود الذراعين نادمًا لأن الصفح من شيم الكرام ولأن الحياة يا سيدتي أقصر من أن نقصرها بالمرارة والشحناء والأحزان ومن أكرم من أم خلقها الله سبحانه وتعالى نبعًا دائمًا للحنان ونهرًا لا يجف أبدًا من العطاء لأبنائها .. وللحياة ؟

من رسائل سنة ١٩٩١ *

المنحرفـــــون

أكتب اليك رسالتي من غرفة مظلمة هي سجني وكل حياتي، دخلتها ولم أغادرها منذ اسبوعين. يقتلني بكاء أمي وتوسلات شقيقتي، اللتين لاتفهمان سر ما أنا فيه، ولا استطيع أن أواجههما بما أنا فيه. ليست هذه المرة الأولي التي أحبس فيها نفسي في غرفتي، بل سبقتها مرات عديدة.. حاولت معها وتمنيت الموت والانتحار والهروب ولكني كنت أفشل فأستسلم لما أنا فيه، حتي أشعر بالمهانة فأحاول مرة أخري. سيدي.. أجد حرجا شديدا في الكشف عن مأساة حياتي، كتبت عشرات المرات ومزقت الأوراق، فما أصعب أن تري عارك وعار أسرتك علي الورق يصمك بأبشع الصفات، فتري آخرتك وأنت في النار فتفقد كل دوافع ومبررات وجودك.

أعرف اني كلما حاولت الاقتراب ابتعد، فسامحني وتحملني لأن الأمر صعب ومقزز، لذا سأحاول أن أبدأ معك منذ البداية لعلي أفلح. ولدت لأسرة راقية ومحترمة، فأبي ـ رحمه الله ـ كان يشغل منصبا مرموقا، فرح بمولدي فرحا كبيرا فقد جئت بعد سنوات طويلة من ميلاد شقيقتي الوحيدة، لذا لقيت في سني عمري الأولي كل الاهتمام والرعاية. عشت السنوات الأولي من عمري في قمة السعادة، من تدليل وحب وأشياء أخري ظلت مغروسة في نفسي لا تفارقني جذورها. ولكن القدر كان يخبئ لنا شيئا آخر، حزنا أكبر، وكأنها حلقة متصلة، إذا انقطعت حلقة تفككت الدائرة المترابطة.

ذات مساء، انقلب البيت الهادئ، اذكر هذه الليلة جيدا، لا تغادر ذاكرتي.. عمري لم يكن يتجاوز التاسعة، أفقت علي صراخ وعويل وفوضي في البيت.. لم أفهم للوهلة الأولي لماذا تصرخ أمي، ولا لماذا سقطت شقيقتي علي الأرض، ولا من هم هؤلاء الرجال والنساء الذين تزاحموا داخل شقتنا... بشر لا أعرفهم يحاولون احتضاني رغما عني، بعضهم يحاول إدخالي إلي غرفتي.. بكيت وأنا لا أفهم لماذا أبكي.. عرفت بعدها أني أصبحت يتيما، مات أبي، مات وهو يعبر الطريق، صدمته سيارة مسرعة، وتركه قائدها يموت نازفا، وهو لايدري أن بموت هذا الأب ستنهار حياة أسرة بالكامل وسيتسبب في تدمير حياة طفل مثلي.

كان موت أبي ـ يا سيدي ـ هو بداية مأساتي، فالطريقة الخاطفة والمؤلمة التي مات بها أصابت أمي بفزع دائم وجعلتها تدخلني سجنا كبيرا لم أخرج منه حتي الآن. أصبحت أمي تري الموت حولي في كل مكان، وكأن ملكه ينتظرني حتي ينقض علي، فلا خروج وحدي، تنتظرني حتي باب المدرسة، لا تتركني إلا وأنا في الاتوبيس مع زملائي، تجلس علي رأسي حتي أنام. لم يكن تدليلا بقدر ما كان خوفا وفزعا تسلل إلي نفسي وروحي وجعلني أشعر بمعني كلمة يتيم... هذا الاهتمام لم يكن منصبا علي أختي الكبري مثلما نلت منه النصيب الأكبر لأن أمي كانت مشفقة علي لأني معشتش الدلع ولا الحنان اللي شافته أختي. بهذه المقدمة الطويلة أردت فقط أن أكشف لك عن تركيبتي النفسية الهشة، عن طفولتي المغتالة، عن عدم إحساسي المبكر برجولتي، فكانت شخصيتي الوديعة المنكسرة تميل الي البنات أكثر منها إلي الأولاد، مما زاد من انطوائي وابتعادي عن زملائي.

مرت ثلاث سنوات علي هذه الفترة العصيبة، وقتها تقدم الي أختي عريس من محافظة بعيدة عن مدينتنا، وكان هذا العريس لطيفا، اكتسب حب أختي وأمي بسرعة كبيرة، كما تقرب الي واهتم بي وأصبح حريصا علي الحوار معي.. بعد فترة من الخطوبة عرضت عليه أمي أن يبيت عندنا حتي لايعود الي مدينته في وقت متأخر مستندة ـ كما قالت أمامنا ـ أن في البيت رجلا، والطبيعي أن يبيت هذا العريس معي في حجرتي. اعذرني، أنا أبكي الآن عندما استعيد تلك اللحظة التي أمقتها، أراها كأنها حدثت بالأمس، أفكر في التوقف عن الكتابة الآن، هل أمزق أوراقي كما فعلت كثيرا من قبل، لا سأواصل، فأنا أريد التحدث لأول مرة وآخر مرة، أنا أريد المساعدة، النجاة، فاغفر لي وقراؤك أي كلمات جارحة أو مهينة، فهذا الإحساس المؤلم ملازم لي طوال الوقت فتحملوني قليلا.

في هذه الليلة البغيضة، نام بجواري في فراشي، خطيب شقيقتي احتضنني، طبطب علي، أصابعه حنت علي جسدي فشعرت بسعادة واطمئنان حتي خلته في لحظات كأنه أبي، قال لي لاتخف أنا أحبك وسأجعلك سعيدا، فعل معي أشياء غريبة، لم أفهمها ولم أعترض عليها، كل ما أحسست به هو أمان ما لم أعرفه أو أحسه من قبل ولا أعرف أنه خطأ بل جريمة، ما استوقفني وانا لم أناقشه هو انه طلب مني أن يظل ماحدث سرا بيننا، انت كبير ولازم نكون أصحاب وما يحدث بيننا يجب ان يكون سرا وهذا اختبار لصداقتنا، كنت عند حسن ظنه ولم أبح بما حدث لأحد، فلم تكن أمي تتحدث معي في أي شيء سوي الدراسة، كل ما يشغلها هو تفوقي وكنت أفعل.

ما حدث معي في تلك الليلة، تكرر مرات عديدة في كل زيارة كان يأتي فيها العريس إلينا، لا أخفيك كنت أنتظره وأفتقد حضنه وذلك الاحساس الخفي بأنه أبي، لذلك لم يفهم أحد في البيت لماذا انهرت بالبكاء عندما حدثت مشكلات أدت الي فسخ الخطبة وانسحاب العريس، كان حزني أكبر بكثير من حزن شقيقتي وأمي. عشت شهورا

عديدة متألما أشعر بالوحدة والفزع حتي انتقلت الي المرحلة الاعدادية، ولأن أمي حريصة علي تفوقي اختارت لي مدرسا شهيرا، واشترطت ان يعطيني درسا خاصا بمفردي حتي يتفرغ لي ويتقن تعليمي، ولأن هذا المدرس لايذهب للتلاميذ في بيوتهم، فكانت أمي تصطحبني مرتين في الاسبوع اليه في شقته، وتنتظرني أو تقضي بعض المشاوير ثم تعود لتأخذني،

بعد حصص قليلة حدث ما يمكن توقعه، بدأ هذا المدرس يتلمس جسدي، يدللني وكأنه يتأكد مني.. كنت فريسة سهلة مهزومة صامتة، ظللت مع هذا المدرس سنوات حتي أدركت ما أنا فيه، نعم أنا منحرف، غير طبيعي..

كرهت نفسي وكرهت أمي، ولكني كنت قد فقدت أي قدرة علي المقاومة أو الانسحاب، فأنا وكما قلت لك من قبل بلا أي شخصية، بدأت أقرأ حول هذا الموضوع وعرفت اني شخص منبوذ وأن عقابي سيكون جهنم، فزعت وامتنعت وحاولت الانتحار ولكن إرادة الله كانت غير ذلك.

تزوجت شقيقتي، ونجحت بتفوق في الثانوية العامة كما أرادت أمي، والتحقت بكلية الطب، وفي الكلية دخلت في معاناة أخري..

يبدو أن هناك ملامح لمن هم مثلي، فقد تقرب مني آخرون يشبهونني، حرضوني وأغروني، قاومت ولكن في النهاية ضعفت، ودخلت الي دائرة السقوط التي لاتنتهي.

سيدي... تعبت، لا أريد مواصلة الحديث كل ما أريد قوله إني مريض، سعيت الي العلاج ولكني فشلت، لايوجد لدينا أطباء متخصصون، ألزمت نفسي بالصلاة في المساجد، اعتزلت الجامعة أسابيع متصلة، أهملت في مظهري، أطلقت لحيتي، ولكن ما أن أعود إلي الجامعة حتي أسقط مرة أخري، قطعت شراييني وانقذتني أمي..

تقودني أقدامي الي من هم مثلي، تجمعات معروفة في وسط المدينة أو علي كوبري قصر النيل.. أتعرض أحيانا للضرب والسرقة.

سيدي.. أكتب اليك الآن بعد القضية التي أساءت الي بعض فنانينا وتناولتها وسائل الإعلام.

* سيدي.. أدمتني رسالتك، وترددت طويلا في نشرها، فمنذ توليت مسئولية هذا الباب وأنا لا أفضل نشر مثل هذه الرسائل، وأختار الردود السريعة أو الاتصال المباشر.. ولكن هذه المرة فرضت علي رسالتك اللجوء الي النشر لانها تشير الي نقاط خلل كبيرة في أساليب التربية، والي شريحة من المنحرفين سلوكيا غير راضية عن وضعها وتبحث عن علاج، وليتها تكون فرصة للبحث لدي المتخصصين عن علاج ينجي من هم مثلك من عذاب الدنيا والآخرة.

عودة إلي ما تضمنته رسالتك من اسلوب تربية خاطئ اتبعته معك والدتك بزعم الخوف أو القلق أو التدليل، هذا الاسلوب الذي ينتج شخصية مشوهة، ضعيفة، ليس لديها استقلالية أو فهم.

فالحرص الشديد المبالغ فيه يفرز شخصية انطوائية غير قادرة علي المواجهة، تسلب الطفل حقه في البوح أو الاعتراف، القبول أو الرفض.

أيضا يجب علي الآباء ان يفهموا أبناءهم معني وقدسية الجسد ووظائف أعضائه ودورها، فالخجل أحيانا من تعريف أبنائنا بأجسادهم وما هو المسموح والممنوع يعرضهم لمثل تلك المخاطر، هذا الجهل هو الذي جعلك لاتفهم ما يفعله معك خطيب اختك، فاستغل جهلك وخوفك واحتياجك للحنان الأبوي، متجردا من كل المشاعر الانسانية، مرضيا حيوانيته فجذبك الي مستنقع صعب عليك الخروج منه حتي الآن.

فرقوا بين الأبناء في المضاجع هكذا أمرنا رسولنا الكريم صلي الله عليه وسلم ولكن والدتك وبحسن نية قد قبلت ان تنام يجوار شخص غريب.

وهذا أمر مرفوض، فالثقة لا تعني التفريط أو المجازفة، والأمر الشاذ الذي يجب الاحتياط منه حتي لا يصبح أحد أبنائنا هو النموذج له.

علموا أبناءكم ـ ذكورا وإناثا ـ أن أجسادهم مقدسة مصانة لايجوز لأحد لمسها، علموهم كيف يعترفون لكم بكل ما يتعرضون له دون خوف من عقاب.

أيضا لايجوز السماح لمدرس ـ مع الاحترام لكل المدرسين وعدم أخذهم بجريرة نموذج فاسد ـ بالاختلاء مع تلميذة أو تلميذ، فالدرس يجب أن يكون تحت عين الآباء.

سيدي.. أحس بصدق كلماتك ورغبتك الحقيقية في النجاة، وستنجو إذا دخل الإيمان قلبك وابتعدت قصرا عن كل الظروف التي تدفعك الي هذا المسلك، تحمل عذابك، وعندما تشعر بضعفك لا تخلد الي وحدتك وشيطانك، استعن بأمك أو اذهب الي المسجد، غير أصدقاءك والمحيطين بك، وبعد فترة ستشعر بأنك تعود الي طبيعتك، كل هذا حتي يتبين لنا ما هو العلاج العلمي لمثل حالتك، فالأمر الآن بين أيدي أطبائنا النفسيين، حماك الله وغفر لك .وأعانك علي ضعفك وشيطانك وشياطين الانس من حولك

الملاك الحارس

لم يكن يخامرنى شك انه سياتى اليوم الذى ساكتب فيه حكايتى لاكون احد ابطال بريدك الاسبوعى واعتقد ان الوقت قد حان لذلك فارجو ان يتسع صدرك لقصتى لقد ولدت لأسرة بسيطة ورقيقة الحال فى اقاصى صعيد مصر لأب تقى ورع لايترك صلاة الا فى المسجد وأم رءوم تقطر حنانا وعطاء وكنت اكبر الأبناء ونظرا لرقة

حال اسرتى وضيق ذات اليد بدأت العمل مبكرا منذ كنت فى الصف الخامس الابتدائي أسافر الى القاهرة تسبقني دموع امى ودعوات أبى بان أعود إليهما سالما فكنت استقل قطار الفجر قطار الصعيد المتجه صوب العاصمة لكى اعمل طوال شهور الصيف كان كل صيف له رزقه كما يقولون فكنت أتقلب بين شتى أنواع المهن بين صبى فى مقهى الى بائع للجرائد الى عامل فى مطعم الى بائع جائل فى حواري القاهرة وأزقتها..الخ فى مهن بسيطة وكنت اعمل باجتهاد طوال شهور الصيف ويكون شاغلي الأوحد هو ان اجمع ما يكفى من المال لأسدد مصاريف دراستى من الكتب وغيرها واشترى لنفسي قميصين وبنطلونين وشنطة للعام الدراسي الجديد وحذاء ولا انسي ان اشترى كعادتي كل عام علبة من الحلويات الشرقية التى يعشقها اخوتى الصغار ونحتفل عند عودتي بأكلها معا ولا استطيع ان اصف لك ياسيدى ولقرائك الكرام مدى الشوق الذى كان يعتلج صدرى لكى ارى وجه أبى وامى واخوتى وان أكون بينهم عند عودتى فى القطار وانا أراقب المحطات تمر بطيئة ويكاد الشوق إليهم يقتلني بعد فراق دام اكثر من ثلاثة اشهر بعيدا عنهم فى زحام وضجيج القاهرة وكيف انسى اذا نسيت انهار دموع امى عند عودتى وابتسامات ابى وتحلق اخوتى الصغار حولى فرحا بعودتى وشوقا لاكتشاف هداياى لهم فكنت اضع كل ما جنيت من مال فى كف ابى الحبيب ومضت بنا الأيام على هذا المنوال ياسيدى سنين اعمل كل صيف فى القاهرة وأعود الى اهلى فى الصعيد فى الشتاء من اجل المدرسة وفجأة نزلت بنا نازلة من نوازل الدهر وفقد ابى الحبيب عمله ولم يعد لاسرتى الصغيرة اى مصدر للدخل وتزلزلت حياتنا وشعرنا ان رياحا عاتية عصفت بنا فجأة وبلا مقدمات وكنت ان ذاك قد بلغت الصف الثالث الثانوى ومازلت اذكر تلك الفترة القاسية وتلك الشهور العجاف حدث ذلك منذ اثنتى عشرة سنة كاملة ولقد بلغ من سوء الأحوال اننا لم نكن نجد ما نأكله سوى الخبز الجاف تضعه امى فى الماء فنأكله او تطحن هذا الخبز الجاف وتخلطه بالملح لنسفه سفا على سبيل التغيير فقد علمنا ابى الكريم عفة النفس قبل كل شئ وكان يقول نموت جوعا ولا نسأل الناس كسرة خبز ومرت هذه الفترة كما شاء الله لها أن تمر بمرها وبمرها حيث لم يكن فيها شئ حلو حتى انتهيت من امتحانات شهادة الثانوية العامة وركبت قطار الفقراء متجها نحو القاهرة لكى اضرب فى الأرض واسأل الله من فضله ومهما وصفت لك ياسيدى قسوة هذا الإحساس بالعجز وان ترى الأحباء الغاليين من حولك يعضهم الجوع صبح مساء بأنيابه وأنت لا تستطيع له دفعا ولا منعة كان هناك فى قلبي حزن عميق ينهش فؤادى حزنا على ابى وامى

نزلت قاهرة المعز هذه المرة بجسد يابس عضه الجوع ويدين معروفتين وعيون حبلى بالآمال والأحلام أحلام بسيطة هى ان احمل الدفء والشبع الى ابى وامى ورغم انى كنت صبيا فقيرا الا انى كنت على قدر وافر من الثقافة وقارئ بامتياز وكنت اقرا للقدامى والمعاصرين على السواء وحدثتنى نفسى ان اطرق باب الكتاب والصحفيين (اصدقائى) الذين اقرأ لهم فلقد كنت استشعر تلك الصلة النبيلة بين الكاتب والقارئ ومن طول ما قرأت لكثيرين كنت اعدهم(اصدقاء) لى فهم ممن يحملون مشاعل العلم والحق والفضيلة واكيد هم اول من يهب لنجدتى فى هذه المحنة القاسية كان الله قد وهبنى اسلوبا رشيقا فى الكتابة ولغة عربية سليمة وثقافة عربية اصلية بشهادة الجميع فى مدرستى الثانوية حيث كنت احرر مجلات الحائط التى يمتدحها الجميع وقد عزمت على ان ازور الكتاب والصحفيين المفضلين لدى على امل ان يستخدمني احدهم للعمل فى الصحف التى يعملون بها لم لا؟ هكذا كان ظنى فقد كانت خبرتى خبرة سنى فى هذا العمر فلقد طرقت باب عدد من الكتاب المفضلين لدى فنجحت فى مقابلة البعض والبعض الاخر قيل لى ان بينى وبين لقائهم خرط القتاد فلابد من موعد سابق...الخ اما الذين نجحت فى لقائهم فمنهم من صرفنى بادب ومنهم من لم يهتم بومنهم من طردنى وكان الحزن يتراكم شيئا فشيئا بداخل قلبى الغض ووجدت البون شاسعا بين الكاتب واخلاقه الشخصية وصدمت صدمة عمرى فى هذه السن ولم اكن اعلم ان الدنيا اكثر تعقيدا وان اصحاب القلوب المعتمة فى كل مهنة وفى كل حرفة وتعلمت ان بين الأبيض والأسود درجات من الألوان وسعيت نحو لقاء كاتب كبير واستمع لى على عجل وكنت الحظ عدم اهتمامه إثناء حديثي وعندما قلت له انى موهوب وارغب فى العمل لديكم فى الجريدة واريد تزكية منك لذلك ضحك منى ضحكة ساخرة لن أنساها كانت غاية فى الاستهزاء والازدراء وقام من خلف مكتبه واضعا يده فى يدى بمبلغ من المال قائلا: خذ دول وامشي متعطلنيش فنظرت اليه فى ذهول وشعرت بغصة فى حلقى وشعرت باهانة بالغة ورغما عنى وجدت كرامة الصعيدى بداخلى تثور على الرجل الاشيب صائحا فى وجهه انا لست شحاذا وانما انا اليوم نادم على الوقت الذى ضاع من عمرى اقرأ لك والقيت بالنقود على مكتبه ووقف الرجل مبهوتا كأنه ما توقع هذا الفعل منى وانصرفت وكان قلبى المكلوم قد فاض من سوء استقبال الناس لى وعدم اكتراثهم لامرئ واسودت الدنيا فى وجهى لا ادرى لى قبلة ولا اعرف لى وجهة كأنى فى بحر لجى لا يبين له على البعد شاطئ وخرجت من مكتب هذا الرجل فى تلك الليلة كافرا بكل من كنت اعتبرهم قدوة ومثلا وقادتنى قدماى الى كوبرى قصر النيل وشعرت بان القاهرة على اتساعها قد ضاقت بى فلقد لفظنى الناس جميعا واوصدت الابواب فى وجهى واستبد بى اليأس والقنوت وشعرت بالغضب ولا احيد عن الصدق ان قلت لك ياسيدى لقد شعرت بالكراهية الشديدة للناس ولهذا المجتمع القاسى الذى لا يرحم عذاباتى ولا يشعر بى كرهت كل السيارات الفارهة التى تمرق امامى وكرهت الناس وفى تلك الليلة وفوق كوبرى قصر النيل عرف الكره والسخط والقنوط طريقه الى قلبى وتساءلت اين جوائز السماء التى تهبط على الصابرين المحتسبين التبيشر بها بريد الجمعة الذى تربيت عليه وعلمنى الفضيلة وكأن المدينة كلها قد اصابها الخرس وتملكتنى رغبة يأس لم اعرف لها مثيلا فى حياتى وكدت

اشرع فى القفز الى مياه النهر الدافق عندما شعرت بمدى عجزى ان ارفع عن ابواى ما يمران به من قحط وجدب وجوع لولا ان تذكرت مدى الحزن الذى قد يعصف بقلب ابى وامى لموتى تذكرت وجه ابى الحبيب عيناه الطيبتين المتعبتين وارخاء الهدب المثقل شاربه المهمل تذكرت دموع امى وعينيها التى كقنديلى زيت فى المسجد الاقصى طالما اضاء لى الدرب وبدعواتها ولثماتها على جبينى ومنعنى ايضا بقايا ايمان مازال يعمر قلب صبى ساذج من اقاصى صعيد مصر بقايا ايمان ان الله يسمع ويرى ولم اكن اتخيل ان الايام القادمة حبلى بالاجمل والافضل وان للسماء رايا اخر وفى احد ارقى احياء العاصمة فى مكتب فخيم وجدتنى اجلس امام سيدة من سيدات المجتمع المخملى لمجتمع القاهرة وهى واحدة من دعاة التنوير وهى احد الرموز الوطنية التى يشهد لها بالنزاهة وتدافع عن الضعفاء والمعوذين ولقد كان هذا اللقاء منذ اثنتى عشرة سنة قلت لها رايتك تتحدثين عبر شاشات التلفزة عن العدل والفضيلة اين العدل ياسيدتى اين العدل وابى وامى لا يجدان الخبز الجاف فى صعيد مصر اين حراس الفضيلة بين امواج الكذابين والمنافقين هل العيب فى الكتب البلهاء التى افسدت عقلى على مر السنين التى تتحدث عن الصدق والرحمة والخير بداخل كل انسان ان العدل يتهاوى فى العالم وقد كفرت بالفضيلة التى لم يعد لها عنوان كنت اتحدث بحمية اهل الجنوب بغضب تارة وتجول قبضتى فى ارجاء المكان تارة اخرى كنت غاضبا وساخطا كنت اريد ان انسف وادمر هذا المجتمع الذى لم يحترم معاناتى ويشعر بعذاباتى وكانت فى المقابل تستمع لى بقلب خاشع واهتمام صادق وتومئ براسها بين الحين والاخر تفهما وايمانا بصدق كلماتى وشجعتنى ان احكى لها عما مررت به فحكيت لها واستمعت لى بقلب قديسة من القديسين وعندما جاء الحديث عن ابى وامى واخوتى فاضت عيونى وبكيت بالدمع السخين متألما وبكت السيدة الفاضلة لبكائى فكفكفت بيديها الطاهرتين دموعى وربتت على كتفى بحنو بالغ وشعرت بارتياح يغمر المكان وبسكينة تعبر من طرف الغرفة الى الطرف الاخر قلت لها انا لست شحاذا ولا اريد منك سوى ان تساعدينى فقط فى ان اخرج من مصر مهاجرا وسوف اكتفى بالثانوية فقط ساعدينى ان اذهب بعيدا واعمل كثيرا فلم يعد فى هذه الارض مكان كل الذى ارجوه مكان تحت الشمس وسط الطيبين او اتركينى اقفز فى النهر منتحرا او اطلق الرصاص على راسى المتعب وارتاح فطلبت منى ان اتم تعليمى واقنعتنى ان اعود الى الصعيد لاعمل بجانب اهلى وكما وعدتها عدت الى الصعيد وانتظمت بالدراسة فى الجامعة وعملت فى فرن للخبز الفينو بمبلغ خمسة جنيهات عن كل ليلة بالاضافة الى خبز بقيمة جنيه واحد احمله فى نهاية ورديتى الى ابى وامى كل صباح لانى كنت اذهب للجامعة فى الصباح واعمل فى المساء اما السيدة الفاضلة فقد ارسلت لى من حر مالها راتبا شهريا محترما جدا يضمن لى ولاسرتى معيشة كريمة يصلنا حتى باب البيت كل شهر وما تخلفت عن ارساله ابدا حتى اتم اخوتى كلهم دراساتهم الجامعية وكان الذى يأسر قلوبنا ليس المال الوفير الذى ترسله ولكن من عجيب امر هذه السيدة الفاضلة ذلك الاهتمام الصادق بكل احوالنا فكانت اسلاك الهاتف تحمل لنا صوتها المشبع بكل حنان الدنيا تسأل عن كل فرد من افراد الاسرة على حدة تناقشنى فى كل شئونى تغرق فى تفاصيل حياتنا البسيطة فتسألنى عن سير العمل فى الفرن ومستواى الدراسى وتطمئن على صحة اخوتى الصغار عن اخى اغلذى اصابه مغص الاسبوع الفائت فكم من ليال كان ياتينا صوتها العذب من اخر بلاد الدنيا تسأل عنا وهى فى اسفارها حول العالم فقد يزداد عجبك ياسيدى وكذلك قراء بريدك المحترمين اذا علمت ان هذه السيدة الفاضلة ليست ربة منزل لديها من الوقت الكثير فهذه السيدة الكريمة التى تهتم لامر صبى فقير وهى تراس وتدير اكبر المؤسسات المالية فى الوطن العربى كما انها مشغولة حتى اذنيها بالعمل العام فى جميع دول العالم ومع الامم المتحدة وغير من المؤسسات الدولية فقد كان يكفى من هذه السيدة الفاضلة ان تلقى لنا بالمال كل شهر ولا يلومها احد وكانت ومازالت حتى كتابة هذه السطور هذه السيدة العظيمة طوال اثنتى عشرة كاملة منذ لقائنا الاول درعا وحماية وسندا وملجأ تقينا غوائل الايام وعاتيات الليالى فعندما احتاجت امى الغالية الى جراحة مكلفة جدا بدون ان اسألها وجدتها ترسل لى شيكا بالاف الجنيهات لتضعه بين يدى وقبل ارسال الشيك وبعده سيل من الاتصالات تسأل وتهتم وتشاركنا الاطمئنان على صحة امى الحبيبة ولم تسألنى ابدا عن فاتورة او مستند كنت كلما زرتها فى بيتها العامر وتصادف وجود زائرين وضيوف لديها تقدمنى الى ضيوفها قائلة (فلان ابنى) وهل تصدق ياسيدى ان هذا الصنف من الملائكة مازال يعيش بيننا؟ وانهيت دراستى الجامعية وكنت مثل كثيرين اريد ان اسافر على غير هدى الى الخارج فقالت لى انا اقترح عليك ان تكمل دراستك العليا وسوف اتكفل بكامل نفقاتها وان تطور مهاراتك وتنمى نفسك فى بلدك وهنا اخذنى حماس الشباب او بمعنى ادق طيش الشباب فدافعت عن رايى بعنف وقلت لها انها ظالمة لانها تمنعنى من حريتى فى الاختيار وارغيت وازبدت وعلا صوتى فوق صوتها تخيل ياسيدى انا شاب من الشارع يعلو صوتى فوق صوتها ويخوننى التعبير وتصبر على ولا تغضب لنفسها اى نبل انسانى قد خطه الله فى قلب هذه السيدة فقالت لى بهدوئها المعهود لو هتسافر هتسافر تحت رعايتى وقالتها بحزن فقلت لها اعتذر لو كنت اغضبتك فقالت لى: انا امك مستحيل ازعل منك انا ازعل عليك. وطلبت منها ان تقطع الراتب الذى ترسله لنا فرفضت رفضا قاطعا واخبرتنى انه عندما تستقيم امورى فى الخارج واقف على قدمى سوف تفعل وسافرت على امل تحقيق الثراء السريع وهناك على البعد رايت الدنيا على حقيقتها وعرفت معنى النصيحة التى لم استمع اليها وقررت ان اكمل دراستى فى الخارج فارسلت لىالاف الدولارات فكنت اعمل وادرس بجانب عملى وعدت من الخارج عودة الابن الضال وارتميت فى حضنها وظللت اقبل راسها ويديها واقول لها لقد كنت مخطئا يا امى وكنت على

صواب رفقالت لى بحنانها المعهود المهم انك عدت بخير وبدات رحلة البحث عن عمل بعد ان عدت بالشهادات التى حصلت عليها من الخارج وبعد فترة وفقنى الله للعمل فى مكان مرموق ماديا واجتماعيا وبدات من النقطة التى كانت قد نصحتنى بها قبل السفر فقد سجلت للدراسات العليا فى احدى الكليات وبدات انمى مهاراتى المختلفة وتعلمت قبل كل شئ ان استمع الى حكمة الكبار وتقدمت فى دراستى وسوف اناقش الماجستير خلال ايام كما اتمتع فى عملى بفضل الله بحب الزملاء واحترام الرؤساء وبعد العمل اقضى المساء متنقلا بين الجمعيات الخيرية كعضو متطوع ادرس واعلم وانقل ما تعلمت للشباب والشابات فى دورات منخصصة بالمجان واحاول ان اضئ الدرب لشباب فى ذات الموقف الذى كنت فيه منذ اثنتى عشرة سنة فأخذ بيد ارملة او مريض محاولا ان ارد الجميل لبلدنا العظيم مصر فى تعليم اولادها واجتهد ان اقلد هذه السيدة الفاضلة فى افعالها معى ولكن هيهات هيهات تلك السيدة العظيمة التى لولاها لما كنت اليوم ولا كانت هذه السطور لقد مر اثنت عشر عاما وحتى اللحظة مازالت هذه السيدة العظيمة ترسم معى بافعالها واقوالها لوحة فريدة من التواصل الانسانى النبيل بين سيدة كريمة وصبى بائس حائر أولته برعايتها وصدق اهتمامها وصبرها حتى صنعت منه شابا ناجحا قويا نافعا لنفسه واهله ووطنه فقد كنت صبيا موتورا ساخطا فصاغت منى بالايمان شابا محبا بل عاشقا لبلده معطاء لوطنه يقضى كل مساء يعلم الاولاد والبنات ويكفل الايتام ويسعى على الارامل والمساكين سيدى ان كانت صفحات الجرائد تغص بقصص الفساد وقوائم اسماء المفسدين والمفسدين واصحاب القلوب المعتمة ورائحة اللصوص التى تزكم الانوف صبح مساء تسرق من نفوس شبابنا الامل فى اهل الخير وتزرع اليأس الا يستحق الطيبون المخلصون الذين يعملون فى الخفاء ان نفسح لهم المجال وان نذكر اسماءهم وان نشير اليهم ليكونوا مثلا وقدوة ونموذجا يحتذى الا تستحق هذه السيدة العظيمة ان نكرمها ونحتفى بها وندعو الله مخلصين ان يكثر من امثالها وان يكرمها بريد الجمعة وقراؤه بلى ياسيدى انها تستحق انها الاستاذة منى صلاح ذو الفقار المحامية الدولية المرموقة ابنة الفنان الراحل صلاح ذو الفقار هى لا يعنيها ولا تنتظر ولا تعلم انى اخط رسالتى اليك فمن يفعل فعلها طوال السنوات الطويلة الماضية لا ينتظر من مخلوق جزاء ولا شكورا ولكن حسبى ان نقدمها مثالا يحتذى لكل الشرفاء فى ربوع مصر وان نقدم اليها اكاليل الغار ونشد على يديها فهل تفعل ياسيدى ونكرمها جميعا فى بريد الجمعة؟ لعله يجد فى رسالتى هذه صبى بائس الان الامل نعم الامل الذى كنت افقده واقفز فى نهر النيل منتحرا لعل فى رسالتى هذه عبرة ودعوة لكل صاحب مال او جاه او نفوذ ان يكفل اسرة بصدق وان يوليها اهتمامه ورعايته ان يمد يده لشاب فقير او فتاة ضعيفة وان يكون طوق نجاة لاسرة تصارع امواج الحياة وتستمهل الغرق نعم ياسيدى لن اكفر بالطيبين لن اكفر بالمصريين وان بيننا نفوسا تزرع الخير وان سنابل القمح مازالت بخير وان مازال بيننا قديسون واخيار

وفى الختام اود ان اتوجه برسالة مفتوحة الى ذلك الملاك الحارس الذى رعتنى سنوات طوال ومازالت الى الاستاذة منى ذو الفقار(ماما منى التقيتك منذ اثنى عشر عاما كانت لى اذن صما وعيون غمضاوقلب كسير فأرهفت منى السمع واضأت عيونى بالحب وادخلت السرور الى قلبى وثقفت عقلى وهذبت نفسى واعدتنى الى الحياة خلقا جديدا اشهد ربى فى هذا الشهر الكريم انك فتحت لى بابك واكرمت وفادتى واحتفيت بى فى الوقت الذى اغلق فيه الاخرون كل الاخرين ابوابهم دونى باب تلو باب وعندما ضاقت بى القاهرة بما رحبت كان قلبك ملاذا وملجأ ومرفأ ومرسى ماما منى ان كلمة اشكرك هى كلمة بلهاء امام روائع صنعك معى وكما تعلمين انى شاب فقير كما انى لا املك لك ضرا ولا نفعا ولا املك ياامى سوى ذراعين عاريتين ارفعهما ضارعا الى الله الذى يسمع ويرى واسأله سؤالا لايردنى فيه وهو الكريم فى الشهر الكريم ان يرحمك كما رحمتنى وان يدخلك الجنة بدون عقاب ولا سابق عذاب وان يديم عليك الصحة والستر وان يجمعنى واياك مع الرسول الكريم فى الفردوس الاعلى اللهم امين

تعليق المحرر

سيدى كنت قد انتهيت من كتابة البريد فى الساعة السلبعة من صباح امس وانتقلت عيناى متثاقلتين الى حيث الفاكس لا ادرى ما الذى اعادنى اليه بعد ان أشحت بوجهى المجهد عنه ممت يدى افرز الاوراق استفزتنى كلمات رسالتك الطويلة بكلماتها الصغيرة المتلاصقة، ثلاث ورقات، حرام عليك والله وضعتها جانبا على ان اعود اليها فى وقت اخر ولكن شيئا ما دفعنى لقراءة سطور رسالتك انتابنى احساس بالشك كلماتك مرسومة لغتك راقية قدرتك على السرد توحى بأنك اديب مغامرة اعتدت عليها من الذين يستثيرون مهارتى فى الكشف عن الادعاء وإن ضللت احيانا صدق ما فى كلماتك كان يقودنى من كلمة الى كلمة حتى وصلت الى السطور الاخيرة فى رسالتك هزة ألمت بجسدى عندما قرأت اسم السيدة العظيمة منى ذو الفقار عدت مرة اخرى اقرأ ما فعلته معك شعرت بفخر انى اعرفها وحضرت معها بعض الاجتماعات بالمجلس القومى لحقوق الانسان ولمت نفسى كثيرا لانى لم امنح نفسى فرصة كافية للاستماع او التحدث اليها ومعها اعرف عنها الكثير لكنى لم اتخيل فى وسط كل ما يشغلها ان تفعل ذلك معك واسرتك وحتما فعلته مع كثيرين فهذا الملاك الحارس يصعب ان يتوقف لحظة عن العطاء مصر جميلة ورائعة ياصديقى بأبنائها ولكن للأسف نحن لا نرى ولا نسمع ولا نعرف الا الاسوأ حتى ظننا انهم الاغلب والاقوى لكن مثل ماما منى يحبون فى صمت ويمنحون فى صمت لا تتصدر صورهم الصحف وشاشات التلفاز لأنهم لا يبغون إلا وجه الله ومحبة الوطن بدون إدعاء مثلك ياسيدى منذ ١٤ عاما تحولوا الى

فاشلين لصوص قتلة أو منتحرين ولكن منى ذو الفقار بقلب كبير احب الآن ان اكتب اسمها كثيرا جعلت منك انسانا اخر محبا، معطاء، رحيما، قيمة حقيقية لمصر آه لو يقرأ مثقفوا مصر وأثرياؤها قصة وحكاية منى ذو الفقار، آه لو فهموا وفعلوا مثلها لما كان حالنا كما هو الآن سيدى أشكرك على تلك البهجة الصباحية التى منحتنى إياها والتى ستبهج كل قلب يعرف معنى الحب أما ماما منى ذو الفقار فعفوا سامحينا لأننا غفلنا عمن هن مثلك ملاك حارس لمصر

المقارنة العادلة

قرأت رسالة وطيس المعركة للرجل الفاضل الذي يشكو من انشغال زوجته عنه بابنائهما، ويفكر في الارتباط بزوجة أخري لهذا السبب وحده بالرغم من حبه لزوجته واعترافه لها بفضائلها ومزاياها الأخري، ولقد نكأت هذه الرسالة جرحا شخصيا غائرا عندي فرأيت ان احكي له قصتي لعله يستفيد بها في اتخاذ القرار السليم، فانا رجل في مثل عمره.. واعمل عملا مرموقا مثله، ولي زوجة فاضلة كزوجته كانت لي دائما الزوجة والأم والحبيبة والصديقة، وقد وهبني الله منها زهرتين جميلتين هما ولد وبنت في سن ابنائه، ومنذ فترة من الزمن بدأت أشعر بما يشعر به هذا القارئ الفاضل الآن من افتقادي للمسات الحب والحنان والدفء العاطفي من جانب زوجتي بسبب استغراقها في رعاية الأبناء والاهتمام بامرهم فأحسست بمثل ما أحس به كاتب رسالة وطيس المعركة وجال بخاطري مايجول بخاطره الآن.

وقررت الارتباط باخري في لحظة من لحظات الضعف التي نشعر بها كرجال في هذه المرحلة من العمر وارتبطت باحدي زميلاتي في العمل كانت تظهر لي الحب والحنان والاهتمام وتتعامل معي برقة فرحت أقارن بين اهتمام هذه الزميلة بي، وانشغال زوجتي عني بأولادنا، وبين رقة الأخري واهتمامها باللفتات العاطفية الصغيرة في التعامل معي، وبين تجاهل زوجتي لها لارهاقها في البيت وشئون الأبناء، وبين حديث الأخري الحنون الرقيق معي، وحديث زوجتي العملي المقتضب معي والذي لايتجاوز غالبا مطالب البيت والأبناء ومشاكل الأسرة حتي أقتنعت تماما بانني مظلوم مع زوجتي ومن حقي ان اتزوج من لايشغلها عني شيء ولاتنسي لغة العاطفة في التعامل معي، وتزوجت زميلتي واتفقت معها علي ان تحتفظ بسرية زواجنا لفترة في البداية خاصة في مجال العمل، لكن زوجتي الجديدة لم تتوان عن اظهار هذه العلاقة للآخرين في كل مناسبة تجمعنا مع زملاء العمل حتي ثارت حولنا الأقاويل، ومع ذلك فلقد شعرت بانني قد حصلت علي السعادة الصافية التي كنت في حاجة اليها، وبسبب استغراقي في هذه السعادة تضاءل نصيب زوجتي وأولادي في وقتي ومالي، لكن هذه السعادة الصافية الخالية من كل الشوائب لم تدم أكثر من أيام لمسته بعدها مدي حقد وكراهية زوجتي الثانية ليس فقط لأسرتي الأولي بل ولكل اسرة أخري مستقرة وتنعم بسعادة علنا وليس في السر وتبدل الحب والاهتمام والحنان التي أجتذبتني اليها ورجت كفتها عند المقارنة الي طموحات شخصية ومطالب زائدة عن الحد علي حساب الزوجة الاولي وابنائها، وبدأت الخلافات تنشب بيننا علي اتفه الاسباب وتبدلت السعادة الصافية التي خيل الي أنني فزت بها الي شقاء، وعذاب ضمير من ناحيتي لاحساسي بالتفريط في حقوق زوجتي وابنائي، وخلال هذه المعاناة صدر القرار بنقلي في عملي الي دولة خارجية في مركز اكبر يتطلب انتقال اسرتي معي، وكان الطبيعي ان تكون زوجتي الاولي وابنائي هم الاسرة التي تصاحبني الي مقر عملي الجديد، لكن زوجتي الثانية فعلت كل شيء لاقناعي بترك اسرتي في مصر كما هي واصطحابي معها بدلا منها، وتحت ضغط الحاحها وافقت علي ذلك وشجعني عليه خوفي علي اولادي من ان يتعرضوا للانحراف في الدولة الاجنبية التي انتقلت اليها، ونفذت النقل وفوجئ زملائي في العمل بل وحتي رؤسائي فيه، بأن هذه الزميلة سوف تصاحبني الي مقر عملي الجديد، وانكشف بذلك امر زواجنا للجميع، وسافرنا معا وبدأنا حياتنا في هذه الدولة، فإذا بزوجتي الثانية الرقيقة الحنون تتغير تغيرا كاملا هناك وتحاول ان تستغل قوانين ذلك البلد الأجنبي بطريق مباشر، وغير مباشر لارغامي علي التخلص من زوجتي الاولي واولادي الموجودين في بلدنا الام، ولم تمض اسابيع علي سفرنا حتي اصبحت تمثل ضغطا نفسيا وعصبيا علي لاقصي درجة، اضف الي احساسي بالغربة وافتقادي لأولادي، حتي رحت الفت نظرها الي ما اشعر به من هموم الغربة لكي ترأف بحالي وتظهر لي بعض ما كانت تظهره نحوي من حنان واهتمام في اوقات الشدة، لكن ذلك كان يزيد من نار الحقد والغيرة داخلها الي مالا نهاية، فشعرت بفداحة خطئي في حق زوجتي الاولي وابنائي في الارتباط بزوجة اخري علي حسابهم.. وفي اصطحابها معي الي مقر عملي الجديد دونهم.

وانني لاروي قصتي هذه لكاتب رسالة وطيس المعركة لكي اناشده ألا يكرر خطئي الذي اندم عليه الآن اشد الندم ولأقول له ان السعادة التي سينالها مع اخري لن تطول ولن تساوي شيئا امام بعده عن زوجته التي يحبها واولاده الذين يحتاجون اليه واحذره من ان يخدعه لمعان الماء علي سطح البئر اللعين التي سقطت فيها، لأن تحت هذا اللمعان الذي يوحي كذبا بالصفاء أكدار وشوائب كثيرة.. كثيرة!

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

نحن لا نتعلم الحكمة بغير ثمن يا صديقي، وإنما لابد أن ندفع دائما ثمن أخطائنا من حياتنا وصحتنا وصفاء أوقاتنا، وإذا كان العقلاء من البشر هم الذين يستفيدون من تجارب الآخرين في تجنب الشقاء وعدم تكرار الأخطاء التي وقع فيها غيرهم كما تريد صادقا ومشكورا لكاتب رسالة وطيس المعركة أن يفعل، فإنه يبقي هناك

دائما من لا يرون الخطر الذي يسعون إليه حثيثا إلا إذا سقطوا في بئره، ومن لا يصدقون تحذيرات المخلصين لهم من جمر النار الذي تقترب أيديهم منه إلا إذا مسوه بأصابعهم واكتووا به، وهذا هو حالنا نحن البشر منذ قديم الأزل.

ولقد أثارت رسالتك هذه تأملات عديدة لدي لكني توقفت خلالها أمام هذا الخطأ القديم في التفكير الذي طالما أورد الإنسان موارد الشقاء، في مثل هذه الظروف الشخصية وهو خطأ عقد المقارنة غير العادلة في ذهنه بين غير متماثلين واستخلاص النتائج الخاطئة بالضرورة منها.

ولقد نبهنا المفكر الفرنسي الكبير رجاء جارودي إلي أن المقارنة العادلة إنما تكون بين مثال ومثال أو بين حقيقة وحقيقة وليست بين مثال وحقيقة أو واقع كما فعلت أنت حين عقدت تلك المقارنة الظالمة في ذهنك بين رقة فتاتك وزميلتك في العمل وحنانها بك واهتمامها بأمرك، وبين انشغال زوجتك الأولي عنك بأبنائها وشئون بيتك وأسرتك، وبين اهتمام فتاتك خلال مرحلة الارتباط الرومانسي الخالية من المسئوليات الحياتية بلغة العاطفة واللفتات الصغيرة في تعاملها معك وبين لغة الحياة العملية التي تستخدمها معك زوجتك في الحديث عن شئون الأبناء ومشكلات الحياة إلخ، ومع أن المطلوب دائما هو ألا تغفل الزوجة لغة العاطفة في تعاملها مع زوجها مهما بلغ من استغراقها في شئون الحياة العملية وهموم الأبناء، إلا أن المقارنة تبقي في النهاية غير عادلة لأنها مقارنة بين مثال عاطفي خلال فترة الحب الخالية من الهموم العملية، وبين واقع عملي تختلط فيه العاطفة بهموم الحياة والأبناء ومشكلاتهم وعناء رعايتهم، ولهذا فلابد أن تكون نتيجة هذه المقارنة الظالمة لمصلحة المثال علي حساب الحقيقة أو الواقع..

ولو أردت الإنصاف لعقدت الآن هذه المقارنة نفسها ولكن بين متماثلين هما واقع زوجتك الأولي وواقع زوجتك الثانية التي تقول أنت في رسالتك إنها قد تكشفت لك الآن عن حقد وكره عميقين ليس فقط لأسرتك ولكن لكل أسرة تنعم بالاستقرار والسعادة في حياتها، عن طموحات شخصية زائدة ومطالب مادية لا نهاية لها علي حساب زوجتك الأولي وأبنائك، حتي أصبحت تمثل بالنسبة لك ضغطا نفسيا وعصبيا شديدا لا يترفق بك وإنما يضاعف من عناء حياتك في الغربة، وافتقادك لأسرتك وأبنائك.

فلمن تكون المقارنة الصحيحة لا الظالمة هذه المرة؟

وماذا تنتظر لكي تصحح خطأك في حق زوجتك الأولي وأبنائك الذي تندم عليه الآن أشد الندم؟

إنني أخشي أن يكون ندمك الحالي من نوع ندم الرشيد علي حنثه بقسمه لصديقه ووزيره جعفر البرمكي ألا يناله منه سوء مهما حدث بينهما في المستقبل، فلما وقعت نكبة امكة وسجن الرشيد صديقه السابق وصادر أمواله وأموال أسرته تذكر ذات يوم هذا القسم فندم علي حنثه به أشد الندم وقرر أن يكفر عن ذلك بالحج ماشيا إلي بيت الله الحرام، وقام بهذه الرحلة الشاقة بالفعل وتكبد خلالها مشقات كثيرة وتكبدت الدولة نفقات أكبر حيث أقيمت له علي طول الطريق من بغداد إلي مكة الاستراحات الوثيرة، وبالرغم من كل ذلك فإنه لم يفكر لحظة واحدة في أن يكون تكفيره عن حنثه بهذا القسم بالإفراج عن وزيره وصديقه السابق ورد بعض أمواله إليه، فبقي في سجنه حتي مات في سن السبعين وهكذا فقد يندم الإنسان بالفعل علي أخطائه ويكفر عنها ولكن في الاتجاه الآخر الذي لا يعيد لضحاياه حقوقهم لديه أو يداوي جراحهم منه.

فهل ندمك من هذا النوع يا سيدي؟

وهل تتصور أن هناك خطأ وقع فيه الإنسان ويمكن أن يصححه بغير خسائر مادية أو معنوية يتكبدها ويقبل لها العقلاء كثمن عادل لتصحيح الأخطاء والعودة إلي الطريق الصحيح؟

الملابس الكاملة
أنا سيدة متزوجة في السابعة والعشرين من عمري لي أختان ونشأنا في ظل أبي وأمي في بيت سعيد يشع بالمرح والتفاؤل والحيوية، فكان والدنا أخا لنا وأبا لا مثيل له في حنانه وطيبة قلبه، وكان لنا يوم أسبوعي نخرج فيه معا كلنا للنزهة، ويحب كل أفراد عائلتنا زيارتنا في بيتنا ولم نشعر ذات يوم بأية مشكلة بين أبي وأمي، وعلي حين كانت أمنا توجه كل جهدها لوظيفتها التربوية ولأعمال البيت، فقد كان والدي يعطينا من وقته الكثير ويسمع لنا ويساعدنا في حل مشاكلنا بعد عودته من عمله، ثم مضت الأيام في طريقها وتزوجت أنا وسعدت بحياتي وتزوجت شقيقتي التي تليني ووفقت في زواجها والحمد لله، وخرج أبي إلي المعاش وكذلك والدتي فتقبلت أمي حياتها الجديدة بلا تذمر، أما أبي فإنه لم يستطع تقبل الفراغ بسهولة وبحث عن عمل والتحق بشركة قطاع خاص لبعض الوقت غير أنه لم يعمل بها طويلا، ولم يستطع التأقلم مع ظروف العمل بالقطاع الخاص ولا مع طريقة المعاملة فيه فتركه ورجع للبيت، وأصبح أبي، الذي كان شعلة للنشاط والحيوية قبل فترة قصيرة حبيس مقعده المفضل بغرفة المعيشة طوال الوقت يصحو من نومه مبكرا كعادته فيرتدي ملابسه الكاملة، كما كان يفعل أيام العمل ويخرج إلي السوق ليشتري بعض متطلبات البيت ويرجع بعد نصف ساعة أو ساعة علي الأكثر فيجلس في مقعده المفضل بلا حراك ولا حديث ولا ممارسة أي هواية ولا تجاوب مع أي شيء، يمسك بالصحيفة فلا يقرأ فيها شيئا باهتمام وإنما يتصفحها سريعا ثم يلقي بها جانبا ويجلس أمام التليفزيون فلا يتابع شيئا فيه ولا يتجاوب مع شيء كأنما لا يراه، ولا يزورني في بيتي ولا يزور أختي المتزوجة في بيتها ولا يجامل أحدا في مناسبة ولا يزور مريضا ولا يتكلم مع أحد في شيء مفيد، ويظل مرتديا ملابسه الكاملة بالجاكيت والكرافتة والحذاء والجورب حتي الساعة الثالثة أو الرابعة بعد الظهر، ثم يستريح قليلا وينهض فيخرج لمدة ساعة أخري في المساء ويرجع فيظل بملابسه الكاملة إلي أن ينام.
وهكذا تمضي أيامه في صمت شبه تام وكآبة وعزوف عن كل شيء، لقد حاولنا مع أمنا كثيرا أن تشجعه علي الحياة بدون عمل فتزيد من مساحة الكلام معه وتشركه في بعض اهتماماتها المنزلية وتأخذ رأيه في بعض المسائل ولو اضطرت لافتعال ذلك افتعالا، ولكن دون جدوي، لقد خيم الصمت علي بيتنا، الذي كان يفح بالمرح والحيوية من قبل، وأنا وشقيقتي المتزوجة حزينتان علي حال أبي بالرغم من أننا لا نعاني المشاكل مع زوجينا والحمد لله. واتمني أن توجه كلمة إلي أبي تساعده بها علي تقبل حياته الجديدة خاصة وأنها ليست مشكلته وحده وإنما مشكلة كثيرين من الرجال الذين يزجون إلي المعاش فتخلو حياتهم من العمل والهوايات ويستسلمون للكآبة.
«««ولكاتبة هذه الرسالة أقول»»»
الفارق الجوهري بين نظرة البعض منا في عالمنا الشرقي الي مرحلة انتهاء الخدمة الحكومية او العمل الوظيفي وبين نظرة الرجل اليها في الغرب بصفة عام، هو أن الرجل هناك ينظر الي مرحلة التقاعد باعتبارها المكافأة التي ترقبها طويلا لكي ينعم معها بالراحة وجمال الأوقات وممارسة الهوايات وزيارة الأماكن التي لم يتح له سباق العمل زيارتها، والاهتمام بالعلاقات العائلية والإنسانية التي حال الانشغال بالحياة العملية من قبل دون توجيه الاهتمام الكافي بها، وتذوق الأشياء علي مهل واستجلاء معانيها بعمق لم يكن متاحا له من قبل خلال سباق الحياة اللعين، في حين ننظر نحن او بعضنا علي الأقل الي هذه المرحلة من العمر باعتبارها عقابا قدريا أنزلته بنا اللوائح الإدارية التي لم تسمح لنا بالاستمرار في مواقفنا إلي النهاية، وإيذانا بانتهاء الدور وفقد الاعتبار وانفضاض طلاب المصالح وأصحاب الرجاوات من حولنا بعد فقدنا قدرتنا السابقة علي النفع والضرر.
وهذا هو أسوأ ما يفعله المرء بنفسه ان يعتبر مرحلة الراحة بعد عناء العمل الطويل عقابا قدريا له، وليس مكافأة له علي سابق عطائه للحياة والعمل والأسرة.. وألا يستمتع بهذه المرحلة الذهبية من العمر التي يسمونها في الغرب أو سن السكر فيدرب نفسه علي التنفس الهاديء المنتظم بعد اللهاث الطويل وراء الأهداف وعلي تذوق الأشياء والمعاني والعلاقات الانسانية بعمق اكبر والاستمتاع بها وبحياته الجديدة في ظلالها.. ان مرحلة المعاش ليست كما يتعامل معها البعض منا، مرحلة انتهاء الدور في الحياة العملية وانتظارالرحيل الأبدي، وانما هي مرحلة الحياة علي مستوي العمق الانساني بعد الحياة علي المستوي الأفقي خلال رحلة العمل السابقة..
واكثرالناس تواؤما معها وسعادة بها هم من يراجعون رحلتهم السابقة مع الحياة العملية ويرضون عنها وعن عطائهم خلالها ويرون انفسهم جديرين بالراحة الإيجابية وتعويض ما فاتهم الاستمتاع به من الصداقة الانسانية والعلاقات الأسرية وممارسة الهوايات المفيدة، فضلا عن العبادة باستغراق اكبر وتأمل اعمق، والرغبة في افادة الحياة بوجودهم فيها، ابتداء من تقديم المساعدة بالجهد والرأي لمن يحتاج للمساعدة من الأهل والأقارب والأصدقاء، الي الكلمة الطيبة التي تصدر عن الناس فيسعد بها الآخرون.
ان كثيرين من العقلاء يعتبرون هذه المرحلة من العمر هي اثمن مراحل العمر التي يتحقق لهم فيها الفهم الصحيح للحياة والاستمتاع الحقيقي بثمراتها لكن والدك فيما يبدو يا سيدتي مازال يعتبر خلو حياته من العمل عقابا قدريا له لا يتقبله برضا.
ولو احسن الي نفسه لراجع قائمة صداقاته القديمة وعلاقاته العائلية التي تقطعت بسبب مشاغل الحياة والعمل وبعث فيها الدفء من جديد، ولأقنع نفسه بأن كل شيء في الحياة جدير بالاهتمام به والتجاوب معه، والانفعال به، ولبدأ بتوجيه قدر اكبر من الوقت والجهد للعبادة ومحاولة درس القرآن واستجلاء معانيه السامية أو بممارسة

القراءة المتعمقة في الدين والحياة والأدب والعلوم الانسانية، لكي يكتشف عالما سحريا جديدا سوف يعجب لنفسه كيف غاب عنه من قبل، ولعرف ان الانسان يحتاج لكي يعرف بعض ما ينبغي له ان يعرفه في الحياة لأكثر من عمر واحد من بدايته حتي نهايته.. لقد قال الشيخ الجليل محمد الغزالي يرحمه الله وهو في الخامسة والسبعين من عمره في بعض كتبه انه ما احب ان تنتهي حياته قبل تلك السن بخمسة عشر عاما او عشرين، والا لما كان قد ادرك ما ادركه خلال تلك المرحلة المتأخرة من عمره، ولما كانت معارفه قد اثريت كما اثريت خلالها ولما نفع الآخرين بعلمه، كما نفهم في هذه المرحلة من العمر، ومن قبل قال الفيلسوف الفرنسي رينوفيه وهو في الثمانين من عمره: سأترك الدنيا قبل ان اقول كلمتي النهائية فيها، لأن ما اريد قوله لن يتسع له العمر للأسف وهذا أشد احزان الحياة اثارة للشجن!.

ان فقد الاهتمام بالأشياء والأشخاص والمعاني هو الموت الحقيقي من قبل مجيئه، وكل انسان يستطيع أن يحتفظ بقدرته علي الاهتمام بالحياة وان يقول كلمته في الدنيا، فإذا لم يكن فيلسوفا ولا عالما في الدين فإنه يستطيع علي الأقل ان تكون كلمته في الدنيا هي السعي في سبيل الخير ومحاولة فهم الناس والصفح عنهم.. كما قال كاتب أمريكي وهو في السبعين من عمره.. والكلمة الطيبة صدقة كما يقول لنا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه.. فكيف يستطيع انسان ان يقول انه لم يعد له دور في الحياة بمجرد أنه قد بلغ سن التقاعد؟!

الملابس الساخنة

أكتب إليك هذه الرسالة وقد بلغ بي اليأس قمته، فأنا طالبة جامعية عمري٢٢ عاما وعلي درجة عالية من الجمال، مما جعل كل من حولي وأمي بصفة خاصة يكيلون دائما المديح لجمالي.. حتي أدار الغرور رأسي ولم تكتف أمي بالاشادة بجمالي في كل مناسبة، وانما راحت تدفعني أيضا إلي إظهار مفاتني وتشجعني علي ارتداء الملابس الساخنة! وانني أعلن الآن مايدور في رأسك عني وأعرف أنك لابد تتساءل وأين أبي من كل ذلك؟.. وأجيبك بأنه منفصل عن أمي ويعمل باحدي الدول العربية ويرسل إلينا كل شهر مبلغا يغطي احتياجاتنا.

وعلي الرغم من جمالي وارتدائي للملابس المغرية إلا أنني كنت حريصة علي المحافظة علي نفسي، ثم أحببت إنسانا يعمل عملا مرموقا، وأحبني، ودعاني إلي تغيير طريقة ملابسي ومكياجي وارتداء الحجاب فاسجبت له وكنت علي استعداد لأن أغير كل حياتي من أجله في مقابل ماشعرت به معه من حنان الأب الذي افتقده منذ صغري، وبالفعل فقد أصبحت أكثر التزاما، وحدثني هو عن رغبته في التقدم لخطبتي عند عودة أبي في اجازته، وبعد فترة أبلغني باعتراض أهله الشديد علي ارتباطه بي للفارق الكبير بين العائلتين، ثم تزوج من فتاة من أسرة صديقة لعائلته، وشعرت بصدمة قوية هزت وجداني، وأدركت أنه لم يكن حبا بل أي شيء آخر، ورجعت لسابق عهدي في ارتداء الملابس إياها والماكياج وإظهار مفاتني ولاحظت فجأة خلال ذلك إعجاب أستاذي في الكلية الذي تعدي الخمسين من عمره بي ولفت نظري إليه ماقالته بعض زميلاتي أمامي من أنه لايرفع عينيه عني طوال المحاضرة وكأنني الطالبة الوحيدة في المدرج.. ثم حدث أن سلمت إليه في مكتبه بحثا كان قد طلبه من تلاميذه، فأبدي اهتمامه الشديد بي ورغبته في مساعدتي، وألح علي في حضور حفل الكلية السنوي، ولم أكن أنوي حضوره، فذهبت إليه والتقيت به فيه وقدمني إلي زوجته وأشاد بي أمامها، ونوه بحبه الكبير لها!

واقترب الامتحان فتوجهت إليه في مكتبه لأسأله عن بعض ماغمض علي فهمه من المنهج، فرحب بي بحرارة وشرح لي كل ما أردته ثم صمت وراح يتفحصني باهتمام شديد ثم قال لي انه كان يتمني لو أنني قد ظهرت في طريقه منذ١٥ عاما! وسألني عن رقم تليفوني فأعطيته له وهممت بالانصراف فصافحني بحرارة واحتوي يدي بين يديه في حنان، وانصرفت وقد شعرت بأنني قد استرددت بعض كرامتي التي أهدرت في حبي الأول، وبعد انتهاء الامتحانات بدأ أستاذي يتصل بي تليفونيا بالساعات، وفي بعض الأحيان كان يطلبني فترد عليه أمي ولا تنزعج من اتصاله بي باعتباره بمثابة أبي!

وفي الفصل الدراسي الثاني كنت قد أصبحت صديقة لزوجته بناء علي رغبته وتدبيره، واعترف لك أنني كنت أشعر بسعادة خفية وأنا أتعامل مع زوجته وأشعر أنها مخدوعة في وفي زوجها، كما أعترف لك بأنني أحببت هذا الشعور الداخلي بالانتصار عليها، بل وبالسخرية الداخلية منها حين كانت تحدثني عن حب زوجها لي، وأنا أعلم تماما أنه يحبني ويتحرق شوقا للارتباط بي وجاء اليوم الذي انتظرته منه وفاتحني في الزواج.. لكنني صدمت بأنه يعرض علي الزواج العرفي فرفضت ذلك بحدة، وكنت قد علمت من زوجته أن أقل ضغط تمارسه عليه يجعله يستجيب لطلباتها، فلقد قررت أن أستفيد من هذه الخبرة، وانقطعت عن الذهاب إلي الكلية والرد علي اتصالاته التليفونية، فجن جنونه وراح يسأل عني كل الصديقات، واكتفيت بهذا القدر من الضغط عليه وعدت للكلية فوجدته ملهوفا علي، وكان أول مافعله هو أن طلب الخروج معي، وفي السيارة التي ركبتها معه بعد شيء من التردد انهمرت دموعه وطلب مني ألا أتخلي عنه.. وأعلن استعداده للزواج الشرعي مني ولكن بشكل سري.

وقبلت بذلك وتم زواجنا شرعيا في السر واستأجر شقة خارج المدينة التي نقيم فيها، وبدأت أخرج من بيتي في الصباح بدعوي الذهاب إلي الكلية ثم أتوجه إلي هذه الشقة ويأتي هو إلي لنمارس حياتنا الزوجية في هذا العش البعيد وانتهي العام الدراسي وبدأ عام جديد وأنا أتصور أن علاقتنا سرية، إلا أنني اكتشفت أن جميع أساتذة الكلية يعلمون بارتباطه بي، وانه يتباهي بينهم بصولاته وجولاته معي، كما علمت كذلك أن زوجي العزيز قد بدأ يكرر

نفس اللعبة مع طالبة جميلة أخري لديه لا ترغب في الزواج منه لكنها لاتمانع في التساهل معه مقابل رعايته لها دراسيا!.. وما دفعني لأن أكتب إليك هذه الرسالة رغم علمي بما سوف ينالني منك من لوم شديد وربما أيضا الشعور تجاهي بالاحتقار، هو أنني الآن حامل في شهري الثالث وقد فكرت بجدية في اجهاض نفسي ووافقني زوجي علي ذلك، لكني أرجع فأري ذلك ذنبا عظيما.. وأتساءل علي الناحية الأخري لو أنني احتفظت بالجنين كيف سأواجه زوجة أستاذي التي أصبحت الآن بمساعدته صديقة لأمي، وتعتبرني ابنة لها، وكيف سأتصرف مع أمي وماذا أقول لها ولكل من حولي.. صحيح أنني زوجة شرعية.. لكن زوجي قد هددني بأنه اذا أعلنت زواجي منه فسوف ينكر أبوته لطفلي.. فماذا أفعل؟.. وفي النهاية فإن لدي نصيحة لكل الأمهات ألا يفعلن مع بناتهن مافعلته أمي معي، فلقد دفعتني بغير قصد إلي الطريق الشائك، واطمأنت إلي ذئب وضعتني معه في غرفة واحدة!

ولكاتبة هذه الرسالة المزعجة أقول:

أرجو ألا تكوني قد اخترت إبلاغ زوجة أستاذك بزواجك الشرعي منه عن طريق نشر رسالتك هذه في بريد الجمعة، فالحق انني قد شككت في ذلك لبعض الوقت ولهذا فقد تعمدت التعمية علي ملامح شخصيتك وشخصية أستاذك ونوع دراستك لكيلا تستخدمي بريد الجمعة في تحقيق بعض أغراضك.. ويبقي بعد ذلك أن أناقش رسالتك وأن أرد علي تساؤلاتك محاولا بقدر الإمكان تحييد مشاعري تجاهك، وأبدأ بأن أقول لك انه ليس لديك ماتخشينه كثيرا من أمك اذا علمت بما أوقعت نفسك فيه من الارتباط برجل متزوج يكبرك بحوالي٣٥ عاما في زواج سري لايختلف كثيرا عن علاقة العشق لافتقاده ركن الاشهار، وهو من أركان الزواج الشرعي الأساسية، ذلك أن من تحث ابنتها علي اظهار مفاتن جسدها وتحضها علي ارتداء ماتسمينه بالملابس الساخنة، لن يتجاوز غالبا رد فعلها لحمقك وتهورك واندفاعك إلي الارتباط بأستاذك المتزوج بغير علمها حدود اللوم الهاديء لك علي عدم اشراكها معك في تبريرك للارتباط بهذا الرجل وربما أبدت ـ ولها الحق في ذلك ـ أسفها لتجاهلك لها في هذا الأمر كله من البداية، مع أنها لو علمت به وشاركت فيه في الوقت المناسب لربما كانت قد استطاعت أن تحصل لك علي شروط أفضل للزواج والارتباط بهذا الرجل!! أما خشيتك من مواجهة الآخرين بما فعلت فلا معني لها أيضا ولا هي هم حقيقي لك ينبغي التوقف عنده، لأن من تفعل مافعلت في سنها الصغيرة هذه لايتعذر عليها مواجهة أحد بما فعلت، والمضي قدما فيه مرفوعة الرأس وكأنها لم تأت أمرا إدا ولم تفعل ماتستحق اللوم عليه!.. يبقي بعد ذلك مايستحق التحسب له بالفعل وهو أن تعرف زوجة أستاذك بزواجك منه سرا، وتكتشف خديعتها الكبري فيمن كانت تعدها بمثابة الابنة الشابة لها، وخديعتها الأكبر في زوجها الأستاذ الجامعي الوقور الذي لايتواني عن التنويه بحبه لها في كل مناسبة، كما فعل معك في حفل الكلية، فهذا هو الهم الحقيقي الوحيد الذي ينبغي أن تتحسبي له في هذه القصة المؤسفة كلها، والحق أنني لا أقصد بهذا الهم حرجك الإنساني معها ولا احساسك تجاهها بالذنب، أو شعورك الشديد بالخجل منها والاشفاق عليها، لأنك والحمد لله لاتعانين من مثل هذه المشاعر الترفية التي يشقي بها آخرون من البشر، وانما أقصد به تحسبك لما سوف يترتب علي انكشاف أمر زواجك من زوجها من زوابع وعواصف في حياته العائلية، وما سوف يتعرض له هو من ضغوط إنسانية شديدة من زوجته وأهله قد تفلح في النهاية في دفعه للتخلص من ارتباطه بك، وهو مايستحق أن تستعدي له بالفعل من الآن، وخاصة وقد أثبتت لك التجربة أن زواجه منك لم يكن تتويجا لحب حقيقي قهار لايملك معه ارادته، وانما كان كما أتصور استجابة متسرعة لرغبة حسية عارمة فيك والوسيلة الوحيدة التي أتيحت له لقضاء وطره منك بعد أن تعذر عليه قضاؤها بغير الزواج منك، بدليل انه وقد نال منك مأربه وهدأت رغبته فيك قد بدأ يكرر نفس اللعبة مع زميلة أخري لك أكثر تساهلا معه منك وأقل تدبيرا وتخطيطا، فلعله قد نقل إليها نظراته في المحاضرة وكأنما قد خلا المدرج إلا من غيرها.. ولعله يبكي الآن بين يديها طالبا الزواج العرفي منها اذا تعذر عليه بلوغ مأربه منها بغير ذلك.

والحق أيها السيدة الصغيرة انني لا أشعر تجاهك بأي تعاطف، ولا أراك كما حاولت اقناعي في رسالتك ضحية لأستاذك، ولهذا لم أستجب لرغبتك في أن يكون عنوانها هو ضحية أستاذها كما رغبت، وانما أنت ضحية فساد القيم الأخلاقية السائدة في مجتمعك العائلي، وضحية غياب الدين في حياتك الأسرية وخفوت صوته في دائرتها كما أنك ضحية غياب الأب عن القيام بدوره الجوهري في توجيهك وحثك علي الالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية، فلا عجب في أن تعدلي عن الحجاب والاحتشام في مظهرك عقب فشل تجربتك الأولي، لأن حجابك لم يكن عن اقتناع داخلي لديك ولا نابعا عن وجدانك الديني، وانما كان وسيلة لاغراء ذلك الشاب بالتقدم لخطبتك فما أن فشل التدبير والتخطيط حتي رجعت عنه بلا ندم، غير أنك لن تستفيدي للأسف من درس التجربة الأولي.. ولم تتعلمي حكمتها وهي أن الشاب قد يعجب في بعض الأحيان بالفتاة الجميلة المتحررة في ملابسها ومظهرها.. لكنه لايرتبط غالبا إلا بمن يثق في قيمها الأخلاقية الدينية ويشعر بأنه يستطيع أن يأمن علي شرفه وعرضه معها..

وبدلا من استيعاب هذا الدرس الثمين والاهتداء بهديه في حياتك بعد ذلك، فلقد شعرت للعجب بأن كرامتك قد جرحت وانك قد استرددت بعضها حين تأكدت من سطوة تأثيرك علي أستاذك، فلقد سعيت أنت إليه في مكتبه بعد أن لاحظت افتتانه بك، ورحبت باعطائه رقم تليفونك، وتهللت لاتصالاته التليفونية الطويلة معك، وهي الاتصالات التي لم تعترض عليها أمك للأسف استمرارا لسياستها الخاطئة المتساهلة في تربيتك، واستفدت من خبرة زوجته في التعامل معه في الضغط عليه لكي يتزوجك، وقبلت وهو الأخطر الزواج من رجل متزوج وله أبناء، فكيف يمكن اعتبارك ضحية بريئة من كل اثم لسوء توجيه والدتك أو لمثل هذا الرجل؟.. صحيح أنه يتحمل

الجانب الأكبر من المسئولية الأخلاقية عما انتهي إليه مصيرك الآن وأنت في الثانية والعشرين من عمرك كزوجة سرية لرجل يكبرها بـ٣٥ عاما، وصحيح أيضا أنه كان خليقا به أن يتعفف عن مغازلتك وملاحقتك والتحرش بك، احتراما لنفسه وموقعه كأستاذ جامعي ولوضعه العائلي كزوج وأب، لكن مسئوليتك أنت أيضا عن هذا المصير المؤسف جسيمة.. فلقد سعيت إليه في مكتبه بذرائع مختلفة لإحكام سيطرتك عليه بعد أن علمت عنه ضعفه معك، ولم يكن سعيك إليه في مكتبه سوي دعوة ضمنية له لمغازلتك والمضي قدما في هذا الطريق الشائك. والرجل أو المرأة لا يرمي أحدهما غالبا سهامه.. ويواصل الرماية بلا كلل إلا إلي من يأنس فيه ترحيبه ولو كان صامتا بهذه السهام الموجهة.. ولولا ذلك لانثني عن هدفه اذا وجد أن سهامه لم تصب الهدف. ولقد نشرت رسالتك علي الرغم من استيائي لها عسي أن يستفيد بأخطائها غيرك من الشباب والأمهات والآباء، لأننا نتعلم من أخطائنا بأكثر ما قد نتعلم أحيانا من اختياراتنا القويمة في الحياة، ولقد تأملت طويلا ماحكيت عنه عما كنت تشعرين به من سعادة شريرة وأنت تمارسين خداع زوجة هذا الرجل التي تعاملت معك بحسن نية ولم تسيء إليك في شيء، كما توقفت أيضا أمام ما كنت تشعرين به من سخرية داخلية تجاهها حين تحدثك بسلامة طويتها عما يكنه لها زوجها من حب.. فشكرا لك لأنك قد أطلعتنا علي مثل هذا الجانب السادي المظلم من النفس البشرية، وأرجو أن تكوني قد تطهرت من بعضه.. حين علمت بأن هناك الآن من لعلها تشعر بمثل هذه السعادة الشريرة في باطنها وهي تري زوجك يتودد وتحس بانتصارها القريب عليك.. وفي النهاية فإني أقول لك انك يجب أن تصارحي أمك علي الفور بما فعلت بحياتك وأن تواجهي الأمر الواقع وتتحملي عواقبه بشجاعة وتحاولي تحجيم خسائره فالحق أن زواجك بهذا الرجل محكوم عليه بالفشل والانهيار طال العهد به أو قصر، لأنه زواج غير متكافيء من ناحية السن ونواح أخري ولأنه زواج مؤقت كالنزوة العابرة التي ترشح صاحبها بعد انقضائها للندم بأكثر مما ترشحه للسعادة ودوام التجربة، فأما الجنين الذي أثمرته هذه النزوة الخرقاء في حياتك، فإن تهديد زوجك لك بانكاره أبوته له اذا أعلنت زواجك منه، ليس سوي محاولة مكشوفة للضغط عليك لمنعك من إعلان هذا الزواج، وتخويفك من عواقب ذلك، لأن زواجك منه مادام شرعيا وموثقا فإن انكاره لأبوة هذا الجنين تهديد أجوف لايعتد به كثيرا، ولن يغير من الواقع شيئا.. وأما عن تفكيرك في مصير هذا الجنين الذي لم يكمل بعد شهره الثالث.. فإني أنقل لك هنا ماجاء في كتاب بيان للناس الصادر عن الأزهر الشريف في مسألة الاجهاض، وملخصه أن الحمل متي استقر في الرحم لمدة ١٢٠ يوما أو أربعة أشهر فقد ثبت بالقرآن والسنة نفخ الروح فيه وبذلك يصير إنسانا له حقوق الإنسان الكاملة حتي لتجوز له الوصية والوقف عليه والميراث بعد موت مورثه وبذلك يكون من النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ويحرم اجهاضه إلا اذا دعت إلي ذلك ضرورة قهرية كأن يكون بقاء الحمل ضارا بحياة الحامل..الخ.

أما قبل نفخ الروح فيه فللفقهاء أربعة أقوال في الحكم عليه:

الأول: الاباحة مطلقا من غير توقف علي وجود عذر، وهو قول فقهاء الزيدية، ويقرب منه قول فريق من فقهاء الحنفية، وان قيده بعضهم بوجود العذر، وهو أيضا مانقل عن بعض فقهاء الشافعية وما يدل عليه كلام المالكية والحنابلة.

والثاني: الاباحة لعذر والكراهة لعدم وجود العذر، وهو ماتفيده أقوال فقهاء الأحناف وفريق من الشافعية.

والثالث: الكراهة مطلقا وهو رأي بعض فقهاء المالكية.

والرابع: الحرمة وهو الرأي المعتمد عند المالكية.

فحاولي أيتها السيدة الصغيرة أن تتعلمي درس التجربة وتصححي الأوضاع الخاطئة في حياتك وتبدئي صفحة جديدة منها خالية من مثل هذه المغامرات الطائشة والأفكار الخاطئة عن الحياة والحب والزواج.. والسلام.

الملابس الرثة

كنت أعتزم أن أكتب إليك هذه الرسالة منذ فترة طويلة.. وأتردد في ذلك إلي أن قرأت رسالة الفخر الجميل للشاب الذي كتب بكل الحب والاعتزاز عن أبيه المضحي من أجل أبنائه بعد وفاة أمهم. وحياته الخيرة العامرة بالحب للبشر والأبناء والحياة.. إلي أن رحل عن الدنيا راضيا مرضيا، فهزتني هذه الرسالة من أعماقي ودفعتني لأن أكتب إليك.. فلقد نشأت في أسرة كبيرة العدد كثيرة الأبناء في إحدي مدن القناة، ومنذ نعومة أظفارنا ونحن لا نجد من أبينا أنا وإخوتي سوي الوجه العبوس والتسلط في كل أمور الحياة حتي ولو كانت تافهة، فهو، وعفوا لما سوف أقول، فظ غليظ القلب لم تعرف المحبة طريقا إلي نفسه حتي لأقرب البشر إليه وهم أبناؤه وهو أناني إلي أبعد حدود الأنانية، بخيل في أعلي مراتب البخل والشح في كل شيء إلا علي نفسه فكل ما يعنيه في الحياة هو نفسه ولا شيء سواها، ويري أن كل من هم حوله دونه ولا يرتقون إلي مرتبته مما جعله بلا صداقات أو معارف أو علاقات اجتماعية!؟ إذ ما سمعته يوما يذكر أحدا بخير حتي أمه رحمها الله في أثناء حياتها وبعد وفاتها لم تسلم من دعائه عليها بأن تهوي إلي قاع الجحيم!

وبفضل من الله وتوفيقه وبالرغم من هذا الجو البشع الذي كنا نعيش فيه أنا وإخوتي فقد تمسكنا بمبادئ الدين الحنيف وجاهدنا جهادا كبيرا لكي نتعلم ونحصل علي شهاداتنا وكانت تلك مشكلة كبيرة لأن كل هدفه كان بعد الحصول علي الثانوية العامة أن يلحقنا بالجهة نفسها التي يعمل بها حتي نستمتع بمزايا المرتب الكبير والمسكن

الإداري ولكننا تمسكنا بالتعليم أولا تمهيدا للبعد عنه وعن الجو الخانق الذي فرضه علينا جميعا، وعندما التحقنا بالجامعات كان شرطه الوحيد هو عدم مسئوليته عن تعليمنا إذ يكفيه أن يوفر الطعام لباقي الأخوة والأخوات. ولولا ظروف التهجير وإعانات التهجير التي كنا نحصل عليها من الشئون الاجتماعية لما تمكنا من استكمال تعليمنا. وبعدانتهاء الدراسة الجامعية التحقت بالقوات المسلحة وكانت المشكلة التي تواجهني هي الإجازات الميدانية، فكنت أمكث بالوحدة وأحل مكان زملائي الحاصلين علي الإجازات لكيلا أعود إلي بيت الأسرة وبعد انتهاء التجنيد وتسلم العمل الذي ألحقت به خلال التجنيد لم يكن لوالدي من هدف إلا أن يقوم هو بتسلم راتبي الحكومي كله مقابل إعطائي مصروفا بسيطا وجاءت المصيبة التي لا تغتفر حين فكرت في أن أستقل بحياتي وأتزوج لتصبح لي أسرة صغيرة أجد فيها كل ما حرمت منه من حنان وحب.

وكانت أياماصعبة وكفاحا مريرا للاستقلال بحياتنا ولكم عانيت أنا وجميع إخوتي فمنهم من أكمل تعليمه ومنهم من لم يكمله وكان كل تفكيرنا هو أن نبتعد عنه خاصة بعد وفاة والدتنا رحمها الله اتقاء لأذاه وبالرغم من ذلك فلقد كان يفتعل المشكلات معنا جميعا بلا استثناء سواء مع زوجاتنا أو أزواج شقيقاتنا، ومازال من الأمور التي تسبب لنا الحرج الشديد أن يتعمد ارتداء الثياب الرثة والبالية ويظهر بها أمام أصدقائنا وأقاربنا ومعارفنا وجيراننا شاكيا من أن أبناءه يهملونه ويتركونه علي هذا الحال بلا سؤال عنهعلما بأننا بالرغم مما نعانيه منه لم يمر يوم دون أن يكون أحدنا عنده للسؤال عنه والاطمئنان عليه حتي أن أحد الأشقاء الذين هربوا من جحيم المعيشة معه وهاجر إلي الخارج وحصل علي الجنسية وأقسم ألا يعود إلينا مرة ثانية وبالرغم من ذلك فإنه يتصل به دوريا للاطمئنان عليه وفي كل مناسبة يرسل إليه مبالغ مالية كبيرة وكما كبيرا من الملابس صيفا وشتاء بالرغم من أنه يتقاضي معاشا كبيرا وله رصيد كبير في البنك، وكانت آخر هدايا أبي لنا أن افتعل عدة مشكلات معنا ومع زوجاتنا وأزواج شقيقاتنا ثم طلب منا عدم زيارته أو الاتصال به لأن كل ما يشغله حاليا هو أن يقطع علاقته بنا لكي يتفرغ للزواج بالرغم من أنه قد تخطي العقد السابع من العمر، فضلا عن أنه لم يترك أحدا نعرفه أو يعرفنا إلا ورمانا أمامه بالعقوق ودعا علينا بكل المصائب أن تحط علينا وألا يبارك الله لنا في شيء.

فهل نحن عاقون حقا إذا قاطعناه وتجنبنا شروره؟!.. إنني وإخوتي جميعا نتوجه إليك لكي نجد إجابة لسؤالنا.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لكل غرس حصاد.. ومن لم يزرع بذور الحب والعطاء لأبنائه في الصغر ليس من حقه أن يشكو حصد الجفاء في الكبر.. كما أن الوحدة دائما هي عقاب الإنسان الكاره للبشر المنحصر في ذاته العاجز عن العطاء للغير وأولهم الأعزاء.. لكن ماذا نفعل في الالتزام الديني والأخلاقي الذي يطالبنا بإحسان صحبة مثل هذا الأب مهما بلغ من بشاعته وعقوقه هو لأبنائه صغارا وكبارا؟ إنه التزام لا مفر منه.. وإنما نحن نؤديه اتقاء غضب الخالق العظيم وطلبا لرضائه قبل أي شيء آخر.. وبالتالي فإن مقاطعتك أنت وإخوتك لأبيكم توقعكم في دائرة الإثم رغما عنكم، وحتي لو لم يكن والدكم قد قدم لكم من قبل ما يستحق معه بركم به والأكرم والأرعي لحدود الله هو أن تتجنبوا مقاطعته مهما ابتزكم ماديا وإنسانيا، وأن تؤدوا إليه حقه عليكم تجنبا للومه.. وكفا لأذاه عنكم وبعدا بأنفسكم عن مظنة العقوق والجحود وتفاديا لسوء السمعة بين معارفكم، مع تسليم الجميع بظلمه لكم في الماضي والحاضر، فإذا كنتم قد نجحتم بالرغم من الجو الخانق الذي فرضه عليكم في النجاة بحياتكم ومبادئكم وأخلاقياتكم من التأثر بقيمه الفاسدة وأنانيته وكراهيته للبشر وحققتم نجاحكم في الحياة، فإن من شكر النعمة أيضا أن تصدعوا بما أمركم به ربكم من إحسان صحبته والصبر علي أذاه، وأن تبذلوا كل جهدكم لتفادي أشواكه وحصر أضراره المعنوية عليكم في أضيق دائرة ممكنة، وهناك دائما فارق كبير بين عطاء الحب الذي يشعر صاحبه بالفرح الداخلي وهو يقدمه لمن يستحقه، وعطاء الواجب الذي لا يشعر صاحبه وهو يقدمه إلا بأنه قد خلاه ذم علي حد التعبير البلاغي القديم أي بأنه قد تجنب بهذا العطاء أن يكون موضعا للذم ممن يتقبل العطاء أو من الآخرين الذين سيسعي هو للإساءة إلي سمعته بينهم. وغني عن البيان أن عطاء الحب غامر ويفيض عن حاجة المعطي إليه.. وعطاء الواجب محدود بالقدر الذي يسد الذرائع ويتقي به صاحبه اللوم.

فصلوا أباكم بالرغم من كل شيء، ليس طلبا لحبه أو رضاه عنكم لأنه لن يرضي إلي أن ينزل إلي ما تحت الثري وإنما عمل بقول الشاعر:

ومن لم يتق الشتم.. يشتم!

والأمر لله من قبل ومن بعد!

==

المكالمة القديمة

أنا فتاة فى التاسعة عشرة من عمرى، أتابع بريدك بانتظام، وأتعرف على متاعب الآخرين، وأشعر بها، وأتعايش معها. وكان بداخلى إحساس كبير بأنه سيأتى اليوم الذى أكتب إليك فيه، وها أنا أروى لك مشكلتى راجية أن ترشدنى إلى طريق الصواب،

فأنا طالبة فى إحدى الكليات العملية من أسرة متوسطة. ولى أخ وأخت وأنا الكبرى، ومضت حياتنا هادئة لا يعكر صفوها شىء، وبدأت الأزمة التى تحاصرنى حتى الآن ولا أجد حلا لها، عندما كنت فى الصف الثانى الثانوى، فلقد سمعت أبى يتحدث فى الهاتف مع زميلة له فى العمل، ويقول لها كلاما يصعب علىّ أن أذكره، كلاما لم

أتصور أن ينطق به أبى وقد نزل علىّ كالصاعقة، وأسرعت إلى حجرتى وبكيت بكاء مريرا، ولم أنم ليلتها، ولا أدرى ما الذى دفع أبى الرجل الطيب الورع إلى أن يسلك هذا السلوك، ولا ما هى نتائجه، وسألت نفسى: ما الذى ستفعله أمى، وكيف سيكون رد فعلها عندما تعلم بذلك، وفكرت كثيرا فى الأمر، وقررت أن أكتم هذا السر فى نفسى، ولا أبوح به لأحد، خوفا على والدتى من شدة الصدمة إذا عرفت بما فعله زوجها، وحفاظا على أسرتنا التى كانت ستتحول فى الحال إلى أسرة مفككة، وستعرف المشاجرات والخلافات طريقها إلينا.

ومرت ثلاث سنوات على هذه الواقعة، وأنا أتحاشى الوجود فى مكان فيه أبى حتى لا أسمع كلاما مماثلا، فتنهار صورته أمامى إلى ما هو أسوأ مما علق بخيالى، ومرضت أمى، ولازمت الفراش لمدة أسبوع، ثم رحلت عن الحياة، وخلا علينا البيت من أعز الحبايب، وبكيناها جميعا أحر البكاء، وحمدت الله أننى لم أقل لها شيئا عن مكالمة أبى، ولا تصرفاته التى كنت ألاحظها من بعيد والتى تؤكد أنه على علاقة بسيدة أخرى، وبعد أن واريناها التراب فى مقابر الأسرة عدنا إلى بيتنا، وأغلقنا الباب على أنفسنا، وتغيرت حياتنا، وصرنا بلا أم تحوطنا برعايتها، ونجد لديها الحنان، ونشعر معها بالأمان، ولم يمر شهران على رحيلها حتى وجدت أبى يتحدث فى الهاتف مع سيدة بنفس الطريقة التى تحدث بها من قبل، ولما لمحنى وأنا أقترب منه، أنهى المكالمة، وترك الهاتف فى المكان الذى اعتاد أن يضعه فيه لكى يبين لى أن الأمر طبيعى، وأنه يتحدث مع شخص يعرفه، فأخذت الهاتف فوجدت أنه سجل اسم من كان يهاتفها بحروف غير مفهومة، فتركته وبعد فترة مسح الرقم من سجل المكالمات..

وقد صممت على أن أعرف من يتحدث معها، فأخذت الهاتف مرة أخرى وتمكنت من الوصول إلى الرقم الذى حاول حذفه، وتأكدت أنه يحادث زميلته نفسها، وهى سيدة متزوجة ولديها أطفال، وعاودتنى حالة البكاء المستمر، فسألنى عما يبكينى فقلت له: إننى سمعت كلامه إلى السيدة التى كان يتكلم معها فى التليفون، وتعالى صراخى لدرجة أن من يسكنون معنا من عائلتنا فى البيت الكبير الذى نقطن إحدى شققه قد جاءونا يستفسرون عما حدث، وجلست جدتى وأعمامى معنا، وسألونى عما إذا كان قد ألمّ بنا مكروه لكى أصرخ وأبكى بهذه الحرقة والمرارة، فسردت عليهم الحكاية الجديدة فقط، بعد أن فقدت أعصابى، ولم أستطع أن أتحكم فى تصرفاتى، فنظروا إلى أبى، الذى ظل يبرر لى أمامهم أنه كان يحادث زميلة له، قال لها إنه لم يكن حبا كبيرا لأمى، وأن صدمته فى رحيلها المفاجئ كبيرة، ولامنى أهلى على ظنى فى أبى، وعنفونى، بل واتهمونى بالجنون!.. وقال لى أحد أعمامى: «إنت أعصابك تعبانة، وكل اللى بتقولى عنه الكلام ده مجرد تهيؤات».. وانصرف الجميع إلى بيوتهم، وحدثت قطيعة بينى وبين أبى.. لا أكلمه ولا يكلمنى. وشقيقاى لا يدريان شيئا مما يحدث، وأحمد الله على ذلك كثيرا. وكم تمنيت أن تقف أحزانى عند هذا الحد، ولكن أبى تجاوز حدود المعقول، وما كنت أنتظره منه، فهو من مستخدمى الإنترنت ويقضى وقتا طويلا فى متابعة «الفيس بوك»، ويشاهد المواقع الإباحية يوميا، ولايعلم أننى أعرف ذلك، ولا يدرك أن كل صفحة يفتحها يتم تسجيلها فى المتصفح، وكلما أجده يتصفح مثل هذه الصفحات أفتح الحساب الخاص به، واحظرها، لكى أمنعه من ذنب سوف يرتكبه، ولكن زاد هذا الموضوع عن حده ولا أستطيع أن أفعل ذلك كل يوم، واحترت فى أمره ماذا أفعل معه وكيف السبيل إلى الخلاص من الكابوس الجاثم فوق صدرى؟

إننى أكتب إليك الآن، ودموعى منهمرة وحالتى أسوأ ما تكون، وقلبى «لم يبرد بعد» من وجع فراق أمى، ولا من أبى الذى يفتح «اللاب توب» على القرآن الكريم فى الصباح، ويفتح مواقع إباحية فى الليل! لقد تمنيت كثيرا أن يكون قدوتى، فألجأ إليه لأشكو إليه أوجاعى، لا أن أتحول إلى شخص آخر يلاحقه خوفا عليه، وتمنيت أن يحل محل الأب والأم معا بعد أن غابت حبيبتى إلى الأبد. وأناديها فى كل وقت وحين أن تكون معى بروحها، فلقد كانت لى البلسم الشافى من كل داء، لكن إرادة الله فوق كل شىء، وله فى خلقه شئون، وأقول لك ياسيدى بكل أسف: إننى لا أطيق النظر فى وجه أبى، وكلما رأيته مر بخيالى شريط السيدة التى يحادثها فى التليفون، ولا أعلم إن كان يلتقى بها أم لا، كما تطاردنى صورته وهو يجلس أمام المواقع الإباحية، ثم صورة أمى وسط هذه الحال الضبابية، وهى التى كانت «نعم الناس» فى عملها وحياتها الخاصة بشهادة الجميع.

ويرمى أبى علىّ اللوم أمام أقاربنا لأننى أتجنبه، ولا أتحدث معه، فأنا المخطئة فى نظره ونظرهم أيضا، وهم جميعا لا يدرون شيئا عن حديثه القديم، الذى لايعلم حتى اليوم أننى أعرفه، وقد وجدتنى أمام الخناق الذى يضيق علىّ باستمرار ومن شدة ضيقى، فى حاجة إلى أن «أفضفض» إليه، فحكيت لعمتى عن «المكالمة القديمة». فنصحتنى أن أنسى كل شىء، وأن أبى قال لها: لن أتزوج مرة ثانية.. سمعت منها ذلك، ولم أعره اهتماما، ومازلت فى حيرتى!

وانى أسألك: هل أقول لأبى إنى أعرف ما يتصفحه بطريقة غير مباشرة، كأن أشرح له الطريقة التى يمسح بها سجل المتصفح، حتى لايترك على «اللاب توب» هذه الصفحات فيعرفها شقيقاى، أو أحد من أقاربى إذا استخدم الجهاز خلال زيارته لنا. أم ماذا أفعل، فأنا أخشى رد فعله، لكننى تعبت من كثرة التفكير ويكفينى ما أعانيه من هموم وأنا فى هذه السن، إذ أتحمل ما لا يطيقه أحد، وأصابنى العجز النفسى، وصارت فى قلبى أوجاع من كل شىء حولى، فبماذا تشير علىّ؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

مع التسليم بخطأ ما فعله والدك بمكالمته غير اللائقة مع سيدة متزوجة، والتى تنم عن وجود علاقة آثمة بينهما، ثم انصرافه معظم الوقت الى متابعة المواقع الإباحية، إلا أن ذلك لا يعنى أن تنصبى نفسك حكما على والدك، ورقيبا

عليه، فتتابعين كل خطواته، وتعيشين فى هذا الجو غير السوي، والذى أدى بك الى حالة من التعب النفسى وصفتيها بأنها «عجز ووجع قلب».

وما فعلتيه بصراخك المدوى بعد مواجهتك أبيك بمكالمته الجديدة، وافتضاح أمره بين العائلة التى اجتمعت لمناقشة ما تسبب فى انزعاجك بهذا الشكل الذى فوجئ به الجميع، وجلسوا يناقشون أسبابه، هو فعل جانبه الصواب، وقد ساهمت فيه حالة التفكك التى تعانيها الأسرة، فالواضح أنه لا يوجد حوار بينكم وبين أبيكم، فهو مشغول بعالم الإنترنت، وأنت وشقيقاك مشغولون بأحوالكم ودراستكم، وغاب عنه أنك فى سن المراهقة ومرحلة التكوين النفسى والفكرى والجسدى أيضا، وهى التغيرات التى يحتاج فيها الأبناء إلى توجيه الآباء والأمهات، لكن الكثيرين للأسف يتركون أولادهم فى مهب الريح دون أن يرشدوهم الى ما يستطيعون به مواجهة العواصف والتحديات، وهذه هى النقطة المهمة التى يجب أن ينتبه إليها أبوك فى تعامله معكم.

أما ما قالته لك عمتك من أنه لن يتزوج بعد رحيل أمك، فهذه مغالاة فى القول تتنافى مع أفعاله، وخير له أن يتزوج ممن تهفو إليها نفسه زواجا شرعيا، ويضمها الى أسرتكم، فتكون لكم أما بديلة، على أن يسلك مسلكا آخر يدمر به نفسه، ويتعرض لعقاب الله فى الدنيا والآخرة، وتنعكس آثاره السلبية عليكم جميعا نفسيا واجتماعيا، ولقد كان بإمكانه أن يتزوج حتى فى وجود أمك ـ رحمها الله ـ وبرضاها، فهذا هو الحل الأمثل لمن تدعوه حالته النفسية والجسدية الى الارتباط بأخري، وليس هذا المسلك الذى لو سار فيه فإنه سيؤدى به حتما الى التهلكة، ولو بعد حين.

فليكن أبوك واقعيا فى معالجة أمر الزواج، وليبتعد عن مشاهدة المواقع الإباحية التى تجر من يتصفحها إلى الانحراف حتى لو تزوج أكثر من واحدة، لأنه لن يشبع رغبته، وسيظل يدور فى حلقة مفرغة الى أن يسقط فى بئر الرذيلة، وستكون فيها نهايته الأليمة.

ومع كل هذه المحاذير، فإننى لا أرى فيما حدث ما يجعلك تنهارين نفسيا الى هذه الدرجة التى تتحدثين عنها، ولا يعنى ذلك التقليل من حجم خطأ أبيك، ولكنى أقصد أنك ربما لو نظرت اليه بمنظور آخر لاختلفت النتيجة كثيرا، فعليك وأنت الفتاة الصغيرة أن تهتمى بأمرك من الناحيتين النفسية والاجتماعية، وأن توسعى دائرة معارفك من زميلاتك الفضليات اللاتى تتوسمين فيهن السلوك السليم، والتربية الصالحة، وأحسب أن والدك قد وعى الدرس، فليتوقف عن الداء اللعين بمشاهدة المواقع الإباحية، وليدرك أن له بنتين وولدا يرجو أن ينشأوا نشأة صحيحة، وعليه أن يحتويكم، وأن يعيد بناء ما تهدم من جسور الصلة بينكم لكى تمضى بكم الحياة الى بر الأمان، وأما مسألة زواجه من أخري، فلا أرى فيها أمرا خطأ، أو ما يجعلك تخشين فقدانه على يد سيدة سوف تحتل مكانة أمك، فهذا هو الوضع الطبيعى يا ابنتي، إذ إنه فى حاجة الى من تشاركه حياته، وتكون لكم عوضا عن أمكم، والمهم هو من سيقع اختياره عليها، وتكون لكم أما بديلة.

وتبقى كلمتى الى أبيكم والى كل أب، وهى أنه لا أحد يعوض الأبناء عن أبيهم مهما بلغ عدد المربين، ومن لا يستطيع أن يقوم بواجب الأبوة، لا يحق له أن يتزوج، أو ينجب أبناء، ومن «شابه أباه فما ظلم»، بمعنى أن كل ابن يكون على شاكلة أبيه، يأخذ منه سلوكه، ويترسم خطاه، ولذلك يجب متابعة سلوكيات الأبناء مع ملاحظة ألا يروا من آبائهم إلا كل حسن، وأن يسهر الأهل على راحتهم، وأن يبعدوهم عن مصادر السوء، لا أن يسلكوها هم، فيصنعون صنيع أبيكم، وأتذكر ما قاله الشاعر حطان بن المعلى:

وإنما أولادنا بيننا
أكبادنا تمشى على الأرض
لو هبت الريح على بعضهم
لامتنعت عينى عن الغمض

نعم يا ابنتي، فقلب الأب لا يغفو إلا بعد أن تغفو جميع القلوب، وهو يحبكم بدليل أنه يريدك أن تكلميه، وأنت التى لا ترغبين فى الحديث معه، وهذا أمر لا يستقيم، فلا تنصبى نفسك حاكما وجلادا على والدك، وانما يتعين عليك أن تعالجى الأمر بواقعية، وأن تذهبى إليه، وتعتذرى له عن أى إساءة وجهتيها إليه، وقولى له إنك لم تفعلى ما فعلتيه إلا حبا فيه، وخوفا عليه، وعندئذ سوف يتدارك كل ما فات ويصبح بإمكانكم أن تفتحوا معا نافذة جديدة للأمل نحو غد أكثر إشراقا.. وفقكم الله وسدد خطاكم على طريق الصواب، ومد لكم جسور التواصل للإبحار فى نهر الحياة، وهو وحده المستعان.

==

المكافأة

سأبدأ رسالتي بلا مقدمات فأقول لك علي الفور إنني بعد خمسة عشر عاما من الزواج ضحيت خلالها بمستقبلي الأكاديمي والعمل كطبيبة لكي أتفرغ لرعاية بيتي وزوجي، وبعد أن ساعدته حتي أصبح استاذا جامعيا ويشغل موقعا أكاديميا مرموقا بالاضافة الي أعماله الأخري التي تدر عليه الكثير، وبعد أن أصبح أبناؤنا أمثلة يحتذي بها في الخلق الكريم والعلم حيث إنهم من أوائل منطقتنا التعليمية ويحفظون أجزاء من آي الذكر الحكيم، وبعد أن تنازلت لزوجي عن الكثير والكثير تلبية لرغباته حيث لم أكن أري إلا بعينيه ولا أتكلم إلا بلسانه ولا أسمع إلا بأذنيه ويشهد لي الجميع بالتفاني في رعايته وثقتي فيه ثقة عمياء، أقول إنه بعد كل ذلك وكل هذه التضحيات

كافأني زوجي بأن فاجأني ذات يوم دون سابق انذار بأنه قد تزوج أخري، وممن تزوج؟ من ابنة بواب احدي العمارات التي تقع في حينا وتبلغ من العمر١٩ عاما فقط وهو الذي بلغ منتصف الأربعينات من عمره! لقد مادت الأرض تحت قدمي وأنا أسمعه يقول عني للآخرين إنني زوجة فاشلة ولا أصلح لأي شيء!
وهكذا فقد كافأني زوجي علي حصيلة الخمسة عشر عاما التي قضيتها معه وعلي ما بلغه هو من مستوي أكاديمي ووظيفي ومالي، وعلي ما يتميز به أبنائي من تفوق وخلق، بأن ارتمي في أحضان فتاة عمرها١٩ عاما، وأحضر لي بعض الأشخاص ليقرأوا علي حق الزوج الشرعي في الزواج من ثانية وثالثة ورابعة، وواجبي في الطاعة والولاء له مهما فعل، ويذكرونني بغضب الله علي اذا طلبت الطلاق، وكيف ان الزوجة التي تطلب الطلاق لا تشم رائحة الجنة، ولم يكتف بذلك فبدأ بسيل من التهديد والوعيد ابتداء من إلقائي علي قارعة الطريق وحرماني من أبنائي الي التلويح لي بأنني سوف اضطر للتسول للانفاق علي تكاليف الدعاوي القضائية التي تستغرق سنوات وأنا الوحيدة التي لا أملك شيئا من حطام الدنيا بعد أن وضعت كل ثقتي فيه، لقد وقفت معي أمي واخوتي وإخوته لكنه أرغي وأزبد وقاطع الجميع وأجبرني علي مقاطعتهم كما أجبرني علي الاعتراف أمام الجميع بموافقتي علي زيجته الثانية وأجبرني كذلك علي الموافقة علي أن تقيم زوجته في نفس العمارة التي نقيم بها، وكلما حاولت الاعتراض رفع صوته مذكرا بآيات العذاب وأحاديث معاقبة الزوجات العاصيات لأزواجهن ثم ينتقل إلي مسلسل التهديدات لكي أظل حبيسة نفسي ولا أعرف ماذا أفعل. انني أكاد أجن لأنني لا استطيع أن أتكلم مع أحد فحتي أمي قد منعني من زيارتها، وأصبح يراقب خطواتي ويعد علي أنفاسي وانفض الناس من حولي بعد أن يئسوا من محاولة الحديث معه، لأنه يعتبر كل من يحاول سؤاله عن أسباب زواجه الثاني يستحق المقاطعة.
والآن فقد اقترب موعد مجيء الزوجة الثانية الي العمارة ولا أعرف ماذا أفعل حين يفرضها علي في بيتي أو يفرض علي أبنائي الاتصال بها كما اني أخشي عليهم من الاختلاط بها لاختلاف المستوي، وبعد أن أصبحوا يفرون من أصدقائهم الذين لا يكفون عن سؤالهم عن زواج أبيهم.. فهل أخطأت ياسيدي حين استسلمت لتهديداته؟.. وهل صحيح انه ليس من حق الزوجة أن تطلب الطلاق كما زعم من جاء بهم إلي، وكيف استطيع منع أبنائي من مخالطة زوجة أبيهم وكيف يمكنني مقاطعة أمي وأسرتي وأسرته وكل الناس كما يفرض ذلك علي.
إن الجيران يستمعون إلي تهديداته التي يلقيها علي ليل نهار بصوت جهوري كما لو كان يدق طبول الحرب ولا أري في أعينهم إلا نظرات الشفقة والحسرة علي ما أنا فيه فماذا أفعل؟
{ ولكاتبة هذه الرسالة أقول: لو لم يكن من حق الزوجة طلب الطلاق في بعض الأحيان لما قال الله سبحانه وتعالي في كتابه الحكيم ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ولما كلف الزوج بأن يمسك زوجته باحسان أو يسرحها بإحسان، ولما ثبت الخلع في الكتاب والسنة، ولما أجاز الفقهاء، للزوجة أن تطلب من القاضي التطليق للضرر، أو لعدم النفقة أو لغيبة الزوج أو لحبسه.. الخ، ولو لم يكن الزواج من ثانية علي غير قبول من الزوجة الأولي وبغير ارتضاء بالحياة مع زوجها بعد زواجه الآخر مبررا مشروعا للطلاق، لما رخص الرسول الكريم أن يأذن لعلي بن أبي طالب أن يتزوج من ابنة هشام بن المغيرة ولما خيره بين زواجها وطلاق فاطمة، ولما ألزم الشارع موثق الزواج بابلاغ الزوجة الأولي بزواج زوجها لتري رأيها في حياتها معه فتقبل الاستمرار معه أو تطلب الانفصال عنه للضرر المعنوي، الذي يصيبها من مشاركة امرأة أخري لها في زوجها، ولما قال ابن القيم ان الرجل اذا اشترط لزوجته ألا يتزوج عليها لزمه الوفاء بالشرط ومتي تزوج عليها فلها الفسخ حتي ولو لم يكن هذا مسجلا في صلب العقد لأنه معلوم بالضرورة عند عقده، فكيف تكونين طبيبة ومثقفة وزوجة منذ١٥ عاما وتجهلين كل ذلك من أمور دينك ومن حقوقك!إن الحديث الشريف ـ الذي يحتج به عليك زوجك الأستاذ الجامعي الفاضل هو وأصحابه يحرم رائحة الجنة علي من تطلب الطلاق من زوجها من غير بأس، أي وحسب تفسير فضيلة الشيخ محمد الغزالي ـ رحمة الله عليه ـ لغير علة إلا البطر والأثرة.
وأما الوعيد الذي يتوعدك به زوجك الذي ينتقي من وحي السماء وحديث من لا ينطق عن الهوي ما يتصور انه يستطيع به أن يقهر ارادتك علي القبول بما تكرهين، إنما يتعلق بحقوق الزوج علي زوجته وهي للتذكرة ألا تمنعه نفسها وألا تصوم لغير فريضة إلا بإذنه، وألا تعطي من بيتها شيئا إلا بإذنه وألا تخرج من بيته إلا بإذنه ولو كان إذنا ضمنيا يفيد القبول وعدم الاعتراض، الي جانب رعاية البيت والأبناء مقابل سعي الزوج علي أسرته وليس في كل ذلك ما يجبر الزوجة علي القبول بضرة رغما عنها خاصة اذا كانت لا تتكافأ معها اجتماعيا وثقافيا وعائليا مما يؤذي مشاعرها أبلغ الأذي، وليس من ذلك أيضا إرغامها علي الاختلاط بها أو التعامل معها أو قبول جيرتها القريبة لها.
فإذا كان زوجك يتحدث عن الويل والثبور وعظائم الأمور التي تتوعد الزوجة العاصية لزوجها، فلماذا لا يتحدث كذلك عما يحفل به الكتاب والسنة من الحث علي الرفق بالنساء ورعاية حقوقهن واحترام مشاعرهن والتأكيد علي أن أساس العلاقة بين الزوج وزوجته هي المساواة بينهما في الحقوق والواجبات ولماذا لا يتذكر قوله تعالي ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة وهي درجة القوامة التي لا تعني القهر وانما تعني ـ كما يقول المفسرون ـ ان تكون له الكلمة الأخيرة بعد المشورة مع زوجته ما لم يخالف شرعا أو ينكر معروفا أو يجحد حقا أو يجنح إلي سفه وإسراف، فإذا انحرف الزوج كان من حق الزوجة ـ كما يقول الأستاذ أحمد موسي سالم

واستشهد به فضيلة الشيخ الغزالي، أن تراجعه وألا تأخذ برأيه وأن تحتكم في اعتراضها عليه بالحق الي أهلها وأهله أو إلي سلطة المجتمع الذي له وعليه أن يقيم حدود الله.
وقبل ذلك كله وبعده فلماذا ينسي أيضا أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق؟ ويتجاهل أن ما يأمرك به من قطع صلة الرحم بأهلك لا طاعة له عليك فيه؟
الحق انني أعجب لما تقولين في رسالتك من أنه أجبرك علي مقاطعة أمك واخوتك وأجبرك علي الاعتراف علنا بالموافقة علي زواجه الثاني، وأجبرك علي القبول بأن يأتي بزوجته هذه البالغة من العمر تسعة عشر عاما لتقيم في نفس العمارة التي تقيمين فيها، وأتساءل: أي وسائل الاجبار تلك التي استخدمها معك لقبولك كل ذلك؟، هل استخدم معك قوة هرقل؟ أم قوة التنويم المغناطيسي؟.. أم تري أنه الضعف والتخاذل والعجز وانقطاع الحيلة والصلة بالأهل الذي دفعك للمسايرة والتظاهر أمامه بقبول ما لا ترضين به ثم تجأرين في غيبته بالصراخ والشكوي مما تتهمينه باجبارك عليه!
ياسيدتي تماسكي قليلا ولا تستجيبي لمثل هذا القهر الذي لا يجيزه شرع ولا دين، واختاري لحياتك بغير أن يشل الخوف والرعب ارادتك كأنما تواجهين قوة خفية لا قبل لك بها، فلك في النهاية أهل يستطيعون مساندتك اذا دعت الحاجة لذلك، ولك أبناء وذوو قربي وأهل الزوج نفسه يتعاطفون معك، ويستنكرون فعلته.. وهناك قضاء يمكن أن يكون ملجأك الأخير اذا دعت الضرورة له، فلماذا هذا الانهيار؟ لقد قال جمال الدين الأفغاني: لو لم تكونوا وعولا لما نهشتكم الذئاب! ولست أريد بذلك أن أشجعك أبدا علي مناطحة زوجك أو علي هدم حياتك الزوجية وانما أريد لك فقط أن تتمسكي بحقوقك المشروعة وألا تسمحي لأحد بقهرك علي ما لا ترضين به فلربما أعانه تماسكك أمامه علي معاودة التفكير في الأمر كله من الأصل أو علي الاعتراف لك ببعض حقوقك، والكف عن إكراهك علي ما يؤذي مشاعرك ويلحق بك أكبر الضرر النفسي والمعنوي، فأما الجعجعة بالوعيد والزعم بالتحدث باسم السماء بهدف تبرير الأهواء الشخصية والرغبات الجامحة والأوضاع غير المقبولة منطقيا وتربويا واجتماعيا فهي حيلة نفسية قديمة رصدها من قبل المفكر الفرنسي الكبير فولتير حين قال: حتي اللص وهو يضع المفتاح في الخزانة ليسرق يقول: باسم الله!
==

المقدمة.. والنتيجة

ردا علي رسالة النصائح الغالية التي نشرت ببريد الجمعة والتي اعطتنا فيها كاتبة الرسالة مجموعة من النصائح التي وصفتها بالغالية واقسمت في نهاية رسالتها انه لو طبق كل زوج هذه النصائح فلا يمكن ان نجد زوجة تشكو من زوجها، اليكم قصتي.
ـ أنا شاب في نهاية العقد الثالث من العمر أشغل وظيفة محترمة، وقد تزوجت ولم يمر علي زواجي سوي عام واحد وكنت قد تعرفت علي زوجتي عن طريق أحد الاقارب فيما يسمي زواج الصالونات ويبدو أنها قد قبلت زواجي لعدم وجود ما يعيبني وليس بسبب اعجابها بي وبشخصيتي وعندما تمت خطبتنا كنت اطبق معظم النصائح الغالية، وأغرقتها حبا وحنانا فظنت انني هائم بها ولكني في الحقيقة كنت اعاملها هكذا حتي تشعر هي بالسعادة وليس لان هذا هو احساسي بالفعل وعندما تم الزواج ظللت علي اسلوبي معها وكان يحتوي علي معظم تلك النصائح وذلك حتي تشعر زوجتي بالسعادة معي.
وإليكم نتيجة النصائح الغالية:
* عندما احترم انوثتها وشخصيتها وامدح جمالها ـ رغم انها متوسطة الجمال ـ يأخذها الغرور وتظن ان كلامي هو الواقع واني لم آت بجديد
النتيجة: توقفت عن مدحها والاشادة بجمالها
* عندما أردد عبارة ياحبيبتي لها فكأنني لم أقل شيئا، ولم أسمع منها ولو مرة عبارة ياحبيبي
النتيجة: أصبحت أناديها باسمها فقط.
* عندما أعود من عملي كنت أدخل لها المطبخ لآخذها بالاحضان واسمعها عبارات جميلة في حين انها لاتكلف نفسها عناء الترحيب بي ولو بكلمة وتتجاهل عودتي من العمل وكأنه لم يحدث شئ.
النتيجة: أصبحت اعود من عملي وأدخل غرفتي مباشرة لأغير ملابسي واجلس منتظرا الغداء في صمت.
* عندما أشركها معي في الحديث واحكي لها عما حدث في العمل طوال اليوم اجدها تجلس بعدم اهتمام وتظل تتابع التليفزيون وكأنني لا أتحدث فأشعر بعدم اهمية حديثي فأصمت.
النتيجة: اصبحت اجلس أنا الآخر امام التليفزيون صامتا طوال اليوم لا افتح فمي بكلمة، ولاهي لذلك فلا تتحدث حتي لو ظللت طوال اليوم صامتا.
* عندما احترمها امام اهلي واهلها لا تقدر لي ذلك، وتشعرني انه فرض علي ان أفعل ذلك وهي علي العكس تحاول ان تسخر مني أمام أهلي.
النتيجة: اصبحت أهينها أمام الكل!
* عندما أحاول ان اكون لها الصدر الحنون، تقابلني بكتمان كل ما يجول بخاطرها ولاتبوح لي عما بداخل صدرها.

النتيجة: لم يعد يهمني ان اعرف سبب فرحها او حزنها.
* عندما اعتذر لها عن خطأ فعلته تذكرني بعدها أنني انا الذي اعتذر دائما في النهاية وليست هي.
النتيجة: اصبحت ارفض ان اعتذر لها عن أي خطأ ارتكبه.
وفي النهاية اقول لكاتبة رسالة النصائح الغالية شكرا علي نصائحك لكنها مجربة من قبل ولم تجد وهأنذا أعيش جحيما لايطاق.
ولكاتب هذه الرسالة اقول:
الحكمة القديمة تقول: خير لك ان تحاول وتفشل من الا تفعل اي شئ علي الاطلاق وتسلم بالعجز من قبل البداية وانت قد حاولت ياصديقي.. لكن نفسك في المحاولة كان قصيرا للغاية فلم تثابر ولم تبذل الجهد الكافي لتدريب زوجتك علي التجاوب معك وحثها علي تجميل حياتكما الزوجية بمثل هذه اللفتات والمبادرات.فلماذا سلمت باليأس سريعا علي هذا النحو.. ولماذا لم تواصل الطريق وتلفت نظر زوجتك برفق الي ما تأمله منها وتحب ان تشاركك فيه من الاهتمامات والصفات والسلوكيات واسلوب التعامل؟!
ان هذه المحاولات قد تستمر لفترة طويلة.. وبعض الباحثين عن السعادة في حياتهم الزوجية أنفقوا السنوات الطوال في الاصلاح والامل فيه، فلا تلق بالراية البيضاء من اول صدمة ولا تتوان عن الاستمرار في الاصلاح لكي تحيا الحياة السليمة وتنجو من مستنقع الخرس الزوجي في هذه المرحلة المبكرة من حياتك الزوجية.
==

المقارنة العادلة
قرأت رسالة وطيس المعركة للرجل الفاضل الذي يشكو من انشغال زوجته عنه بابنائهما، ويفكر في الارتباط بزوجة أخري لهذا السبب وحده بالرغم من حبه لزوجته واعترافه لها بفضائلها ومزاياها الأخري، ولقد نكأت هذه الرسالة جرحا شخصيا غائرا عندي فرأيت ان احكي له قصتي لعله يستفيد بها في اتخاذ القرار السليم، فانا رجل في مثل عمره.. واعمل عملا مرموقا مثله، ولي زوجة فاضلة كزوجته كانت لي دائما الزوجة والأم والحبيبة والصديقة، وقد وهبني الله منها زهرتين جميلتين هما ولد وبنت في سن ابنائه، ومنذ فترة من الزمن بدأت أشعر بما يشعر به هذا القارئ الفاضل الآن من افتقادي للمسات الحب والحنان والدفء العاطفي من جانب زوجتي بسبب استغراقها في رعاية الأبناء والاهتمام بامرهم فأحسست بمثل ما أحس به كاتب رسالة وطيس المعركة وجال بخاطري مايجول بخاطره الآن.
وقررت الارتباط باخري في لحظة من لحظات الضعف التي نشعر بها كرجال في هذه المرحلة من العمر وارتبطت باحدي زميلاتي في العمل كانت تظهر لي الحب والحنان والاهتمام وتتعامل معي برقة فرحت أقارن بين اهتمام هذه الزميلة بي، وانشغال زوجتي عني بأولادنا، وبين رقة الأخري واهتمامها باللفتات العاطفية الصغيرة في التعامل معي، وبين تجاهل زوجتي لها لارهاقها في البيت وشئون الأبناء، وبين حديث الأخري الحنون الرقيق معي، وحديث زوجتي العملي المقتضب معي والذي لايتجاوز غالبا مطالب البيت والأبناء ومشاكل الأسرة حتي أقتنعت تماما بانني مظلوم مع زوجتي ومن حقي ان اتزوج من لايشغلها عني شيء ولاتنسي لغة العاطفة في التعامل معي، وتزوجت زميلتي واتفقت معها علي ان تحتفظ بسرية زواجنا لفترة في البداية خاصة في مجال العمل، لكن زوجتي الجديدة لم تتوان عن اظهار هذه العلاقة للآخرين في كل مناسبة تجمعنا مع زملاء العمل حتي ثارت حولنا الأقاويل، ومع ذلك فلقد شعرت بانني قد حصلت علي السعادة الصافية التي كنت في حاجة اليها، وبسبب استغراقي في هذه السعادة تضاءل نصيب زوجتي وأولادي في وقتي ومالي، لكن هذه السعادة الصافية الخالية من كل الشوائب لم تدم أكثر من أيام لمسته بعدها مدي حقد وكراهية زوجتي الثانية ليس فقط لأسرتي الأولي بل ولكل اسرة أخري مستقرة وتنعم بسعادة علنا وليس في السر وتبدل الحب والاهتمام والحنان التي أجتذبتني اليها ورجت كفتها عند المقارنة الي طموحات شخصية ومطالب زائدة عن الحد علي حساب الزوجة الاولي وابنائها، وبدأت الخلافات تنشب بيننا علي اتفه الاسباب وتبدلت السعادة الصافية التي خيل الي أنني فزت بها الي شقاء، وعذاب ضمير من ناحيتي لاحساسي بالتفريط في حقوق زوجتي وابنائي، وخلال هذه المعاناة صدر القرار بنقلي في عملي الي دولة خارجية في مركز اكبر يتطلب انتقال اسرتي معي، وكان الطبيعي ان تكون زوجتي الاولي وابنائي هم الاسرة التي تصاحبني الي مقر عملي الجديد، لكن زوجتي الثانية فعلت كل شيء لاقناعي بترك اسرتي في مصر كما هي واصطحابي معها بدلا منها، وتحت ضغط الحاحها وافقت علي ذلك وشجعني عليه خوفي علي اولادي من ان يتعرضوا للانحراف في الدولة الاجنبية التي انتقلت اليها، ونفذت النقل وفوجئ زملائي في العمل بل وحتي رؤسائي فيه، بأن هذه الزميلة سوف تصاحبني الي مقر عملي الجديد، وانكشف بذلك امر زواجنا للجميع، وسافرنا معا وبدأنا حياتنا في هذه الدولة، فإذا بزوجتي الثانية الرقيقة الحنون تتغير تغيرا كاملا هناك وتحاول ان تستغل قوانين ذلك البلد الأجنبي بطريق مباشر، وغير مباشر لارغامي علي التخلص من زوجتي الاولي واولادي الموجودين في بلدنا الام، ولم تمض اسابيع علي سفرنا حتي اصبحت تمثل ضغطا نفسيا وعصبيا علي لاقصي درجة، اضف الي احساسي بالغربة وافتقادي لأولادي، حتي رحت الفت نظرها الي ما اشعر به من هموم الغربة لكي ترأف بحالي وتظهر لي بعض ما كانت تظهره نحوي من حنان واهتمام في اوقات الشدة، لكن ذلك كان يزيد من نارالحقد والغيرة داخلها الي مالا نهاية، فشعرت بفداحة

خطئي في حق زوجتي الاولي وابنائي في الارتباط بزوجة اخري علي حسابهم.. وفي اصطحابها معي الي مقر عملي الجديد دونهم.
وانني لاروي قصتي هذه لكاتب رسالة وطيس المعركة لكي اناشده ألا يكرر خطئي الذي اندم عليه الآن اشد الندم ولأقول له ان السعادة التي سينالها مع اخري لن تطول ولن تساوي شيئا امام بعده عن زوجته التي يحبها واولاده الذين يحتاجون اليه واحذره من ان يخدعه لمعان الماء علي سطح البئر اللعين التي سقطت فيها، لأن تحت هذا اللمعان الذي يوحي كذبا بالصفاء أكدار وشوائب كثيرة.. كثيرة!
ولكاتب هذه الرسالة أقول:
نحن لا نتعلم الحكمة بغير ثمن يا صديقي، وإنما لابد أن ندفع دائما ثمن أخطائنا من حياتنا وصحتنا وصفاء أوقاتنا، وإذا كان العقلاء من البشر هم الذين يستفيدون من تجارب الآخرين في تجنب الشقاء وعدم تكرار الأخطاء التي وقع فيها غيرهم كما تريد صادقا ومشكورا لكاتب رسالة وطيس المعركة أن يفعل، فإنه يبقي هناك دائما من لا يرون الخطر الذي يسعون إليه حثيثا إلا إذا سقطوا في بئره، ومن لا يصدقون تحذيرات المخلصين لهم من جمر النار الذي تقترب أيديهم منه إلا إذا مسوه بأصابعهم واكتووا به، وهذا هو حالنا نحن البشر منذ قديم الأزل.
ولقد أثارت رسالتك هذه تأملات عديدة لدي لكني توقفت خلالها أمام هذا الخطأ القديم في التفكير الذي طالما أورد الإنسان موارد الشقاء، في مثل هذه الظروف الشخصية وهو خطأ عقد المقارنة غير العادلة في ذهنه بين غير متماثلين واستخلاص النتائج الخاطئة بالضرورة منها.
ولقد نبهنا المفكر الفرنسي الكبير رجاء جارودي إلي أن المقارنة العادلة إنما تكون بين مثال ومثال أو بين حقيقة وحقيقة وليست بين مثال وحقيقة أو واقع كما فعلت أنت حين عقدت تلك المقارنة الظالمة في ذهنك بين رقة فتاتك وزميلتك في العمل وحنانها بك واهتمامها بأمرك، وبين انشغال زوجتك الأولي عنك بأبنائها وشئون بيتك وأسرتك، وبين اهتمام فتاتك خلال مرحلة الارتباط الرومانسي الخالية من المسئوليات الحياتية بلغة العاطفة واللفتات الصغيرة في تعاملها معك وبين لغة الحياة العملية التي تستخدمها معك زوجتك في الحديث عن شئون الأبناء ومشكلات الحياة إلخ، ومع أن المطلوب دائما هو ألا تغفل الزوجة لغة العاطفة في تعاملها مع زوجها مهما بلغ من استغراقها في شئون الحياة العملية وهموم الأبناء، إلا أن المقارنة تبقي في النهاية غير عادلة لأنها مقارنة بين مثال عاطفي خلال فترة الحب الخالية من الهموم العملية، وبين واقع عملي تختلط فيه العاطفة بهموم الحياة والأبناء ومشكلاتهم وعناء رعايتهم، ولهذا فلابد أن تكون نتيجة هذه المقارنة الظالمة لمصلحة المثال علي حساب الحقيقة أو الواقع..
ولو أردت الإنصاف لعقدت الآن هذه المقارنة نفسها ولكن بين متماثلين هما واقع زوجتك الأولي وواقع زوجتك الثانية التي تقول أنت في رسالتك إنها قد تكشفت لك الآن عن حقد وكره عميقين ليس فقط لأسرتك ولكن لكل أسرة تنعم بالاستقرار والسعادة في حياتها، عن طموحات شخصية زائدة ومطالب مادية لا نهاية لها علي حساب زوجتك الأولي وأبنائك، حتي أصبحت تمثل بالنسبة لك ضغطا نفسيا وعصبيا شديدا لا يترفق بك وإنما يضاعف من عناء حياتك في الغربة، وافتقادك لأسرتك وأبنائك.
فلمن تكون المقارنة الصحيحة لا الظالمة هذه المرة؟
وماذا تنتظر لكي تصحح خطأك في حق زوجتك الأولي وأبنائك الذي تندم عليه الآن أشد الندم؟
إنني أخشي أن يكون ندمك الحالي من نوع ندم الرشيد علي حنثه بقسمه لصديقه ووزيره جعفر البرمكي ألا يناله منه سوء مهما حدث بينهما في المستقبل، فلما وقعت نكبة امكة وسجن الرشيد صديقه السابق وصادر أمواله وأموال أسرته تذكر ذات يوم هذا القسم فندم علي حنثه به أشد الندم وقرر أن يكفر عن ذلك بالحج ماشيا إلي بيت الله الحرام، وقام بهذه الرحلة الشاقة بالفعل وتكبد خلالها مشقات كثيرة وتكبدت الدولة نفقات أكبر حيث أقيمت له علي طول الطريق من بغداد إلي مكة الاستراحات الوثيرة، وبالرغم من كل ذلك فإنه لم يفكر لحظة واحدة في أن يكون تكفيره عن حنثه بهذا القسم بالإفراج عن وزيره وصديقه السابق ورد بعض أمواله إليه، فبقي في سجنه حتي مات في سن السبعين وهكذا فقد يندم الإنسان بالفعل علي أخطائه ويكفر عنها ولكن في الاتجاه الآخر الذي لا يعيد لضحاياه حقوقهم لديه أو يداوي جراحهم منه.
فهل ندمك من هذا النوع يا سيدي؟
وهل تتصور أن هناك خطأ وقع فيه الإنسان ويمكن أن يصححه بغير خسائر مادية أو معنوية يتكبدها ويقبل لها العقلاء كثمن عادل لتصحيح الأخطاء والعودة إلي الطريق الصحيح؟
==

بنـــات إبليـــس
بداية اقسم لك بالله العظيم اني سأتحري الصدق في كل كلمة سيخطها قلمي علي الورق، وأرجو ألا يصيبك القرف من حكايتي فتلعنني قبل ان تكمل رسالتي فأنا لعنت نفسي ألف مرة.
أنا فتاة في الثامنة والعشرين من عمري وأصغر اخوتي الستة، انجبني أبي وهو في الستين من عمره ولذلك أسرف كثيرا في تدليلي،وكان كثيرا ما يقول حين يلومه اخوتي علي تدليلي الزائد: أبناء الشيبة يتامي وكأنه كان

يقرأ المستقبل، فقد فقدته في بداية مرحلة دراستي الثانوية وكانت هزة شديدة عصفت بكياني كله وانطويت علي نفسي ولم يكن لي صديقات علي الإطلاق، ولفارق السن بيني وبين اخوتي لم يكن هناك أي تقارب بيني وبين أحد منهم، ووضعت همي في المذاكرة حتي حصلت علي الثانوية العامة بمجموع كبير مكنني من الالتحاق بكلية العمر التي حلمت بها.

وفي الجامعة بدأ الفصل الثاني من حياتي فقد لفت جمالي المبهر وانطوائي الشديد نظر الكثيرين من الصيادين، وأوقعني القدر في شباك احدهم وكان مدرسا مساعدا بالكلية وباسم الحب حصل مني علي كل مايريد، ولم أفق من سكرة الحب إلا في بداية النصف الثاني من العام الدراسي الأول علي كارثة سفره إلي اليابان للحصول علي الدكتوراه، وسافر ياسيدي دون ان يكلف نفسه حتي عناء وداعي وأنا التي صرت زوجته امام الله، المهم أفقدتني الصدمة توازني وتلقفتني احدي بنات ابليس من شياطين الإنس، وأخذت بيدي إلي أعماق بئر الوحل وصرت محترفة، وأغراني المكسب الهائل والعائد المادي الضخم وتزايد رصيد حسابي في البنك علي الاستمرار والمزيد والمزيد، ولا أعرف حتي هذه اللحظة كيف من الله علي بالستر فلم تصل أخباري إلي أمي أو احد من اخوتي، وطبعا أهملت دراستي وتكرر رسوبي وأنا لا أهتم.

ومنذ خمس سنوات بدأ الفصل الثالث من حياتي فقد اتصل بي أحد شركائي في شركتنا المدنسة وأعطاني عنوانا لأذهب لقضاء بعض الوقت مع صاحب هذا العنوان، وذهبت في الموعد المحدد وطرقت الباب وفتح لي رجل في نحو الخمسين من عمره يتمتع بجسد رياضي وصاحب اقوي وأجمل عينين شاهدتهما في حياتي ومن النظرة الأولي وقعت أسيرة عينيه القويتين المملوءتين بالقوة والحنان والعطف والحزن وبعد انتهاء مهمتي استبقاني الرجل علي غير العادة وطلب مني موعدا ثانيا، وفي الموعد الثاني وجدتني أحكي له كل شئ عن حياتي منذ ان وعيت علي الدنيا إلي تلك اللحظة وتعددت مقابلاتي مع الرجل وعرفت عنه كل شئ، فهو من اكبر رجال الأعمال في مدينتنا وبالطبع متزوج وله اثنان من الأبناء وثلاث من البنات.

وبعد شهر من المقابلة الأولي جاءتني المفاجأة الكبري لقد طلب مني الرجل ان أصبح له وحده وان اقطع صلتي بكل من عرفت في الماضي، وانه سيعوضني ماديا عن ذلك بأكثر مما كنت اكسب شرط ألا يمسني رجل غيره ولا أخفي عليك يا سيدي انني كنت قد بدأت أحبه، نعم أحبه فوافقت علي الفور وان كنت اخشي ان يتعرض لي احد من شركاء السوء في السابق، إلا انه طمأنني بأن أحدا لن يستطيع الاقتراب مني، وبالفعل عشت معه ياسيدي خمس سنوات كاملة مرت كأنها حلم جميل

وفي خلال هذه المدة فصلت من كليتي العملية لتكرار رسوبي ففوجئت به يسحب ملفي من هذه الكلية ويتقدم به إلي احدي الكليات النظرية المناسبة لمجموعي في الثانوية العامة وكان يدفع مصروفات الدراسة بنفسه ويشتري لي الكتب ويمتنع عن مقابلتي تماما اثناء الامتحانات حتي حصلت بعد أربع سنوات فقط علي الليسانس، فإنني ولدهشة جميع افراد اسرتي لم ارسب ولا سنة خلال سنين دراستي، والأكثر من ذلك انه قدمني للمحامي الذي يتولي اعمال شركته وهو من اكبر المحامين عندنا وألحقني بالعمل في مكتبه وقيدني في جدول المحامين المزاولين للمهنة تحت التمرين.

انقلبت حياتي يا سيدي بعد معرفتي بهذا الرجل مائة وثمانين درجة كاملة فقد أعاد لي ثقتي بنفسي واحترامي لذاتي، بل اعاد العلاقات التي كانت شبه مقطوعة بيني وبين والدتي واخوتي لتكرار رسوبي في كليتي العملية لما شاهدوا مدي انتظامي في دراستي الجديدة وانتظام مواعيد دخولي وخروجي واصبحت أحس بالأمان وأنا في ظله والاطمئنان النفسي وعدم الخوف من احد أو شئ، بل احسست بالنظافة ويا له من شعور رائع ان تشعر المرأة انها لرجل واحد يحبها وتحبه وليس جسدها مستباحا لكل من يدفع الثمن.

ولا تعجب يا سيدي فقد احبني الرجل وصار اكثر إخلاصا لي من اخلاصي له، حقا لقد كان ذلك في الظلام وفي الحرام ولكن بالتأكيد أفضل من حياتي الأولي.

وقد يجول في خاطرك سؤال يا سيدي وهو: مع كل ذلك الحب لماذا لم يتزوجني؟ لقد دار هذا السؤال في خاطري كثيرا وكان الشيطان يوسوس لي بأن سبب عدم اقترانه بي هو احتقاره لي نظرا للماضي المدنس ولكن سرعان ما اطرد هذه الفكرة من رأسي وأرجع ذلك لأسباب اخري منها فارق السن بيننا ومنها خوفه من زوجته شريكته في مشروعاته والتي تنتمي لإحدي أقوي عائلات محافظتنا ثراء ونفوذا. المهم عشت يا سيدي خمس سنوات كاملة شاركته فيها فرحه وحزنه، انتصاره وهزائمه، بل كنت ولا تندهش ياسيدي أسبق زوجته الرسمية في معرفة الأخبار السعيدة في حياته.

والآن تسألني يا سيدي: ما المشكلة؟ لقد بدأت المشكلة منذ نحو أسبوع، فقد فوجئت في أحد الأيام بصاحب مكتب المحاماة الذي أعمل به يستدعيني لمكتبه، وذهبت لمقابلته، وبعد السؤال عن أحوالي وخلافه، فوجئت به يسألني: هل تعرفين المحاسب فلان؟ وكان هذا المحاسب أحد المستثمرين الشباب، والذين يترددون علي مكتبنا لإنجاز بعض الأعمال من عقود وخلافه، وكان في نحو الثلاثين من عمره، ويتمتع بأدب جم وطموح شديد، وبالطبع دهشت للسؤال فاثنيت عليه لأستاذي فابتسم في سعادة، وهو يقول إنه قد تقدم لخطبتي منه وطالب منه معرفة رأيي فيه قبل أن أحدد له موعدا مع أمي وأخوتي لزيارتهم وطلب خطبتي رسميا، وذلك بعد أن لاحظ مدي التزامي وأخلاقي الحسنة وعائلتي الطيبة بعد السؤال عنهم، وأنه ـ أقصد أستاذي ـ يؤيد ذلك الطالب

بشدة، حيث إن هذا المحاسب يعتبره كابن من أبنائه، وهو من عائلة كبيرة، وصفاته رائعة، في المجمل هو عريس مثالي لا يرفض.

وأخرستني المفاجأة والجمتني عن الرد، ولكني تمالكت نفسي أخيرا، وطلبت من أستاذي مهلة للتفكير، وخرجت من مكتب الأستاذ والأرض تدور بي فلو تقدم هذا الشاب بالذات لأسرتي فلن استطيع رفضه فلقد نسيت أن أخبرك أنه خلال فترة الخمس سنوات السابقة تقدم لي أكثر من عريس رفضتهم جميعا بشتي الحجج، ولكن هذا الشاب لن أجد فيه عيبا واحدا استطيع أن أبني عليه رفضي.

المهم هاتفت حبيبي وطلبت سرعة مقابلتنا وفي عشنا أخبرته بالأمر، ويا الله أني لو عشت مائة سنة قادمة فلن استطيع أن أنسي هذا المنظر، هذا الجبل الأشم، هذا الهرم الشامخ وهو ينهار فجأة منخرطا في بكاء مرير، وهو يحتضنني بشدة، ويهذي بكثير من الكلمات لم أتبين منها، إلا أن حياته أصبحت مرتبطة ببقائي إلي جواره، وأن ذهابي إلي رجل آخر، هو إعلان لموته، واختلطت دموعه بدموعي، وأنا أخبره بصدق أنني لا اتخيل مطلقا نفسي مع رجل آخر.

ولم نستطع في هذه المقابلة مناقشة الأمر، وقبل أن أصل إلي منزلي كان حبيبي يهاتفني ويطلب مني أن أقابله في الغد، وفي هذا الموعد يا سيدي تحدثنا وتصارحنا كما لم نتحدث أو نتصارح من قبل، وعلمت منه أن السبب الوحيد لعدم اقدامه علي الزواج مني هو خوفه علي من انتقام أهل زوجته المفتريين مني هذا في حالة قبول أخوتي لذلك الزواج وأنه لا ينظر مطلقا إلي فارق السن بيننا أو إلي ماضي الملوث فماضيه أكثر تلويثا مني لأن الرجل الذي يحصل علي متعته بنقوده أكثر دعارة من الأنثي التي تقبض الثمن، وفي النهاية طلب مني يا سيدي الاختيار ما بين أمرين كلاهما أمر من الآخر الأول أن نستمر في حياتنا هكذا، والثاني أن كنت أريد الزواج والاستقرار فإنه علي استعداد للتقدم لإخوتي وطلب يدي رسميا وإعلان زواجنا للكل، ولو كان في ذلك تدميره المهم أن نبقي معا.

وتركته وعدت إلي المنزل ولم أنم ليلتها من كثرة التفكير فالاختيار الأول سيجعلني أستمر إلي ما لا نهاية في هذا الوضع الشائك، وأولا وأخيرا فهو وضع فيه ما فيه من اغضاب المولي عز وجل وخاصة بعد أن جاءت لي فرصة التطهر من كل الآثام والاستقرار والخيار الثاني هل هو الصواب، وهل زواجي بحبيبي فيه مصلحته ومصلحتي؟ وهل سيستطيع حقا مواجهة أسرته بخبر زواجنا؟، وهل رد الجميل من طرفي لهذا الرجل أن اتسبب في تدمير حياته بالزواج مني؟ ولم استطع الوصول إلي رأي أرتاح له حتي أزف موعد ذهابي إلي المكتب وهناك وجدت في انتظاري مفاجأة أخري أو قل كارثة أخري فقد علمت من الأستاذ أن(حبيبي) قد أصابته مساء أمس أزمة قلبية حادة وهو عائد إلي منزله، ونقل علي أثرها إلي العناية المركزة وحالته حرجة جدا.

سيدي: أنني الآن في مفترق الطرق فأنا لا أخفي عليك حقي في أن أعيش وأتزوج وانجب، ولكن حبيبي الذي لم يتحمل قلبه مجرد التفكير في تركي له هل سيتحمل هذا القلب زواجي من سواه؟ لو حدث له شئ فهل استطيع أن أحيا بعدها دون الاحساس بأني قاتلة؟.

: رد الكاتب

سيدتي: أتردد كثيرا في نشر مثل هذه القصص، التي يصر بطلها علي المعصية، لأني أحس أن الكلام معه }} غير مجد، فالحلال بين كما الحرام، والانسان الطبيعي عندما يذهب إلي الخطيئة، يتمني من داخله أن يبرحها ويدعو الله أن يغفر له، أما الذي يربط سعادته وحياته بالاستمرار في خطيئته فلن يلتفت إلي ما يدعوه للطريق الصواب.

ومع كل ذلك وجدت في حكايتك ما يستحق التوقف لعله يفيد الآخرين، كما تلمست رغبات متصارعة في داخلك قد تنقذك مما أنت فيه الآن.

دعيني أتوقف أولا مع مقولة والدك أبناء الشيبة يتامي تلك الجملة التي دفعته إلي الاسراف في تدليلك، وبالتالي انتقلت حالة التدليل من الأب إلي كل الأسرة، فهناك فارق كبير بين التدليل والاهتمام.. والأول هو الذي أفقدك مناعتك مبكرا وأنت مازلت في سنتك الأولي الجامعية، فوقعت في شباك مدرسك، في غياب أي رقابة أسرية لفتاة في مثل عمرك، تغادر مجتمعها الصغير المدلل، إلي عالم صاخب يختلط فيه شياطين الانس مع شياطين الأرض. استدرجك المدرس باسم الحب، وباسمه حصل علي كل ما يريد جملة ترددها البنات بعد فوات الأوان، فليس هذا هو الحب، وليس باسمه نمنح الآخرين ما يريدون، لأن الاصل في الحب هو أن يحصل كل منكما علي ما يريده من الآخر بمظلة شرعية وأخلاقية اسمها الزواج، وبدون هذه المظلة، ليس له أن يأخذ وليس لك أن تعطي، وغير مقبول تلك الصيغ الزائفة بأن تقولي إنك كنت يوما زوجته أمام الله.

سيدتي.. بدلا من أن تفيقي من غفلتك وتستغفري الله علي ما فعلت، استسلمت لواحدة من بنات إبليس ألم تفكري أنك ستصيرين واحدة منهن؟ ما الذي يدفع بنتا من أسرة طيبة أن تذهب إلي هذا الطريق؟ لم تعد المشكلة هنا في سذاجة فتاة انجرفت إلي الخطيئة باسم الحب، ولكن المأساة في فتاة قررت أن تحترف السقوط بمقابل؟ أتدركين إلي أي مستنقع ذهبت وعشت؟ اتدرين ـ لولا ستر الله ـ حجم الفضيحة التي يمكن أن تلم بأهلك؟

ألم تفكري لحظة واحدة ماذا لو سقطت في أيدي بوليس الآداب وألقي بك في السجن؟

سيدتي ها أنت تخرجين من المستنقع ولكن إلي أين؟.. إلي مستنقع خاص، ترين سعادتك الآن مع رجل واحد يحبها وتحبه، وليس جسدها مباحا لكل من يدفع الثمن.. سترك الله ولم تقدري معني وقيمة هذا الستر، الذي قد يكون سترا لأسرتك.. أليس جسدك مباحا لهذا الرجل وهو يدفع لك الثمن؟

ألا ترين أنها نفس الخطيئة ولكنك تبحثين عن مبررات لاستمرارها؟

علي مدي خمس سنوات وأنت ترفضين العرسان بحجج مختلفة، ألم يكن لديك مبرر واحد للخروج من هذا الوحل؟

تقولين إنه خشي عليك إن تزوجك من أسرة زوجته، أو لم يكن من الأجدي أن يتزوجك سرا طوال هذه المدة؟

سيدتي: لا أريد بكلماتي السابقة أن أقسو عليك ـ مع أنك تستحقين القسوة ـ ولكني أتمني أن تري واقعك الذي تعيشينه حتي تتخذي قرارك الصحيح.

فليس من المعقول ولا المقبول أن ينحاز تفكيرك طول الوقت إلي هذا الرجل، صحته، أسرته، أمواله، وأنت أين؟.. لقد أخذ هذا الرجل كل حقوقه، من زوجة وأولاد وثروة، ثم امرأة في الحرام، مقابل ماذا؟ أنفق عليك في التعليم، وهل كانت أسرتك عاجزة عن هذا؟ منحك الحب؟ وهل الزواج كان يعيق هذا؟

تسألينني عن رأيي، وأقول لك بدون تردد: اقطعي صلتك بهذا الرجل فورا.. طهري نفسك من الدنس، وقدري خطيئتك الكبري، واستغفري الله كثيرا.. فإذا كان صادقا فيما قاله لك فليتقدم إلي أسرتك طالبا الزواج منك، فالله أحق بالخشية، لا الزوجة والعائلة الكبري، أما إذا لم يفعل فلا تقبلي هذا المستثمر الذي يريد الزواج بك، لأنك غير أهل لمثله الآن، استعيدي نفسك أولا

عودي إلي فطرتك وطهارتك، وحققي ذاتك في العمل، وعندما تشعرين بأنك تلك الفتاة الشريفة التي تستعظم الخطأ، وأن الله تاب عليك وغفرلك، ولهذا أمارات ستعرفينها في وقتها.. في تلك اللحظة سيأتيك الانسان المناسب لك، غفر الله لك ولنا وتاب علينا جميعا

===

المفاجأة السارة

أنا شاب في السادسة والعشرين من العمر من مدينة ساحلية، بدأت حكايتي عندما تعرفت علي فتاة من مدينة ساحلية أخري عن طريق الأقارب لكي تشاركني حياتي وتحمل اسمي، وقد جذبني اليها جمالها الفتان ورقتها وهدوءها، وفي خلال شهور قليلة تمت الخطبة وكان حبي لها يزداد يوما بعد يوم وتوطدت العلاقة بيننا لدرجة ان اصبحنا لا نستطيع ان نفترق، وظلت حياتنا هادئة وجميلة إلي أن فاجأني ذات يوم ألم لا أستطيع ان أصف لك ولايستطيع ان يتحمله أي إنسان، فأصرت حبيبتي علي أن نذهب إلي طبيب ولكني رفضت ان أذهب معها.. وبعدها تكرر هذا الالم كثيرا، وقررت ان أذهب الي الطبيب ولكن دون علم أحد، وذهبت فعلا الي الطبيب وطلب مني بعد الكشف ان اجري بعض التحاليل والاشعة ثم ذهبت اليه بعد ذلك بالتحاليل والاشعة، وسرعان ماتغيرت نبرة صوته عندما رأي الاشعة وقال لي الاشعة تبين شيئا في البروستاتا أعتقد انه ورم، ومن الضروري ان نجري عملية جراحية لمعرفة كنه هذا الشيء، ثم كتب لي بعض المسكنات والأدوية وخرجت من عيادة هذا الطبيب وكل همي هو كيف ابلغ حبيبتي بحقيقة مرضي، وترددت كثيرا في ان اصارحها بأي شيء خوفا من أن أخسرها، وقررت ان اقول لها اني لا أنجب لأني مريض بالعقم فقط، فردت علي فتاتي بابتسامة رقيقة مفيش حاجة في الدنيا تقدر تبعدني عنك فارتاح قلبي كثيرا بهذا الكلام وأخذت الأدوية والمسكنات التي كانت احيانا تأتي بنتيجة واحيانا لاتفيد وكانت محبوبتي هي الوحيدة التي تعرف عني هذا الالم.

وفجأة دبت مشاجرة بين عائلتي وعائلة محبوبتي واتفقت عائلتي علي ان يفسخوا الخطبة، ولكني تحديت أبي وأمي والدنيا كلها لكيلا أفسخها، وكانت علاقتي بيني وبين عائلتي تسوء يوما بعد يوم وحالتي النفسية تزداد سوءا والالم يتوحش وعجزت المسكنات عن السيطرة عليه وخسرت عملي وخسرت كل شيء واستسلمت لمرضي ومشاكلي وعجزت عن حل مشاكلي مع عائلتي ولكني قررت ان أبوح بالحقيقة كلها لحبيبتي وفعلت واسعدني انه قد ازداد تمسكها بي أكثر وأكثر.

غير اني سألت نفسي بعد ذلك لماذا أظلمها معي؟ لماذا اربط مصيرها بمصيري المحتوم؟! وبعد تفكير طويل اخذت القرار وكان بمثابة سكين غرست في قلبي، وفسخت الخطبة ولا استطيع ان أصف لك حزني وتعاستي، وكان الشيء الوحيد الذي كان يصبرني علي هذا العذاب هو أني كنت اتصل تليفونيا بحبيبتي كل يوم لكي اطمئن عليها، وكانت هي أيضا تتصل بي لتطمئن علي وظلت الدبلة في يدي وكانت حيرة أبي وأمي تزداد يوما بعد يوم لاستسلامي فجأة هكذا.

وفي ذات يوم ازداد علي الالم بطريقة لاتحتمل ولم أستطع الاتصال بحبيبتي في هذا اليوم وكان أول يوم لا أسمع فيه صوتها منذ عرفتها، واتصلت بها اليوم التالي لأعاتبها علي عدم اتصالها والاطمئنان علي وإذا بها تبرر عدم اتصالها بقولها أنا اتخطبت فصدمت صدمة شديدة، ولم أستطع ان اكمل كلامي معها وأغلقت السماعة وانقطعت الاتصالات بيننا. وأشار علي أخي الذي يعيش بالخارج منذ١٨ سنة ان أذهب إليه في زيارة لكي اريح اعصابي وفعلا بعث الي بالدعوة وحضرت اوراقي وسافرت ومكثت هناك مايقرب من سبعين يوما، وفي خلال هذه الفترة تعرفت علي طبيب مصري فأخذت رأيه في حالتي الصحية، فأشار علي أن اجري بعض الفحوص والتحاليل

والاشعة وكنت متأكدا ان النتيجة واحدة، ولكن رحمة ربك قد وسعت كل شيء فلقد أكد لي هذا الطبيب انه ليس بالبروستاتا ورم وإنما كيس دهني ومع الوقت يكبر وهو الذي يسبب لي هذا الألم، وحدد هذا الطبيب مع أخي موعدا للعملية الجراحية لإزالة هذا الكيس الدهني والحمد لله اجريت لي العملية بنجاح واعتبرت هذه معجزة إلهية ومن وقتها اختفي الالم ولم يعاودني مرة اخري.

ثم أعطاني بعد ذلك علاجا للإنجاب وكانت حالتي تتقدم بصورة ملحوظة وسريعة، وأكد لي هذا الطبيب انني سوف أنجب وكان أول شيء فكرت فيه هو أن اتصل بحبيبتي لكي تسامحني وترجع لي مرة اخري، وفعلا اتصلت بها لكي أبشرها وأطلب منها العودة ففوجئت تقول لي انها لاتريد ان ترجع لي مرة أخري واغلقت السماعة! فأصبت في الحال بنزيف من أنفي بسبب ارتفاع ضغط الدم ونقلت الي المستشفي ومكثت فيه يومين واخذت عهدا علي نفسي ألا اعاود الاتصال بها مرة أخري، لكني لم استطع ان افي بالعهد وعاودت الاتصال بها وأغلقت السماعة في وجهي عندما سمعت صوتي مرة اخري

وعدت الي وطني ولم يعاودني الالم مرة اخري والحمد لله، ثم استقررت في العاصمة عندما عدت الي الوطن وأقمت مشروعا أنا وبعض زملاء الجامعة وهو والحمد لله، ينجح ويكبر يوما بعد يوم والان سوف اقيم مشروعي الثاني بمدينتي الساحلية وكل هذا بفضل دعوات أبي وأمي لي.

وفي النهاية فإني أتمني ألا يتسرع بعض الأطباء في الجزم بتشخيص الامراض الخطيرة دون روية ودون فحوص كافية، فلقد تسبب تشخيص متسرع لطبيب في تغيير مجري حياتي وحرماني من السعادة مع الفتاة التي ارتبطت بها والي فسخ خطبتي لها. ولا أملك في النهاية إلا ان اقول حسبي الله ونعم الوكيل.

ولكاتب هذه الرسالة اقول:

لا تأس علي ما فاتك.. واسعد بما تكشفت عنه ازمتك الصحية من مفاجأة سارة لك في النهاية، وبابتعاد الخطر عنك الآن والحمد لله، اما فتاتك السابقة فلقد طوت صفحتها معك وبدأت صفحة جديدة مع غيرك وتريد مواصلتها حتي النهاية، ولايستطيع احد ان يلومها علي ذلك لأنك قد بادرت بفسخ خطبتها بغير ان توضح لها اسباب ذلك. فلا تمتهن نفسك في محاولة استعادتها او استكمال المشوار السابق معها، فلقد اختارت حياتها بإرادتها.. ومن حقك انت ايضا ان تختار حياتك الجديدة بلا حرج، ولسوف يضع الله سبحانه وتعالي في طريقك من تنبه مشاعر الحب والعطف في قلبك تجاهها.. وتكون تعويض السماء لك عما كابدت من آلام، أما عتابك للطبيب الذي تسرع في التشخيص فغير مجري حياتك، فلقد فهمت من رسالتك أنه قد تشكك في وجود ورم وطلب اجراء فحوص وتحاليل عديدة لتحديد كنهه، لكنك فيما يبدو أهملت ذلك او تخوفت منه، ولو كنت قد اجريت هذه الفحوص في مصر لكشفت لك عن نفس المفاجأة السارة.. فاسعد اذن بنجاتك من الخطر وبنجاحك العملي. وتذكر دائما قول الإمام علي بن ابي طالب رغبتك في زاهد فيك مذلة نفس، وزهدك في راغب فيك نقصان حظ والسلام.

===

المشـــوار الطويـل

أكتب إليك لأروي لك قصتي عسي أن يستفيد بها بعض قرائك، وأبدأ بأن أعرفك بنفسي، فأقول لك أنني سيدة في منتصف العمر.. نشأت في أسرة متوسطة مستورة، وكان أبي ـ رحمه الله ـ أستاذا بأحد المعاهد الأزهرية، وأمي مدرسة ثم ناظرة بالتعليم الاعدادي، ولي أخوان يصغرانني، وقد عشت طفولة سعيدة إلي حد كبير بالرغم من تشدد والدي في تربيتنا، حيث كان يؤمن بأن الشدة مع الأبناء تزيدهم صلابة وتعدهم لمواجهة الحياة، وأنهيت مراحل تعليمي كلها بتفوق وكذلك فعل شقيقاي، وقبل تخرجي بشهور تقدم لي شاب يمت بصلة قرابة بعيدة لأبي، ويعمل محاسبا بهيئة كبري، وعرضت علي أمي الأمر فلم أستطع أن أبدي فيه رأيا محددا لأني لا أعرف هذا الشاب ولم ألتق به، وعلي عكس تشدد أبي معنا فقد كان لا يفرض علينا شيئا في اختيارنا لنوع الدراسة أو في اختياراتنا لحياتنا، فصارحني بأنه يوافق كأب علي هذا الشاب من الناحية العائلية والاخلاقية، لكنه يدع لي حق الاختيار بحرية.. ثم نصحني بأن أعطي نفسي الفرصة لأتعرف عليه من خلال زياراته لنا قبل اتخاذ أي اجراءات رسمية، وبالفعل تردد علينا هذا الشاب عدة مرات وجلست معه في الصالون تحت أنظار أبي وأمي، وانتهيت إلي الارتياح إليه.. بل والاعجاب به أيضا، فلقد بدا أمامي انسانا جادا وصادقا وراغبا في السعادة.، وصارحني في أول أو ثاني لقاء بأنه يفضل أن تتفرغ زوجته لحياتها العائلية وبيتها وألا تعمل، وصادف ذلك هوي قديما في نفسي فوافقته علي رأيه، وخطبت إليه.. وتزوجنا بعد عام من الخطبة، وجهزني أبي للزواج ولم يبخل علي بشيء في حدود قدرته..

وبدأت حياتي الزوجية مع زوجي.. ووجدت فيه انسانا طيبا إلي أقصي حد، ويبحث عن الأمان والاستقرار.. ويساوره دائما شيء من الخوف من المستقبل، وفهمت منه أن ذلك يرجع إلي نشأته كطفل يتيم حيث رحل عنه أبوه وهو في الخامسة من عمره.. وعانت أمه كثيرا لتربيته وحماية ميراثه عن أبيه من أطماع أعمامه.. وزادني ذلك حبا له وعطفا عليه. ووضعت حملي الأول، فكان طفلة جميلة سعد بها زوجي سعادة تفوق الوصف، وأصبح لا يكاد يغادر البيت بعد عودته من العمل لكي يقضي معها أطول وقت ممكن.

وبعد عامين وضعت حملي الثاني فكان بنتا أيضا وبقدر فرحتي بها فلقد ساورني شيء من القلق أن يكون زوجي قد خاب أمله في أن ينجب ولدا، لكنه لم يشعرني لحظة واحدة بذلك، وبالغ في اظهار فرحته بالطفلة الجديدة. وقال

لي إنه يريد أن يكتفي بهاتين الطفلتين.. ولا يريد الإنجاب ثانية لكي يستطيع توفير أفضل الظروف لهما..، ووافقته علي ذلك.. لكني في أعماقي تمنيت أن أنجب ولدا يحمي أختيه ويحمل اسم أبيه..، وبعد عامين حملت من جديد ولم يعترض زوجي علي حملي ارضاء لي.. وأنجبت فإذا بي أنجب بنتا ثالثة.. وبكيت حين علمت ذلك، فنهرني زوجي قائلا لي إن البنات يعمرن البيوت.. وأن من يربي ثلاث بنات ويحسن تربيتهن ويعلمهن دينهن يدخل الجنة..، وتأكيدا لفرحته احتفل بسبوع المولودة الثالثة احتفالا صاخبا دعا إليه أبي وأمي وشقيقي وكل أفراد العائلة..

ومضت بنا الحياة هادئة وجميلة.. والزهرات الثلاث يملأن حياتنا بالبهجة والسرور والشواغل اللذيذة.. وترقي زوجي في عمله وانتدب للعمل في دولة عربية من هيئته لمدة عامين فرافقناه خلالهما، ورفض أن يتركنا وراءه، لأنه لا يطيق البعد عن زوجته وبناته.. وازدادت الحياة يسرا فاشترينا سيارة مستعملة.. وشقة صغيرة بالإسكندرية نقضي فيها اجازاتنا، وبعد فترة أقامت الهيئة التي يعمل بها زوجي مشروعا لبناء شاليهات تعاونية بالاسماعيلية فاشترينا واحدا منها بالتقسيط علي عشر سنوات..، وواصلت البنات التعليم حتي وصلت الكبري إلي نهاية المرحلة الابتدائية والوسطي إلي الثالثة الابتدائية، والصغري إلي الصف الأول الابتدائي، ثم سقط زوجي فجأة مريضا بمرض مزمن، وخيم القلق والخوف علي حياتنا لأول مرة، ودخلنا دوامة العلاج والأزمات المرضية الحادة ودخول المستشفيات لمدة عام طويل.. ثم رحل زوجي الحبيب عن الحياة وعمره لا يتجاوز الرابعة والأربعين.. وأنا في السادسة والثلاثين من العمر واسودت الدنيا أمام ناظري..

وبعد أن غادرنا الأهل والمعزون.. جلست لأفكر في المستقبل.. ووجدت معاش زوجي لا يكفي لنفقات حياتنا، فقررت أن أواجه الواقع بغير الاستعانة بأحد.. وتذكرت شدة أبي رحمه الله معنا ونحن أطفال، وكيف كان يقول أنه يعدنا بها لمواجهة الحياة، واتخذت عدة قرارات أقسمت أن ألزم نفسي بها في المرحلة المقبلة. وألا أتهاون أبدا في تنفيذها.. أولها ألا أتزوج مرة أخري بعد زوجي وألا أمد يدي إلي أحد مهما كانت الظروف والأحوال، يستوي في ذلك شقيقاي وخالي وعما بناتي.. وثانيها بيع السيارة ووضع ثمنها في البنك بنصيب البنات ونصيبي ليساعدني عائده علي استكمال نفقات حياتي.. وثالثها اخراج بناتي من مدرسة اللغات وإلحاقهن بمدرسة حكومية وتعويض فارق المستوي بالمذاكرة لهن في البيت.. ورابعها الابقاء علي شقة الإسكندرية وشاليه الاسماعيلية لكي يساعدني ثمن بيعهما مستقبلا في تجهيز البنات للزواج حين يجيء الآوان، مع محاولة الاستفادة منهما خلال ذلك بتأجيرهما من حين لآخر لزيادة الدخل، أما أهم القرارات فهو ألا يعلم أحد من أهلي أو أهل زوجي بما يدور في حياتنا حتي ولو عشنا علي الخبز الحاف.. وأن نحرص دائما علي أن يكون مظهرنا لائقا أمام الجميع

. وتحقيقا لهذا الغرض اشتريت ماكينة خياطة وحصلت علي عدة دروس في التفصيل ولم تمض شهور حتي كانت كل ملابسنا المنزلية وبعض ملابس الخروج من تفصيلي.. وأصبحت مهمتي الأساسية في الحياة هي أن أوفر لبناتي أفضل الظروف الممكنة في حدود قدرتي.. وأن أجعل أيامهن سعيدة بقدر الإمكان لكيلا يشعرن بيتمهن وحرمانهن.. وكلما لاحظت ملامح الانكسار علي وجه إحداهن ضاعفت من محاولاتي لارضائهن وتحقيق رغباتهن البسيطة، وفي الليل أخلو إلي نفسي في حجرة نومي وأنظر إلي صورة زوجي الراحل وأستعيد ذكرياته.. ومداعباته.. ونظراته المتعلقة بي دائما وحبه لي ولبناته وتسيل دموعي..

وتوالت الأيام.. بعضها حلو وأكثرها مر، ومرت بي مشاكل كثيرة، وفي احدي الفترات ضاقت علي الحياة فإذا بي ـ أشعر بنقمة مفاجئة علي زوجي لأنه تركني لأحمل هذا الهم الثقيل وحدي.. وإذا بي أشعر أيضا ـ أستغفر الله العظيم ـ بما يشبه السخط علي أقداري وأتساءل لماذا كتب علي هذا العناء؟.. وفي قمة ضيقي وجدتني أتوقف عن الصلاة مع أني أواظب عليها منذ نعومة أظافري، وأنظر إلي المشوار الطويل الذي ينتظرني لكي تصل البنات إلي بر الأمان ويتخرجن ويتزوجن وتنتهي أعبائي، فأجده مشوارا بعيدا يصعب علي بعض الرجال أن يقطعوه فكيف أقطعه أنا، وأنا المرأة الضعيفة؟ ومتي أضع حملي الثقيل عن كتفي وأستريح؟

وضاعف من حنقي أنني سافرت بالقطار إلي الإسكندرية لأسلم مفتاح الشقة لمستأجر يشغلها شهور الصيف علي أن أرجع لبناتي علي الفور، فشاهدت الشواطيء مزدحمة بالسيدات والفتيات الضاحكات اللاهيات، ووجدت المستأجر عريسا سيقضي مع عروسه٣ أشهر في الإسكندرية.. وتعجبت لنفسي حين كان يجيء وقت الصلاة فأجدني جالسة في جمود ولا أتحرك للوضوء، وشملت مشاعري السلبية كثيرين مع أن أهلي لم يقصروا معي منذ وفاة زوجي، وكانوا دائمي السؤال عني وزيارتي، وكثيرا ما عرض علي عما بناتي خدماتهما.. بل ومساعدتهما المادية فشكرتهما واعتذرت لهما، وكذلك فعل مرارا خالي وشقيقاي.. واعتذرت لهم.. فلماذا إذن هذا السخط؟

وفي هذه الظروف زارتني فجأة عمتي المقيمة بالأقاليم، وهي سيدة طيبة ومباركة، وقد جاءت محملة بخيرات الريف كعادتها، وقالت لي إنها رأتني في الحلم مرتين وحول رقبتي حبل ضيق، فشعرت بالقلق علي وقررت زيارتي، فما أن قالت لي ذلك حتي انفجرت في البكاء وارتميت علي صدرها. وراحت هي تمسح علي رأسي وظهري وتتمتم بآيات القرآن الكريم، حتي هدأت نفسي، وحكيت لها عما أشعر به من اختناق وضيق وسخط.. فهدأتني وطلبت مني إحضار منقد البخور لأنها احضرت لي نوعا جيدا منه.. واحضرته فوضعت عليه البخور وفاح شذاه في الشقة، فشعرت بشيء من الارتياح ثم أخذتني من يدي إلي الحمام وطلبت مني الوضوء ففعلت ورجعت بي إلي الصالة وأقامت الصلاة وأنا إلي جوارها فقرأت بصوتها الخاشع: إن الذين قالوا ربنا الله ثم

استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ماتدعون. نزلا من غفور رحيم فلم أشعر بدموعي وهي تنساب رغما عني طوال الصلاة.. وبدأت أخرج من حالتي السيئة علي يدي عمتي الطيبة التي ألححت عليها ألا تسافر في اليوم التالي كما أرادت وأن تقضي معنا بضعة أيام، وعدت إلي الصلاة بانتظام وقراءة القرآن كل ليلة قبل النوم، وإلي حب زوجي بلا سخط عليه لأنه لا ذنب له في شيء.. وتقبلت أقداري واستغفرت الله العظيم فيما سلف..

وقد تسألني ولماذا لم يفكر أحد من أهلك في ترشيحك للزواج من رجل يشاركك تحمل مسئولية بناتك وحياتك.. وجوابي هو أنني قد حسمت هذه المسألة منذ البداية بألا أستطيع أن أتخيل نفسي زوجة لرجل آخر عدا زوجي الراحل، ولا أستطيع أن أضع بناتي تحت رحمة أحد غيري ومع ذلك فإن أهلي لم يكفوا طوال السنوات التالية لرحيل زوجي عن ترشيح الأزواج لي.. ولا عن تدبير لقاءات الصدفة بيني وبين بعض المرشحين إلا بعد أن تيقنوا من أنني لا أرغب بالفعل في الزواج.

وكان عزائي دائما هو أن بناتي متفوقات في الدراسة ومهذبات وجادات لا يعرفن العبث ولا يخرجن إلا معي في زيارات للأهل أو للشراء، كما أنهن جميعا يجدن أعمال المنزل.. ويشاركنني في شئون البيت. وقد أسعدني كثيرا أن أسمع من جاراتي وأقاربي ثناءهن علي حسن تربيتهن وأدبهن والتزامهن الديني والخلقي.

ويوما بعد يوم، وشهرا بعد شهر تقدمت البنات في العمر والدراسة ودخلت كبراهن كلية البنات، ولحقت بها الابنة الوسطي بعد عامين ووصلت الصغري إلي الثانوية العامة، وفي هذه الفترة كشرت ظروف الحياة عن أنيابها وكثرت المطالب والنفقات، فحملت كل ما أملكه من مصاغ وبعته واستعنت بثمنه علي مطالب الفتيات. وتحملنا شظف الحياة عدة سنوات أخري حتي تخرجت الكبري وعملت، والوسطي وعملت، وبلغت الصغري السنة الثالثة في كليتها، وجاء دور الكبري للزواج فجاءني زميل لها يطلب يدها.. وتأكدت من ترحيبها به فصارحته بأنني قد خصصت لكل بنت مبلغا من المال للمساعدة في زواجها، ولن أستطيع أن أقدم لها ما هو أكثر منه.. فأكد لي أنه يتمسك بها لأخلاقها وتربيتها وليس لأي شيء آخر..، وجاءت اللحظة المنتظرة فسعيت إلي بيع الشاليه وشقة الإسكندرية وجهزت ابنتي بنصيبها، وزفت إلي زوجها في ليلة سعيدة، وتنهدت بارتياح وهي تمضي إلي جوار عريسها إلي عشها الجديد، ولم يمض أكثر من عام حتي كنت أقضي ليلتي في المستشفي لأستقبل مولودها الأول وحفيدي، ولم تمض شهور أخري حتي تكررت نفس القصة مع ابنتي الوسطي وتزوجت زميلا آخر لها وانتقلت إلي بيتها معززة مكرمة..

وفي الصيف الماضي تخرجت ابنتي الصغري، وكانت فرحتي بتخرجها وانتهاء مشوار الدراسة في حياتي غامرة وعصيبة واختلطت فيها الدموع بالضحكات، وقبل أن تعمل جاءني خاطب لها علمت أنها تريده وأسعدني أنه جاهز للزواج في أقرب فرصة، فلم أضيع الوقت وسحبت المبلغ المخصص لها وجهزتها.. وزفت إليه وفي ليلتي الأولي التي أقضيها وحدي في شقتي بعد زواج آخر البنات.. تذكرت يوم رحل عني زوجي وكبري بناتي في الحادية عشرة من عمرها وصغراهن في الخامسة وكيف تساءلت متي ينتهي مشوار تربية هؤلاء البنات وتعليمهن وتزويجهن؟.. وكيف أقدر عليه وأنا امرأة وحيدة بلا زوج ولا سند؟..، وتذكرت كل لحظة عناء مرت بي، وكل ضائقة بكيت لها من القهر وأنا أشعر بالعجز عن تلبية بعض طلبات البنات الضرورية كشراء بعض كتب الدراسة، أو شراء حذاء جديد أو حقيبة يد أو ساعة، ناهيك عن حلق ذهبي أو أنسيال أو ملابس العيد، أو رسوم رحلة ليوم واحد مع الكلية.. الخ.

وبالرغم من أنني أعيش وحدي الآن إلا أنني لاأشعر بالوحدة ولا بالملل، فلقد ملكت وقتي وحياتي أخيرا بعد طول انشغالي بمعركة الحياة..، وأعيش حاليا بنصيبي من معاش زوجي بعد انقطاع نصيب البنات لزواجهن، ونصيبي الشرعي من ثمن الشقة والشاليه، ويومي يبدأ بثلاثة اتصالات تليفونية من بناتي نتحدث خلالها عن كل شيء وقد تستشيرني احداهن فيما تقدمه لزوجها علي مائدة الغداء.. أو في شراء بعض الملابس أو إصلاح أحد الأجهزة المنزلية، أو أي شأن من شئون الحياة، وقد يتكرر الاتصال عدة مرات في اليوم، ثم أعد طعامي وأرتب شقتي وأخرج في العصر للمشي والفرجة علي الفاترينات وشراء احتياجاتي، وبعض احتياجات البنات نيابة عنهن، وأعود قبل الظلام،فإذا بقي وقت قضيته في القراءة والصلاة ومشاهدة التليفزيون أو في طهو شيء للبنات يحببنه لإرساله إليهن.. ولا أنام إلا بعد تلقي اتصال المساء من بناتي وتتمني كل منا للأخري أن تصبح علي خير، وكلما وقعت عيني علي صورة زوجي الراحل أقول له في سري: اطمئن لقد قمت بواجبي تجاه بناتك وبناتي! وفي يوم الجمعة يجتمع الأحباب كلهم في بيتي وحول مائدتي.. ويملأ حفيدي الدنيا علينا بهجة وصخبا، وقد أصبح لي أنا المحرومة من إنجاب الذكور ثلاثة أبناء شباب يحبونني وأحبهم، يعرضون علي دائما خدماتهم وفي النهاية أقول لكل من تضيق عليه الحياة، ويستصعب ظروفه الآن أن الفرج لابد أن يأتي ذات يوم لمن صبر وكافح بإخلاص في الحياة، وأن طول المشوار ينبغي له ألا يزرع اليأس في نفوسنا.. ويجب ألا نفقد أبدا ايماننا بالله سبحانه وتعالي، وأن نستعين به علي تخطي الصعاب وتحمل الظروف القاسية إلي أن تتحسن الأحوال، ولقد كنت قد فكرت أن أكتب إليك هذه الرسالة تعليقا علي بعض قصص الكفاح في الحياة التي قرأتها في بريد الجمعة عقب

زواج ابنتي الصغري مباشرة، لكني شغلت بإعادة ترتيب حياتي بعد زواج البنات إلي أن جاءت اللحظة المناسبة لأكتب لك فيها هذه الرسالة.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

يقول بعض الحكماء انك إذا ضللت الطريق في الصحراء فلا تستسلم لليأس والقنوط، لأنك إن فعلت ذلك فلقد قضيت علي نفسك بالهلاك، وإنما واصل السير في خط مستقيم، فان لم تصل إلي الغاية المنشودة فلسوف تصل علي الأقل إلي نقطة أفضل من تلك التي توقفت عندها حين اكتشفت انك قد ضللت الطريق!

وهكذا الحال مع الانسان في كل ظروف الحياة إن توقف وسلم بالعجز واليأس لم يبلغ الغاية، وإن واصل السير برغم المشقة بلغ واحته المرجوة ولو بعد حين، وإذا استهول الطريق شك في قدرته علي قطعه واستسلم للقنوط ونكص عن مواصلة المشوار.

لهذا فمن الأفضل دائما أن نواصل السير علي الدرب المؤدي إلي أهدافنا في الحياة مهما عانينا من أشواك الطريق وعثراته وصخوره، وأن نؤمن دائما بأن عناية الله ترعانا وسوف تهدينا إلي غايتنا ذات يوم جزاء وفاقا لصبرنا وكفاحنا الشريف وسعينا لتحقيق غايات نبيلة في الحياة كتربية الأبناء وتعليمهم وتنشئتهم علي الدين والخلق والفضيلة.. إذ من أحق بعون الله سبحانه وتعالي له ممن يسعي بلا معين لتربية أبنائه وتقديمهم للحياة مثلا حية للقيم الأخلاقية والدينية.

كما أن واجبنا ألا نركز أنظارنا علي نهاية الدرب فنراها بعيدة عنا بعد الأرض عن السماء، ويدفعنا ذلك لليأس من الحياة، وانما علينا أن نحدد لأنفسنا أهدافا قصيرة المدي كعلامات الطريق بالنسبة للمسافر كلما بلغ احدها ازداد حماسا للوصول إلي ما بعدها.. وهكذا حتي يصل في النهاية إلي آخر الدرب، فالاهتمام بالنهاية البعيدة خلال الرحلة الطويلة لا يحفزنا علي مواصلة السير والعطاء وإنما يفت في عضدنا ويغرس الإحباط في نفوسنا، ولقد كان السير بادن باول مؤسس حركة الكشافة العالمية يقول: حين نفكر في المستقبل يزداد احساسنا بهموم الحياة، وكتب الفقيه الدستوري الكبير عبد الرزاق السنهوري ذات يوم قائلا: ما تعبت لشيء في الحياة كما أتعب حين أفكر في المستقبل!

ولقد ذكرني تساؤلك الحسير حين اشتد بك الضيق فتساءلت متي ينتهي مشوار تربية هؤلاء البنات الثلاث وتعليمهن وتزويجهن بقصة جميلة لكاتب إنجليزي معاصر عن ثلاثة أشخاص يائسين من الحياة التقوا علي غير موعد فوق جسر لندن الشهير في ظلام الليل، وقد جاء كل منهم مهموما بمشاكله ووقف فوق الجسر ينتظر خلوه من المارة لكي يلقي بنفسه في مياه النهر، ويرقب بحذر شرطي الحراسة لكيلا ينتبه إلي غرضه فيلقي القبض عليه ويفسد خطته، وفي انتظار خلو الجسر من المارة، أشعل كل منهم سيجارة وانتظر حتي خلا المكان من المارة لكن الضوء الخافت المنبعث من سيجارة الرفيقين الاخرين أزعج كلا منهم لإشارته إلي وجود شخصين في المكان ينتظر انصرافهما.. ولما طال الانتظار تنبه كل منهم فجأة إلي أن الآخرين ربما يكونان قد جاءا إلي الجسر لنفس الغرض، ويضيق الجميع بالانتظار ويقرر كل منهم أن يطلب من رفيقيه الابتعاد لكي يستطيع تنفيذ خطته، في ظلام الليل؟! ويقترب الثلاثة من بعضهم بعضا، ويسأل كل منهم الآخر عن سبب وجوده في هذا المكان ويعترف كل منهم للآخر بالسبب الحقيقي لوجوده ويرجو صاحبيه الانصراف بهدوء ليستطيع الانتحار، ونكتشف أن الأول شاب عاطل طالت فترة بطالته وتأخر في دفع إيجار شقته وفواتير الكهرباء والماء، ويئس من تحسن الأحوال فقرر الانتحار، وأن الثاني مريض بمرض مزمن ويئس من الحياة، وأن الثالث كهل متزوج من زوجة شابة تخونه مع شاب مثلها ولا يجرؤ علي مواجهتها بالخيانة ولا علي الانفصال عنها فيقرر الانتحار، ويتعاطف الثلاثة مع بعضهم بعضا.. ويكتشف كل منهم أنه قادر علي مناقشة مشاكل رفيقيه بمنطق مختلف عن منطق اليأس الذي ناقش هو نفسه مشاكله به، فيتفقون علي تأجيل الانتحار يوما واحدا يعيدون خلاله التفكير في مشاكلهم بروح جديدة، وأن يعطوا للصباح فرصة أن يطلع عليهم فلربما حمل إليهم بصيصا من الأمل في حل مشاكلهم..

وينصرف الثلاثة علي موعد للالتقاء فوق الجسر في العاشرة مساء الغد، ويلتقي الشاب العاطل مع الكهل المخدوع في اليوم الثاني في نفس المكان، ويصارح الشاب رفيقه أنه اكتشف أن صاحب البيت الذي يشكو منه ليس بالقسوة التي كان يتصوره عليها، فلقد تفهم ظروفه ووافق علي إمهاله فترة طويلة لدفع الإيجار المتأخر، وصارح الكهل الشاب بأنه قد نظر إلي مشكلته نظرة جديدة وأدرك أن الغدر هو عار الغادر وليس عار المغدور به، وأن حبه المذل لزوجته الخائنة ليس بالقوة التي كان يظنه عليها، ولهذا فهو يستطيع التخلص منها ولسوف يفعل ذلك في أقرب فرصة، ويتنبه الاثنان فجأة إلي أن رفيقهما الثالث لم يأت إلي موعده.. ويطول انتظارهما له دون جدوي فيدركان أنه لابد قد رجع بعد انصرافهما وألقي بنفسه في النهر.. ومات، أما هما فلقد نجوا من الموت لأنهما قد أعطيا الصباح فرصته لكي يحمل لهما شيئا من الأمل في تغير الأحوال إلي الأفضل ذات يوم.. وهكذا مات من استمسك بظلام الليل ونجا من تطلع إلي نور الصباح، كما نجوت أنت من ظلام اليأس والسخط حين استرددت ايمانك بنفسك وعدت إلي ربك، وانتظمت من جديد في الصلاة وتخلصت مما ألم بك في احدي مراحل العناء من سخط علي أقدارك وظروفك، فأعانك الله سبحانه وتعالي علي أداء رسالتك علي أكمل وجه.. وحقق لك كل ما تمنيت لزهراتك الثلاث من نجاح في الدراسة وسعادة في الحياة بإذن الله.

===

المشهد الكئيب

كتبت لك ذات مرة منذ أربع سنوات ولم تحظ رسالتي وقتها بالنشر.. أو لعلها لم تصل إليك، وأكتب إليك الآن لأستشيرك بعد أن تطورت الأمور خلال هذه الفترة، فأنا شاب شهدت حياتي أحداثا ميلودرامية كثيرة منذ صغري، ففي سن السادسة اكتشفت أن الرجل الذي أظنه أبي ليس كذلك، وإنما هو زوج أمي.. وبدأ عقلي الصغير يتساءل عن أبي الحقيقي وأين هو.. ولماذا أعيش بعيدا عنه ويعيش بعيدا عني؟!. ومع اقتراب انتهاء سن حضانة أمي لي بدأت أتساءل عما سيكون عليه حالي حين أنتقل إلي بيت أبي.. وهل ستقسو علي زوجته كما تقسو جارة لنا علي بنات زوجها أم ستترفق بي الأقدار وتكون أكثر رحمة منها.؟! وانتقلت إلي بيت أبي فتحققت كل مخاوفي السابقة وشهدت من قسوة زوجته علي الكثير، حتي لقد أرغمته علي أن يرسلني للعمل كصبي في الحقول بالرغم من أنه ناظر مدرسة وليس في حاجة لأجري، وبالرغم أيضا من تدليلها الزائد علي الحد لأطفالها لم أملك سوي الصبر والأمتثال، وحين بلغت السنة السادسة الابتدائية رجعت للإقامة مع أمي وأدركت أن زوجها كان أكثر رفقا وحنانا بي من أبي بالرغم من ضعف موارده.. وتعلمت أعمال الكهرباء وصيانة الأجهزة خلال دراستي لأوفر بعض نفقاتي.. وفي الثانوية العامة كان الجميع يتلقون الدروس الخصوصية وأنا أعتمد علي نفسي فقط وأعمل إلي جانب الدراسة.. والتحقت بالجامعة وباعت أمي مصاغها لتوفر لي النفقات الضرورية.. وتوفي أبي فحصلت علي نصف معاشه وكان مبلغا وقدره١٤ جنيها! ولم أحصل من ميراثي عنه سوي علي الفتات لأن عمي وقف إلي جوار زوجة أبي ضدي.. ومضت الأيام في طريقها فماتت زوجة أبي التي ظلمتني ومات عمي الذي ساندها ضدي غفر الله لهما، وحصلت علي شهادتي الجامعية وعملت بالتدريس وسافرت للعمل بإحدي الدول العربية لمدة عام واحد، ورجعت إلي عملي كمدرس في بلدي.. وعملت إلي جانب التدريس بأعمال الديكور وساعدت أمي في تعليم أخوتي من زوجها الذي رحمني صغيرا ردا لجميله علي وبدأت أفكر في تكوين أسرة صغيرة، فعرض علي خالي فتاة من معارفه، تقدمت لخطبتها وهي في عامها الأخير بأحد المعاهد العليا.. وتمت الخطبة وعقد القران بعد أسبوع واحد وبدأت أستعد لتأثيث عش الزوجية فإذا بي اكتشف حجم المشاكل القائمة بين والدة خطيبتي وأبيها.. وإذا بي أصدم بعد قليل بأن أمها قد هجرت بيت الزوجية وأخذت كل أثاثه معها، وانتقلت للإقامة في المدينة التي يقيم فيها أخوتها، وعرفت أن زوجها عاد من عمله إلي البيت فوجده علي البلاط خاليا من كل شيء وتخوفت مما قد يحمله لي المستقبل من متاعب إذا كانت هذه الأم هي القدوة بالنسبة لابنتها وفكرت جديا في فسخ الخطبة وكتبت لك حينذاك أستشيرك هل أواصل المشوار أم أتوقف قبل البداية لكن خطيبتي زارتني سرا في بيتي أكثر من مرة وتحدثت إلي طالبة مني عدم طلاقها وأكدت لي أنها ليست كأمها في شيء.. وأنها تحرص علي حياتها وزوجها فاسترحت لذلك وواصلت المشوار.. وبدأت بعد قليل أعاني تسلط أم خطيبتي واعتيادها فرض إرادتها علي زوجها فطالبتني بأن يكون بيت الزوجية في المدينة التي تقيم فيها مع اخوتها لتكون ابنتها بالقرب منها.. لكني رفضت أن أعيش في مدينة لا أهل لي فيها ولا عمل، وتمسكت بما تم الاتفاق عليه من قبل فأرهقتني في اختيار أثاث عش الزوجية وخيرتني بين شراء أثاث باهظ الثمن أو طلاق ابنتها.. وتدخل خالي لحل المشكلة وتم شراء المطلوب بالرغم من المغالاة فيه وتم الصلح بين والدة زوجتي وزوجها ورجعت إلي بيت الزوجية وتزوجت وأنجبت طفلا.. وبدأت بعد فترة قصيرة أشكو من إهمال زوجتي لي والتصاقها الزائد بأمها.. فهي تغادر البيت منذ الصباح الباكر وتذهب إلي بيت أمها.. وتبقي فيه حتي منتصف الليل ثم ترجع إلي النوم.. وأعود أنا من عملي في العصر فلا أجد لي طعاما ولا زوجة ولا أسرة، وأعاتبها في ذلك.. فتقول لي: ولماذا لا تخدم نفسك وتعد لك طعامك كما كنت تفعل في الغربة؟ وتزايدت المشاكل وكلها بسبب خروجها إلي بيت أمها بدون رغبة مني أو إذني إلي أن رجعت إلي البيت ذات يوم فوجدت شقة الزوجية علي البلاط، وليس فيها سوي أوراق الجرائد المتطايرة! ووقفت أمام هذا المشهد الكئيب مذهولا.. وتذكرت مخاوفي من أن تكرر زوجتي ذات يوم فعلة أمها مع أبيها وسلوكها معي.. ولم أتمالك نفسي فحررت لزوجتي محضر سرقة شهد عليه جيراني، ورفعت عليها قضية طاعة.. وأنا الآن لا أدري ماذا أفعل؟.. هل أطلق زوجتي أم أتركها كما هي إلي أن تنتهي سن حضانة طفلي وأسترده منها خاصة وقد علمت أنها تقول له إن أباه الذي هو أنا.. قد مات!

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

كان لهواجسك من احتمال تكرار هذا المشهد الكئيب في حياتك الزوجية ما يبررها بالفعل حين ترددت في إتمام الزواج قبل أربع سنوات، لكنه لا أحد يستطيع أن يلومك بالرغم من ذلك لمضيك في مشروع الارتباط إلي غايته بعد أن طلبت منك خطيبتك وقتها ألا تطلقها وألا تحكم علي أخلاقياتها وفهمها للحياة الزوجية بسلوك أمها، فالحق أنك لم تكن تستطيع إلا الاستجابة لرجائها بالرغم مما للقدوة السيئة من أثر غير منكور في مثل هذه الأحوال، إذ كان مطلبها عادلا ويتفق مع صحيح الدين الذي يقول لنا إنه لا تزر وازرة وزر أخري، كما يتفق أيضا مع المنطق الذي يطالبنا بألا نصدر أحكامنا علي الآخرين قبل أن نختبرهم بالتعامل الشخصي الحميم معهم.. فضلا عن أنه كثيرا ما يكون التمزق العائلي للابن أو الابنة بين أبوين غير متفاهمين دافعا إضافيا لكل منهما للحرص علي حياته الزوجية حين يتزوج لكيلا يكرر مثال التعاسة الذي عايشه عن قرب في حياته بين أبويه، تماما كما قد يدفع الحرمان المادي الشديد في الصغر من عاناه حين يتوفر لديه المال إما إلي الحرص الزائد عليه تقديرا لقيمته

المغالي فيها لديه وخوفا من عودة شبح الحرمان أو إلي الإسراف في إنفاقه والاستهانة بقدره تعويضا لجفاف السنين السابقة، ومع أن البعض يقولون إن اضطراب الحياة العائلية للابن أو الابنة يرشحه لعدم الاستقرار في حياته الزوجية بأكثر مما يرشحه للحرص الشديد عليها فإن منطق الأمور كان يفترض العكس من زاوية مهمة هي ميل الإنسان الطبيعي إلي أن يتفادي الألم الذي خبر قسوته من قبل، وأن يجنبه أيضا لأعزائه. ولهذا السبب فإن تكرار المشهد الكئيب في حياتك لا يثير عجبي بقدر ما يثيره دفعك أنت لعلاقتك بزوجتك إلي طريق اللاعودة بمبادرتك علي الفور بتحرير محضر في الشرطة ضدها.. ومقاضاتها قبل أن تبذل أي جهد للإصلاح بينك وبينها ذلك أنني كنت أتصور أنك ستكون أكثر حرصا علي عدم هدم الجسور كلها بينك وبينها من أول بادرة علي هذا النحو ليس تمسكا بها ولا أملا فيها.. وإنما بسبب أكثر أهمية من ذلك وهو ألا تكرر أنت مع طفلك الصغير قصتك السابقة في التمزق بين أبوين منفصلين يرتبط كل منهما بآخر.. وينتقل بينهما الطفل المعذب، وقد يلقي سوء المصير مع زوجة أب قاسية أو زوج غير رحيم.

وإلا فما قيمة التجربة وخبرة الألم إذن إن لم نتعلم منها أن نحمي أعزاءنا مما تجرعناه نحن من تعاسة وشقاء وحرمان، إن المبادرة بالسلوك العدائي من جانب زوجتك بتكرار المشهد الكئيب لا ينبغي له ـ بالرغم من إدانتي الشديدة له ـ أن يدفعك للرد بسلوك عدائي مماثل كما فعلت وإنما أرجو أن يدفعك إلي التفكير أولا في مصير هذا الطفل الحائر.. ومحاولة رأب الصدع وجبر الكسر قبل أن يتعذر الإصلاح، فإذا نجحت في ذلك فلقد حميت طفلك مما خبرت من قبل مرارته، وإذا فشلت الجهود فلقد أرضيت ضميرك ولم تقصر في حق ابنك، أما التصعيد الفوري للخلاف علي هذا النحو فليس مما يدع مجالا للتصالح أو رعاية الحرمات وحماية الروابط العائلية.

==

المسخ

عديم الاخلاق... هل تعلمون ان معنى هذه الكلمة شديد البشاعة لدرجة ان اى انسان طبيعى لو ادرج حقيقة المعنى لتقيأ معدته بما فيها

صدقونى ليست مبالغة بل الحقيقة اكثر مرارة وبشاعة

ولاثبت لكم اسمعوا قصتى

لقد نشأت فى اسرة تحسب على الطبقة المتوسطة ميسورة الحال بشكل عام واعترف بان اسرتى هى اول من بدا تشويه اخلاقى ربما بسبب الاختلاف الكبير بين ابى وامى فامى كانت تمنعهنى من سماع الاغانى لانها حرام وارى ابى خلسة يشاهد افلام اباحية ولكن اعترف ايضا اننى المسئول الاول والاخير عن كل جرائمى وعما آل اليه حالى فقد وهبنى الله عقلا متفتحا راشدا منذ سن صغيرة ولكننى انا من عصيته وقررت سلوك الاطريق الملتوى والعجيب ان كل من يعرفنى سوى نفسى يعتقد اننى مثال يحتذى به فانا شاب متدين هكذا يظننى الناس احافظ على الصلوات امام الناس فقط احفظ ثلث القرآن تقريبا ولكن قلبى كالحجر لايفقه شيئا ملم بالكثير من علم الفقه والحديث رياضى وحاصل على بطولات لاادخن لاننى لا احب رائحته وان كنت احيانا ادخن الحشيش مع اننى لا احبه ايضا جامعى ومثقف واجيد الانجليزية بطلاقة وبعض الفارسية وسيم ذو ملامح طفولية لا يتخيل انسان ماخلفها من الوحشية والسادية. هذه باختصار الصورة التى يرانى عليها الناس اما الحقيقة التى لا يعرفها سواى فقد بدات جرائمى منذ السادسة مثلا كنت اسرق نقود امى ثم اضعها فى اغراض اختى التى تصغرنى بعام واترك المسكينة تعاقب بلا ذنب واستمتع بحب امى التى تعتقد اننى الافضل لديها وحتى الان فامى تحبنى اكثر من باقى اخوتى واذكر اننى لم اتجاوز السابعة عندما بات الهو بجسد ابنة الجيران مقلدا الاباحية التى شاهدت ابى يطالعها وعندما صرت مراهقا ومنحنى جسدى القوة استفحل الامر جربت ان اكون بلطجيا على الضعفاء واذيت الكثيرين وجربت ان اكون لصا واقتحمت الكثير من البيوت والسيارات

اه نسيت ان اخبركم اننى حصلت على حرية اكبر عندما تسببت فى طلاق ابى من امى بلهو من نوعية لهوى مع اختى حتى اختى كنت اتحرش بها اثناء نومها كل هذا بلا سبب او دافع حقيقى سوى الرغبة فى ان اكون شيطانا لم يكن هناك مبرر للسرقة او للتحرش باختى كنت احصل من امى على كل ما اريد ووهبنى الله وجها جميلا ولسانا ساحرا استخدمتها الاستخدام الاسوأ فاوقعت الكثيرات فى شراكى منهن ماكانت تستحق ما فعلت بها ومنهن من لم تستحقه ولا اذكر ان احداهن لم افضحها امام زوجها او اهلها ثم وجدت رغبة ولذة اخرى فى التحرش فكنت اسافر الى محافظة مجاورة فى ايام الاعياد والمناسبات وبالتحديد فى محطة القطار حيث الزحام الشديد كنت انتظر الطالبات العائدات ولا توجد كلمات دنيئة بقدر افعالى لاعبر بها عما كنت افعله بهؤلاء السرقة..الكذب..الزنا..النفاق..الفتنة..الاحتيال.. الا القتل لم اقتل الفتيات على كل اعتقد اننى لم اترك ذنبا او ولكننى اشبعت رغبتى من هذه ايضا بقتلى قطة اختى بدم بارد كما يقولون لن انسى ابدا نظرة هذه القطة عندما كنت اقتلها اما ابشع ما ارتكبته واكثره فهو الاغتصاب لا اذكر متى قررت ان كل امراة تلبس ما يثرنى تستحق ان افعل بها ما اشاء اذكر اننى كثيرا عندما كنت انتهى من عملى وانا ناجح به بالمناسبة ابدا التجول فى الشارع مثل الذئب حتى اعثر على تلك المسرورة بجمال وجهها وسخونة جسدها فاعتبرها النعجة وبعد المراقبة والمتابعة ان كانت تسكن بمفردها او مع اسرة صغيرة فقد صارت فريسة لا استطيع تحديد عدد من اغتصبت بدقة ولكن ليس اقل من عشر

اذكر بعض الاساليب احيانا كنت اطرق الباب ببساطة عندما اتأكد من وجودها بمفردها فاذا فتحت الباب سألت عن اى اسم او حتى بدون ان انطق بكلمة ادفعها داخلا واغلق الباب ولم تكن توسلاتها ودموعها والدماء من جروحها تزيدنى الا نهما وشراسة ولكن المتعة هى هدفى الاساسى ولكن الم الضحية قمة متعتى كانت عندما اسكب الالم بداخلها الما سيظل داخلها حتى تموت هذا بالاضافة لانواع لايتخلها انسان من الشذوذ والتعذيب مارستها مع هؤلاء الضعيفات فى الوقت نفسه كانت حبيبتى وهى جميلة ذات نسب تظل ملاكا شديد الادب والرومانسية فأسكب فى اذنيها شعرا وغزلا ويحمر وجهى اذا امسكت كفى صدقونى لست مريض بل اكثر بكثير وحتى اصل الى منتهى عدم الشفقة اتبعت خطة جديدة بعد احدى المرات التى فوجئت فيها بشخص لم اتوقعه.داخل بيت ضحيتى ولم افلت سوى بحسن الحظ وغيرت هذه الحادثة من استراتيجيتى بعدها صرت اراقب حضانات الاطفال فقط واختار الام الجميلة المتعرية ذات الرضيع الواحد وبعد المراقبة الجيدة ومعرفة المواعيد تفاجأ بى ضيفا ثقيلا على شرفها وقد استمتعت اكثر مع هذه النوعية لم اكن بحاجة للضرب والتقييد فقد اهدد رضيعها بسكين (ساقطع اصبعه ان لم تنزعى ملابسك) وبالطبع فكلهن يرضخن لكامل رغباتى الشاذة تحت انين عاطفة الامومة وحقيقة لا ادرى لو ان احداهن رفضت هل كنت ساقطع اصبع الرضيع ام لا احيانا اتصور نفسى لعنة هابطة من الجحيم ولكنها لعنة عمياء تصيب بلا هدف ولا سبب حتى انها احيانا تصيبنى انا لقد تبت نعم تبت تماما منذ سنتين تقريبا لم اؤذ اى مخلوق احس بحنين للايام الماضية ولا ادرى ان كنت ساستطيع المواصلة ولكننى عازم على الانتحار ان انهارت مقاومتى سانتحر قبل ان اؤذى انسانا اخر اه نسيت ان اخبركم اننى اكتشفت اننى لست الشيطان الوحيد الذى يعبث بالمدينة فهناك واحد اخر على الاقل واحد استغل غيابى واغتصب زوجتى وقتل ابنتى

الخلاصة... اننى اردت ان اقدم النصيحة ربما تكون نصيحة الشيطان ولكنها مفيدة لكل انسان وكل شاب اترك اى شئ ولكن اياك ان تترك الاخلاق وستجدها فى قلب الدين وان تركتها فثق بانك مجرد ذئب او كلب ضال فى غابة واسعة

والى كل فتاة عليك بالاخلاق والحشمة واحفظى نفسك من الازحام وعيون الذئاب...الى كل امراة تفتح الباب لغريب لاتفتحيه...والى كل من تقف على عتبة بابها تبحث عن مفتاحها تأكدى ان لااحد خلفك واتلى كل مدرسة وكل اسرة قتلت الاخلاق فى ابنائها لن يقتصر الامر على رجال اعمال قتلة او محامين ووكلاء نيابة فاسدين او مفترين وسيتجاوز الامر موظفين مرتشين او ضباطا مدمنين واطباء هوايتهم الدعارة فساد الاسرة والمدرسة سيخلق مسوخا ستأكل هذا البلد وتحرقه ولن يطرف لهم جفن

تعليق المحرر

نحيت هذه الرسالة جانبا عندما وصلتنى على البريد الالكترونى منذ اسبوع فيها شئ ما لا يريحنى يثير فى الشك فى الوقت نفسه كان احساس غامض يعيدنى اليها فأقرؤها من جديد ثم اقرر تجاهلها لاعود اليها مرة اخرى فى البداية شعرت انها رسالة مفبركة ليس لها ظل من الحقيقة قد تكون التسلية هدف كاتبها وكثيرا ما صادفنى هذا النوع من الرسائل وبالخبرة المتراكمة فى هذا المجال استبعدها من النشر وكان الاحتمال الثانى هو ان كاتبها لجأ الى هذا الاسلوب لهدف اخر بعيد فى نفسه وهو تحذير النساء من العرى او الخروج الى المناطق المزدحمة ولا مانع من رصد كثير من السلبيات فى المجتمع ولأن الحديث عن عذاب الاخرة لم يعد يؤتى اكله قد يكون فى هذا الترويع ما يكفى

لم اصدق او اقتنع بأن بيننا انسانا يجمع بداخله كل هذه السفالات يرتكب كل هذه الجرائم بلا قلب او ضمير ثم يعلن بكل برود واستعلاء انه تاب الله يقبل التوبة لمن عصى واخطأ فى حقه سبحانه وتعالى ولكن حقوق العباد من يعيدها اليهم وهل تكفى النهاية التى كتبها الشيطان الذى يقدم لنا نصائحه بحكاية اغتصاب زوجته وقتل ابنته ليؤكد لنا ان عدالة السماء قد اقتصت للضحايا متناسيا ان نصائح الشيطان لن تقود البشر الا الجحيم كل هذا كان يدفعنى الى اهمال تلك الرسالة ولكن الاحساس الغامض الذى كان يعيدنى كلمات هذا المسخ الانسانى جعلنى افكر بطريقة اخرى وهى وجود احتمال ضئيل جدا بصدق هذه الرسالة خاصة ان المراة فى مجتمعاتنا قد تتعرض للاغتصاب وتخفى الجريمة خوفا من حساب المجتمع القاسى لها من سيسمع لها ويصدقها ويتعاطف معها ومن يضمن عقاب الجانى اذا ضبط اصلا وهل هى التى ستدفع الثمن وحدها ام عائلتها بأكملها؟ ألا نرى فى حياتنا مسوخا ادمية ترتكب ابشع الجرائم حتى ألفناها واصبحت شيئا عاديا؟ هل يمكن للنشر ان يكشف عن الضحايا يشجعهم على الاعتراف هل يمكن ان يقودنا الى المجرم هل يمكن لنا ان نرى فى تاريخ هذا الشيطان ما ينير لنا الطريق فى سلوكيات الاباء والامهات مع ابنائهم فى الفصل بين الابناء فى المضاجع فى الحيطة فى الطريق والمنزل ربما لقد نشرت الرسالة وها هى بين ايديكم فلتشتركوا معى فى حوار مفتوح وليسامحنى من آذته كلمات الشيطان وهو يعلن توبته ويسدى إلينا بنصائحه

===

المستجير

قرات رساله نوافذ الاستشهاد في بريد الجمعه الاسبوع الماضي وقرات بتمعن شديد الرد الذي تفضلت بالرد بكتابته علي هذه الرساله، ولا اخفي انني قد اصابني الذهول من التحامل علي الرجل كاتب الرساله ام اقول الجور عليه، ولا ادري هل سيكون مناسبا ان اقول في هذا المقام:

كالمستجير من الرمضاء بالنار والمستجير بعمر عن كربته

هذا الرجل الذي لجا اليكم في محنته فاذا به يفاجا برد قاس ينفي عنه كل حميده ويلصق به كل نقيصه، وانا لا اقول ان الرجل لم يخطيء، فهو قد اخطا في رايي خطاين، ولكني قبل ان اذكر خطايه فاني اود مناقشه ردكم علي الرساله نقاشا هادئا ارجو ان يتسع صدر سيادتكم له.

لقد قمت يا سيدي باتهام الرجل بانه قد اباح لنفسه كل شيء ولم يمنح زوجته اي حق انساني، وانه لم يتذكر الا حقوقه هو، ويالهول هذه التهم، فهي تودي بصاحبها الي التهلكه، وحقيقه الامر وحسب ما جاء في الرساله ان الرجل قد اعترف بجميل زوجته عليه ولم ينكر فضلها ابدا ولم يجحده، بل شكر لها هذا الامر سنين طويله، وتفهم عصبيتها التي زادت بعد الانجاب نتيجه لما تعانيه في تربيه اطفالهما الثلاثه، ولم يستبد بامر الشركه رغم ان ظروف زوجته وانشغالها بتربيه الاطفال ربما كانت تتيح له ذلك

فقد استشارها في امر شركه ارمله صديقه ووافقت علي ذلك، ولما حدث ما حدث وقامت زوجته باكتشاف قدر من العلاقه التي بين الرجل وبين زوجته الثانيه وثارت ثائرتها وخيرته بين نفسها وبين هذه المراه، لم يتردد بان اختار زوجته ام اولاده وفضلها علي اي شيء اخر واستجاب لمطالبها حقيقه وليس ظاهريا بان انهي الشركه التي بينه وبين زوجته الثانيه، مع ابقائه علي زواجه منها لاقتناعه بانه يستطيع التوفيق بينه وبين زواجه الاول، فاين هذه الامور كلها من الاتهامات التي لصقت به

اباح لنفسه كل شيء ولم يمنح زوجته اي حق انساني، وانه لم يتذكر الا حقوقه؟!! فقد راعي الرجل شرع الله في زوجته وادي واجبه نحوها وكان نعم الزوج كما كانت هي نعم الزوجه، ولا استطيع ابدا ان احكم علي الرجل وبحسب ما جاء في ثنايا الرساله انه انتقي من الشرع ما يوافق هواه فقط وترك منه ما يلزمه بواجبات تجاه زوجته.

نعم لقد ضحت زوجته من اجله تضحيه عظيمه بدايه من وقوفها بجانبه لاتمام الزواج ومرورا بمساعدتها اياه في عمله بمشورتها وبمالها وبتحملها عجزه عن الانجاب او ضعف احتمالاته بشكل طبيعي، وموافقتها علي اللجوء الي الحقن المجهري حتي يتم الانجاب، ولكن هل يعني هذا كله ان هذه الزوجه الفاضله اصبحت تمتلكه ملكيه خاصه تصل بها لان تمنعه مما احله الله له؟ نعم قد يكون من غير المناسب في حاله ما اذا كان للزوجه فضل كبير علي زوجها الا يتزوج باخري امعانا في حفظ الحق وتقديرا لها وذلك نظرا لما قد يصيب المراه من ضرر جراء هذا الزواج الثاني

ولعل هذا استرشاد بموقف الرسول صلي الله عليه وسلم في زواجه بام المومنين خديجه رضي الله عنها فلم يرد النبي عليه افضل الصلاه والسلام ان يتزوج باخري وهي علي قيد الحياه، لعل هذا بسبب ما قامت به من الوقوف بجانبه وقت الشده وتصديقها له في بدايه الرساله ومساعدتها له اثناء الدعوه ماديا ومعنويا، ولكن هذا كله من باب الفضل وليس الزاما علي الرجل الا يتزوج باخري في هذه الحاله، ومن ثم فقد يوجه لصاحب هذه الرساله نصيحه فيما يتعلق بزواجه باخري بان يقال له ان زوجته تستحق ان يضحي من اجلها ويتنازل عن المباح له من اجلها، ولكن لا يحق لاحد ان يوجه اليه لوما او عتابا.

سيدي.. لقد اخذت اكرر الجمله التي ذكرتها ليس من حقك ان تتزوج باخري مرارا وتكرارا، وحاولت ان اقلبها علي جميع الوجوه ولم استطع ان اقول عنها اقل من انها تحمل تجاوزا كبيرا، ولم اجد في السطور اللاحقه مما ذكرت تاييدا لها باي وجه كان، فعندما اقول لشخص انه ليس من حقك ان تفعل شيئا ما فهذا يعني بلا شك ان هذا الشيء محرم عليه. نعم التعدد مباح وليس واجبا ولم يقل احد بغير ذلك، وقد اوصي الرسول الكريم بالنساء خيرا، وهذا ايضا لا يويد هذه الجمله الخطيره، اما عن حق الزوجه الاولي في طلب الطلاق اذا احست بضرر لا تستطيع تحمله وليس اي ضرر، فالغالب ان الزوجه الاولي سيصيبها ضرر من الزواج باخري ولكن هذا ليس كافيا، فلابد ان يكون الضرر لا تستطيع تحمله فلها ان تطلب الطلاق، وفي هذه الحاله لا يكون ثمه خطا علي الزوج طالما التزم بشروط التعدد المعروفه والظاهر من الرساله ان الرجل قد التزم بها ويكون في الزوجه الاولي التي لم تستطع تحمل الضرر الذي لم ينتج الا عن مجرد الزواج باخري فقط وليس لاي سبب اخر يكون ذلك نقصا في ايمانها.

اما عن خطا الرجل كاتب الرساله، فلعله قد اخطا في رايي خطاين: اولهما انه حين اراد ان يستخدم الرخصه التي اباحها الله له وهي الزواج باخري، لم يكن صريحا ولجا الي علاقه في الكتمان وان انطبق عليها وصف الزواج الصحيح، فلماذا يلجا الي المداراه في شيء احله الله ويسمح به، فكان ينبغي عليه منذ البدايه ان يكون صريحا مع نفسه ومع زوجته وان يتحمل الاثار التي قد تنتج عن ذلك سلبيه كانت ام ايجابيه، ولعل اللجوء الي الطرق الخفيه في هذا الموضع من الاسباب التي تسقط من قدر الرجل امام زوجته وتهتز بسببها صورته امامها.

اما عن الخطا الثاني فهو يتمثل في هجره لزوجته وعدم اقترابه منها قرابه عامين بعد ان عرفت شيئا عن العلاقه بينه وبين زوجته الثانيه، فانني وان كنت اري ان زوجته مخطئه في ذلك وان غضبتها ليست لسبب شرعي يبرر

لها ذلك، ولكن هذا لا يبرر بحال هجرها والبعد عنها، فالخطا لا يرد عليه بخطا مثله، فكان ينبغي عليه ان يتحمل ويحاول معها مرارا وتكرارا لعلها تلين مره اخري، وهذا من مقتضيات قوامه الرجل التي يغفل عنها كثير من الرجال، فلا يذكرون اذا ذكرت القوامه الا ما يتعلق بطاعه الزوج، ولعل هذا الامر هو الذي يمثل النظره الذكوريه السلبيه السائده بين الرجال وليس النظره الذكوريه التي عنيتها في اخر الرد علي الرساله.
سيدي.. اناشدك بالله ان تعيد النظر فيما تفضلت بكتابته ردا علي تلك الرساله، وليكن شرع الله عز وجل هو المقدم قبل اي شيء اخر، ثم تاتي بعد الاراء الشخصيه والانطباعات، ولنكن قوامين لله شهداء بالقسط، فلا شك ان قراء هذا الباب والمتاثرين به اكثر من ان يحصوا، والكثير منهم ينظرون للرد علي انه الحل الصحيح النهائي الشافي والوافي للمشكلات التي ترد في هذا الباب.

==

المسائل

استكمالا لرسالة الدائرة الضيقة التي تحكي قصة الطبيبة الشابة التي توفت والدتها إثر مرض خبيث ثم توفي زوجها الشاب.. مما دفعها لأن تعيش بعده في حدود ضيقة وقاسية، فلقد حدثت لي نفس الأحداث الجسام في حياتي تقريبا فضلا عن أن زوجي الحبيب قد رحل عني تاركا لي ثلاثة أطفال بين الثامنة والثالثة وغرقت في أحزاني حتي كرهت الأحزان نفسها لما أصابتني به من آلام نفسية وجسدية واكتئاب وتأثير علي أطفالي وخلافه..
وقد أثارت هذه القصة في نفسي شجوني وأستأثرت باهتمامي فعندما قرأت تعليقكم عليها وجدته يعدها بتعويض المولي عز وجل لها بزوج آخر يؤنس وحدتها ويملأ عليها الحياة، وفي قسوة وحدتي وظروف حياتي أحسست أن الأمر لا يفرج من شدته فعلا إلا ذلك الحل أو هذا الطريق.
ولكني أريد أن أتساءل عن موقف الراحل الحبيب في النفس في حالة الزواج بعده وهل تعد ذكراه خطأ في حق الزوج الجديد، وهل استمرار الدعاء له وأداء الصدقات علي روحه والاعتمار والحج له وكل الأشياء التي نعرف أنها تفيد الموتي بعد الرحيل هل تصبح حراما في وجود حياة جديدة؟! وهل بهذه البساطة نلغي من وجداننا أعز ما نملك ويحرم علينا التفكير فيه وهل يمنع زواجي الجديد إذا حدث أن أكون زوجة لوالد أبنائي في الجنة، حيث سمعت أن الزوجة في الجنة لآخر أزواجها في الدنيا؟! أعتذر للإطالة في الاستفسار لكنها أمور تؤرقني وأرجو أن تهتم بها، ومسألة أخري هي الأطفال الأيتام وهل إذا تمت تربيتهم مع أمهم فقط آمن لأنفسهم وتكوينهم أم أن وجود الأب البديل الزوج الثاني في حياتهم أصح نفسيا أم لا؟!
ومسألة ثالثة: إن ابتلاء الله سبحانه وتعالي لنا وصبرنا علي البلاء يجزينا الله عنه خير الجزاء برحمته تعالي، فما جزاء الأطفال الذين يخرجون للدنيا محرومين من الأب أو الأم وهم مازالوا تحت سن الإدراك أو الحساب وماذا أعد الله لهؤلاء من جزاء بعد هذا الحرمان الكبير؟!
لست أدري إن كان كلامي واضحي بشكل كاف أم أنه مضطرب مثل كياني الآن بعد رحيل أعز الناس عن الدنيا فجأة؟!
ولكاتبة هذه الرسالة أقول:
الوفاء لذكري الزوج الراحل والدعاء له وأداء الصدقات والاعتمار أو الحج عنه كل ذلك لا يتناقض مع الاخلاص للرجل الذي ترتبط به الزوجة من بعده وليس فيه خيانة لعهده.. وإنما هو من شيم أهل الفضل والوفاء، لكنه من الحكمة أيضا أن تتجنب المرأة استثارة غيرة زوجها الجديد بالحديث المتصل أمامه عن الزوج الراحل.. أو عقد المقارنات معه أو إشعاره بأنه مهما فعل فلن يبلغ بعض هامته أو يحقق لها بعض ما حققه الزوج الراحل.. لأن ذلك كله يتنافي مع الطبيعة البشرية التي تفضل دائما أن يشعر الرجل بأنه بؤرة الاهتمام الأولي لدي امرأته، وأنه لا يشاركه في وجدانها شريك وتستطيع الزوجة أن تظل علي وفائها لزوجها الراحل وتتصدق عنه، وتترحم عليه بغير أن تجهر بذلك أمام زوجها.. خاصة إذا لمست استياءه منه. ولقد ظل الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه وفيا لذكري زوجته الأولي السيدة خديجة رضي الله عنها بعد رحيلها وحتي انتقل هو إلي جوار ربه.. وقد غضب من السيدة عائشة رضي الله عنها ذات يوم حين نوهت بدافع الغيرة الإنسانية إلي أنها لم تكن سوي امرأة عجوز وقد أبدله الله خيرا منها.. فظهر الغضب علي وجهه وقال لها ما معناه: والله ما أبدلني الله خيرا منها فلقد آمنت بي حين كفر بي الجميع، وواستني بمالها حين حرمني الجميع، وأنجبت لي الولد. فأما رفقة الزوج الراحل في العالم الآخر فلقد جاء في بعض الفتيا أن الأزواج يلتقون في الآخرة إذا كانوا صالحين وأما نشأة الأطفال في أسرة أمومية الطابع أي تكون ربتها هي الأم وحدها لرحيل الأب أو الانفصال عنه.. فإنها قد تحقق أهدافها المنشودة إذا اتبعت الأم أصول التربية السليمة وأعانها ربها علي رسالتها، لكنها ليست الاختيار الأفضل لهؤلاء الأطفال، وخير منها بكل تأكيد الأسرة الطبيعية التي يتشارك فيها الأبوان في رعاية الأبناء والحدب عليهم. ولقد يكون الأب البديل إذا كان صالحا ويرعي حدود ربه أفضل للأطفال الصغار من انفراد الأم وحدها بالمسئولية عنهم. والحكمة البوذية القديمة تقول إن الطفل بلا أب كالبيت الذي بلا سقف، لاشيء يحمي سكانه من وهج الشمس أو مطر الشتاء، وأما جزاء الأطفال الصغار من حرمانهم من أبيهم في صغرهم.. فكبير أيضا يا سيدتي ولقد يسوقه الله سبحانه وتعالي إليهم في الدنيا أو يدخره لهم في الآخرة أو يجزيهم عنه خير الجزاء في الدارين. فتماسكي يا سيدتي لكي تستطيعي القيام بمسئوليتك الإنسانية عن أبنائك.. والله المستعان دائما علي كل أمر عسير.

==
المسافات البعيدة
أنا شاب في الخامسة والعشرين من عمري، انفصل أبي عن أمي وأنا طفل صغير عمره عامان. وانتقل أبي إلي محافظة أخري ونقل عمله وحياته إليها وتزوج في مستقره الجديد وأنجب.. وعشت أنا مع والدتي وجدتي وكرست أمي كل اهتمامها وحياتها لرعايتي وتربيتي..
وعاما بعد عام بدأت أستوعب حقيقة ظروفي.. وعرفت أبي من خلال زيارته السنوية لي في العيد ليوم واحد كل سنة.. وعلمت منه أن لي ثلاثة أخوة وأختا لم أرهم ولم أعرفهم بعد.. وشعرت خلال طفولتي بإحساس غريب من الحرمان للشعور بعدم وجود الأب في حياتي.. والحرمان من الأخوة.. وكثيرا ما تمنيت أن يكون لي أخ أو أخت نلعب معا ونذاكر دروسنا سويا ونتبادل العطف والاهتمام كما يفعل الأخوة في بقية الأسر، وحين بدأت مرحلة الشباب شعرت برغبة قوية في أن أقترب من أخوتي المجهولين وأعرفهم، وفكرت كثيرا في السفر إليهم في محافظتهم البعيدة.. وأن أقدم نفسي لهم وأكتسب صداقتهم ونتبادل الزيارات ونلغي المسافات البعيدة التي فصلت بيننا.. وكثيرا ما تخيلت الموقف حين ألتقي بهم ويرونني لأول مرة.. وتمثلت في خيالي صورة اللقاء الحار بيننا.
وذات يوم فاتحت أمي بما أشعر به وبرغبتي هذه وتوقعت أن تشفق علي من وحدتي في الحياة.. ففوجئت بها تغضب غضبا شديدا وتثور علي ثورة عارمة وتنهرني عن التفكير في مثل هذا الأمر مرة أخري وبعنف لم أعهده منها من قبل. وشعرت بالحزن الشديد لذلك.. وصرفت تفكيري عن هذه الرغبة بالفعل لكنها عادت تلح علي من جديد وتشغلني فالتقيت بخالي الذي أعلم أن له منزلة كبيرة لدي أمي وحدثته عن شعوري ورغبتي في التعرف علي أخوتي، وتعاطف خالي معي وتحدث مع أمي وأقنعها أن من حقي بالفعل أن أعرف أخوتي فوافقت علي مضض علي أن أقوم بزيارة بيت أبي وأسرتي ولم أصدق نفسي حين علمت بموافقتها واعتزمت السفر إليهم في صباح اليوم التالي.. ولم أستطع النوم من شدة انفعالي بالزيارة المرتقبة.. وسافرت إلي أبي وأخوتي، وسر أبي بزيارتي له سرورا كبيرا لكني لاحظت أنه يحاول إخفاءه والتحكم فيه أمام زوجته التي قابلتني بفتور، أما أخوتي فلقد كانوا يسمعون عني من حين لآخر فقابلوني جميعا بفتور ما عدا أختي الصغري التي تبلغ من العمر ١٥ عاما. إذ رحبت بي بشدة وعانقتني بانفعال.. وأخذتني معها إلي النادي وعرفتني بصديقاتها وتأثرت غاية التأثر حين قدمتني لهن قائلة: أخي الكبير! وشعرت بسعادة لم أشعر بها من قبل حين سمعت هذه العبارة الجميلة.. وفتحت لي أختي الحبيبة قلبها علي الفور وحكت لي عن دراستها وأحوالها وسألتني عن أحوالي وحياتي، وشعرت بأنني قد اختصرت معها في ساعات مسافة السنين الطويلة التي فصلتني عنها.. وأمضيت اليوم كله معها.. واتفقنا علي أن نتبادل الاتصالات التليفونية بعد عودتي وعلي أن أكرر زيارتي لهم كلما سمحت الظروف.
ورجعت إلي مدينتي وأمي في صباح اليوم التالي وأنا مشحون بالأحاسيس الجميلة فما أن دخلت البيت ورأيت أمي حتي وجدتها في أشد الضيق.. وقالت لي أإنها آخر زيارة لي لأسرة أبي ولن تتكرر مرة أخري وصدمت لرد فعلها وتعجبت لضيقها وتجهمها وضقت به. لكن الاتصال استمر بالرغم من ذلك بيني وبين أختي الحنون منذ ذلك اليوم وفي كل يوم أتصل بها أو تتصل بي ويحكي كل منا للآخر عما يفكر فيه ويشغله وأشعر بابتهاج شديد كلما سمعت صوتها وبعد أيام أخري وجدت أمي غاضبة غضبا شديدا وتطلب مني عدم التفكير في زيارة أخوتي مرة أخري وعدم الاتصال بهم نهائيا.. وسألتها عن السبب فعلمت منها أن زوجة أبي قد اتصلت بها وطلبت منها أن تمنعني من زيارتهم لأنني كما قالت لها سامحها الله يساورني الطمع فيهم..!
فماذا أفعل يا سيدي هل أطيع أمي لإرضائها وأحرم نفسي من أختي الحنون التي عوضتني عن حرماني الطويل وتعلقت بها وتعلقت بي، أم أستجيب لعاطفتي الأخوية الجياشة تجاه أختي واستمر في الاتصال بها علي أمل أن تتفهم أمي ذات يوم شدة احتياجي إلي أختي هذه وتقبل بذلك؟
ولكاتب هذه الرسالة أقول:
أفهم بعض أسباب عدم ابتهاج والدتك برغبتك الإنسانية في الاقتراب من أخوتك لأبيك وسعادتك العارمة بهذه العلاقة الحميمة الجديدة مع أختك الصغري.. ولأن فهم كل شيء قد يؤدي إلي الصفح عن كل شيء كما تقول لنا الأديبة الفرنسية مدام دي ستايل فلقد يعينك فهمك لدوافع والدتك لتحفظها علي أية علاقة تنشأ الآن بينك وبين هؤلاء الأخوة، علي التسامح معه والتجاوز عنه. ذلك أن الأم الوحيدة التي تنفصل عن زوجها مبكرا فتكرس كل حياتها لطفلها منه وترفض الاقتران برجل آخر من أجله، تجعل من هذا الابن تلقائيا وغريزيا محور حياتها الوحيد وتتوقع منه غالبا إذا لم تتسلح بالحكمة والفهم العميق لحقائق الحياة أن يجعلها في المقابل بؤرة اهتمامه التي لا يزاحمها فيها أحد من البشر.. وتتخذ لا إراديا موقف العداء النفسي الصامت أو المعلن من مراكز الجذب العاطفي الأخري التي قد تشده إليها.. وتستنزف قدرا من طاقته النفسية والعاطفية بعيدا عن دائرتها.. ولقد يفسر لنا ذلك أسباب التوجس والقلق اللذين تستشعرهما الأم الوحيدة حين يبدأ ابنها في الاتجاه بمشاعره العاطفية الطبيعية تجاه أنثي أخري يرغب في مشاركتها لحياته.. كما قد يفسر لنا أيضا أسباب اغتصام والدتك برغبتك في الاقتراب من أخوتك من أبيك بعد طول اأبتعاد بينكم، وأسباب عدم حفاوتها بهذه الصلة الجديدة بينك وبين أختك الصغري.. فهي مشاعر غريزية تحتاج إلي الحكمة بضبطها.. وإلي الوقت الكافي لكي تعتاد الأم الوحيدة فكرة ظهور محاور جديدة في حياة الابن إلي جوار محورها الرئيسي.. وتدرك أنه لا تعارض في الحقيقة بين وفاء

الابن لأمه التي وقفت حياتها عليه بعد انفصالها عن أبيه وتقديره لعطائها وعرفانه لها، وبين اتساع القلب إلي جوارها لأخوة يتبادل معهم العطف والود والتراحم، أو لأنثي أخري ينبض لها بأحاسيس من نوع مختلف عن مشاعره الصادقة تجاه أمه. فالابن لا يستبدل في هذه الحالة طرفا بطرف في قلبه ومشاعره واهتماماته.. وإنما يضيف إلي حياته شواغل عاطفية ونفسية جديدة تعمق من روابطه بالحياة وقدرته علي الاستمتاع المشروع بها.
ومن الرحمة بهذا الابن نفسه أن تعينه والدته حتي ولو كانت قد كرست حياتها من أجله علي مقاومة إحساس الوحدة والحرمان.. بإحساس العزة والانتماء إلي أهل وأخوة وأحباء ومن واجب زوجة أبيك ألا تقف في وجه مثل هذه العلاقة بين أبنائها وبين أخ لهم قضت عليه أقداره بأن ينشأ وحيدا في رعاية أمه لأنه رصيد عاطفي وإنساني جديد لهؤلاء الأبناء كما هم رصيد مماثل بالنسبة له. ولا مبرر للتشكك في أن تكون لديه أسباب مادية رخيصة لاقترابه منهم.. ذلك أن بعده عن هؤلاء الأبناء لا يحرمه من حق شرعي له لدي أبيه واقترابه منهم لا يسوغ له الحصول علي ما ليس له حق فيه فإذا كانت تساورها مخاوف الزوجة الثانية التقليدية من أن يؤدي التقارب بين زوجها وابنه من زوجته الأولي إلي احتمال تجدد العلاقة الزوجية ذات يوم مع والدته.. فلقد بعدت المسافات تماما بين الطرفين وانقضت رحلة العمر أو أوشكت، ولا يبقي إلا العمل الصالح لمن أراد ألا يحرض أبناءه علي قطع صلة رحمه، بأخيهم وهي الصلة التي أمر بها الله سبحانه وتعالي أن توصل.
وهو نفس ما أقوله لوالدتك.. وأرجوه منها.. وهو أن تعفي نفسها من تحمل وزر اعتراض رغبة ابنها في أن يصل رحمه بهؤلاء الأخوة إذا أتيح له ذلك بغير أن يلقي الجفاء والإعراض منهم.. ولا في وجه سعادته بهذه الصلة الحميمة بينه وبين أخته الصغري فالإنسان يحتاج دائما إلي من يشعرونه بأنه ليس شجرة وحيدة نبتت خطأ في صحراء قاحلة. ومن تمام سعادته أن يكون له أخوة يتواد معهم.. ويتراحم، ومادام قد وجد ضالته في هذه الأخت الحنون.. فليس من الرحمة أن يحرمه أحد من صلته بها.. فقل كل ذلك لوالدتك.. ولا تقطع ما بينك وبين أختك إلي أن تلقن الحياة دروسها لأخوتك الآخرين المتباعدين عنك وتعلمهم أنه من جحود الفضل لله خالق كل شيء أن يتنكروا لهبته الغالية لهم وهي أن يكون لهم أخ حريص عليهم وراغب، يصدق في مودتهم.
==

المرأة الداخلية

هل تتذكرني؟.. إنني الأرملة التي كتبت لك منذ نحو سنة أو أكثر تقول لك إنها تزوجت عن طريق المعارف من مهندس شاب يعمل بالخليج، وكانت تعود معه في الاجازات لمدينتها لتزور أهلها أو للولادة وكان هو يذهب للعاصمة ليكمل إعداد شقة الزوجية.. ثم شاء القدر أن يموت فجأة فتعود وتدخل شقتها للمرة الأولي أرملة مع ثلاثة أطفال أكبرهم لا يزيد عمره علي ثماني سنوات وصغراهم لم تزل رضيعة ولم يمض وقت طويل علي اقامتي أنا وأمي في القاهرة التي كانت بلدة غريبة بالنسبة لي شأنها كشأن البلد الذي عشت فيه مع زوجي الراحل حتي فاتحني صهري في زواجي من ابنه الطبيب وتناقشت أنا وأمي في ذلك ووافقت وتم الزواج وكتبت لك أن زوجي قد تجنبني تماما كزوجة، ولكنه نعم الأب لأولادي فلم يعوضهم فقط عن أبيهم الراحل وإنما غمرهم أيضا بالحنان لطيبته الشديدة ومرحه علي عكس شدة أبيهم وطباعه المتحفظة، ولم يمض وقت آخر حتي فوجئت بزيارة عاصفة من صهري يعايرني فيها بقبول ابنه بي وهو الذي لم يسبق له الزواج وامتناعي أنا عنه ويهددني بأنه سوف يزوجه من أخري اذا استمر هذا الوضع وكتبت لك أشكو ما حدث وقلت لك انني قد ثرت علي زوجي للمرة الأولي وبكيت بحرقة لأنه فضح ما ستره الله علي مع اني لم أقصر في حقه ويعلم الله ذلك ولم يزد رد فعله علي ثورتي عن أن اعتذر لي ثم لم يعد حتي يتحدث معي.. ولم أكن قد قرأت بعد ردك علي رسالتي صبيحة يوم الجمعة الذي نشرت به حتي وجدت زوجي الذي كان لم يزل علي خصامه لي يناديني في غرفة نومي ليعرض علي الجريدة ويقول لي هل أنت صاحبة هذه الرسالة.. وجرت عيناي علي السطور وشعرت بخجل شديد وأطرقت رأسي فإذا به يصارحني بأنه لم يقصد أن يفعل والده ما فعل وأنه كان يتصارح معه فقط، محاولا إخباره ان هناك حاجزا نفسيا يقوم بيننا ويحول دون تعامله معي كزوجة غير ان أباه لم يعطه الفرصة ليكمل حواره معه وفعل ما فعل وأنه لم يستطع الحديث معي لأنه لم يعتدني حتي تلك اللحظة، وطلب مني ان نخرج معا للحديث بعيدا عن الأولاد وصارحني ان اباه قد ضغط عليه بشدة ليتزوجني وأنه قد وافق علي ذلك من منطلق حرصه علي أولاد أخيه الذين هم الآن قرة عينه وأنه لمس في خلال ذلك حسن الطباع وحلاوة الاحساس بالأسرة والعقل السديد ويشعر بتأنيب الضمير لي.. وأن حدسي قد صدق بشأنه لأنه بالفعل مرتبط بزميلة له ولا يستطيع التخلي عنها وهي تعرف كل شيء منذ بداية القصة بوفاة أخيه ووافقت علي ان يتزوجني لأنها نشأت يتيمة وتزوجت أمها بغير أبيها

ولذلك فهي تشعر بواجبه الانساني تجاه أولاد أخيه وكان شرطها الوحيد هو ان يكون الزواج صوريا وأنه رأي أن ذلك من أبسط حقوقها، وقال لي أيضا إن أباه لا يعلم أي شيء عن ارتباطه بزميلته وأنهي حديثه بأن اعتذر لي ثانية بأني امرأة استحق أن يحبني أعظم رجل وأنه لا يجاملني في ذلك، ولكنها الظروف التي لم يخترها أي منا لنفسه.. ولم أنطق بكلمة يومها يا سيدي وطلبت منه الانصراف وعدت للمنزل لأبكي طوال الليل ولا أعرف إن كنت أبكي علي نفسي أم علي الأيام القادمة.. وصارحت أمي بما حدث فطلبت مني أن أسأل نفسي ماذا أضاف زواجي منه إلي وماذا سيغير انفصالي عنه لو أردت.. من وضعي؟ وطلبت مني أن أضع في اعتباري أن صهري

سيرفض هذا الانفصال بكل الصور وأن السبب الأكبر لذلك هو الثروة التي تركها زوجي لأولاده قبل ان تكون مصلحتهم الشخصية.. وسألت نفسي هذا السؤال فوجدت أن زواجي منه لم يزدني إلا السعادة الغامرة لأولادي التي لا أستطيع أن أنكرها بل إني لا أنكر أنهم أسعد حالا من أيام أبيهم ولا أقول بالطبع انهم قد نسوه، ولكنهم في منتهي السعادة وتكفي ضحكاتهم مع عمهم كل مساء لتثبت ذلك وأنهم هم الذين طلبوا أن يقولوا له يا بابا ولم يطلب هو منهم ذلك، أما انفصالي فلن يغير في الامر سوي تعاسة أولادي أولا، ثم أبواب جهنم التي سيفتحها جدهم علي وأنا لا حول لي أنا وأمي ولا قوة وليس لنا بعد الله أحد.. وسألت أنا نفسي كيف أحسن هذا الوضع فوجدت أن الحرج الذي كان يقوم بيني وبين عم أولادي قد زال بمعرفتي أن هذا الزواج صوري، وأن أحسن تغيير لحياتي هو أن أحول هذا الزواج الي أخ حقيقي وبدأت في ذلك يا سيدي، أما هو فكأن جبلا قد انزاح عن صدره وبدأ يتعامل معي بلا تحفظ وأنا الاخري كذلك وبدأ الحوار بيننا حول الاولاد وشئون المنزل والاوراق التي لا تنتهي أبدا في المجلس الحسبي الذي هو نقمة علي كل الأرامل، وبدأ هذا الحوار يدور داخل غرفتنا التي عاد لها بعد حواره معي وكانت هذه الغرفة لا تشهد كلمة واحدة بيني وبينه، كما بدأ يحكي لي عن عمله وعن حبيبته وأحكي له أنا عن حياتي قبل الزواج وأبي الراحل والتشابه في الطباع بينهما وبدأت أحثه علي مفاتحة أبيه في زواجه وأعرض عليه أن يأخذ من نصيبي في الميراث ليستعين به علي زواجه ثم يرده فيما بعد وبدأت العلاقة بيننا تأخذ شكلا جميلا أعانني علي تقبل الواقع والتعايش معه، وانتهت زوابع جد أولادي تجاه زواج ابنه حتي تزوج واتفقنا ألا يعلم الاولاد وأن يعتقدوا

أنه يبيت في المستشفي نصف الاسبوع، وكان يبيت عندي أكثر أيام امتحانات الولدين حتي كنت أخشي ان تغضب زوجته ولكنه طمأنني أنها تتفهم الموقف وأن قلبه هو الذي لا يأبي تركهم أيام امتحاناتهم وكانوا يتصلون به علي المحمول دائما لتحيته تحية المساء أيام مبيته خارج المنزل وبالرغم من انني كنت أحاول منعهم.. وحمدت ربي علي ذلك ولكن أتت الرياح بما لا تشتهي السفن فقد بدأت ألاحظ بوادر أزمة عندما لاحظت بعد عدة أشهر عصبية زوجي الشديدة وأحسست أن الموضوع خطير بالرغم من محاولته اقناعي أنها مشاكل خاصة بالعمل، وصبيحة أحد الأيام سألته مباشرة إن كانت زوجته قد تضايقت من هذا الوضع وقلت له إني أتلمس لها العذر إن كان الامر كذلك لكنه نفي ذلك بشدة وقال لي ان الموضوع مختلف تماما وشكا لي من تدخل ابيه مما قد يفسد حياته.. وبإحساس الانثي توقعت مع بداية تكرار زيارات صهري لي ووجوده مع الاولاد وبضع كلمات متناثرة أنه يلمح الي ان زوجة ابنه لم تحمل حتي هذا الوقت وعجبت لهذا الرجل وتدخله في حياة الجميع بهذا الشكل خاصة ان الزواج لم يكن قد مضي عليه سوي عدة أشهر فقط، ومع تطور الاحداث التي كنت ألاحظها فقط ولا أعرف عنها شيئا وجدت زوجي ينطوي علي نفسه مرة أخري ويتباعد عني وعن الحديث معي وحاولت أن أخرجه من صمته فكان يطلب مني ألا أحاول الحديث معه حول هذا الموضوع تماما، وامتثلت لذلك واحترمت إصراره علي سرية مشاكل بيته وأكدت له أنني أسأله كأخت له، خاصة أنني كثيرا ما تدخلت لاقناعه في مواقف سابقة بينه وبينها في مشاكل الحياة العابرة ويعلم الله أنني كنت دائما أمينة في الحديث معه بمنطق الاخت له بل كنت في بعض الاحيان أصر علي ألا ينام إلا بعد مصالحتها ولكن هذه المرة لم يسمح لي حتي بمعرفة ما يحدث، ولا أطيل عليك أني وجدته ذات يوم يرجع بحقيبة ملابسه قائلا إنه طلقها وكان ذلك عقب أربعة أيام قضاها عندها وعاد لي أشعث الشعر وطويل الذقن وعصبيا بشكل غريب حتي كاد يضرب أحد أولادي فتدخلت بلطف وحزم ومنعته من ذلك وأجبرت الصغير علي الاعتذار له برغم أنه لم يكن مخطئا وبعد هدوء الامور نسبيا حاولت اقناع زوجي ان يرد زوجته الي عصمته فلم يقتنع وعرفت انها قد عرفت باستحالة حملها وأصرت علي الطلاق وظلت تطلبه بشدة وجمعت أهلها ووالده لإجباره علي طلاقها وأنه قد أصر ألا يفعل حتي ذهبت الي المستشفي وشتمته أمام الناس فلم يتحملها وطلقها، هذا ما قاله لي... وعبثا حاولت إقناعه بأنها فعلت ذلك لأن نقصها قد جرحها وأن حبها له هو الذي جعلها تصر علي الطلاق من أجل سعادته وأنها بذلك لا تستحق منه ألا ان يتحمل من أجلها وطلبت منه أن يردها ويترك لها حرية أن تظل بعيدة عنه فترة حتي تهييء نفسها فأخبرني أن تصرفات ابيه معها ومع أهلها لن تسمح له بذلك ومضت فترة وطالبته مرة أخري بأن يحاول فقال لي إنه قد حاول بالفعل لكن أمها قد أخبرته بأنها ستتزوج فأصررت علي أنها كذبة وطلبت منه المحاولة مرة أخري وبعد فترة أخبرني أنه قد حاول ولم يفلح وكان طبيعيا بعد تطور علاقتي به طوال الفترة الماضية ان يتحول زواجي منه الي زواج كامل.. ولم تمض فترة بسيطة حتي كانت بوادر الحمل قد بدأت تظهر علي بوضوح ولا أستطيع أن أصف لك سعادة زوجي وأبيه بذلك، أما زوجي فقد شعرت أنه يطير ولا يمشي علي الأرض وكنت أضحك من قلبي علي خوفه علي مع انها المرة الرابعة بالنسبة لي ولا أشعر بأي شيء غريب أصلا، أما هو فلا يفارقني ويتشاجر بشدة لو تحركت حركة عادية وأضحك أنا فيزيد غيظه وقد كانت كثرة ضحكي بداية للذي أكتب لك من أجله وكأنه مكتوب علي ألا يهدأ بالي سواء بعدم الزواج أو بالزواج الحقيقي.. ففي أحد أيام حياتي السوداء استيقظت علي صوت أمي تستنجد بي ونهضت جريا فوجدتها تشير الي قلبها ولم تكن أبدا مريضة من قبل فانزعجت خاصة من شكل وجهها وجريت الي التليفون لأتصل بزوجي ووجدت تليفونه مغلقا واتصلت بالمستشفي وأنا أبكي بفزع فردت علي إحداهن لتقول لي إنه في غرفة العمليات ولا تستطيع استدعاءه للتليفون، ومن شدة بكائي قالت لتطمئنني إن علي ان أترك رقم التليفون ليتصل بي فور انتهاء العملية وأنها ستخبره بذلك، وكنت لا أستطيع السيطرة علي كلماتي

مع ارتفاع آهات أمي فقالت لي اهدئي يا مدام سأبلغه بكل تأكيد.. أنا زوجته الدكتور فلانة! وتوقفت للحظة عن البكاء فسألتني عن اسمي فقلت لها إنني زوجته فشهقت وأغلقت أنا السماعة واتصلت بالاسعاف وخلال وجود طبيبها حضر زوجي وتكلما باللغة الانجليزية وكان تعبير وجه طبيب الاسعاف يقول انها النهاية وطلب زوجي من أمي أن تنهض للذهاب للمستشفي فرفضت بشدة وقالت له إن أمها ماتت بأزمة شبيهة في فراشها وستكون هي مثلها وحاولت إقناعها فرفضت وجلست مستندة إلي ذراع زوجي وطلبت منه ان يقسم علي القرآن أن يرعاني وقالت له كلاما لم تقله لي أنا شخصيا قبل ذلك.. قالت له إنني لم أكن سعيدة مع أخيه وأنها كانت تشعر بذلك من خطاباتي ومن وجهي خلال اجازاتي لكنها كانت تسكت لأنه نصيبي وقالت له انها شعرت أنني أحبه هو منذ تعاطفي معه في قصة زواجه وبعد فشلها وتطور الاحداث وقالت له هل يعرف ما معني ان تحب امرأة مرة واحدة في حياتها من رجل تعرف أنه ليس لها ثم يتحقق فجأة زواجها منه ونظر لي زوجي ولكنني كنت لا أعرف هل أبكي علي سندي في الدنيا التي تفارقني في أحلك لحظات حياتي أم علي حظي؟!.. ورحلت أمي عن الحياة وأصابتني حالة من القيء اللا إرادي حتي أصبحت لا أقوي علي الوقوف نهائيا وبعد فترة وجدت زوجي يقول لي إنني لم أنظر في وجهه من يوم وفاة أمي وأنه يعرف أن لدي كل الحق في ذلك وأن عودته لزوجته لم يكن قد مر عليها حين علمت بها أكثر من أسبوع بتدخل من أصدقاء مشتركين وأنه كان سيخبرني بالطبع... ولم أرد عليه ان الخيانة ليست في رجوعه لها لأنه من حقها هي في الاصل وأنا الدخيلة عليها ولكن انظر كيف تعاملوا معي منذ البداية؟ لقد زوجوني من رجل لا يريدني ليكون فقط قيدا في يدي يمنعني من الزواج من آخر أنا التي لم أتعد الثلاثين من عمري وأرملة وغنية وجميلة برغم أني لم أكن لأفعلها مطلقا من أجل أولادي، وإذا قلت إن له ولأبيه العذر لأنهم لم يكونا يعرفانني فما هو العذر لرجل قال لي إنه لا يريدني برغم ذلك تعاملت معه بمنتهي الامانة وكرامة النفس وقد عرفني جيدا وساعدته في زواجه وفي وقوفه أمام أبيه حتي يتزوج ممن يريد وتطلعت لسعادته حتي مع أخري، وحاولت أكثر من مرة أن أجعله يردها وكان يتعلل بأنها ترفض. انني أشك أن الامر برمته كان تمثيلية لأحمل أنا هذا الطفل لتكتمل سعادة من تزوجني رغما عنه ليجبرني علي ان أظل وفية لأخيه ثم تعامل معي وكأنني جزء من تركة أخيه له عندما احتاجني لأكون أما لطفله بتمثيلية ساذجة لا أدري الآن كيف صدقتها؟! وإذا كانت حقيقية فكيف لم أدرك أنه سيعود اليها في يوم من الأيام وإذا كان ما حدث كما رواه لي حقيقة فلماذا أخفي عني عودته لها.. لماذا الخيانة.. وأنا التي ناصرته من البداية.. إنني يا سيدي لا أستطيع النظر في وجهه بالفعل ولا التحدث معه ولا أن أسامحه وقد طلبت منه أن يسرحني بإحسان وأن يظل المنزل منزله ولأولاد أولاده في كل وقت وأن يأتي وقت ما يشاء ويبيت في غرفة أمي رحمها الله فقال لي صراحة إني أستطيع أن أطلب منه ما أشاء حتي ترتاح اعصابي أما تحقيقه فلن يكون مدي حياتي تحت أي ظرف من أجل أولاد أخيه وابنه القادم وأنه حتي بدون ابنه فلم يكن ليطلقني أبدا وأحسست أني أمام زوجي الراحل بجبروته وإحساسه بالامتلاك لمن حوله وإني كنت مخطئة عندما تصورته مختلفا عنه.

أنها نفس العائلة التي تتحكم في مصيري منذ قرابة السنوات العشر مرة بالزواج والآن بالإرث(وليس بالزواج) فإحساسي أنه قد ورثني لم يتزوجني... والمصيبة أنني أحتقر نفسي وأتساءل ليل نهار: لماذا فعلت ذلك بنفسي لقد كان موقفي كريما كأم لأولاد أخيه أما الآن فأنا مجرد(ضرة) فأي مهانة وأي احتقار ان زوجي يقول لي إنني سأقتل نفسي وجنيني بكثرة بكائي وأن ضغط دمي لا يستجيب للعلاج برغم المهدئات وأنني المسئولة عن ذلك ويحذرني من أن أحاول الإضرار بابني والوضع بيني وبينه في منتهي السوء لأني لا أطيقه ومجرد وجوده يشعرني بالتوتر، أما هو فيشعر بالذنب من ناحية ويخاف لدرجة الموت علي ابنه ويحملني المسئولية وأخشي أن يضار الجنين وأنا متوترة ولا أستطيع السيطرة علي نفسي وليس لي في الدنيا الآن من أتحدث معه فرأيت أن أفضفض عن نفسي بالكتابة لك.. فماذا تقول لي؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

بعض أسباب معاناة الإنسان وعجزه عن تحقيق سعادته أنه قد يلجأ أحيانا إلي إنكار أفكاره الحقيقية خجلا منها أو رفضا للاعتراف بها، ويستعير لنفسه أفكارا أخري تبدو أكثر عدلا ونبلا واحتراما وأقل مدعاة للشعور بالخجل تجاهها، ثم يزعم لنفسه أنها أفكاره الحقيقية ويتعامل مع الآخرين أو يطالبهم بالتعامل معه علي أساسها.

ولأن الانسان إذا صدق مع نفسه صدق مع الناس جميعا، كما نبهنا إلي ذلك شاعر الإنجليزية الأعظم شكسبير منذ عدة قرون، كان الصدق مع النفس ييسر علي المرء التعامل مع الغير وييسر عليهم التعامل معه.. ووضوح الأهداف القائم علي اعتراف المرء لنفسه برغباته وأفكاره الحقيقية.. يحدد له الطريق الذي يسلكه لبلوغها.. ويوفر عليه عناء الدوران حول الهدف والتخبط في الطرق المتشابكة التي لا تبلغ به الغاية.

ولعل الأديب الجزائري مالك بن حداد كان يعني شيئا من ذلك حين قال في أحد أعماله الأدبية، إن المرء يفتح شباكه لينظر إلي الخارج، ويفتح عينيه لينظر داخل نفسه، ويتعرف عليها جيدا وعلي رغائبها وسماتها! ويخيل إلي ياسيدتي أنك تحتاجين إلي النظر الثاقب في مرآتك الداخلية لكي تتعرفي علي أفكارك الحقيقية ورغباتك الأصيلة وتعترفي بها لنفسك بلا خجل، ومن ثم للآخرين بلا مواربة.

ذلك أنه من قبيل تلك الأفكار المستعارة التي قد ينتحلها الانسان لنفسه هو قولك أن من سبب غضبك الضاري من زوجك وضيقك الشديد به ورفضك لقبول الأمر ليس مبدأ إعادته لزوجته الثانية وإلي عصمته في حد ذاته، وإنما

لأنه قد فعل ذلك سرا وتخفي به عنك وذلك برغم أنك أنت التي شجعته من الأصل علي الزواج منها واعانته عليه ماديا ونفسيا وعائليا، وشعرت بالحزن حين انفصل عنها من قبل وكانت تحثه علي ردها لعصمته، وبالتالي فإنه وفقا لهذه الفكرة المستعارة فإن سبب غضبك منه هو الخيانة بمعني خيانة الثقة والصداقة القائمة بينكما علي المصارحة والمشاركة في كل أمور حياتيكما، وليس بمعني خيانة عهد الوفاء للزوجة.. والإخلاص لها دون غيرها من النساء.

والمؤكد هو أن زوجك قد أخطأ في حقك برده لزوجته الثانية الي عصمته دون استئذانك في ذلك وقبولك به، وموافقتك علي الاستمرار معه علي هذا الحال، لكن المؤكد أيضا هو أن بركان غضبك لم ينفجر لخيانة الصداقة وإنما لخيانة العهد بالمعني الطبيعي لها لدي أي امرأة تفضل دائما أن تستأثر بزوجها وتكره أن تشاركها فيه أخري مهما تكن المبررات.

فلقد تغير حالك مع زوجك عما كان عليه حين كنت تشجعينه علي الزواج من زميلته... وتتحدثان معا في هذا الأمر حديث الصديقين وليس حديث الزوجين، فلقد كنت زوجة صورية له جمعت بينكما الأهداف المشتركة في رعاية الأطفال تحت مظلة واحدة، وقبل كل منكما بالآخر راغما أو محرجا.

أما حين اكتشفت عودته إلي زوجته الثانية فلقد كنت حينذاك زوجة حقيقية له وتضطرب أحشاؤك بجنين منه، وقد اتخذت العلاقة بينكما شكلها الطبيعي وتعمقت الألفة والمودة بينكما. فإذا قلت الآن إنك غاضبة بشدة لأن ظهور هذه الزوجة في حياته مرة أخري قد هدد حلمك المشروع في حياة طبيعية مع زوج يخلص لك وحدك وتخلصين له.. ويستأثر كل منكما بصاحبه دون العالمين، لما لامك أحد في ذلك.. ولاتضح الطريق أمامك، وعرف زوجك علي الأقل ماذا تريدين.. وماهو المطلوب منه أن يقدمه إليك لكي تعود المياه إلي مجاريها بينكما، ذلك أنه إذا كان الأمر يتعلق حقا بخيانة الثقة والصداقة باعادة الزوجة الثانية دون علمك فإنه لايتطلب أكثر من الاعتذار لك عن هذا الخطأ والتكفير عنه بترضية معقولة ويحق له أن يلومك إذا لم تقبلي الاعتذار واتجاوزي عن الخطأ.

أما إذا لم يكن الأمر كذلك فإن إصلاح الخطأ وترضية النفس لايتحققان في هذه الحالة بالاعتذار وحده.. وإنما بانفصاله عن زوجته الثانية.. وتفرغه لك ومعاهدته لك ألا يجمع بينك وبين أخري في المستقبل..

فهل أنت قادرة علي الجهر بأفكارك ورغباتك الحقيقية والدفاع عنها للنهاية؟ أم أنك تفضلين الدوران حول الهدف، والتعمية علي الرغائب الأصلية بالوقوف أمام الشكليات بمثل هذه الأفكار المستعارة.

إن الأمر بيدك فقرري لنفسك علي ضوء الممكن والمستحيل في مثل هذه الأوضاع.. ولا تنسي وضع سعادة الأطفال ومستقبل الوليد القادم من عالم الغيب في الاعتبار، كما أن صهرك الذي يحرص علي استمرار هذا الزواج بغض النظر عن حقيقة أهدافه من ذلك، يستطع أن يؤدي دورا في الحفاظ عليه.. وإزالة العقبات من طريقه إذا كنت راغبة في ذلك.. وشكرا..

==

المدمـــــن

قررت أن أرسل لك سيدي وللقراء جميعا قصتي، لما فيها من عبر كثيرة، ولما فيها من عجب العجاب الذي يفوق تخيلات البشر، واعذرني سيدي إذا أطلت، فأنا أحاول اختصار٢٥ سنة إن لم يكن أكثر، فقد مللت من العد.

سيدي كنت في الـ٢٥ من عمري حين تقدم لي ذلك الشاب الذي لم يكن يكبرني سوي بسنتين كنت في ذلك الوقت بلا مبالغة من أجمل بنات مصر، وكنت مازلت بالجامعة، ترددت كثيرا خصوصا أن موافقتي معناها أن أنتقل معه إلي بلده، وهو في الحقيقة بلد حبيبة علي قلوبنا جميعا، كما أنها أحب البلاد إلي الله سبحانه وتعالي ثم استخرت الله ثم وافقت وتمنيت أن أحيا معه في سعادة ولكن.. ودائما هناك لكن للأسف.

أدمن زوجي قبل أن الد أول طفل لنا ولم أكن وقتها أعلم أي شيء بخصوص المخدرات، وتصورت أنني سوف استطيع مساعدته علي الخروج من تلك الأزمة، جاهدت سيدي وحاربت وقد رزقني الله في تلك الفترة بثلاثة أولاد وبنت هي الصغري فأصبح إصراري علي مساعدته لكي يخرج من تلك الدائرة أكبر فأكبر، وقد تحملت ما لا يستطيع بشر أن يتحمله من أجل أولادي وكنت دائما أقول لنفسي لابد أن أصبر حتي يحيا أبنائي في جو أسري طبيعي..

استمر الحال معه، وأصبح يقلع عن نوع من المخدر ليبدأ بنوع آخر، فأصبحت حياتي معه سلسلة لا تنتهي من العذاب والإهانات والذل، حتي وصل بنا الحال في آخر الأمر بأن ضم إليه ولدي الكبيرين فأصبح يعطيهما هو بنفسه المخدر في مقابل أن يقوما بشرائه له كلما احتاج وأصبح يسمح لهما بفعل كل ما كانت قد نهيتهما عنه فأصبح كل شيء مباحا مهما تعارض مع الدين، ذهبت كل مجهوداتي في تربية أبنائي أدراج الرياح ويعلم الله كم تحملت وعانيت حتي أصبح لهم الأم والأب والصديقة والمعلمة

وقد أعطيت أهمية أولي لتعليمهم أصول دينهم أولا ثم دراستهم ثانيا، كنت حريصة دائما علي أن أكون لهم مثلا يحتذي حتي لا يخطر علي بال أحدهم أن يقلد أباه، الأب الحاضر الغائب الذي اختار لنفسه دور المتفرج، دور المستهتر الأناني الذي لا يهتم ولا يحب أحدا إلا نفسه.

واستطعت بفضل الله وحده أن أحافظ علي ولدي الثالث وهو الأصغر وعلي ابنتي فقد حفظهما الله تعالي وحماهما من براثن ذلك الأب، برغم محاولاته الكثيرة والمثيرة للاشمئزاز لضمهما إليه المهم يا سيدي الأمر وصل في

النهاية إلي الضرب والسب والإهانات والحبس والتهديد بالقتل حتي كنت وقتها أدعو الله وأردد قوله تعالي متي نصر الله فأقول وأكمل الآية ألا إن نصر الله قريب.
وقد كان بالفعل قريبا ولله الحمد فقد قمت بالاتصال بجمعية حقوق الإنسان في ذلك البلد الحبيب وبدورهم دلوني علي الاتصال بفريق الحماية بالاشراف الاجتماعي النسائي بالمدينة التي أقيم فيها.
لن تصدق سيدي ما حدث ومهما وصفت فلن استطيع وصف ذلك اليوم، حين يأتي إلي بيتي فريق الحماية وهو مكون من رجال لا يقل عددهم عن العشرة يحملون الرشاشات والمسدسات لإخراجي أنا وولدي وابنتي من المنزل، وتم إخراجنا إلي دار الحماية معززين مكرمين وكنت ومازلت مندهشة من معاملتهم الكريمة لي.
وتم الطلاق بيني وبين ذلك الشخص بعد طول عناء وعدت إلي مصر بابنتي وتركت ولدي الأصغر يعمل هناك دون أن يكمل دراسته، عدت إلي مصر بعد أن أخذ ذلك الرجل مني شبابي وأولادي الذين هم أملي وثمرة فؤادي، أخذ مهري ومؤخر صداقي وحتي نفقتي ولكن لم يستطع ولله الحمد وبفضل من الله أن يأخذ إيماني الذي كان يتزايد مع مر السنين ويقوي برغم الأهوال وذلك الفضل من الله.
تلك هي سيدي الخطوط العريضة لقصتي، أما التفاصيل فهي في نظري أشد هولا وأكثر فظاعة من ملخص القصة.

سيدتي.. يستعصي علي أحيانا فهم بعض البشر، خاصة عندما يلقون بأنفهسم إلي التهلكة، ولكن في مثل حالة } والد أبنائك، يصبح استيعاب الأمر أكثر صعوبة.. فكيف لأب دمر نفسه واستقراره، أن يسعي لتدمير ابنيه، ولكن ماذا أقول، انها المخدرات اللعينة.
سيدتي.. أعرف أنك عانيت كثيرا، والحمد لله أنك لم تفقدي إيمانك بالله، ولكن هناك بعض الأشياء في رسالتك لا افهمها، كيف مثلا ـ وأنت المتعلمة الجميلة، وبعد أن اكتشفت مع حملك الأول إدمان زوجك أن تستمري معه وتنجبي ثلاثة أطفال آخرين؟.. لماذا لم تفري من هذا الجحيم، واستسلمت لحياة كل ما فيها ينذر بالسوء والدمار؟.. هل كان ما يحدث من هذا الزوج ينبئ بجو أسري طبيعي؟
لم أفهم أيضا، كيف تركت ابنك الصغير هناك، بجوار والده، يعمل بدون إكمال تعليمه، ألم تقولي إنك انقذته من براثنه، فلماذا لم تعودي به حماية له، وحرصا علي مستقبله؟.
اغفري لي، رؤيتي لك بأنك شريكة ـ دون قصد ـ في إيذاء أبنائك، فلم استطع تبرئتك من كل ما حدث، لأنه كان عليك، وعلي كل امرأة تري هذا المستقبل المظلم أن تنجو بنفسها وبأبنائها، مهما كانت العواقب، فلا أعتقد أن هناك أسوأ مما آل إليه حال أسرتك، أعانك الله وألهمك الصبر.
===

المخطئون
أرجو ألا تقرأ رسالتي بعينيك فقط، فمؤكد أنهما رأيا الكثير، اقرأها بقلبك حتي تعبر كلماتي إلي ما وقر به من إيمان.سيدي أنا لست شاكية انما أشكو حزني الي الله، وأحكي لعلي أجد في ذلك تسرية وازاحة شئ من الأحمال عن صدري الضيق.
أنا سيدة عمري الحقيقي٣٥ ولكن عمري الذي عشته الي الآن يعادل من عاش أضعاف أضعاف عمره لما رأيت من الأحداث والحكايات والمصائب التي لا تنتهي، وان انتهت باني مطلقة ولدي طفلة عمرها٣ سنوات!
منذ١٥ سنة كنت فتاة طيبة لا تفارق بسمتي وجهي ولعلي كنت أضحك لعلمي بما سيحدث لي وان هذه البسمة ستفارقني لا محالة.
عملت وأنا في الجامعة، ليس لاحتياجي للمال، والدي رجل طيب وأمي أطيب، لدي أربع أخوات، أبي وضع كل ما يملك في مسجد بناه من معاشه ليشتري لنا وله الآخرة قبل الدنيا، ربانا ابي علي أن الناس كلهم طيبون وكلهم أنكل وتانت وولادهم برضه طيبين واخواتنا وان محدش عاوز مننا حاجة لان الناس كلهم طيبين زيه وزي والدتي.. ويا للمفاجأة فيا حسرة علي ما تعلمت من والدي فكل هذا خطأ.
تنقلت بين الشركات وأنا عمري١٩ سنة الي الآن، لأجد كل صور البشاعة والكذب والغش والجري وراء جسد المرأة فقط وليس عملها، أو اتقانها له، لم يعطني أحد الفرصة لاستمر في مجال أنجح فيه، واكون أفضل.. تقدم لخطبتي مئات، ولست مبالغة فمثلي من الفتيات لم تعد تراهن كثيرا، أسرة طيبة وبنت جميلة وكمان معندهمش أي طموحات مادية، ولديهم من السذاجة ما يطمع فيهم أي شخص مسعور.. تزوجت بعد الإلحاح وبعد أن خطبت أكثر من مرة، تزوجت من الشخص الأقرب الي الكمال في تكاليف الزواج فكنت فتاة٢٤ سنة، وتزوجت من طبيب عمره يفوق عمري بـ١٧ سنة، مطلق ولديه طفل، وكان يحوم حولي أربع سنوات، وأنا بالطبع فسرت هذا بأنه حب وليس عيبا أن يكون مطلقا وأكيد أن الوحش الكاسر اذا عاملته بلطف ولين لابد أن تلين طباعه معك، وكان هذا أول مبدأ أفقده وأتأكد من خطئه، لأنه ببساطة عرفت من زوجي وأول بختي أنه(لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور) ولا تمرض العقول وانما تمرض القلوب، فهناك يا سيدي مرضي القلوب، حيث يتجاوز هذا المرض حدود عقلي، فكان سامحه الله بخيل يشك في كل من حوله، ومنهم أنا، ويظن أن كل العالم طمعان في ثروته الضخمة، وظللت شهورا أعاني من اثبات انني كويسة، وأصارع لأحصل علي كلمة

طيبة أو احساس بالثقة، أو حتي احترام لي، ولكن هيهات، ووسط الاهانات والضرب والاحداث التي أقسم انني لم أرها إلا في خيال الكتاب من تدخل للقدر لابقائي علي قيد الحياة بعد أن مرضت بالاكتئاب، ودخلت المستشفي لاعاني من أمراض جسدية بسبب وبغير سبب، وصلنا الي الطلاق بحمد الله.

عدت الي عملي بالشركة التي عملت بها ثماني سنوات وتركتها أيضا بسبب الرجال الذين لا يحملون من اسم الرجل الا الاسم، وانما هم في الحقيقة ذئاب، وحسبي الله ونعم الوكيل.

واجهت بمنتهي الهبل المجتمع بلقب مطلقة بدون أي وعي مني وطبعا بدون أي سابق معرفة من أسرتي، فأنا الحالة الأولي في عائلتي ووجدت الناس يتعاملون معي بشكل مختلف، فهذا أصابه عشم قاتل في اني لابد أن أركب معه السيارة، وهذا يريدني زوجة ثانية لا محالة، وهذه تري أنني أكيد مع زوجها الآن، لأنه تأخر في السوبر ماركت ويااااالله، علي الأيام وعلي شوارع بلدتي، التي اشتكت من دموعي قبل أقدامي، وأنا أسير غير مصدقة كل ما يحدث.

تقدم لي زميلي بالعمل ولم يسبق له الزواج ولم يوافق أهله، وذلك لاني استغفر الله مطلقة، ووعده والده بألا يقف علي قبره اذا تزوجني، تقدم لي بعدها طبيب مشهور أرمل وياحرام توفيت زوجته وتركت له أطفالا ويريد أما قبل أن تكون زوجة، وقال إنه يعلم بقصتي وانني ظلمت وسيعوضني عما رأيت ووسط الحاحه ووعوده وبكائه لوالدي للموافقة علي اتمام الزواج بأسرع وقت وانقاذ أطفاله المساكين ووسط فشلي ونظرة الناس وافقنا وللحق لم يتأخر زوجي الثاني منه لله أن يظهر وجهه ومرضه الذي أخفاه، فلا أعلم ـ والله الي الآن ـ ما سبب زواجه بي، يالصدمتي فيه، الذي قال الناس الذين لا يخافون الله انه حاج وزائر لبيت الله، فكيف يكون بصباص وبتاع ستات ولا يرفع عينه عن الاجنبيات ويدخل الي صالات القمار ويذهب وحده لاني رفضت الذهاب الي الكابريهات ويتركني وحدي وسط رجال لا أعرفهم ولا أعرف لهم خلق ولا دين، وعدت الي بلدتي بعد الهني مووون لأكمل رحلتي الجديدة، عاملني بالضبط مثل السيرفنت في المنزل روحي، تعالي، هاتي، لم يكن يناديني حتي باسمي ولا يتقبل مني أي كلمة، يعود الي البيت في الفجر، ولا يريد اي استفسار، وعندما أخطأت وسألته لماذا، ليه كل دا؟ فاجأني ببساطة واجاباته الحاضرة، فقال انه لا يحبني وان الذي دفعه الي زواجي قبول فقط وانه طالما لا يحبني فلن ينجب مني، وطبيعي انه سينجرف عاطفيا لأي انسانة، ولسة مقررش هيعمل ايه معايا، أقسم بالله ان هذا هو الحوار الذي دار بيننا، وقتها كان عمري٢٧ سنة، وكان يكبرني هو الآخر بـ١٧ سنة، ولم أظل بالبيت فلازمت بيت أهلي الي أن جاء الوسطاء لعمل الصلح، وأقنعوني ان الدنيا فانية، واعيش وأربي الأيتام ووافقت لتعلقي بالأولاد، ولكن للأسف عندما حادثته تليفونيا لأعود للبيت قاطعني بأنه فات الأوان، وسقطت فاقدة الوعي، وافقت لأبدأ ثاني اجراءات الطلاق أكشن تاني مرة التخلي عن حقوقي الشرعية وتركته يحمل بحقي هذا واواجهه به يوم الدين!

واستكمل الحياة بنفس الطريقة، والاحداث السابقة، وعملت بمكان آخر، وتعرفت علي والد طفلتي، كان زميلي بالعمل من أسرة معروفة وميسورة الحال، مطلق ولديه طفل، وتسلل الي بضعفه وغلبه واننا مع فشلنا نحن الاثنين سننجح، وشهد له الجميع بأنه تغير بعد أن عرفني لما كان له من سوء بسلوكه سابقا، وصدقت كعادتي ما أراه واسمعه من وعود وتزوجته بأقل الامكانات وقبلت كل ظروفه، لاني أريد الاستقرار والستر وهذا والله فقط ما أردته طوال حياتي، وبداية كان والد طفلتي متأففا من ظروف الحياة، بعدها زاد في الضجر والسخط لأنه مدلل لأبعد الحدود وسط عائلته، وبرغم انني الست التي يكون لها العديد من المطالب ولكن علي العكس كنت والله راضية، وبرغم زيادة الازمات فلم أكن أشعر بضيق، وكنت دائما اسمعه ما لا عدد له من كلمات الصبر والتصبر، وإن الله سيصلح الحال ولكنه زاااد، وبدأ في ربط الأمور بي، وبأنه نادم علي زواجه بي لاني مطلقة مرتين برغم اني تزوجت شهورا ولم أكمل حتي عام في الزيجتين، وزاد سامحه الله في الاهانات لي والسب والضرب، واسماعي بكلام فظيع لا تتحمله أي ست محترمة، ولكن فات الأوان فقد كنت حاملا في ابنتي، وحاولت الاستمرار وظل الوضع الي أن وضعت وأصبحت ابنتي أربعة أشهر، وكان الضرب والاهانات مستمرين حتي وأنا أحمل البنت، وقررت أن أقي ابنتي هذه الحياة وكان أملي ألا تتربي في هذه البيئة وطلبت منه الطلاق، ويا الله ثلاث سنوات في المحكمة، حتي أرسل لي هو ورقتي أما النفقة وخلافه فقد دفع هو الي المحامين ليعملوا له كل شئ قذر حتي جعل النفقة تنخفض من٢٠٠٠ جنيه الي١٥٠ جنيها ولم أحصل علي جنيه واحد الي الآن منه، ومن وقت الطلاق طرقت أبوابا للرزق عديدة، تقدمت بطلب للمحافظة للحصول علي شقة فأنا أعيش في بيت عيلة وطبعا مفيش حال دايم فكرت في السفر للعمل بالخارج لكن أهلي رفضوا لخوفهم علي وعلي ابنتي من المجهول، برغم اني في وسطهم لم اسلم في هذه الغابة.

تنقلت للعمل في أكثر من أربعة أو خمسة أماكن قطاع خاص طبعا مرة أكاديمية للغات ومرة شركات أدوية ومرات اتقدم الي شركات كثيرة للعمل وتصادفني تلك الوجوه الغابرة التي لا تخاف الله، فأرفض العمل ولا أخفيك علما انني الآن في المنزل تركت آخر عمل لي لاني عاجزة عن اتخاذ قرار حاسم بحياتي، فصاحب العمل متزوج ولديه أبناء وعرض علي الزواج وعندما تقدم لأسرتي وطلبوا منه طلبات بيقولوا عشان يطمنوا عليا مع ان دي أول مرة يطلبوا الحاجات دي بس هما خلاص معدش عندهم ثقة في أي مخلوق، فوجئت بصاحب العمل يواجهني بالمبالغة في الطلبات وباني معملتش ليه كدا مع اللي فاتوا...

والآن سيدي الفاضل، أنا أري أن السيدة المتمسكة بالمبادئ والتي تخاف الله موجودة وأنا أتضرع الي الله يوميا لكي أظل علي مبدئي وأن أحفظ نفسي وابنتي فإني لا أريد أن أتزوج وادعي خطافة الرجالة، ولا أن أخرب بيت فلانة حاشا لله والله العظيم كل ما أريده هو الستر وأن يقيني الله شر سؤال اللئام.. ومع ظروف الحياة القاسية والاحتياج الشديد للمادة لم أعد أتعجب من عدد السيدات اللاتي نزلن للشوارع لبيع أنفسهن من أجل كرتونة بيض أو وجبة تسد بها أفواها تنتظر، رحم الله عمر بن الخطاب لم يكن أبدا هذا ليحدث في عهده ولك الله يا مصر.
سيدي دعني أوجه رسالة الي الآباء، أرجوكم لا تجربوا في بناتكم، أرجوكم توخوا الحذر في الزواج وتأكدوا ممن يتقي الله أولا وتحروا جيدا.
ورسالة الي الأزواج، اتقوا الله في زوجاتكم، فإن بناتكم ستلقي نفس المصير، فانظر لزوجتك كأنها ابنتك وكيف تريد لها الحياة وكيف تريد أن تكون مصانة ومحترمة.
ويا أيتها الفتيات لكن عندي الكثير، لا تنخدعن بالكلام فوالله الرجل انما هو أفعال ليس أقوالا، وانما من يتكلم كثيرا لا يفعل شيا، واتقين الله واحفظن الله يحفظكن، حفظ الله فتياتنا ونساءنا جميعا.
< سيدتي.. نعم يخطئ الآباء عندما يخدعون أبناءهم ـ بحسن نية ـ ويصورون لهم الحياة خارج البيت انها مثالية، الناس طيبون، مخلصون، غير مخادعين، فلا يأخذ الأبناء حذرهم.. يندفعون نحو الآخرين دون حذر أو تمييز، فيصدمهم الواقع، وقد يدمرهم اذا كانت الاختبارات قاسية في مواجهة بشر بلا قلب أو ضمير.
نعم يجب ألا نفزع الأبناء، ولا نصور لهم البشر علي أنهم وحوش آدمية، فنجعلهم ينعزلون أو يصابون بأمراض نفسية ووساوس مرضية، ولكن نعلمهم أن الحياة فيها الطيب والخبيث، وأن عليهم التحري جيدا وعدم التسليم أو الانسياق لشخص قبل التأكد من حسن خلقه، يقولون في الأمثال حذر ولا تخون.
يخطئ المجتمع عندما يمارس قسوة جماعية ضد المرأة، فيراها فريسة وهي صغيرة ساذجة بلا خبرة، فإذا تأخرت في الزواج وصفها بالعنوسة، ثم يراها فاسدة، مؤهلة للخطيئة اذا حملت لقب مطلقة، فتصبح مطمعا لكل من في قلبه مرض، جريمة يرتكبها كل واحد في المجتمع دون أن يفهم ادانته لواحدة من بيته، أخته أو ابنته.
يخطئ بعض الرجال عندما يرون المرأة جسدا، فيتحولون بذلك وهم لا يدرون الي حيوانات، لم تفهم تكريم الله للانسان، يقصرون في بيوتهم، لا يراعون الله في زوجاتهم وبناتهم، فيما يسعون الي الرذيلة والدنس خارج البيت، لا يقدرون أن الرسول صلي الله عليه وسلم أوصانا بحسن الخلق والرفق بالقوارير، وان كل امرأة ترعي أطفالا تكون ضعيفة وهشة وتبذل قصاري جهدها لترعي أطفالها، وأنها قد تضعف أمام جوع صغارها فتفرط في شرفها لضعف ايمانها ويقينها بأن الرزق بيد الله وحده، فيعتقد انه ذئب التهم فريسته، أما الحقيقة فإنه يرتكب فاحشة كبري وسيدفع الثمن باهظا في الدنيا والآخرة.
ويخطئ الأبناء ـ وأنت منهم عزيزتي ــ عندما لا يتعلمون من أخطائهم، فيهربون من الخطأ الي آخر أكبر منه، معتقدين أنهم يحمون انفسهم من نظرات الناس وألسنتهم، فيما يهربون الي واقع أسوأ.
فاختياراتك الثلاثة ـ مثلا ـ كانت خاطئة، ومع ذلك تطرحين فكرة الزواج الرابع بنفس مبررات الفشل، قد تقولين ان الرجال حولك هم من يطرحون عليك الزواج عندما لا يجدون اليك طريقا آخر، ولكن المؤكد أنك ترين في الزواج أيا كان حماية لك، وهذا غير صحيح.. أنت في حاجة الي الهدوء والاستقرار وحدك مع طفلتك، فقد تعلمت كيف تواجهين البشر بألسنتهم ومطارداتهم وسمعت مما قد تسمعين الكثير.. فالتقطي أنفاسك، ونظمي حياتك علي أنك وحدك، فالسعادة لن تكون فقط بوجود رجل، وربما تضارين بوجوده، ابحثي عن عمل، ولعلنا بأصدقاء بريد الجمعة قد ننجح في ذلك، واجلي فكرة الزواج الآن حتي تلتئم الجروح، وتزدادي صلابة، اخلصي النية لله وزيدي من الدعاء والاستغفار فاذا كان قدرك في انسان طيب يراعي الله فيك وفي ابنتك سيكون أمره سبحانه وتعالي، أما أزواجك السابقون وخاصة والد طفلتك فلا أعرف كيف سينامون، وهل يأمن الأخير علي ابنته أو من انتقام الله الذي لا يغفل ولا ينام.
أعانك الله وحفظك وهدي من حولك ومن كان في حياتك الي التوبة والعودة الي صواب الطريق.. والي لقاء قريب بإذن الله.

==

المحجر

أكتب هذه الرسالة وأنا "أغلى" بالغيظ بعد قراءة رسالة "الفندق" التى "تشكو" فيها كاتبتها من أن زوجها يقوم عنها بكل أعمال البيت من المطبخ إلى الغسيل إلى نشر الملابس المغسولة إلى تنظيف البيت .. إلى عمل الكعك بيديه ولا يسمح لها بأن تدخل المطبخ لتصنع كوبا من الشاي، حتى إنها تشعر بأنها ليست ربة بيت وإنما نزيلة فى "فندق"، فما إن انتهيت من قراءة هذه الرسالة حتى كدت ألطم وأصرخ قائلة لها: حرام عليك أن تقتليني غيظاً وكمدا بمثل هذا الكلام، وقررت أن أقدم لها صورة مختصرة جدا لحياتي وبعدها سوف أسألها سؤالاً واحداً.
فأنا زوجة عمرى ٣٥ عاماً مثلها ومتزوجة منذ ١٥ عاماً، وعندي ولدان، ونظام حياتي كل يوم كالتالي:أصحو من نومي مبكرة فأؤدي واجبات طفلي وأعد لهما الإفطار وأشرف على نظافتهما وملابسهما إلى أن يخرجا للمدرسة .. وبعدها مباشرة أبدأ بالغسيل فأضع الملابس فى الغسالتين وأديرهما .. وأتركهما جرياً إلى المطبخ لأغسل أواني المساء ثم أطوف بغرف البيت واحدة واحدة أنفض هذه وأمسح تلك .. وأخرج مفروشات ثالثة،

وأنظف كل غرف البيت ما عدا غرفة واحدة وهى حجرة "البيه الملك" التى لا أستطيع أن أقترب منها قبل أن يصحو من نوم العافية بكل أمان واطمئنان الساعة ٢ أو ٣ بعد الظهر، وذلك فى غير أيام شهر رمضان ! وقبل أن يصحو أظل أجرى بين الحمام والمطبخ ونشر الغسيل وغرف الشقة، وأختطف ساعة من الزمن أنزل خلالها جرياً لأحد لأشترى طلبات البيت لكى يكون اللبن جاهزاً وساخناً قبل أن يصحو زوجي، وحين يصحو يبدأ البرنامج الثاني من يومي فعندما يفتح عينيه يجلس فى الفراش ثم يصفق بيديه كأنه فى مقهى فأهرول إليه بكوب اللبن الساخن فيشربه فى مكانه .. ثم أهرول لأخلي الحمام من أدوات الغسيل وأسخن الماء وأعود إليه بالشبشب وأضعه جانب السرير .. فيقوم إلى الحمام فى جلال وأدخل وراءه لأساعده فى خلع ملابسه .. وأضع له الملابس النظيفة .. وأساعده فى إرتدائها، وينتهي الحمام بالسلامة فيعود إلى غرفة النوم ويجلس على السرير مرة أخرى لكى يشعر ببعض الدفء، وخلال لحظات أكون قد عُدتُ إليه بصينية الطعام فيأكل بالهناء والشفاء وهو جالس أيضا بجوار السرير .. وثوان أخرى وآتى بالشاي .. ثم وأقسم بعزة الله آتيه بعد ذلك بالحذاء والجورب، وانحنى لأضع له الجورب فى قدميه حتى لا يكلف نفسه مؤونة أن ينحنى لإرتدائه .. وكذلك الحذاء .. ثم يجلس على طرف الكنبة لأسرح له شعره وليتنى أفعل ذلك بنفس أو ليته يشكرني على ذلك أو يتقبله منى بعطف، وإنما أفعله مرغمة وأنا أبكى بغير دموع ويتقبله هو منى بكل عجرفة كأنى جارية .. ولا يناديني سوى بيا: إنت هاتى الماء .. والكوب إلى جواره وأسرع من المطبخ لأقدمه له، وأخيراً ينتهى من غدائه وملابسه فينزل إلى عمله .. وهو لسوء حظى محل تجارى فى نفس البيت الذى نسكن فيه .. ومنذ نزوله لا تتوقف طلباته وكل عدة دقائق يرن الجرس: إعملى شاي .. أرسلي صينية طعام عندي ضيف، فإذا كان صبى المحل فى مشوار خارج المحل أنزل بالطلبات ثلاثة أدوار لأقدمها له وأنزل وأصعد السلالم بالطلبات ٨ و٩ مرات فى اليوم الواحد .. وكل ذلك ولم أحدثك بعد عن خدمة الولدين وطلباتهما وهما للمصيبة صورة مصغرة من أبيهما .. هاتى .. اعملى .. خدى .. طوال النهار فإذا نهرت واحداً منهما وأمرته أن يصنع لنفسه ما يريد وسمعني زوجي كانت ليلتي سوداء، فيشخط أمامهما ويسألني وما فائدتك إذن؟

وهكذا أظل طوال يومي واقفة أتحرك من مكان أو أؤدى عملاً لزوجى أو للبيت أو للأولاد، ثم ينتهى أخيراً يوم الشقاء ويعود زوجى ومن أول لحظة بعد دخوله من الباب لا أسمع منه إلا الأوامر الجافة خذى _هاتى_ روحى _ تعالى، ويدخل غرفة النوم ليخلع ملابسه فأقف معه لأساعده فى خلعها وانحنى لأخلع له الحذاء والجورب .. وأنحنى مرة أخرى لأساعده فى ارتداء بنطلون البيجامة وليتنى أسمع خلال كل ذلك كلمة طيبة .. بل السخط والنطر والعجرفة، وإذا استدعيت ابنة أختى الصغيرة لتساعدنى فى يوم عمل زائد يغضب ويثور، ويأمرنى بألا أكرر ذلك مرة أخرى، وهكذا يفعل مع كل إنسانة يمكن أن تساعدنى .. وبعد كل ذلك فإذا عاد ذات مرة فى الليل فوجدنى نائمة غلبنى النوم والإجهاد على غير إرادتى، فإنه وعزة جلال الله لا يوقظنى إلا رفساً بقدمه وهو يسبني لكى أقدم له العشاء والشاى، وأقف بين يديه وفى خدمته وتحت أمره حتى الفجر إلى أن ينام نوم العافية لما بعد ظهر اليوم التالي، وأصحو أنا بعد ٣ أو ٤ ساعات لأعد ولدىّ للخروج للمدرسة وأكرر برنامج الشقاء من جديد، وإذا اعترضت أو طالبته بالرحمة كان نصيبي منه الضرب والإهانة والتهديد بالطرد وتسألنى: ولماذا أتحمل كل ليس ألا من أجل الولدين اللذين يبلغ أكبرهما عشر سنوات، أما ثانياً فهو إلى أين أذهب هذا الهوان ؟ فأجيبك بأنه إذا خرجت من بيته .. وأنا لا أحمل أى شهادات ولا أعرف سوى القراءة والكتابة بهذا الخط الردئ وأهلي فقراء فى غاية الفقر .. ولا ملجأ لى ولا مورد؟

وبعد كل ذلك تأتى هذه السيدة كاتبة الرسالة لتفقع مرارتى وتشكو من أن زوجها يقدم لها الإفطار فى الفراش .. ويغضب إذا صنعت كوباً من الشاى ويفرغه فى الحوض لكى يصنع هو بدلا منه .. ولماذا ؟ علشان مش عايزك تتعبى فى أى حاجه يا حبيبتى ! وسؤالى لها هو:هل تحب أن "أدعو" لها بأن يتغير زوجها ليصبح مثل زوجى !وتتمتع هى بإحساس ربة البيت ؟

يا سيدى قل لها أن تشكر ربها على ما هي فيه من نعيم وبغدده .. وقل لزوجى أيضاً كلمتين من كلامك الجميل لعله يتقى الله فىّ ويعاملنى كزوجة وأم وإنسانة وليس كحيوانه، وأرجو أن تعيد عليه ما قلته فى ردك عن معاملة الرسول الكريم لزوجاته ورحمته بهن .. فلقد أثارت كلماتك عن مساعدته لهن حتى فى بعض أعمال البيت .مواجعي .. كما أثارت رسالة تلك السيدة غيظي .. وشكراً

:ولكاتبه هذه الرسالة أقول

إذا كنت قد اخترت لرسالة السيدة التى يحرّم عليها زوجها ممارسة الأعمال المنزلية ليقوم هو بها منفرداً .. عنوان" الفندق" فلا شك أن أفضل عنوان لقصتك هو "المحجر" ليس لأنك تقومين بكل واجبات المنزلية تجاه بيتك وزوجك وطفليك .. وتزيد على ذلك خدمة زوجك فى فراشة وحمامه وبيته وعمله خدمة متصلة ومرهقة منذ لحظة استيقاظه حتى لحظة نومه السعيد قرب الفجر، وإنما لأنك تؤدين كل ذلك وأنت خانقة وكارهة لما تفعلين وبدموع مكتومة لا تفرج عن نفسها إلا فى غياب زوجك، وهذا هو العناء الحقيقي الذى يجعل مما تقومين به أعمالاً شاقة كقطع الأحجار، ثم لأنك أيضا تؤدينه مع افتقاد التقدير والاعتبار .. ومع الإحساس المؤلم بأنه لا مفر لك من الاستمرار فيما تفعلين حتى ولو كرهته، لأنه لا بديل آخر لاستمرار هذه الحياة ولا سند ولا نصير، إن العبد"الرقيق" هو الإنسان الوحيد الذى يجيد أداء العمل الذى لا يحبه لأنه مضطر إليه ومجبر عليه، وأسوأ ما

يصنعه إنسان بنفسه هو أن يجعل من شريك حياته زوجة أو زوجاً _ عبداً كسيراً يظهر الطاعة الذليلة ويبطن المرارة والإحساس بالقهر ويتطلع إلى اليوم الذى يتم فيه عتقه .. ومثل هذه الحياة الزوجية لا مبرر لاستمرارها سوى الاضطرار وانعدام القدرة على الرفض والتغيير، وهذا النوع من العلاقات الزوجية القائمة على القهر والاضطرار هو الذى يصدمنا فيه أن نفاجأ بعد حين بانقلاب الأوضاع، فنرى الزوج الكاسر فى شيخوخته أو مرضه وقد تحول إلى طرف ضعيف .. وتوحشت الزوجة الكبيرة وأصبحت الطرف الأقوى .. ولم تكرم شيخوخة زوجها ولم ترفق به فى ضعفه. فإذا رحل الزوج عن الحياة لاحظنا أن الزوجة لم تبد أى حزن حقيقي عليه .. وأنه لولا الحياء لأعلنت ارتياحها، ثم لم تمض أيام حتى تحسنت صحتها وارتفعت معنوياتها .. ولا عجب فى ذلك لأنه صمت المقهور وليس رضا ولا سعادة ولأنه ها هنا تدفع الفواتير .. وتؤدى الديون .. وتستطيع أن نفرق بسهولة بين من كان شركة حياتهما شركة حب واختيار، ومن كانت شركتهما شركة قهر واضطرار، ثم سعد الطرف المقهور فيها بفضها أو بتغير الأوضاع فيها لأسباب صحية أو قدرية .. وهذا ما أريد أن ألفت نظر زوجك إليه وقبل أن يتمادى فى عجرفته وجحوده لفضلك وخدمتك إلى النهاية، وهو أن يملك قلب زوجته ومشاعرها بالحب والفهم والعطف والتراحم وليس بالاحتياج والاضطرار والعجز، فالله جل شأنه كما يقول الإمام أبو حامد الغزالى "" يبغض الشديد على أهله المتكبر فى نفسه.

والرجولة الحقيقية ليست فى قهر زوجة ضعيفة واستغلال احتياجها وقلة حيلتها لكى تمتهن كرامتها وتسئ معاملتها .. وتهددها إن إعترضت بالطرد، وإنما هى أن تكسبها بحبك ومودتك وعدلك بحيث إذا أتيح لها الاختيار الحرُ بين البقاء معك أو مفارقتك اختارتك أنت دون غيرك من الرجال .. وعندها لن يثقل عليها شئ من أعمال خدمتك وخدمة بيتك وأطفالك ولو اضطرت لنزول السلالم عشرات المرات كل يوم، فارفق بزوجتك يا سيدى وإرفق بنفسك أيضاً، لأنك لن تشعر بسعادة حقيقية إلى جوار شريكة تكظم غيظها وقهرها المكتوم منك، وتذكر أن الرسول الكريم لم ينصح الرجال بحسن الخلق مع زوجاتهم فقط بل وبالصبر عليهن والتلطف معهن بل وأيضا بالمزاح والمداعبة معهن فى غير مغالاة: وهو القائل: أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله .. و"الأهل" هنا هى الزوجة .. أما أنت يا سيدتى فتماسكى قليلاً .. ولا تقبلى منه هذه المعاملة غير الآدمية التى تصل إلى حد الرفس بالأقدام لإيقاظك من النوم.

فحتى العبيد لهم حقوق كآدميين ينبغى مراعاتهم .. وتعلمى كيف تقولين "لا" بأدب وبإصرار عند الضرورة .. ولا تبدى كل هذا الهلع من احتمال ألا تجدي مأوى غير مأواه .. فأنت زوجة وأم وشريكة حياة وهو يحتاج إليك كما تحتاجين إليه وربما أكثر واستعيني بأهله عليه إذا عاد لضربك وإيذائك بتلك البشاعة، فالاستضعاف الشديد يُغرى البعض بالإستئساد على البؤساء .. وحسن المعاملة أمر مطلوب من الطرفين وليس من طرف واحد فإستمرى فى خدمة بيتك وأسرتك وخدمته بإخلاص وباعتدال .. ولكن بلا خوف ولا هلع ولا ذلك يقلل من قدرك حتى أمام طفليك .. ولسوف تتحسن الأحوال تدريجياً بإذن الله.

==

المثل الاعلي

أنا شاب في الثالثة والعشرين من عمري نشأت بين أبوين طيبين مكافحين وأنا أصغر اخوتي حيث تكبرني اختان ثم الأخ الأكبر.

وكان والدي موظفا حكوميا صغيرا بمدينتنا القريبة من القاهرة وتفتحت عيناي للحياة فوجدت كل شيء في محيط أسرتنا يدور حول محور أخي الأكبر الذي يتقدم في الدراسة بنجاح وتتعلق به آمال أبي في ان يراه ذات يوم رجلا له شأن. فاعتدت منذ صغري احترام شقيقي هذا ورضعت حبه مع لبن أمي، ورأيت أبي لا يكف عن الإشادة باجتهاد أخي وجديته ورجولته المبكرة ويدعوني أنا وشقيقتي لاتخاذه مثلا أعلي لنا في الحياة، ويوما بعد يوم أثبت أخي لأبيه أنه عند حسن ظنه به بالفعل فحصل علي الثانوية العامة بمجموع كبير، ورشحه مكتب التنسيق للالتحاق بإحدي كليات القمة، وأشفقت أمي علي أبي من احتمال نفقات الدراسة المكلفة في هذه الكلية وتساءلت: كيف ستواجهها الأسرة، ومرتب ابي لا يكاد يكفي للنفقات الضرورية فإذا بالجواب يجيء من شقيقتي الوسطي التي تلي هذا الأخ في السن، فتعلن لأبي انها لا ترغب في مواصلة الدراسة لأنها لا تميل إليها وتفضل أن تعمل بالشهادة الإعدادية لتساعده في نفقات الحياة، وحاول أخي الأكبر للأمانة إقناعها بالاستمرار في الدراسة، مؤكدا انه سيتدبر امره في القاهرة حين يلتحق بكليته لكنها أصرت علي قرارها، وبالفعل توقفت اختي عن الدراسة التي لم تكن موفقة فيها ونجح أبي في إلحاقها بوظيفة مؤقتة في المصلحة الحكومية التي يعمل بها بمرتب بسيط، ونجحت هي في العثور علي عمل كسكرتيرة بعيادة أحد الأطباء بعد الظهر، والتحق أخي بكليته، واراد ابي ان يترفق باختي فاكتفي بمساهمة اختي بمرتبها من الوظيفة الصباحية في نفقات الأسرة، وترك لها أجرها عن الوظيفة المسائية لتنفق منه علي نفسها وتدخر بعضه لجهازها حين يجيء ابن الحلال، وشدت الأسرة الأحزمة علي بطون أفرادها لكي توفر لأخي نفقات الدراسة، وراح ابي يتنقل من عمل اضافي الي آخر ليزيد دخله ويشتري للابن الأكبر الملابس اللائقة وادوات الدراسة والكتب الغالية. وكل ذلك ونحن سعداء ونحلم باليوم الذي سيتخرج فيه شقيقنا ويحقق آمال الأسرة فيه، ولم يخيب أخي ظنوننا فقد راح ينتقل من سنة إلي أخري بنجاح،

وكلما رجع إلينا في الإجازات انحني علي يدي أبي وأمي يقبلهما، واحتضن شقيقتي الوسطي والصغري، وقبل رأسي وأكد للجميع اعتزازه بهم واعترافه بفضلهم عليه..
وحصل شقيقي علي شهادته المرموقة وادي الخدمة العسكرية وعين في وظيفة ممتازة وتخففت الحياة في أسرتنا من بعض جفافها وشدتها، وسعد أبي بما حققه أخي سعادة طاغية، غير أن سعادته هذه لم تطل كثيرا إذ توفاه الله فجأة وهو عائد من عمله المسائي وبكيناه كثيرا وكان أكثرنا حزنا عليه أخي الأكبر.
وكنت عند وفاة أبي استعد لدخول امتحان الشهادة الإعدادية، فتزلزلت حياتي، وكانت النتيجة أن فشلت في الامتحان واستاء لذلك اخي الأكبر وعنفني بشدة ووعدته بأن أبذل اقصي جهدي في السنة المقبلة، وفعلت ذلك بالفعل ودخلت الامتحان ونجحت فيه بمجموع ضعيف، ولم يعد من سبيل امامي سوي اختصار طريق التعليم والالتحاق بمدرسة متوسطة.. وغضب مني أخي لذلك كثيرا وخاصمني بعض الوقت، لكنه نسي غضبه بعد فترة، حين استعطفته أمي علي، ومضت الأيام بنا ونحن نتدبر حياتنا بصعوبة بمعاش أبي ودخل اختي الوسطي، ثم جاء عريس لها وقبلت به لأنه زميلها في العمل فرفضت امي ان توافق عليه قبل ان يرجع اخي ويقرر ما يراه في شأنه. وبعد بعض المداولات وافق عليه اخي وهو كاره لأن وظيفته صغيرة ومرتبه ضئيل وشهدت هذه الفترة من حياتنا بعض المشاكل العائلية، فلقد اشتكت اختي من سوء معاملة أخي لخطيبها.. وقالت انه يتكبر عليه ويشعره بأنه غير كفء لمصاهرته، لكن الأمور مضت في طريقها في النهاية، وتزوجت اختي بإمكانات بسيطة وشعرت ببعض المرارة تجاه أخي لأن مساعدته لها كانت اقل مما قدمته هي له، ودافع هو عن نفسه بأنه مازال في بداية مشواره وأيدته أمي في ذلك ونهت أختي عن الشكوي. اما اختي الصغري فقد واصلت تعليمها حتي حصلت علي الثانوية العامة والتحقت بمعهد فوق المتوسط بمدينتنا وفي هذه الأثناء فاجأنا أخي الأكبر بأنه قد تقدم الي زميلة له في العمل من أسرة عالية المستوي، دون أن يصطحب أمه وأخوته معه في طلب يدها، مكتفيا في ذلك بقريب لنا من بعيد يعمل بالقضاء!.
وحزنت أمي لتجاهلها في هذه المناسبة التي كانت تترقبها لتسعد بها وشعرت شقيقتاي بالمرارة والإهانة. أما أخي فإنه لم يزد علي أن قال في ضيق إنه فعل ذلك لكي يوفر علينا مشقة السفر للقاهرة!.
لكن الإشارة لم تخف علي أحد، وأحسسنا جميعا أن شقيقنا الأكبر الناجح لا يرانا لائقين اجتماعيا لمصاحبته في خطبة فتاة من أسرة راقية..
وأكدت الأيام لنا بعد ذلك توجساتنا فلقد مضي في بقية الخطوات بغير أن يدعونا لمشاركته فيها، إلي أن حل موعد الزفاف، فدعانا إليه، ورأينا مسكن الزوجية الذي كان قد حصل عليه قبل عامين لأول مرة وشهدنا أثاثه الجميل، وعرفنا أنه يعمل بمكتب مهني بعد الظهر، وان الله قد اكرمه علي اجتهاده ويسر له طريقه، وذهبنا الي حفل الزفاف فوجدنا انفسنا فيه غرباء لا نعرف احدا ولا يعرفنا احد وانزوينا في ركن من الصالة في خجل وانتهي الزفاف وسافرنا في الليل عائدين الي مدينتنا، ورجع أخونا وعروسه الي مسكن الزوجية..
ومضت الأيام فلاحظت امي تباعد زيارات اخي لنا.. وتعمده أن يجيء وحيدا بدون زوجته كل مرة، كما لاحظت أيضا أنه قد كف يده عن مساعدتها بأي مبلغ بحجة أنه مدين ببعض ديون الزواج..
ومضت الأيام في طريقها فأصبح العام الطويل يمضي دون ان يجيئنا أخي مرة واحدة، ودون أن يسأل عنا، وأصبحت الصلة الوحيدة بيننا وبينه هي المكالمة التليفونية كل شهرين أو ثلاثة، وحصلت أختي الصغري علي شهادتها فوق المتوسطة وأكرمها ربها بالعمل وبدأت تساعد نفسها، ثم جاءها خاطب مناسب فطلبت مني أمي الاتصال بأخي ودعوته للحضور لمقابلة الخطيب والتفاهم معه، واتصلت به في بيته، فأجابني في ضيق بأنه مشغول ولن يستطيع الحضور قبل شهر أو شهرين وأبلغت أمي الرسالة فاكتأبت وأوصتني بألا أبلغ اختي بها، وبعد ثلاثة أيام طلبت مني السفر الي القاهرة ورجاء أخي ان يرجع معي ليقابل خطيب اختي ولو لمدة ساعة فقط ثم يرجع لحياته مرة أخري، وأعطتني امي عشرين جنيها لمصاريف السفر، وركبت الأتوبيس للقاهرة وتوجهت الي بيت اخي وطرقت الباب ففتحته لي زوجته وحييتها بمرارة ففوجئت بها تسألني في تجهم من أنت؟
وصدمت للحظات لكني التمست لها العذر لأنها لم ترني سوي في يوم الزفاف، وقدمت لها نفسي، فرحبت بي في تحفظ وقادتني للصالون ثم اختفت داخل الشقة وجلست وحيدا انتظر لمدة نصف الساعة دون ان يظهر أحد، واخيرا جاء اخي مرتديا البيجامة والروب ومتجهم الوجه فتهللت لرؤيته وهممت باحتضانه وتقبيله لكن جموده منعني من ذلك، وحييته فرد التحية باقتضاب وسألني عما جاء بي فأبلغته الرسالة وأنا في قمة الحرج والارتباك فقال لي انه لم يكن هناك داع لحضوري من مدينتي لهذا الغرض وحده، وانه سيحاول اكراما لأمنا ان يأتي بعد اسبوعين، ثم سألني هل معك نقود للعودة؟ فأجبته بالإيجاب فنهض وقادني الي باب الشقة وهو يطلب مني ابلاغ تحياته لأمي واخوته، وينصحني بالسفر علي الفور قبل ان تتوقف المواصلات! وغادرت مسكنه وانا في قمة الخجل والاضطراب.
ورويت لأمي ما حدث فبكت وطلبت مني ان اسامحه.. لكني طمأنتها الي انني لست حاقدا علي أخي او غاضبا منه، لأنه اخي في النهاية.. وفي مقام والدي مهما فعل.
وجاء أخي لمقابلة خطيب اختي الصغري.. ولم تجرؤ أمي بالرغم من كل شيء علي معاتبته علي شيء لأنها ضعيفة معه واكتفت بالترحيب به، وانتهي الموقف بالموافقة علي الخطيب والاتفاق معه علي التفاصيل.

وتجرأت أمي فطلبت من أخي بعض المساعدة في جهاز اختي لأنها عملت قبل عدة شهور فقط ولم تدخر الكثير فأشار برأسه متجهما انه سيفعل ما تسمح به ظروفه.
وخلال فترة اعداد الجهاز ارسل اخي مساعدته وكانت مبلغا اقل بكثير مما توقعته أمي لكنها بالرغم من ذلك دافعت عنه بأن عليه مسئوليات كبيرة خاصة بعد ان انجب طفلا.. واقترضت امي واختي الصغري من كل اقاربنا، وقامت اختي الوسطي بعمل جمعية ادخار من اجل اختها رغم ظروفها القاسية وكثرة اعبائها كأم لطفلين، المتوسطة.. والتحقت بالخدمة وتزوجت في النهاية وتنفسنا الصعداء وخلال ذلك كنت قد حصلت علي شهادتي العسكرية وجاء تجنيدي في موقع قريب من القاهرة، فأمضيت فترة التجنيد كلها معتمدا علي ما تعطيه لي أمي من نقود قليلة وعلي ما أحصل عليه بالعمل في مقهي بمدينتنا خلال أيام الإجازات، ولم أفكر مرة واحدة في اللجوء الي أخي. وفضلت اكثر من مرة حين لا اجد وسيلة مواصلات في الليل، المبيت في محطة السكة الحديد انتظارا لقطار الصباح، علي ان اذهب الي بيته للمبيت فيه تخوفا من احراجه او من جفاء المقابلة منه ومن زوجته وانتهت فترة الخدمة العسكرية بخيرها وشرها، ووجدت عملا مؤقتا في مدينتي بمائة وخمسين جنيها في الشهر وحمدت الله سبحانه وتعالي علي ذلك خاصة وقد خلا بيت الأسرة علي وعلي امي بعد زواج الأخت الصغري، واصبح معاش امي ومرتبي كافيين لنفقات الحياة، ولقد كان من الممكن ان تستمر حياتنا هادئة لولا ان امي والأختين لا يكففن عن الشكوي من تباعد اخي الأكبر عنا.. ومرور الشهور الطويلة دون ان يسأل عنا بمكالمة تليفونية في بيت الجيران، أو يصل رحمه معنا، ودون ان نزوره بالطبع لأننا جميعا قد تعلمنا الدرس ووعيناه كما مرضت أمي بالسكر والضغط والمرارة، وقمت والحمد لله بخدمتها وعلاجها ووقف معي في كل أزمة صحية لها زوجا شقيقتي اللذان لا يتأخران عني اذا طلبتهما في اي وقت من الليل أو النهار، ولقد اصبح لأخي طفلان عمر اكبرهما٦ سنوات واصغرهما خمسة اعوام ولم نرهما الا ثلاث مرات طوال عمريهما وبعد إلحاح شديد من امي علي اخي لكي يحضرهما معه لساعات.. أما زوجته فلم تدخل بيتنا المتواضع في مدينتنا ولا بيتي اختي الوسطي أو الصغري، والأمر الذي دعاني للكتابة اليك هو انني قد ارتبطت بفتاة متدينة من جيراننا احبتني بالرغم من ظروفي البسيطة واحببتها، ووالدها مدرس بالتعليم ورجل متدين وفاضل وقد رحب بي مبدئيا رغم علمه بأنني لا املك شيئا ولا استطيع توفير مسكن آخر سوي مسكن أمي، وكان شرطه الوحيد لكي يقبل اعلان الخطبة هو ان يجيء أخي الأكبر مع أمي والأختين لكي يطلب يد ابنته منه. ووعدته بذلك واتصلت بأخي وأبلغته بما حدث فرد علي بجفاء يسألني ولماذا الاستعجال؟ ومن اين ستتوافر لك نفقات الشبكة والمهر والزواج؟.. ثم طالبني بتأجيل التفكير في الزواج نهائيا لعشر سنوات علي الأقل لكي أبني نفسي وبعدها يحق لي ان افكر فيه، وفشلت في اقناعه بالحضور واتصلت به بعد ذلك فتحدث معي بجفاء اشد واكد لي رفضه الحضور وقال لي انني اذا كنت مصرا علي الخطبة فلأتقدم بدونه الي والد فتاتي مع انني اكدت له انني لا اريد شيئا منه سوي الحضور بسيارته الي مدينتنا لبضع ساعات يقابل خلالها والد فتاتي ويطلب يد ابنته منه، ويشعرني بأن لي أبا اتشرف به بعد والدي يرحمه الله.
وأقسمت له أني لن أطالبه بأي شيء آخر بعد ذلك، فأنا رجل وأعمل وقد رجعت الي العمل في المقهي في المساء كل يوم لكي أدخر ثمن الشبكة، ووالد فتاتي لا يري في ذلك اي بأس ويقول لي ان كل عمل شريف يستحق الاحترام.. وان الكفاح في الحياة شيء جميل.
ولست أريد من اخي هذا سوي ألا يخذلني امام والد فتاتي ويشعره بأنني مقطوع من شجرة وليس لي كبير يرجع إليه ويرتبط معه بكلمة.. انني ارجوك ان تقول له انني وأمي وشقيقتي نحبه مهما بعد عنا، وإذا كان هو لا يفخر بنا بسبب ظروفنا البسيطة التي لا ذنب لنا فيها فاننا نحن نفخر به لأنه أخونا أولا، ولأنه ثانيا قد اجتهد وحقق لنفسه ما يستحقه ولكل مجتهد نصيب.. ونحن راضون بنصيبنا في الحياة ولا نحسده علي نصيبه منها لأنه كافح واجتهد لكي يحصل علي ما يريد لكنه لا يصح ان يتكبر علينا ويبتعد عنا لمجرد أننا بسطاء الحال، فنحن أهله الذين يسوؤنا كل ما يسوؤه ويسعدنا كل ما يسعده، ونخاف عليه من أي سوء لأن الدم لا يتحول الي ماء ابدا يا سيدي، فهل تستطيع ان تقول له ذلك! وهل تستطيع ان تقول له انني شاب ومن حقي ان ارتبط بفتاة تحبني واحبها مثلما ارتبط هو بزوجته، ولا يحرمني من هذا الحق انني موظف بسيط الحال ولست جامعيا ومهنيا ناجحا مثله لأن لي في النهاية قلبا يخفق ويحب الخير له ولكل الناس ولا يحمل حقدا لأحد وهل تستطيع أن تقول له انه من الخير لي ولأمي ولأخوتي ان يجيء لمقابلة والد فتاتي ويتنازل عن شرط السنوات العشر، هذا لأن فتاتي لن تنتظرني كل هذه السنين الطويلة وأعاهد الله واعاهدك انني لن اكلفه جنيها واحدا من نفقات زواجي!
ولكاتب هذه الرسالة أقول:
شقيقك الأكبر ياصديقي يتحسب لأن يضع يده في يد والد فتاتك فيصبح مسئولا من الناحية الأدبية علي الأقل، عن وفائك أنت بما سوف يرتبط هو به معه من التزامات مادية بشأن الشبكة والمهر وما الي ذلك من شئون الزواج.
لكن ذلك لا يبرر له أبدا أن يجحد حقك عليه كشقيق أصغر له في أن يكون معك حين تطلب يد فتاتك ولا أن ينكر عليك حقك المشروع في أن يخفق قلبك بحب فتاة ترغبها وترغبك وتقبل بكل ظروفك، وتبدي استعدادها للصبر عليك الي أن تتدبر أمرك، فالارتباط المشروع ليس حكرا علي الحاصلين علي الشهادات الجامعية المرموقة الذين يعملون عملا مهنيا مربحا كأخيك، وإنما هو حق لكل شاب شريف يرغب في اعفاف نفسه ويكافح بإخلاص

للارتقاء بحياته ويعتمد علي طاقته وشبابه في تحقيق آماله، ولا ينتظر من الآخرين أن يكافحوا نيابة عنه لتحقيقها له..، ومادامت فتاتك ترغب فيك وتتفهم ظروفك ووالدها يرحب بك ويشجعك علي كفاحك فماذا يضير هذا الأخ الأكبر في أن يشرفك أمام أصهارك الجدد، ويشعرهم بكرامتك الانسانية وعزتك العائلية في مثل هذه المناسبة الجليلة في حياتك؟

ان الانسان تشتد حاجته الي أهله في مناسبتين أساسيتين من مناسبات الحياة هما الزواج والموت. وذوو الفضل والرحمة هم الذين ينهضون بغير دعوة لمؤازرته والوقوف الي جانبه في كل من هذين الموقفين.. وفي مثل ظروفك فإن هذه المؤازرة التي تتطلع اليها من أخيك هي مؤازرة معنوية وأدبية في المقام الأول مهما اشتدت هواجسه هو من احتمال تورطه في بعض الأعباء المالية، اذ إنه حتي ولو صدقت هذه الهواجس بعد حين ووجد نفسه مضطرا لمساعدتك في بعض هذه الأعباء، فماذا يقض مضجعه الي هذا الحد في ذلك، ولقد كانت مساعدته لأخته التي أسهمت اسهاما مباشرا في تدبير نفقات تعليمه وتخرجه في كليته المرموقة أقل كثيرا مما كان يقتضيه الوفاء والواجب العائلي أن تكون عليه مساعدته لها، وكانت مساعدته لأخته الصغري التي تحملت مع بقية الأسرة جفاف الحياة وشد الأحزمة علي البطون لكي يصنع هو نجاحه، أقل من القليل الذي كان يرجي منه، فكيف ستكون اذن مساعدته لك لو اضطرته الظروف لها وأنت الرجل الذي يكافح بشرف ليتحمل مسئولياته.. وتؤكد له من الآن أنك لا تنتظر منه شيئا!

انه لو فعل ذلك.. لما كان ذلك تفضلا منه، وانما وفاء بحقكم عليه وقد شاركتم جميعا في صنع نجاحه، بتحملكم لقسوة الحياة سنوات عصيبة توجهت خلالها معظم موارد الأسرة إليه خلال فترة دراسته الجامعية وفيما قبل ذلك أيضا.. فما وجه العجب وقد من الله عليه بفضله في أن يعين أخا مكافحا له علي أمره ولو كان ذلك من زكاة ماله والأقربون أولي دائما بكل معروف من غيرهم!

وما هذا التعالي والجفاء والتكبر الذي يعاملكم به وكأنه قد خرق السماء طولا.. لمجرد أنه قد انتشل نفسه باجتهاده من ظروفكم البسيطة ورقي درجة من درجات السلم الاجتماعي!

وكيف تكون الأم والإخوة هم من يستشعرون هذا التكبر والغرور في أخيهم المرموق، وهم أحق الناس بحبه واعتزازه بهم وعطفه عليهم؟ ان شقيقك هذا قد يصلح لأن يكون مثلا أعلي لكم في الاجتهاد والكفاح ومغالبة الظروف القاسية للارتقاء الي حياة أفضل.. لكنه لا يصلح أبدا لأن يكون مثلا أعلي لأي أحد في البر بالأبوين وصلة الاخوة وصلة الرحم وفضيلة التواضع والفهم الصحيح لحقائق الحياة، ذلك انه اذا كان التكبر مذموما علي اطلاقه مع كل البشر تواضعا لله سبحانه وتعالي، واعترافا له بأنه وحده سبحانه وتعالي من يحق له التكبر دون بقية خلقه، فإنه علي الإخوة والأقربين ليس مذموما فقط وانما اثم كبير لأنه يمزق الرحم التي أمر الله بها أن توصل ويغرس المرارات والأحقاد في أعماق أحق البشر بصفاء نفوسهم تجاه بعضهم البعض وبتوادهم وتراحمهم وتعاطفهم.

إنني أحيي فيك صفاء قلبك تجاه أخيك بالرغم مما نالك منه من مجافاة وإبعاد، لكني علي الناحية الأخري لا أفهم سر هذا الضعف الغريب في التعامل معه من جانب والدتك التي لم تجرؤ حتي علي معاتبته علي سوء استقباله لك حين زرته في بيته، ولا علي تحريمه بيته عليك وعليكم جميعا وكأنما قد خرج من جلده وأصبح شخصا آخر لمجرد تحسن أحواله الاجتماعية والمادية عنكم، ولو لامته والدتك علي هذا التجافي الذي يبديه نحوكم لما حق له أن ينكر عليها ذلك، ولو غضبت عليه وحرمته من رضاها عنه لاستحق هذا العقاب المعنوي كل الاستحقاق ولربما نغص الاحساس بالذنب تجاهكم عليه حياته، ورده الي الطريق القويم فتخلصوا جميعا من هذا الضعف والانكسار تجاهه.. وتعاملوا معه كما تتعامل الأم مع ابنها والأخ والأخت مع اخيهم، ولست أطالبكم بمقاطعته.. وحاشاي أن أنصح بقطيعة رحم وانما أطالبكم فقط بمعاتبته ومحاسبته محاسبة الأخ لأخيه والأم لابنها مهما علا قدره عن مجافاته لكم وابعادكم عنه وعن طفليه وزوجته.. كما أطالبكم أيضا باشعاره باستغنائكم المادي النهائي عنه لكي تهدأ هواجسه مادام قد رضي لنفسه ذلك فلربما يعيد النظر في موقفه منكم ويطمئن قلبه الي أنكم إنما تحتاجون اليه انسانيا فقط كما يحتاج هو اليكم عسي أن يفيق من غفلته قبل فوات الأوان ويدرك أنه مهما طاول الجبال طولا فإن مصيره في النهاية اليكم والي مقابر الأسرة في مدينتكم حيث لن يقوم به وينتحب عليه ويتلقي العزاء فيه بعد عمر طال أم قصر.. سواكم.

لقد أحنقتني رسالتك هذه وما رويته فيها من مظاهر تكبر أخيك علي أقرب الناس اليه وابعاده لهم عنه ومجافاته لهم وتغطرسه عليهم، فتساءلت أي شيء في الوجود يبرر للانسان أن يعتز بنفسه بعض هذا الاعتزاز ويستشعر الكبر والتعالي علي أهله؟

لقد روي لنا ابن القارح في رسالته الي أبي العلاء المعري التي رد عليها شاعر المعرة برسالته الشهيرة: رسالة الغفران، ان زاهد الكوفة ابن السماك قد دخل علي الرشيد وفي يده كوب من الماء يهم بشربه، فسأله الرشيد أن يعظه، فأشار السماك الي كوب الماء في يد الخليفة وقال له: أرأيت لو قدر الله عليك العطش ثم قال لك لن أمكنك من شرب هذا الكوب إلا بنصف ملكك، أكنت فاعلا ذلك؟ فقال الرشيد: نعم، فقال ابن السماك: اشرب هناك الله. فلما شرب قال له: أرأيت يا أمير المؤمنين لو قدر الله عليك فقال لك لن أمكنك من اخراج هذا الكوب إلا بملكك كله أكنت فاعلا ذلك؟، فقال الرشيد: نعم.

فقال له زاهد الكوفة: إذن.. فاتق الله في ملك لا يساوي إلا إخراج بعض الماء!
فاذا كان هذا ثمن ملك هارون الرشيد الذي كان يقول للسحابة الهائمة في السماء: أمطري حيث شئت فسوف يأتيني خراجك، فأي معجزة حققها شقيقك في حياته لكي يري في نفسه ما يدعوه الي الاستعلاء بها علي أمه وإخوته وأهله؟
ياصديقي الشاب لقد قلت لشقيقك كل مايعقل الحرج قلمك عن أن يقوله.. فإن لم يكن كل ما قيل كافيا لأن يعيده الي رشده وانسانيته، فلن يجدي معه قول آخر.
وانصحك في هذه الحالة أن ترجو والد فتاتك الرجل المتدين الفاضل أن يتنازل عن شرط التعامل مع شقيقك هذا ويكتفي بك وبوالدتك وشقيقتيك وزوجيهما ففيهما الكفاية كل الكفاية، اذا أبي أخوك لنفسه هذه الكرامة التي تكرمونه بها وتعلون بها من قدره أمام الآخرين.
فجزاء من يأبي لنفسه مثل هذه الكرامة.. أن يحرم منها
وحسب من يعميه غروره وتكبره عن أن يعتز بمن يعتزون به ويتشرفون بالانتساب اليه ويعتبرونه نجم الأسرة الوحيد أن يحرم نفسه بيده من مثل هذا الاحساس الانساني الثمين، ذلك أننا في النهاية لا قيمة حقيقية لنا إلا لدي من يحبوننا ويعتزون بنا وتنطوي صدورهم لنا علي مشاعر الحب والاكبار والاعزاز، وفيما عدا هؤلاء فلسنا بالنسبة لغيرهم سوي ذرات سابحة في فضاء الكون السحيق.. لا يشعرون شعورا حقيقيا بها ولا يفتقدونها اذا غابت.
فكيف يباعد ذو قلب حكيم من لاقيمة له إلا لديهم ويقرب من لايساوي لديهم في الميزان الحقيقي شروي نقير؟
===

المثال المتكرر

لسنوات تقارب العشرين تابعت بريدكم وتفاعلت معه وعشت مشاكله.. فأنا سيدة في منتصف الثلاثينات من عمري، نشأت في إحدي محافظات الصعيد بين أب ميسور الحال وأم كنت أراها قاسية واخوة وأخوات، ولقد بدأت عقدي النفسية تتشكل منذ الطفولة لسببين، الأول سوء معاملة والدتي المستمرة لي ومقارنتها الدائمة بيني وبين أختي التي تفوقني جمالا، وتشبهها إلي حد كبير، بينما أشبه أنا والدي. والثاني تعرضي لعدة تحرشات جنسية ممن يعد بمثابة جدي دون أن أجرؤ علي مصارحة والدتي بذلك خوفا منها ومن قسوتها الشديدة، وقد نشأت في هذا الجو، وأذكر هنا موقفين محددين أثرا في كثيرا فقد خطبت وأنا مازلت في المدرسة الثانوية رغبة مني في الهروب من جو المنزل ومن أمي وضعف شخصية أبي معها، ثم تعرضت لمشكلات كثيرة وانهرت وارتميت ذات مرة في حضن أمي طلبا للحنان ولكنها لم تحتضني، وانما ابعدتني عنها، والآخر أني جاهدت قبل ذلك للحصول علي مجموع لكي ألتحق بكلية ولا أكتفي بالدبلوم كما فعل معظم أخوتي، فقابلت أمي ذلك بثورة شديدة، اذ كانت تريد لي الاكتفاء بالدبلوم والزواج الذي تراه الحل الوحيد لنا،وترغمنا عليه حتي ولو كان الزوج غير مناسب.
المهم انني قاومت كل ذلك وأكملت تعليمي الجامعي وعملت بعد التخرج، وكانت خطبتي قد فسخت، فأصبحت أمي تلقبني بالعانس لوصولي إلي سن الـ٢٥ سنة بدون زواج حتي من الله علي بالزواج من انسان ممتاز وعلي خلق، وحمدت الله كثيرا، وبدأت حياتي معه وانا أمني نفسي بالسعادة ومحاولة تعويض كل مافاتني في حياتي وبالذات مع أطفالي الذين سأكون لهم أما في غاية الحنان كما كنت أري أمهات زميلاتي، وسارت بي الحياة ورزقت بولدين منحتهما حبا وحنانا بالرغم من بعض الثورات العصبية التي تنتابني من حين لآخر علي أتفه الأشياء، حتي وصل أبني الأكبر للصف الأول الابتدائي وبدأت محاولة تنظيم وقته ومذاكرته تحت اشرافي مع ثورات عنيفة جدا وتكسير لما في يدي إن احسست بأي تقصير من جانبه في هذه السن الصغيرة، أو إذا نقصت درجاته درجة واحدة عن الدرجة النهائية، وانتهي العام الدراسي الأول ثم جاء العام الثاني فأصبحت أثور بشدة أكثر وأصرخ بشكل هيستيري متواصل واصبحت للعجب أكرر نفس عبارات أمي التي كانت تقولها لي وتصفني فيها بالفشل والخيبة وقلة الأدب، وما إلي ذلك، وبنفس الالفاظ وبنفس الطريقة البذيئة، بل لقد تجاوزت كل الحدود عندما ظللت أضرب ابني حتي كسرت ذراعه ووضعت في الجبس لفترة، وفي كل مرة تحدث مشاكل ضخمة بيني وبين زوجي تصل إلي حد حرج لولا تدخل الأقارب، وفي كل مرة أجاهد نفسي لكيلا أصل إلي هذه المرحلة دون نتيجة، ولقد بكيت بشدة بالأمس بعد أن ارتمي ابني في حضني فإذا بي أبعده عني بنفس القسوة والجفاء اللذين ابعدتني بهما أمي في موقف مماثل.
انني لا أريد أن أفقد أولادي ولا زوجي، وأريد أن أمنحهم حبي وحناني.. لا ثورتي وغضبي وضربي الوحشي لهم، حتي صاروا في منتهي العصبية والعنف، ولست اعرف اين هذا مما كنت أحلم لهم به، ان الحنان والحب بداخلي لكني لا أستطيع إخراجهما لأولادي والتعامل بهما معهم، وأري شبح الفشل يخيم علي حياتي، فهل صدقت مقولة أمي لي بانني سأفشل في حياتي دائما وأرجع لها ذات يوم أجر أذيال الخيبة، ساعدني ياسيدي ليس لأجلي، فأنا قاسية لا أستحق الشفقة، ولكن لأجل هؤلاء الاطفال الصغار الأبرياء الذين لاذنب لهم سوي انهم ولدوا لأم مثلي لاتقدر معني الأمومة ولاتفهمه.

والشئ الأخير الذي أود قوله إن أمي كانت تسرق أبي كثيرا، ونحن نعلم بذلك، فهل تدري ماذا حدث لي بعد زواجي؟ لقد أصبحت أسرق زوجي في الفترة الأخيرة دون أي إرادة مني أو مقاومة وتحت مسميات كثيرة، فهل أنا مريضة ولمن ألجأ؟!.إنني اعيش في مجتمع مغلق ويصعب فيه اللجوء إلي الطبيب النفسي.. ولو فعلت لاتهمني البعض بالجنون فماذا أفعل؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أسوأ ما في النفس البشرية ـ كما قال المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي ـ هو ان يقلد ما فعله جلادوه به مع الآخرين، بدلا من ان يتعفف عن تكرار ماعاناه بنفسه مع غيره!

وانت ياسيدتي قد اخرجت للأسف أسوأ مافي النفس البشرية بتكرارك لأخطاء والدتك تجاهك مع ابنائك الصغار.. ولقد كان الظن ان تكون تجربتك الشخصية مع قسوة الأم والحرمان من عطفها وحنانها، ومقارناتها الظالمة بينك وبين شقيقتك، أكبر دافع لك لكي تقدمي لأطفالك أثمن ما يستطيع ابوان ان يقدماه لابنائهما علي حد تعبير الروائية الانجليزية الشهيرة أجاثا كريستي، وهو.. طفولة سعيدة خالية من بذور العقد النفسية!.

فكيف انجرفت الي هذه القسوة السادية علي أطفالك وأنت التي كابدت قسوة الأم عليك.. وجفاف مشاعرها تجاهك؟

وكيف انجرفت إلي تكرار ما كنت بكل تأكيد تنكرينه علي والدتك، وهو اغتيال مال الزوج بغير علمه!.

ان الضمير الأخلاقي في ابسط تعريف له هو قدرة المرء علي التفريق بين الحق والباطل.. وهو شئ فطري في الانسان، لكنه يتأثر بالوسط الذي ينشأ فيه.. وهو كما قال احد الفلاسفة المعاصرين يشبه اية عضلة من عضلات الجسم إن لم يستخدمها المرء ضعفت ووهنت، ولهذا فان امتلاك الضمير الأخلاقي شئ واستعماله شئ آخر ولابد لنا لكي نحيا حياتنا علي النحو الصحيح ألا نهمل أبدا عضلة الضمير هذه وان نحتكم اليها دائما في كل افعالنا وتصرفاتنا لكيلا تضمر وتذبل وننطلق في الحياة كالوحوش الضارية لاتحركنا إلا غرائزنا وشهواتنا ورغباتنا وانفعالاتنا العصبية.

فراجعي نفسك وضميرك ياسيدتي وابدئي صفحة جديدة مع ابنائك ومع شريك حياتك، وتذكري كلما هممت بايذاء اطفالك بدنيا او معنويا أو بمد يدك إلي مال زوجك، قصة الرجل الصالح الذي درب ابن شقيقته وعمره٤ سنوات علي ان يقول لنفسه كل يوم وهو في فراشه يستعد للنوم: الله معه.. الله ناظر إلي.

ففعل ذلك ثلاث سنوات حتي اعتاده فلما بلغ السابعة قال له خاله: من كان الله معه.. وينظر اليه.. هل يعصاه؟! فاجابه: لا!

فاصبح بهذا التوجيه الحكيم من كبار العارفين بالله وهو سهل بن عبدالله التستري.

فهل يصعب عليك ان تفعلي ذلك؟.. أوليس تكرار مثال هذا العارف بالله أفضل لك ولابنائك ولزوجك وللحياة بصفة عامة من تكرار مثال والدتك الذي كابدت مرارته في الماضي؟

وما قيمة التجربة الشخصية إذن اذا كنا لانستفيد بدورسها في تجنب تكرار ما سبق ان عانيناه نحن في حياتنا السابقة؟

ان الامر لايحتاج لأكثر من وقفة حازمة مع النفس ومراجعة أمينة لسلوك الانسان وتصرفاته، وعزم صادق علي ألا يكرر أخطاءه، ويصلح من شأنه ويجاهد نفسه كلما وسوست له بما لايرضاه الله سبحانه وتعالي ويتعارض مع احكام الضمير، بدلا من الانسياق الأعمي وراء الانفعالات المتشنجة.. والاستسلام الخائر لرغبات النفس التي تتنافي مع الحق والعدل والرحمة.

ولا بأس ـ إذا تطلب الأمر ـ باستشارة طبيب متخصص يشير عليك ببعض المهدئات الآمنة التي تحفظ عليك هدوءك وتعفيك وتعفي ابناءك الصغار من الثورات البركانية والانفعالات المدمرة.

===

المتمــــــــــردة

هل تذكر رسالة البوح الجميل للسيدة التي ابتليت بالمرض اللعين فلم يفسد عليها صفاء قلبها.. وإنما زادها إيمانا بربها ورضا بقضائه.. وخلت نفسها من المرارة حتي راحت تعدد نعم الله الكثيرة عليها ؟ وهل تذكر ماقلته لها في تعليقك علي رسالتها من أن النفس الجميلة تخلو دائما من المرارات مهما تكن قسوة الحياة علي صاحبها ؟، لقد دفعتني هذه العبارة الأخيرة لأن أروي لك قصتي وأزيح عن صدري بعض همومها.. فأنا سيدة في الرابعة والثلاثين من عمري، نشأت في أسرة بسيطة بين أب عامل وأم ربة بيت غير متعلمة و٧ أخوة من البنين والبنات، وكنا نعيش جميعنا في غرفتين ببدروم بيت متهالك، ويشقي أبي لكي يوفر لنا طعام يومنا.. وتصنع أمي المعجزات لكي تستر أجسادنا فلا نخرج إلي الطريق عراة أو مهلهلي الثياب.. وبسبب انشغال أبي بكفاحه في الحياة كان يغادر البيت في الصباح فلا يرجع إلا في منتصف الليل منهكا فلا نكاد نراه أو يرانا.. وقد وهبني الله منذ الصغر جمالا لافتا للنظر.. فكنت أجمل شقيقاتي، وشعرت منذ الطفولة بنفسي وتميزي عليهن وعلي بنات الجيران، وبدلا من أن أتقبل حياتي وأندمج معها كما يفعل أخوتي.. نشأت كارهة لحياتي وفقر أسرتي ومسكننا الحقير في البدروم.. وحاقدة علي سكان الأدوار العليا الذين ينظرون إلينا نظرة متعالية.. وتماديت في سخطي علي حياتي حتي خيل إلي في بعض الأوقات أنني أكره أبي.. وأكره مسحة المسكنة والاستلام البادية علي وجهه..

وكثيرا ماحاسبته في خيالي عن فقره وعن إنجابه لكل هذا العدد من الأبناء وهو لا يستطيع توفير الحياة الكريمة لهم.. ولم تنج أمي كذلك من سخطي عليها لزواجها من أبي واستجابتها له في الإنجاب بكثرة.. وكثيرا ماانفجرت فيها إذا رأيتها تتطوع لخدمة إحدي سيدات العمارة أو مساعدتها في أعمال المنزل، كما كنت أرفض دائما أن أذوق أي طعام تهديه لها إحدي هؤلاء السيدات في المناسبات الدينية مهما كنت جائعة.. في حين كان أخوتي يتصرفون ببساطة ويقبلون علي التهامه.. وشيئا فشيئا بدأت أشعر بأن أمي تتهيبني وتتجنب الاحتكاك بي، وبدأت ألاحظ كذلك أنها تخفي عني قيامها بمساعدة سيدات العمارة في أعمال البيت من حين لآخر مقابل أجر.. كما تخفي عني مايقدمنه لها من ملابس أبنائهن التي توزعها علي أخوتي دوني.. وتقتطع من رزق أسرتي ماتشتري به لي الملابس الجديدة فأسعد بذلك مهما تكن رخيصة الثمن.. كما بدأت أمي تنظر إلي في صمت في بعض الأحيان وت

قول لي إنها تشعر بالخوف علي أكثر من خوفها علي كل أخوتي.. لأن نفسي كبيرة.. ومتمردة وسوف يعرضني ذلك لمشاكل كثيرة في حياتي..، ولم يغير نصحها لي بالتواضع والرضا بحياتي شيئا، وكان الشيء الوحيد الذي يخفف من إشفاق أمي علي هو أنني كنت وعلي عكس كل أخوتي أنجح في دراستي كل سنة بلا تعثر.. وقد زادني سخطي علي حياتي إصرارا علي ألا أفشل في الدراسة.. وحين بلغت سن الصبا بدأ تهافت الشبان علي.. وكثرت معاكساتهم لي.. بل ومعاكسات بعض الرجال أيضا من الجيران..، وراح أكثر من واحد يحاول الاقتراب مني ويخطب ودي.. فكان رد فعلي علي ذلك دائما في غاية الشراسة، فألزمت كل فتي حده.. وجعلته يتردد ألف مرة قبل أن يفكر في مغازلتي، وأردت بذلك أن أقول لمن أغراهم فقري بالتحرش بي، إنني لست صيدا سهلا لأحد مهما تكن ظروفي..

وبلغت مرحلة الثانوية العامة.. واشتدت حاجتي إلي نفقات إضافية للدروس الخصوصية.. ولم يستطع أبي أن يقدم لي سوي القليل، فاعتمدت علي مجموعات التقوية.. والفصول الملحقة بالمساجد، ونجحت في الامتحان ولكن بمجموع ضعيف لا يؤهلني إلا للالتحاق بمعهد فوق المتوسط..، وسعد أبي وأمي بنجاحي، لكني تلقيت الخبر بحزن شديد.. ورفضت نصيحتهما لي بمراعاة الحال والإلتحاق بأي معهد.. وأصررت علي إعادة الثانوية العامة لتحسين مجموعي وفشلت كل جهودهما لإقناعي بالعدول عن ذلك، ولم يستجيبا لي إلا بعد أن هددتهما بالهرب من البيت والعمل في أي مكان لمواصلة الدراسة.. وكان أبي دائم الشكوي من عنجهيتي برغم الظروف القاسية، لتاجر للبويات والحدايد كان يساعده في بعض مواسم العمل مقابل أجر.. فطلب هذا الرجل أن يتحدث إلي لينصحني وأصطحبني أبي إليه.. وفوجيء الرجل بجمالي حين رآني لأول مرة، وتلطف معي وسألني عن سبب إصراري علي إعادة السنة الدراسية.. وأجبته فلم يعارضني طويلا، وإنما نصح أبي بالاستجابة لرغبتي واعدا بمساعدته علي نفقات الدروس الخصوصية.. وأقرضه بالفعل كما عرفت بعد ذلك رسوم إعادة القيد بالثانوية العامة..، وبدأ يسأل أبي عني

من حين لآخر.. إلي أن فوجئت بأمي ذات يوم تصارحني برغبة هذا الرجل في الارتباط بي، وبغير تردد رفضت العرض وثرت علي أمي ثورة عاتية واتهمتها بأنها تريد أن تبيعني لأول رجل يطرق بابها، ولم تفلح مبرراتها في إقناعي به.. ولم يؤثر في أي حديث عن أنه رجل ميسور الحال وفي الأربعين من عمره.. ومشهود له بالطيبة والاستقامة.. وأرمل منذ٤ سنوات ولديه طفلان يعيشان في كفالة أمه، ولن يشاركاني حياتي إلخ. كما لم تفلح محاولات أبي معي.. ولا مطالبته لي بأن أفكر في حال أخوتي الذين يكادون يتضورون جوعا! وأصررت علي الرفض.. وواصلت استذكاري لدروسي وحياتي المتقشفة بعناد شديد.. ومن حين إلي آخر تفاتحني أمي في الأمر وتتحدث عن العز الذي سأتمتع به مع هذا الرجل.. والذي سيفيض بالضرورة جانب منه علي إخوتي فلا تجد مني أذنا صاغية.. ودخلت الامتحان ونجحت بمجموع أهلني للالتحاق بكلية نظرية مرموقة، وانتقلت إلي عالم الجامعة الجديد ورأيت دنيا مختلفة وازداد إحساسي بفقري ورثاثة ملابسي.. وقبلت تحت ضغط هذه الظروف الملحة الهدية التي أرسلها تاجر البويات لي بمناسبة الالتحاق بالجامعة وكانت خاتما ذهبيا بعته علي الفور واشتريت بثمنه ملابس لائقة.. وفي غمرة ضيقي بالظروف القاسية التي زادني التحاقي بالجامعة إحساسا بها بدأت أفكر في قبول خطبة هذا الرجل لكي ينفق علي تعليمي الجامعي.. ويخفف شيئا من جفاف حياتي وحياة إخوتي، وأعترف لك بأنني فعلت ذلك بدوافع مادية بحتة.. ولم أفكر لحظة واحدة في شخصية الرجل أو في الامتنان له لرغبته في وتمسكه بي رغم رفضي له، وأعطيت الإشارة لأمي فطارت فرحا، وبعد أيام جاء الرجل محملا بالهدايا.. واضطررت للتنازل عن خطتي السابقة في الاكتفاء بالخطبة إلي أن أنهي دراستي الجامعية أمام إصراره علي تعجل الزواج ووعده لي بمساعدتي علي الدراسة حتي أتخرج.. وخلال٣ أشهر كنت قد تزوجت.. وانتقلت إلي مسكن جميل ومفروش بأثاث جديد وعرفت شكلا آخر للحياة غير الذي عرفته طوال حياتي السابقة وعرفت الملابس الأنيقة.. والطعام الشهي.. والنزهات الجميلة.. ووجدت في يدي لأول مرة نقودا كافية أنفقها فيما أريد وتحسنت صحتي كثيرا.. وتورد وجهي بدماء العافية، وعشت مع زوجي أتقبل كرمه.. ورغبته في إسعادي.. ومحاولاته الجاهدة لأن ينال إعجابي به، لكني ظللت في أعماقي قلبا مغلقا دونه.. ودون كل البشر ولا يشغلني إلا النجاح والحصول علي شهادتي الجامعية، والالتحاق بعمل مناسب، ثم يبدأ بعد ذلك التفكير في المستقبل!

ولاحظت أمي بإشفاق أنني لم أحمل بعد مرور عام علي الزواج.. وبدأت تشعر بالقلق، وتستحثني علي عرض نفسي علي الطبيب، لكني لم أفعل وشعرت بالارتياح لعدم حملي.. وسألني زوجي عما إذا كنت أرغب في استشارة الطبيب في ذلك فلم أتحمس.. ولم يكن هو متحمسا من الأصل للإنجاب من جديد فلم يلح علي، ومضت سنوات الدراسة الجامعية وحصلت علي شهادتي وبدأت أتطلع للعمل، ففوجئت بزوجي يعترض علي عملي بدعوي أنني لا احتاج إليه.. ووقع أول خلاف كبير بيننا فهجرت بيتي ورجعت إلي بيت أسرتي، وراح أبي يحاول إقناعي بطاعة زوجي ويذكرني بفضله علي وعلي إخوتي الذين ساعدهم في تعليمهم، كما ساعده أيضا في زواج أختي التي تليني ولكن دون جدوي، ولم يطق زوجي صبرا علي هجري له فرضخ لرغبتي ورجعت إليه، والتحقت بالعمل بإحدي الهيئات وبدأت حياتي العملية.. وأصبح لي دخل من ناتج عملي واجتهادي ومضت أربع سنوات.. وأحوالي المعنوية لا تشهد أي تغيير وكلما أمعن زوجي في التودد لي وإرضائي.. أمعنت أنا في الاغتراب عنه ولم يخف حالي عليه وقال لي ذات يوم إنني أعيش معه بجسمي فقط.. لكني سأعرف له قدره ذات يوم بعد أن يفارق هذه الحياة!

كما لم يخف حالي أيضا علي أمي.. فلامتني مرارا علي عدم تجاوبي مع زوجي، وعدم تقديري لما يفعله من أجلي وتكرر ذلك كثيرا حتي جاءت لحظة ضقت فيها بكل شئ فطلبت من زوجي الطلاق، وهجرت البيت ولم أشأ العودة إلي أسرتي لكي أستريح من إلحاحها علي.. فلجأت إلي زميلة لي في العمل زوجها مسافر إلي الخارج وأقمت لديها بصفة مؤقتة وأرسل إلي زوجي بعض أهله.. يسألونني عما انكره عليه فلا أجد ما أقوله سوي انني لا أنكر عليه شيئ لكنني أريد أن أغير حياتي! وأرسل إلي زوجي يعرض علي أن يؤمن مستقبلي ويكتب الشقة التي يقيم فيها باسمي، ويشتري لي بعض المصوغات الذهبية، فلم أجب سوي بالرفض والاعتذار، وانفجر في أبي قائلا لي: من تظنين نفسك.. إنك ابنة عامل فقير وربيبة بدروم فلماذا تتبطرين علي حياتك وهي أفضل من حياة كل إخوتك الراضين بأقدارهم؟.. ولم أجبه سوي بالدموع فانصرف ساخطا ومهددا بمقاطعتي وبعد أيام جاءني ابنا زوجي وهما ولد وبنت مهذبان وأبلغاني بأن أباهما في المستشفي ويسأل عني.. فتشككت في البداية في صدق حديثهما لكن ما شعرت به من خوفهما وحزنهما دفعني للذهاب معهما إليه.. وفي المستشفي دخلت عليه حجرته فوجدته ممددا في الفراش مصفر ال

وجه.. ومغمض العينين.. فاقتربت منه وقلت له: سلامتك ألف سلامة.. ففتح عينيه ببطء ونظر إلي دامعا.. وقال الحمد لله.. ثم أغمض عينيه مرة أخري، وطلبت من ابن زوجي أن يحضر لي ملابسي.. وأمضيت ليلتي مع زوجي.. وهو ينظر إلي من حين لآخر ويقول لي بصوت ضعيف: متشكر.! وأمضيت مع زوجي في المستشفي ثلاثة أسابيع لم أفارقه خلالها لحظة واحدة.. وعرفت من الأطباء أنه مريض بالكبد منذ فترة طويلة وأن مقاومته للمرض قد انهارت فجأة خلال الفترة الأخيرة..

وغادرنا المستشفي إلي البيت، واكتشفت جمال نفس هذا الرجل الذي أغلقت قلبي دونه طوال ما يقرب من عشر سنوات لم ييأس خلالها يوما من محاولة اكتساب مودتي، وتحسنت حالته الصحية بعض الشيء، ثم انتكس فجأة ورجعنا إلي المستشفي وهو في حالة سيئة.. واشتد به المرض ذات ليلة فبكي قائلا لي إنه يريد أن يحيا فقط لكي يسعدني ويسعد ولده وابنته.. وليس لأي سبب آخر.

ورأيت في المستشفي كل أقاربه يبكون عند اشتداد الأزمة ويذكرون له فضله ومساعدته لكل من احتاج إليه..
وشعرت لأول مرة بالفخر الداخلي لانتمائي إليه.. وانفجر ينبوع الحب في القلب المجدب، بعد طول غياب ووجدتني ذات ليلة أقبل يده أرجوه أن يسامحني علي إعراضي عنه في السنوات الماضية.. وأطلب منه أن ينتصر علي المرض ونخرج من المستشفي لكي نبدأ حياتنا معا من جديد.. وأعوضه عن كل ماحرمته منه في سنوات زواجنا.. وفوجئت بزوجي يقولي لي إنني قد أسعدت قلبه بهذا الكلام.. ومحوت بذلك كل ما كان، وإذا به أيضا يدعو لي بالصحة والسعادة والستر في الدنيا والآخرة، فطفرت دموعي فرحا بهذا الدعاء الصادق، وقبلت يده ورأسه واحتضنته.. وهو سعيد ومبتهج.. وفي الليل فارق زوجي الحياة في هدوء.. وها هو قد مضي مايقرب من ثلاث سنوات الآن علي رحيله عن الحياة ولم يمض شهر أو شهران دون أن أزور قبره.

.. وقد اكتشفت بعد رحيل زوجي المفاجئ أنه كان يتحسب للمستقبل منذ وقت طويل واشتري باسمي شهادات استثمار كافية لتؤمن حياتي..

وفي كل يوم يمضي.. أزداد إحساسا بحمقي وجهلي وغروري وقصر نظري، وتبطري علي النعمة التي كانت بين يدي ولم أحسن تقديرها، بل إني لأنظر الآن في المرآة وأسأل نفسي بماذا اغتررت علي هذا الرجل المحب الطيب وبأي شئ استكثرت نفسي عليه وقد كان أفضل مني وأنبل من كل الجوانب عائليا.. واجتماعيا.. وإنسانيا وماديا.

وأين هو هذا الجمال الذي ظننته قديما صاعقا ويدير الرؤوس؟ إنني أسير في الشارع فلا يلفت منظري أحد ولا يتوقف أمامي أحد كما كان غروري يصور لي من قبل وأذهب إلي العمل فلا يقترب مني إلا الطامعون في نزوة عابرة يظنون أن ترملي ييسرها لهم، وهؤلاء هم من أستعيد شراستي لإيقافهم عند حدهم بعد أن يتركوا في نفسي أسوأ الأثر.

فبم تهت غرورا علي زوجي الطيب الكريم من قبل وهو الذي انتشلني من الحاجة والعوز وأكرمني وأعزني ورعاني.. وتفاني في إسعادي..
وماذا أنكرته عليه حتي أغلقت دونه قلبي ملابسه غير الأنيقة؟ إنني أشتهي أن أراه الآن ببنطلونه الواسع.. وقميصه غير الشبابي وحذاءه المترب.. وتصفيفة شعره التقليدية.. وأشتهي يوما واحدا من أيام صحبته، بل وساعة واحدة منها. وأفتقد حبه وإعزازه لي وحرصه علي إرضائي وهدوءه وحسن معاملته لي.
كنت أنكر عليه أنه ليس شابا وسيما كنجوم السينما وأنه راسب ثانوية عامة؟ وما قيمة الشاب الذي يرتدي السلسلة والملابس الملونة إذا خلا قلبه من الحب والعطاء.. والحنان.. وماذا يعيب تعليمه، وبعض أخوتي لم يحصلوا سوي علي الإعدادية بشق الأنفس، ولم يدرس في الجامعة سواي.
لقد كانت لديه مميزات أعظم وأبقي من كل هذه القشور، فقد كان من أصحاب النفوس الجميلة التي أشرت إليها في تعليقك علي رسالة البوح الجميل.
وكنت أنا من أصحاب النفوس الرديئة الممرورة الناكرة للجميع، الكارهة للبشر بلا مبرر وإني لأذكر لك تعليقا آخر قلت فيه إن الوحدة هي عقاب من يكرهون الآخرين ويسيئون عشرتهم، وها هو عقاب الوحدة يحل بي، فمات أبي بعد زوجي بعام وشعرت بفراغ الدنيا كلها من حولي.. في حين يتزاور اخوتي فيما بينهم ويزورون أمي وتزورهم باستمرار ويجتمعون حولها في مسكنها هم وأولادهم.. وإذا ذهبت إليهم شعرت بالحب الذي يجمعهم وبالتفاهم السائد بينهم.. وشعرت بغربتي وسطهم فلا أطيل الزيارة وأرجع إلي وحدتي وندمي وأحزاني..
إنني أريد أن أكفر عن كل أخطائي في حق زوجي وأمي وأخوتي ونفسي فماذا أفعل؟
ولكاتبة هذه الرسالة أقول:
بدأت مشكلتك مع الحياة بأكملها بتمردك علي أوضاعك العائلية والاجتماعية ورفضك لها دون أن تكون لديك القدرة علي تغييرها للأفضل بالوسائل المشروعة.. ودون أن تتقبلي حياتك باعتبارها مرحلة مؤقتة لن تلبث أن تنقضي وتتغير الأوضاع إلي الأفضل بالصبر والكفاح والاجتهاد في الدراسة ثم العمل.. ولأنك قد اكتفيت في البداية المبكرة بالرفض والتمرد دون الصبر علي الظروف فلقد بحث عقلك المتمرد عن جناة تحملينهم مسئولية هذه الأوضاع القاسية ومغبة احساسك بالدونية و بالنقص تجاه سكان الأدوارالعليا والمتمتعين بأشكال الحياة الكريمة فلم يجد عقلك أمامه سوي أبيك وأمك، فتراوحت مشاعرك تجاههما بين المودة لهم والنقمة عليهم.. وفي ذلك وحده الكفاية لإفساد مرآتك الداخلية وجهاز استقبالك للمؤثرات الخارجية، فالمرأة المشروخة لاتعكس سوي الصور الشوهاء والمنفرة، ثم تولي إحساسك المغالي فيه بالتميز بجمالك الصاعق علي أخوتك إفساد ماكان قد بقي سالما من علاقتك بالحياة والبشر، ولا غرابة في ذلك، لأن الإحساس الموهوم بالتميز علي الغير، حتي علي أقرب الناس إلي المرء، هو دائما بداية الغرور والأنانية والحقد علي الآخرين.. والسخط علي ما أتاحته الحياة للإنسان من حظوظ.. كما أن من يري نفسه كائنا متفردا يطلب عادة من الحياة ما يري نفسه الاعجوبة هذه جديرة به.. ويسخط علي كل ما يعتبره دون ذلك من عطاء الحياة، ويحقد علي من يري من منظوره الضيق ان الأقدار قد منحتهم دونه مالا يستحقون، وكل ذلك لا يثمر في النهاية سوي نفس بغير جمال تكره الآخرين.. وتدمن السخط والتذمر وتعجز عن التواصل السليم مع الغير ومع الحياة بصفة عامة.. وتحكم علي صاحبها بالشقاء المضاعف لأنها تضيف الي همها بحظها في الحياة، همومها بحظوظ الآخرين منها.. وبما نالوه دونه.. وما ذهب إليهم وكان ينبغي له أن يسعي إليه حبوا.. إلخ.
ولأن الشاعر العربي يقول:
والذي نفسه بغير جمال
لا يري في الوجود شيئا جميلا
فلسوف تطول ساعات سخطه وحقده وضيقه، بالأشياء، وتضيق ساعات صفوه وسعادته واستشعاره جمال الحياه، وأحسب يا سيدتي أن هذا هو ما كان عليه حالك في معظم سني طفولتك وصباك وبداية شبابك، ثم لأنك وكما تعترفين بصراحة قد قبلت بالزواج من ذلك الرجل الطيب بدوافع مادية بحتة، هي الرغبة المجردة في تأمين مورد للدخل يتكفل بنفقات تعليمك الجامعي، ومع عجز مرآتك الداخلية للأسباب السابقة عن استقبال المؤثرات الخارجية علي نحو سليم، فلقد عجزت حتي عن تذوق أسباب الراحة التي أتيحت لك بعد العناء.. وغفلت عن تقدير هذا الحب العظيم الذي حمله لك زوجك حق قدره وعجزت عن استكشاف جمال نفسه وطيبته.. وهدوء طبعه ورغبته المخلصة في إسعادك وتوفير أسباب الهناء لك.. وبدلا من أن تعقدي صلحا ولو مؤقتا بينك وبين الحياة.. انطويت علي أفكارك ونوازعك وغربتك الداخلية ولم تشاركي زوجك الراحل حياته الوجدانية والعاطفية، فحق فيك قوله عنك إنك كنت تعيشين معه بجسدك فقط، أما روحك فهي محلقة علي الدوام في أجواء بعيدة.
وحين بدأ لك ان مخططك السري للنجاة من الحاجة والعوز قد أوشك علي بلوغ هدفه وأنك أصبحت قادرة علي الاستقلال عن زوجك بعد انتهاء دوره في حياتك هجرته بلا توقف أمام كل العطاء العاطفي والمعنوي والمادي الذي قدمه لك، ولولا أنك قد استجبت لرجاء ولديه بزيارة أبيهما في مرضه لكان هذا المخطط قد مضي في طريقه المقدور، ولما غلبتك في النهاية مؤثرات العشرة القديمة أو ربما الحرج الإنساني من التخلي عنه في مرضه..
ولما تفجرت في اللحظات الأخيرة من عمره شرارة الحب أو العطف في قلبك تجاهه.. فأتاح لك قربك منه في

المحنة.. استشعار الندم علي الحب الذي كان بين يديك وتمردت عليه والسعادة التي كانت متاحة لك ولم تعرفي لها قدرها في الوقت المناسب.. وهكذا نحن البشر في كثير من الأحيان.. لا نعرف قيمة الأشياء غالبا إلا حين نشعر بأننا علي وشك أن نفقدها.. ولا نعرف عمق المحبة إلا قبيل الرحيل.

ولقد عرفت الآن يا سيدتي ما يعرفه دائما أصحاب القلوب الحكيمة، من أنه لا قيمة لنا في الحياه إلا لدي من يحبوننا ويعتزون بنا، وأنه مهما علت أقدارنا.. أو مهما كان لنا ما نتصوره في أنفسنا من المميزات، لا نعدو في النهاية أن نكون بالنسبة لمن لا يعنيهم أمرنا سوي مجرد ذرات من تراب الإنسانية علي حد تعبير الفيلسوف الألماني نيتشه، وبالتالي فإنه من واجبنا دائما ان نحرص علي من يحرصون علينا ويعتزون بنا وألا نتبطر علي حبهم لنا وعطفهم علينا.

كما لابد أنك قد عرفت أيضا أن كره الآخرين طرد إرادي للسعادة، كما يقول لنا الأديب الفرنسي بول فاليري، وأننا نحتاج دائما الي من نهتم بأمرهم ويهتمون بأمرنا.. ونتشارب معهم كؤوس المودة والمحبة والصفاء، فإذا قلت لك إن أخوتك الراضين منذ البداية بحياتهم والذين تحسنت أحوالهم تدريجيا بغير طفرات غير طبيعية كانوا ومازالوا أكثر استشعارا منك للسعادة وجمال الحياة لما تجاوزت الحقيقة، ذلك أنهم لم يكابدوا مثلك أحاسيس السخط وكره الآخرين، ولم تفسد مشاعرهم تجاه أبويهم.. ولم يعجزوا عن التواصل والتراحم فيما بينهم وبين أمهم، وفيما بين بعضهم البعض، في حين تشعرين أنت بالوحدة والغربة معهم لتقطع الخيوط بينك وبينهم ولانفصالك الوجداني عنهم منذ زمن بعيد..

ولقد راجعت أنت الآن موقفك من الحياة.. وأدركت أخطاء تعاملك السابقة معها، وترغبين في التكفير عنها.. فلتكن البداية إذن أن تحرصي علي ذكري زوجك الراحل، وأن تعترفي له جهرة بفضله وطيب معشره ودوره في حياتك وتشيدي به وبسجاياه الحميدة وأخلاقه الكريمة في موضع ذكره، وأن تحرصي كذلك علي مودة ابنيه وأهله.. فتزوري هذين الابنين علي الدوام وتهتمي بأمرهما ودراستهما ومستقبلهما وتحرصي علي تعميق علاقتك الإنسانية بهما، ثم تأتي أهمية أن تستعيدي علاقتك الطبيعية بأمك وأخوتك وأن تقتلعي من نفسك بقايا الإحساس الخاطيء القديم بالتميز عنهم والترفع علي عالمهم لأنهم عالمك الأصيل مهما حاولت غرس جذورك في أراض أخري، كما أنهم ذوو رحمك وقرباك الذين لا قيمة لك في الحياة لدي غيرهم.. ولا بغيرهم..

فإذا كنت تسألين عن الطريق الي ذلك فإني أذكرك بالنصيحة القديمة التي تقول: إذا أردت أن تحصل علي صديق مخلص لك فكن أنت أولا صديقا مخلصا لأحد من البشر وسوف يصبح غالبا هو هذا الصديق المنشود، وهي نصيحة صالحة للتطبيق مع الأهل الأقربين، كما هي صالحة مع غيرهم من البشر، ومادمت قد عرفت بوعي كل أسباب الداء الذي أفسد عليك من قبل أوقاتا ثمينة من العمر، فلقد عرفت بالتالي الدواء الناجع لها.. وهو التصالح مع الحياة.. والرضا بما أتاحته لنا الأقدار والتخلص من إحساس التفرد والتميز ونبذ الاستعلاء والغرور والإحساس بالنقص والحقد والكراهية والمشاعر السلبية تجاه الآخرين ولابد أن يحقق هذا النهج القويم في النهاية أهدافه، ويصلح ما بين المرء ومن حوله..، مصداقا لقوله تعالي:

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا.. وشكرا علي رسالتك المفيدة.

==

المتفـوق

أنا سيدة في الثانية والثلاثين من عمري تخرجت منذ ٨ سنوات في احدي الكليات العلمية وأعمل بوظيفة محترمة وبمرتب لا بأس به . وقد بدأت رحلتي في الحياة في ظل أبوين عطوفين لم ينجبا غيري . وكان أبي مهندسا أمضى حياته في خدمة الحكومة قنوعا شريفا فعشنا حياة هادئة لا ترف فيها ولا ضيق، وقد جعل أبي هدف حياته أن يحسن تعليمي وتربيتي فأدخلني المدرسة الفرنسية منذ صغري، ولم يبخل علي بشئ في سبيل تهذيبي وتقويمي، وكان يقول لي أنت ثروتي الوحيدة التي خرجت بها من الحياة، ولقد أحببته وأحببت أمي كثيرا ونشأت في جو أسري صالح . ومضت بنا الحياة هادئة إلى أن التحقت بالجامعة وتقدمت فيها حتى السنة الثالثة وفي هذه المرحلة من العمر تعرفت بزميل لي في الجامعة كان ينافسني في التفوق بالكلية، فكان ترتيبي الأولى علي دفعتي في السنة الأولي وكان ترتيبه هو الثاني وفي السنة الثانية جاء هو الأول وكنت الثانية، فلما جاءت السنة الثالثة تقدم مني ذات صباح في الكلية، وقال لي بدون مقدمات أنه آن الأوان لكي نتعرف جيدا، لأن خط كل منا في الحياة متشابك مع خط الآخر ! ! .

ورحبت بالتعارف به ، فلقد كنت أشعر بأننا سوف نلتقي ذات يوم رغم أننا لم نتبادل سوى كلمات التحية في مناسبات متفرقة وسألني عن الطريقة التي نتعرف بها فقلت له إن الطريقة الوحيدة التي أعرفها هي أن يقوم بزيارتي في البيت لأقدمه لأبي وأمي كزميل لي لأني تعودت علي أن أفعل كل شئ في النور .. وألا أخفي شيئا عن أبي وأمي ، فتردد قليلا ثم قبل دعوتي له لتناول الشاي عصر اليوم التالي وأعطيته العنوان ، وعدت للبيت فرويت لأمي وأبي كل شئ وفي الموعد جاء زميلي واستقبله أبي بلا تكليف ورحب به وتحدث معه عن الدراسة والكلية ورحبت به أمي بطبيعية وقالت له إنها تعرف أنه ينافسني في التفوق وأنها سعيدة بذلك لكي يحفزني علي التفوق دائما . وأمضينا ساعة في جلسة عائلية هادئة وانصرف زميلي سعيدا ، وفي اليوم التالي سألني عن رأي أبي وأمي فيه فقلت له ما قالاه وهو أنه شاب ذكي مجتهد ، فسألني عن رأيهما في " هندامه" لأن ملابسه ليست

غالية في رأيه ، فقلت له إنهما لا يقيمان الناس بملابسهم وإنما بأخلاقهم واستقامتهم ، فسعد جدا بهذا الكلام وبدأ يزورني كل أسبوع أو أسبوعين .. ويزور أبي في مكتبه و أحب أبي كثيرا وأحبه أبي الذي لم ينجب ولدا ولم تمض أسابيع حتى فاتحني بحبه ورغبته في خطبتي وخوفه من أن يرفضه أبي لأنه من أسرة صغيرة وأمامه سنوات طويلة لكي يستطيع أن يبني حياته ، فشجعته علي مفاتحة أبي وطلبت منه أن يشرح له كل ظروفه بلا مداراة ، وجاءنا عصر ذلك اليوم وانتحي بأبي جانبا في الصالون وتحدث معه طويلا وأبي يسمع له بعطف .. ثم انتظر كلمته فنادي أبي أمي وناداني .. وجلسنا فقال موجها الحديث لأمي : اشرحي " لفلان " كيف كان حالي حين تعرفت بك وتقدمت لخطبتك وكيف ساعدني أبوك رحمه الله في بداية حياتي ، فانطلقت أمي تحكي قصة زواجها وكفاحهما وتنقلهما بين مدن الأقاليم إلى أن استقرا في القاهرة وأثثا هذه الشقة .. الخ.

وأنهت حديثها بأن الحب يصنع المعجزات وأن سنة الحياة أن يبدأ الإنسان صغيرا ثم يكبر وأن يساعد الكبير الصغير في بداية مشواره.

ولم يتردد أبي في الموافقة لأنه قد سألني حين أبلغته بالأمر عن مشاعري تجاهه ومدى رغبتي فيه فأجبته بالصراحة التي تعودتها معه وشرحت له كل ظروفه العائلية .. فلم يتوقف عندها لأنه يحترم كل إنسان مهما صغر شأنه ..

وهكذا جاءت أسرة خطيبي لتخطبني ورحبت بها أسرتي ولم تشعر بأي غربة رغم انكماشها وتهيبها ، وكان الأمر الذي أثار تردد خطيبي هو أن أباه موظف صغير بالابتدائية القديمة ، وأن أمه شبه أمية ، لكن ذلك لم يغير من الأمر شيئا وسعدت بخطبتي ولم أخف فرحتي عن زميلاتي وصديقاتي ورحنا نذاكر معا ونحضر المحاضرات معا وظهرت نتيجة السنة الثالثة فكنت الأولى مرة أخرى وكان هو الثاني ، وقال لي خطيبي ضاحكا بعدها أنه تعمد ألا يجيب على احدى فقرات سؤال في احدي المواد لكي يعطيني الفرصة " كجنتلمان " علي حد تعبيره لأن أتقدم عليه في الترتيب ، فثرت عليه وطالبته بألا يفعل ذلك في السنة النهائية لكي لا يضيع فرصته في التعيين كمعيد في الكلية وأن يترك الأمر للحظ والنصيب وحدهما .

وأيدني أبي في ذلك وضحك طويلا وضحك طويلا لهذه الحكاية .. واعتبرتها أمي دليلا قاطعا على حبه لي .. ثم جاءت السنة النهائية وبذل كل منا جهدا خارقا في المذاكرة .. وظهرت النتيجة فجاء هو الأول وجئت أنا الثانية .. ولم أحزن لذلك بل سعدت به لأنها كانت فرصته الوحيدة للتعيين في وظيفة معيد أما أنا فقد كنت لا أجد نفسي في التدريس واتمنى أن أعمل عملا آخر .. ومع ذلك فلم يعين لا هو ولا أنا بالكلية وإنما عينوا الثالث والخامس ! !

وثار خطيبي ثورة عارمة وسب ولعن ونوى أن يرفع قضية على الكلية ، فحاول أبي تهدئته والتخفيف عنه بأنه سيسعى لتعيينه في هيئة علمية لها نفس مكانة الجامعة وبنفس الكادر الجامعي ، وفعلا تمكن من تعييننا معا في هذه الهيئة ، وبدأنا حياتنا العملية وانتوينا معا أن نستكمل دراساتنا العليا .. وبعد شهور من التعيين رحل أبي عن عالمنا في هدوء .. لفظ أنفاسه فجأة وهو جالس إلى مكتبه قبل أن يصل إلى سن المعاش بعامين كأنه أراد أن يطمئن علي أنه قد وضعنا علي بداية الطريق ثم يتركنا لنستكمله معا ، وعرفت الحزن لأول مرة في حياتي .. وخلت حياتنا من أبي الباسم العطوف ، ووقف خطيبي إلى جواري في هذه المحنة وخفف عنا الكثير منها .. وبعد أن انتهت أيام الحداد فاتح أمي في أن نعجل بالزواج .. فعرضت عليه أن نتزوج معها في شقتها لأنها أصبحت خالية عليها بعد رحيل أبي ، وأيدت اقتراح أمي بشدة وتم الزواج بعد احتفال بسيط ، وأحسست أن الله قد عوضني عن فقد أبي بأب وزوج لا يختلف عنه .. وابتسمت أمي لأول مرة بعد أن وجدت في زوجي الابن ورجل الأسرة بعد غياب أبي .

وأنجبت طفلة جميلة حولت هدوء بيتنا إلى ضجيج لذيذ وتقدم زوجي في عمله بخطوات سريعة ، وتقدمت معه ، وعدنا إلى مشروعنا القديم للدراسات العليا ورجعنا للمذاكرة سويا والسهر معا ، وحصلنا معا على الماجستير في فترة متقاربة وسجلنا للدكتوراه ، وفي هذه الفترة بدأ حماسي للدراسة يقل لأني شغلت بعملي وبيتي وابنتي وأمي وبزوجي قبل كل شئ ، وقلت له أنني سأتفرغ لرعايته خلال إعداد الدكتوراه علي أن أستكملها أنا فيما بعد ، لأنه كان شديد الإصرار علي الحصول عليها في فترة قياسية ليعمل بالتدريس الجامعي حلمه القديم . وفي أقل من ٣ سنوات ناقش رسالته وحصل على الدكتوراه ولم أكن أنا قد أنهيت نصف رسالتي بعد ..

ولم يتنازل زوجي عن رغبته في التدريس فسعى إلى الانتداب لاحدى كليات الأقاليم ليدرس بها وأصبح يغيب عني ثلاثة أيام كل أسبوع ، ولم اعترض على ذلك بل سعدت له ، لكني وجمت حين جاءني ذات يوم ليقول لي انه سعى للعمل في احدي الجامعات العربية وانه سيسافر إليها وحده لكي لا أقطع دراستي للدكتوراه وحاولت إقناعه باستطاعتي تأجيلها لعامين لكي أسافر معه .. فرفض بحجة أنني لو سافرت معه سأنصرف نهائيا عنها وهذا ما لا يرضاه ..

وهكذا افترقنا لأول مرة منذ ٨ سنوات .. وغاب شهور العام الدراسي كلها وجاء الصيف فعاد معه وقابلته بكل شوق الزوجة المحبة لزوجها وأصبحت فترة إقامته معنا عيدا ، ومضي عام دراسي آخر ثم عاد محملا بالهدايا وأشرقت حياتي من جديد وفي هذه الأجازة طالبته بالعودة لكليته بالجامعة الإقليمية ، خاصة وان حياتنا معقولة وليس لدينا سوى ابنة واحدة نستطيع تربيتها أفضل تربية ، لكنه قال لي انه شقي في حياته كثيرا ويريد أن يوفر لابنته كل ما يكفل لها الحياة الراقية المريحة ، وسافر مرة أخري ثم عاد في أجازة العام الثالث ومن اللحظة

الأولي التي رأيته فيها أحسست بأن شيئا ما فيه قد تغير ، ففرحته بلقائنا يشوبها نوع من الوجوم ويكاد يشعر بالخجل تجاهي وسألته عما به وألححت عليه فانهار وبكي ثم فاجأني بأخر ما كنت أتوقع أن أسمعه منه فقد قال لي زوجي الحبيب أنه دعي وهو هناك لمساعدة طالبة " وطنية " أي من أهالي البلد الذي يعمل فيه في رسالتها للماجستير ، وأنه استجاب للدعوة أملا في أن يساعده أبوها في " تثبيت أقدامه " بهذا البلد على حد تعبيره ، لأن الجامعة تتجه للاستغناء عن " غير المواطنين " وأنهت بالفعل خدمة عدد من زملائه ، وأن هذه الطالبة مطلقة في السادسة والعشرين من عمرها ولا تنجب وأنه .. وأنه .. تزوجها ! ! .

هل تتخيل ذلك ؟ .. وهل تتخيل حالي حين سمعت هذا الكلام وأنا التي كانت تعد الأيام علي وصوله وتشطب على أوراق النتيجة كل يوم وتفرح باقتراب موعد عودته ؟ ! ! .

هذا ما حدث يا سيدي .. والعجيب أنه يطالبني بأن أسامحه لأن ضميره يعذبه .. وأنه لن يفرط في ولا في ابنته وأن هذا " المشروع " مؤقت وسينتهي في اللحظة التي تنتهي فيها إعارته ! .

كانت أجازة سوداء .. أمضي كل لياليها ينام في الصالون ولا يجسر على أن يرفع عينيه في عيني وكلما نظرت إليه طفرت الدموع من عيني .. وتعجبت كيف هان الحب عليه وأنا التي لم أغاضبه يوما .. ولم ير مني شرا ، واقتربت عودته .. وجاء يودعني ويطلب الصفح عنه ! ! فقلت له كلمة واحدة : الطلاق ! فارتاع كأنه يسمع شيئا غير متوقع وقال لي انه لا يستغني عني فقلت له إذن طلاق الأخرى وعودتك لجامعتك .. أو سفري معك ، فطالبني بمهلة ليدبر أموره .. وطالبني أيضا بألا أنساق وراء عواطفي ! .

ويبدو يا سيدي أن المصائب لا تأتي فرادي كما يقولون ، فعقب سفره بشهرين رحلت أمي عن الحياة وأصبحت وحيدة تماما بلا أهل ولا زوج وعاد زوجي في أجازة لمدة أسبوعين ليقف إلى جواري في هذه المحنة لكنه رفض العودة النهائية إلى عمله في مصر وطالبني مرة أخري بتحكيم العقل !.

ومضت الشهور ثقيلة حزينة .. وأنا وحدي فليس لي إخوة ولا أقارب قريبون مني سوى خال وحيد يقيم في مدينة بعيدة وقد جاء عند الوفاة ثم عاد لمدينته .. أما أهل زوجي فكانوا يزورونني من حين لآخر .. وحين جاء أبوه بعد الوفاة قال لي وهو صادق انه غاضب مما فعل ابنه وانه لا يقره عليه لأني طيبة وجميلة وقد وقفت بجواره منذ عرفته ، لكنه لا يملك أن يرغمه على شئ ..

ومضت الأيام ثقيلة حتى فوجئت بزوجي يدخل علي ذات يوم بغير أن يخطرني من قبل بعودته .. وبلا حقيبة سفر كالعادة .. لأكتشف من حديثه أنه جاء منذ أيام مع زوجته الجديدة ويقيمان في فندق ٥ نجوم يليق بمكانتها ! وأنه جاء ليراني ويرى الطفلة ويستأذنني في أن تزورني " زوجته " لتتعرف علي وترى الطفلة التي تحبها كثيرا لأنها تحب الأطفال ومحرومة منهم ، ثم ليشكو لي من أبيه وأمه اللذين رفضا أن يزورا الزوجة الجديدة في الفندق وقالا له لا نزورها ولا تزورنا لأننا لا نعرف لك زوجة سوى " فلانة " التي قبلتك وأنت لا تملك شيئا وحفظتك في غيابك ولم نر منها ولا من أبويها إلا كل خير خلال السنين الطويلة ! وهذه كلماته هو بنفس الحروف والله يا سيدي .. فرفضت أن تزورني أو أن تري الطفلة بالطبع .. وانصرف آسفا .. وظننت أن الأمر قد انتهي عند هذا الحد .. لكنه عاد من جديد يقدم لي عرضا أغرب وأعجب .. فهل تعرف ماذا يريد يا سيدي ؟ .. يريد مني ألا أكون " أنانية " وأن أضحي من أجل سعادة ابنتي .. وأن يأخذ ابنتي معه ليلحقها بالمدرسة الابتدائية لأن التعليم هناك ممتاز .. لكي تتمتع " بالعز " الذي ترفل فيه " ضرتي " وتتوافر لها ظروف التربية الراقية علي يد مربية سيرلانكية وتتمتع بالألعاب الاليكترونية والملابس الفاخرة .. الخ ! وسوف يعيدها إلي في أجازة الصيف لتمضي معي ٣ شهور كل سنة ! .

ولم أشعر بنفسي وأنا أسمع الكلام .. وصرخت من أعماقي .. يا ظالم حتى ابنتي تريد أن تحرمني منها بعد أن حرمتني منك ، وبكيت وولولت وطالبته بالطلاق .. فخرج آسفا وسافر بغير أن يودعني ، وراح يلاحقني بالرسائل من هناك .. يحاول إقناعي باستمرار علاقتنا " الزوجية " ! وبقبول سفر ابنتي إليه ويحاول إغرائي أحيانا .. وتهديدي أحيانا أخرى بأنها ابنته ومن حقه أن يضمها إليه ليوفر لها حياة أفضل ، رغم أن عمرها ٦ سنوات فقط .

وقد احترت في أمري .. ولم أعد أنام الليل من همومي .. فهل يستطيع يا سيدي أن يضمها إليه فعلا بحجة الحياة الأفضل قبل السن الشرعية ؟ وماذا أفعل لو جاء وطلب سفرها معه بقوة القانون وهو أبوها إنني وحيدة وليس بجواري أحد أسأله وأستشيره وأبوه وأمه وإخوته متعاطفون معي لكنهم لا يملكون له شيئا فماذا أفعل .. هل أستمر في هذه الحياة .. أم أطلب الطلاق وأتمسك به .. وكيف احمي ابنتي من الابتعاد عنه .. وهل أنا أنانية حقا لأني أتمسك ببقائها معي وأحرمها بذلك من التربية الراقية كما يقول ؟.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

عفوا يا سيدتي إذا قلت لك إنني لم أشعر منذ فترة طويلة بالضيق وبالتقزز من تصرف إنسان كما شعرت بهما تجاه زوجك وأنا اقرأ السطور الأخيرة من رسالتك الدامية هذه !

إن هذا الرجل يا سيدتي لم يحبك يوما واحدا ولم يستحق أبدا حبك ولا تضحياتك من أجله بكل أسف . انه إنسان أناني شديد الطموح يجيد الوصول إلى الأهداف بغض النظر عن الوسائل التي يستخدمها وما أنت سوي " درجة

" من درجات الحياة ارتقاها حين كنت أملا بالنسبة له ، وعندما لاحت له " درجة أعلى لم يتردد في التضحية بك . وارتقاها ولو لاحت له فرصة أخري أعلى لقفز إليها لتحقيق تطلعاته

لقد بلغ به التضليل لتحقيق هدفه أن يحاول انتزاع طفلتك منك وإقناعك بالمنطق المزيف بأنها تضحية من أجل سعادتها ومن أجل الحياة الأفضل والتربية الراقية لها حتى أرتج عليك الأمر وساءلت نفسك أهي أنانية حقا أن . ترفضي ذلك ؟

لا يا سيدتي لست أنانية .. وإنما الأناني فعلا وحقا هو من يريد أن يحرم أما من طفلتها وطفلة في السادسة من أمها لكي يقدمها هدية لامرأة ثرية لا تقل عنه أنانية " لتلهو " بها في أوقات فراغها ثم تنصرف عنها تاركة إياها معظم الوقت لمربية سيريلانكية أو هندية شبه أمية لكي تسقيها قيمها وسلوكياتها ، فأية تربية راقية هذه ؟ وكيف .تفضل مربية أجنبية مهما كانت مؤهلاتها عن أما طبيعية مثقفة مثلك ؟

إذا كانت زوجته ترغب في تبني طفلة فلم لم تبحث عنها في الملاجئ وهي كثيرة وموجودة في بلادها وفي كل .مكان ؟

إن كل ما في الأمر هو أن زوجك " الانتهازي " الذي قبل أن يتزوج من أخرى لمجرد أن يثبت أقدامه في الوظيفة مهدرا كل قصة حبكما الطويلة وكل سنوات العمر الجميلة هذه ، يريد أن يطيل من عمر هذا " المشروع " لأطول فترة ممكنة ، وقد استشعر بقرون استشعاره أن زوجته الجديدة راغبة في الطفلة لتعويض حرمانها من الإنجاب ، فسارع لتنفيذ رغباتها ، بغير أن يتوقف لحظة واحدة أمام حقوقك أنت فيها لأن الأناني لا يتوقف طويلا أمام حقوق الآخرين ولا يعرف سوى تحقيق رغباته هو .. ولو لم يكن الأمر كذلك لما جرؤ على أن يقترح مجرد اقتراح هذه الرغبة خوفا من أن يفشل " المشروع " ويطرد من الجنة التي يتمسك بترابها ! وهو في رأيي قصير النظر على عكس ما يتصور في نفسه لأن هذا " المشروع سوف يطرده إن عاجلا وإن آجلا لأن من طباعه التقليدية التقلب وسرعة الملل وكثرة التغيير وعندها سوف يكتشف أنه قد أضاع الحب الحقيقي من يده وأفسد . حياته واختار أسوأ نهاية لأجمل بداية بدأها معك

.وما أعجب ما أقرأ أحيانا في رسائل البريد ؟

أليست هذه هي تقريبا قصة أوبرا مدام بترفلاي؟ لو لم استشعر الصدق في كلماتك وأطلع على البيانات والأسماء التي حذفتها من رسالتك لانسقت وراء خيالي وتصورت أنك تروين لي مأساة بترفلاي ! ولا عجب في ذلك ؟..

أليس هذا المشهد الغريب الذي عاد فيه زوجك يطالبك بالابنة ليضمها للزوجة الجديدة بحجة توفير الحياة الأفضل لها هو نفس مشهد الزوج المريكي الضابط بنكرتون الذي عاد مع زوجته الأمريكية ليطالب زوجته اليابانية .بترفلاي بالطفل الوليد ليتربى في حضانة زوجته بنفس حجة الحياة الأفضل في أمريكا ؟

لقد سلمته بترفلاي الطفل وانتحرت ووجدوا بجوارها خنجرا منقوشا عليه هذه العبارة : إذا لم تستطع أن تعيش .! كريما فمت كريما

لكن ذلك قد حدث في الخيال ولأننا نتعامل مع الواقع رغم غرابته فاني أقول لك إن ابنتك من حقك شرعا وقانونا إلى أن تبلغ السن الشرعية ، وهي كل من بقي لك في الحياة الآن بعد أن خلت دنياك من الأعزاء وآخرهم هذا الغادر فلا تفرطي فيها استجابة لأي ضغط أو انخداعا بأي تضليل ، ولا يستطيع أحد أن يحرمك منها فان شئت من كبار المحامين أصدقاء عديدين سوف يسعدهم بكل تأكيد أن يقفوا إلى أية مساعدة قانونية فان لبريد الأهرام . جوارك وأن يدافعوا عن حقوقك

فإذا أردت نصيحتي فاني أنصحك بألا توقفي حياتك على هذا الزوج الذي يريد أن يجمع كل شئ بين يديه ، ويحتفظ بك كرصيد استراتيجي تحسبا لتقلبات الزوجة الجديدة ، وأطالبك بأن تخيريه نهائيا بين عودته وتخلصه منها وبين طلاقك منه . فان أبي ففي المحاكم متسع للجميع والقانون معك ، كما أطالبك بأن تستكملي رسالتك للدكتوراه وأن تنسي هذه التجربة الأليمة وتواصلي مشوار تفوقك الذي تنازلت عنه من أجل هذا الزوج وسوف تجدين دائما من يقف إلى جوارك ومن ينصرك .. وأولهم أسرة زوجك التي تعرف لك فضلك ومكانتك وتأبي لك الظلم والخداع لأن الدنيا بخير ولأن الفضلاء أكثر كثيرا من المخدوعين بالدنيا .. حتى ولو بدا لنا ذلك غير .! صحيح من شدة الظلام في بعض الأحيان

==

المتدينـون الجـدد

أكتب إليك بعد أن أوجعت قلبي رسالة حدث في المترو للشاب المصري الذي شاهد تلك المشاجرة المؤسفة والمخزية بين اثنين من المتدينين الجدد في هذه الأيام.

نعم ياسيدي هذا هو الدين الجديد، علو الصوت بالقرآن، وتراتيل الإنجيل، والموسيقي المنبعثة من الهواتف المحمولة في المواصلات، وإكراه الناس علي الاستماع مع فقد القدرة علي حسن التلاوة أو الترتيل أو الذوق، وعدم توقير العجائز ذوي الحاجات أو النساء من المسلمين أو المسيحيين. أفراد هذا الدين لا يعرفون شيئا عن دياناتهم الأصلية، لكنهم يجيدون التظاهر بأنهم أئمة وقسيسون، ودعني أكمل لك رواية هذا الشاب بما أوجع قلبي أنا الآخر في المترو نفسه.

أنا ياسيدي شاب علي مشارف الثلاثين من العمر، أعمل في مجال تقني محترم، أبي كان من رجال الأزهر الشريف ومن حملة القرآن الكريم، تربيت وتعلمت وتخرجت في الأزهر الشريف. نشأت في وسط لا يعرف التفرقة بين المسلم والمسيحي، وكان ولايزال لي أصدقاء معارف وجيران من المسيحيين، مازلت أذكر جارنا الأستاذ ميلاد صاحب المطعم الملاصق لمنزل جدي بمصر الجديدة، الذي صدمت عندما علمت بنبأ وفاته، وما كانت تحكيه جدتي لي عن شهامة هذا الرجل كان عمال مطعم الأستاذ ميلاد كلهم من المسلمين.

مازلت أذكر بعض التجار والموردين ممن شاءت لي الأقدار التعامل معهم، وكيف كان يرد مبالغ زائدة كانت تصل إليه عن طريق الخطأ من شركتنا، وأذكر فيه قوله الله تعالي: ومن أهل الكتاب من إن تأمنه بقنطار يؤده إليك.

ثم شاءت الأقدار أن ألتحق بالعمل بإحدي الشركات وكان مقر الشركة علي بعد خطوات من إحدي محطات المترو، لذلك قررت أن يكون المترو هو وسيلة المواصلات اليومية من وإلي العمل، مما أتاح لي الفرصة وللأسف الشديد لمشاهدة بل والمشاركة في العديد من المواقف التي أصابتني بالقلق، بل والخوف علي و طني، وإليك بعض مما رأيت بعيني في عربات المترو وبعض باصات النقل العام التي كنت ومازلت أعتقد أنها تصلح نموذجا قياسيا لأي باحث يريد مراقبة التغير السلبي في سلوك المصريين تجاه الدين والعقيدة، الذي أصبح في اعتقادي مجرد قشرة خارجية أو صدفة يتقوقعون داخلها تحت ضغوط الحياة المتزايدة وفشل حكوماتهم المتتالية في توفير حياة كريمة تليق بهم وكذلك تجاه تعامل الأفراد مع بعضهم بعضا وأخلاقياتهم وضياع قيم جميلة سادت مجتمعنا من قبل:

ـ سيدة مسيحية تصعد إلي المترو وتجلس بجوار شاب صغير كان يمسك مصحفا يتلو منه القرآن بصوت خفيض. وفجأة بعد جلوسها بجواره ارتفع صوته بالتلاوة بالآيات٧٣ من سورة المائدة لقد كفر الذين قالوا وما بعدها، لقد ألجم الموقف لساني وأنا أرمق السيدة التي أطرقت برأسها إلي الأرض، وأخذت أنظر إلي ذلك الشاب عديم الفهم الذي ظن فجأة أن الله ابتعثه لينذر ويبشر في وسيلة مواصلات عامة.

ـ شيخ كبير ومعمم يصعد إلي المترو المزدحم عن آخره ولا يقف أحد من الشباب الذين يحتلون معظم مقاعد المترو ـ وكثير منهم ملتحون ـ ليجلسه مكانه. كنت أنا منشغلا بالقراءة، ولولا أنني رفعت نظري وشاهدته يجاهد للوقوف بين الزحام ما أجلسه أحد.

ـ شاب يقف أمام كرسي في المترو يتلو القرآن بصوت فج مرتفع وتلاوته مليئة بأخطاء قاتلة جعلتني اضغط علي أسناني كلما اصطدم خطأ منها بأذني.

لم أذكر لك سيدي هذه الأمثلة لافتخر بعملي فهو بيني وبين ربي، ولكن لأنني أصبحت في هذه الأيام أحس بأنني أنا وأمثالي هم الشواذ عن القاعدة، أحس بأن كل عمل من مثل هذه الأعمال يقابل إما بنظرات ريبة ممن أقدمه لهم أو بنظرات استهجان من المحيطين، ولكي يعلم الشاب المسيحي أن هناك من المسلمين من يحترم كونه مصريا بغض النظر عن ديانته ويفترض فيه حسن النية بدلا من التربص، من يشعر مثله بأن هذا الوطن ليس حكرا علي المسلمين، ويبغض دعوات الفرقة الطائفية بيننا وحرمان غير المسلمين من أبسط حقوقهم التي كفلها لهم الإسلام نفسه. من ينأي بنفسه أن يعرض علي الله عز وجل يوم القيامة، وقد ظلم أحدا من أهل الكتاب فقط لأنه علي غير دينه. من يعاني مثله، مما يري طرأ علي سلوكياتنا وترابطنا من تغير سلبي يصيبني.. وأقسم بالله علي هذا.. بالرعب علي مستقبل بلادي وأهلي إذا ما استمررنا في الانحدار. من يعلم أن هناك من المسيحيين في هذا الوطن من هو مثله يخاف علي الوطن من ان تدب الفرقة بين ابنائه وتأكلهم نيران الحروب الطائفية. من لا يريد لمصر أن تكون لبنان الجديدة.

لقد تغيرت أخلاق المصريين إلي الأسوأ، نعم لقد تغيرت فينا اشياء كثيرة جميلة اصبحت معها أحس بالغربة كل يوم. التربية الصحيحة لأبناء هذا الوطن شبه مفقودة، والشباب تائه وعاطل، شباب تلقي مناهج تعليمية مبتورة مشوهة تكرس الفرقة وحرم من تعلم دينه كما ينبغي. شباب لا يجد متنفسا لرغبته وطاقاته إلا في الدين فيندفع إليه علّه يجد فيه الملاذ فيتلقفه جهلاء الناس ممن يدعون العلم فيحولونه إلي مسخ مسلم أو مسخ مسيحي لا يجيد التفاهم إلا بالصوت العالي.

مازال منظر التسابق في بناء الكنائس والمساجد التي تشبه القلاع علي الطريق الدائري يصيبني بالغم وكأن المصريين فاضت أموالهم وانقضت مشكلاتهم فأصبحوا ينفقون ملايينهم علي دور العبادة من مساجد وكنائس تظل معظم الوقت خالية تشكو حالها إلي الله بينما تتوسط مناطق يقتلها الفقر ويقطن معظم سكانها في عشش خشبية.

مازلت أومن بأن مصر واحدة وأننا إما ان نعيش كما كنا في السابق إخوة في الوطن وجيران وأهل شارع وحي واحد، وإما الهلاك بعد أن تدب الفرقة بيننا ويتمكن منا عدونا.

مازلت أدعو الله أن يجعل هذا البلد آمنا وألا يمكن منا عدونا وأن تفيق حكومتنا من سباتها وتعمل علي تحسين حال مواطنيها الذين اصبحوا ينفسون عن أنفسهم بالتشاجر في الشوارع والمواصلات حتي المساجد والكنائس.
هذا ياسيدي بعض من كل ما يجيش في صدري.

===

الماء المقطر

أنا رجل أبلغ من العمر ٤٥ عاما.. تزوجت وأنا في الخامسة والعشرين من عمري من مدرسة زميلة لي، تبادلت معها في البداية نظرات الإعجاب ثم تقدمت لخطبتها بالرغم من معارضة أهلي لاختياري، وتمت الخطبة بدبلتين فقط، وتحدينا الصعاب الكثيرة المحيطة بنا، وتم الزواج في أضيق الحدود، وبدأت حياتي الزوجية في شقة شبه عارية إلا من الأثاث الضروري، فلمست في زوجتي الطيبة والصدق والحنان.. ولم تلبث أن انتزعت حب أهلي وتقديرهم لها بمعاملتها الكريمة لهم وأخلاقها الدمثة، ولقد كافحت لمواجهة ظروف الحياة، فكنت أعمل عملا مسائيا في إحدي المنشآت التجارية بعد عملي الرسمي، وكافحت زوجتي من جهتها لتدبير شئون الأسرة والإسهام معي في نفقات الحياة، حتي تحسنت ظروفنا شيئا فشيئا وانتقلنا إلي شقة أكبر وفرشناها بأثاث جيد، وكنا قد أنجبنا ابنتنا الكبري ثم رزقنا الله بطفلة ثانية.. فركزنا كل اهتمامنا عليها وربيناهما علي الأخلاق الكريمة وتأدية فرائض الله.. وحرصنا علي ألا نعرضهما لأية مخاطر، فلم نسمح لهما أبدا بالذهاب إلي المدرسة أو العودة منها وحدهما، وإنما كنت أتبادل دائما مع زوجتي توصيلهما للمدرسة وإعادتهما منها، ولم نسمح لهما أبدا بالخروج من البيت وحدهما.. وإنما لابد من أن يصاحبهما أحدنا أنا أو زوجتي في أي مشوار لهما، كما لم نسمح لهما أبدا باستعمال أية وسيلة مواصلات عامة خوفا من تعرضهما لمضايقات الزحام، واستمر الحال هكذا حتي بدأت ابنتي الكبري مرحلة الدراسة الثانوية، فتقدمت زوجتي بطلب نقل إلي مدرسة ابنتي القريبة من مسكننا، وانتقلت إليها وبذلك أصبحت ابنتي الكبري تحت رعاية أمها داخل المدرسة، إلي جانب رعايتها، ورعايتي خارجها، وساعدها ذلك علي النجاح والتفوق فحصلت علي مجموع ٩٠% في الثانوية العامة والتحقت بإحدي الكليات، واستمر نظامنا معها ومع أختها كما هو فلا خروج لأي منهما وحدهما.. ولا زيارات لصديقاتهما وزميلاتهما.. ولا ركوب للأتوبيس أو الميكروباص أو أية وسيلة مواصلات، حتي أصبح الأهل والجيران يحسدوننا علي حسن تربية ابنتينا وهدوئهما وبعدهما عن عبث الشباب ومشاكساته.

إلي أن جاء يوم منذ نحو شهرين وكنت في عملي فشعرت فجأة بمغص شديد لم أستطع مقاومته وفشلت المسكنات في تهدئته، فأذنت لي المديرة بمغادرة العمل والعودة إلي البيت للراحة.. وتوجهت إلي البيت وكنا نحو الساعة الثانية والنصف من بعد الظهر، وهو موعد مبكر بالنسبة لعودتي للبيت، حيث لا أرجع إليه عادة قبل الرابعة والنصف، ولا ترجع زوجتي من عملها قبل الرابعة، فوضعت المفتاح في الباب فإذا بي أجده مغلقا من الداخل، وتعجبت لذلك لأننا لا نغلق الباب من الداخل أبدا، فدققت الجرس فلم يجبني أحد، فواصلت رن الجرس بعصبية شديدة وأنا أكاد أهشمه، فمضت ثلاث دقائق وكأنها ثلاث ليال ثم فتحت ابنتي الكبري الباب وهي في أشد الارتباك ووجهها تعلوه صفرة الموت، فسألتها لماذا تأخرت في فتح الباب، فقالت إنها كانت تغير ملابسها.. ولم أطمئن لهذا الجواب فاندفعت كالمجنون إلي حجرة نومها فوجدت فراشها مضطربا وغير منظم، فخرجت كالمسعور أدور في الشقة كلها وافتشها فإذا بي أجد شابا مختبئا تحت مائدة السفرة، فسحبته من تحتها وانهلت عليه ضربا وركلا وأصبته اصابات بالغة، وهرولت إلي المطبخ لإحضار سكين وهددته بها إن لم يقل لي الحقيقة، فحاول أن يؤلف لي قصة وهمية لاتدخل عقل طفل، وتمالكت نفسي في النهاية بعد أن فكرت جديا في قتله، ثم طلبت منه أن يكتب إقرارا بأنه المسئول الأول والأخير عما حدث لابنتي إن كان قد أصابها منه مكروه.. فكتبه ووقعه وهو يرتجف، فطلبت أن يكتب إيصال أمانة بمبلغ خمسين ألف جنيه ليكون سلاحا ضده إذا هو أنكر ذات يوم مسئوليته، فكتبه ووقعه بغير معارضة، وفكرت بعد ذلك ماذا أفعل به وكيف يخرج من البيت ونحن نقيم في منطقة شعبية يعرف الجيران فيها كل شئ عن جيرانهم، ويتشاركون في تناول الافطار أمام بيت أحدهم كل يوم، وقررت أن أخرج معه وكأنما كان قد جاء معي أو جاء لزيارتي، وبالفعل غادرت البيت وهو بجواري، وحييت جيراني بطريقة حاولت أن تكون عادية إلي أن انحرفنا إلي الشارع العمومي فتركته ورجعت وأنا أفكر ماذا أفعل مع ابنتي التي ظننت انني قد أحسنت تربيتها وتنشئتها وأغدقت عليها الكثير من الرعاية والاهتمام والرقابة المستمرة.. وكنت قد عرفت أن هذا الشاب شقيق لإحدي صديقاتها وأنها قد اتصلت به وطلبت منه الحضور إليها لأنها وحدها في البيت، وليس هناك أحد من أهلها، ورجعت إلي المسكن لأحاسبها عما فعلت فإذا بي أجده خاليا منها.. فهرولت إلي الشارع ووجدتها تقف علي محطة المترو فرجعت بها، ومن شدة الصدمة لم أضربها كما كنت أتوقع، وإنما اصطحبتها علي الفور إلي طبيب لأمراض النساء ففحصها وطمأنني إلي أنها سليمة ولم يمسها سوء، فرجعت وهموم الدنيا كلها تتكثف في صدري وقلت لها إنه لو كان الضرب يفيد في علاجها لأوسعتها ضربا، ولكن ماذا أفعل معها وقد وفرت كل شئ لكي تكون ابنة صالحة فإذا بها تخذلني وتخذل أمها علي هذا النحو المشين؟.

وحانت ساعة عودة زوجتي إلي البيت فكتمت الأمر كله عنها خوفا عليها من مضاعفات الضغط العصبي الذي تشكو منه، وكتمت سري في صدري.. وعافت نفسي الطعام فلم أذق لقمة واحدة طوال اليوم، ولم أتناول طعام الافطار في اليوم التالي، وخرجت إلي عملي فإذا بي أسقط في الشارع ويهرول بعض الجيران لمساعدتي وحملي إلي مستوصف خيري قريب، فيتضح إنني أعاني من غيبوبة السكر، وهو مرض الحزن والهم والغم، وانتظمت في العلاج.. وكلما لاحظت علي زوجتي وجومي وحزني واكتئابي قالت لي إنها تشعر بأنني أخفي عنها شيئا جللا، فأتعلل لها بمشاكل العمل ومتاعبه ومازلت منذ ذلك الحين حائرا في أمر ابنتي وفيما فعلت بشأنها، وأسأل

نفسي فيم قصرت معها حتي تفعل ما فعلت.. وهل كان ما فعلته معها خطأ أم صوابا، وهل أصارح زوجتي بما حدث خاصة أنها تلاحظ علي حزني الدائم وصمتي المستمر، وتجنبي للحديث مع ابنتي الكبري وتشعر بالقلق لكل ذلك؟

إنني أتعذب، وقد ضاق صدري، في الأيام الأخيرة، وأصبحت قليل الاحتمال وكثير الغضب والشجار مع زملائي في العمل لأتفه الأسباب، فماذ أفعل وكيف أتصرف مع زوجتي وابنتي؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

نحن نتمني دائما أن نحمي ابناءنا من كل أخطار الحياة ومضايقاتها.. ونتمني لو استطعنا تنشئتهم في بيئة معقمة لا يتنفسون فيها إلا الاكسجين المكرر، ولايشربون إلا الماء المقطر المغلي زيادة في الحرص علي سلامتهم، ولا يطعمون إلا الشهد الصافي، ولا يسمعون إلا ترانيم الفضيلة والأخلاق الكريمة والسمو الروحي، لكن ما نتمناه شئ وما يجري علي أرض الواقع شئ آخر ياسيدي، ونحن مهما أجهدنا أنفسنا في تنشئة الأبناء وحسن رعايتهم وارساء القيم الدينية والأخلاقية في أعماقهم، فليس من المستبعد أن يتورطوا في الخطأ ذات يوم، ولا نملك حين يحدث ذلك إلا أن نتعامل مع أخطائهم بحكمة، ونحاول جاهدين اعادتهم إلي الطريق القويم، بل إن الخوف الشديد من جانبنا عليهم والحماية الزائدة لهم قد يكون لهما في بعض الأحيان أثر عكسي عليهم، إذ يضعفان من خبرتهما بالخير والشر في الحياة، لأننا بحمايتنا الزائدة عن الحد لهم قد سلبناهم بعض قدرتهم علي التمييز بين الخطأ والصواب، فيسهل وقوعهم في الأخطاء.. لهذا فنحن مطالبون بالاعتدال حتي في الخوف علي الأبناء وفي حمايتنا لهم، ومطالبون بإعانتهم علي الالتزام الأخلاقي والديني وتقديم المثل والقدوة لهم في ذلك، ثم ندعو الله سبحانه وتعالي من قبل ذلك وبعده أن يكلأهم برعايته ويحميهم من شر أنفسهم وشرور الحياة الكثيرة.

والواضح ياسيدي هو أن مبالغتك أنت وزوجتك في حماية ابنتك الكبري والخوف عليها من كل شئ قد دفعاكما إلي فرض العديد من القيود علي حركتها.. فلم تسمحا لها بالحركة وحدها أبدا. ولابركوب المواصلات ولا زيارة الصديقات أو استقبالهن فلم تحل هذه القيود كلها بينها وبين التفاعل مع إغراءات الشباب.. بل لعلها كانت دافعها إضافيا لها لمحاولة التجربة واكتشاف الأسرار المبهمة والتعرف علي المجهول الذي تفرض هذه القيود عليها لكيلا تعرفه، كما أن بعدها عن الشبهات في رأي أبويها بالنظر للقيود العديدة المفروضة عليهما قد أغراها بالإقدام علي المغامرة دون خوف، فكان ماكان من أمرها.. والآن فإنك تكابد الاحساس المرير بالحزن والهم ولوم النفس عن أسباب القصور في التربية التي سمحت لما حدث بأن يقع.. والحق أنك لم تقصر في رعاية ابنتيك والتفتيش وتنشئتهما حتي ولو كنت قد بالغت بعض الشئ في الخوف عليهما ومحاولة حمايتهما من الشرور، وما حدث يمكن اعتباره زلة نجمت عن نزق الشباب وتطلعه للمغامرة، والاثارة العاطفية وتجربة الأشياء المحرمة.

وكل ذلك يمكن تداركه وإصلاحه بأقل الخسائر بإذن الله، ولابد أن ابنتك قد أدركت الآن فداحة الخطأ الذي ارتكبته في حق نفسها وأبويها وأختها الصغري التي ينبغي أن تكون المثل والقدوة لها، ولابد أنها تحاسب نفسها علي ما جنته.. بيديها فأسقطت به اعتبارها في نظر أبيها وفي نظر كل من كان يظن فيها الالتزام الخلقي والديني.

غير أنني أري لك أن تقتسم همك بأمر ابنتك مع زوجتك، ليس فقط لأنها شريكة حياتك وأم هذه الفتاة التي يهمها أمرها، وإنما أيضا لكي تتخفف أنت كذلك من بعض ما تكتمه في قلبك ويجثم علي صدرك حتي لتسقط في الطريق غائبا عن الوعي، ثم لكي تقوم الأم بدورها المهم مع ابنتها فتحتويها وتشعرها بخطئها وتعيدها إلي طريق الالتزام، وتتفهم حقيقة مشاعرها وحقيقة ما بدر منها، وتحدد إذا كان ما حدث مجرد نزوة عابرة أم شيئا أعمق من ذلك، وفي هذه الحالة فلقد تجد من الملائم إذا كان ذلك الشاب مقبولا من الناحية العائلية والاجتماعية، أن يتقدم لها ويضفي الشرعية علي ارتباطه بها إلي أن تسمح الظروف باتمامه، وبذلك تؤدي البداية الخاطئة.. إلي نهاية مشروعة ومباركة بإذن الله.

==

الماء الفاتر

كتب إليك بعد أن ضاقت بي الدنيا وسدت أمامي جميع السبل ـ فأنا سيدة في السابعة والأربعين من عمري تزوجت منذ٢٢ عاما من شاب تقدم إلي خطبتي، ولقي قبولا من أسرتي.. ودعيته للتعرف به في صالون البيت فرأيته إنسانا هادئا ومهذبا ووسيما.. فوقع مني موقع القبول علي الفور، وأعلنت لأبي ترحيبي به وتمت الخطبة والسعادة تملأ جوانحي.. وبدأت الاتصالات التليفونية اليومية بيننا كل مساء وبدأ يزورني كثيرا واقتربت منه وتفجرت ينابيع الحب المكتوم في قلبي تجاهه.. أما هو فقد كان هاديء المشاعر غالبا بالنسبة لي، وشكوت لأمي من ذلك فطالبتني بالصبر عليه حتي تجمع العشرة بيننا ويتفجر ينبوع الحب في قلبه تجاهي، لأن ظروفه كشاب تختلف عن ظروفي.. فهو يكبرني بخمس سنوات، ولابد أنه قد خاض أكثر من تجربة عاطفية قبل أن يرتبط بي، أما أنا فهو أول إنسان في حياتي، ولهذا تدفقت عليه مشاعري بقوة، وأقنعت نفسي بصحة رأي أمي، وساعدني علي ذلك أني لم أجد منه إلا كل رقة واحترام في التعامل معي، أما مسألة التحفظ في المشاعر هذه فلا دليل عليها سوي ما استشعره أنا في أعماقي من أنه لا يحمل لي حبا ملتهبا يكافيء حبي له.،، وكنت قد تخرجت في كليتي وعملت بوظيفة مناسبة.. وسألني خطيبي عن خطتي بالنسبة للمستقبل بعد الزواج فصارحته بأنني أنوي الاستمرار في العمل بضع سنوات إلي أن أشعر بحاجة أبنائي إلي فأتفرغ للبيت، وسعد كثيرا بهذا التفكير،

وتزوجنا وسط فرحة الأهل وسعادتي الغامرة وكرست حياتي من اليوم الأول للعناية ببيتي وزوجي وتوفير الجو الملائم له للتقدم في عمله، حيث كان يعمل بوظيفة تعده بمستقبل كبير وواجهنا في بداية حياتنا الصعوبات المادية المألوفة.. فكنت أساهم بمرتبي كله في البيت إلي جانب مايعطيه لي أبي من مساعدات سرية.

وبناء علي طلب زوجي أجلنا الإنجاب ثلاثة أعوام.. لكي تتوافر لدينا الظروف المناسبة قبل مجيء الأطفال، بالرغم من اعتراض أمي ولهفة أبي علي أن يري حفيدا له مني، ثم أبديت رغبتي لزوجي في الإنجاب بعد أن بلغت الثامنة والعشرين فلم يعترض ولم يتحمس وشغلت عن فتوره للإنجاب بتطلعي لأن أنجب منه أطفالا.. وأنجبت طفلتي. وبعدعامين آخرين أنجبت طفلي، وكنت أرغب في إنجاب طفل ثالث لأني أحب الأطفال ونشأت بين خمسة من الأخوة، لكن زوجي أقنعني بالاكتفاء بما رزقنا به الله.. والاهتمام بالطفلين وحصلت علي إجازة من عملي لرعايتهما الطفلين، وفي هذه الفترة أعير زوجي للعمل بإحدي المنظمات بالخارج ورغبت في مرافقته وإدخال الطفلين المدارس في مقر عمله.. لكنه أقنعني بأن أبقي في مصر علي أن ألحق به لقضاء شهور الصيف معه.. وتمتعت مع زوجي بأجمل فترات حياتنا، واستمرت إعارته أربعة أعوام.. ورجع إلي واستقرت بنا الحياة في مصر.. وتقدم زوجي في عمله، وتحسنت أحوالنا المادية كثيرا.. وانتقلنا من الشقة العادية التي بدأنا حياتنا فيها إلي شقة جميلة بضاحية أجمل وواصل الابنان تعليمهما حتي بلغا المرحلة الثانوية.. وطوال هذه السنوات لم يحدث بيني وبين زوجي خلافات كبيرة.. ولم تشهد حياتنا سوي بعض الاحتكاكات البسيطة بحكم طبيعة الحياة المشتركة ومطالب الأبناء ومتاعب تربيتهم.. وفي كل الأحوال فلقد حرصت دائما علي ألا تخرج خلافاتنا عن دائرة الاحترام المتبادل بيني وبين زوجي، كما كنت غالبا من يبدأ بالاقتراب منه ومصالحته لأنني لا أطيق خصامه ولا جفاءه لي. وفي المقابل فقد شهدت حياتنا مناسبات سعيدة كثيرة مثل نجاح الأبناء في الشهادات العامة.. وترقية زوجي إلي مركز أكبر، واحتفالات عيد زواجنا التي بلغت ذروتها قبل عامين في ذكري مرور عشرين سنة علي الزواج، حيث غمرني زوجي بالهدايا وبالكلمات الجميلة التي هي أثمن من الهدايا أمام ألدي وأثني علي كثيرا، وقال لابنتي إنه يريد منها أن تكون مثل أمها في كل شيء ودعا لابنه بأن تهبه الحياة زوجة مثلي تحفظ زوجها وبيتها وأبناءها، فبكيت من الفرح والسعادة.. ودعوت الله أن يحفظ لي زوجي وأسرتي وسعادتي..

وكنت حين احتفلت بعيد زواجي العشرين في أجازة بدون مرتب من عملي لاتفرغ للعناية بابني وهو يستعد لامتحان الثانوية العامة.. وكلل الله جهودي وجهود ابني بالنجاح ودخوله نفس الكلية التي سبقته إليها أخته.. وسعدنا بذلك كل السعادة، واحتفلنا بنجاحه احتفالا بهيجا.. فلم يمض علي بداية عامه الجامعي الأول سوي عدة أسابيع، حتي تكدرت حياتي بملاحظتي علي زوجي ابتعاده عني.. وانطواءه علي نفسه.. وعدم استجابته لأي محاولة من جانبي للاقتراب منه أو معرفة أسباب انشغال فكره، وتصورت أن زوجي ربما يكون يعاني أزمة منتصف العمر التي يمر بها بعض الرجال خاصة أنه قد تجاوز الخمسين بعام، وبدأ يشعر بانسحاب الشباب وظهور الشعر الأبيض بكثرة في رأسه، وحاولت إشعاره بأن هذا الشعر الأبيض قد زاده وسامة وجمالا في نظري، وهي حقيقة لكنه لم يستجب لأية محاولة.. وأمعن في البعد والصمت والانطواء.. وكثرت أسفاره للعمل منفردا دون أن يدعوني لمصاحبته كما كان يفعل من قبل.

إلي أن فوجئت به ذات يوم يقول لي في هدوء قاتل إنه يريد أن يعترف لي بشيء خطير ويعرف مماأريد بعد سماعه.. أما الشيء الخطير الذي فاجأني به زوجي بعد أكثر من عشرين عاما من الزواج المستقر الناجح الخالي من المشاكل والصراعات فهو انه غير سعيد معي.. ولا يريد الاستمرار في حياتنا معا.. ويخيرني بين أن يهجر البيت دون طلاق ويقيم وحيدا في الشقة التي كان قد اشتراها لتكون لابنه في المستقبل، علي أن يبدأ في شراء أخري له بالتقسيط.. وبين أن يطلقني في هدوء ويعطيني كل حقوقي الشرعية، وأظل في بيتي وبين أولادي إلي نهاية العمر، ونظل صديقين علي البعد يحترم كل منا الآخر ويتعاون معه في رعاية الأبناء، وإذا بدا لي أن أتزوج غيره في أية مرحلة من العمر فلن يغير ذلك من طبيعة العلاقة بيننا بل إنه يرحب إذا اقتضت الضرورة بزواجي في نفس مسكن الزوجية وبين ولدي بشرط أن أحسن الاختيار!

ولن أروي لك ماحدث لي حين سمعت ذلك ولن أطيل في التفاصيل المحزنة التي تلت هذه المناقشة الهادئة كما يسميها، وإنما سأقول لك فقط إنه قد خيل إلي أني أشهد فيلما من أفلام السينما يجري أمامي، ولم أكن لأصدق وقائعه لولا أنني كنت طرفا حيا فيها..

فلقد فشلت كل المحاولات والدموع والبكاء والاستجداء والتوسل من جانبي ومن جانب ابني وابنتي مع زوجي في تغيير موقفه، وفشلت كل الوساطات العائلية في إرجاعه عن فكره وهجر البيت في يوم حزين وانتقل لشقته الجديدة التي أثثها علي عجل، واستفزتني كرامتي بعد أن أعيتني معه الحيل فقلت له إنني أفضل الطلاق.. وكأنما كان ينتظر مني هذه الإشارة فأسرع بطلاقي وأرسل إلي مع شقيقه الأكبر مؤخر الصداق ونفقة المتعة ونفقة العدة وتعويضا ماليا زائدا، وأكد لي أنه سوف يستمر في إرساله المبلغ الشهري الذي كان يدفعه لي كمصروف للبيت إلي ما لا نهاية، وقدم لي شقيق زوجي مظروفا بهذه المبالغ وعيناه تدمعان أسفا وحزنا علي انهيار هذه الأسرة التي طالما ضرب بها المثل في الوفاق والاستقرار.ه

وقلت لشقيق زوجي ماذا تساوي النقود وقد فقدت أماني وسعادتي واستقرار أبني وابتهاجهما بالحياة ؟ وأحني الرجل رأسه ليخفي دمعته وودعني وهو يدعو لي بالصبر وتعاطفت معي شقيقات زوجي وأزواجهن وأنكروا جميعا تصرفه وغاضبوه وحرصوا علي زيارتي والسؤال عني كل يوم ودعوتي إلي بيوتهم، وقبل أن أفيق من ذهولي فوجئت بالحوادث تتوالي سريعة بلا رحمة، وأكتشفت سر هذا الانقلاب الخطير في شخصية زوجي، حين فوجئت به يتزوج من سيدة طلقت من زوجها قبل شهور قليلة ولها ثلاثة أبناء أصغرهم في السابعة عشرة من عمره! وعرفت أن زوجي كان يحب هذه السيدة، وهي فتاة في سن التاسعة عشرة وظل يحبها خمس سنوات، وفشل في الزواج منها لأسباب مادية، وتزوجت من كان قادرا وقتها علي تكاليف الزواج وإعداد شقة في حي المهندسين ولديه سيارة ومال كثير، وأنجبت منه وعاشت معه٢٤ عاما، إلي أن التقت بزوجي خلال العمل بالمصادفة.. وشكت له من تعاستها الزوجية وندمها علي إضاعته من يديها فتجدد الحنين واستيقظت المشاعر النائمة كما يقول.. وظلا علي علاقة عاطفية بالتليفون واللقاءات الخاطفة في العمل لمدة شهور، واتفقا علي استكمال القصة القديمة التي لم تتم.. وطلبت هي الطلاق من زوجها، وأحالت حياته إلي جحيم إلي أن رضخ بعد عناء كبير وتركت أبناءها الثلاثة وانتظرت أن يطلق زوجي زوجته ويتوج قصتهما بالزواج فلم يخيب رجاءها! وتزوجا وانتقلا إلي عش الحب الذي راح ضحيته رجل وامرأة وخمسة من الأبناء الحياري.. وهما الآن سعيدان بحياتهما راضيان عنها ولا يؤرقهما لحظة واحدة عذاب الضمير بما فعلا بشركاء الحياة والأبناء وكل منهما يقول إنه قد أدي رسالته مع أبنائه، ومن حقه أن يسعد بما بقي له من العمر إلي جوار من يحب فإذا قيل لزوجي أن ابنيه مازالا في مرحلة الدراسة الجامعية يقول أنهما قد أجتازا المرحلة الصعبة وهي الثانوية العامة. وسوف يتخرجان ذات يوم ولن يتخلي عنهما! وإذا قيل له إن زوجته تحبه ولم تسيء إليه ولم تكن حياته معها تعيسة أجاب سامحه الله ـ بأن حياته معي كانت هادئة لكنها لم تكن سعيدة لأنه لم تكن بيننا سوي العشرة والاحترام وهي شبيهة بالماء الفاتر الذي لا يروي العطشان.. أما حياته الحالية فهي مشحونة بالعواطف الحارة! فأي منطق هذا ياسيدي ؟ وماذنبي أنا في قصة الحب القديمة التي لم تكتمل أو في تخلي بطلتها عنه بسبب الإمكانات المادية وندمها فيما بعد علي إضاعته من يديها.. ولماذا لم يظهر هذا الندم وهو يتعثر في بداية حياته العملية وتفجر فجأة بغير مقدمات بعد أن أصبح زوجي رجلا مرموقا في مجاله ولديه إمكانات مادية جيدة وسيارة فاخرة وشقة إضافية ودخله كبير وحتي لو صدقت هذه المشاعر.. فما ذنبي أنا في ذلك ولماذا يحترق قلبي وأنا اقترب من الخمسين بغدر شريك الحياة والحرمان من السعادة والاستقرار ؟. لقد قال لي زوجي خلال مناقشتنا الهادئة تلك وفي برود قاتل إنني استطيع أن أبدأ حياتي من جديد مع غيره.. فسامحه الله علي ما لا يفهمه.. إذ كيف يمكن أن أحب رجلا آخر بعد٢٣ عاما من الحب الخالص لإنسان وهبته كل مشاعري وحياتي ؟.. وكيف أستطيع أن أدخل علي إبنتي الشابة وابني الشاب رجلا آخر غير أبيهما يختلي بي في غرفة النوم وهما في الجوار يرقبان ويفهمان ويتألمان وماهذا الحب اللعين ياسيدي الذي يبرر به زوجي كل هذه القسوة علي من لم تكن تري الدنيا إلا من زاويته وعلي الأبناء الذين كانوا يرون فيه مثلهم الأعلي ؟

لقد مررت بفترة عصيبة انهرت فيها صحيا ونفسيا.. وبدأت أفكر في الرجوع للعمل وقطع إجازتي لعلي أجد مايشغلني عن التفكير المستمر لمدة٢٤ ساعة.. في طعنة زوجي ووالد أبني لي وأنا في هذه المرحلة من العمر..

فبماذا تنصحني ياسيدي وماذا تقول لي وله ؟

رد رسالة الماء الفاتر

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

بعض الناس يقيسون فيما يبدو عمق سعاداتهم بحجم اتساع دائرة ضحايا هذه السعادة من الأبرياء الذين داسوا علي أشلائهم للوصول إليها. وبهذا المقياس الفاسد فانه يحق لزوجك السابق وشريكته في هذه السعادة أن يفخرا بعدد الضحايا الذين سقطوا علي جانبي الطريق خلال سعيهم لنيلها. أما أصحاب القلوب الحكيمة من البشر فهم لا تصفو لهم السعادة إذا شقي باختيارهم لها أعزاؤهم حتي ولو شكوا بالفعل من بعض جوانب النقص في حياتهم. والحياة قد تحول أحيانا بين الإنسان وبين بعض مايرجوه لنفسه وتجود عليه في نفس الوقت بما يكفي لأن يعوضه عما يفتقده في حياته أو يراه من وجوه النقص فيها.

ولقد تتاح له فيما بعد الفرصة لتصحيح مايعتبره من أخطاء الحياة في حقه فيتوقف أمام هذا الاختيار ويوازن بين ماسوف يجنيه من عوائد هذا التصحيح المتأخر وبين ماسوف يتكبده أعزاؤه من ثمن فادح له ويدفعه هو نفسه من اعتباره لدي الأبناء والأهل والمجتمع المحيط به، فيفصل إذا كان ممن لا يسعدون بشقاء الأعزاء والآخرين ألا يعدل بحسن اختيار الله به شيئا، ويتجاوز عما لا يرضيه من حياته إلي مايرضيه منها فيشكر ربه عليه ويسلم بأنه وأمر من بعض الداء الدواء كما قال أمير الشعراء، فيعزف عن خيار التصحيح إذا كانت أضراره الإنسانية والعائلية والاجتماعية أكبر بكثير من أضرار استمرار الحال علي ماهو عليه والرضا به. وكذلك يفعل الفضلاء ومن يستشعرون مسئوليتهم العائلية عمن يعتمدون عليهم في حياتهم..، ومسئوليتهم الإنسانية عن إعلاء المثل العليا في الحياة أما اختيار أنا وبعدي الطوفان فهو اختيار ذوي الأثرة والأنانية والإحساس المتضخم بالذات علي حساب الغير، وهؤلاء لا يجدي معهم الحديث الآن علي الأقل وهم في ذروة النشوة الموصومة بانتصار الحب علي الأعراف والتقاليد والقيم العائلية والاجتماعية وكافة القيود والأغلال الاجتماعية وإنما قد يجدي الحديث إليهم

بعد حين وحين يخمد الفوران العاطفي الذي يذكيه الآن الإحساس بالتحدي للصعاب والعقبات العائلية والاجتماعية.. وعندها قد يكتشف أطراف مثل هذا الاختيار ان ماخسروه من خسائر إنسانية وعائلية واجتماعية خلال سعيهم لنيل سعادتهم الخاصة بغير اعتبار سوي لمشاعرهم ورغباتهم وحدها قد يكون أكبر بكثير من حجم مانعموا به بالفعل من سعادة.. حقيقية كانت أم زائفة فصبرا ياسيدتي فان خداع الأبصار لا يدوم إلي الأبد ولابد من يوم يراجع فيه كل إنسان كتابه مع الحياة ويؤرقه ضميره بما جني علي الآخرين بغير ذنب جنوه سوي أن أقدارهم قد وضعتهم علي غير إرادة منهم في طريق سعيه لسعادته.. وقد يتدارك مايستطيع تداركه من أخطائه وعثراته قبل أن يفوت أوان الإصلاح والإعتذار عن الأخطاء فلقد شعرت بعمق فجيعتك فيمن أخلصت له الحب طوال الرحلة فلم يبادلك للأسف بعض هذا الحب، وضحي بك عند أول مفترق للطرق كأنما قد كانت حياتك معه ومشاعرك تجاهه ضياعا من الضياع. ولقد ذكرني موقفك الحسير وشقيقه الأكبر يقدم إليك فدية الغدر والخيانة بموقف إحدي زوجات الإمام الحسن بن علي حين ولي الخلافة بعد مقتل أبيه وأخطأت الزوجة فهنأته بها قائلة: لتهنك الخلافة ياأمير المؤمنين فقال لها: أيقتل علي وتظهرين الشماتة ؟.. أذهبي فأنت طالق ثلاثا. وبقيت في بيته حتي أنتهت عدتها وبعث إليها بعشرة آلاف درهم كمتعة ومؤخر صداق، فقالت المرأة لمن حمل إليها المال وهي باكية:

ـ متاع قليل من حبيب مفارق!

وصدقت فيما قالت ياسيدتي فكل شيء في الحياة حقا متاع قليل إذا افتقد الإنسان راحة القلب وسكونه إلي جوار من يحب.

لكن ماذا نقول نحن فيمن لا يرون إلا أنفسهم ورغباتهم ومطالبهم من الحياة ولا يعنيهم في كثير أو قليل ماقد يقدمونه من قرابين بشرية علي هيكل الفوز ببلوغ غاياتهم ؟

قد نقول ماقاله أحد الحكماء في موقف مشابه: لقد أحببت الإخلاص وكرهت الغدر وآمنت بالخير والحق والعدل والجمال، والمثل العليا.. وكان ذلك لنفسي قبل أن يكون لغيري.. فان كافأني الغير علي ماحملت لهم من مشاعر طيبة بالوفاء لي نبها ونعمت، وان جحد البعض عطائي ومشاعري وإخلاصي، فلقد استمتعت بممارسة إحساس العطاء والحب والوفاء والنبل.. ولي ماأحسست به.. وعليهم عاقبة مافقدوه من عطائي السابق لهم، وفي ذلك بعض العزاء.!

نعم ياسيدتي وفي ذلك بعض العزاء.. فتماسكي دفاعا عن نفسك وصحتك ودفعا للهم والحزن والمرض، واستجمعي قواك لكي تواصلي رحلة الحب والعطاء لأبنائك وتستكملي معهم رسالتك وتستمتعي بجني ثمار عطائك النبيل لهم.. ولا بأس بفكرة العودة للعمل لكي تشغل بعض أوقاتك وتخرجك من دائرة الانحصار داخل مأساتك الشخصية.. إلي العالم الأوسع بافاقه واهتماماته وشواغله فالفارغ من كل عمل يشغل الإنسان عن همومه هو أعدي أعداء المهموم بأمره.. وأنشط أعوان المرض عليه..

فأرجعي إلي عملك ولو بصفة مؤقتة وثقي في نفسك وجدارتك بكل خير وجميل في الحياة وتأكدي دائما من أنه إنما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب

صدق الله العظيم ـ والسلام

==

ألم الحقيقة

قرأت رسالة جفاف النبع التي كتبها ابن يعترف فيها بعقوقه لأمه العطوف الحنون التي دللته كثيرا وميزته علي شقيقاته البنات إلي أن رحلت عن الحياة فجأة فاعتصر الندم قلبه علي جفائه معها وتمني بعد فوات الأوان لو كان قد حنا علي أمه وهي علي قيد الحياة قبل أن تنطوي صفحتها، وبعد قراءتي لهذه الرسالة شعرت بأنني يجب أن أكون في مثل شجاعة هذا الابن العاق وأعترف أنا أيضا بأخطائي ولو بعد فوات الأوان كما فعل.

فأنا أم لأبناء وبنات متزوجين جميعا، ومنذ بضع سنوات مرضت ابنتي الكبري المتزوجة وعولجت علي مدي٩ شهور ثم تدهورت حالتها فجأة ودخلت المستشفي فلم تبق فيه سوي ثلاثة أيام ثم رحلت عن الحياة وسط دهشتي وذهولي وقبل أن أفيق من صدمتي عرفت أنها كانت مريضة بالمرض اللعين منذ تسعة شهور.. وأن جميع من حولي كانوا يعرفون بذلك ويتكتمونه عني، ابتداء من زوجها إلي زوجي إلي ابنتي الأخري، فما أن علمت بذلك حتي أنفجرت براكين الغضب في أعماقي وثرت ثورة هائلة علي الجميع لإخفائهم حقيقة مرض ابنتي عني ولو كنت قد علمت بها لتفانيت في خدمتها ورعايتها ولما تركتها لحظة واحدة، ودافع الجميع عن أنفسهم بأنهم قد أشفقوا علي من ألم الحقيقة، وأنهم قد تكتموا عني مرضها خوفا عليها وعلي في نفس الوقت، لكنهم لم يقصروا في حقها بأي وجه من الوجوه ولم يدعوا سبيلا لعلاجها دون أن يلجأوا إليه، وأرسلوا تقاريرها الطبية إلي الخارج فكان العلاج هناك هو نفس العلاج هنا.

وحين حاسبت زوج ابنتي علي ذلك قال لي مدافعا عن نفسه: إن كل ما كان يعنيه هو أن يسعد أبنتي وأن تحيا هي أيامها الأخيرة وهي تأمل في الشفاء ولا تشعر باقتراب الموت منها.. وحسبه أنه قد نجح في ذلك.. ورحلت عن الحياة وهي سعيدة فتذكرت في هذه اللحظة أنه كان قد جدد أثاث البيت قبل رحيلها بشهور دون مبرر واضح لي وقتها وأنني سألته عن أسباب ذلك مع ما يتكلفه من أعباء لا ضرورة لها فقال لي أن التغيير مطلوب لتجديد

الحياة، ومادامت زوجته سعيدة بذلك فهو سعيد من أجلها، كما تذكرت أيضا أنه كان قد اصطحبها معه في تلك الفترة في أكثر من رحلة خارجية، وفي رحلات داخلية طويلة علي غير المألوف في حياتهما.. وكان يتفاني في حبها وإسعادها.. ولم أربط للأسف وقتها بين ذلك وبين مرضها، واعتبرته شيئا إيجابيا عاديا لكن كل ذلك لم يخفف من غضبي وثورتي علي الجميع ولم أغفر لأحد هذا الخطأ البشع وكرهت الدنيا وكرهت زوجي وهجرته بل وطلبت منه الطلاق كما كرهت أيضا زوج ابنتي.. حتي أبناءها أصبحت لا أطيق رؤيتهم ولا أتحملهم حين يجيئون لزيارتي ولم يعد في قلبي سوي الكره والحقد حتي تمنيت الموت لكل ابنة لكي تشعر كل أم بما أحس به وتعرف حسرتي وألمي ولوعتي.. وأعترف لك بذلك بالرغم من قسوته وغرابته لتعرف إلي أي حد دمر الكره نفسي ومضت الأيام وأنا أجتر أحزاني وأحقادي وكراهيتي، وانقضي عامان علي رحيل ابنتي.. ثم علمت أن زوجها يفكر في الزواج مرة أخري وفي أن يبدأ حياته من جديد من أجله ومن أجل أبنائه، فازدادت النار اشتعالا في قلبي وفي كياني كله.. وتساءلت أهذا هو الوفاء؟ أهذا ما تستحقه منه ابنتي التي أعطته حياتها كلها؟.. وكيف أتصور امرأة أخري في مكان أبنتي وكيف له أن يهنأ ويسعد بحياته وابنتي تحت التراب؟.. وهل يكفي عامان فقط لكي ينسي رفيقة حياته الراحلة؟

وكدت أصاب بالجنون.. وازدادت ثورتي حين علمت أنه يريد الأرتباط بسيدة من الأسرة، أرملة فقدت زوجها قبل عامين ولها أبناء مثله.. وطلبت من زوج ابنتي الراحلة إذا كان لا مفر له من الزواج ألا يتزوج هذه السيدة بالذات وأن يختار لنفسه أي امرأة أخري، فأجابني بأنه لا يستطيع أن يأتمن أي سيدة سواها علي نفسه وعلي أبنائه وقد كانت نعم الزوجة لزوجها الراحل ونعم الأم لأبنائها. فلم أطق صبرا علي ما سمعت وانطلقت كالمجنونة أسيء إلي هذه السيدة لدي كل من يعرفونها من الأهل والأقارب والجيران وإلي أخلاقتها وسمعتها، وأسيء إلي زوج ابنتي وأتهمهما معا بأنهما لابد قد كانا علي علاقة آثمة في حياة ابنتي.. وفي حياة زوجها وإلا فلماذا يتعجلان الارتباط علي هذا النحو؟

وطفت علي الجميع أردد أمامهم هذه الاتهامات والآراء ولم أعف أحفادي من الابنة الراحلة من هذه المعركة فرحت أسيء لأبيهم عندهم كلما جاءوا لزيارتي وأحرضهم عليه وأقول لهم إنهم لو كانوا يحبون أمهم حقا لما قبلوا بزواج أبيهم من بعد أمهم، وأتهمهم بخيانة ذكراها حتي تباعدت زياراتهم لي تدريجيا لضيقهم بما يسمعون مني إلي أن انقطعوا نهائيا عن زيارتي وحاولت أن أفعل نفس الشيء مع أبناء هذه السيدة الأرملة وأن أزرع الشك في قلوبهم تجاهها وأحرضهم علي رفض هذا الزواج لكي يكرهوا أمهم علي رفضه ونجحت في الإساءة إلي سمعتها عند أفراد الأسرة جميعا.

وبالرغم من كل ما فعلت فقد تزوجها زوج أبنتي الراحلة، فقطعت علي الفور علاقتي بها وبأسرتها وهي فرع من أسرتنا ومنذ فترة قصيرة استسلمت للنوم مساء يوم الخميس.. فرأيت ابنتي الراحلة في الحلم لأول مرة منذ رحيلها عن الحياة.. رأيتها كالملاك في ثوب أبيض شفاف تقترب مني وتقبلني في خدي وهي تبتسم وتطلب مني أن أرعي زوجها وأبناءها وأترفق بهم!

وصحوت من نومي باكية وقرأت الفاتحة علي روح ابنتي.. وعافت نفسي الطعام، فلم أتناول الإفطار واكتفيت بشرب فنجان من القهوة، ثم جاءني أهرام الجمعة ففتحته علي صفحتك وقرأت رسالة جفاف النبع، ووجدت الشاب كاتب الرسالة يعترف بجفائه لأمه الراحلة وأساءته لمعاملتها وانفجاره فيها بالرغم من تلهفها علي كلمة حانية واحدة منه قبل أن تودع الحياة. ونظرت حولي فرأيتني قد ابتعد عني أحفادي من ابنتي الراحلة حتي أنني لم أحضر زفاف حفيدتي ولم تحفل هي بعدم حضوري ولم يحفل أخوتها بمقاطعتي لفرحها.

وسألت نفسي هل أنا أقل شجاعة من هذا الشاب الذي اعترف بأخطائه وندم عليها ولو جاء ذلك بعد فوات الأوان، وماذا فعلت بنفسي وبأحفادي وبأهلي وأسرتي؟ وكيف نسيت ربي وارتكبت كل هذه الآثام؟ لقد رميت محصنة في شرفها بغير الحق ورميت محصنا في اخلاصه لزوجته الراحلة بالباطل وقطعت رحمي ونفرت أحفادي مني، وطلبت من أبنائي مقاطعة زوج أختهم الراحلة وافتريت عليهما الإثم، فإذا بابنتي توصيني بزوجها وأبنائها خيرا كأنما تعلم بما فعلت بهم.. فهل يغفر الله لي كل هذه الآثام إنني أرجو أن تكون رسالتي هذه عبرة لكل من يتحدي الموت أو يتحدي أقداره ويسخط عليها، وأطلب من كل من أسأت إليهم تقدير موقفي وعذري فيما فعلت وأرجو أن تساعدني في مهمتي الشاقة وتوجهني لما أفعله لإصلاح كل ذلك لأني أريد أن أرجع إلي الله والسلام.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

من المحزن حقا أن يكافئ المرء من ترفقوا به فحجبوا عنه بعض الحقيقة إشفاقا عليه من مكابدتها، بالكراهية الضارية لهم.. والغضب العارم منهم والحرب الشعواء بلا هوادة ضدهم بدلا من أن يقدر لهم ترفقهم به.. ويتفهم أسبابهم لما فعلوا.. ويتجاوز عنها حتي ولو لم يقتنع بضرورتها.. أو يكتفي علي الأكثر بالعتاب الإنساني الرحيم لهم علي سوء ظنهم بقدرته علي مواجهة الحقيقة.. والقبول بها.

ولأن أصحاب القلوب الحكيمة لا يتحولون أبدا إلي الكراهية الضارية لمن أشفقوا عليهم من ألم الحقيقة.. ولا تنفجر في نفوسهم براكين البغضاء والحقد والمرارة ضدهم لمثل هذا السبب، فإن العامل الجوهري في هذه الثورة الضارية التي تملكتك تجاه زوجك وزوج أبنتك الراحلة لا يمكن فهمها أبدا أستنادا إلي هذا المبرر وحده.. وإنما

يمكن تفسيرها علي ضوء ما يقوله علماء النفس عن تلك الحيلة النفسية الدفاعية التي تجري علي مستوي العقل الباطن لدي الإنسان للتنفيس عن المشاعر السلبية شديدة الإيلام له نتيجة لتعرضه لبعض الضغوط القاسية.
فحين يصطدم الإنسان بخبرة إنسانية شديدة الإلم له أو يتعرض لموقف يؤلمه بشدة، فإنه يتولد داخله شعور عارم بالغضب والثورة، يتوجه دائما إلي مصدر هذا الإيذاء النفسي له ليعبر عن نفسه في مواجهته.. فإذا كان مصدر هذا الإيلام شخصا أو سلطة لها مكانة تحول دون أن يعبر المرء بحرية في مواجهتها عما يضيق به الصدر فإن الغضب يبقي حبيسا داخل الإنسان يحرق قلبه ويؤرق مضجعه إلي أن يعبر عن نفسه في اتجاه آخر.,تجاهها ولأن البخار المكتوم لابد من أن يجد له منفذا للخروج منه وإلا انفجر المرجل بما فيه، لأن عقل الإنسان الباطن يلجأ إلي البحث عن بديل يوجه إليه هذا الغضب المتأجج داخله والذي لا يستطيع توجيهه إلي مصدره الأصلي تهيبا له أو خوفا منه أو عجزا عن مواجهته.
ويمهد الإنسان لهذا التحويل الذي يتم داخله بغير وعي منه باختيار البديل الذي تتجه إليه ثورة الغضب.. ويشترط فيه دائما أن يكون واحدا ممن تربطهم به صلة حميمة تسمح له بالانفجار فيهم.. وألا يكون ذا هيبة أو سلطة أو مكانة تحول دون انفجار الغضب في وجهه، وأن تسمح العلاقة معه بأفتعال بعض المشاكل التي تضفي علي الخلاف معه بعض المشروعية أو المنطقية ويمهد المرء لعملية التحويل أو التبديل هذه باختلاق المشاكل مع الطرف الذي اختاره العقل الباطن لتوجيه مسار الغضب إليه.. وقد يسترجع بعض الخلافات القديمة معه أو التحفظات السابقة له ثم يتعلل بأول ذريعة ويطلق حمم غضبه المكتوم في وجهه، ودون أن يعي أنه ليس سوي بديل لمصدر غضبه الحقيقي الذي استوجب هذه الثورة العارمة.
وبهذه الحيلة النفسية الدفاعية يفسر علماء النفس انفجار الزوج المقهور في عمله أو حياته العملية مثلا في وجه زوجته لأتفه الأسباب كلما تراكم الغضب المكتوم داخله أو تعرض لقهر جديد من رؤسائه وعجز عن التنفيس عن مشاعره في مواجهتهم، ويفسرون بها كذلك كثرة الخلافات التي تقع بين بعض الأزواج والزوجات كلما تزايدت عليهم الضغوط الخارجية أو قست عليهم ظروف الحياة فيتخذ كل منهم من الآخر مجالا للتنفيس عن الغضب المتأجج داخله بدلا من أن يتساندا في مواجهة الظروف القاسية ويخفف كل منهما عن الآخر بعض آلامه.
وهذا هو نفس ما حدث معك يا سيدتي حين أصطدمت بفجيعة رحيل ابنتك عن الحياة دون سابق تمهيد نفسي لك بالعلم بخطورة حالتها الصحية.. فلقد انفجر بركان الغضب داخلك ضد هذا القدر المحتوم نفسه وليس ضد أي طرف آخر في حقيقة الأمر ولم تستطيعي تقبله أو الصبر عليه أو الرضا عنه أو الاستعانة عليه بالصبر والاعتصام بالإيمان والتسليم بما لا حيلة لأحد معه من قضاء الله وقدره.. ولأنك لا تستطيعين أن تتوجهي بهذا الغضب المتأجج إلي مصدره الحقيقي للأسباب الدينية المعروفة، فلقد قام عقلك الباطن بعملية تحويل للمشاعر السلبية إلي مسار آخر يمكن التعامل معه دون محظورات كبيرة ووجد ضالته في زوجك وزوج الابنة الراحلة وربما ابنتك الأخري أيضا.. وحاولت أضفاء بعض المشروعية علي هذه المشاعر فكان السبب المستعار لكل هذه البغضاء والكراهية هو كتمان زوجك وزوج الابنة لحقيقة مرضها عنك.
وساهم ما يسميه الأديب الروسي العظيم أنطون كشيكوف بأنانية التعساء حين تقسو عليهم ظروف الحياة، فتجفف منابع الرفق في نفوس بعضهم وتميل بهم إلي القسوة السادية في تأجيج مرجل الغضب لديك وإطلاق شحناته المدمرة ضد أكبر عدد ممكن من البدلاء حتي لقد تمنيت ـ غفر الله لك ـ الثكل لكل الأمهات لكي يجربن لوعتك ويلتمسن لك العذر فيما يملأ نفسك من أحقاد ومرارات بدلا من أن يرقق الحزن الإنساني قلبك ويزيدك إشفاقا علي الآخرين كما يفعل أصحاب النفوس الراضية بأقدارها الذين يرجون ربهم ـ دائما ـ لو أعفت السماء غيرهم من مكابدة بعض ما كابدوه هم وتجرعوا مرارته. ولأنك استسلمت لهذه القسوة السادية بلا مقاومة.. ولا تجمل ولا اعتصام بالإيمان والتطلع لأجر الصابرين عند ربهم فلقد أبيت علي زوج ابنتك الراحلة حقه المشروع في أن يرمم بنيان حياته بعد أن أستوفي مرحلة الحزن علي شريكته الراحلة.. وأبيت علي هذه الأرملة الفاضلة أن تجد بعض تعويض السماء لها عن زوجها الراحل في أن تسكن إلي زوج آخر يرعاها ويرعي أبناءها وتشاركه هي رعاية أبنائه وتضميد جراحه وجراحهم فكلفتهما من أمرهما رهقا.. وشننت عليهما حربا ظالمة وأفتريت عليهما بالباطل وطعنت في شرف كل منهما ووفائه لشريك حياته.. وألتزامه بالنهج القويم في الحياة.
فكأنما قد كرهت لهما أن يتخففا من أحزانهما ويبدآ حياتهما من جديد، وأردت لهما بغير حق أن يشاركاك أحزان الثكل إلي ما لا نهاية وليس كل ذلك من العدل أو الرحمة الإنسانية في شيء، فلقد أخلص الرجل لزوجته وأحسن عشرتها ورعايتها وبذل كل ما في وسعه لإسعادها حتي رحلت عن الحياة وهي عنه راضية، وليس من العدل أن تطالبيه بالتبتل بعدها حتي نهاية العمر فإذا أردت اصلاح الأخطاء والتكفير عنها، فإن أوان الندم علي الخطايا والآثام لا ينقضي أبدا مهما تأخر إقرار الإنسان بها.. وبنفس الهمة التي أنطلقت بها تنالين من سمعة زوج ابنتك وشرفه.. وسمعة هذه الأرملة الفاضلة وشرفها يطالبك العدل بأن تنهضي علي الفور لإبرائهما من كل ما افتريته عليهما بالباطل وأسأت به إليهما لدي الأهل والأقارب والأبناء والأحفاد.. وأن تعلني براءتهما من كل ما ادعيته عليهما.. وتقري بحقهما في الزواج بعد شركاء الحياة الراحلين وفقا لظروفهما وأن تعتذري لهما عن كل ما جنيته عليهما.. وتصبري علي تحفظهما معك وتشككهما في نياتك إلي أن تطيب نفساهما ولو بعد حين، كما يطالبك العدل ـ أيضا ـ بأن تصلي رحمك الذي قطعته مع أسرة هذه السيدة وأن ترفعي الحظر الذي فرضته علي اتصال

أبنائك بها وبزوجها. وأن تزوري حفيدتك التي حرمتها من وجودك إلي جوارها في زواجها وأن تبذلي كل جهدك لاستعادة مودة أحفادك من ابنتك الراحلة وتصحيح صورة أبيهم ورد كرامته أمامهم.. فافعلي كل ذلك يا سيدتي إن أردت حقا إبراء ذمتك وتذكري قول الحق سبحانه وتعالي: إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم، يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون واستغفري ربك كثيرا آناء الليل وأطراف النهار عسي أن يغفر الله سبحانه وتعالي لك كل ما كان من أمرك ويخفف عنك.. ويعيد إليك طمأنينة القلب والنفس بعد التطهر من الكراهية والبغضاء بإذن الله.

==

الليالي السوداء

سيدي.. أروي لك قصتي بعد تردد طويل ـ فقد ضاقت بي الدنيا واعياني البحث عن شريكة لما تبقي من العمر ـ فلعلني وهذا ما ارجوه ـ أن أجد لديكم حلا لمشكلتي ـ أو علي الأقل نصيحة وزادا من الصبر.

تزوجت عام٨٤ زواجا تقليديا من إنسانة فاضلة وكانت تكبرني سنا بعام ونصف العام وسارت بنا الحياة رتيبة وسعيدة علي غير ما كنت أرجوه.

ورزقنا بعد عام ونصف العام بمولودنا الأول واستمر بنا العيش الهنئ إلي أن رزقنا بمولودنا الثاني ـ بعد المولودة الأولي بثلاثة أعوام ـ وللأسف كان المولود الثاني غير عادي منذ ولادته وسارت الأيام إلي أن اكتشفنا انه يعاني من قصور في الفهم والإدراك، ما يسمي التوافق العضلي الحركي وتأكد لنا بعد رحلة طويلة مع الأطباء المختلفين ـ كل في مجال تخصصه ـ أن ابننا الثاني من ذوي الاحتياجات الخاصة، مما سبب لنا الما شديدا. وكانت زوجتي ترفض من داخلها تقبل الأمر وتتعامل معه من داخلها علي أنه طفل عادي لدرجة أنه عندما بلغ طفلنا عامه الخامس قدمت له في إحدي مدارس التعليم الخاص باللغة الانجليزية متعللة بأن ابننا الثاني يجب أن يكون مثل اخته الكبيرة والتي كانت في إحدي مدارس اللغات الخاصة بالمهندسين.

ولم يستمر ابننا هذا في المدرسة سوي اليوم الأول للدراسة فقط إذ أرسلت لنا المدرسة لنأخذه واعادوا لنا المصروفات واستمر رفض زوجتي لتصديق أن هناك قصورا ذهنيا يعاني منه ولدنا، واستمرت رحلة التردد علي الأطباء حيث كان التشخيص أن عمره العقلي يقل عن عمره الزمني وانه يندرج تحت ما يسمي بطء التعلمslowlerner وان كان يقوم بخدمة نفسه ويتحدث في كل الأمور ونسبة ذكائه٦٥% وبرغم محاولاتي الفاشلة لإقناع زوجتي بتقبل الأمر إلا أنها استمرت في رحلة البحث عن مدارس عادية دون جدوي.

ولأن حظي عاثر عاثر ـ فبالإضافة إلي مصيبتي في ابني بدأت زوجتي تشكو من آلام في ثديها وبعد تردد طويل علي الأطباء ـ وأنا احكي باختصار شديد لما قبل ولما بعد ـ اكتشفنا أن زوجتي مصابة بسرطان الثدي. وباختصار تم استئصال الثدي. واعقب هذا حالة من النكد والحزن والاحباط والخوف مما هو آت وتخيل السيناريو الأسود المعروف ودخلت في دوامة في العلاج الكيميائي والتحاليل والاشعات لمدة٥ سنوات وللأسف تزداد الحالة سوءا إلي أن انتشر المرض في باقي الجسد وجاء يوم لا يمكن أن انساه

إذ توجهت بالتحاليل إلي الطبيب الكبير المعالج فظهرت علي وجهه علامات الحزن فقلت له: أنا رجل قوي وأرجوك أن تخبرني كم تبقي لها من العمر؟ فقال امامها٤ أشهر فخرجت من عنده وأنا اترنح ولم ادر كيف عرفت الطريق إلي بيتي الذي دخلته وكان الكل ـ زوجتي وابني وابنتي نياما ـ وزوجتي في نصف السرير تحتضنهما. فوقفت انظر إليهم ودموعي تنهمر وأنا أقول لنفسي: يا أولادي أمامكم٤ أشهر وتصبحون يتامي ويا زوجتي أمامك٤ شهور وتودعين أولادك وزوجك والدنيا وتتركينهم يتامي وتتركيني وحيدا، ولك ان تتخيل مشاعري هذه الليلة.

وبالفعل رحلت زوجتي عن الدنيا في حدود ما قاله الطبيب.

زوجتي كانت تعمل مهندسة في شركة كبري وكانت لها زميلة وصديقة تسأل عنا تليفونيا وتهتم بأمرنا بعد رحيل زوجتي وعلي مدي ثلاث سنوات، ومرة ذهبت لابنتي الكبري بالمدرسة وأخذت لها بعض البسكويت والشيكولاتة وعندما أخبرت أختي بسؤال هذه الإنسانة علينا قالوا لي لماذا لا تتزوجها؟ ولما كانت اعباء تربية ابني وابنتي أكبر من طاقتي ـ قررت الزواج منها وعرضت عليها الأمر فوافقت فورا ـ وبالفعل تزوجنا واكتشفت بعد٣ أسابيع واحبطني ما اكتشفت ـ أن زوجتي من النوع القاسي وليست علي علاقة طيبة مع ابني ـ بعكس ما كانت تدعيه قبل الزواج فكان الطلاق بعد نحو شهرين ونصف الشهر بعد الزواج.

وعادت حياتي لسابق عهدها: خدمة الأبناء ونفسي والوحدة.. واجترار الذكريات.

وانقضي عامان إلي أن ظهرت في حياتي الزوجة الثانية مطلقة ولديها ولد يكبر ابنتي الكبري بعامين.

وللتغلب علي مشكلة ابنها وابنتي اتفقنا علي أنها ستترك ابنها مع امها اذ لا يصح الجمع بين الثلاثة.

وبالفعل تم الزواج الثاني ـ وللحقيقة كانت زوجة رائعة معي ومع بناتي ـ إلا أن جمال الحياة لا يدوم ولا السعادة إذ كانت لزوجتي أم محبة للخراب هادمة للسعادة كارهة لي من اليوم الأول لزواجي من ابنتها اذ خيرت زوجتي بين أمرين ـ أحلاهما مر ـ وهما إما أن تأخذ زوجتي ابنها ليعيش معنا وما أن تذهب زوجتي لخدمة ابنها أثناء إقامته مع والدتها.

ولرفضي ـ طبقا للاتفاق ـ أن يقيم ابنها معنا في البيت في وجود ابنتي كانت زوجتي تذهب لخدمة ابنها عند أمها بما فيه استقبال مدرسي الدروس الخصوصية الذين ينهون دروسهم لابن زوجتي في وقت متأخر من الليل وكانت زوجتي تطلبني تليفونيا للاستئذان في المبيت عند أمها لتعذر العودة وليوم واثنين وأربعة وحتي انتهاء الامتحانات وبعدها كانت زوجتي شبه مقيمة مع ابنها بعيدا عنا فكنت برغم كوني متزوجا إلا أني أقوم بخدمة نفسي وابني من كل أمور المنزل كاملة أي عدت ثانية رجل عازب.

فآن لهذا الأمر أن ينتهي، اتصلت بزوجتي لأخيرها بين أمرين زوجك أو ابنك فاختارت ابنها وكان الطلاق والحسرة والندم.. واجترار الذكريات.. مضي عام تقريبا وأنا اجمع ما بين كل الحالات الاجتماعية وحيد.. أرمل.. أعزب.. مطلق مع ابن ذي احتياجات خاصة.. وابنة أخري علي عكس اخيها شخصية جدلية متفتحة.. منطلقة.. متعبة. وانا متعب وتقتلني الوحدة.. ودارت الأيام.. ومرت.. إلي أن القت الحياة في طريقي بالزوجة الثالثة فكانت الطامة الكبري والمصيبة التي قصمت ظهر حمال المصائب وكان زواجي منها هو بحق غلطة عمري إذ كانت تحمل كل أنواع الشر طماعة ونكدية وقاسية علي ابني خاصة الكبري ولم تأخذها رحمة بالطفل الصغير احالت بيتي وحياتي إلي جحيم لدرجة ان ابنتي الكبري هددت بترك البيت والهروب منه، فكان قرار الطلاق بعد٤ أشهر من الزواج.

والآن بقي لي نحو٤ سنوات أرمل/ مطلق/ عازب/ وحيد وتفاقمت معاناتي: إذ أصيبت ابنتي الكبري بمرض مزمن اكليل علي رأس الليالي السوداء.

زوجة توفيت بعد مرض عضال، و٣ زيجات فاشلات.

ما اطلبه وأنت نقطة الضوء الوحيدة والأمل الباقي هل تبتسم لي الحياة وأجد زوجة ترعي في الله وفي ولدي؟ وتقبل ظروفي وتقاسمني ما تبقي من العمر؟.

علما بأني رقيق المشاعر ـ محب للحياة ـ لدي رغبة كبيرة في أن أجد من أسمو معها فوق آلامي، خاصة أني في وظيفة جيدة ودخلي يسمح بحياة كريمة.. أرجو مساعدتكم لي سواء بنشر رسالتي أو بإيجاد حل ـ أو حتي بإعطائي جرعة من الصبر ـ هو الأمل الوحيد اليتيم الباقي وإلا فعلي أن أردد: أنا من ضيع في الأوهام عمره!.

سيدي.. من حقك أن تحب الحياة وتكون لديك رغبة وإرادة لتجد من تسمو معها فوق آلامك. وهذا الاختيار }} أفضل من الإحساس بالهزيمة أو الاستسلام للاكتئاب بوضع إكليل اليأس علي رأس الليالي السوداء كما وصفتها في رسالتك.

ولكن دعني أفكر معك بصوت مرتفع، وأنظر إلي حياتك وحياة ابنيك، الماضية والمقبلة بإذن الله ـ من زاوية مختلفة، غير التي حصرت نفسك فيها، ولم تجد حلا سواها. فأنت يا صديقي تصر علي السمو فوق آلامك من باب واحد لا تري غيره، وهو باب الزواج، طرقته ثلاث مرات بعد وفاة زوجتك أم ابنيك، الأولي والأخيرة تكشفان عن سوء اختيار وعدم التمهل والتأكد من انهما قبلتا الزواج بك بحثا عن الاستقرار ومحبة في العطاء أملا في كرم الله وإرضاء له برعاية يتيمين أحدهما مريض ويحتاج إلي رعاية خاصة.

وحتي عندما أنعم عليك القدر بسيدة رائعة ـ علي الرغم من سوء والدتها كما ذكرت ـ لم تلتمس لها الأعذار، ولم تعنها علي ظروفها الصعبة حتي يجتاز ابنها الامتحانات، بتوفير مرافقة لابنك المريض، وكنت قاسيا عندما خيرتها بينك وابنيك وبين ابنها، وكأنك تتوقع منها ـ وهي الأم ـ أن تضحي بابنها وتفعل ما لم تفعله أنت.

سيدي.. أنت تعيش ظرفا خاصا جدا، مؤلما، ولكنه لا يمنحك حق وضع شروطك بل كان عليك أن توفق وترضي بتقديم العديد من التنازلات، ولكنك لم تفعل.

وها أنت مرة أخري تفكر بنفس الطريقة، وتري أن حلك الوحيد في الزواج، علي الرغم من التجارب الأربع الصعبة والقاسية، وتقدم ابنك وابنتك في العمر، مما يرفع عنك بعض العبء وبعض ما عانيته عبر سنوات طويلة أتفهم جيدا كم قاسيت فيها. أليس من الأجدي الآن البحث عن مديرة للمنزل، سيدة تحتاج إلي عمل حتي لو لم تقم معك في المنزل، تتولي أمر ابنك، أما إبنتك فيمكنها الاعتماد علي نفسها، ولا تدخل نفسك في تحد مع القدر، حتي تأتيك الفرصة المناسبة بمن تطرق قلبك أو عقلك وترضي ظروفك وتتفهما وتعرف أنها ستضحي من أجلك.

سيدي.. أنا لا اصادر علي حقك، وها هي رسالتك أمام قارئات بريد الجمعة وأعرف أن كثيرات سيعرضن الزواج بك، ولكن التجربة علمتني أن من يقبلن الزواج بهذا الأسلوب يكن في ظروف قاسية يحاولن الهروب منها أو يبحثن عن فرصة زواج حتي لو مؤقتة.

ومع ذلك يبقي الأمل في سيدة فاضلة، تتلاءم ظروفها مع ظروفك، وتكون لديها الرغبة في مواصلة الحياة مع أنيس أضنته الأيام وقست عليه الظروف، وتكون أيضا حريصة علي إرضاء الله برعاية يتيمين وسيكون لها في ذلك ثواب كبير. وإلي لقاء قريب بإذن الله.

==

الليالي الباردة

أكتب إليك بعد أن اشتد بي الكرب لعلي أجد عندك الحل لمشكلتي التي أعلم جيدا أنه لا حل لها.. فأنا سيدة أبلغ من العمر٢٧ عاما، لم أعش منها حقيقة سوي عشرة أعوام هي سنوات زواجي، أما السبع عشرة التي سبقته فلقد كانت طفولة بائسة تبدأ وتنتهي عند أم لا أعرف كيف يطلقون عليها كلمة أم وأب مغلوب علي أمره يثق ثقة عمياء

في كل ما ترويه هي له عنا أنا وأخوتي.. ويكافئنا عليه بالضرب والتعذيب دون أن يتحري الحقيقة أو يسألنا سؤالا واحدا عما فعلنا.. واستمر هذا الحال طوال الرحلة وبعد أن كبرنا إلي أن تقدم إلي زوجي وأنا في السابعة عشرة من عمري فوافقت عليه علي الفور هربا من مشاكل البيت ومن تسلط أمي علينا وكرهها لنا الذي لا تدخر وسيلة للتعبير عنه في كل مناسبة.. وبالرغم من أن زوجي مهذب وحنون ويحبني حبا هائلا وإمكاناته المادية كبيرة جدا، فإنني لم أوافق عليه في البداية لهذه المزايا وإنما فقط لكي أهرب من جحيم أمي وأسرتنا.. ثم تزوجنا وأحببت زوجي بعد الزواج وعشت معه في هناء وسعادة وحب وحياة مريحة من الناحية المادية وأنجبت منه أطفالا واستمتعت بحبه وحنانه وشكوت في بعض الأحيان من غيرته الشديدة علي.

ومنذ٥ سنوات توفي والده الذي كان زوجي يحبه حبا جما فتملكه الحزن عليه.. وبعد فترة من الوفاة فشل معي لأول مرة في علاقتنا الحميمة وتكرر الفشل في الليلة التالية، ففسرت ذلك بظروفه النفسية بعد وفاة والده.. وبعد عدة أيام رجع إلي طبيعته بعض الشيء.

وقد ترك والده وراءه ثروة كبيرة وعدة أبناء ـ فوقعت مشاكل ومعارك بينهم حول هذا الميراث اللعين، وأسفرت المعارك عن إصابة زوجي بمرض السكر وهو في الواحدة والثلاثين من عمره، ومنذ ثلاث سنوات عاوده الفشل مرة أخري في العلاقة الحميمة وبدأ يتردد علي الأطباء في هذا التخصص، واعتبره البعض منهم سامحهم الله فريسة يستنزفون منها المال مقابل إعطائه الأمل في الشفاء بلا جدوي، وتفاقمت الحالة حتي أنقطعت العلاقة الحميمة بيننا تماما وذهب زوجي لأطباء آخرين كبار فأقروا بأن الحالة قد تصل إلي مرحلة العجز، ولا أستطيع أن أصف حالته وهو يحدثني عن النتيجة.. وبالرغم من تأثري الشديد فلقد تماسكت وقلت له إنني لا أريد منه شيئا سوي وجوده إلي جانبي وجانب أطفاله.. وبالفعل عشنا حياتنا لمدة عامين علي هذا النحو إلي أن بدأت منذ عام أشعر بأنني أحترق كل ليلة كلما لامست قدمه عفوا قدمي، فلقد تخيلت أنني أستطيع الاستغناء عن هذا الأمر، ولكني لم أتخيل أن يكون له كل هذه الأهمية في حياتي وكل هذا الأثر.

وأريدك أن تشير علي بالحل فأنا في السابعة والعشرين من عمري، وزوجي في السادسة والثلاثين وهو كل يوم يعرض علي الطلاق لكي أحيا حياتي كما شرعها الله لكيلا يظلمني ويقول لي إنني صغيرة السن وإذا احتملت عاما آخر فلن أواصل الاحتمال للعام الذي يليه، والأفضل لنا أن ننفصل الآن وسوف يعطيني كل ما أطلبه وسوف يكتب لأبنائه كل ما يملكه لأنهم ورثته، ومن حقي بعد ذلك أن أتزوج من شخص أحيا معه حياتي، وأنا الآن أحترق بنارين.. نار خوفي عليه إذ من سوف يرعاه من بعدي علما بأنه لن يتزوج من أخري لكيلا يظلمها كما يؤكد لي.. ونار الحرمان التي أكتوي بها ونار الرغبة في أن أحيا الحياة الطبيعية.. إذ ان هذه الرغبة من عند الله ونحن بشر فماذا أفعل يا سيدي علما بأن زوجي قد عرض نفسه علي سبعة أطباء فقرروا جميعا عدم صلاحيته لهذا الأمر.

إنني أرجو أن تشير علي بالرأي.. وإذا نشرت رسالتي أن تنشرها بعنوان الليالي الباردة لأعرف أنها تخصني وشكرا.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

كل إنسان محكوم بأقداره يا سيدتي والرأي الذي أشير به غالبا علي من تمتحنها الأقدار بمثل هذه المحنة التي ألحظ للأسف اتساع مجالها ودخول زهور شابة عديدة في دائرتها الشائكة خلال السنوات الأخيرة، هو أن للزوجة، خاصة إذا كانت شابة مثلك أن تختار لحياتها ما تستشعر في أعماقها قدرتها الحقيقية وليست الموهومة عليه من الاختيارات. فإذا استشعرت في نفسها القدرة علي التكيف مع حياتها في ظل الحرمان من هذا الأمر والاستعاضة بالعشرة الجميلة والحب المتبادل وسعادة الأبناء واستقرارهم بين أبويهم عما ينقص حياتها الزوجية.. ورأت في زواج الإيناس والعطف المتبادل واتحاد الأهداف في إسعاد الأبناء ما هو أهم من نواقص حياتها الأخري فلا لوم عليها فيما اختارت لنفسها.. وإن استشعرت علي العكس من ذلك العجز عن احتمال الحياة علي النحو الذي جرت به المقادير وخشيت علي نفسها من الضعف البشري.. والفتنة.. فإني لا أقول في هذه الحالة أنه لا لوم عليها إن هي اختارت الانفصال بلا حرج عن زوجها لتبدأ حياة أخري، وإنما أقول إن من واجبها الأخلاقي والديني تجاه زوجها المحكوم بأقداره وتجاه نفسها وأبنائها وأهلها ألا تتردد أمام ااعتبارات العاطفية والإنسانية والعائلية وأن تسرع بالانفصال عن زوجها، وذلك عملا بالقاعدة الشرعية التي تقول إن دفع الضرر مقدم علي جلب المنفعة، والقاعدة الأخري التي تحث علي دفع الضرر الأكبر بالضرر الأصغر، والضرر الأكبر هنا هو أن تعجز الزوجة الشابة عن احتمال وطأة الحرمان من الأحتياجات الحسية، فتعرض نفسها للفتنة والغواية والسقوط في الهاوية فتسيء بذلك إلي زوجها ونفسها وأبنائها وأسرتها.. وتبوء بغضب السماء عليها.. ولا شفع لها في شيء حرمانها الذي كابدته ومهد الطريق أمامها إلي المنحدر، ولا يغنيها طلبها لسعادة الأبناء واستقرارهم أو أشفاقها علي زوجها من التخلي عنه من جريرة ما تفعل، بل انها لتؤذي زوجها الذي أشفقت عليه من الانفصال عنه في هذه الحالة بأبلغ مما قضت عليه به أقداره الحزينة.

واني لأستشعر من كلماتك المحترقة بلهب الحرمان أنك لا تطيقين صبرا علي ما ينقص حياتك الآن يا سيدتي، ولن تصبري عليه أكثر مما فعلت، وما دام الأمر كذلك فاقبلي من هذا الشاب الكريم المبتلي بما لا حيلة له فيه عافيته.. واحتفظي له دائما بأجمل الذكري وأعمق التقدير جزاء وفاقا لحسن عشرته لك وكرمه معك في المبتدأ

وفي المنتهي ولترفعه عن الأنانية معك، ولإيثاره لسعادتك علي سعادته، والأمل كل الأمل بعد ذلك في أن تعوضك السماء بمن تستقر سفينتك في مرفئه وتكون له بعض وليس كل مزايا هذا الشاب النبيل الأخلاقية والإنسانية.. وألا تجهدي أنت نفسك بالمقارنة بين الاثنين في المستقبل لأن لكل إنسان ظروفه وشخصيته وسماته النفسية والخلقية المختلفة، ولقد تكون مشكلته معك فيما بعد ما عبر عنه الإنجليز في أمثالهم حين قالوا: ـ إياك أن تستأجر خادما عمل عند من هو أفضل منك!

==

اللوحة الجميلة

اكتب إليك بعد حيرة وتردد فأنا سيدة ابلغ من العمر خمسين سنة، لكن كل من يراني لا يعطيني أكثر من ثلاثين سنة، فقد منحني الله قدرا كبيرا من الجمال وحسن المظهر، وقصتي تبدأ حين أتيت إلي القاهرة وعمري تسعة عشر عاما متزوجة من رجل طيب القلب يكبرني بعشرة أعوام، ويطيعني في كل شئ ويسعد بي ويتباهي ويتفاخر وينفذ لي كل طلباتي، خاصة بعد أن أنجبت له بنتين في غاية الجمال وتشبهانني إلي حد كبير، فسخر نفسه لخدمتنا حتي أنه كان يقوم بكل أعمال البيت وخدمتنا ليلا ونهارا، وشراء الطلبات من الخارج، وما أنا إلا لوحة جميلة يحرص عليها وينظر إليها في حب وحنان برغم ثورتي الدائمة عليه دون أي سبب، لأني كنت دائما أنظر حولي واستكثر نفسي عليه رغم أنني لا أملك سوي شكلي فقط، ومنذ بداية زواجنا لفت نظري جار لنا في الجوار متزوج من امرأة جميلة جدا وانيقة جدا وهادئة، وكلما مرت أمامي لتأخذ سيارتها تبتسم لي في هدوء ورقة بالغة، أما زوجها فمن ورائها يبتسم لي ويشير، ثم تطور الأمر إلي أنه بدأ يسير ورائي حين أخرج ويطاردني معبرا لي عن اعجابه بي وبأنه مصر علي أن يقيم معي أية علاقة اختارها، المهم أن أتكلم معه، ودفعني الفضول إلي مبادلته الحديث، وكنت أسأله لماذا وزوجتك لا ينقصها شئ بل علي العكس كل من يراها ينبهر بجمالها وهدوئها ورقتها حتي زوجي كان يبدي رأيه فيها حين اسأله، فيقول أنه لم ير مثلها؟! وكان جاري يقول إنه لم يشعر بأي حب تجاهها ولا يغار عليها، وظل علي هذا الحال بضع سنوات يلاحقني وحين يعود هو وزوجته من الخارج يتعلل بأنه يركن سيارته ويقف أمام شرفتي أو يظل يجوب الشارع ذهابا وإيابا، ولا أنكر أنني كنت أشعر بسعادة وانتصار علي من تفوقني جمالا وثقافة وكل شئ، الي أن علمت يوما أنها مريضة وسافرت للخارج لإجراء جراحة حرجة جدا، وظل هو كما هو برغم مرض زوجته وانتظرت إلي حين عودتها، وتحينت الفرصة واتصلت لكي اسأل عنها وعرفتها بي، وفوجئت بها في منتهي الذوق والأخلاق وتشكرني وتدعو لي وتصر علي زيارتي لها، وذهبت إليها فوجدتها أجمل وأروع مما أراها عليه وهي في الشارع، فكانت ترقد في سريرها كالملاك ووجدتها تهتم بي وتنصحني بأجمل النصائح، وكررت زيارتي لها وكان هو ينتظرني علي الباب ويفتح لي ويضغط علي يدي ويظل يتردد علي حجرتها مدعيا الاهتمام بها، ثم يسرق نظرة لي لا تفهمها هي ولكن مثيلاتي يفهمنها، ثم فجأة وجدتها تخرج في صمت خطابا من حقيبتها وكلها ألم وتطلعني عليه، فإذا به بخط زوجها وملئ بالحب والغرام ولا يكتبه سوي مراهق صغير، فقرأته في لهفة وسرعة، وإذا به لزميلة له في العمل، وعلمت من جارتي المسكينة أنه علي علاقة بتلك الزميلة منذ أربع سنوات وغيرها وغيرها، وفتحت عيني علي مفاجأة فكنت أتصور أنه يهيم بي ولاحظت هي أنني انصرفت بسرعة، كما لاحظت التغيير المفاجئ علي وقررت مقاطعتها إلا أنها سألت عني وظلت ترسل لي الهدايا وأشياء كثيرة، لأني كنت قد شكوت لها من بخل زوجي كذبا فأرسلت لي أشياء وأشياء وعدت لزيارتها، وإذا به يدخل علينا ويحاول أن يشير لي من خلفها، فتجاهلته وما أن خرج حتي وجدتني أخبرها بكل شئ عن محاولاته معي ولن أنسي وجهها الجميل الطيب ودموع عينيها التي سالت كالنبع أمامي، وتركتها وانصرفت ولا أدري ماذا حدث بينها وبين زوجها، فقد حاول هو الاتصال بي وأغلقت في وجهه التليفون ومازال يتحين الفرص ويسير ورائي، كما ألقي في شرفتي ورقة يعاتبني فيها ويقول إن زوجته معتادة علي ذلك ـ فهل تتخيل أن يكون هناك رجل بهذه الأخلاق وقد منحه الله كل شئ من زوجة جميلة إلي منزل رائع رائع إلي بنت وولد غاية في الاخلاق والجمال وزوجته محبوبة من كل من يعرفها، أما هو فقد علمت عنه الكثير والكثير عن سوء خلقه في نواح كثيرة أخري غير متابعة النساء.

إن ضميري يعذبني بل ويقتلني لأني ظلمت زوجي أولا وظلمت إنسانة لا ذنب لها سوي قدرها الذي أوقعها مع هذا الرجل، وأريد أن أكفر عما فعلته وأريد أن أوجه لها كلمة أو توجه أنت لها كلمة فهي من قرائك، وأن تنصح الرجال والنساء أمثالي أنا وزوجها لأن هذا الموضوع منتشر وأنا علي يقين أنها سوف تسامحني لأن قلبها كبير جدا ولكني أتعجب لماذا تستمر مع هذا الإنسان رغم أن الله قد منحها كل شئ وهي تتفوق عليه في كل شئ؟!.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

قد أفسد اللوحة الجميلة تساهلك المخجل مع هذا الرجل العابث وقبولك لتبادل الحديث معه وأنت تعلمين جيدا منذ البداية حقيقة نياته تجاهك وما يسعي اليه معك ـ ولا يقلل من حجم الخطأ أبدا أنه كان محدودا أو غير محدود، فالإثم مؤكد في كل الأحوال، ولقد قلنا مرارا إن مجرد قبول الزوجة المحصنة للحديث مع رجل أجنبي تعرف عن يقين أنه يغازلها ويتطلع لإقامة علاقة آثمة معها هو بداية التنازل حتي ولو كان حديثها إليه انتهارا له أو لوما علي سلوكه معها أو حتي لمحاولة إصلاحه وإقناعه بالإخلاص لزوجته والاكتفاء بها، ذلك أن مجرد تواصل الحديث بينهما هو خطوة خطيرة علي الطريق المنحدر الذي تقود كل خطوة جديدة عليه إلي موقع آخر أكثر انحدارا.

ولقد روي الروائي الفرنسي لاكلو في رواية علاقات خطرة علي لسان كونت عابث يركز سحره علي سيدة فاضلة لإغوائها:

نعم يلذ لي أن أري هذه المرأة المتدينة تتورط دون أن تشعر في طريق لا رجعة منه تقودها فيه منحدراته وتضطرها لأن تتبعني وحين تتبين حجم الخطر الذي يتهددها تتوقف برهة وتنظر حولها فلا تجد سبيلا للرجوع إلي الخلف.. وكل ما تستطيع أن تفعله هو أن تتباطأ في خطواتها ثم تواصل الهبوط مغمضة العينين، وكلما حاولت إيقاف تدهورها ورجعت للخلف ركضا وجدت ما يشبه القدرة السحرية تشدها إلي نقطة أبعد مما كانت عليه حين حاولت الرجوع للخلف!

وهي كلمة معبرة بحق عن الموقف الذي تجد فيه كل زوجة نفسها إذا بدأت طريق التنازلات وخطت خطوتها الأولي علي هذا المنحدر، ولاشك في أنك قد فعلت الكثير والكثير مما تحتاجين إلي التكفير عنه والندم الصادق عليه واستغفار ربك آناء الليل وأطراف النهار لكي يغفر لك، ومن عجب أن إحساسك بالذنب تجاه زوجة هذا الرجل العابث أكبر من إحساسك به تجاه زوجك الذي تقولين عنه إنه يكرس حياته لرعايتك ويستجيب لكل مطالبك ويقوم عنك بكل الأعباء معتبرا إياك لوحة جميلة يعتز بوجودها في عالمه.. مع أن جرمك في حقه أكبر وأبلغ من جرمك في حق زوجة ذلك الرجل العابث.. وفي حق أبنائك ونفسك كذلك، كما أنك لم تتوقفي عما كنت تفعلين انتصارا لنفسك أو كرامة لزوجك وإنما غضبا من هذا الرجل الذي تعتزين بملاحقته لك، ثم اكتشفت في النهاية أنه رجل عابث متعدد العلاقات النسائية.. وسؤالي إليك هو، وماذا كنت تنتظرين ممن يطارد زوجة محصنة لرجل يقيم إلي جواره؟ هل كنت تتوقعين منه الإخلاص والوفاء والتبتل في الإعجاب بك وحدك كما يفعل زوجك المغدور به؟.

يا سيدتي أفيقي من عبثك وتعلمي درس التجربة واقصري طرفك علي زوجك المخلص المحب وابنائك، ولا تتبطري علي النعمة فتندمين حيث لايفيد الندم.. أما زوجة ذلك الرجل فهي ليست في حاجة إلي اعتذار منك، ولا تجددي صلتك بها لكي تتجنبي كل المظان التي قد تجمع بينك وبين زوجها من جديد ذلك إذا كنت حقا قد ندمت ندما صادقا علي ما كان من أمرك.. ورغبت في أن تبدئي صفحة جديدة مبرأة من الآثام من حياتك.

==

اللقب الجميل!

أتابع بريدك منذ فترة، وقد لاحظت في الآونة الأخيرة بعض الملاحظات التي آلمتني فآثرت أن أكتب إليك بتجربتي عسي أن يستفيد بها البعض ممن استحكمت الغشاوة علي أعينهم فأنكروا نعمة الله التي يغبطهم عليها الكثيرون. فلقد آلمتني صرخات بعض الأبناء في رسائلهم اليك فقد تخلي آباؤهم عن مسئولياتهم المادية والمعنوية تجاههم.. وآلمني ما قرأته في رسائل أخري من استسهال بعض الآباء للطلاق كحل لمشاكلهم مع زوجاتهم، وكأن الطلاق الذي شرعه الله في حالة استحالة العشرة قد أصبح رخصة مباحة لكل من يشاء دون النظر لعواقبها الوخيمة علي الأبناء، كما آلمتني الرسائل التي تتحدث عن زوجات يتخلين عن أبنائهن إرضاء لاهوائهن أو يدبرن الخطط المحكمة لافتعال الخلافات مع الأزواج والحصول علي الطلاق منهم والزواج من آخرين متخليات بذلك عن أبنائهن، ولكل هؤلاء الذين أثار حنقي عليهم تخليهم عن أبنائهم بلا عناء أروي قصتي عسي أن يعودوا لصوابهم ويشكروا نعمة الله التي أنعمها عليهم من الأبناء.

فأنا سيدة في الثامنة والأربعين من عمري تزوجت منذ عشرين عاما من رجل فاضل، لكن الله سبحانه وتعالي لم يمن علينا بالانجاب، وبعد عدة سنوات من المحاولات المستميتة والعلاج قررنا أن نخوض تجربة الأنابيب وباءت كل محاولاتنا معها بالفشل، واستسلمنا لاقدارنا، لكن امومتي ظلت تلح علي وتبحث عن مخرج لافراغ شحنتها الدافئة في طفل احتضنه وينادينى بالكلمة الجميلة ماما، وكان زوجي كذلك يكتم عني رغبته المماثلة واستشعرها في نظرته المحرومة وحنانه الجارف لكل طفل من أبناء الجيران أو المعارف، ففكرت جديا في أن أرعي طفلا يتيما لكني خشيت عرض هذه الفكرة علي زوجي تحسبا لردود أفعاله تجاهها.. ثم استجمعت شجاعتي ذات يوم وعرضتها عليه فرحب بها، وذهبنا الي احدي دور الايتام واخترنا الطفل معا وتحملنا الاجراءات المريرة الطويلة لرعاية أحد الأطفال وفزنا في النهاية باللحظة الجميلة التي اصطحبنا فيها طفلنا الي بيتنا الحبيب، وبدأت استمتع بممارسة أمومتي له واستمتع بمراحل نموه وصخبه الجميل والتمعن في وجهه البريء، وحكايات ما قبل النوم التي أحكيها له، أما زوجي فقد راح يشتري له كل ما يصادفه من لعب جميلة وملابس أنيقة وأطعمة غالية كنا نضن بها علي أنفسنا من قبل لنوفر تكاليف إجراء تجارب الأنابيب، وأصبح للحياة في أسرتنا مذاق مختلف وطعم آخر.

وجاء اليوم الذي سيلتحق فيه صغيري بالمدرسة لأول مرة فأقدمت علي خطوة مصيرية في حياتي.. وتخليت بلا تردد عن منصبي القيادي والمرتب المغري الذي كنت أتقاضاه من وظيفتي ويغبطني عليه الآخرون، وتفرغت لرعاية طفلي الحبيب وزوجي وبيتي، وأصبحت متعتي الأولي في الحياة هي أن أوصله الي المدرسة ثم أجلس أمام بوابتها حتي ينتهي اليوم المدرسي ونرجع إلي بيتنا معا، ولم أهتم بتعليقات الآخرين ولاتهامهم لي بتدليل طفلي هذا تدليلا زائدا، ولم يعكر صفو حياتي سوي تعليقات بعض أهل زوجي الجارحة حتي كرهت زيارتهم لي، ولم يجد زوجي ما يفسر به ماحدث لأن هذه التعليقات كانت تقال أمامي في غيابه وليس في حضوره لعلمهم بحبه

الجارف لي.. حتي جاء اليوم الذي طلبت فيه من زوجي أن يسرحني باحسان ليتزوج بمن تحقق له رغبة أهله في انجاب طفل من صلبه كما نصحه بذلك بعض أهله. وفوجئت بزوجي يقول لي انه اذا كان قد فكر في ذلك من قبل بالفعل.. فانه لايستطيع التفكير فيه الآن ليس فقط من أجلي.. وانما أيضا من أجل هذا الطفل البريء كذلك، لأنه رجل مسئول عن قراراته واختياراته، وقراره بكفالة الطفل اليتيم، لم يكن يقتصر علي كفالته من الناحية المادية فقط، وانما يشمل أيضا كفالته من الناحية المعنوية والاجتماعية وتوفير الأمان النفسي والأسرة المستقرة له.. وإلا فلن يكون جديرا باللقب الحبيب بابا الذي يسمعه منه، ودمعت عيناي حبا وفرحا وسعادة بزوجي وحياتي حين سمعت منه ذلك، وتقبلت اتهامه لي بالحساسية تجاه تعليقات ذويه وربطها في ذهني دائما بعدم الانجاب في حين أن العلاقة بين الحماة وزوجة الابن لاتخلو في أحيان كثيرة من مثل هذه الملاحاة سواء كانت الزوجة قد أنجبت أم لا تنجب، وحاولت بالفعل مغالبة هذه الحساسية وعدم السماح لها بافساد حياتنا.. واستوعب زوجي صراعاتي النفسية بفهم كبير، ووجدته يتخلي عن عصبيته المعهودة في كثير من الأحيان ويحتوي انفعالاتي الي أن زالت مخاوفي بالفعل من أن يتأثر ذات يوم بنصائح ذويه له بالزواج من أخري، وانعكس شعوري بالأمان النفسي مع زوجي علي طفلي الجميل بكل جوانبه الايجابية، وأريد أن أسأل الآن هؤلاء الذين يتخلون عن أبنائهم ويتنصلون من مسئولياتهم المادية والمعنوية عنهم.. كيف لأب أن تنصل من مسئولياته تجاه ابنه ان يستسيغ طعاما أو شرابا دون أن يفكر في حال ابنائه؟ وكيف لأم أن تسعي وراء أهوائها ورغباتها ضاربة عرض الحائط باحتياجات أبنائها النفسية اليها؟

إن هؤلاء الآباء والأمهات الذين لا يستحقون اللقب الجميل للأب والأم لو كانوا قد استشعروا آلام إجراء تجارب الأنابيب النفسية والبدنية جريا وراء أمل ضعيف في الانجاب.. لشعروا بتفاهة كل شيء في الحياة الي جوار نعمة الأبناء.

فماذا يعني مفهوم الزواج بالنسبة اليهم؟ أهو مجرد اشباع قانوني للغرائز؟ أم هو شركة عظيمة لا يجوز تصفيتها إلا برغبة كل الشركاء فيها وهي لاتتكون من الزوجين فقط وانما من الأبناء أيضا؟ انني بكل ما يحتويه قلبي من حب لطفل لم يحمله رحمي أشعر بالتقزز من مشاعر أمثال هؤلاء الآباء والأمهات الذين لايستحقون ألقابهم، وأرجو أن تعيدهم كلماتي وتجربتي الي رشدهم ويشكروا نعمة الله عليهم ليس باللسان فقط وإنما بالافعال وبرعاية أبنائهم وعدم التخلي عن مسئولياتهم وعدم اللهاث وراء الشهوات والرغبات بعيدا عنهم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

«««ولكاتبة هذه الرسالة أقول»»»

بعض الآباء والأمهات ممن لايستحقون ألقابهم ينطبق عليهم المثل الألماني الذي يقول: من أتجر في الزهور لم يشم رائحتها!

بمعني ان من يجد الزهور حوله كل يوم قد يضعف احساسه بجمالها، وتتحول بالنسبة اليه الي بضاعة كغيرها من البضائع التي لا يعز عليه فراقها.. بل لعله يجد في بعدها عنه ما يحقق له المصلحة المرجوة منها.. وهي التخلص منها بالبيع!

وفي حالة أمثال هؤلاء الآباء والأمهات فإن ضعف الاحساس بالواجب الانساني تجاه الأبناء لديهم، وضعف ادراكهم لنعمة الله الجليلة عليهم بهؤلاء الأبناء قد لايرجع أساسا الي حكم الاعتياد علي وجودهم في حياتهم بلا عناء ولا تجارب أنابيب مرهقة ومكلفة ومؤلمة، وانما أيضا الي عامل جوهري آخر هو ضعف الاحساس بالواجب الاخلاقي والانساني لديهم تجاه هؤلاء الأبناء، والي العجز عن ادراك قيمة الثروة الانسانية الجليلة التي خصهم الله سبحانه وتعالي بها دون غيرهم ممن شاءت لهم ارادته العليا الحرمان منها.

أما تساؤلك المرير: كيف لأب تخلي عن مسئولياته تجاه أبناءها أو لأم هجرت أبنائها جريا وراء أهوائها ان ينعما بحياتهما بعيدا عن هؤلاء الأبناء وبغير أن ينغصها عليهما تصورهما لحال أبنائهما من بعدهما، أو افتقادهما لهم.. فلعلي أحاول الاجابة عليه بان احدثك قليلا عن مفهوم الضمير كما حاول الفلاسفة تعريفه.. فالمقصود بالضمير ياسيدتي هو قدرة البشر علي التمييز بين الحق والباطل.. وهو شيء فطري في الانسان لكنه يتأثر بالوسط الذي ينشأ فيه، فبعض الناس ـ علي سبيل المثال ـ لايشعرون بالخجل لكشف أجزاء من أجسامهم، بينما يشعر آخرون بالخجل لكشفها، لكن معظم الناس في مقابل ذلك يستشعرون تأنيب الضمير وعدم الارتياح اذا هم ألحقوا الأذي بالآخرين، غير أن امتلاك الانسان للضمير شيء واستعماله شيء آخر، ولهذا فلقد شبه مؤرخ الفلسفة النرويجي يوستن جاردر الضمير بعضلة من عضلاتالجسم.. ان لم يستخدمها المرء كثيرا ضعفت وذوت وكذلك ضمير الانسان ياسيدتي فإنه ان لم يستعمله الإنسان منذ الصغر ولم يحتكم اليه في كل تصرفاته واختياراته وقراراته فانه يذوي ويضعف ويقل تأثيره علي سلوكيات الإنسان، تماما كما تضعف اليد التي يهملها صاحبها ولا يستخدمها بنفس الكثرة التي يستخدم بها يده الأخري..

ولعل في هذا التشبيه ما يفسر لنا لماذا نصف دائما الأشخاص الأمناء مع الحياة ومع البشر بأنهم من أصحاب الضمائر الحية.. ونصف غيرهم ممن لا يرون أي قيود أخلاقية علي تصرفاتهم بأنهم من أصحاب الضمائر الميتة.

استخدامها فتجددت خلاياها وقويت سطوتها فكلا الفريقين لهم ضمائرهم لكن بعضهم قد استخدها وأحسن وتأثيرها علي حياته، وبعضهم أهملها فضعف أثرها علي حياتهم وحياة من يتعاملون معهم للأسف، وأولهم الأبناء وشركاء الحياة.. والمسألة في البداية وفي النهاية تتمثل في الضمير الأخلاقي ودرجة يقظته وحيويته أو العكس.. كما تتمثل أيضا من جانب آخر في قوة البصيرة أو ضعفها..

وهذه البصيرة هي التي تعين الإنسان علي التمييز بين ما يستحق أن يشقي للحفاظ عليه والاستمساك به والدفاع عنه.. وما لا يستحق منه كل ذلك اذا كان الثمن الباهظ له هو التخلي عن أبنائه.

والحكيم الصيني القديم لو ـ تسو يقول لنا ان رؤية الأشياء الصغيرة بصيرة!

فكيف بمن لا يرون الأشياء الكبيرة في حياتهم ولا يعرفون لها قدرها.. ولا يشكرون ربهم الذي أنعم عليهم بها؟

لقد رأيت أنت هذه الأشياء بفطرتك السليمة وقلبك الرحيم وبصيرتك الحكيمة.. وعرفت الشوق اليها فأدركت كم هي غالية وثمينة ولا يعدلها شيء آخر في الحياة.

فهنيئا لك ذلك اللقب الجميل الذي تستحقين عن جدارة كل حرف من حروفه، وهنيئا لك بزوجك المحب الأمين الذي يستشعر مسئولياته الانسانية ويتحمل تبعات قراراته واختياراته، وهنيئا للحياة بأمثالكما من أصحاب الضمائر الحية والقلوب الحكيمة والعطاء الدافق لأمثال هذا الطفل المحروم

==

اللقب البغيض

استحلفك بالله أن تجد رسالتي مكانا لديك لأني أحتاج إلي مشورتك بشدة، فأنا في مشكلة كبيرة تحتاج إلي عقلك وحكمتك وأتمني أن أجد لديك حلها إن شاء الله.

أنا سيدة شابة تزوجت منذ سنوات وكانت تجربة زواجي مريرة بكل ما تعنيه الكلمة، وجاهدت خلالها جهاد الأبطال لتستمر حياتي الزوجية، ولكنها انتهت بكثير من الألم النفسي وبطفلة صغيرة لاذنب لها وبمشاكل ومضايقات استمرت بعدها عدة سنوات، حتي شاءت إرادة الله أن يتزوج والد ابنتي وينشغل بحياته الجديدة عنا وينسانا تماما وكأننا لم نمر حتي بحياته، ولم يعرفنا من قبل

وفي هذه الأثناء شغلت نفسي بعملي وبتربية ابنتي وتوفير حياة كريمة لها ورفضت أي عرض للزواج خوفا عليها وخوفا من تكرار تجربتي الأليمة، ومرت سنوات تعودت خلالها علي حياتي الجديدة وعلي التعامل مع الناس بكثير من الحذر، حتي جاء إلي العمل معي في نفس المكتب مهندس شاب هادئ الطبع، ومن خلال تعاملي معه استطاع في فترة قصيرة أن يكسب ثقتي واحترامي وأصبح صديقا حميما لي خاصة أننا نتشابه في كثير من الصفات إن لم يكن كلها

وبشهادة كل من تعاملوا معنا نحن وجهان لعملة واحدة فبدأت آخذ رأيه في كل مشكلة تقابلني في البيت، أو العمل وكان ينصحني بعقل وحكمة ويساعدني في مشاكلي قدر استطاعته، واستمر الحال هكذا لمدة سنتين لم يحاول خلالهما أبدا ان يتعدي حدود تلك الصداقة، حتي فوجئت به يصارحني بحبه لي في حياء شديد في رسالة من بضع كلمات، لم يستطع ان يقولها لي وجها لوجه خوفا من رد فعلي، وحدث ما توقعه

وكأنه فجر ما بداخلي من براكين الخوف والقلق وأخرجت كل ما عندي من عقد قديمة، كما كنت أفعل مع كل من يحاول الاقتراب مني، واتهمته وثرت في وجهه، وقابل هو كل ذلك بهدوئه المعتاد وابتسامته التي لاتفارقه حتي احتوي ثورتي، وبدأت افكر بهدوء فوجدتني أنا أيضا أحبه منذ فترة دون أن أشعر أو ربما منعني الخوف ان أسمي ما أشعر به نحوه حبا في ذلك الوقت.

وصارحته بمشاعري فكان لابد أن نتوج هذا الحب بالرباط الشرعي ففاتح هو أسرته أولا وطبعا قامت الدنيا ولم تقعد. ورفضت أسرته رفضا قاطعا ونهائيا حتي مجرد الكلام في هذا الموضوع، ولم يشفع لي عندهم أي ميزة أو حميدة أمام اللقب البغيض الذي أحمله، وانتهت كل الوساطات لديهم بالفشل وبالتهديد والوعيد اذا لم يكف عن الحديث في هذا الموضوع

وأقسم لك ياسيدي اننا حاولنا ان نبتعد عن بعضنا لعام كامل وفشلنا وحاول هو خلال هذا العام ان يتقدم لخطبة من يختارها أهله وفشل وتركت خلاله العمل معه حتي لا أراه ولا يراني، ولكن ما بيننا من حب كان أكبر من تجاهله ولأننا نخشي الله(عز وجل) فلم يكن أمامنا إلا أن نتزوج دون علمهم وجاء زوجي ليطلبني من أهلي فوجد من الصعوبات ما لايتسع المجال لذكرها

ولكن ارادة الله يسرت كل عسير وتزوجنا زواجا شرعيا دون علم أهله وبعلم أقل القليل من أهلي، وأخفينا الأمر عن زملائنا خوفا من غضب أسرته وخوفا عليهم. ولأن زوجي يتقي الله ولا يريد أن يغضب أهله فقد لاحظت أنه يتألم لأنه ولأول مرة يفعل شيئا دون ارادتهم، ولكنهم هم من دفعوه إلي ذلك بإصرارهم علي الرفض دون حتي أن يعطوني الفرصة ليتأكدوا هل سأكون الزوجة الصالحة لابنهم أم لا.

المهم لا أريد أن أطيل عليك فقد مر عامان تقريبا علي زواجنا لم نختلف خلالهما مرة واحدة، واكتشفت خلال هذه المدة أن زوجي هو جائزة السماء للصابرين فقد كان مثالا للزوج الصالح التقي الذي يرعي الله في وفي ابنتي التي أحبته حبا شديدا ونادته(بابا) وتعلقت برقبته كلما دخل البيت أو خرج منه واكتفيت أنا بالساعات القليلة التي يقضيها معي فكانت بالنسبة لنا ساعات من الجنة

وأثبتت الأيام اننا لم نخطئ في زواجنا وأن كلا منا وجد نصفه الآخر يوم تزوجنا، ولكن ياسيدي تأتي الرياح دائما بما لا تشتهي السفن، فلقد بدأ أهل زوجي يلحون عليه بالزواج مطالبين بحقهم في أن يشاهدوا أولاده قبل أن ينتهي العمر، وطلبت من زوجي أن يطيعهم ويتزوج مع ما سيسببه ذلك لي من ألم، ولكنه أخبرني أنه لايستطيع ان يخدع انسانة أخري لاذنب لها كما انه اكتفي بي زوجة لايريد غيري لتشاركه حياته

وفكرنا كثيرا في ان نصارحهم لكن خوفه عليهم كان يمنعه من ذلك وانا ايضا منعته خوفا من رد فعلهم، فانا ياسيدي راضية جدا بحياتي معه وقانعة بالساعات القليلة التي يقضيها معي، ولكني لا أتخيل ان أحرم منه وأن يهدم بيتي وتنتهي سعادتي، وتناقشنا كثيرا فلم نجد أي حل وعجزنا أمام ما نحن فيه، فأشار علي زوجي أن أكتب اليك لما لك من خبرة في الحياة وحكمة تستطيع بها أن ترشدنا إلي الصواب وتخرجنا مما نحن فيه

خاصة ان زوجي في هذه الأيام أراه حزينا مكتئبا دائم التفكير وغابت عنه ابتسامته لانه لايجد حلا لما نحن فيه وأهله من ناحية أخري يواصلون الضغط عليه بشدة ليختار عروسا من عدة عرائس عرضوها عليه وهو في حيرة من أمره وأنا أشعر بعدم استقرار، وليتك توجه كلمة لكل أب وأم أن يكفوا عن التدخل في حياة أبنائهم بالشكل الذي يفسدها وأن يتركوا لهم حرية اختيار شركاء الحياة لأنهم وحدهم من سيحيون هذه الحياة ومن سيستمتعون بها أو يعذبون فيها.

أنا قارئة لبريد الجمعة منذ سنوات شاركت خلالها أصحابه أحزانهم وأفراحهم وبكيت لدموعهم فأرجو ان تشاركوني مشكلتي!

** سيدتي... يخطئ الإنسان عندما يدخل بيته من النافذة بدلا من الباب، خوفا وحرصا علي عدم إزعاج الآخرين، أو اغضابهم معتقدا أنه بذلك ينال محبتهم ورضاهم.

فهذا الشاب المثالي ـ الذي لم تذكري اذا كان يكبرك أم يصغرك في العمر أحبك حبا صادقا، وكذلك انت، وكانت مشاعركما ناضجة وعاقلة بالقدر الذي يكفي لتتويج مثل هذه العلاقة المحترمة بالزواج، ولكن أهله لم يرحبوا بزواجه من امرأة سبق لها الزواج ولديها طفلة، وهم في ذلك لايبتعدون كثيرا أو قليلا عن ثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه، والتي تري ان المرأة المطلقة، تحمل اللقب البغيض، الذي ولابد ان يكون نتيجة لعيب ما فيها، وطبيعي ان يتمنوا ان يحصل ابنهم علي حقه في أن يكون الرجل الأول في حياة زوجته، غافلين ان للقلب أحكاما، وأن عليهم ابداء رأيهم فقط، خاصة اذا كان هذا الرأي لشاب مثل ابنهم، محترم ومثقف ويعرف حدود ربه جيدا، وعليهم ان يحترموا اختياره وحقه في خوض تجربته الشخصية بنفسه. وأن يتحمل تبعاتها، فيجني ثمارها، أو يشرب مرها. فالحياة خلقت كي نعيشها باختياراتنا، لا باختيارات أهالينا ورغباتهم.

وها هي التجربة تثبت ان اختياره كان صائبا، وانكما تجنيان ثمار حبكما، ولا يعكر صفو حياتكما سوي سركما، وخوف زوجك علي مشاعر أهله وغضبهم عليه، فيما ليس لهم فيه حق، وليت كل أب وأم يمنحون أبناءهم حق اختيار شريك الحياة، طالما كانوا في سن المسئولية، ولايخشي عليهم من اندفاع العواطف المضلل لقلة الخبرة وصغر السن.

سيدتي.. تسألينني وزوجك المشورة، وأقول لكما إن مثل هذه المشاعر وتلك الحياة المستقرة السعيدة تستحق الدفاع عنها، بدون حلول وسط، وكذب جديد بدخول أطراف أخري كالزوجة التي تقترحينها له.

لا ياعزيزتي لا اري حلا الا بالمواجهة، عليه ان يخبر أهله بأنه تزوجك ولم يتخل عنك، وفي نفس الوقت لن يعوق أهله أو يمتنع عنهم حتي لوفعلوا ذلك، فهم يعبرون عن حبهم له بطريقتهم، ولا يرون موقفهم خاطئا، بل سيجدون من يؤيدهم. نعم ستواجهكما بعض المشكلات، ولكن للزمن تصاريف قد لانراها عن قرب، والغضب سينطفئ مع الأيام، والخصام لن يدوم عندما يرزقكما الله بالذرية الصالحة، ويلمسون بأنفسهم مدي السعادة التي يعيشها معك.

في مثل حالتكما لاتجوز الحلول الوسط ومن يريد ان يقطف الثمر عليه ان يتحمل وخز الأشواك، دعواتي لكما بالسعادة وتمنياتي بأن تتفهم أسرة زوجك معني هذا الحب العظيم وتسعد بسعادته... وإلي لقاء بإذن الله.

==

اللغـــز

أنا فتاة عمري ٢٢ سنة .. طالبة بالسنة النهائية بإحدى الكليات وعلى قدر من الجمال ، ومن أسرة متوسطة وأوصف بالرزانة والهدوء وبحسن الخلق . ومنذ عامين تعرفت إلى شاب يكبرني بعامين ، يعمل فى الحي الذى نعيش فيه ، اقتنعت بشخصيته الممتازة وبأخلاقه الكريمة وطموحه وطيبته فضلا عن ذوقه ولطفه ، ومنذ ذلك الحين أصبحت أنا محور حياته الذي يدور حوله .. يريد أن يحقق أحلامه ليرتبط بى ويوفر لى كل ما أريد .. يريد أن يكمل دراسته لكى لا يسبب لى إحراجا مع أسرتي أو مع صديقاتي أو زميلاتي ، يريد أن يحظى باحترام الجميع لكى أصبح فخورة به والحق أنى قد أصبحت فخورة به وارتباطي به.

وكان طبيعيا أن نفكر فى أن نحول هذا الارتباط الخاص إلى ارتباط علني فتقدم لخطبتي ، فوقعت الكارثة التى قلبت حياتي حتى الآن ، فلقد قوبل طلبه بالرفض التام من جميع أفراد الأسرة ، وفى نفس مقابلة التعارف وطلب الخطوبة ، وليس هذا فقط بل قوبل الطلب بالإهانة أيضاً وبالكلمات الجارحة لخطيبي وكأنه يطلب منه شيئاً مهينا

وليس زواجا على سنة الله ورسوله . وانصرف خطيبي يتعثر فى خجله وفى خطواته ، وبالرغم من ذلك فلم ينبس بكلمة واحدة يرد بها عن نفسه هذه الإهانات بل تضرج وجهه خجلاً.
وتصبب العرق منه وهو يتصنع الابتسامة بصعوبة شديدة ، ويشكرهم على (نصائحهم) له ويطلب منهم فقط ألا (يظلمونه) وألا يحكموا عليه بالأحكام الجائزة ، وأن يعطوا أنفسهم فرصة للتفكير ، ورغم كل هذا الأدب .. فلم يتفضل عليه أحد بكلمة واحدة تحفظ عليه ماء وجهه ، كأن يعده بالتفكير فى الأمر حتى ولو مجرد المحافظة على الشكل إلى أن يخرج من البيت . هل تعلم لماذا حدث كل ذلك يا سيدى ؟
لأن خطيبى هذا ميكانيكي سيارات يمتلك عن أبيه ورشة كبيرة لإصلاح السيارات فى الحي الذى نقيم فيه ، ولإنشغاله بالعمل فلم يواصل الدراسة ولم تكن لديه النية لمواصلتها حتى عرفني وأحبني وأراد أن يتزوجني ، فواصل الدراسة المنزلية التى كان قد أنقطع عنها وحصل على الإعدادية فى العام الماضي فكيف إذن يتجرأ على خطبتي وأنا الطالبة الجامعية .
والعجيب أنى أنتظرت أن يفاتحني أهلي فى موضوع الخطبة فلم يشر إلى أحداً من قريب أو بعيد ، كأنه أمر مفروغ منه ، فلما فاتحت أبى فيه أهاننى لأنه لم يتصور أنى سأوافق على الخطبة . فلما اتضح له قبولي غضب منى ، وقد حاولت المستحيل لإقناعه وإقناع أخوتي ، وحاول خطيبي المستحيل لكسب ودهم والتقرب منهم بلا فائدة ، فاضطررت إلى تهديدهم بأني سأترك الجامعة ولن أتزوج إنساناً غيره مهما تقدم لى من شبان ، وإزاء هذا الإصرار اجتمع أفراد الأسرة وتشاوروا ، وقرروا الموافقة على الخطبة لكن بعدة شروط أولها : أن يباشر خطيبي عمله هذا من بعيد دون أن يعمل بيديه ، لأنهم لا يقبلون أن يكون زوج أختهم (صناعياً) يعمل بيديه ويقبلونه إذا أصبح (مشرفاً) والشرط الثاني : أن ينجح هذا العام (ضروري جداً) فى امتحان الصف الأول الثانوي .. وأن ينتقل للصف الثاني .
والشرط الثالث : أن تتم الخطوبة فقط فى العام القادم ، أما الزواج فلا يتم إلا بعد عدة سنوات مهما كانت درجة استعداد خطيبي لإتمام الزواج فى أى وقت.
ولا أخفى عليك يا سيدي أنني أستطيع أن أجبرهم على الموافقة على الزواج ليس بعمل أى تصرف طائش – لا سمح الله – وإنما فقط بإصراري على الزواج من هذا الشاب مهما كانت النتيجة ، لكنى لا أتمنى ذلك ولا أريده لأني مرتبطة جداً بأسرتي وأحب كل أفرادها وأحترمهم ، ولا أريد أن أخسر أسرتي بزواجي .. لكنى فى الوقت نفسه لا أريد أيضا أن أخسر سعادتي ومبادئي وأفكاري ، ولا أريد أن أخسر إنسانا أنا واثقة تماماً أنى سأعيش معه حياة سعيدة كريمة .
إنهم لم يجدوا فى خطيبي هذا أى عيب سوى أنه ميكانيكي وأنى جامعية ، ويرون أن هذا الفارق سيؤدى بزواجنا إلى الفشل لا محالة .. فهل هذا صحيح؟ وهل الدرجة العلمية أو التقارب العلمي أهم فى الزواج من التفاهم والأخلاق الطيبة والحب والرضا والإقناع والاحترام المتبادل بين الزوجين ؟
إني أرجوك أن تساعدني فى حل هذا (اللغز) .. فأنا لا أريد أن أخسر أسرتي .. ولا أريد أن أفقد خطيبي .. وأرجوك ألا تنصحني بأن ألجأ لأحد الأقارب ليقنع أسرتي فنحن أسرة مستقلة لا يتدخل فى أمورنا عم أو خال ، كما أرجوك أيضاً ألا تقول لى أن خطيبى لو نفذ شروطهم سوف يتم الزواج .. لأنه لو نجح فى تنفيذها .. فسيخلقون له غيرها .. لأنهم ببساطة غير راضيين عن هذا الزواج .. وشروطهم هذه لم توضح إلا للتعجيز فماذا تقول ؟
ولكاتبة هذه الرسالة أقول :
إنك يا صديقتي تثيرين سؤالاً صعباً الكلام نظرياً فيه سهل لكن (التنفيذ) قد يستعصى على الكثيرين ، فنظرياً من السهل أن يلوم أي إنسان أسرتك لأنها تقف فى طريق سعادتك مع من تحبين وترين فيه غدك ومستقبلك .. لكنه عمليا لابد أن يفكر الإنسان قليلا قبل أن يعطى موافقته بصفة عامة على مثل هذا الزواج .. ليس لأن (البطل) فيه (ميكانيكي) شريف يعمل بيديه .. والبطلة جامعية على وشك التخرج .. وإنما لأن القصة كلها تجرى فى مجال سني محدود يسمح بالتسرع والخطأ وهو سن الثانية والعشرون لك والرابعة والعشرون بالنسبة له .
والأصل فى كل الأعمال أنها شريفة .. وقيمة الإنسان وشرفه لا يحددهما نوع العمل الذى يمارسه بقدر ما يحددهما إخلاصه لهذا العمل وقيمه الذى يتبعها فيه .. لذلك فلا اعتراض على خطيبك من هذه الناحية إطلاقا.. بل إنى لأعجب إلى نظرة أسرتك المتخلفة إلى قيمة العمل فهم لا يقبلون به (عارقا) (عاملا) بيديه محققا لنفسه وأسرته الحياة الكريمة و(يقبلون) به (تمبلا) يجلس على مكتب بلا عمل ويعيش على عرق الآخرين وتعبهم وعلى استغلال عملائه لأنه سيضيف بالطبع أجر من يحل محله على حساب المستهلك .
يريدونه (أفنديا) كأن مجتمعنا يشكو نقص الأفندية أو كأنه يوفر لهم سبل الحياة الكريمة .
يعرفون شرف المظهر .. ولا يعرفون شرف العمل والجوهر ، وهذا عجيب من أسرة مثقفة كأسرتك وإن لم يكن غريبا على مجتمعنا .. لأنه بالتحديد أحد أسباب تأخرنا .. فنحن نربط دائما بين (الترقى) فى العمل والحياة .. وبين الامتناع عن ممارسة أى عمل مثمر ومفيد سوى (الأمر والنهى) كأننا قادة عظام من قواد التاريخ ، وكلما ترقى إنسان فى عمله أو فى حياته كان مظهر رقيه هو الامتناع عن ممارسة العمل بيديه أو استعمال غيره ليقوم به .. وهذا هو ما يترجمه موقف أسرتك من عمل خطيبك أو أعجب منه هو موقفها من تعليمه .. إننى أؤمن دائماً

بأهمية التكافؤ الاجتماعي والثقافي بين الزوجين .. لكنى من ناحية أخرى لا أرى معنى لتمسك أسرتك بأن يتم خطبيك تعليمه الثانوي العام الذى لا يقدم ولا يؤخر .. ولا يزيده خبره فى مجال عمله .. لمجرد أن يحصل على (لقب) يتناسب مع تعليمك الجامعي .. فهل نشكو مرة أخرى من نقص الأفندية الذين حشرت المواد الدراسية رءوسهم حشرا لكى يتمسكوا بزيادة عددهم واحداً جديداً .

ثم لماذا كل هذا العناد .. و(الورشة) جاهزة والخطيب ناجح فى عمله وطموح فى توسيعه .

إن التقارب الثقافي بين الزوجين أمر يمكن تحقيقه من أكثر من مصدر عدا المدرسة الثانوية والجامعة ، كالقراءة والمسرح والتليفزيون والإذاعة والتذوق الثقافي للأشياء ، أما ما يصعب تعويضه حقاً فهو هذا الاقتناع المتبادل بكل من الآخر ، وهذا الاحترام المتبادل بينكما وهذا التمسك الشديد من جانب كل منكما بالآخر.

ولو انصفت أسرتك لرحمته من (عذاب) استذكار مواد دراسية لن تفيده فى حياته العملية كثيراً.. ولمنحته الاحترام والأمان والقبول ، واعترفت به عضواً منتجاً نافعاً من أفرادها وساندت طموحه للتوسع والتفوق فى مجال عمله .. فإنها بذلك تخدم الحياة والمجتمع ، كما تخدمك وترعاك وتساعدك على تحقيق أحلامك ، وإذا كان بالتمهل قليلا فى خطوات الزواج لكى تتعمق المشاعر .. وتتأكد هناك من نصيحة أقدمها لك .. فهى عليك فقط حاجة كل منكما للآخر واقتناعه وفخره به .. وأؤيدك تماما فى عدم الزواج على غير رغبة الأهل ، ولست من أنصاره لأن الإنسان لا يحيا وحده فى الصحراء ، وإنما يعيش وسط بشر يتفاعل معهم ويؤثر فيهم ويتأثر بهم .. لذلك فإنى أدعوك إلى مواصلة الكفاح مع أسرتك للحصول على موافقتها الحقيقية .. ومباركة زواجك لكى تكتمل لكما السعادة الحقيقية بإذن الله ، مع تمنياتى لكما.

==

اللغز المحير!

أنا آنسة أبلغ من العمر ٢٦ عاما، وحاصلة علي دبلوم أحد المعاهد الفنية التجارية.. وقد بدأت قصتي حين شهدت أسرتنا قبل بضع سنوات مشكلة مؤلمة دفعت أبي لأن يطلق أمي، وقد فعل أبي ذلك لأنه وقع في غرام أختها التي تصغرها بثلاث سنوات، والمتعلمة، في حين أن أمي لم تنل حظا كافيا من التعليم. وقبل أن يقع الطلاق كانت القصة قد ذاعت في مدينتنا بالوجه البحري، وعرف كثيرون أن أبي يحب خالتي وهي تحبه كذلك وأن الاثنين قد ضحيا بأمي علي مذبح الحب والغرام بلا أي اعتبار لمشاعر أمي، وسمعة الأسرة وكل الأشياء التي يراعيها الناس في حياتهم.. وانتهي الأمر بزواج أبي من خالتي.. وانشغالهما بحياتهما الجديدة. وانطوت أمي علي أحزانها وضمتنا لها.. وراحت تحدب علينا وتعوضنا عن غياب الأب من حياتنا.. وبعد صراع قضائي في المحاكم قضت لها المحكمة ببعض حقوقها المادية وبنفقة بسيطة كانت هي عماد حياتنا معها. وعشنا نحن ونحن لا ندري لماذا يعيش أبي مع خالتي في بيت واحد وتعيش أمي وحدها معنا في بيت آخر. واحتاج الأمر منا إلي بعض الوقت لكي نفهم سر هذا اللغز المحير وشعرنا بالخجل والعار حين فهمنا وأحسسنا بحاجتنا لأن نتكتمه عن صديقاتنا وزميلاتنا في المدرسة.. فكنا نزعم لمن يسألنا أن أبي طلق أمنا لعدم التفاهم بينهما وتزوج امرأة غريبة لا نعرفها وليست من أقاربنا!

وأنهيت أنا دراستي وأصبحت شابة في سن الزواج، فإذا بالمشكلة التي وقعت قبل سنوات تفرض نفسها علينا بشكل آخر إذ بدأ يتقدم لي أكثر من خاطب ويقوم بزيارتنا زيارة التعارف المبدئية.. ونرحب به.. ونسأل عنه ويسأل عنا.. فننتظر زيارته الثانية فلا يعود أبدا، ونتساءل عن السبب فيقال لنا إنه قد تحري عن ظروفنا العائلية وعرف بقصة غرام أبي مع خالتي وطلاقه لأمي ليتزوج أختها فرأي أن أسرتنا غير جديرة بمصاهرته! وتكرر هذا الأمر ثلاث مرات حتي الآن فما ذنبي ياسيدي في أن أبي قد أحب خالتي وكره أمي، وفي أن خالتي قد بادلته الحب ولم تر مانعا من أن تتزوجه بعد طلاقه لأختها، ولماذا أدفع أنا ثمن هذا التصرف.. من فرصتي في الزواج والاستقرار.. وهل كل فتاة طلقت أمها لأسباب لا يد لها فيها تكون كما قال أحد هؤلاء الخطاب غير حريصة علي استقرار زواجها في المستقبل لأنها عرفت الطلاق في أسرتها من قبل.. وقد تستسهله عند أول صدام ؟

* «««ولكاتبة هذه الرسالة أقول»»»

لا ذنب لك ياآنستي فيما جري بين أبيك وخالتك منذ بضع سنوات، وإنما الذنب كل الذنب لمن لم يفكر في إنعكاس اختياره الأناني لعاداته الشخصية مهما يكن طريقه إليها مصادما للمشاعر ومخالفا للأعراف والتقاليد، علي حياة زوجته الأولي وأبنائه. والمشكلة الحقيقية هي أن بعض الأشخاص يطغي عليهم الإحساس بذواتهم ورغباتهم فلا يضعون في اعتبارهم شيئا سوي طلب السعادة لأنفسهم مهما يترتب علي ذلك من تعاسة الآخرين أو الاضرار بالأعزاء في الحاضر والمستقبل.. والمؤكد هو أن والدك لم يتوقف كثيرا لكي يتحسب لأثر زواجه الخارق للمألوف من شقيقة زوجته، علي مستقبل ابنته وفرصها في الزواج بعد بضع سنوات.. تماما لم تفكر هذه الشقيقة نفسها لحظة واحدة في أثر زواجها من زوج شقيقتها علي هذه الأخت الحسيرة أو علي إحساسها بالقهر والكمد والغدر المزدوج من زوجها وأختها ولا عجب في ذلك لأن من ينشغل بنفسه ورغباته عن كل شيء عداها لا يعنيه من أمر الآخرين شيئا كثيرا، ويستحق في المقابل ألا يكترث به الآخرون وألا يره جديرا بالاحترام والمصاهرة كما فعل بعض هؤلاء الذين تقدموا إليك وأسرعوا بالفرار بعد فهمهم للغز الذي سبق أن حيرك من قبل طويلا.

فإذا أردت أن تتفهمي أسباب عزوف هؤلاء الخطاب بعد إقدامهم علي خطوة البداية.. فقد أستطيع شرحها لك دون أن يعني ذلك موافقتي لهم عليها أو اختلافي معهم حولها.
فأما نفورهم من الارتباط بأسرة طلق ربها زوجته وتزوج من أختها فتفسيره هو أن هؤلاء الخطاب يرون في ذلك مؤشرا مخيفا للقيم الأخلاقية والإنسانية التي تحكم تعامل هذا الأب مع الحياة..، فينفرون من مصاهرته والتعامل معه كصهر وجد لأبنائهم في المستقبل، كما قد يرون أيضا في ذلك مؤشرا سلبيا للقيم العائلية السائدة في أوساطه الأسرية لايطمئنهم ولا يغريهم بالاندماج في أسرته بالمصاهرة.
وأما تخوف بعض هؤلاء الخطاب من الفتاة التي نشأت في أسرة ممزقة بالطلاق بين الأبوين فتبريره عند بعضهم هو ميلهم لعدم الثقة أو الاطمئنان الي أخلاقيات الأبناء الذين ينصرف الأب عنهم إلي حياته الخاصة..ويتركهم لأقدارهم في رعاية أم قد تعجز وحدها عن كبح جماحهم.. وغرس الفضائل الأخلاقية فيهم بالقدر المطلوب، ومع أن هذا الاعتبار ليس بالضرورة أن يكون صحيحا في بعض الأحيان إلا أنه يؤثر بالفعل في تقييم بعض الشباب لظروف الفتاة التي يرغبون في الارتباط بها، خاصة إذا كان الارتباط تقليديا ويعتمد علي تقييم الظروف العائلية للفتاة.. دون تجربة شخصية في التعامل معها تكشف لهم عن حقيقة أخلاقياتها وقيمها الدينية والعائلية.
وأما هواجس بعض الشباب بشأن الفتاة التي نشأت بين أبوين منفصلين فتبريرها هو اعتقادهم أن تعاملها مع تجربة الطلاق في حياتها الشخصية قد يوحي لها بأنه أمر ليس خارقا للمألوف ولا هو نهاية الكون بدليل صمودها هي وأخوتها للحياة بالرغم من انفصال الأبوين.. وبالتالي فقد لا تستبعد في المستقبل فكرة طلاقها عن زوجها إذا تعثرت حياتها الزوجية أو اصطدمت ببعض العقبات الكؤود، لأنها قد تقبلت الفكرة نفسيا من قبل.. ولا مانع من قبولها بها مرة أخري إذا دعت الضرورة لذلك، وذلك علي خلاف من تنشأ في أسرة مستقرة تعتبر الطلاق حلا مستحيلا للمشاكل العائلية ولا ينبغي مجرد التفكير فيه ذات يوم مهما تكن الصعاب والمتاعب.. وهذا الاعتقاد بالذات وإن كانت له مبرراته الموضوعية إلا أن تجارب الحياة كثيرا ماتثبت خطأه، وكثيرا ماتؤكد لنا التجربة ان الأبناء من ضحايا انفصال الأبوين قد يكونون علي الناحية الأخري أكثر حرصا في المستقبل علي حياتهم العائلية.. وأكثر تحملا للصعاب،وأشد نفورا من فكرة الطلاق لكي يجنبوا أبناءهم مرارة التمزق العائلي التي تجرعوها هم أنفسهم من قبل.
لكن الآباء والأمهات ـ بالرغم من ذلك ـ قد يأكلون الحصرم فيغرس الأبناء ولو بعد حين كما هو الحال معك الآن يا آنستي.
والمؤكد أن هؤلاء الخطاب الثلاثة الذين ابتعدوا عنك وحكموا عليك بظروفك العائلية التي لا حيلة لك فيها لو أنهم اقتربوا منك ودرسوا شخصيتك جيدا لكانوا أكثر تقديرا وإنصافا لك.
فانتظري فرصتك العادلة في السعادة.. ولسوف تضع الأقدار في طريقك من لا يحاكمك أنت علي ماجناه والدك وخالتك.. وإنما يري فيك مزاياك وأخلاقياتك ويبني حكمه عليك علي أساسها وحدها
==

اللغة البسيطة

أنا زوجة شابة في الثالثة والعشرين، عشت معظم عمري أحلم بفتي الأحلام وأشاهد الأفلام والأغاني الرومانسية فأتخيل نفسي بطلة كل فيلم وأغنية، وفتي أحلامي يشنف آذاني بكلمات الحب والغزل، ولكن ديني ومعتقدات التربية كانت تمنعني دائما من الانفراد بأي شاب والخروج معه والتعاهد علي الحب والزواج، فرفضت كل محاولات زملائي في الجامعة للتقرب مني، وقررت أن أختزن مشاعري لأعطيها كلها لزوجي فأنعم معه بالحب في ظل الزواج، وقدمت العقل علي العاطفة لكني لم أنس عواطفي أبدا، بل نمت وكبرت بداخلي، إلي أن تقدم لي شاب وجدت فيه كل سمات الرجولة من رجاحة عقل ونضج واتزان، وفضلا عن مستقبله العلمي والمادي الواعد ـ وحدث بيننا القبول المبدئي الذي يمكن أن يتحول إلي حب فتقدم بطلب عقد القران مباشرة دون فترة خطبة وقال لي أنه لن يجد فتاة مثلي تجمع بين الجمال والرشاقة والأخلاق والدين وجذبني إليه بحديثه ولهفته علي وشعرت أني سأنعم معه بالحب الذي تمنيته وأحقق حلم عمري في قصة الحب، الرومانسية وفتي الأحلام الذي يقع في غرامي من أول نظرة ووافقت علي عقد القران خلال ١٠ أيام فقط من معرفتي به، وسافر زوجي الي عمله في احدي الدول العربية علي أن يعود بعد٤ أشهر ليصحبني معه بعد أن يكون قد أنهي اجراءات الاستقدام ومن هنا بدأت اشعر بالمشكلة فخلال فترة سفره بدأت أشعر بتراجع لهفته علي فلم أسمع منه كلمة حلوة ولم يرسل لي كلمة تحمل أية مشاعر بل كانت مكالمته لي جافة ولا تتعدي الاطمئنان، وتحملت هذه الفترة وأقنعت نفسي بأن فترة الغربة دائما قاسية، لكن بعد عودته تأكد احساسي وتأكدت من فتور مشاعره وقررت أن أتكلم معه بعد أن اتفقنا علي أن نبني حياتنا علي الصراحة والحوار الدائم في كل أمور الحياة، وبدأت أكلمه عن الحب والمشاعر وطالت المناقشات بيننا، فاكتشفت منها أنه لا يحمل لي أية مشاعر! وأنه قد تعجل عقد القران لأنه كان يخشي إن طالت فترة الخطبة ألا يتم الزواج، وقال لي إن الله قد من عليه بفتاة مثلي علي هذا القدر من الجمال وتجمع معه الدين والأخلاق والأصل الطيب، وأنه كل يوم تزداد سعادته بي وأنه يشعر بأننا سنكون متفاهمين لأننا نستطيع الحوار بهدوء، وسوف تنمو المشاعر بيننا مع العشرة لأن الحب وحده لا يصنع حياة زوجية ناجحة وإنما يصنعها العقل والتفاهم أما الكلام الرومانسي فإنه يقال فقط لجذب البنات وإقامة علاقة معهن فقط وليس للزواج منهن وبعد أن

تغلبت علي صدمتي وفكرت جيدا لمست في كلامه الصدق والعقل، كما أن القران كان قد عقد بالفعل ولا يمكنني التراجع عنه، وهكذا مرت فترة القران واستمرت عاما ونصف عام دون أن أسمع كلمة اعجاب من زوجي وأنااللتي سمعت الكثير من شباب كثيرين ولم يسعدني زوجي يوما بكلمة رقيقة، مع انه كانت له علاقات كثيرة مع فتيات جميلات قبل الزواج كما روي لي وافتخر أنه كان محط أنظار الفتيات... وهكذا ظل عقلي يتضارب مع عواطفي المتعطشة لكلمة حب، وخلال ذلك تراجعت مشاعري التي كنت شعرت بها في بداية معرفتي له، ومع ذلك أتممت الزفاف وسافرت معه وأنهينا فترة الغربة القصيرة وعدنا للوطن وها قد مرت عدة أشهر علي زواجي ولم تتطور مشاعر زوجي وهو يقول إنه يستطيع العيش بدون حب مادامت أن حياتنا هادئة وبلا مشاكل..

وأنا لا أنكر أن الله قد من علي بزوج طيب يحسن معاملتي، صحيح انه متصلب في رأيه لكنه يتمتع في الوقت نفسه بأسلوب مهذب في الحوار والاقناع، وأنا أحاول جاهدة أن أرضي ربي وأحافظ علي مظهري داخل المنزل أكثر من خارجه وأعامله بكل حب وحنان بل أغدق عليه الحنان وهو دائما يقول لي ذلك.

لكن المشكلة ان إحساسي بعدم حبه لي يجرح كرامتي ويجعلني دائما في حالة تحفز أمام أي موقف يتعلق بالمشاعر والكرامة.. كماأخشي أن زوجي الذي لم يستع أن يحبني قد يجد الحب مع فتاة أخري فهل أنتظر مصيري هذا أم أحكم علي تجربتي بالفشل؟ وهل أخطأت حين لم أستجب للحب قبل الزواج حتي لكي أشبع مشاعري مثلما فعل زوجي وأعيش في هدوء نفسي؟

أم هل أخطأت في الاختيار والاستمرار في اجراءات الزفاف؟ وهل من اللائق لكرامتي التراجع الآن؟؟

لقد واجهت زوجي بهذا بكل صراحة فقال لي إنه ليس من الحكمة أن نقررفشل الزواج لأن الحب لم يولد بيننا.. فنحن علي الأقل نعيش في هدوء ودون مشاجرات ومشاكل..

فهل الحياة الهادئة تكفي وحدها؟! وهل انتظر مصيري إلي أن زوجي واقعا في غرام أخري كما يحدث كثيرا في القصص الواقعية وليس في الأفلام فقط، أم من الافضل لكرامتي أن اتخذ القرار الآن قبل أن يمن الله علينا بالابناء ويتعدد الضحايا الأبرياء؟ أم الأفضل أن أستمر وأحافظ علي أسرتي وأقوي الروابط مع زوجي؟ وإن كان هذا هو الأفضل فكيف لي أن أنسي فكرة الحب والفراغ العاطفي وأتأقلم مع واقعي؟.. وكيف أعالج إحساسي الزائد بالكرامة أمام أي نقد أسمعه من زوجي بالرغم من هيافة الموقف وأسلوبه المهذب.

لقد زاد من مشكلتي أن زوجي ولد وحيدا علي العديد من البنات، وحماتي دائمة الالتصاق به ولا تستطيع البعد عنه، فإذا خرجنا خرجت معنا لأي مكان ولا تتركني أنفرد بزوجي أبدا داخل المنزل أو خارجه، لاأتكلم مع زوجي إلا وتسأل عما نقوله، فتتدخل في كل شئوني، وتحكي وتصف لبناتها كل حركة أو تصرف أقوم به وتقدم لهن رسما تفصيليا وتقريرا دقيقا يوميا لحياتي، وزوجي لا يستطيع التصرف فهي أمه ولها حقوق عليه، ويقول لي إنها أم اغترب ابنها عنها سنوات ولا تستحق الآن أن نبتعد عنها ونتركها بمفردها بعد عودته.

وهي تقيم معنا بصفة دائمة مع أن لها بيتا وتتمتع بصحة جيدة جدا، وتسافر وتخرج ولا يعوقها عائق، وبعد عودتنا من السفر مكثت في منزلها فترة حتي تمكن زوجي من استئجار مسكن خاص لنا ودعوتها للإقامة معنا وفعلت ذلك بكل صدق لأعطيها الشعور بأنها مرغوبة وتستطيع زيارتنا والإقامة معنا لفترة في أي وقت اذا شاءت وكنت صادقة في ذلك بكل حب.

لكن ما حدث أنها انتقلت للإقامة معنا من أول ليلة ولم تفارقنا بعد ذلك أبدا، وصدقني حين أقول إنني أحب هذه السيدة فهي في النهاية طيبة وأتمني أن تظل علاقتي بها دائما كعلاقة أم بابنتها أحبها وتحبني، لكن مع ذلك أريد أن أبني حياتي علي أساس سليم، وأنا أعرف حقوق الوالدين وأرعي الله في تصرفاتي ولا أطلب أن يبتعد ابنها عنها،وإنما دائما أطلب شيئا من الخصوصية لحياتي، وأسألك بالله أن توجه كلمة لكل أم انها كما عاشت حياتها مع زوجها وتمتعت بها لا يشاركها فيها أحد وتمتعت بخصوصيتها في بيتها تفعل وتلبس فيه ما يحلو لها، أن تترك هي أيضا ابنها وزوجته يعيشان جزءا مما عاشته وتمتعت به، فعلاقتي بزوجي كما حكيت لك عنها فاذا حاولت أن أتقرب إليه فإني أجدها دائما بيننا تقف كسد منيع تستولي عليه وتتدخل بيننا وتشارك في الحديث، وأشعر بأنها تسرق أيام سعادتي ولا أحس بأنني عروس في مملكتها وفي بداية حياتها.

أرجو أن تهتم بالرد علي رسالتي بسرعة فأنا في حاجة شديدة الي نصيحة سريعة لأقوي علاقتي بزوجي ولا أخسر حماتي بل أتقرب إليها.. وفي الوقت نفسه أعيش حياة هانئة سعيدة..

* ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

رسالتك تثير مشكلتين من مشاكل الحياة الزوجية المألوفة في مجتمعاتنا العربية، هي مشكلة لغة العاطفة في العلاقة بين الزوجين ومشكلة حدود الأمان والخطر في العلاقة بين الزوجة الشابة وأم الزوج، فأما المشكلة الأولي فأسبابها معروفة وهي أن بعض الزوجات والأزواج يفضلون التعبير العملي الصامت عن الحب بالأفعال والتصرفات علي التعبيرالشاعري عنه بالكلمات.. والنفس تسعد دائما بمن يذكرها بأفضليتها لديه.. واعتزازه بها، ولهذا فإن الاكتفاء بالتعبير العملي الصامت عن العاطفة لايخدم العلاقة الزوجية بالفعل.. وقد يضر بها ويفقدها بعض جمالها، غير أنه إذا خير العقلاء بين لغة الكلام ولغة الأفعال ولم يكن هناك مفر من ذلك لاختاروا اللغة العملية في التعبير عن الحب والاعتزاز، لأنها أعمق أثرا في تعميق الروابط واستمرار العلاقة، ولا عجب في ذلك لأن الأفعال التي تعبر عن الحب والاعتزاز تؤدم بين الطرفين حتي ولو تشكي أحدهما من جفاف اللغة

وخلوها من المفردات الرومانسية الشاعرية الجميلة، أما لغة الأقوال وحدها فإنها وإن لم يصدقها العمل تفقد أثرها بعد حين، وقد تنتج آثارا عكسية تؤدي إلي فتور المشاعر حين يلمس الطرف المعني تناقضها الدائم مع الأفعال والتصرفات.

وعلي أية حال فليس المطلوب من أحد أن يقلد ماكان يفعله المحب في أسبانيا القديمة فيستأجر لزوجته فرقة من العازفين تعزف تحت نافذتها وتغني بلسان الزوج كلمات العشق والهيام كل مساء، وإنما المطلوب فقط هو ألا يبخل أحد بالتعبير عن مشاعره لشريك حياته من حين إلي آخر.. وفي كل اللحظات التي يحتاج فيها المرء إلي من يرفع روحه المعنوية ويذكره بأن هناك من يحبه أكثر من أي إنسان آخر، ولأنه ليس كل الناس شعراء ولا عازفين فإن أبسط الكلمات يمكن أن تحقق الغرض وتعبر عن المشاعر الصادقة، ومن أجمل ما قرأت في حياتي من تعبيرات الحب البسيطة البليغة ما روي عن الأعرابي الذي سئل ذات مرة: ما بلغ من حبك لفلانة؟ فأجاب: والله إني لا أري الشمس علي حائطها أجمل منها في أي مكان آخر!

والحب في النهاية كما يقول لنا الأديب آرديس ووتمان: همس خفي يسري بين القلوب ولايحتمل التعقيد، وإنما تكفيه الكلمات البسيطة! ومن قبيل هذه الكلمات البسيطة المعبرة عن الحب ما يقوله لك زوجك من أنه يعتبر نفسه محظوظا لأنه ارتبط بإنسانة يجتمع فيها الجمال والدين والأخلاق والأصل الطيب. بل إن هذا الكلام في تقديري أصدق تعبيرا عن العاطفة من كلمات الغزل المألوفة.. فحاولي تشجيعه علي التعبير عن نفسه بالكلمات واللفتات والإشارات وعبري أنت أيضا عن مشاعرك بلا تحفظ، وانثري الكلمات الرقيقة واللفتات العاطفية في حياتكما.. فأنتما لاتفتقدان الحب كما تتصورين، لكنكما تفتقدان فقط التعبير عنه بالكلمات واللفتات، وكل منكما فيما أظن ينتظر أن تأتي المبادرة من الطرف الآخر فلا تضيعا الأيام الثمينة في الكبرياء.. وانتظار الخطوة الأولي من الجانب الآخر.. وعالم النفس الأمريكي وليم جيمس ينصحنا إن لم نكن نحب بأن نتصرف كما لو كنا نحب، وإن لم نكن سعداء بأن نتصرف كما لو كنا سعداء، ويؤكد لنا أن ذلك قد يوقد شمعة السعادة في حياتنا وقد يولد شرارة الحب فيها..

ولا يمنعك من ذلك أو يمنعه وجود أم زوجك معكما في حياة مشتركة، فالنظرة يمكن أن تنقل رسالة بليغة دون كلام في بعض الأحيان، ووجود الرقيب قد يغري أحيانا بانتهاز الفرص والمشاغبة ومعايشة إحساس المغامرة والاستخفاء، وكلها مشاعر إيجابية ومشروعة في مثل ظروفكما.

ومن واجب والدة زوجك وهي السيدة المجربة أن تتفهم في كل ذلك وتتجاوز عنه إن لم تسعد به، بشرط أن تراعيا مشاعرها واحترامها الواجب.

وتتجنبا إثارة غيرتها الأنثوية المفهومة.. أو إثارة مخاوف الأم الغريزية من استحواذ الزوجة الشابة علي ابنها دونها..

وفهم كل شيء يؤدي إلي العفو عن كل شيء..

ولسوف تمضي الأيام ويجيء يوم تصبحين فيه أما لشاب يتزوج من فتاة تخلب لبه وتستأثر اهتمامه.. فتمثلي مشاعرك حينذاك لكي تتجاوزي الآن عن بعض الضغائر، وانظري للأمور من عل ترينها صغيرة ولا تستحق أن تفسدي الأوقات الجميلة من أجلها، وسرعان ما سوف تمضي الحياة وتتغير الظروف والأحوال وتطول الأوقات التي تنفردين فيها بزوجك، حتي لتشكين الوحدة، فلا تتعجلي الأمور.

وتجنبي في كل الظروف والأحوال أن تطلبي من زوجك أن يحكم بينك وبين أمه بالعدل.. لأنه ليس مطلوبا منه أن يقضي بينك وبينها كما يقضي بين طرفين متساويين في الحقوق والواجبات، ولا هو مطالب بأن يقيم الحد علي أمه إذا أخطأت من وجهة نظرك في حقك، وليس من الرحمة أو العدل أن تطالبيه بأن يكون قاضيا معصوب العينين بينكما.. وإنما كل المطلوب منه هو أن يحتوي الخلافات الصغيرة بينكما.. وينزع أشواكها بما لايشعر أمه بتجنيه عليها... ولا يشعرك أنت بتقاعسه عن حمايتك.. والحق أنه لايتقاعس وإنما يرحم أمه كما ترحمين أمك، ويرجو رضاها كما ترجينه أنت أيضا.

ولقد كان من حقك قبل الزواج أن تشترطي الحياة المستقلة دون الأم.. أما وقد قبلت بالحياة المشتركة بل ودعوتها بنفسك إليها، فلايحق لك الآن إثارة المشاكل معها أو الشكوي منها.. مع تأييدي لندائك إلي كل أم بأن تمنح ابنها قدرا من الاستقلالية يتيح له ولزوجته أن يعيشا حياتهما أو أوقاتا كافية منها في خصوصية لا يشاركهما فيها أحد، وفي النهاية فإني أقول لك إن أكبر خطأ يمكن أن تقع فيه زوجة شابة هو أن تدفع الأمور في علاقتها بأم زوجها إلي الحد الذي يتعذر فيه عليه الاحتفاظ بعلاقته بكل منهما في سلام، فتطالبه الزوجة ـ حمقا وجهالة ـ بالاختيار بينها وبين أمه، وتعتبر عجزه عن هذا الاختيار تخليا عنها أو خيانة للحب أو ضعفا أمام الأم!

فدفع الأمور إلي هذا الاتجاه خطيئة لاتغتفر لأي زوجة حتي ولو كانت الأم بالفعل لاتحتمل.

وتخيير الزوجة بين زوجته وأمه إعلان من الزوجة بالفشل العاجز وخلو القلب من الرحمة والحب وكل المعاني الإنسانية الجميلة، مما لا يحق لأي إنسان معه أن يتمسك بها أو يضحي من أجلها بأي شيء!

==

اللدغة الأخيرة

أكتب اليك هذه الرسالة راجية ان تنال اهتمامك، وأجد لديك ردا يهدينى فى حيرتي، وينقذ شقيقى الوحيد من الهلاك، فأنا سيدة فى الخمسين من عمري، ولى شقيقة متزوجة وتعيش فى الخارج، ويكبرنى شقيقنا بعدة سنوات، وقد توفى والدنا ثم لحقت به والدتنا، وصار أخى هو سندنا الوحيد فى الحياة، وأعتبره مثل ابنى تماما، ويعمل طبيبا وأستاذا جامعيا، ومشهود له بالكفاءة والعبقرية منذ صغره، كما أنه وسيم، ويتمتع بحضور قوي، لكنه الآن يتعرض لمحنة رهيبة جعلتنى أكتب اليك وأنا أبكى دما وليس دموعا من حسرتى على ما آلت اليه أحواله، وشبابه الضائع.

فلقد تزوج منذ سنوات طويلة بزميلة له، فرضها عليه أساتذته، وأقنعوه بأن أقاربها سوف يساعدونه فى الترقية والنجاح، ومنذ اليوم الأول بدأت المشكلات بينهما، وكانت تستقوى عليه بأسرتها، وكأنه تزوج العائلة بأكملها، وتحمل الحياة معها من أجل أبنائه، إلى أن حدث شبه انفصال بينهما تحت سقف واحد، بعد اصابته بأمراض مزمنة، فكان يهرب الى عيادته، ويقضى فيها ساعات طويلة، ليتفادى العودة الى الجحيم الذى يعيش فيه، ويحاصره فى منزله، ولأن كل فريسة تحوم حولها الذئاب، فلقد وجدته بعض المترددات على العيادة هدفا سهلا لهن، خصوصا وأنه وسيم، وجاذبيته شديدة، حيث أدركن بخبراتهن أنه محروم من العطف والحنان، ومن هنا صار أسيرا للكثيرات، وكان يستجيب للبعض، ويصد البعض الآخر، ومن تربطه علاقة بهن كان يقطعها بعد فترة قصيرة، وكانت الأخبار تصلنى عبر شخص يعمل لديه منذ زمن طويل، فيقول لى أن هناك افعى تحوم حول شقيقي، وأنه نجح فى ابعاد اخري، إلى أن وقعت «الكارثة» وطرد أخى هذا الشخص لأسباب لا أعلمها، ثم فوجئت به يستعين بامرأة شديد القبح، فصارت تقضى معه فى مكتبه ساعات طويلة، لدرجة تبعث على الشك والريبة بينما استعان برجل مسن لاستقبال المرضي، ومن هنا ملأت الشكوك صدري، وأول ما تعجبت له هو: كيف سمحت زوجته المتجبرة بذلك، برغم أنها كانت تسرع الى عيادته بمجرد علمها بانه استقدم ممرضة للعمل معه، فتسبها وتطردها؟.. ولم اشأ أن أترك لشقيقى الحبل على الغارب فاستفسرت منه عن سبب استعانته بهذه المرأة، فردد علىّ سلسلة من الأكاذيب، التى صدقتها فى البداية، بأنه يفكر فى افتتاح عيادة ثانية وأنها فتاة تعمل ممرضة وتساعده كثيرا فى العمل بالعيادة، ثم تكشفت لى الحقائق سريعا، وهى انها ليست ممرضة، ومطلقة ولديها طفل، وسيئة السمعة، وعرفت بعد ذلك أن أباها وأمها وأختها يزورونها فى العيادة، ويحاولون التقرب الى شقيقى بصورة تثير الشك، وصارحته بما يجول فى خاطري، ونبهته الى أن هذه النوعية من النساء خطيرة،، فهذه السيدة يمكنها أن تسرقه، أو تضع له المخدرات، أو تجرى بعض الأعمال السحرية لاخضاعه لها، وقد تبتزه، أو تسعى لإيقاعه للزواج منها، لكنه فى كل مرة أحدثه فى أمرها يقنعنى بسلامة موقفه، وكنت أتظاهر امامه بالاقتناع بما يقوله لي. لكن شكوكى لم تتغير فى داخلي، ومع ملاحقتى له بالأسئلة حولها أخبرنى ذات مرة بأنها تمت خطبتها وسوف ترحل عن العيادة، الا أنها بقيت فيها، ثم قال لى إنها تزوجت بالفعل وان زوجها يعمل فى احدى المحافظات ويعود اليها فى اجازة كل شهر بضعة أيام.. وأمام اجاباته المتعددة على اسئلتي، أخذت اتساءل فى نفسي، ترى هل هى متزوجة من هذا الشخص الذى يتحدث عنه، أم أنها متزوجة من أخى سرا؟! وعلمت أن زوجته تعلم بأمرها ولا تبالي، وأن هذه السيدة على علاقة غير مشروعة مع أخي، وتسيطر عليه سيطرة كاملة لدرجة أنها سلبته إرادته وعقله فصار كالمسحور، واصبحت الآية معكوسة تماما، فهو امام مرضاه الخادم المطيع لأوامرها، وهى السيد المطاع بلا نقاش!

وتوالت الاتصالات بى من اشخاص اعرفهم، ويترددون على أخى الحبيب منذ سنوات وقالوا لى: أنه وقع تحت سيطرة كاملة لهذه السيدة ويؤكد ذلك أن عينيه صارتا حمراويين اغلب الوقت، وزائغتين يمينا ويسارا، وعندما أحدثه يسرح ولا يرد بسهولة، وأكلمه فلا يفهم الا ببطء شديد، وهو الذى كنا نتباهى بعبقريته وسرعة بديهيته، وفى النهاية ينكر كل ما أقوله، ويختلق مبررات واهية للإبقاء عليها، فاذا نصحته بأنها لا تمثل له شيئا وأنه يجب أن يبتعد عن الشر ويطردها يثور ضدى ويصيح بصورة هيسترية أنها أحسن امرأة فى الدنيا ، وأنه لا أحد غيرها يمكن أن يؤدى ما تقوم به، فأتعجب وأصمت، وأعود الى بيتى باكية!

وقد رأيتها تحاول لفت الانتباه اليها، فتدخل مكتبه وتخرج كل بضع دقائق حاملة اليه السم فى فناجين القهوة عدة مرات بلا توقف، وتتعمد ان تعطى انطباعا للآخرين بانها سيدة المكان، وتداوى بذلك عقدتها النفسية من شكلها الدميم!

وهاتفنى بعض سكان العمارة التى تقع بها العيادة لينبهونى بانه يذهب الى العيادة مبكرا فى أيام كثيرة لكى يقابلها قبل مواعيد العمل، وأنها تتعمد اغلاقها بالأبواب الحديدية والاقفال لكى تنفرد به، ولا يعلم أحد سوى الله ما تفعله به، حتى أصبح يرتعد منها، وينظر اليها قبل ان يرد على أحد، فهى له كالظل والقرين وهو لها كالعبد للسيد، والخادم لصاحب البيت..

فأين زوجته مما يحدث له؟.. إن الصدمة التى اوجعتنى انها تعرف هذه السيدة، وصارتا صديقتين بصورة غير طبيعية، برغم أنه معروف عنها الغرور والتكبر، ووصلت العلاقة الى حد الزيارات المنزلية المتبادلة بينهما، وتصدق كل ما تقوله لها مثل أخى الذى يطيع أوامرها، ويعطيها أمواله التى يتعب فى الحصول عليها من عيادته أولا باول، والمدهش ان زوجته تراها أيضا اشرف الشرفاء، وأخلص المخلصين، وبدلا من أن تراقبها، أو تضع كاميرات فى العيادة، أو حتى ترسل من يتأكد مما يحدث لزوجها، فإنها تصاب بهيستريا عندما ينبهها أحد الى

خطورة ما تفعله بزوجها وأنها تزوجته، أو سرقت أمواله وأملاكه، أو قد تقتله بالمخدرات أو بكثرة ممارساتها معه.. وإزاء موقف شقيقى وزوجته من هذه الأفعي، أغلق باب غرفتى على نفسى وأبكي، ثم أقوم فأصلى وأطلب الهداية من رب العالمين.

ولقد فكرت فى إبلاغ الشرطة بأمر هذه السيدة اللعينة، لكن زميلة لى قالت: لا تفعلى ذلك لأنه يسيء إلى سمعة أخيك، وسوف يقال لك فى النهاية، مادام الاثنان متفقين فلا توجد جريمة، ثم فكرت فى أن أبحث عن زوجها وأتقصى أخباره إن كانت حقا متزوجة، لكن خشيت أن يقتل أخى فأكون قد قضيت عليه بيدي.

وما توصلت إليه مع زميلتى هو أن أرسل له شيخا «مبروكا»، فربما تكون هذه اللعوب قد سلبته إرادته عبر .. السحر أو أى وسيلة شيطانية رغما عنه، وبالفعل دبرت زميلتى كل شيء، وذهبت مع الشيخ إلى شقيقى على أنه قريبها ومريض، وعادت إلىّ بالخبر الصاعق بأن هذه المرأة سيئة، وأنها تراقب كل من يدخل اليه خوفا من أن يقول له كلمة ضدها، وأن الشيخ أخبرها بأنه واقع تحت تأثير سحر أسود، ومعمول له عمل هو وزوجته ليرتمى فى أحضانها هى وزميلة لها أحضرتها أخيرا للعمل معها، وأنها تمارس معه أبشع وأحقر أنواع التعذيب الجنسى والجسدى والعقلى لكى يظل خاضعا لها ولرغبتها الدنيئة وقد نجحت فيما أرادته لدرجة أنه هددنى بمقاطعتى لى ـ أنا شقيقته ـ إذا لم أتوقف عن الحديث فى هذا الأمر!

إننى لم يخطر ببالى يوما أن أرى أخى مستعبدا ذليلا على أيدى عصابة من المجرمين بهذه الصورة، ويسرح بى خيالى متسائلة: هل زوجته ضحية مثله؟.. أم أنها هى التى دفعت بهذه المجرمة للتخلص منه لكى ترث أمواله؟

لقد أصابنى المرض جراء ما يحدث له، وكلما تكلمت معه يكون طبيعيا ثم ينقلب إلى النقيض عندما أتطرق إلى .. العيادة، أو ألمح له بأننى يمكننى أن أحضر إليه أشخاصا ممتازين للعمل معه، أو أنه يمكنه أن يسافر إلى شقيقتنا فى الخارج للاستجمام، ويغلق عيادته لأنه ليس بحاجة إلى المال، بينما هو يحتاج إلى استعادة صحته. لكن هيهات أن يسمعنى أو يستجيب لى وأجدنى كمن يتحدث إلى شخص يعيش فى عالم آخر، جسده هو جسد شقيقي، لكن شخصيته وعقله وارادته تقودها هذه المرأة، فهل أنساق الى نصيحة زميلتي، وأحاول فك السحر عنه؟ وهل لو المرأة المجرمة إلى المزيد من أعمال السحر والطلاسم والأحجبة نجح هذا «الشيخ المبروك» فى فكها لن تعود ضده، وبصورة أبشع؟.. هل أخطف أخى بالقوة، وأصطحبه إلى المطار وأسافر به إلى شقيقتى لعلاجه؟.. هل أنفذ ما خطر لى من ابلاغ الشرطة وأقول لهم.. أنتم فى خدمة الشعب.. انقذوا أخي؟.. وهل لو فعلت كل ذلك ستتركه هذه الأفعى أم أنها قد تؤذيه ثم تنتقم منى فتسلط علىّ جنىّ وتخرب بيتي، وتستهدف أبنائى وزوجى بالأذي.

لقد حاولت مرارا استطلاع رأى زوجى فيما يحدث لأخى لكنه يرى أن أخى ليس مسلوب الإرادة، وأنه يفعل ما تمليه عليه بإرادته، ولكن كيف يعشق أخى امرأة دميمة وهو الذى يحب الجمال!

أما عن عائلة زوجة شقيقي، فهم جبابرة يسيطرون عليه، ويهددونه، ويتدخلون فى أدق شئونه إلا فيما يخص هذه المرأة، فلم أسمع لأحد منهم صوتا، وعندما حاولت فتح هذا الموضوع معهم، اتهمونى بأننى أحاول تخريب بيت شقيقي، وأن زوجته تنكر ما أقوله، ولم يحاولوا ولو مجرد التأكد من صحة ما أعرفه بل عاملونى بوقاحة، مما جعل زوجى يأمرنى بالابتعاد عنهم.

إننى لا أنام الليل، وكلما دق جرس هاتفى المحمول، أخشى أن يكون على الهاتف من يخبرنى بوفاة أخى لا قدر الله، فهل من نصيحة قبل فوات الأوان، فلقد أوصتنى والدتى قبل وفاتها على شقيقنا لأنها تعرف أنه يحمل قلب طفل صغير، ولم يؤذ أحدا فى حياته، ويشهد الله أن أجره أقل من نصف ما يتقاضاه زملاؤه، وأن الله كتب الشفاء على يديه لآلاف المرضي، ولم يقبل أن يتزوج بأخرى منذ سنوات تفاديا للمشكلات مع زوجته وحفاظا على بيته وأولاده، فهل أتركه فى وكر الأفعى حتى اللدغة الأخيرة القاتلة؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

تعددت أخطاؤك فى حق شقيقك ومبعثها جميعا هو رغبتك فى السيطرة عليه من منطلق أنه سندك الوحيد، وأنك تعتبرينه بمثابة ابنك برغم أنه يكبرك بعدة سنوات، وأنك تفعلين ذلك تنفيذا لوصية أمك التى كانت ترى فيه طفلا كبيرا، وكان هذا السبب من وجهة نظرك مبررا كافيا لأن تفسدى عليه حياته، وتشوهى صورته أمام الآخرين، وأنت تتصورين أن ما تفعلينه فى مصلحته، وهذا المنهج الذى اتبعتيه معه واضح منذ البداية، وليس وليد «المرأة الدميمة» التى يستعين بها فى عيادته، فلقد تصورت ان كل اساتذة الجامعة ضغطوا عليه لكى يرتبط بزميلته، وأنهم اقنعوه بأن أهلها سوف يساعدونه فى الترقية والنجاح مقابل هذا الزواج، وهو أمر غير معقول من نواح عديدة أهمها أنه لا يمكن أن يكون هناك ضغط مباشر للزواج ولو من استاذ واحد، فالزواج أولا وأخيرا مسألة قبول، وبالأحرى فإن شقيقك هو الذى سعى للزواج منها، وما قلتيه بشأن اساتذته فيه مبالغة شديدة، إن لم يكن ليس له وجود اصلا، إذ ليس هناك من يسوق كل زملائه للضغط على شاب للزواج من ابنته على الأقل من باب الخجل والحياء مهما تكن أوصاف شقيقك وسماته التى لا تتوافر فى أحد غيره ـ على حد زعمك ـ فهو رجل عادى مثل كل الرجال ولا يملك شيئا خارقا للعادة يجعلك تصورين الأمر على هذه الصورة غير الواقعية.

ونتيجة لهذا التصور الخاطئ لم تتركيه بعد زواجه، وشأنه، وإنما شغلت نفسك به إلى الحد الذى صور لك خيالك أن هناك شبه انفصال بينه وبين زوجته، بعد إصابته ببعض الأمراض المزمنة التى تؤثر على قدرته الجسدية، فمن الذى أطلعك على هذا السر الذى لم يفض به إليك، وبالطبع لم تتحدث زوجته معك عنه؟، حيث لا توجد لك

أى علاقة بها من الأساس، بل تتربصين بها دائما، وإذا كان ما قلتيه صحيحا فكيف لرجل تأثرت صحته بالمرض أن يقيم علاقات مع كثيرات من المترددات على عيادته أو يقع أسيرا لهن، فى الوقت الذى لا يستطيع فيه اقامة العلاقة الشرعية مع زوجته؟!

وقد بلغت بك الهواجس مداها إلى حد أنك كنت تدفعين زوجته الى مراقبته برغم التوتر الدائم بينكما، فتذهب إلى عيادته وتطرد كل ممرضة يأتى بها لكى تساعده فى أداء عمله خوفا من اطماعهن فيه، واستجاب الرجل لكل هذه الإملاءات التى ليس سند ولا مبرر، ولجأ إلى سيدة دميمة ـ على حد وصفك ـ ومع ذلك واصلت مطاردتك له، وأبلغت الجميع بما يدور من وساوس تجاهها، وهنا أدرك المحيطون بك بمن فيهم زوجك وعائلة زوجة أخيك أن ما تقولينه ليس سوى هواجس لا وجود لها إلا فى خيالك، فلم يستجيبوا لما تحاولين املاءه عليهم، ولذلك صببت عليهم اللعنات ورحت تطاردينه فى كل مكان، وفرضت عليه رقابة مشددة، واستعنت بعامل فى العيادة لكى يأتيك بأخباره، فسعى لكسب رضاك، ولو بتأليف مشاهد من خياله خوفا منك، بعد أن أدرك ما يسيطر على تفكيرك من هذه الناحية، ولما بلغ شقيقك ما يفعله استغنى عنه، وهو تصرف طبيعى مع مثل هذا الشخص، فلجأت إلى الجيران لتتبع خطواته، ونسيت أنك تسيئين إليه وإلى أسرتك بهذا الصنيع اساءة بالغة!.

والحقيقة أن أخاك صبر عليك كثيرا، وحاول ارضاءك بشتى السبل دون جدوى، كما أن هذه السيدة التى تدعين أنها تسيطر عليه لا تعرفين عنها شيئا بدليل أنك مرة تقولين أنها متزوجة، ومرة أخرى أنها كانت متزوجة، ومرة ثالثة أن شقيقك تزوجها بعد أن صار أسيرا لها بالسحر، ومرة رابعة أنها على علاقة غير شرعية به، وتغلق العيادة بالأبواب الحديدية والاقفال لتنفرد به قبل مواعيد العمل، ومرة خامسة أنها تجبره على تعاطى المخدرات وتدس له الأعمال السحرية فى القهوة التى تصفينها بالسم حتى يستجيب لاملاءاتها عليه!... ثم من هن المترددات على العيادة اللاتى ينقلن إليك أخباره، وكيف عرفن أنك أخته وحصلن على رقم هاتفك، ولماذا أخبرنك أنت بأمره، وليس زوجته إذا كان التجسس عليه من باب التطوع؟!.

أما التغيرات البادية على وجهه وفقا لكلامك، فمن المؤكد أنها نتيجة مرضه، كما أن متاعبه الصحية لا تعلمين عنها شيئا، ولا علاقة لها بما يدور فى نفسك من وساوس وشكوك لم تفلحى فى إقناع زوجته بها هذه المرة، وهى التى كانت تسارع إلى العيادة كلما جاءت ممرضة جديدة، فعبت عليها أنها لم تضع كاميرات داخل العيادة لمراقبته، وكأنه شخص مغيب عن الحياة، وعما يدور حوله، بل اتهمتيها بأنها ربما تكون هى التى دفعت إليه هذه المرأة لكى تتخلص منه وترث أمواله، فالكل فى نظرك يريد أمواله، زوجته وسكرتيرته، وكل من حوله!... أى تفكير هذا يا سيدتى؟ وأى سحر تتحدثين عنه، ولماذا لم يفك الشيخ الذى سقتيه إليه مع زميلتك الأعمال السحرية التى ادعى لك أنه واقع تحت تأثيرها؟!.

وحتى لو افترضنا أن شقيقك وقع فى الأخطاء التى تحدثت عنها، فإنه ارتكبها بارادته تماما، كما قال لك زوجك، وينبغى عليك أن تستريه لا أن تقومى بتتبع أخباره عن طريق من يعملون معه فى العيادة والجيران فى العمارة، وصديقاتك اللاتى تروين لهن كل ما يدور فى خيالك من أوهام تجاهه... ولاشك أن أفضل ما تقدميه الآن له، هو أن تكفى فورا عن ملاحقته، وأن تتوجهى إلى الله بالدعاء أن يحفظه من نزغات الشياطين، وأن يصرف عنه كيد هذه المرأة وغيرها، ويرده إلى رشده، ويقيه شر نفسه الامارة بالسوء، ويبصره بعيوبه، ويهديه الصراط المستقيم، ولا مانع من تذكيره سواء وجها لوجه، أو عن طريق رسالة مكتوبة بالله سبحانه وتعالى، وبعاقبة ارتكاب الكبائر، وما يترتب عليها من فساد البيت وضياع الأسرة، علاوة على العذاب النفسى والجسدى الذى يلم حتما بالعاصى المذنب، وأنه لا يرضى لك ما تتصورين أنه يفعله، ولا لزوجته، ولا لشقيقتكما المقيمة بالخارج، والأفضل له والأبقى عند الله أن يكف عن المضى فى طريق الضلال.

وفيما يتصل بعملية السحر التى تتوهمينها، فاننى أشك كثيرا أن شقيقك قد تعرض له، لكن لو حدث ذلك، فلابد أن تعرفى أن كل ضرر يقع له من قدر الله وبإذنه لقوله تعالى «وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله»، فلو اجتمع الإنس والجن على أن يضروا أى فرد بشىء لن يضروه إلا بشىء قد كتبه الله عليه، والعلاج الدائم والفعال هو ذكر الله، واللجوء إليه والتوكل عليه.

وأضيف إلى ذلك أن الميل الزائد عن الحد إلى إحدى النساء لا يعنى بالضرورة أن الشخص مسحور، فكثيرون من الرجال لا يغضون أبصارهم عن النساء، ويؤدى ذلك إلى التعلق ببعضهن من كثرة ترديد النظر اليهن، وزيادة التفكير فيهن، وتخيل صورهن فى أذهانهم، وأعظم دواء هو غض البصر، وعدم النظر إلى ما حرم الله أو التعلق به.

ولعل العلاج الناجع للحالة التى وصلت إليها بدعوى الخوف على شقيقك هو أن تحمدى الله على ما أنت فيه من نعم، وأن تبتعدى عن فكرة الانتقام لما يدور فى خيالك، فهى لن تعود عليك بفائدة، ونتيجتها الحتمية هى الحسرة والندم، فدعى هذه المرأة وشأنها، ويكفيك ما أسديتيه من نصائح له، لأن الشىء الذى يزيد عن حده ينقلب إلى ضده، وخير الأمور الوسط، فأتركى له حياته يتصرف فيها كيفما شاء، فهو رجل عاقل ونابه، ولا يحتاج إلى وصايتك، ولا وصاية غيرك، وربما يحتاج فقط هو وزوجته إلى مراجعة علاقتهما، والعمل على كسب السعادة الزوجية وأقول له : لا تدع أى خلاف بينكما يستمر إلى اليوم التالى، وعالج مشكلاتكما على الفور بالكلمة الطيبة، وعش حياتك بطريقة طبيعية من غير تكلف، وحارب الاستسلام للهم والقلق، وكن دائما بشوشا طلق الوجه،

فالتوتر يولد الاضطراب والمرض، وتعامل مع الواقع، ولا تتعامل مع الظنون والاوهام، وأغرس فى زوجتك الثقة فى نفسها.. وهنا أقول لها : أشعرى زوجك بأنه الشخص المثالى الذى كنت تودين الارتباط به، وأنك فخورة به وبشخصيته، واحرصا معا على الهدوء، وكتمان الأسرار، ولا تدعا أحدا يتدخل فى حياتكما، لا من أهلك، ولا من أهله.

وأخيرا أقول لك يا سيدتى: إن للعبد سترا بينه وبين الله، وسترا بينه وبين الناس، فمن هتك الستر الذى بينه وبين الله، هتك الله الستر الذى بينه وبين الناس، فلا تفضحى شقيقك بما ليس فيه، وانبذى الأفكار الغريبة، وغير الواقعية التى جعلت نفسك أسيرة لها كتفكيرك فى خطفه وتسفيره إلى الخارج، وكأنه قطعة أثاث، وليس طبيبا مشهورا، وأستاذا جامعيا مرموقا، أو تحرير محضر له فى الشرطة، ثم خفت أن تفعلى ذلك حتى لا تتسلط عليك هذه السيدة بأعمال السحر، ونسيت أن تسألى نفسك: ولماذا لم تسحرك أنت أيضا لكى تضمن وقوف الجميع فى صفها.. وكل ما ذكرتيه يؤكد حاجتك إلى مراجعة نفسك وتحكيم العقل حتى لا تفقدى صوابك، فأنت تعانين حالة اضطراب نفسى شديد، ولا شك أن أفراد عائلة زوجة شقيقك محقون فى قولهم: أنك بأفعالك هذه سوف تخربين بيته، فكفى عن التمادى فى تشويه صورته، فلا وجود لكل ما قلتيه إلا فى خيالك وحدك نتيجة الخوف الزائد عن الحد عليه، والرغبة فى تملكه ومتابعة أحواله بناء على الرواسب النفسية داخل الأسرة باعتباره الولد الوحيد.
واعلمى أن اللدغات التى تخيلت أن هذه السيدة لدغت شقيقك بها لا أساس لها، ولن تكون هناك لدغة أخيرة، لأنه لم تكن هناك

==

للحظة القاسية

نكأت رسالة القرار الخطير جراحي التي لم تلتئم بعد ودفعتني الي ان اكتب اليك تجربتي عسي ان تجد لي مخرجا مما انا فيه من حيرة وتردد.

فاذا كان كاتب الرسالة قد مات اثنان من ابنائه في حادث سيارة بالبلد العربي الذي يعمل به، وفسر ما حدث له بانه يرجع الي الحسد بعد ان اقام مشروعا كبيرا في قريته صار حديث الناس ولذلك قرر الاستمرار في الغربة وعدم العودة الي الوطن.. اقول اذا كان قد حسم امره ويسألك عن رأيك في قراره. فإنني لم اصل بعد الي قرار لمشكلتي التي لا أري لها حلا قاطعا حتي الآن.

ودعني أحكي لك قصتي منذ البداية، فأنا رجل في منتصف الاربعينيات، نشأت في اسرة بسيطة لاب يعمل مزارعا بالاجر اليومي. وأم ربة بيت، وأخت واحدة تصغرني بعامين، وكانت القروش القليلة التي يحصل عليها أبي كل يوم هي كل دخلنا الذي تدبر به أمي شئوننا، ومضت الحياة مستقرة، ونحن راضون بالقليل، وكان شغلي الشاغل هو أن اذاكر واتفوق، وكبرت احلامي بمرور السنين، وساعدني علي ذلك حبي للقراءة والاطلاع، ولم توقفني امكانياتنا المادية عن تحقيق الحلم، ووضعت أمامي هدفا واحدا هو أن اكون ذا شأن في المستقبل، وشجعني أبي علي ذلك وحمل هموم البيت وحده، ولم يكلفني باي عمل أو يطلب مني مساعدته كما يفعل الآباء عادة في القري.

وحصلت علي الثانوية العامة والتحقت بكلية العلوم وتفوقت فيها، وبعد التخرج مباشرة التحقت باكثر من عمل لكي افاضل بين عدد من الوظائف واستقر علي العمل الذي يناسبني، وحصلت علي دورات تدريبية عديدة ثم راسلت العديد من الجهات البحثية بالخارج، وجاءتني البشري من احدي هذه الجهات بدولة اوروبية بالموافقة علي منحي تأشيرة زيارة لمدة ثلاثة أشهر.. ولا استطيع ان اصف لك مدي سعادتي بهذه التأشيرة.. وقد هرولت الي اسرتي، وابلغتها باعتزامي السفر فثار ابي في وجهي لاول مرة، وقال انه كان ينتظر اليوم الذي اتخرج فيه بفارغ الصبر لكي اخفف عنه عبء الاسرة، فهو مريض ولايقوي علي العمل، فكيف سأتركه يلاطم امواج الحياة بمفرده، وأخذله ولا افكر إلا في نفسي.. واكمل كلامه بشدة.. لو سافرت لا انت ابني ولا اعرفك.. وبكت امي بشدة ورجتني ألا أسافر الي البلد الاوروبي، وان ابحث عن عمل في أي دولة عربية زي كل الناس علي حد تعبيرها ـ وقالت احنا مالناش غيرك ياابني.. لكن هيهات ان يلين لي جانب.. فقراري بالسفر لا رجعة فيه.. ولكن لكي استرضيهما بذلت محاولات مضنية معهما من اجل انتزاع موافقتهما ووعدتهما بانني سأعود بعد ان تتحسن احوالي، فلم يعيرا ما قلته ادني اهتمام، ولم اتراجع عن موقفي. وسافرت غير عابئ بتوسلاتهما، وتسلمت العمل تحت الاختبار في الجهة الاجنبية، وقبل ان تنتهي فترة التأشيرة جددوها لي، وشيئا فشيئا حصلت علي الاقامة. وحرصت علي كتابة خطاب الي اسرتي كل اسبوع اطمئنهم فيه علي حالي حيث لم تكن توجد وقتها تليفونات في المنطقة التي نسكن بها، وليس لنا اقارب اتواصل من خلالهم مع اسرتي، وكنت اتلقي كل عدة أسابيع خطابا بخط اختي، واستمررنا علي ذلك شهورا ثم اخذني العمل وانشغلت بحياتي وانتقلت للاقامة في مسكن جديد، وتعرفت علي فتاة من البلد الذي اعمل به، وربطتنا قصة حب، وتزوجنا.. وكنت وقتها قد حصلت علي جنسية هذه الدولة، وبعد عام رزقنا الله بطفلة جميلة حرصت علي تربيتها علي عاداتنا وتقاليدنا المصرية، لكن بصمات امها عليها ظلت هي الاكثر تأثيرا بحكم انها تقضي معها الوقت الاكبر، ولم اهتم في البداية بذلك، وانشغلت بعملي الذي أخذ كل وقتي، وحرصت علي ان اقضي عطلة نهاية الاسبوع بصحبتهما.. وكبرت البنت ووصلت الي سن الخامسة

عشرة، ولا تسألني كيف مرت هذه السنوات الطويلة وأنا منهمك في العمل ولم اهتم بمراسلة اسرتي او حتي افكر في زيارة مصر ولو مرة واحدة؟

وجاء اليوم الذي لم اعمل له حسابا، أو قل لم يخطر لي علي بال، اذ فوجئت بابنتي وقد جاء معها شاب قالت لي أمها إنه صديقها، فسألتها عما يريد، فقالت انه سيبيت معها فجن جنوني، وطردته من البيت، وانهلت علي ابنتي ضربا، وركلا بالاقدام، وصرخت من أعماقي وأنا ابكي بحرقة كيف تفعلين ذلك وانت فتاة مسلمة لابد ان تتزوج من مسلم زواجا شرعيا.. ومضيت اقول لها بصوت عال إذا كان متمسكا بك عليه ان يشهر اسلامه ويتزوجك.. هذا هو شرع الله.. ثم وجهت كلامي الي امها التي لم تفهم ما اقول: لقد تزوجتك وانت علي دينك لان من حق المسلم ان يتزوج كتابية من اهل الديانات السماوية الثلاث ولكن المسلمة لا تتزوج الا مسلما.. كما ان علاقات الصداقة القائمة علي المعاشرة بلا زواج محرمة ولن أقبلها فلم تقتنع بكلامي واخذت البنت وحررت لي محضرا في قسم الشرطة، فتركت لهما المنزل وانتقلت الي مسكن آخر وانطويت علي نفسي اجر أذيال الخيبة والندم! وساءت حالتي النفسية والصحية، وانعكس ذلك علي عملي فاضطررت الي طلب اجازة لمدة شهرين، وجئت الي مصر قاصدا اسرتي التي لم ارها منذ خروجي منها، وابي وامي واختي غاضبون مني.. وعندما وطئت قدماي ارض قريتنا وجدتها قرية غير التي عشت فيها، وقابلني اناس غير الذين عرفتهم، ولم استطع الوصول الي منزلنا بعد ان تغيرت كل المعالم، واقتربت من احد الاهالي وعرفته بنفسي وسألته عن اسرتي. فنظر الرجل الي بدهشة وقال الله يرحم اباك وامك. فقد ماتا منذ سنوات طويلة. أما اختك فقد تزوجت وسافرت مع زوجها، ولا يعرف احد لها مكانا.

سمعت كلمات الرجل التي نزلت علي كالصاعقة، وأنا في ذهول.. يا إلهي ماذا فعلت؟! كيف سرقني الزمن؟.. وكيف اوصلتني اطماعي وأنانيتي الي ما أنا فيه الآن من حسرة وكمد؟.. فقد مات ابي وأمي غير راضيين عني بعد ان تخليت عنهما في الوقت الذي كانا يتطلعان فيه الي ان اساندهما علي شظف العيش ومرض ابي.. انني لن اسامح نفسي ابدا علي هذا الجرم الذي اقترفته في حقهما.. ثم اين اختي وكيف اصل اليها؟.. ومن لي في هذا العالم الآن؟

إنني حائر يا سيدي، ولا ادري ما هو القرار المناسب لحالتي؟.. هل اقدم استقالتي من عملي بالخارج واعود الي مصر؟.. وإذا فعلت ذلك هل سأعيش وحيدا بين جدران شقة استأجرها أو اشتريها. ولا احد يعلم عني شيئا وأحيا غريبا في وطني بلا اهل أو اقارب.. ام اسافر من جديد واتقوقع علي نفسي ويكون منهجي من العمل الي البيت، ومن البيت الي العمل ثم كيف استعيد ابنتي التي أوغرت امها صدرها تجاهي، واتهمتني بالتطرف والغباء. لانني اريد الحفاظ عليها؟.. صحيح ان أمها هي التي ربتها علي مبادئ الغرب التي تقر الصداقة بين الشاب والفتاة لدرجة المعاشرة الزوجية.. برغم إخباري لها بأن ذلك يتنافي مع تعاليم ديننا الحنيف وعاداتنا وتقاليدنا لكني أتحمل المسئولية الكاملة عما وصلت إليه. وكم تمنيت الموت قبل ان اصل الي هذه اللحظة القاسية التي قلبت حياتي رأسا علي عقب، واحالت حياتي الي جحيم.

أعلم يا سيدي انني احصد جزاء عقوقي لابي وامي اللذين لم يعرفا طعم الراحة وظلا يعلقان الامل علي لكني خذلتهما، وها أنا افيق بعد ان خسرت كل شيء، وتكاد شمس حياتي أن تأفل ـ فهل من سبيل لتدارك ما فات فالقي الله وهو راض عني؟

وأقول لكاتب هذه الرسالة: الرجل الذي يفكر في نفسه فقط.. رجل تدعو حاله الي الرثاء ـ إنه أمي النفس <<.. بغض النظر عن مدي تعليمه. كما يقول د. نيكولاس بتلر.. والحقيقة انك سرت حياتك كلها بهذا المنطق المعوج، فكان طبيعيا ان تصل الي ما وصلت اليه، حيث فكرت في نفسك فقط حين تركت اباك يعمل ويكدح في المزارع والحقول وحده دون ان تسعي إلي مساعدته حتي ولو لم يطلب ذلك، وكان الواجب عليك ان تنهض من تلقاء نفسك لتقديم يد العون اليه احساسا منك بقيمة عطائه لكم ومعاناته من اجلكم خصوصا وانت تعترف بأن زملاءك كانوا يساعدون آباءهم امام ناظريك، لكنك اقنعت نفسك بان العمل معه ولو لمدة ساعة واحدة يوميا سوف يضيع عليك بعض الوقت مع أن كل العباقرة والناجحين ولدوا في بيئات كادحة، فعرفوا طريق النجاح.. أما انت فكان طريقك نحو الانانية وانحصار تفكيرك فيما يعنيك وحدك، ثم تماديت في ذاتيتك بقطع كل صلة لك باهلك بعد ان استقرت أوضاعك في الخارج، ولم تعبأ بحاجة ابويك اليك معنويا قبل حاجتهما ماديا، فماتا حسرة وكمدا علي ما آلت اليه احوالهما بينما انت غارق في أنانيتك، ثم تزوجت دون حسابات دقيقة من سيدة اجنبية تركت لها التصرف في حياة ابنتك، فصار طبيعيا ان تكون علي شاكلتها بكل عاداتها وتقاليدها.

حدث كل ذلك وانت لاتدري، او ربما كنت تدركه في عقلك الباطن لكنك لم ترد ان تصدقه.. ولان البناء الهش يسقط ولو بعد حين. فقد جاءتك اللحظة القاسية التي لم تحسب حسابها فافقت من غيبوبتك علي الحقيقة المرة من تفكك اسرتك ووقوع ابنتك في فلك صديقها برعاية امها، وموت ابويك، وهجرة أختك الوحيدة مع زوجها إلي مكان لايعرفه الجيران الي جانب انه ليس لكم اقارب من الممكن سؤالهم عما حدث خلال غيابك الطويل.

إن الانانية التي سيطرت عليك سادها الطمع، فالاخلاص للنفس يعني الاخلاص للعمل والاهل، وهو سلسلة متصلة من نور لاينطفئ أبدا، لكنك لم تقر هذا المبدأ الذي يوازن بين المتطلبات الشخصية والاسرية، واخترت الطريق الاسهل الذي يحقق غاباتك ناسيا أو متجاهلا انه ليس الطريق الصحيح.

والآن وبعد ان تكشفت كل هذه الحقائق عليك ان تتوقف امام الماضي لا لكي تستعيده وتعيش آلامه، ولكن لكي تتخذ منه نقطة الانطلاق الي المستقبل فتستفيد من الاخطاء، وتمضي قدما نحو الطريق القويم الذي يرضي الله، ويجعلك هادئ النفس مطمئن البال.. فبالنسبة لأبويك الراحلين بامكانك ان تدعو لهما بالعفو والمغفرة، وان يتجاوز الله سبحانه وتعالي عن عقوقك لهما.. وان تقيم صدقة جارية علي روحيهما وعليك ان تتأسي بحديث رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا مات ابن ادم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أوعلم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له.. وان تحاول ايضا ان تصل اختك واتصور انك لو بذلت بعض الجهد بالسؤال عنها في محيط قريتك فسوف تعرف مكانها وتزورها وتسترضيها وعليك ان تتذكر دائما ان صلة الرحم من أهم ما اوصانا به الرسول الكريم، ونأتي الي المحور الرئيسي لمشكلتك الذي زلزل كيانك، وهو ابنتك فيمكنك ان تتبع معها منهجا مختلفا بعيدا عن املاء القرارات الذي لايصلح في حالتك ابدا، وهو ان تحاول مد جسور التواصل مع زوجتك فتكون هي حلقة الوصل معها، وان تشرح لها انك لاتمانع ابدا في ارتباط ابنتك بصديقها، وتعتبر علاقتهما زواجا فيه اشهار بين الناس حتي وان لم يتم توثيقه بشرط ان ينطق بالشهادتين لانها تدين بالاسلام، ولا يمكن لغير المسلم ان يتزوج مسلمة، فالطبيعي انها مسلمة باعتبار انك مسلم، وقل لها ايضا انك ارتبطت بها وهي علي ديانتها لانه يحل للمسلم ان يتزوج من كتابية من اهل الديانات السماوية الثلاث.

واعتقد انك لو سعيت للقاء هذا الشاب بعد ما حدث وناقشته في هذا الامر فسوف يعمل من تلقاء نفسه علي تقريب المسافات باعلان اسلامه أو الانصراف عن ابنتك، فهكذا يكون العقلاء دائما.

وأرجو ان تكون قد استوعبت الدرس فلا تنشغل بعملك عن حياتك وأسرتك فيما تبقي لك من عمر في هذه الدنيا، ولتواصل عملك وسعيك موازنا بين اقامتك في الخارج ورعاية اسرتك التي تأمل أن تعود اليك في اسرع وقت، والتواصل مع اختك في مصر حين تلتقي بها قريبا بإذن الله

==

اللحظة السحرية

كنت قد انتويت أن أكتب لك منذ زمن بعيد، لكن ظروفي حالت دون ذلك، والآن فإني أشعر بأنه قد آن الأوان لكي أطلع؛ أنت وقراء هذا الباب علي تجربتي مع الحياة. فأنا سيدة في الثامنة والثلاثين من العمر نشأت في أسرة ميسورة الحال وعشت في كنفها حياة هادئة إلي أن تخرجت في الجامعة.. وعقب التخرج التحقت بعمل ممتاز يدر علي دخلا كبيرا.. وأحببت عملي كثيرا وأعطيته كل اهتمامي، وتقدمت فيه سريعا حتي تخطيت كثيرين من زملائي. وكنت خلال مرحلة الجامعة قد ارتديت الحجاب بإرادتي وأختياي، وبدأ الخطاب يتقدمون إلي، لكنني لم أجد في أحدهم مايدفعني للارتباط به، ثم جرفني العمل والانشغال به عن كل شيء آخر حتي بلغت سن الرابعة والثلاثين وبدأت أعاني النظرات المتسائلة عن سبب عدم زواجي حتي هذه السن. وتقدم لي شاب من معارفنا يكبرني بعامين.. وكان قد أقام عقب تخرجه عدة مشروعات صغيرة باءت كلها بالفشل.. ولم يحقق أي نجاح مادي، وكان بالنسبة لي محدود الدخل، لكني تجاوزت عن هذه النقطة ورضيت به وقررت أنني بدخلي الخاص سوف أعوض كل مايعجز هو بإمكاناته المحدودة عنه.. وستكون لنا حياة ميسورة بإذن الله. وقد ساعدني علي اتخاذ هذا القرار أنني كنت قد بدأت أحبه.. وأنه قد أيقظ مارد الحب النائم في أعماقي والذي شغلت عنه طيلة السنوات الماضية بطموحي في العمل، كما أنه كان من هؤلاء البشر الذين يجيدون حلو الكلام، وقد روي بكلامه العذب ظمأ حياتي. وبدأنا نعد لعقد القران وطلب مني خطيبي صورة من بطاقتي الشخصية ليستعين بها في ترتيب القران.. ولم أفهم في ذلك الوقت مدي حاجته لهذه الصورة لكني أعطيتها له.

وفي اليوم التالي فوجئت بوالدته تتصل بي تليفونيا وتطلب مني بلهجة مقتضبة مقابلتها علي الفور.. وتوجست خيفة من لهجتها المتجهمة، وأسرعت إلي مقابلتها. فإذا بها تخرج لي صورة بطاقتي الشخصية وتسألني هل تاريخ ميلادي المدون بها صحيح ؟ وأجبتها بالإيجاب وأنا أزداد توجسا وقلقا، ففوجئت بها تقول لي: إذن فإن عمرك يقترب الآن من الأربعين.

وابتلعت ريقي بصعوبة ثم قلت لها بصوت خفيض إن عمري٣٤ عاما.

فقالت إن الأمر لا يختلف كثيرا لأن الفتاة بعد سن الثلاثين تقل خصوبتها كثيرا وهي تريد أن تري أحفادا لها من ابنها.. لا أن تراه هو يطوف بزوجته علي الأطباء جريا وراء الأمل المستحيل في الإنجاب منها.

ولم أجد ماأقوله لها لكني شعرت بغصة شديدة في حلقي..، وانتهت المقابلة وعدت إلي بيتي مكتئبة.. ومنذ تلك اللحظة لم تهدأ والدة خطيبي حتي تم فسخ الخطبة بيني وبينه وأصابني ذلك بصدمة شديدة لأنني كنت قد أحببت خطيبي وتعلقت بأمل السعادة معه.. لكنه لم ينقطع عني بالرغم من فسخ الخطبة، وراح يعدني بأنه سيبذل كل جهده لإقناع والدته بالموافقة علي زواجنا.. واستمر يتصل بي لمدة عام كامل دون أي جديد.. ووجدت أنني في حاجة إلي وقفة مع النفس ومراجعة الموقف كله.. وانتهيت من ذلك إلي قرار ألا أمتهن نفسي أكثر من ذلك وأن أقطع هذه العلاقة نهائيا.. وفعلت ذلك ورفضت الرد علي اتصالات خطيبي السابق.

ومرت ستة أشهر عصيبة من حياتي.. ثم أتيحت لي فرصة السفر لأداء العمرة، فسافرت لكي أغسل أحزاني في بيت الله الحرام.. وأديت مناسك العمرة.. ولذت بالبيت العتيق وبكيت طويلا ودعوت الله أن يهييء لي من أمري رشدا، وفي أحد الأيام كنت أصلي في الحرم وانتهيت من صلاتي وجلست أتأمل الحياة في سكون فوجدت سيدة

إلي جواري تقرأ في مصحفها بصوت جميل.. وسمعتها تردد الآية الكريمة وكان فضل الله عليك عظيما فوجدت دموعي تسيل رغما عني بغزارة، وألتفت إلي هذه السيدة وجذبتني إليها، وراحت تربت علي ظهري بحنان وهي تقرأ لي سورة الضحي إلي أن بلغت الآية الكريمة ولسوف يعطيك ربك فترضي فخيل إلي أنني أسمعها لأول مرة في حياتي مع أني قد رددتها مرارا من قبل في صلاتي.. وهدأت نفسي، وسألتني السيدة الطيبة عن سبب بكائي فرويت لها كل شيء بلا حرج، فقالت ان الله قد يجعل بين كل عسرين يسرا، وإنني الآن في العسر الذي سوف يليه يسر بإذن الله.. وان ماحدث لي كان فضلا من الله لأن في كل بلية نعمة خفية كما يقول العارفون، وشكرنا بشدة علي كلماتها الطيبة ودعوت لها بالستر في الدنيا وفي الآخرة، وغادرت الحرم عائدة إلي فندقي وأنا أحسن حالا وانتهت فترة العمرة وجاء موعد الرحيل، وركبت الطائرة عائدة إلي القاهرة فجاءت جلستي إلي جوار شاب هاديء الملامح وسمح الوجه، وتبادلنا كلمات التعارف التقليدية.. فوجدتني أستريح إليه واتصل الحديث بيننا طوال الرحلة إلي ان وصلنا إلي القاهرة وانصرف كل منا إلي حال سبيله، وأنهيت إجراءاتي في المطار، وخرجت فوجدت زوج أقرب صديقاتي إلي في صالة الانتظار فهنأني بسلامة العودة وسألته عما جاء به للمطار فأجابني بأنه في انتظار صديق عائد علي نفس الطائرة التي جئت بها. ولم تمض لحظات إلا وجاء هذا الصديق فإذا به هو نفسه جاري في مقاعد الطائرة وتبادلنا التحية، ثم غادرت المكان بصحبة والدي.. وماأن وصلت إلي البيت وبدلت ملابسي واسترحت بعض الوقت حتي وجدت زوج صديقتي يتصل بي ويقول لي إن صديقه معجب بي بشدة ويرغب في أن يراني في بيت صديقتي في نفس الليلة لأن خير البر عاجله، ثم يسهب بعد ذلك في مدح صديقه والإشادة بفضائله ويقول لي عنه أنه رجل أعمال شاب من أسرة معروفة وعلي خلق ودين ولا يتمني لي من هو أفضل منه لكي يرشحه للارتباط بي.

وخفق قلبي لهذه المفاجأة غير المتوقعة.. واستشرت أبي فيما قاله زوج صديقتي فشجعني علي زيارة صديقتي لعل الله جاعل لي فرجا.

وزرت صديقتي وزوجها والتقيت بجاري في الطائرة واستكملنا التعارف وتبادلنا الإعجاب.. ولم تمض أيام أخري حتي كان قد تقدم لي.. ولم يمض شهر ونصف الشهر بعد هذا اللقاء حتي كنا قد تزوجنا وقلبي يخفق بالأمل في السعادة، وحديث السيدة الفاضلة في الحرم عن اليسر بعد العسر يتردد في أعماقي. وبدأت حياتي الزوجية متفائلة وسعيدة ووجدت في زوجي كل ماتمنيته لنفسي في الرجل الذي أسكن إليه من حب وحنان وكرم وبر بأهله وأهلي، غير أن الشهور مضت ولم تظهر علي أية علامات الحمل، وشعرت بالقلق خاصة أنني كنت قبد تجاوزت السادسة والثلاثين وطلبت من زوجي أن أجري بعض التحاليل والفحوص خوفا من ألا أستطيع الإنجاب، فضمني إلي صدره وقال لي بحنان غامر إنه لا يهمه من الدنيا سواي.. وإنه ليس مهتما بالإنجاب، لأنه لا يتحمل صخب الأطفال وعناءهم، لكني أصررت علي مطلبي.. وذهبنا إلي طبيب كبير لأمراض النساء وطلب مني إجراء بعض التحاليل، وجاء موعد تسلم نتيجة أول تحليل منها ففوجئت به يقول لي إنه لا داعي لإجراء بقيتها لأنه مبروك يامدام.. أنت حامل!

فلا تسل عن فرحتي وفرحة زوجي بهذا النبأ السعيد..وغادرت عيادة الطبيب وأنا أشد علي يده شاكرة له بحرارة. وفي ذلك الوقت كان زوجي يستعد للسفر لأداء فريضة الحج، فطلبت منه أن يصطحبني معه لأداء الفريضة وأداء واجب الشكر لمن أنعم علي بهذه النعم الجليلة، ورفض زوجي ذلك بشدة وكذلك طبيبي المعالج لأنني في شهور الحمل الأولي.. لكني أصررت علي مطلبي وقلت لهما ان من خلق هذا الجنين في أحشائي علي غير توقع قادر علي أن يحفظه من كل سوء، واستجاب زوجي لرغبتي بعد استشارة الطبيب واتخاذ بعض الاحتياطات الضرورية وسافرنا للحج وعدت وأنا أفضل مما كنت قبل السفر..

ومضت بقية شهور الحمل في سلام وإن كنت قد عانيت معاناة زائدة بسبب كبر سني، وحرصت خلال الحمل علي ألا أعرف نوع الجنين لأن كل مايأتيني به ربي خير وفضل منه، وكلما شكوت لطبيبي من إحساسي بكبر حجم بطني عن المعتاد فسره لي بأنه يرجع إلي تأخري في الحمل إلي سن السادسة والثلاثين. ثم جاءت اللحظة السحرية المنتظرة وتمت الولادة وبعد أن أفقت دخل علي الطبيب وسألني باسما عن نوع المولود الذي تمنيته لنفسي فأجبته بأنني تمنيت من الله مولودا فقط ولا يهمني نوعه.. ففوجئت به يقول لي: إذن مارأيك في أن يكون لديك الحسن والحسين وفاطمة!

ولم أفهم شيئا وسألته عما يقصده بذلك فإذا به يقول لي وهو يطالبني بالهدوء والتحكم في أعصابي إن الله سبحانه وتعالي قد من علي بثلاثة أطفال، وكأن الله سبحانه وتعالي قد أراد لي أن أنجب خلفة العمر كلها دفعة واحدة رحمة مني بي لكبر سني، وأنه كان يعلم منذ فترة بأنني حامل في توءم لكنه لم يشأ أن يبلغني بذلك لكيلا تتوتر أعصابي خلال شهور الحمل ويزداد خوفي. ولم أسمع بقية كلامه فلقد انفجرت في حالة هستيرية من الضحك والبكاء وترديد عبارات الحمد والشكر لله.. وتذكرت سيدة الحرم الشريف.. والآية الكريمة.. ولسوف يعطيك ربك فترضي.. وهتفت إن الحمد لله.. الذي أرضاني وأسبغ علي أكثر مما حلمت به من نعمته.

أما زوجي الذي كان يزعم لي أنه لا يتحمل صخب الأطفال وعناءهم لكي يهون علي همي بأمري فلقد كاد يفقد رشده حين رأي أطفاله الثلاثة وراح يهذي بكلمات الحمد والشكر لذي الجلال والإكرام حتي خشيت عليه من الانفعال. وأصبح من هذه اللحظة لا يطيق أن يغيب نظره عنهم.

وإنني أكتب إليك رسالتي هذه من أحد الشواطيء، حيث نقضي إجازة سعيدة أنا وزوجي وأطفالي، ولكي أرجوك أن توجه رسالتي هذه إلي كل فتاة تأخر بها سن الزواج أو سيدة تأخر عنها الإنجاب وتطالبهن بألا يقنطن من رحمة الله.. وألا يقطعن الرجاء في الخالق العظيم وألا يمللن سؤاله والدعاء إليه أن يحقق إليهن آمالهن في الحياة، فلقد كنت أردد دائما دعائي المفضل: ربي إن لم أكن أهلا لبلوغ رحمتك، فرحمتك أهل لأن تبلغني لأنها قد وسعت كل شيء.

وأخيرا فإني أسألك وقراءك صالح الدعاء لي ولزوجي الحنون ولأطفالي والسلام عليكم ورحمة الله تعالي.

«««ولكاتبة هذه الرسالة أقول»»»

سئل الإمام الشافعي رضي الله عنه ذات يوم: أيهما أفضل للمؤمن: أن يبتلي أم أن يمكن أي أن يحقق له الله كل مايرجوه لنفسه.

فقاله: وهل يكون تمكين إلا بعد ابتلاء ؟

ثم أشار في إجابته علي السؤال إلي قصة سيدنا يوسف عليه السلام وماتعرض له من ابتلاء تلو الابتلاء حتي جاءه الفوز العظيم كذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء، وأشار إلي قول يوسف في الآية الكريمة بعد أن مكن له ربه إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين يوسف٩٠.

فالتقوي والصبر إذن هما مفتاحا نيل الرجاء وتحقق الأمنيات والتمكين في الدنيا.

ونحن جميعا نطلب السعادة لأنفسنا في الحياة.. ونكاد في بعض الأحيان نردد ماقالته الممثلة الفرنسية جولييت في خطابها الشهير الي من أحبته بإخلاص ثلاثين عاما أو تزيد وهو الأديب الفرنسي فيكتور هوجو: لو كان للإنسان ان يشتري سعادته بحياته لأنفقت عمري من زمن بعيد!

ولكن من منا يلزم نفسه في سعيه إلي سعادته وتحقيق أحلامه في الحياة، بالتقوي والصبر إلي أن تهبط عليه جوائز السماء للصابرين المتقين ؟ ولاشك في أنك قد صبرت علي الإيلام والإيذاء المعنوي اللذين تعرضت لهما في تجربتك السابقة وقرنت الصبر بالتقوي والالتزام بالقيم الدينية والأخلاقية، فما أسرع ماجاءتك جوائز السماء تترى..، ليس فقط بتحقيق أمنياتك في الزواج والسعادة والإنجاب، وإنما أيضا بما هو أكثر من كل ما رجوت لنفسك وأبعد من كل ماتطاول إليه خيالك ذات يوم.. فكأنما أراد الله سبحانه وتعالي أن يفح من تشككت من قبل في قدرتك علي الإنجاب وكرهت لابنها أن يتعلق بالأمل الضعيف في إنجاب طفل واحد منك، فيقول لها ولأمثالها: إنني أنا الله أقول للشيء كن فيكون وأرزق من أشاء حين أشاء بغير حساب نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين٥٦ يوسف.. فإذا كانت سيدة الحرم المكي الشريف قد حدثتك وهي تسري عنك عن فضل الله الذي قد يتمثل من حيث لا ندري في البلية، فلقد كانت تشير في حديثها إليك عن الألطاف الخفية التي يقول عنها العارفون إنها قد تصاحب الابتلاء حين تجيء إلينا أقدارنا ببعض مانكره تمهيدا لأن تحمل إلينا فيما بعد كل مانحب ونرجو.

ولقد جاءك برهان ربك علي أن مابكيت له من فشل تجربتك السابقة في الارتباط، لم يكن كله ابتلاء.. وإنما كان تمهيدا لأن يحقق لك ربك فوق كل ماكنت ترجين بنفسك من سعادة ورجاء، إذ من يستطيع أن يجزم أنك لو كنت قد تزوجت خطيبك السابق كنت ستسعدين به كما تسعدين الآن بحياتك مع زوجك المحب البار بأهله وأهلك والذي تظاهر بعدم رغبته في الإنجاب لكيلا يجرح مشاعرك أو يثير شكوكك في مستقبل حياتك معه.

بل ومن يستطيع أن يجزم أنك لو كنت قد تزوجته كنت ستنجبين منه هؤلاء الأطفال الثلاثة الذين أهداهم لك ربك تعويضا لك عن سنوات الصبر والانتظار ؟

إننا نعرف جيدا ان لخصوبة الرجل الأثر الأكبر في تحديد نوع الجنين وعدد الأجنة التي تحملها المرأة، فكيف كانت ستتحقق إذن تلك الألطاف الخفية وتهديك السماء هذه الزهرات الثلاث دفعة واحدة لو كنت قد نلت ماأسفت علي ضياعه منك في حينه.

أليس هذا دليلا جديدا علي صدق مقولة الإمام الحسن بن علي رضي الله عنهما: من رضي بحسن اختيار الله له لم يعدل بما اختاره الله له شيئا!

لقد اختار لك الله سبحانه وتعالي ياسيدتي، فكان اختياره لك أفضل وأكرم مما اخترت أنت لنفسك من قبل.. وحق عليك الشكر آناء الليل وأطراف النهار، فالشكر حافظ النعم كما يقولون، ولاشك في أنك من الشاكرين المبتهلين إلي ربهم أن يجعلهم أهلا لما أنعم الله به عليهم ويحفظ عليهم نعمته.. فهنيئا لك سعادتك وجوائز السماء التي تضيء حياتك وشكرا لك علي رسالتك الجميلة.

==

اللحظات العصيبة!

أنا فتاة أبلغ من العمر٢٧ عاما.. نشأت في أسرة مترابطة بين أب يعمل عملا حرا وحالته المادية ميسورة وأم ربة بيت وشقيقة تصغرني بعامين، ولقد كانت شقيقتي الصغري هذه تفوقني دائما جمالا وخفة وحبا للناس وقبولا منهم وتملأ أي مكان توجد فيه دائما بهجة ومرحا، كما كان لي ابن عم يكبرني بعامين يدرس بكلية الطب، وعلي قدر كبير من الاخلاق والطيبة والرقة والوسامة. وكان ابن عمنا هذا يزورنا كثيرا فولدت بذرة الحب الصامت داخلي تجاهه واحببته كثيرا، لكني نجحت في كتمانه وإخفائه عن الجميع، حين عرفت أنه حب من طرف واحد.

ومضت بنا الأيام هادئة يزورنا ابن عمي في المناسبات المختلفة ونرحب به ونجلس معه كلنا، ويمضي الوقت بهيجا سعيدا والحب الصامت ينمو في أعماقي ويتوحش، وأنا أكابده واجاهد لاخفائه لكيلايشعر به أحد..
الي أن فوجئت ذات يوم بأمي تبلغني بأن ابن عمي قد اتصل بأبي وحدد معه موعدا يجيء لمقابلته مع ابيه لأمر مهم.. ولم يكن ذلك أمرا مألوفا في علاقته بنا إذ كان يستطيع زيارتنا في أي وقت ويعرف الأوقات التي يوجد فيها أبي بالبيت فيأتي بلا موعد سابق..، فخفق قلبي بشدة حين عرفت بقدومه مع ابيه لمقابلة أبي، وتساءلت هل تكون السماء قد استجابت لدعائي فغرس الله حبي في قلبه بعد كل هذه السنوات؟.
وترقبت موعد زيارته بقلق واضطراب.. وجاء ابن عمي مع ابيه في الموعد المحدد وصافحت عمي وصافحته ثم دخل الجميع الي الصالون، واختلوا ببعضهم البعض لفترة من الوقت، وقلبي يكاد يقفز بين ضلوعي من سرعة الخفقان، ثم خرجت أمي من الصالون وهي تطلق زغرودة مدوية، فكدت أفقد الوعي من الفرحة. وقبل ان انطق بأية كلمة أو أسألها عن سبب ابتهاجها، فوجئت بها تقول لي أنا وشقيقتي ان ابن عمنا قد قرأ الفاتحة مع أبي وطلب يد.. اختي! وانفجرت دموعي بغير وعي مني علي الفور، وتوجهت لأختي بالتهنئة وأنا في شدة الاضطراب وأنا لا ادري بما أقول أو أفعل، ولا أعرف هل أدركت شقيقتي وأمي حقيقة مشاعري في هذه اللحظة العصيبة أم ان ابتهاجهما بالخبر قد غطي لديهما علي كل شيء آخر.. لكن الموقف قد انقضي الي حال سبيله علي اية حال، وفسر الجميع دموعي علي انها دموع الفرح والابتهاج لأختي الحبيبة، وفي الأيام التالية لذلك جاهدت نفسي كثيرا لكيلا تبدو علي آثار الصدمة والحزن وخيبة الأمل، لكني بالرغم من ذلك وجدت نفسي استسلم لنوبات متتالية من الحزن والاكتئاب، وأميل للعزلة والانطواء، وأفقد اهتمامي بالحياة وكل الأشياء، وخلال ذلك تقدم لي أكثر من شاب يريد الارتباط بي، وكلما تقدم لي أحدهم أجد نفسي تلقائيا أعقد مقارنة بينه وبين حبيبي.. أو خطيب أختي الحبيبة فتنتهي المقارنة دائما لغير صالحه، وأرفضه للفارق الشاسع بينه وبين المثال الذي أحببته وأردته لنفسي!.
وتخرج خطيب أختي في كليته وعمل بأحد المستشفيات الاستثمارية.. وتحدد موعد الزفاف وكادت أختي تطير فرحا بعريسها، وتكاد تمشي فوق السحاب.. وأقيم حفل الزفاف، وكان جميلا وبهيجا، والفرحة تظل الجميع خلاله وانتقلت أختي إلي بيت الزوجية، وراحت تنهل من نهر السعادة الذي وهبته لها الأقدار مع زوجها، وبعد عام من الزواج رزقت بطفل جميل يجمع بين وسامة ابيه وذكاء أمه وخفتها، وطارت أختي من السعادة بزوجها وطفلها الجميل وحياتها الموفقة، ودرج الطفل علي الأرض ودخل عامه الثالث وأصبح بهجة العائلة كلها.
وفي صيف العام الماضي رافقت أختي وزوجها وطفلها الي المصيف لقضاء بضعة أيام.. وذات صباح خرجت الأسرة السعيدة من البيت وأنا معهم يتقدمنا زوج أختي حاملا الشمسية، وأنا وأختي وطفلها من خلفه فعبر ابن عمنا الطريق قبلنا وتوقفنا ونحن ننتظر خلوه من السيارات فإذا بالطفل الصغير ينفلت من بين أيدينا لكي يلحق بأبيه ويهرول ناحيته، ورأت أختي سيارة مسرعة تتجه نحوه فانطلقت إليه كالسهم لإنقاذه وإبعاده عن الخطر.. ودفعته بالفعل بعيدا عن السيارة لكنها لم تنج للأسف منها، وانما اصطدمت بها صدمة مروعة وسالت دماؤها علي الطريق وتحولت البهجة الي حزن أليم.. ونقلت اختي الي المستشفي في حالة خطيرة.. لكن القدر لم يمهلها طويلا فاسلمت الروح بعد قليل وكان آخر مانطقت به هو كلمات توصيني بها بطفلها الصغير.. ثم صعدت انفاسها الطاهرة الي السماء يرحمها الله.. ويخيم الحزن علي حياتنا جميعا، وتجف دموعنا من كثرة البكاء. وتعتزل أمي الحياة والناس.. لفترة طويلة وتغلق عليها غرفتها بالأسابيع رافضة ان تغادرها أو تستقبل فيها أحدا.. وتصر علي ألا يضاء مصباح واحد في بيتنا الحزين. ويمضي عام طويل ثقيل علي هذه المأساة المؤلمة التي غيرت كل شيء في حياتنا.

ثم يجيء زوج أختي منذ فترة قصيرة ليطلب يدي من أبي ويبرر طلبه له بحرصه علي ألا ينشأ ابنها بين أحضان غريبة.

ويعده أبي بأن يفاتحني في الأمر لكنه لايقوي علي ذلك ويكلف أمي بهذه المهمة، فتبلغني برغبة زوج شقيقتي.. وتسألني عن رأيي فيه فلا أعرف بماذا اجيبها، ولا أعرف هل أنا سعيدة بهذا الطلب أم حزينة له.. لأنه لايجيء إلا كأثر لهذه المأساة الأليمة.

لقد وعدت أمي بالتفكير في الأمر، لكني لم أنس حتي الآن وجهها الحزين وهي تعرضه علي، ولا دموعها الغزيرة وهي تحدثني بشأنه، ومازلت حائرة في أمري حتي الآن.. ولم استطع الرد علي أمي بموقف محدد فبماذا تنصحني ياسيدي؟

«««ولكاتبة هذه الرسالة أقول»»»

من أسوأ مايفعله الانسان بحياته هو ان يتكتم رغباته الحقيقية.. ويتجنب التعبير عنها بكل الوسائل ويكابدها في أعماقه وحده. فيشتد ضغطها عليه في بعض الأحيان.. ويحاول هو من جانبه ان يتخفف من هذا الضغط فيجد نفسه لا اراديا يندفع الي إنكار هذه الرغبات ونفيها ويتمادي في ذلك أحيانا الي حد ابداء الرغبات المعاكسة لها، ومحاولة اقناع نفسه والآخرين بانها هي الرغبات الحقيقية له وليست تلك التي يتحرج من اعلانها والاعتراف بها!

وأحسب أن هذا هو ماتفعلينه الآن بنفسك ياآنستي وماتكررين به نفس الخطأ القديم الذي ساهم في تعقيد هذه المشكلة منذ البداية. فلقد كنت تكابدين حبك الصامت لابن عمك من قبل ان يبدي رغبته في الارتباط بشقيقتك

الراحلة يرحمها الله..، ولم يكن من العسير عليك في ذلك الوقت ان تشعري أقرب الناس اليك وهما والدتك وشقيقتك الراحلة باهتمامك بأمره حتي ولو لم يكن لذلك من أثر علي تغيير موقفه منك..، إذ كان ذلك في حد ذاته كفيلا بتفادي الكثير من اللحظات العصيبة التي كابدتها خلال فترة تقدمه لطلب يد شقيقتك وبعدها وربما كان قد ادي الي تحفظ شقيقتك في قبول الارتباط به مراعاة لمشاعرك وتجنبا لايلامك، وسياق القصة لا يوحي من الأصل بأنه كانت ثمة قصة حب عميق قد جمعت بينهما قبل الزواج ويكاد يؤكد ان الامر لم يكن يتعدي حدود التقارب المألوف بين شباب العائلة الواحدة في سن الزواج، وفي مثل هذه الظروف لم يكن من العسير علي اخت بارة بشقيقتها ان ترفض شابا اعجبت به اذا علمت بحب شقيقتها له.. فإن لم تذهب الي حد ذلك، فلقد كان من الممكن علي الأقل ان يراعي الجميع مشاعرك عند قبولها الارتباط به، وان تتجنب والدتك علي سبيل المثال ان تصدم مشاعرك صدمة هائلة وأنت تترقبين سماع نبأ طلبه ليدك فإذا به يطلب يد أختك.

لكن آفة الانسان في بعض الاحيان هي تكتم احاسيسه ورغباته حتي عن أقرب الناس إليه، ولو صارحهم بها أو اكتفي حتي بالاشارة المتحفظة إليها لربما استطاعوا إعانته علي التعامل معها..، وتفادوا إيلامه من حيث لايريدون.

وماأكثر الآلام واللحظات العصيبة التي ماكان المرء ليكابدها لو كان قد اعتمد في حياته اسلوب الصراحة في المشاعر والرغبات بغير ان يخجل منها ويتكتمها عن الآخرين وكأنها من الخطايا والآثام!

وماأكثر ماتذكرني بعض مواقف الحياة المماثلة بما قاله الروائي الفرنسي الراحل البير كامي في تقديمه لروايته الشهيرة سوء تفاهم من أنه: ـ لو أن كلمة واحدة قد قيلت لما وقعت هذه المأساة! لكن آفة الانسان انه قد لاينطق أحيانا بالكلمة التي تجنبه الآلام والمعاناة في الوقت المناسب!

وهاأنت تكررين الآن ياآنستي هذا الخطأ البشري القديم!

وتتظاهرين أمام نفسك قبل الآخرين، بالتردد أمام قبول طلب ابن عمك الارتباط بك، وتفضلين انكار رغباتك الحقيقية ونفيها الي حد التظاهر امام النفس بعدم الرغبة فيها، ففيم كل هذا العناء ياآنستي.. وإلام تستمرين في التظاهر بعكس ماترغبين وماتشعرين به؟

لقد وقعت المأساة ولم يكن لك شأن في وقوعها.. ولا كان بمقدورك لوأردت ذلك ان تمنعيها، وزوج شقيقتك الراحلة لن يمضي بقية حياته أرمل مترهبا بلا زواج وبلا زوجة تشاركه رعاية طفله الصغير، وأنت لا تتوجهين بمشاعرك الي أحد سواه وترغبين في الارتباط به، ومازال هو يحتل في قلبك وفي اعماقك نفس المكانة التي كانت له منذ قديم الزمان، فماذا يمنعك من الارتباط به ورعاية طفل شقيقتك الصغير معه، وإعانة أبويك ونفسك قبل الجميع علي الخروج من ظلام هذه المأساة العائلية الحزينة؟

ان رفضك للارتباط بزوج شقيقتك لن يغير من حقائق الحياة شيئا ولن يعيد الراحلة العزيزة الي دنيا الأحياء مرة أخري للأسف، كما أن قبولك له علي الناحية الأخري لن يغير من الأمر الواقع شيئا ان لم يخفف الكثير والكثير من آثاره المؤلمة علي أبويك والطفل الصغير ووالده ونفسك.

ولهذا فإن ترددك أمام مطلب ابن عمك ليس في حقيقته سوي رد فعل لا ارادي للخجل النفسي الداخلي في اعماقك من ان تظهري أمام نفسك وكأنك قد استفدت ـ معاذ الله ـ من رحيل شقيقتك عن الحياة في تحقيق أمنيتك القديمة في الارتباط بمن احببته حبا صامتا طوال السنين..

لكن الحوار المنطقي الهاديء مع النفس كفيل بان يعينك علي التغلب علي هذا الخجل النفسي، وعلي التسليم بأن قبولك للارتباط بابن عمك لا يتعارض مع حزنك الصادق علي رحيل شقيقتك عن الحياة ولا يعد خيانة للمشاعر الأخوية الصادقة التي جمعت بينكما..

ولهذا فلا مبرر للرفض ولا التردد حتي ولو كنت قد استسلمت خلال السنوات الماضية وفي بعض اللحظات لأحلام اليقظة التي كثيرا ماتراودنا وتجمعنا في دنيا الخيال الوردية مع من تحول دوننا ودونهم الأسباب والمقادير.. فمن رحمة ربنا بنا أنه لايحاسبنا علي الأمنيات الصامتة ولا علي أحلام اليقظة حتي ولو تعارضت مع الأعراف والتقاليد، مادمنا لانفعل شيئا عمليا ييسر تحقيق هذه الأمنيات أو يقربها من دنيا الواقع.

وأنت لم تفعلي شيئا.. لتحقيق امنيتك القديمة.. أو للتعبير عنها ثم شاءت الاقدار التي لا راد لها ان تحولها الي واقع.. وان تيسر الطريق اليها في ظروف درامية لا شأن لبشر بها فماذا يمنعنا من القبول بها.. حتي ولو تحفظنا رعاية لمشاعر الآخرين في اعلان ترحيبنا بها.. والابتهاج لها!

اننا ننصح من تواجه مثل هذا الموقف الذي تواجهينه الآن بألا تقبل بالارتباط بزوج شقيقتها الراحلة لمجرد الحرج العائلي الذي يفرض عليها رعاية اطفالها من بعدها، إذا كانت تخطط لحياتها مع انسان آخر ترغب في الارتباط به.. أو إذا كانت لا تستشعر مجرد القبول النفسي لزوج الشقيقة الراحلة.

وهذان الشرطان غير قائمين في حالتك ياآنستي.. فلست تخططين لحياتك مع انسان آخر ترغبين فيه، ولست أيضا تنفرين من زوج شقيقتك الراحلة وانما علي العكس من ذلك، ترغبين فيه وتكنين له أعمق المشاعر، لكنك فقط تخجلين من الاعتراف لنفسك بذلك.. وتستشعرين الحرج الانساني والعائلي المفهوم في ابداء هذه المشاعر.. وهذه الرغبة فماذا يحول بينك وبين اسعاد القلوب الحزينة من حولك وأولها قلبك أنت بالارتباط به.. واحتضان طفله الصغير الحائر؟

==

اللحظات الرهيبة

قرأت رسالة الأم المكلومة التي فقدت اثنين من أبنائها، واحدا بعد الآخر، وهما في ريعان الشباب وتعاقب نفسها لأنها استجابت لرجاء ابنها الثاني بأن تتركه في المستشفي وترجع إلي بيتها لتتناول طعام الإفطار في رمضان مع أبيه وأخوته.. فما أن استجابت لرجائه المشفق عليها، ورجعت إلي البيت حتي فاضت روحه الطاهرة.. وندمت هذه الأم الثكلي ندما شديدا لأنها لم تكن إلي جوار ابنها في لحظاته الأخيرة.. ولأنني قد مررت بهذه التجربة المريرة منذ نحو شهرين وحضرت لحظات ابني الأخيرة.. فإنني أقول لهذه الأم إن الله سبحانه وتعالي قد لطف بك وجنبك هذه اللحظات القاسية.. فلقد شاءت لي الأقدار أن أفقد ابني وفلذة كبدي وهو في الحادية والعشرين من عمره بغير مرض خطير ولا حادث أليم، وإنما فقط شوية برد بسيط كما قال الأطباء، والله وحده الذي يعلم سبب رحيله الذي احتار فيه نخبة من كبار الأطباء شهدوا نهايته، ولم نعرف حتي الآن سبب وفاته، لكني كرجل مؤمن أرد الأمر كله إلي الله جل شأنه فلكل أجل كتاب ولن تموت نفس إلا بإذن ربها كتابا مؤجلا وأقول للسيدة المكلومة إنك لو لم تستجيبي لرجاء ابنك الراحل لكنت قد عانيت الأمرين كما أعاني أنا الآن حين أتذكر لحظات ابني الأخيرة يرحمه الله.. أو حين ترد إلي خاطري مرارا وتكرارا فينخلع قلبي وترتجف أوصالي وتنهمر دموعي، ويكاد الحزن يقتلني بعجزي عن إنقاذه أو التخفيف عنه، أو حين تتردد في أذني آخر كلماته: أنا خايف تضيع السنة علي يقصد سنة البكالوريوس الذي كان يستعد لأداء امتحانه فيها ولم يكن يعرف أن عمره كله علي وشك الضياع، رحمه الله، لكن ماذا نملك أمام إرادة الله الذي لاراد لقضائه ولا معقب علي حكمه ولا أقول إلا ما يرضيه إنا لله وإنا إليه راجعون.

وأنا معك في ردك علي هذه الأم المكلومة بأن الله قد رحمها بهذا التدبير الإلهي وأعفاها من شهود هذه اللحظات الرهيبة والعصيبة والتي مررت بها أنا عندما جاءت لحظات احتضار ابني الذي كنت أدخره لأيام العجز والعوز، ولكن ليس لنا إلا أن نقول لله ما أعطي وله ما أخذ وكل شئ عنده بمقدار، وكما جاء بردكم الذي أثلج صدري وخفف عني ألمي قولك قدر الله وما شاء فعل، وقد شاءت إرادته سبحانه أن يصبح من كان لنا في الدنيا سرورا في الآخرة ذخرا وأجرا عظيما، ويبقي الأمل في رحمة الله أن ينزل سكينته علي القلوب الملتاعة ويعين أصحابها علي أمرهم ويحسن مثوبتهم.

وأنصح هذه السيدة العزيزة بأن تردد دائما هذا الدعاء كلما اشتد كربها الله أجرني في مصيبتي وأخلفني خيرا منها عسي الله أن يذهب عنها وعنا الكرب ويزيل عنا الهم والحزن.. إنه بالإجابة لجدير وهو علي كل شئ قدير.

أسأل الله لكم العفو والعافية والمعافاة في الدنيا والآخرة.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

من أنبل دروس الألم لأصحاب النفوس الخيرة، أن يشفقوا علي الآخرين من أن يتجرعوا نفس الألم المرير الذي خبروه هم من قبل وتجرعوه. وهذا هو ما تفعله الآن برسالتك الخيرة هذه يا سيدي حين تحاول التخفيف عن تلك الأم الثكلي وتشجعها علي إعفاء نفسها من اللوم لأنها لم تشهد لحظات ابنها الرهيبة، أعانك الله.. وأعانها وأعان كل مكلوم علي أمره. ولقد فكرت طويلا في كلمة مواساة لك فلم أجد خيرا من هذه القصة المروية في بعض كتب الأحاديث الشريفة ورواها الامام أحمد بن حنبل في مسنده، فلقد قيل إن رسول الله صلي الله عليه وسلم تفقد ذات يوم رجلا من أصحابه فقيل له إن ولده قد مات، فسعي إليه وعزاه في ابنه ثم قال له: يافلان أيما كان أحب إليك أن تمتع به عمرك أم لا تأتي غدا بابا من أبواب الجنة إلا وجدته يسبقك إليه يفتحه لك، فقال: يانبي الله يسبقني إلي الجنة يفتحها لي أحب إلي، قال فذلك لك، فقيل: يارسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة، قال بل للمسلمين عامة.

خفف الله عنك.. وعن هذه الأم الثكلي وعن الجميع أحزانهم.. إنه قدير رحيم.

==

اللافتة القاسية

أكتب اليك تجربتى مع تقلبات الحياة التى تفاجئ المرء بمرارات ومتاعب من حيث لا يحتسب، فلا يجد أمامه الا الصبر على البلاء أملا فى رحمة الله، وتطلعا الى غد أكثر اشراقاً، فأنا رجل على أعتاب الستين من العمر، نشأت فى أسرة متوسطة لأبوين متحابين أنجبا أربعة أولاد أنا أوسطهم. وكان والدى يعمل فى تجارة الأخشاب. وميسور الحال، وعشنا معا حياة مرفهة لم ينقصها شيء، واستمتعنا فيها بما أفاء الله علينا به من نعم، وبعد رحيله استقل كل منا بحياته، وبقى الحب والمودة والتواصل، فلا يمر يوم حتى نطمئن على بعضنا، ونتبادل المشورة فى كل أمورنا، وأنشأت ورشة للأخشاب نالت شهرة كبيرة فى المنطقة كلهاوذات يوم همست أمى فى أذنى برغبتها فى أن تفرح بي، وأنها تعرف ابنة الحلال المناسبة لي، فامتثلت لرغبتها، وارتبطت بمن وقع اختيارها عليها، ووجدتها طيبة الأصل، هادئة الطبع، حلوة العشرة، ورزقنى الله بأول مولود سميته «أحمد»، ملأ حياتنا حبا وسعادة، ومهما وصفت لك فرحتى به، فلن أستطيع، فلقد كنت اتلهف العودة الى البيت، لكى ألعب معه، واستمتع بضحكاته الجميلة، ومداعبته، وانطلاقه حولنا، ومرت الأيام وأنجبت أربعة أولاد آخرين، لكن أحمد ظل هو الأقرب منى والأحب الى قلبي، ربما لأنه أول فرحتي، أو لأننى نظرت اليه كرجل للبيت، وكبير للأسرة من

بعدي، وهذا ماجعلنى أحبه أكثر من نفسي وجمعنا بيت العائلة حتى كبر أولادى الخمسة، وحصل أحمد على دبلوم فنى صناعي، وساعدتنا دراسته على تطوير العمل فى الورشة التى صارت شغله الشاغل، واعتمدت عليه فى كل مايخصها ورأيتنى فيه بحماسة الشباب، والرغبة فى صنع شيء جميل فى الحياة، وزاد سعادتى به العلاقات الطيبة التى ربطته بالناس، وتوسعت الورشة. وكثر عائدها، وادخرنا جزءاً منه، واشترينا قطعة أرض مبان بالتقسيط. وأقمنا عليها بيتا صغيراً مكونا من غرفتين وصالة وحمام ومطبخ، وانتقلنا اليه بعد السنوات الطويلة التى قضيناها فى بيت العائلة، وبرغم صغر مساحته بالنسبة لأسرة تضم سبعة أفراد، فإننا رأيناه أجمل بيوت الدنيا، فيكفى أن يكون لك مكان مستقل تشعر فيه بالراحة ، وتنعم بالاستقرار، وبدأنا فى تسديد أقساط الأرض التى اشتريتها وكان عائد الورشة يغطى الأقساط ومصاريف الأسرة، وسارت بنا الحياة فى تعاون جميل، وما أسعد الأوقات التى قضيتها مع أولادى وهم يلتفون حولى فى الورشة، بعد عودتهم من المدرسة، وإصطحبهم الى المنزل، ونحن نتبادل الضحكات والنكات، ثم نخلد الى النوم. انتظارا لصباح جديد، فنعاود نشاطنا بكل طمأنينة وحيويةوجاء موعد التحاق أحمد بالخدمة العسكرية، فترك فراغا كبيرا فى حياتنا الاجتماعية والعملية فعاودت العمل بمفردى فى الورشة الى أن قضى مهمته الوطنية، وعاد الينا من جديد فدبت الحياة فى كل شيء حولنا، وحدثته عن رغبتى فى تزويجه، فرد علىّ «أصبر ياحاج لما نسدد الاقساط اللى علينا» فتركته ثلاثة أشهر، ثم كررت عليه عرضي، وأيدتنى والدته، وتركنا له حرية اختيار من ترتاح اليها نفسه، فأشار علينا برغبته فى خطبة فتاة من نفس القرية التى نقطن بها، فزرناهم، وصارحنا أهلها بكل ما يتعلق بظروفنا الحياتية، وما علينا من التزامات، وانه سيتزوج فى بيت الأسرة على نفس حالته، وعندما تتيسر الأمور سيبنى الدور الثانى من البيت، وتصير له شقة خاصة به، ووافقت الفتاة وأهلها. واخلينا له حجرة مستقلة وزودناها بالأثاث الذى اتفقنا عليه، وأقمنا له حفل زفاف حضره أهل القرية كلهم، وقد تسابقوا جميعا لتهنئته، والتمنيات له بحياة موفقة، وتمت فرحتنا به على خير، وما أجمل اللحظات التى مرت بي، وأنا أرى الفرحة تملأ عينيه، وعلامات الاطمئنان والراحة تعلو جبهته، وسجدت لله شكرا على نعمته، والدموع تنهمر من عيني.. نعم ياسيدي، فى تلك اللحظة أحسست بأننى بدأت فى جنى ثمار جهدى وشقائى فى الحياة، ولكن بداخلى شيء يقلقنى على ابنى الأكبر الذى طالما سيطر على مشاعرى وأحاسيسى دون أن ينقص من محبتى لأشقائه شيئا، وكنت قد أخليت البيت كاملا له لكى يستمتع بعروسه، أما نحن فذهبنا الى بيت شقيقى الأكبر، وقضينا معه أسبوعا، ثم عدنا إلى المنزل وسعدنا بزوجة إبنى وعاملناها كابنة لم نرزق بهاوبعد خمسة وعشرين يوما بالتحديد أبلغنى أحمد برغبته فى أن يبنى حجرتين فى الدور الثانى للمنزل، لكى ينتقل للاقامة فيهما، ويترك الدور الأرضى لانه لايتسع لعدد الاسرة الكبير ولم تكن الظروف وقتها تسمح ببناء سقف الحجرتين بالحديد المسلح، ففكر كإجراء مؤقت فى أن تتم تغطيته بألواح الخشب والبوص، فلم أقف ضد رغبته، وفى أثناء وقوفه مع العمال، وقع الزلزال الذى دمر بيتنا الهادئ السعيد، اذ سقط السقف فوق ابنى العريس، وجاءنى الخبر المشئوم فى الورشة، فأسرعت اليه، ووجدت أن العمال أخرجوه من تحت الأنقاض فاقداً الوعي، وغارقاً فى دمائه، وحملناه الى مستشفى الجامعة بالزقازيق، وفحصه الأطباء. وقالوا لنا انه مصاب بجروح وكدمات بسيطة، وليس به أوجاع تتطلب بقاءه فى المستشفي، ولما عدنا به الى المنزل، وحاولنا ايقافه على قدميه، سقط على الأرض، فأرجعناه الى المستشفى مرة أخري، فحجزوه فى غرفة سيئة. ووصفوا له مجموعة من الأدوية والحقن من خارج المستشفي، وغيرها من التجهيزات الطبية فاشتريناها، وأعطيناها للطاقم المعالج له، وظل ستة أيام طريح سرير الحجرة التى وضعوه فيها دون اجراء أى جراحة له، أو حتى أشعة للاطمئنان على حالته، فحدثت له مضاعفات خطيرة، اذ تبين فيما بعد أن أربع فقرات من العمود الفقرى تأثرت نتيجة الحادث، وكان ضرورياً اجراء جراحات عاجلة له، لكن إهماله بلا متابعة طبية ترك أثراً سلبياً على الحبل الشوكي، وأصابه بالعجز عن الحركة نهائياًوخيم الحزن على المنزل، وساد الصمت أرجاءه، بعد أن تحول «العريس» الذى ملأ الدنيا أملا وطموحاً ونشاطاً الى كومة لحم، فحتى حاجته لم يعد باستطاعته أن يقضيها بمفرده، وجلست أفكر فى أمره، ماذا أفعل لإنقاذ ابنى الذى صار حقل تجارب لغير المتخصصين ونقلته الى مستشفى خاص، وبدأت رحلة عذاب وخوف من المصير الذى يتهدده، وراسلت كل ما أعرفه من الجهات الطبية ووزارة الصحة لانقاذه، ولم يسمعنى أحد، وصرفت ما كنت أدخره، لمتطلبات الأسرة، ومع ضيق الحال بعت الورشة، وتحولت الى عامل فيها، وتزامن مع هذه الأحزان التى تكالبت علينا أن عروس ابنى ذهبت الى بيت أهلها، وتركته يصارع مرضه وأحزانه، وكانت الصدمة شديدة اذ لم نكن نتوقع منها ذلك، وبعد أن اعتبرناها منذ لحظة خطبتها له ابنة لنا، ولم نقصر معها، وكانت سعيدة بزوجها سعادة بالغة، ولا أدرى كيف تتغير معادن الناس الى هذا الحد؟ وهل يأمنون تقلبات الدهر التى لا تستقر على حال؟ ولم نعلق بأى كلمة على موقفها أو نطلب منها ان تقف بجوار زوجها، فهذه ثوابت راسخة فى النفوس لا يتعلمها الناس. ولا يكتسبونها، وتم الطلاق بهدوء، فاخذت كل مستحقاتها، ولم تمض أيام على طلاقها حتى علمنا أنها حامل واختلطت دموع ابنى فرحا بانه سيصبح أبا وحزنا على حاله وموقف مطلقته التى انتزعت الرحمة من قلبها، ومرت شهور الحمل ووضعت طفلا سماه أبوه «محمد» وأرسلت له الملابس والمصروفات وما هى إلا شهور معدودة حتى بعثت به إليناانها رحلة مريرة مازلنا نعيشها. ولم نيأس من ان تحوطنا رحمة الله وكرمه ورعايته.. صحيح ان العمليات التى أجريت لابنى فشلت جميعا، وأصيب بشلل نصفى فى الجزء الاسفل إلا أن الأمل الذى يبثه فينا كبار الأطباء يجعلنى أواصل

كفاحى من اجل علاجهوما اندهش له هو موقف الجهات الحكومية. فكلما بعثت باستغاثة بحالة ابنى أرسلوا لى كرسيا متحركا، ثم خصصت له محافظة الشرقية كشكا فى أطراف المركز الذى تتبعه قريتنا فى مكان ليس به عمران ولا حياة، ويلاقى الأمرين ذهابا اليه وعودة الى البيت، ولا جدوى منهان إيمانى بالله لاحدود له، وثقتى كاملة فى حكمة ما ابتلى سبحانه وتعالى ابنى به من مرض، لكنى سأظل اطرق الأبواب سعيا لعلاج أحمد الذى بلغ سن الثامنة والعشرين، وتقتلنى الحسرة كلما نظرت اليه. وهو يحمل ابنه الصغير فى «حجره» ويقبله ويلعب معه، وقد علت وجهه نظرة انكسار لحاله، أتدرى ماذا فعلت قبل أن اكتب اليك هذه السطورلقد ذهبت الى خطاط أعد لى لافتة كبيرة قاسية مكتوبا عليها «هذا المنزل للبيع» ووضعتها فى مدخل بيتي، نعم سأبيع البيت مادامت هناك بارقة أمل فى شفائه، ونحن جميعا راضون تمام الرضا بما قسمه الله، ونأمل أن يكشف عنه الضر، ولسان «حالى يردد دائما عبارتك الشهيرة التى تأتى كثيرا فى ردودك على رسائل قرائك «لا يأس مع الحياة

==

الكوب المكسور

أنتهز فرصة وجودي في القاهرة في اجازة لمدة شهر لكي أكتب إليك وأطلب مساعدتك، فأنا سيدة شابة في الخامسة والعشرين من عمري نشأت في أسرة طيبة متدينة، ولي شقيق يصغرني ببضع سنوات فأما أبي فإنه رجل حازم مدقق في كل شيء بحكم عمله وطبيعة دراسته العملية، ويحب دائما أن يتعامل مع الجميع بالحق ووفقا للأصول، كما أنه إنسان ملتزم ويحب أسرته وأبناءه ويجاهد لاسعادهم ويشغل منصبا قياديا في شركة كبيرة، وأما والدتي فهي سيدة جامعية وتعمل بإحدي الوزارات وتعيش حياة زوجية موفقة مع والدي وتتصف بالحنان.

وقد بدأت قصتي خلال مرحلة الثانوية العامة، حين تعثرت في دراستي بالرغم من مساعدة أبي لي في دروسي ورغم الدروس الخصوصية والمجموعات الدراسية.. فلقد رسبت في الامتحان بسبب عدم تركيزي واستهتاري في الاستذكار مما دعا أبي لتعنيفي بشدة لكيلا يتكرر الفشل.. وبدلا من أن أتفهم هذه الشدة من جانبه وأقدر دوافعها اعتبرتها نوعا من القسوة والظلم وفسدت مشاعري تجاه أبي، وفي هذا الجو المتوتر تعرفت علي شاب من الجيران يدرس بإحدي الكليات العملية، فأظهر لي الحب والحنان وتعاطف مع ظروفي وأشعرني بأن أبي قاس وظالم وجلاد، وأن الله قد أرسله هو إلي ليمسح دموعي ويخفف عني وينقذني من بطشه!

وظهرت نتيجة الثانوية العامة ونجحت بمجموع متواضع والتحقت باحدي الكليات واستمرت علاقتي بهذا الشاب طوال سنوات الدراسة دون أن تعلم أسرتي شيئا.. وكان قد وثق علاقته بأخي الأصغر لكي يسهل له مهمته ويرسل لي معه بعض الرسائل، وفي هذه الرسائل كان يكتب لي كلمات غرامية ملتهبة ويدعوني بكلمة زوجتي.. أو امرأتي.. الخ وكنت أحتفظ بهذه الرسائل في مكان خفي بدولاب ملابسي إلي أن جاء يوم واكتشفها أبي بطريق الصدفة وقرأ ما فيها من ألفاظ بذيئة ووصفه له بأنه ظالم وجلاد فجن جنونه وانهال علي ضربا ووبخ أخي علي عدم نخوته وتقاعسه عن المحافظة علي أخته من عبث هذا الشاب، وحذرني من مقابلته أو التعامل معه بأية صورة من الصور.

وحاول الشاب بعد ذلك أن يتصل بأبي أو يلتقي به ليشرح له موقفه ويتقدم لخطبتي فلم يتمكن من ذلك.. وبعد محاولات طويلة التقي به في مكان عام وعرفه بنفسه واعتذر له عما بدر منه وطلب من أبي أن يقبل بخطبته لي فرفض رفضا قاطعا ووبخه علي سوء سلوكه وألفاظه غير المهذبة في رسائله، وأسلوبه في الوصول إلي قلبي عن طريق تحسين صورته مقابل تشويه صورة أبي في نظري.

ولم ييأس الشاب بالرغم من ذلك من نيل موافقة أبي، وراح طوال عام كامل يوسط الأهل والأقارب والأصدقاء لديه، وأمام دموعي كل يوم وذبولي ووساطة أمي، قبل أبي في النهاية هذا الشاب من حيث المبدأ وبشرط ألا تتم الخطبة الرسمية قبل مرور عام يكون خلاله قد انتهي من أداء الخدمة العسكرية، وأكون قد انتهيت من دراستي، وعلي ألا يحاول الاتصال بي بأي وسيلة خلال هذا العام، عقابا له ولي علي سلوكنا الخاطيء منذ البداية واثباتا لالتزامنا بأوامره، وسعدت أنا بذلك وسعدت أمي معي وسعد هذا الشاب وأسرته بذلك، لكن التزامنا بتحذيرات أبي لم يكن كاملا خلال عام التأجيل.

ثم حضر هذا الشاب بعد ذلك إلي البيت وتقدم لخطبتي رسميا وتم الاتفاق علي كل شيء.. واشتري لي أبي أجمل فستان للخطبة وأقام لي حفلا جميلا بأحد الفنادق الكبري، وفي أول زيارة لخطيبي لي في البيت بعد الخطبة رحب به أبي وقال له إنه قد نسي كل شيء حدث في الماضي ويعتبره من الآن ابنا له.. وأحسست بصدق مشاعر أبي في ذلك في حين كنت أشعر من حديث خطيبي معي أنه لم ينس رفضه له لمدة عام كامل، وصدق احساسي بعد قليل حين تناقش خطيبي ذات يوم مع والدي في تعديل بعض ما اتفق عليه معه مثل موعد الزفاف والشقة وخلافه، واحتدم النقاش بينهما فأصر أبي علي الالتزام بما سبق الاتفاق عليه أو يفسخ الخطبة، وانصرف خطيبي غاضبا بعد أن طلب منه أبي ألا يتصل بي أو يقابلني إلا بعد الالتزام بما تم الاتفاق عليه، لكني التقيت به سرا بعد ذلك باسبوع فقال لي إنه قرر أن ينتقم من أبي ويرد له الصفعة مضاعفة ويتزوجني رغم أنفه ويضعه أمام الأمر الواقع.. وبالفعل اتصل بقريب لأمي يعرف أنه علي خلاف مع أبي وأبلغه بما اعتزمه وطلب منه ابلاغ أبي بذلك مؤكدا أن إحدا لن يستطيع أن يحول دونه ودون ما يعتزم القيام به، واستشاط والدي غضبا وأقسم أن يفسخ الخطبة

ولو لفترة ثلاثة شهور عقابا لخطيبي علي تحديه له.. وعلي ألا يقبل به مرة ثانية إلا إذا اعتذر عما قال وأبدي ندمه عليه وأقر بأنه لا يستطيع أن يرتبط بي بدون أذنه ورضائه، وجلس معي ذات يوم وأخذني في حضنه الدافيء وراح ينصحني وحذرني من الانسياق وراء هذا الشاب المستهتر ويبصرني بالعواقب الوخيمة التي ستقع إذا خذلته وخضعت لتهديدات هذا الشاب ويعدني بأن يقيم أجمل فرح ويجهزني أفضل جهاز إذا وقفت بجانبه في وجه تهور هذا الشاب إلي أن يلتزم وينفذ ما تم الاتفاق عليه.. واستمر حديثه هذا ثلاث ساعات كاملة ودموعه تنساب دون انقطاع علي خديه! وأرجو أن تسامحني حين أقول لك إنني قد تظاهرت أمامه بالامتثال وأكدت له أنه من المستحيل أن أخرج علي طاعته.. في نفس الوقت الذي كنت قد اتفقت فيه مع خطيبي علي الزواج في أول فرصة تتاح لنا بدون علم أبي وأسرتي.. وذات يوم لم يكن أبي في البيت فاستأذنت أمي في الخروج لزيارة جدتي وتوجهت إلي حيث كان خطيبي قد أعد كل شيء في حضور أسرته وقريب أمي وعدد قليل من أصدقائه وتم الزفاف في سرية وخوف وتكتم شديد وقام هذا القريب بالوكالة عني برغم سفر والدي للخارج.

وعلمت أسرتي بما حدث في اليوم التالي فنزل عليها النبأ كالصاعقة، وأصيب أبي بأزمة قلبية وارتفاع شديد في الضغط ونقل للمستشفي ومرضت أمي بالسكر، واعتبرني أبي منذ ذلك اليوم كما علمت بعد ذلك في عداد الموتي وأعلن الحداد علي أربعين يوما وعلق صورة لي في الصالون ووضع عليها شريطا أسود وأقسم ألا يعترف بي كابنة له ولا بزواجي ولا بثمرة هذا الزواج وألا أدخل بيته مدي الحياة وأن يظل قلبه غاضبا علي وعلي زوجي إلي آخر العمر.

وتدهورت حالتي النفسية سريعا وشعرت بالحزن الشديد وترددت علي الطبيب النفسي للعلاج وبعد شهور من محاولات العلاج واخراجي من حالة الحزن والاكتئاب قرر زوجي أن يسافر للعمل بدولة عربية ويصطحبني معه لكي ينسيني أسرتي وأهلي وجو الأحداث المحزنة.. وراح يبالغ في إظهار حبه لي ويغرقني بالهدايا من حين لآخر.. لكن هيهات أن يخرجني شيء من أحزاني وتعاستي فإن صورة أبي وهو يبكي تلاحقني في صحوي ومنامي فأنهض من نومي مفزوعة وأشعر بالحزن والألم والخوف وعذاب الضمير.. ولقد مضت ثلاث سنوات حتي الآن علي سفرنا وكلما رجعنا لبلدنا في اجازة أحاول توسيط بعض أقاربي ليشفعوا لي عند أبي في أن يسامحني علي خطئي الكبير، لكن قلب أبي كما يقولون لي لا يلين لي أبدا ولا يقبل مجرد ذكر اسمي أمامه، وكلما حدثه أحد عن اعترافي بخطيء يستشهد بكلمة لك في أحد ردودك تقول فيها ان الاعتراف بالخطأ لا يكفي وحده لكي يعفينا من اللوم إن لم نبادر بتصحيح الأخطاء ورد الحقوق المتعلقة بها ويقول أيضا إن الكوب الذي انكسر لا يمكن اصلاحه واعادته إلي حالته الأولي مرة أخري وأنا يا سيدي لا أمانع في فعل أي شيء للتكفير عن خطيئتي.. ومستعدة لتحمل أي عقاب يحكم علي به أبي في سبيل أن أنال عطفه ورضاءه وحبه وبالتالي حب كل الأسرة لي، لكن المشكلة في زوجي العنيد الذي يرفض أي عقوبة ويريد الاكتفاء بالاعتذار بالكلام فقط وليس اقتناعا بأنه أخطأ وإنما من أجلي لأنه يراني أبكي وأذبل أمامه يوما بعد يوم، كما أنني تعيسة في حياتي لهذا السبب ولا أشعر بطعم أي شيء ولا أسعد بشيء.. لذلك أرجوك أن توجه إليه كلمة لكي يشعر بخطئه في حقي وحق أسرتي وأبي ويخضع له ويطلب عفوه ويبدي له استعداده لتقبل أي عقاب في سبيل نيل رضائه، كما أرجو أن توجه كلمة لأبي الذي يقدر آراءك ترجوه فيها نيابة عني أن يقبل توبتي وندمي علي خيانتي له ويفتح لنا قلبه من جديد.. وحبذا لو اقترحت أنت اية عقوبة تراها عادلة وترضي أبي وترد له كرامته ويلتزم بها زوجي لكي يقبلنا أبي في حضنه كأبناء نادمين. كما أرجو أن توجه كلمة لكل فتاة مقبلة علي الزواج عن لساني ومن واقع خبرتي الأليمة أن السعادة الزوجية لا يمكن أن تتحقق إلا برضاء الأهل ومباركتهم لأن رضاءهم من رضاء الرب، وأنه أفضل للفتاة ألف مرة أن تبقي بلا زواج عن أن تخرج علي طاعة أبيها وأسرتها.. كما أن والدي الزوج مهما كانا عطوفين فإنهما لا يعوضان أبدا الفتاة المحرومة من حب أبيها عما حرمت منه.. والسلام.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

من الأساليب المرفوضة دينيا وأخلاقيا، أن نسعي لاكتساب محبة أحد بتبغيضه فيمن ينبغي له أن يحبه ويحتفظ له دائما باعظم الود والعرفان، والواضح هو أن زوجك ـ ربما لصغر سنه وقلة خبرته بالحياة في ذلك الحين ـ لم يعلم جيدا أنه ليس من النبالة في شيء أن يحبب إليك نفسه عن طريق المزايدة علي المشاعر السلبية الوقتية التي تملكتك في بعض الفترات تجاه أبيك لشدته عليك، بدلا من أن يستخدم تأثيره عليك في ترشيد هذه المشاعر المؤقتة.. وتبصيرك بما وراء هذه الشدة من حرص علي مستقبلك وخوف عليك من الفشل.. وإيثار لك بالحب والاهتمام، كما لم يكن يحق له كذلك مهما كانت معاناته من تشدد أبيك معه، أن يتحداه علي الملأ ويعلن عزمه علي الزواج منك رغما عن إرادته ولا أن يسعي لايلامه وجرح كرامته بابلاغه هذا التحدي المهين عن طريق من يعرف هو جيدا أنه لايكن له الود ولا يرجو له حسن العاقبة في الأمر.

ولا كان مما يحق له أيضا بأي حال من الأحوال أن يغريك بالخروج علي طاعة أبيك واتمام الزواج في غيبته ورغما عن إرادته، فيقهر بذلك إرادته ويشعره بالعجز والهوان والاذلال الأدبي.

أما أنت أيها السيدة الشابة فإن قائمة أخطائك في هذه القصة طويلة ومتعددة.. وتبدأ بارتباطك بهذا الشاب وأنت فتاة مراهقة بالمرحلة الثانوية، واساءة تفسيرك لشدة أبيك معك، وعدم التزامك بما قطعت علي نفسك من عهد لأبيك بعدم الاتصال بهذا الشاب خلال عام التأجيل، إلي أن تبلغ ذروتها المؤلمة.. بخداعك له حين طلب منك عدم

الانسياق وراء هذا الشاب المتهور إلي أن يلتزم بما سبق الاتفاق عليه وسالت دموعه الحارة ثلاث ساعات متصلة وهو يبصرك بعواقب الأمور ويرجوك ألا تخذليه وألا تطعنيه في قلبه وكرامته وأبوته بالخروج علي طاعته..
وكل ذلك في الوقت الذي تتفقين فيه مع خطيبك علي إتمام الزواج رغما عنه.. وتنتظرين الفرصة المواتية لتنفيذ هذا الاتفاق الذي يطعن أباك في الصميم ويهزم إرادته أمام فتاك المتهور.. فكأنما لم تؤثر فيك دموعه السخينة ولا رجاءاته الحارة لك ولا أمنيته الحسيرة أن تنصريه في الموقف الذي يتخذه تحقيقا لصالحك أنت قبل كل شيء، ومرارة الخذلان تدمي، أيتها الشابة حين تجيء الينا ممن كنا ننتظر منهم الانتصار لنا وليس لخصومنا.. ولؤم الخداع يمرر النفس والقلب حين يجيئنا ممن أخلصنا نحن لهم الود وطلبنا لهم الخير والسعادة، فلا عجب إذن أن مرض أبنك بالقلب وارتفاع الضغط ورقد طريح الفراش في المستشفي، ولاعجب أيضا في أن تكتشفي أنت بعد قليل أن زواجك ممن أحببت لم يحقق لك السعادة التي كنت تطمحين إليها، لأنك قد حرمت في مقابل ذلك من أشياء بالغة الأهمية لايعوضها اجتماع شمل المحبين إذا غابت عنهم، وأولها فرحة الأبوين والأهل بك والتفافهم حولك يوم عرسك، فضلا عن حبهم وحنانهم ودعمهم العاطفي والانساني لك.. فنحن لانسعد في المنفي ولا في النسيان، كما قال بطل رواية سوء تفاهم للأديب الفرنسي ألبير كامي.. وقطيعة الأهل لنا نفي لوجودنا وسعادتنا وسلامنا النفسي، ومحاولة نسيان الأهل واخراجهم من حياتنا أوالعيش بدونهم لاتحقق لنا في النهاية إلا الخراب النفسي والتعاسة الحقيقية والوحدة الداخلية مهما أحاط بنا من زحام الآخرين.
والسعادة التي تشوبها شوائب النبذ والنفي والاحساس بالذنب تجاه الأعزاء.. هي سعادة مسمومة مهما كانت طلاوتها الظاهرية، ولقد قلنا مرارا إن الضمير قد لا يمنعنا أحيانا من ارتكاب الخطايا، ولكنه يمنعنا دائما من الاستمتاع بثمار هذه الخطايا.
وحالك خير دليل علي ذلك،، فإن الضمير لم يمنعك من خذلانك لأبيك وخداعك له وخروجك علي طاعته، لكنه يحول دونك الآن ودون الاستمتاع بثمرة زواجك ممن تحبين، وبحياتك الشخصية بعد الزواج.
والحق إنني لا أفهم كيف يحبك زوجك ويرضي لك في نفس الوقت بتعاسة الحرمان من رضاء أبيك وأمك وأسرتك؟.. أو كيف يحبك ثم يتقاعس عن تقديم هذه التضحية البسيطة لك فيسعي لاسترضاء أبيك بكل الحيل والوسائل، وبنفس التصميم الذي نفذ به تحديه المعيب من قبل لأبيك، ويصبر عليه حتي تصفو له نفسه ويتقبل اعتذاره ويستشعر صدق ندمه.. والحب الحقيقي وغير الأناني هو الحب الذي يعبر عن نفسه، بالأفعال والتصرفات علي طريقة سيدني كارتن بطل رواية قصة مدينتين لتشارلز ديكنز، حين قال لفتاته: إنني مستعد لأن أقدم حياتي لك ولمن تحبين وليس لها وحدها دونهم. كما أنه مسئول أدبيا ودينيا وأخلاقيا عن قطيعة أهلك لك وحرمانك من رضاهم، ومن واجبه أن يسعي لاصلاح ما أفسده عليك باغرائك بالخروج علي طاعة أبيك واعانتك علي ذلك.
ولاشك في أن والدك، سوف يصفح الصفح الجميل عنك وعنه إذا قدمتما له الترضية الكافية.. وشعر في قرارة نفسه بصدق ندمك وندم زوجك علي ما فعلتما.. وصدق رغبتك في نيل عفوه واستعادة مودته.. فالآباء والأمهات ياسيدتي قد يغضبون.. ويقاطعون.. ويعلنون باللسان موت من أغضبهم من الأبناء.. لكنهم أبدا لايكرهون ولا يكفون عن التلهف الصامت المحسور في أعماقهم علي اللحظة التي يجيء فيها الابن الضال أو الابنة الضالة فتقف بين أيديهم باكية ونادمة ومتمثلة بقول الشاعر العربي:

إن كان ذنبي كل ذنب فإنه
قد محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

فلا تكتفي بارسال الوسطاء لأبيك وإنما اذهبي بنفسك إليه أولا واسكبي عبرة الندم بين يديه، وتحملي غضبه وعجزه المؤقت عن النسيان.. وكرري المحاولة مرة ثانية وثالثة إلي أن يرضي.
واصطحبي زوجك معك في الوقت الذي ترينه ملائما، لكي يعتذر به ويعترف بجريمته في حقه ويؤكد استعداده لتقبل أي شيء يراه هو مرضيا له للصفح عنه وعنك، ولقد يكتفي والدك بهذا الاعلان ويراه مضمدا لجراحه، ورادا لكرامته، وكافيا لإرضائه. فإن الملك في العصور الوسطي كان يكتفي بلمس كتف الفارس الراكع أمامه معبرا له عن استعداده للتضحية بحياته من أجله، بالسيف تأكيدا لهذا المعني، ولم يكن يقطع رقبته به ليتأكد من صدق الولاء، وكذلك سوف يفعل والدك بإذن الله.. إذ أن المهم لديه الآن أولا وقبل كل شيء هو أن يشعر بصدق ندمك وندم زوجك علي ما ارتكبتما في حقه، وليس توقيع العقاب أو قطع الرقاب!

==

الكـــــــــنز

السعادة.. الحب.. الضمير.. و..و...كلمات غامضة يستحيل بلوغها عن طريق التعريف اللغوي والتوصيف.. بل هي لآلئ ـ أو أغلي ـ يلزم أن تنقب عنها بالغوص بنفسك في أعماق أعماق الحياة.. لتكتشف في النهاية أنها داخل ذاتك أنت شخصيا..!!
فتخيل ما نلهث لبلوغه يمينا ويسارا بأرجاء الحياة، وندوخ من أجله السبع دوخات.. ما بين حل وترحال.. ومناصب أو ثروات أو.. تكتشف في النهاية أنه بداخلك أنت..!!

فما أغربها تلك الحياة بحكمتها وبلاغتها وسهلها الممتنع.. وما أعجبه ذلك الإنسان باندفاعه المحموم كالفراش نحو البريق الزائف والأضواء ـ محترقا بها في أغلب الأحوال ـ تاركا أعماق الذات مقفرة وموحشة.. دون أدني إنارة أو إعمار أو تعبيد..!!

وإذا كان للفيلسوف البليغ ديوجين مقولته الخالدة عندما شوهد يبحث بمصباحه عن شيء في عز النهار بالطرقات.. فلما سئل عنه أجاب أنه يبحث عن الإنسان.. ففي رأينا المتواضع أن هذا الإنسان يلزم أن يجري البحث عنه بالداخل وفي الأعماق وليس بالطرقات.. وأن هذا المصباح هو الآخر يلزم أن ينبع ويشع من الداخل كي ينير لنا هو تلك الدروب والطرقات!!..

إن بلوغ المعني الحقيقي لكل ما سبق يبقي طلسما غامضا يحتاج إلي من يفك رموزه.. فإذا بدأنا اليوم بمعني السعادة ـ محور رسالة الأسبوع الماضي ـ فما هي هذا الشيء الهلامي الأقرب إلي الوهم والسراب؟!

لاأخفيك أني بعد مناقشات ومبارزات مع النفس والغير حول مثل هذه المعاني، انتهت جميعها لمزيد من الغموض.. فقد قررت التوقف تماما عن مجرد التفكير فيها.. مركزا كل اهتماماتي علي القيام بالدور الأساسي الذي خلقنا المولي من أجله.. وهو إعمار الكون والأنفس من قبله وبعده.. وذلك وفق الخطوط الرشيدة والبليغة التي حددها لنا.. وهي أنه بذاته جل علاه، وبلا أي واسطة أو تقارير، سيري بنفسه هذه الأعمال.. وأنه من أجل ذلك أمرنا بالإتقان والذي يفوق بمراحل ـ لفظا ومعني ـ ما يسمي في عصرنا هذا بالجودة أو معاييرها.

بما يعنيه ذلك بالضرورة من عدم الكروتة أو التزويغ.. أو التذرع بتبريرات فاسدة ومدمرة من نوعية علي قد فلوسهم.. فأنت تعمل في هذه الحياة من الأصل والبداية بتكليف من الله وعنده مباشرة.. وأعمالك سيراها بذاته أولا بأول.

مضي بنا قطار الحياة بمحطاته ـ وبحوادثه وصداماته ـ والذي آثرنا أن نشارك بفعالية في جل أحداثه.. من تطوع عند الحروب.. أو المشاركة في حملات مضنية لجمع التبرع بالدم أو المال للمجهود الحربي أو عند الحوادث والكوارث.. وصولا للمشاركة أيضا بالمظاهرات.. ومعاك كشف الفساد.. و...و..

وانتهي بنا المطاف إلي نشاط محدود داخل أرجاء الكلية لمعاونة غير القادرين من الطلاب والعمال بالمصروفات والكساء.. وأغلقنا ملفاتنا ـ اكتفاء بهذا الدور ـ في انتظار أن يقضي الله بأمره المحتوم وبلوغ محطة الوصول.

لكن القدر كان له رأي مغاير.. فإذا بالخالق عز وجل وكأنه أراد أن يمنحني مكافأة نهاية الخدمة.. منبها إياي أن المهمة لم تنته بعد ـ بل وستبدأ من جديد ـ فإذا به يعثرني علي كنز رائع وثمين أتحدي أحدا بالعالم إلا قلة يصادفون مثله..!!

فذات يوم منذ نحو ثلاثة أعوام.. وبعد طرقات خافتة علي باب المكتب وثلاث من الملائكة الشابات يسألن عني شخصيا.. فتخيلت علي الفور انهن من طالبات المعونات.. فإن بهن من السخيات في العطاء.. بل ويملكن أنقي وأروع وأغلي مفاتيحه ـ عطاء الحب والنبل والمساندة والقيم والأحلام.. الأحلام بألا يوجد بمجتمعنا كسير أو محتاج.. وأنهن يرجونني أن أقبل تبني هذا الحلم والإشراف عليه.. فإذا بي أنا الذي أغلق ملفاته ويقبع بالانتظار أرجوهن باندفاع وحماس وإلحاح أن يقبلن هن أن يأخذوني معهن بهذا الحلم النبيل والنشاط.. وإذا بروح جديدة تدب بالعروق والأوصال.. وبدأنا ـ ومعنا نفر قليل من الطلاب ـ الرحلة والطريق.

واخترنا لأنفسنا اسم قافلة شعاع الخير.. ومازلنا نتذكر تلك اللحظات التي بدأنا فيها وقلوبنا تخفق بالأمل والرهبة والخوف ـ الخوف من الفشل في تحقيق أبسط الأحلام.. والتي لا نملك لها مليما واحدا من الإمكانيات.. وتوكلنا بكل إخلاص ورجاء علي الله.. فإذا بنا ومن اليوم التالي مباشرة تنفتح علينا أبواب السماء.. وينهمر الخير بصورة لا تصدق.. فأيقنا أن الله معنا.. وحمدناه وواصلنا المسير.. وبالأخص داخل الكلية لذوي الحاجة من الطلاب والعمال.

إلي أن جاء ذات يوم خارج التوقعات والحسبان.. عندما قررت قافلتنا المضيئة ـ وبأحد أيام رمضان ـ الذهاب ولأول مرة لأطفال الفشل الكلوي والسرطان وتنظيم حفل ترفيهي لهم.

وداخل قاعة مكتظة بالفقر والثياب المهلهلة والاصفرار والهزال.. ورائحة العرق الكريه والمرض.. وجو عام من الاكتئاب والإحباط.. فإذا بمفاجأة وتحول مذهل وغير متوقع يحدث فور دخولنا وعبورنا الباب.. فإذا بسكينة وأضواء روحانية تغمر الجميع والمكان.. وأحاسيس لا توصف.. وارتقاء لأعلي درجات السماء.. فأيقنا أن الله بملائكته كان في الانتظار والاستقبال.. وبالفعل فإذا بالكل في حالة وجدانية رائعة ومرهفة.. اختلطت فيها الدموع الساخنة مع الرقص والغناء لا فرق بين طالب وأستاذ والأطفال في أحضاننا أو فوق الأكتاف.. و..و..

وإذا باللحظات الخاطفة تعبر عن مرور ساعات.. ولا أحد يريد التوقف.. ولا حتي الفرقة التي كانت لديها ارتباطات.. ولا أهالي المرضي أو الأطفال.. إلي أن جاء التوقف في النهاية رضوخا وامتثالا لمقتضيات ومواعيد الدواء وجلسات العلاج..

وعدنا لمنازلنا بعد سفر مرهق ـ وبحكم السن والصيام ـ فيما يشبه الإنهاك.. وبعد غفوة التقاط أنفاس.. فإذا بي أرفض تماما مغادرة الفراش أو حتي إضاءة الحجرة.. فمازلت أعيش وأسبح في تلك الحالة الرائعة غير المسبوقة في حياتي علي الإطلاق.. واسترجع شريطها بلحظاته مرات ومرات.. لأفاجأ بهاتف دخيل من الأعماق يقطع

علي هذه الحالة بعند وإصرار.. ويقول لي كنت تتساءل في الماضي عن معني السعادة.. فها انت تعيشها الآن بكل مذاقها ونبلها.. ولا تريد أن تتسرب منك أحاسيسها أو روعتها!!

فيا الله.. أخيرا جاءتنا الإجابة.. وبعد أن انصرفنا أساسا عن التفكير في السؤال!!.

طيب.. وإذا كانت هذه هي السعادة، فبماذا نسمي ما كنا نشعر به بأنشطتنا السابقة من تبرع بالدماء أو مساندة العديد من ذوي الحاجات.. فيأتينا الرد بأنه كان الإحساس بالرضا عن أداء المهمة، أو ما هو أكثر منها.. أما ما حدث اليوم فهو يختلف جذريا عن كل ما سبق.

وكان الدرس: السعادة ليست سلعة جاهزة يمكن الحصول عليها بالمال أو بالجاه بل يجب أن تصنعها أنت بذاتك وكيانك.. وأن تغرسها في نفوس الآخرين.. كي تحصدها في النهاية من نظرات العيون!!..

يا الله.. ما هذه البلاغة في الدروس؟ أي أن السعادة يستحيل أن يبلغها الإنسان لنفسه متفردا وحيدا.. وأنها لا تأتينا إلا بغرسها لدي الآخرين.. ما هذه الروعة؟!.

ولعل في ذلك إجابة علي صاحب الرسالة الذي كان يكتفي بإعطاء أو بالأحري إلقاء بعض الصدقات والجنيهات علي أشقائه دون أن يعيرهم أدني اهتمام.. ويشكو من التعاسة والجفاف!!.

وللأسف فأمثاله بالملايين ممن يتصورون وهما بأن دورهم يقتصر علي مجرد إخراج الصدقة أو الزكاة،، ودعك عن هؤلاء الجماد الذين يعجزون أو يتأففون من وضع اللقمة أو الدواء في فم أمهاتهم.. أو أن يغسلوا لهن أيديهن الطاهرة.. أو يدخلوا بهن لدورات المياه.. أو.. بل ولا يطيقون حتي السماع لهمومهن أو حكاياتهن المكررة والمعادة.. ويتصورون أنهم أبرأوا ذمتهم بالهدايا أو بالشهرية المقررة لهن أو للخادمة أو دار الرعاية التي وكلت بها بدلا منهم.

وهم أنفسهم بالمناسبة نفس الأراضي البور والجماد الذين يتأففون من زيارة أي مريض بالمستشفيات تحت تلك الحجة البالية، أن مشاعرهم لا تحتمل ـ ياعيني ـ مشاهدة هذه الحالات، وهم في واقع الأمر لا يملكون من هذه المشاعر سوي الأنانية المفرطة وحب الذات!!.

وعلنا هنا نتأمل معا في تلك المعاني الرائعة والبليغة التي وردت بكتاب النبي لجبران خليل جبران: أنك مهما أعطيت مما تملك.. فإنما أعطيت القليل.. أما العطاء الحقيقي فهو أن تعطي من ذاتك ومن نفسك.. ولعل هذا هو الفارق ذاته بين زراع وصناع الحياة والبهجة والسعادة.. وبين المحرومين منها ويظنون أنهم علي قيد الحياة!..

عموما توالت علينا بعد ذلك بالقافلة السعادة الرائعة والغامرة بلا حدود.. فالفئة المباركة القليلة التي كانت تنوء بأعباء العمل أضحت بالفعل قافلة متسعة كبيرة يشكو أعضاؤها أنه مازال لديهم الكثير من الطاقات غير المستغلة.. والخريجون لا يتركوننا إلا لسفر أو زواج.. ولتسمع من كل وافد جديد كلمات ونغمات وحيدة لا تتغير أنا ولدت من جديد.. قبل كده حياتي لم يكن لها معني.. أرجوكم عايز دور أكبر و..و...

وانتقلت أنا في الدور والمكانة من مجرد مشرف أو دكتور.. إلي أن أصبحت بالنسبة للجميع بابا فلان فهل من سعادة في الدنيا أعمق وأروع من ذلك.. أن تكون أبا لهذه الكوكبة الرائعة من الملائكة.. وأن تسمع بكل عذوبة وحنو لنداء بابا من أفواههم.. وقلوبهم طلابا وطالبات..؟! أتحدي.

فإذا كنت قد خرجت من الدنيا دون أي ثروة أو ممتلكات سوي هذه الكلمة الرائعة والوسام الذي اختصني به الله وملائكته ـ والذي ينطق به أحيانا بعض المعاقين والأيتام ـ فأنا بلا أدني شك من أغني أغني الأثرياء!!.

وامتد الغرس وشعاع الخير ليشمل الكثير من المجالات.. من إنشاءات وتجهيزات تعليمية بمدارس فقراء المعاقين التي تعاني اللا آدمية والإهمال.. للمشاركات الوجدانية والإنسانية أكثر من المادية للأيتام وأطفال الكلي والسرطان من المسلمين والمسيحيين علي حد سواء ـ. لتوزيع الأقمشة والبطاطين بالشتاء.. وشنط الطعام..و..

ولن تصدقني إذا قلت لك إننا في كل مرة نجد الله في الانتظار والاستقبال.. وننتقل إلي ذات الحالة الوجدانية والارتقاء لأعلي درجات السماء.. رافضين تماما ـ ودوما ـ الانصراف حتي بعد مغادرة الأطفال.. كنوع من التلذذ بالشعور بالروحانية والسعادة التي تغمرنا، والممزوجة بأروع لحظات حب تجمعنا بالقافلة لدرجة الشعور عند المغادرة في كل مرة بعذاب الفراق!!. هل تصدق..؟؟ والله.. والله.. هذا يحدث ـ بل وأكثر منه.

سيدي إذا صدقتني بأننا نجد الله في كل مرة بالانتظار.. فاسمح لي أيضا أن نقول لك إننا نراه.. وعلي الدوام.. فكم من مطلب بسيط أو عويص لبعض ذوي الحاجة مما قد نعجز عنه أو لا نملكه.. إلا ونجد وعلي الفور طارقا أو هاتفا بالتليفون ينبئنا شاكيا تصور بأنه لديه فائضا من هذا ـ نفس هذا الشيء ـ ولا يعرف كيف يتصرف أو يتصدق به لمن يحتاجه..!! فننظر إلي الله مبهورين وخاشعين.. ومرددين في نفس واحد يا سبحان الله!!..

ويتكرر هذا الأمر بصورة عجيبة ومذهلة مرات ومرات.. لدرجة أننا أصبحنا ما يشبه محطات للتفريغ والتحميل دون أي فضل منا!!.

بل ولدرجة أننا كنا نضطر في العديد من الحالات ـ تخفيفا للعبء.. أو حماية لأنفسنا من القيل والقال ـ أن نغلق هذه المحطة مقتصرين علي توجيه أصحاب الأيدي الكريمة رأسا لذوي الحاجات.

ويضيق المجال أن نسرد لكم لمسات السعادة الرقيقة والسامية التي تحاول القافلة أن تزرعها للجميع وفي شتي المناسبات.. من وفاء للمحالين للمعاش.. لاحتفاء بالأوائل.. إلي عيد الأم والذي يشمل من العاملات لهيئة التدريس.. ورمضان بشنطه الكريمة.. وإفطاره الرائع مع المرضي وأطفال الجنة من الأيتام والمعاقين.. وأعياد

أشقائنا المسيحيين ـ والتي كان آخرها والذي جاء ردا علي حادث الإسكندرية مهرجانا حقيقيا للحب والوفاء والانصهار.. والذي تفضلت صفحة شباب وتعليم بجريدتكم الرائدة بتناوله تفصيلا في حينه.

سيدي.. لم أقل لك إن حياتي نغمة حالمة بلا هموم ومشكلات أو حتي بلا أخطاء جسيمة وعيوب.. بل علي العكس فقد اختصني الله منها وله الحمد بالكثير والعويص... مما قد يستحق منك أن تفرد له صفحتك لأسابيع.. ولكنه أنعم علي في الوقت ذاته ببصيرة جعلتني ادرك ـ ومنذ البداية ـ ان للحياة أدوارها المتعددة والمتنوعة والمتشعبة.. وليست مجرد دور ضيق وحيد.. وأن لها بالتالي العديد من الدروب والطرقات.. فإذا صادفت تعثرا أو تعاسة باحدها الصحة أو الأسرة أو العمل.. فمازال أمامك باقي الطرقات.. وعلي رأسها دوما ذلك الطريق الذي تجد فيه ـ حتما ويقينا ـ الله دائما في الاستقبال والانتظار..!!

والآن فنحن علي أبواب عمل ضخم كبير ونبيل لأطفال السرطان وأمراض الدم بمستشفانا الجامعي يتطلب ملايين لن نحدثكم عنه الآن كي لا تتصور أن رسالتنا لهذا الغرض.. لكن لنقول لكم إننا لانملك له مليما واحدا.. لكننا علي ثقة تامة ـ ككل مرة ـ أن الله بالانتظار..!!

والفضل في ذلك كله ـ بعده عز وجل ـ لتلك الضمائر والقلوب الشابة التي تقود العمل وتبدع فيه بتفان وتجرد منقطع النظير.

فمن السهل والمنطقي أن تجد متقدما في السن أو شيخا أو قسيسا يهتم بأمور الأرامل ورعاية الأيتام.. أما عندما تجد ما هو أروع وابدع من ذلك يأتي من بين زهور غضة ومتفتحة وقلوب خضراء ـ منصرفين من أجلها عن جميع المغريات ـ فذلك هو الاعجاز.. وتلك هي السعادة المضاعفة.. سعادة اللحظة والانجاز.. وسعادة الاطمئنان علي مصير هذا الوطن بأن به أمثال تلك النماذج الراقية الرائعة.. والتي يوجد مثلها بالآلاف بالجمعيات الخيرية الشبابية الأخري.

فهل من اطمئنان وسعادة اروع.؟!

اتمني تقبيل هذه وإذا كان المسيح عليه السلام قد غسل بيده المباركة اقدام حوارييه.. فأنا لا استحيي القول بأني الأقدام.. أقدام ملائكة شباب صحبة وصحابة الخير.. والتي يسلكون بها طرق النبل الوعرة والمتربة للمساندة والعطاء.. بل وأضع هذه الأقدام ذاتها أيضا ـ وبكل فخر ورضا وسعادة ـ فوق رأسي قبل قلبي.!

فشكرا وسجودا وعرفانا للخالق عز وجل علي تلك المكافأة والكنز الذي وهبني إياه.. وتلك السعادة الرائعة التي غمرنا بها.. وأحاطنا بسر صنعتها.!!

والآن فهل استطعت ان أقترب من إجابة ذلك السؤال العويص عن معني السعادة وكيف نجدها؟ وهل اختلفت في ذلك عما وصفته انت في ردك علي صاحب الرسالة؟.. ام انها اتفقت معه في الجوهر والصميم..؟

وهل لمن يشكو التعاسة والجفاف أن يلحق بالطريق؟.. ام سيظل أسير الأطماع والأحقاد.. والغش والكروتة.. وجفاف الأفئدة والضمائر البور؟!

ولكم في النهاية خالص الحب والقبلات والدعاء..

دكتور/ عادل حسن قاسم

عضو هيئة التدريس ـ كلية التجارة ـ جامعة الزقازيق

سيدي.. قبل قراءتي لرسالتك بيوم واحد كنت في زيارة لمعهد الأورام التابع لجامعة القاهرة، وما شاهدته } وسمعته جعلني أشعر بالضآلة وبالغضب وبالدهشة.. كيف لنا أن ننام، أو نهنأ أو نتحدث عن السعادة، وبيننا أطفال وشباب يئنون من إصابتهم بالسرطان وتعجز إمكانات الدولة عن علاجهم، ونقف نحن مكتوفي الأيدي، علي الرغم من أننا نمتلك الكثير، والقليل منه يجعل الضحكة تتقافز علي شفاه بريئة.

كنز ثمين تشرع نوافذه أمامنا بزهورك الجميلة التي تؤكد أن مصر ستظل عامرة مزدهرة، دافئة، بشبابها الرائع الذي يبحث عن فرصة ليرفع الغطاء عن كم الخير والعطاء الذي يسكن قلوب مستقبل مصر.

دعني أحكي لك ولأصدقاء بريد الجمعة ما شهدته ـ وما أقوله لايدين المعهد بقدر ما يدين كل المجتمع خاصة مترفيه ـ فالمعهد بطوابقه المتعددة ينوء بزائريه، فلا مكان للأطفال الذين ينتظرون دورهم للحصول علي جرعة الكيماوي، أطفال تنام علي السلالم، وفي الطرقات، وأمام المعهد. لاتوجد حجرة خالية، الأطفال الذين يحصلون علي الجرعة يجلسون علي المقاعد بالساعات، معلقة في أياديهم المحاليل، يتحلق أهلوهم حولهم، تتلمس الحزن والحسرة في عيون الجميع،

أما الأسرة فقد ضاقت بنائميها، علي السرير الواحد أكثر من طفل، أجساد مهدودة، رؤوس حليقة، وابتسامات بريئة باهتة. المريض الواحد يتكلف عشرات الآلاف من الجنيهات، العلاج مكلف لكنه يأتي بنتائج مذهلة، الجانب المشرق في هذه المأساة، هم هؤلاء الزهور الذين تتحدث عنهم.. شباب وفتيات متطوعون للتخفيف عن الأطفال، يتحلقون حولهم كالملائكة، كل ركن في المعهد شاهد علي إنسان وجد سعادته في إسعاد الآخرين.. حجرة وحيدة ضيقة بها بعض الالعاب المهداة من الزائرين، يزدحم بها الأطفال، هل يمكن تخيل أن ألعاب أطفالنا التي نبدلها ونرميهايمكن أن تسعد هؤلاء الاطفال، الملابس القديمة

القصص الملونة، علب الحلوي، والكلمة الطيبة، كلها أشياء، مع بساطتها تمنحنا السعادة قبل أن تتسلل إلي قلوب هؤلاء الصغار الذين يقضون ليلهم في ألم وأنين.

سيدي.. أقدر الإحساس النبيل الذي تتحدث عنه، تلمسته بيدي، وأيقنت أن الله سبحانه وتعالي يبتلي البعض منا فيعجزه ويحرمه من سعادة بأبخس الأثمان.. بعضهم يبحث عن المحبة والسعادة بإقامة الحفلات والولائم وتقديم الهدايا لمن لا يحتاج، وتعمي بصيرته عن رؤية أبواب السعادة والرضا.

سيدي.. لا أريد تكرار معان سامية أوردتها في رسالتك، ولكني أعيد التأكيد علي أن السعادة لن تأتي أبدا إلا بإدخال البهجة إلي قلوب الآخرين، وأنتهزها فرصة لتذكير التائهين في دروب الحياة وهم يجهلون الدرب الممهد للسعادة، وأدعوهم إلي مد أياديهم الي المستشفيات، ودور الأيتام والملاجئ، فلن ننتظر هذا من الحكومة.. زيارة واحدة قد تكفي لإنارة طريق البهجة والاحساس بالرضا في النفوس.. وأذكرهم أيضا بأن مستشفي٥٧٣٥٧ قد اكتمل بناؤه الرائع، وأصبح علي وشك الافتتاح بعد شراء أغلب الاجهزة، وكل هذا تم بالتبرع بجنيه وأغلب الذين ساهموا في إنشاء هذا المشروع متبرعون بوقتهم، وخبرتهم، ومالهم، ونفوسهم الطيبة، هذا المستشفي سيستوعب كثيرا من أطفالنا المرضي، فأغلب مرضي السرطان من الأطفال أقل من١٨ سنة، لأن٤٢% من سكان مصر تحت هذه السن، والاحصاءات العالمية تقول إن واحدا من٣٠٠ تحت سن١٨ يصاب بهذا المرض، فإذا أضفنا عوامل الازدحام والتلوث لأيقنا أن مصر مصابة في مستقبلها.. هذا المستشفي يحتاج مزيدا من الدعم الانساني، من الزهور الطيبة أمثال أبنائك، الذين أدخلوا البهجة والتفاؤل الي نفسي مثلما أدخلوها إليك

وكذلك مشروعكم الرائع في جامعة الزقازيق الذي ينتظر زهورا جديدة تنهض به ليمسح ألم طفل أو دمعة أم. سيدي.. جاءت رسالتك كباقة أمل، وقمر علي طريق الخير، وسط رسائل مليئة بالشكوي من الحياة، من الحب والفراق والزواج الثاني والثالث، لتؤكد لنا مرة أخري، أننا في حاجة إلي إنارة ذواتنا حتي تشع بالخير علي الآخرين، فإذا هنئوا وقرت عيونهم.. نام البشر سعداء وإلي لقاء بإذن الله.

===

الكنز المفقود

عندما قرأت رسالة السيدة صاحبة المشكلة(الانتقام الشهي) تخيلت في بداية سطورها أنها قصتي وأن أحد ابنائي قد أرسلها اليك، لكني بعد استرسالي في قراءتها تبينت أنها لسيدة أخري تعاني ما أعانيه، فلقد تشابهنا في الانبهار بالبدلة الميري إياها وانجذابنا إليها في سن المراهقة وفتي الأحلام الذي كان يرتديها.

وتبدأ قصتي بتقدمه لأسرتي بعد قصة حب خلال دراستي بالجامعة، وتوجت هذه القصة بالزواج بعد التخرج وعملي بإحدي المؤسسات المرموقة، وتدرج هو في الرتب حتي وصل إلي أعلاها، وخلال فترة الخطبة وبعد الزواج أيضا حدثت بعض التصرفات الصغيرة بسبب علاقات نسائية ومكالمات مريبة مع بعض السيدات، وحين كنت أغضب لذلك وأعاتبه عليها كانت حجته أن طبيعة عمله تستلزم ذلك!

ومضت الحياة بالرغم من ذلك هادئة وسعيدة إلي أن انجبت ابنائي الثلاثة. وتغاضيت عن هذه الصغائر. إلي أن جاء اليوم الذي ارتكب فيه إحدي حماقاته بالاتصال بإحدي السيدات، وحدثت مشكلة كبيرة وصلت لرؤسائه وتم نقله بسببها إلي مدينة أخري نائية وسافرنا جميعا معه وانتقلت للعمل بشركة تماثل شركتي في مقر عمله وانتقل ابنائي لمدارس جديدة وأصدقاء جدد.

ومرت أربع سنوات وعدنا مرة أخري للمدينة الحبيبة التي نعيش فيها حاليا، ثم تزايدت عصبية زوجي وأصبح يتفوه بألفاظ غير لائقة لي وللأبناء لأتفه الأسباب وتحملنا ذلك واعتبرنا أن عصبيته ترجع إلي ظروف عمله وإلي نفسيته المتعبة في مجال العمل.

وبدأت اجتهد في عملي ورقيت إلي درجة أعلي، وزاد مرتبي، وبدأ زوجي يفتعل المشكلات حول مصروف البيت ومتطلبات الدراسة من كتب ودروس خصوصية وملابس، إلي أن وصلنا إلي اقتراح بأن يكون مصروف البيت مناصفة بيني وبينه، ولم أمانع في ذلك لأن الحياة الزوجية مشاركة وسرنا علي هذا النهج عدة سنوات، وزاد مرتبي فأصابه هذا بالضيق والحنق، وبدأ يتراجع عن مبدأ المناصفة بحجة أن مرتبي أعلي من مرتبه ووصلنا إلي طريق مسدود، وبدأ يماطل في دفع ما يخصه من مصروف البيت رغم أن مرتبه ازداد بشكل كبير بالإضافة إلي ممتلكاته وشهادات البنوك ذات العائد.. إلخ. بمعني أن حياته المادية كانت في أحسن الأحوال، ولم أدر سببا لتقاعسه عن الانفاق رغم يساره. ثم تبينت بعد ذلك سبب هذا التحول، وكانت الطامة الكبري أنه قد تزوج من سيدة أخري لاتمت للأنوثة بصلة، لكنها كانت ثرية وأكبر منه سنا وتزوجت عدة مرات في مصر وخارجها. فكانت هذه هي القشة التي قصمت ظهر البعير. فلقد تحملنا خلال السنوات الماضية بذاءة ألفاظه وعصبيته وعدم احترامه لأي انسان وعدم انفاقه، أما الزواج فأمر آخر، وعندما واجهته لم ينكر بل طلب السماح واعتذر وأبدي استعداده لطلاقها لأنه علي حد تعبيره قد(تورط) في هذه الزيجة السيئة، مؤكدا أنها ليست بالزوجة الصالحة وإنما هي فقط خزينة ممتلئة بالمال، وعلينا أن نفكر كيف نستفيد من هذا الكنز؟ وطالبني بالتمهل إلي أن ترحل عن الحياة وتصبح أملاكها لنا ننعم بها نحن وأولادنا! وبالطبع فقد استأت كثيرا لكلماته وآرائه، وأوضحت له أنها لو كانت عندها كنوز الدنيا فلن تمتد يدي أو يد أبنائي إليها ونحن في غني عن ذلك! وظهر جشعه الرهيب للمال وبدأت ابتعد عنه نفسيا، وكرهت اليوم الذي ارتبطت فيه به ثم ابتعدت عنه جسديا، حيث لم يف بوعده بطلاقها بحجة انه ينتظر قضاء الله فيها أو أن تطلب هي بنفسها الطلاق حتي تتنازل له عن المبلغ الذي كتبه لها في البداية

كطعم لكي تكون سخية وكريمة معه في الزواج، وتأكدت بعد ذلك من أن المبالغ التي يتحدث عنها كانت خاصة بأعمال تجارية له معها وأنه تلاعب بها بسببها. ووجدت نفسي في بئر سحيقة فماذا أفعل وهو لم يطلقها، وأنا لاأرضي أن أكون نصف زوجة، واقتنعت بأن انفصالي الداخلي عنه قد رد لي جزءا من كرامتي التي اهدرها، ولم أطلب الطلاق رغم سهولة إثبات زواجه الآخر حفاظا علي ابنائي الثلاثة، خاصة من تمت خطبتها منهم.. ورأيت أنه لا ذنب لهم في تحمل عواقب هذا الطلاق بالإضافة إلي أن هذا الموضوع قد يضعف من موقف الأبناء المقبلين علي الزواج مع أصهارهم. فكرت في هذا كثيرا، خاصة أنه ليست لي طموحات أخري في الزواج وينحصر طموحي في عملي ومركزي الاجتماعي وفي ابنائي وتطلعي لرؤية أحفادي والاستقرار النفسي بعد رحلة العذاب المرير، ودعوت الله أن يعطيني الصحة والقوة والصبر علي اجتياز الأيام الصعبة التي نحياها ولم أنس للحظة واحدة أن موضوع الطلاق سيؤثر أيضا علي ابني الذي ينتظره مستقبل باهر إن شاء الله في تخصصه الجامعي.

ونظرا لأنني كنت أحاول تجنبه وعدم إثارة مشكلة معه. فلقد قررت الاستمرار ظاهريا في هذا الزواج إلي أن تتزوج ابنتاي ثم أطلب الانفصال عنه وأنا كلي اقتناع بأنني قد أديت رسالتي علي خير وجه، وما يريحني نفسيا هو أنني قدمت لابنائي كل ما يتمنون وكرست لهم كل حياتي ودخلي وجهدي، وإحساسهم بي ومساندتهم لي تكفي لسعادتي واستقراري. لذلك فطلب الطلاق الآن لن يجدي شيئا بل سيدمر كل شئ. علما بأنني مستعدة للحياة معه في حالة طلاقه لهذه السيدة واستقامة أحواله.

وفي النهاية أقول لصاحبة رسالة الانتقام الشهي ألا يكفي طلاق زوجك للسيدة الأخري ورجوعه إليك. كفاك انتقاما وعيشي لبناتك ولزوجك العائد إليك ولا تشعريه دائما بهذا الخطأ وبذلك تكونين قد حققت انتقاما أكثر ذكاء.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أكرم تضحية تقدمها أم عطوف لابنائها هي أن تصبر علي ما تكره لكي تجنبهم تبعات الانفصال عن أبيهم، وهدم حياتهم العائلية المستقرة وإحراجهم في عيون أصهارهم الجدد وانسبائهم.

لقد اتخذت قرارا حكيما ياسيدتي بإعلاء مصلحة ابنائك واعتباراتهم العائلية والاجتماعية علي كرامتك الشخصية ومشاعرك الأنثوية.. وأضفت بذلك إلي نهر عطائك الدافق لهم الكثير والكثير مما لابد سوف يذكرونه لك دائما بالحب والعرفان والوفاء والاحترام، فلقد اخترت الطلاق المؤجل الي حين انتهاء التزامات الابناء واستقرارهم في أسرهم الجديدة.. ومن حقك بعد ذلك أن تختاري الوقت الملائم لإعلانه حين تأمنين ألا تؤثر تبعاته سلبا علي ابنائك.. فإن كان زوجك قد رجع عن غيه وعبثه ونظراته المادية الانتهازية هذه فلسوف تكون الفرصة متاحة أمامك للعدول عنه والبقاء في السفينة حتي نهاية الرحلة.. وإن لم يكن قد استوعب دروس اخطائه واعتذر عنها.. وتخلص من تطلعاته الكريهة.. فإن الانفصال في هذه الحالة لن يضير أحدا سواه ولن يمس إلا صورته وحده فأما كنزه الثمين الذي طالبك بمشاركته خططه الانتهازية لنزحه والاستفادة بثرواته.. فليهنأ به في وحدته وشيخوخته حين تنفصلين عنه، وهو في أشد الحاجة اليك وإلي مساندتك ورعايتك له وإن كنت أشك في انه سيظفر منه ذات يوم بشئ يستحق من أجله أن يفقد احترام زوجته وأم ابنائه له.. ومودتها ومودتهم له ولكن لله في خلقه شئون.. وشجون.

==

الكسل العاطفي

انتهيت للتو من قراءة رسالة(حتي يذوب الجليد) وقد كنت متابعة من قبل لهذا الموضوع الشائك بين الراسلة وزوجها وودت لو أرسلت من قبل للتعليق ولكني آثرت الانتظار لألم بكل جوانب الموضوع

واليوم أجدني أمام القصة المكررة في كثير من بيوتاتنا علي اختلاف التفاصيل، فقررت أن أحتكم اليك ياسيدي , لأني لم أصل بعد لمرحلة صاحبة الرسالة ويصبح ما بيني وبين زوجي جبال من الجليد، ولكنها مازالت رغم مرور خمسة عشر سنة علي زواجنا، تلالا لا أدري أيذيبها زوجي أم يتركها لتتحول إلي جبال جرانيت وليس !جليدا فقط كما تقول

لا أدري كم مرة رجوت زوجي بعض الاهتمام، كلمة حب، لمسة حانية، شكر دافئ، مشاركتي في أي زيارات أو نزهات، الانتظام في الصلاة، ليصبح قدوة لولديه ولن أطمع وأقول يؤمني في الصلاة لأنها من المستحيلات، طلبت أيضا أن يلقي السلام عند دخوله الي المنزل بدلا من رفع يده بحركة دون كلمة وكأنني كرسي أو كنبة حتي صرت أردد بيني وبين نفسي عندما أراه خارجا عايزة حاجة ياحبيبتي وأرد لا عايزة سلامتك ياحبيبي، هذا بعض .ما استطيع أن أقوله لأن هناك حدودا لم استطع تجاوزها والحكي عنها لأنها قد تجرحه

ذات مرة حين ضيقت عليه الخناق بحاجاتي المعنوية واني أعيش في فراغ رومانسي، أحتاج لزوجي كي يملأه انفجر في واتهمني بأني أعيش في واد اخر ودنيا اخري واني لا أقدر مسئولياته بين عمله التجاري ووظيفته واللذين يستنفدان كل جهده ووقته، ويدخل المنزل غير راغب حتي في مجرد الكلمة، وعيشي زي كل الستات وبلاش الخيال اللي هيوديكي في داهية، مما اضطررني للاعتذار اليه ووعدي له ألا أفتح هذا الموضوع ثانية وليتك رأيت بوادر الارتياح علي وجهه وقتئذ وكأنه قد تخلص من حمل ثقيل، نعم الكلمة الصادفة والربتة علي الكتف وقت الشدة

حمل ثقيل.. وليتك سمعته حينما أخطأت مرة وحدثته عن مشكلة بيني وبين احدي اخواتي كم كانت ردوده مهينة حتي تمنيت الموت بدلا من الفضفضة معه.

أين المودة والرحمة اللذان أمر بهما المولي عز وجل في محكم آياته هل هي في توفير احتياجات البيت، هل هي في الحاحي حينما أريد كسوة شتاء أو صيف فيرد بجفاء طيب ما أنا مش باشتري لنفسي مع اننا مستورون بحمد الله ومع انه يحاول جاهدا اجابة طلبات ابنيه ولكن فيما يتعلق بي فلا حرج من اهمال مطالبي الشخصية وكان لابد أن تكون هناك تبعات.

صرت أتهرب من لقاءاتنا الحميمية، هل تدري لماذا ياسيدي واسفة لحديثي في هذا الموضوع الشائك كما صرح به الاستاذ رضا نبيه ـ صديق بريد الجمعة.

لأني أجد انسانا آخر غير زوجي، رقيق، مثالي، ودود، رومانسي فقط في هذه اللحظات، وكأن هذه العلاقة فقط هي التي تتطلب هذه الجوانب، لماذا لا أري منه هذه الرقة في غير هذه اللحظات وهذا الحنان أين هو في حياتي اليومية، وإذا ما كنت قادرا ان تكون بهذه الشخصية فلماذا لا يدوم الحال وكأنها فقط مسلسل للوصول الي هذه الغاية فقط، وكأن المرأة كما يحاول أن يصورها زوجي ليس لها إلا المطالب الجسدية ومادامت مشبعة فماذا تريد، ومادامت تأكل وتشرب وتلبس(قدر ما تيسر) فماذا تريد؟ هو افتراء علي حد تعبيره.. هل أنا فعلا مفترية هل أحمله فوق طاقته كما يقول؟ هل أعيش في زمن مضي ولن يعود؟

جرم كبير ان اطلب أن نخرج معا للنزهة أو التمشية مرة كل اسبوعين مع انه يجلس يوميا نحو ساعتين علي القهوة بعد انتهاء عمله وقبل عودته في منتصف الليل، يوميا دون كلل أو ملل، هذا حق نفسه عليه وحوار أصدقائه الذين يلتقي بهم يوميا وأنا ليس لي حق، اجبرته ذات مرة انا والأولاد علي الذهاب معا للمصيف بدلا من ذهابي مع اخواتي وأزواجهن بعد دموع وتوسلات، أتدري ما حدث سيدي، تركنا وعاد بعد يومين لانه لا يستطيع البعد عن مشروعه التجاري(فليذهب إلي الجحيم) المشروع طبعا!

التجئ اليك ياسيدي حكما وأرضي بحكمك تماما أيا كان، لا أريد الوصول لمرحلة صاحبة الرسالة وأفاجأ بأن مشاعري قد تبلدت ومع اني لن أطالب ان شاء الله بالتنحي ولكني قد أعيش جسدا بلا روح وأي حياة هذه؟ لا أريد أن أسمع منه كلمات اطراء كالتي أسمعها من كل من حولي لحسن تدبيري لشئون حياتي وبيتي وأولادي ولكني أريد بعض الاهتمام.

أريد منه مشاركتي في تفاهاتي.. أريده أن ينظر الي.. أن يراني لأنه: صدقني ياسيدي كف عن رؤيتي منذ زمن مهما غيرت في شعري أو ملابسي أو مكياجي لا يراني وكففت عن كل هذا منذ زمن.

ساعدني ياسيدي.. إما أن يكون رأيك في مثل زوجي(تافهة) فوقتها سأكف عن كل ذلك وسأدفن مشاعري أو نفسي لا فرق ـ للأبد وأعيش زي أي ست أو أكون علي صواب، فأتمسك بحقي في الحياة التي طالما حلمت بها ولن أنتظر كما يقول لي حتي يصل ماديا لما يريده، وساعتها سينظر في حاجاتي هذه لانه سيكون وصل لمرحلة الاطمئنان المادي ويستطيع أن يفعل كل هذا عن طيب خاطر(لا أدري كيف؟)

يقول لي أن الحياة تبدأ بعد الستين في الدول المتقدمة.. يا إلهي.. هل أنتظر للستين لأحظي بكلمة حب أو نظرة اهتمام أو مشاركة في زيارة عائلية أو نزهة كدت أفقد الأمل وأدفن مشاعري لولا هذه الرسالة التي أججت احتياجاتي وأكدت مشروعية مطالبي.. فما رأيك سيدي الفاضل.

سيدتي.. لا لست تافهة، ولا يجب عليك أو علي أي زوجة أن تعيش مثل الكرسي في البيت وتدفن مشاعرها < وتستسلم لجليد مشاعر زوجها حتي تتحول إلي جرانيت، لأنها بداية النهاية لأي علاقة زوجية.

لست تافهة ياسيدتي، وما تطالبين به ليس خيالا، بل هو فرض علي الزوج، أن يحسن معاملة زوجته ويلاعبها ويداعبها، ويسمعها ما تحب وترضي.. أن يؤمها في الصلاة، ويلقي عليها وعلي أهل بيته السلام في الخروج والدخول وأن يلبي احتياجاتهم، ويمنحهم من وقته ومشاعره، ويصحبهم في اجازاتهم، فهذه هي القوامة، وهذا ما أمره به دينه ورسوله عليه الصلاة والسلام.

سيدتي أنا لا أحرضك ولكن أعلن اتفاقي مع ما تطالبين به وأشجعك علي الدفاع عن زوجك وعن بيتك، لا تستسلمي لرؤيته، أصري علي حقك اطلبيه مرات ومرات برفق ولين مرة وعتاب وغضب مرات اخري حتي يذوب الجليد.

ما أقوله لك لا يعني أني مثالي أو أفعل مع زوجتي ما تطالبين به، فرسالتك تصدمني، تواجهني أنا أيضا بتقصيري أو عدم التفاتي أنا وغيري من الأزواج لتفاصيل صغيرة لا تكلفنا شيئا وتدخل البهجة علي شركائنا في الحياة، ولكننا نصل الي الكسل العاطفي بدواعي الانشغال والاجهاد في العمل.

كلمات بسيطة لن تكلف الزوج جهدا حتي لو لم يكن يشعر بها ولكنها علي الاقل ستعوض غيابه الطويل عن البيت، وتمد جسور المحبة والرحمة مع الزوجة، أم الأولاد، فالرجل يقضي يومه مجاملا ـ ولن أقول مغازلا ـ لكل من يلتقيه في عمله، ثم يضن بالقليل علي من تمنحه مشاعرها وجسدها وعمرها مكتفيا بالانفاق أو العلاقة الحميمية متغافلا عن أن الوصول الي قلب المرأة ومشاعرها لا يكون الا عبر أذنيها، فلماذا تجاهل الطريق السهل؟!

وأقول لزوجك العزيز إن النجاح في عملك لن يأتي وحياتك العائلية غير مستقرة، فلا تضحي بسعادة بين يديك، آملا أن تحصدها بعد الستين، فالحب استثمار، الق ببذوره في شبابك حتي تجده في كبرك، فقد يذهب حب زوجتك الذي تراهن عليه، وعندما تحتاجه قد لا تجده، ووقتها لن تشتريه بكل ما لديك من مال أو مناصب، الحق الان يا عزيزي مشاعر زوجتك قبل أن تتجمد وتصبح جليدا أو جرانيتا ووقتها ستخسر كل شيء، فالكارثة ان نشعر بقيمة ما كان بين يدينا بعد أن نفقده إلي الأبد!
وإلي لقاء قريب بإذن الله..

==

الكرسى المتحرك

أنا رجل فى سن الخامسة والخمسين، نشأت فى أسرة متوسطة بأحد أحياء القاهرة العتيقة، لأب يعمل مدرسا، وأم ربة منزل تمتد جذورها إلى عائلة معروفة بإحدى المحافظات الساحلية، ولى ثلاثة أشقاء، وتخرجنا فى كليات مختلفة عملية ونظرية، وصارت لكل منا حياته الخاصة، وحصلت على بكالوريوس الهندسةوكانت فرحة أسرتى بى كبيرة، ودوت الزغاريد فى المنزل، ومازلت أتذكر سجدة الشكر التى سجدتها والدتى لله عقب سماعها خبر نجاحى بتقدير جيد جدا، ماثلة أمام عينى، ولن أنسى أيضا دموع أبى، وهو يسمع الخبر، فلقد كانا يتمتعان بالطيبة والإيمان والتقوى، وانعكس نقاؤهما، وصفاء قلبيهما علينا، فصرنا مثلهما فى كل شىء... نسعد بالقليل، ونرضى بما قسمه الله لنا، وظل هذا منهجى فى الحياة إلى الآن،وتقدمت للعمل فى أكثر من جهة وشركة، ووفقنى الله إلى الالتحاق بجهة صناعية كبرى، وركزت فى عملى كل جهدى، فنلت ثقة رؤسائى، وتدرجت فى المناصب بها سريعا، وفى إجازة أحد الأعياد، كنا فى زيارة إلى أقارب والدتى فى بلدها الريفى، وأعجبتنى فتاة تصغرنى بعدة سنوات، وكانت وقتها طالبة بكلية الآداب فى جامعة إقليمية، والحق أنها ملكت قلبى من أول نظرة لملامحها الهادئة ووجهها الطفولى، ووجدت لديها ميولا لى، بإحساس داخلى لا استطيع وصفه، فحدثت والدتى بشأنها، فردت علىّ بأنها من عائلتها، وتمت إليها بصلة قرابة، وعلاقتها وطيدة بأهلها، وأن لها خمسة أشقاء، ومن مستوى اجتماعى قريب من مستوانا، وطلبت منى أن أتمهل وأدرس الموضوع جيدا، فإذا تأكدت من مشاعرى ناحيتها فسوف تتقدم لأسرتها لجس النبض، كما جرت العادة فى الأرياف، وبعدها بأسبوع، أبلغت والدتى بأننى أديت صلاة الاستخارة، واستبشرت بها خيرا، فأسرعت فى اليوم التالى إلى أسرة فتاتى، ووجدت ترحيبا كبيرا بى، وخطبتها فى حفل حضره الأهل والأصدقاء، وساعدنى والدى فى شراء شقة بإحدى المدن الجديدة، وبعد تخرجها مباشرة أتممنا زواجنا، وبدأنا معا حياة جديدة، ووجدتها حلوة العشرة، ومع صباح كل يوم تطبع قبلة على جبينى، وتدعو لى بدعوتها الجميلة التى مازالت ترن فى أذنى «ربنا يجعل لك فى كل خطوة سلامة» ومضت الأيام سريعة، ودخلت فى مشروع تجارى مع صديق لى يعمل محاسبا فى إحدى الشركات الخاصة، وتفتحت أمامى أبواب الرزقومر عام كامل دون أن تحمل زوجتى، فأصابها القلق من عدم الإنجاب، وخضنا فحوصا طبية عديدة، وتكررت زياراتنا إلى الأطباء، وجاءت النتائج كلها بأنها غير قادرة على الإنجاب بوضعها الحالى، وأنها قد تحتاج إلى علاج يستغرق فترات طويلة، فطمأنتها بأننا سنبذل أقصى ما نستطيع من أجل الإنجاب، لكن المسألة فى النهاية «قسمة ونصيب» وأننا أسعد من غيرنا ويكفينا حبنا وارتباطنا القوى، فالدنيا لا تكتمل لأحد، ثم مررنا بتجارب دوائية كثيرة باءت كلها بالفشل، وكانت الدموع تنهمر من عينيها بغزارة عقب كل زيارة، وأنظر إليها فيتقطع قلبى من أجلها، وأقسمت لها بالله العظيم أن هذه المسألة لا تشغلنى، وأننى لن أتخلى عنها، فلقد أحببتها كما هى، ولا حياة لى بدونها، وعندما تسمع ذلك منى تهدأ بعض الشىء، وتعود إلى ضحكتها البريئة، ثم سرعان ما تسيل أنهار الدموع على خديها، وخشيت أن يصيبها أى مكروه بسبب حزنها المكتوم وهى جالسة بمفردها بالمنزل، فكنت أتصل بها على فترات متقاربة، وأنا فى العمل للتسرية عنها، وعندما أعود إليها آخر النهار، أجدها قد أعدت طعام الغداء، وتنتظرنى لكى نتناوله معا، ونظل نتحدث معا فى أمور كثيرة، ونتفرج على التليفزيون، ولأنها تهوى القراءة والاطلاع، فقد أعددت لها مكتبة تزخر بشتى صنوف المعرفة، ثم أبلغتها بخبر أسعدها كثيرا، وهو أننى اشتريت قطعة أرض فى نفس المدينة الجديدة التى نقطن بها لكى نقيم عليها «فيلا» وعلى الفور بدأنا فى إقامتها، وكانت فرصة طيبة لها للخروج من البيت الذى تحبس فيه نفسها ليلا ونهارا، فداومت على متابعة انشائها، وقد استنفدت هذه «الفيلا» معظم مدخراتى علاوة على ثمن الشقة التى كنا نسكن فيها، وانتقلنا إلى الإقامة بها، وكانت زوجتى قد وصلت إلى سن الأربعين، فتضاءلت فرصها فى الإنجاب، فذكرتها من جديد بإرادة الله الذى يدبر الأمور كيف يشاء، وأعدت عليها تأكيد أننا أفضل من غيرنا، ويكفينا ما نحن فيه من توافق واطمئنان لا يتوافران للكثيرين.. صحيح أن أشقائى وأشقاءها قد تزوجوا ورزقهم الله بالبنين والبنات، لكن الصحيح أيضا أنه عز وجل ربما حرمنا من هذه النعمة لخير لنا لا نراه ولا نلمسه، وعلينا أن نرضى بحكمه وقدرهوذات يوم وفى أثناء عملى فأجأتنى آلام شديدة لم أشعر بها من قبل، فحولنى طبيب الجهة التى أعمل بها إلى استشارى فى الأمراض الباطنية، طلب منى اشاعات وفحوصات عديدة، وما أن اطلع عليها، حتى تجهم وجهه وحولنى إلى أستاذ معروف فى جراحة الصدر، وهناك عرفت أننى أصبت بسرطان الرئة، وتلزمنى جراحة عاجلة لإزالة الجزء المصاب قبل أن ينتقل المرض إلى مكان آخر، وحاولت إخفاء مرضى عن زوجتى، لكنى لم أستطع، إذ أبلغها الطبيب بتفاصيل حالتى، وأننى سوف أستكمل العلاج بجلسات الكيماوى

لمحاصرة المرض، وهنا سقطت على الأرض مغشيا عليها، وعلم بأمرنا أهلى وأهلها، فأتوا إلينا مهرولين، وانهار أبى وأمى تماما، وكانت أياما عصيبة، وتوالت المصائب، ونحن لا نصدق ما جرى، فلقد رحل أبواى واحد بعد الآخر، حيث مات أبى بعد شهر واحد ثم تبعته أمى، ولم يفصل رحيلهما سوى ثلاثة أسابيع، وبعدها بثلاثة أشهر رحل شقيقى الأكبر ثم رحل حماى، وغطت الأحزان العائلتين، كل هذا، وأنا ملازم الفراش بعد استئصال الورم، ولم أكن أغادر المنزل إلا لتعاطى جلسات «الكيماوى» وحصلت على إجازة من عملى لمدة ستة أشهر، وأوكلت أمرى إلى خالقى ثم حدث تطور جديد فى حياتنا، عندما جاءتنا أرملة شقيقى الأكبر، وقالت لزوجتى إن ابنها الأكبر خطب زميلة له، ونظرا لأن حالتهم المادية لا تسمح له بالحصول على شقة فى الوقت الحالى، فإنها ترجونا أن يتزوج ويقيم معنا إلى أن تتحسن ظروفه، فرفضت زوجتى بشدة، ودار هذا الحوار بينهما، وأنا نائم فى غرفتى بعد جلسة العلاج القاسية، وأبلغتنى به وهى تبكى بمرارة، وقالت: لقد ظهرت أطماعهم على حقيقتها، وأنهم سوف يبهدلونها بعد رحيلى، فهدأت من روعها وقلت لها... إنها «فيلتك» وسوف أقطع الشك باليقين، وسارعت إلى كتابتها وتسجيلها بإسمها فى الشهر العقارى، وفترت علاقتنا بأسرة شقيقى الراحل، بعد أن أدركت أن المسألة فيها طمع واضح، إذ إنه بإمكان ابن شقيقى أن يستأجر شقة فى الحى نفسه الذى نسكن فيه، ولا يثير حفيظتنا، وتجرح والدته زوجتى لأنها لم تنجب، وتجر علىّ متاعب جديدة، ويكفينى ما أعيشه من آلام وأوجاع ولأن ثقتى فى الله لا حدود لها، فقد انتظمت فى تعاطى العلاج، وكانت مشيئته سبحانه وتعالى أن تتحسن صحتى، وشيئا فشيئا شفيت من المرض اللعين، لكننا كنا على موعد آخر من الاختبارات الإلهية، فلقد شاءت الأقدار أن تمرض زوجتى، وأن يتكرر معها سيناريو الفحص والعلاج على النحو الذى حدث لى، وبينت الفحوص إصابتها بالسكر فى مرحلة متقدمة دون أن تدرى، وتطور المرض إلى غرغرينا فى ساقها اليمنى، وأجريت لها جراحة عاجلة تم فيها استئصالها، وبعدها بأشهر انتقل المرض إلى ساقها اليسرى، وبترت هى الأخرى، وصارت زوجتى أسيرة الكرسى المتحرك، واستعنا بسيدة تتولى شئون المنزل، وتظل معها طوال النهار إلى أن أعود من عملى، فأتسلم المهمة إلى صباح اليوم التالى، وبعد ما يقرب من عام تضاعفت متاعب زوجتى، بإصابتها بالفشل الكلوى، وخضوعها لجلسات الغسيل ثلاث مرات فى الأسبوع، ولك أن تتخيل مدى الألم الذى تعانيه، وهى على هذه الحال، وكم المشقة التى أتكبدها فى التنقل بها بين العيادات والمستشفيات، وقد صار الكرسى المتحرك هو العلاقة الأبرز فى حياتنا، فأحملها عليه إلى السيارة ثم أطويه وأضعه فى الحقيبة، ويتكرر المشهد يوما بعد يوم فى رحلتى الذهاب والعودةوهكذا تبدلت الأدوار، وأصبحت أنا الذى أشرفت على الموت سليما معافى، بينما هى التى لم تشك يوما من أى متاعب صحية أسيرة المرض، وقد ذبلت واصفر لونها، بعد أن كانت كالبدر ليلة التمام، وجاء اليوم المحتوم، فحين حل موعد جلسة الغسيل الكلوى رفضت زوجتى، ولأول مرة الذهاب لتلقى العلاج، وطلبت أن تبقى فى المنزل لكنى لم أدع لها فرصة لتنفيذ ما أرادت خوفا على حياتها، وأخذتها إلى المستشفى، وما أن بدأت جلسة الغسيل حتى فاضت روحها إلى بارئها، فبكيتها بكاء حارا، ولم أتمالك نفسى لأول مرة فى حياتى، وارتميت على السرير الذى تتمدد عليه، فحملنى الأطباء إلى غرفة العناية المركزة، واعطونى مهدئات، ولم أدر بما حولى، وأخذوا هاتفى،واتصلوا بأهلى وأهلها، فجاءوا على الفور، وتسلموا جثتها، ولازمنى بعضهم فى المستشفى، وخرجت بعد عدة أيام، وقد خلت الدنيا منها، وتلفت حولى، فلم أجد غير الكرسى المتحرك الشاهد على رحلة العذاب الأليم الذى قاسته فى أواخر عمرها، ودولاب الملابس، كما هو بترتيب يديهاوجاءنى شقيقاى وعدد من أبناء أعمامى، وقالوا لى إن الوضع قد تغير، وعلىّ أن أتزوج من سيدة ترعانى، وتكون لى عونا وسكنا فيما تبقى لى من عمر، وربما تنجب لى أولادا يعوضوننى عن حرمانى من الأبناء لعدم قدرة زوجتى الراحلة على الإنجاب.. فإستمعت إليهم فى صمت، ووعدتهم ببحث الأمر فى الوقت حتى فوجئت باخوة زوجتى يطالبوننى بميراثهم فى الفيلا، فهى مسجلة المناسب، ولم تمر على زيارتهم أيام بإسمها، وأصبح لهم النصيب الأكبر فيها؟!إسمعت كلامهم وأنا لا أصدق ما أسمعه... أيصل بهم الأمر إلى هذا الحد؟... إنهم يعلمون أن الفيلا ملكى، وأن أختهم لم يكن معها مالا لتدفعه فيها، وأنا سجلتها باسمها ارضاء لها، ولكى أطمئنها على أنه لن يستطيع أحد أن ينازعها فيها بعد رحيلى، ولكن شاءت الاقدار أن ترحل من الحياة قبلى، فهل يعقل أن يأخذوا منى شقاء عمرى، دون وجه حق؟... صحيح أن القانون سيكون فى صفهم من واقع الأوراق والمستندات، لكن أين الضمير، وأين القانون الإلهى؟. لقد أمهلونى بأخذ حقى فى حجرتين، وترك باقى الفيلا لهم، وإلا فإنهم سيلجأون إلى أخذ الفيلا عن طريق المحكمة!... لقد تذكرت موقف زوجتى الراحلة حين رفضت أن يعيش ابن شقيقى المتوفى معنا بضعة أشهر إلى أن يدبر سكنا خاصا به، وأيدتها فى موقفها... ولكن ها هم أهلها يطلبون منى الآن أن أتقوقع فى حجرتين، أو أن أترك المنزل نهائيا، فهل يعقل هذا؟.. وبماذا تشير علىّ فى هذا الموقف العصيب؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول

أؤيدك فيما اتخذته من خطوات، وما سرت عليه من منهج عبر مشوارك فى الحياة، ماعدا تسجيل ممتلكاتك باسم زوجتك على أساس أنك مريض وسترحل عن الدنيا قبلها، فحتى لو حدث ذلك مع أن هذه المسألة فى علم الله وقضائه وقدره، فإن مجرد تسجيل أى من ممتلكاتك باسمها سوف يترتب عليه فيما بعد حقوق لأناس ليست لهم، وكان الأفضل والأولى أن تهبها بعض ما تملكه، وليس كله على نحو ما فعلتوإذا انتقلنا إلى فلسفتك العامة فى

الحياة نجد أن الرضا بما قسمه الله، صار «ديدنك» ومنهاجك الذى لم تحد عنه لحظة واحدة، فعشت بقلب صاف، نقى لا يعرف حقدا ولا ضغينة لأحد، ولقد كان بإمكانك أن تتزوج من أخرى بعد أن تأكدت أن زوجتك غير قادرة على الإنجاب، لكنك لم تفعل ذلك لسببين أولهما: إيمانك القوى بالله سبحانه وتعالى بأنه فعال لما يريد، وقد يرزقك بالأبناء فى أى وقت يشاء، وثانيهما أنك وضعت نفسك مكان زوجتك، واتخذت قرارك بناء على ما استقر فى وجدانك، وبمثل هذا التفكير الراقى يثبت الحب، وتتعمق المودة، ويبنى الزوجان جسرا من الترابط لا تستطيع أن تفصم عراه أى خلافات، ولا تؤثر فيه أى شوائب

==

الكتمان

نحن اسرة تتكون من زوجة وشابين وابنة تخرجوا في الجامعة ويعملون في مراكز مناسبة والحمد لله ومستوانا الاجتماعي ميسور ولاينقصنا شيء والحمد لله.

ومشكلتي هي ابنتي الشابة الجميلة والتي لم يتعد عمرها ثلاثين عاما واصبحت مطلقة ولديها طفل عمره ٥ سنوات بسبب زيجة فاشلة ليس لنا ولا هي ايضا ذنب فيها الا انه القدر والنصيب وامر الله في عباده الصالحين. فقد خطبت ابنتي فور تخرجها في الجامعة لشاب يعمل في بلد عربي في ظرف ١٥ يوما ثم عاد ليتزوج ثم تركها وسافر ولم يأخذها معه متعللا بانها حامل واستمرت على ذلك لمدة ٤ سنوات ولا استطيع ان اصف مدى بخله وتقصيره في حق زوجته وابنه وكنا نلتمس له العذر بسبب الغربة ومعاناتها واستمر كذلك دون تغيير واعطاها والدها شقة ونفقات ليدها حتى لاتشعر بالحرمان بعد ان حاولنا كثيرا ان يغير زوجها من طباعه ورفض الرجوع كما وعدنا في اثناء الخطبة واخيرا طلبت ابنتي الطلاق منه عن طريق المحكمة وحصلت عليه والحمد لله منذ عام ونصف العام.

ومشكلتي الآن هي ان ابنتي هذه ترفض وبشدة اعلان خبر طلاقها سواء في محيط العمل أو الاصدقاء ولايعرف به من الأسرة الا قليلون متعللة بان زوجها السابق سافر ولن يعرف احد بما حدث،وقد حاولت معها كثيرا ولكنها ترفض بشدة واصرار وانا حزينة على ذلك كثيرا واتمنى ان تقتنع حتى تعيد ترتيب حياتها مرة اخرى بعد أن اصابني المرض من جراء قلقي على مصيرها بعد موتي.

فأرجو منك ان توجه لها كلمة حتى تتراجع عن هذا القرار ولكي تعرف ان الله سبحانه وتعالى سوف يعوضها عما عانته ولكي تعرف ان جوائز السماء مازالت موجودة للصابرين من أمثالها.

ولكاتبة هذه الرسالة اقول: لا معنى لهذا التكتم الشديد لخبر طلاقها، كما لو كان عارا عائليا.. تتستر عليه ابنتك.. ويحزنها ان يطلع عليه احد.

ففضلا عن ان سوء الحظ في زيجة غير موفقة ليس عارا يخجل منه احد.. فان كتمان خبر طلاقها في محيط العمل والأسرة وان كان يحميها مؤقتا من اطماع العابثين... الا انه يحرمها في الوقت نفسه من فرص تعويض الفشل والتعاسة.. اذ كيف ستستطيع ان تبدأ حياتها مرة اخرى اذا ظن الجميع انها زوجة محصنة لرجل آخر فلا يضعها احد في حساباته عند البحث عن شريكة حياة ولايفكر احد في التقدم ذات يوم الى خطبتها، ان مواجهة الحقيقة خير من انكارها او تجاهلها وليس المطلوب من ابنتك ان ترفع لافتة تعلن عليها خبر طلاقها من زوجها للجميع.. وانما المطلوب منها فقط ان تتعامل مع طلاقها كحقيقة واقعة ولا جدوى من انكارها ولامبرر للخجل منها.

==

الكبير

رسالة حق ولدي فتفتحت الجروح التي كنت أحاول أن أضمدها وأتناساها وتذكرت تلك الأيام المريرة التي مررت بها مع فلذة كبدي ونور عيني ابني الصغير ذي الخمسة أعوام الآن وعاما ونصف فقط وقتها.

أولا: دعني أخاطب صاحب رسالة حق ولدي وأقول له: اشكر الله ليلا ونهارا أن ابنك بخير رغم كل ماجري واعلم انك لن تأخذ حقا ولا باطلا من أحد وهذا ليس سلوكا سلبيا ولكن هذه هي الحقيقة وتأكد ان حقك وحق ابنك عند الله تعالي، وسيعطيه لك في الدنيا وفي الآخرة، وليكفيك أنك قد نجحت في اختبار الله لك وهم رسبوا.

أما عن حكايتي أنا وسأحاول ألا أطيل عليكم، فقد بدأت منذ قرابة الأربعة أعوام حين كان ابني عمره حوالي عام وثمانية أشهر، ولأن الله تعالي كريم فقد هداني الي الاكتشاف المبكر لورم بالمخيخ لدي طفلي هذا، بدأنا سريعا جدا مشوار التحاليل والأشعات والأطباء واستقر الرأي علي ذلك الطبيب الكبير والملقب بشيخ جراحي المخ والأعصاب فأشار علينا بضرورة اجراء عملية جراحية لاستئصال الورم وان هذه العملية قد اصبحت في سهولة عملية اللوز ٠ علي حد قوله، وأنه بانتهاء العملية علينا ان ننسي الأمر برمته. بالطبع انصعنا لكل اوامره وسلمنا أنفسنا له حتي فيما لم نكن نرضاه مثل المستشفي القابع علي النيل والتي أصر علي اجراء العملية به وهو في رأيي ورأي كل من يعرفها يبعد تمام البعد عن كونها مستشفي.

وفي الموعد المحدد يا سيدي وبشعور الأم انتابتني مشاعر رعب غريبة امام غرفة العمليات الخاصة بتلك المستشفي والتي بطاقم تمريضها تشبه كثيرا عنابر الجرحي في أفلام الحرب العالمية كما نشاهدها علي شاشات التليفزيون في الأفلام. خرج الطبيب، الكبير. مهرولا من تلك الغرفة بعد نحو ساعتين قائلا إن كل شيء علي ما

يرام وانصرف خارج المستشفي وبدأت المأساة ياسيدي ابني المفعم بالحركة والحيوية لا يستطيع أن يتحرك يتألم ألما شديدا حرارته بين الـ٣٩ والـ٤٠.٥ والحال في تدهور مستمر أحاول الاتصال بالطبيب ومساعد ابن إحدي الأسر الطبية المشهورة فيردون بمنتهي قلة الذوق بأن كل ذلك طبيعي وانني اعطلهما عن عملهم بالاتصال بهما وأنني أتدخل فيما لا يعنيني حين أسأل عن سبب حال ابني وبعد ثلاثة أيام كتبوا لنا علي خروج من المستشفي .قالوا إنه سيتحسن في الأيام القليلة المقبلة لكن هيهات ياسيدي فقد بدأت اري ابني يموت بين يدي

بالطبع لم أكن بانتظار كلامه لكنني كنت بالفعل أتابع الحالة في المنزل لحظة بلحظة مع طبيب العائلة وأسفرت التحاليل عن إصابة ابني بالتهاب في خلايا السحايا ناتج عن الاهمال في التعقيم أثناء العملية الجراحية وفيما بعد .أثناء الغيار علي الجرح وقد تفاقم الأمر سريعا لأن الطبيب الكبير لم يبادر بالعلاج

نصحني طبيب العائلة بأن أسرع بابني إلي المشفي نفسه لكي أجبر هذا الطبيب علي علاجه حيث انه من المعروف أن الجراحين لايقبلون أخطاء غيرهم فلن استطيع الذهاب لجراح آخر وفي الوقت نفسه لن استطيع السفر بابني وهو في هذه الحال لأنه لن يتحمل الوقت ومشقة السفر فعلت كما نصحني طبيب العائلة بدأت اتحمل كل اصناف الاهانات من ذلك الطبيب المتعجرف هو ومساعده الأكثر تعجرفا أملا في شفاء ابني لقد جعلاه فأر تجارب لمدة شهر ونصف الشهر علي حاله بل وأسوأ ولن أذكر التفاصيل الموجعة هنا فأنا لا أظن أن القراء سيتحملونها ثم دخل علينا يوما راكلا الباب بقدمه وقال لقد سئمتكم ألا تفهمون أنني قد فشلت في علاجه وانني قد قررت أن أتوقف عن مزاولة هذه المهنة بسببه اذهبوا من هنا وخذوه إلي طبيب آخر أو سافروا به إلي الخارج .وأريحوني

ذهبنا علي الفور لإدارة المستشفي نشكوه ونتوعدهم فإذا بهما يأتيان في الصباح وكأنهما شخصان أراهما لأول مرة تعلو الابتسامة وجهيهما ويقول لي الطبيب الكبير هل صدقت ما قلته لك بالأمس كيف استطيع أن أترك طفلا صغيرا علي هذه الحال فلتعتبريني مثل أبيك ومساعدي هذا مثل اخيك وتغفري لنا ذلة لسان وتسامحي وقد توصلنا أخيرا إلي الحل الأمثل وسوف نقوم غدا صباحا بإجراء عملية جراحية لابنك نركب له خلالها صماما بالمخ لتصريف السائل الذي تراكم نتيجة انسداد المجاري الطبيعية بالمخ وذلك نتيجة لشدة الالتهاب الناتج عن التلوث بالعملية الأولي أخيرا

.اعترف بأنه السبب، وسأرسل لك الآن مندوب شركة الصمام لتشتريه وهو بـ١٥٠٠ جنيه

ولم أكن أعرف يا سيدي أنني علي هذا القدر من الهبل والعبط، فقد صدقت هذين الرجلين، وقد تبدلا بين ليلة .وضحاها!! ولكن الحقيقة أنهما كانا يدبران للتخلص منا وإراحة أنفسهما

في الصباح التالي، ذهبنا كما أمرنا الي مركز الأشعة الذي اختاره هو وعدنا الي المستشفي بالأشعة استعدادا للعملية، فإذا به يدخل الغرفة ويقول: اسجدوا لله شكرا وتبرعوا بذلك الجهاز الذي اشتريتموه، فقد حدثت المعجزة وانتهي الانسداد وسوف يتحسن الصغير خلال أسبوع علي الأكثر ولكن عليكم أن تهرعوا به خارج المستشفي .فنحن في غني عن التقاطه لأية عدوي أو ميكروب من هنا

وفي خلال ذلك الأسبوع الذي تحدث عنه كان ابني قد أصبح بالفعل علي شفا الموت ولكن لأن الله لا يرضي الظلم فقد جعل أحد ملائكته يهبط علينا وينتشلنا مما نحن فيه وما كنا مقبلين عليه، طبيب علي خلق وإنسان قبل كل شيء، أستاذ بارع في جراحة المخ والأعصاب بطب قصر العيني ويشهد له العالم كله بذلك ومع كل ذلك هو قمة في التواضع والإنسانية، ذهبت له في العيادة وسط المئات من المرضي وسالت دموعي وأنا أرجوه أن يقبل حالة ابني التي هي نتاج لخطأ غيره، فماذا يفعل هو؟ يقول لي أنني لست في حاجة لرجائه أن ينقذ طفلا من الموت ويرجوني هو ألا أعيب في أستاذه المتسبب في الأذي ويأخذنا في الحال الي مستشفي قصر العيني الفرنساوي ونبدأ رحلة إنقاذ استمرت نحو خمسة أشهر متتالية أمضينا منها ثلاثة أشهر بالمستشفي وأجرينا خلالها .نحو٦ عمليات جراحية بمخ ابني الصغير، حتي تم الشفاء بحمد الله

لن أنسي أبدا هذا الطبيب الإنسان ومساعديه الشباب الثلاثة الذين ألقبهم ويلقبهم كل من يعرفهم بكتيبة الرجال، لن أنسي أبدا لهؤلاء الرجال هم وقائدهم هذا القدر الهائل والرائع من الرعاية الطبية والإنسانية لابني ولعائلتي الموجودة معي بالمستشفي، ونحن حتي اليوم علي اتصال دائم ليس للمتابعة الطبية فقط بل لتبادل المعايدة علي .بعضنا البعض في المناسبات وللاطمئنان علي صغيري ذي الأعوام الخمسة(سيف) الذي أصبح صديقهم الحميم

وهنا أود أن تتكرم سيدي المحرر الفاضل وتسمح لي بأن أشكر أصحاب الفضل علي وعلي ابني بعد الله تعالي، الأستاذ الدكتور/ عمرو محمود صفوت ـ أستاذ جراحة المخ والأعصاب بقصر العيني وفريقه: الدكتور/ وليد عباس والدكتور/ وائل أسامة والدكتور/ أحمد الفقي، وكذلك أشكر جزيل الشكر من رافقونا لحظة بلحظة خلال تلك الرحلة وكانوا سببا في نجاحها، الأستاذ الدكتور/ نبيل نصيف رزق ـ أستاذ الباطنة والقلب بجامعة عين شمس، والأستاذ الدكتور/ خالد محمد جميل ـ أستاذ طب وجراحة العيون بكلية طب القاهرة، واستشاري الشبكية .والجسم الزجاجي، والأستاذ الدكتور/ ايهاب رجائي ـ أستاذ طب الأطفال بجامعة الأزهر

أرأيت يا سيدي المحرر وأنت يا سيدي صاحب رسالة(حق ولدي)، أرأيتم كيف أن الله تعالي لا يرضي بالظلم أبدا، وكيف أنه يجزي الصابرين وكيف أنه بوجود كتيبة الرجال تلك وأمثالهم ستظل مصر بخير علي الرغم من .وجود الآخرين ممن نسوا ربهم فأنساهم أنفسهم ويا ويلهم في آخرتهم

وكأني برسالة حق ولدي فتحت جرحا قديما نازفا في قلب صحة مصر، فقد انهالت الرسائل التي يئن أصحابها * ويشكون من فوضي العلاج وإهمال الأطباء وضياع الحقوق، فما أسهل أن يضيع إبنك أمام عينيك أو تفقد أمك أو أبيك في لمح البصر بسبب إهمال طبي أو تشخيص خاطيء، أو تعالي طبيب اعتقد انه كبير، وفي النهاية الشماعة جاهزة الخطأ الطبي وارد وهذا يحدث في كل أنحاء العالم ولا يقولون لك إن هذا إذا حدث في الدول المحترمة سيحصل المريض علي حقه، وكذلك أهله، وسيدفع المخطيء الثمن، أما هنا، فلا توجد وسيلة أو قانون رادع لمن يهمل في عمله أو يتعالي ويتكبر علي مرضاه، وعلي العلم.

كثيرون أرسلوا يشتكون الطبيب نفسه المتعالي بطل جريمة الأسبوع الماضي، وعلي الرغم من أني لم أنشر اسمه أو مركزه الطبي فإن كثيرين حددوه اسما ووصفا، وجميعهم اشتكوا من أسلوب تعامله الفج والقاسي، ومن تشخيصه الخاطيء الذي يؤدي إلي كوارث.

يذهبون إليه لأنه كبير، وشهير، والكبير في بلادنا، يعني لديه عيادة كبيرة يظهر في الإعلام كثيرا، كشفه غال، كبير شكلا وظاهرا بلا مضمون حقيقي، بلا علم، بينما كان الكبير سابقا بعلمه وأدبه وخلقه وإنسانيته.

الإنسان في بلادنا مظلوم مرتين، مرة عندما يهان، ويتعرض للإهمال والإيذاء والثانية عندما لا يحصل علي حقه، ولا يعرف طريقه، لذا سيدتي الحق لا يضيع إلا إذا فرطنا فيه، والخير ينتصر عندما نقاوم الشر والفساد والفاسدين والمهملين والمتكبرين.

ولهذا أنشر رسائلكم حتي تصل أصواتكم وآلامكم للمسئولين لعلهم في وزارة الصحة ونقابة الأطباء يكونون أكثر حسما، وأمانة في مواجهة مثل هؤلاء الأطباء.

وحتي لا يتهمنا أحد بالإساءة لكل الأطباء، حرصت علي نشر أسماء كل الأطباء المحترمين، وهم كثر، فكلما طفا علي السطح نموذج فاسد أو مهمل، اكتشفنا في مواجهته آخرين عظماء، وكبارا حقا بعلمهم وإنسانيتهم، أدامهم الله لنا وزاد منهم، وحمانا جميعا من المرض حتي لا نكون ضحايا لهؤلاء الأطباء الجهلاء القساة، المتكبرين، وويل لهم يوم الحساب، يوم يحاسب الله الظالمين، ويرفع الظلم عن المظلومين. وإلي لقاء بإذن الله.

==

الكابـــــــــــوس

اكتب إليك الآن علي اعتبار صحة العبارة الشهيرة احكي عشان ترتاح ولأني لا استطيع أن أحكي لاحد لأني عندما أحكي لن أرتاح بل تزداد جراحي وآلامي لأن ما بداخلي لا يمكن أن يحكي لصديق أو قريب فهو السر الذي نخفيه أنا وأسرتي وإخوتي بالتحديد لكي تسير الحياة ولتظل الابتسامة في وجوه أفراد مجتمعنا وكأن شيئا لم يكن.

انا فتاة عمري ٩١ سنة أوسط اخوتي لدي أخ في المرحلة الابتدائية وأخت أكبر مني في الجامعة، أمي وأبي يحملان شهادات مرموقة وبقية العائلة أيضا، كانت حالتنا المادية عادية في بداية طفولتي وقتها كان لا ينقصني شيء أما الآن وبعد أن تيسرت أحوالنا احس بنقص في كل شيء واحمل أعباء المال كل يوم.

منذ طفولتي وأنا أعيش في عذاب بالبيت لأن أبي يحمل شخصية عصبية جدا ومتقلبة المزاج جدا كان كثير الشدة معي انا واختي لا أعرف هل هذا بطبيعة عمله الذي حتم عليه ذلك كما يقول، ولكن عندما أري من مثله في هذا المنصب أو العمل لا أجد هذه الطباع، كانت هذه الشدة سلاحا ذا حدين فبرغم ان كل الناس يشهدون باخلاقي انا واختي وحسن تربيتنا إلا أنها خلقت فجوة كبيرة بيننا وبينه ومنعت الحوار بيننا لأننا كنا نخشي التحدث خوفا من الرد المليء بالسب والقسوة والضرب المؤلم الذي لا انساه، ولا أنكر أن امي التي يعود لها الفضل الكبير في نشأة شخصيتي أنا واختي فهي من ربت وعلمت وكبرت وداوت واعطت وكل شيء يمكن أن تتخيله وزيادة ولكن كنا نحيا في عذاب المشاجرة بين أبي وأمي الذي كان لا ينتهي ويختلف من سبب لآخر، ولكن مع كل ذلك يا سيدي الآن انا انظر لتلك الأيام الماضية واتمناها تعود بحلوها ومرها مرت أيامنا علي هذا الحال سنوات وسنوات ثم تحسنت احوالنا المادية، وتوسع أبي في عمله في احدي المحافظات الأخري فكان بين هنا وهناك الي أن أحست امي بتغير أحوال أبي فعند مجيئه من السفر يكون هادئا وتمر عدة أيام وينقلب حاله ومزاجه فيثور من أقل شيء حتي يسافر مرة أخري، حتي تأكدت امي من زواج ابي الثاني ولم تظهر له انها عرفت بذلك أملا في أن ينصلح ويعود مرة أخري، إلا أنها لم تتحمل هذا الوضع كثيرا وظهر كل شيء امام الجميع، وطلبت امي الانفصال بالود أو أن يترك تلك الزوجة الثانية ولكن رفض أبي ذلك متحججا بأنه لا يأخذ أوامر من أحد وأنه لا يريد أن يظلم زوجته الثانية، ولكنها هي التي ظلمت أولا ورضيت بالزواج، مع العلم بأن هذا الزواج يؤثر علي حياتها.

رفض أبي الانفصال عن أمي واضطرت امي للجوء الي المحكمة لإنهاء اجراءات الطلاق ومرت أيام الانفصال علينا سنوات من البكاء والحزن والالم فأنا لم أصدق أن يصل بيتنا في يوم من الأيام لكل هذا.. كانت دموعي لا تجف ولا يبتعد الحزن عني أنا وأخوتي وأمي، كان كل يوم يأتي بمشاكله بين الطرفين وأكثر ما كان يؤلمني السب المتبادل بينهما، كل ليلة.. حاولت أن أصبر واتحمل إلي أن تتم إجراءات الطلاق وتهدأ الأمور، وظننت أنه بعد أن ترك كل منهما الآخر ستهدأ الحياة من المشاكل التي كانت لا تنتهي ولكن فوجئت بحياة أخري، حياة مؤلمة في كل شيء حياة غريبة لم أتوقع أنني سأعيشها في يوم من الأيام، لم يعد شيء يفرحنا أو يدخل البهجة إلينا.

وبعدها بشهور يا سيدي تزوج أبي امرأة أخري، وسينجب منها، وقتها أحسست بكابوس لماذا يفعل أبي بنا كل هذا
هل هو سعيد الآن؟ كيف يكون سعيدا؟ مرضت أمي ومرضت أنا بالاكتئاب، تقريبا أصبحنا نكره بيتنا الذي كنا
نتمني أن ننتقل إليه، تحول البيت إلي مكان للبكاء، أمي تبكي كل ليلة وأخي الصغير عندما أنظر إلي أحواله
ينفطر قلبي عليه، فما ذنبه ليعيش في كل هذه المعاناة فهو ينظر حوله ويجد من يقربونه من الأولاد في المدرسة
أو من الأقارب يعيشون حياة أخري، أعلم أنك ستقول اننا أحسن من غيرنا بكثير فهناك من ولد ووجد نفسه يتيما
صدقني الأصعب أن تجد حولك أباك وأمك ولا تجد الأمان ولا الدفء أنظر إلي أصدقائي وهم يتكلمون عن آبائهم
وعن حواراتهم التي تدور بينهم والهزار والخروج وكأنها شيء طبيعي وهو فعلا شيء طبيعي ولكن عندنا لا،
ففي حياتنا لن نستطيع الخروج مع أبي وكأنه شيء محرم رغم أنه يخرج مع أصدقائه كثيرا، حتي يا سيدي عندما
يأتي للجلوس معنا فلا أحس بأي مشاعر تدور بيننا، فهو يجلس مع التليفزيون والتليفون حتي الأكل يفضل هو
دائما أن يأكل بمفرده حتي لو سنأكل في نفس الميعاد أحببت كثيرا من أساتذتي الرجال حبا أبويا وكنت أعاتب
نفسي علي ذلك، ولكن أنت تدري كم تحتاج البنت إلي وجود رجل قريب منها في مثل سني. أبي الآن يعاملنا علي
أننا أعداؤه ويري دائما أننا نقف ضده ومع والدتي ويكون رد فعله تجاهنا علي هذا الأساس، فدائما يزعق ويشخط
وتصبح عكننة علي أشياء غريبة وتافهة ولكن كل هذا انتقاما من أمي فكل منهما يعند أمام الآخر ولكن نحن الذين
ندفع الثمن، بيتنا الآن إما في صمت أو بكاء أو مشاجرة ليس لنا أصدقاء ولا أقارب في محافظتنا كل ليلة استيقظ
علي كابوس وتزداد حالة أمي من سييء إلي أسوأ وأعجز عن مساعدتها بأي شيء. في بعض الأحيان أقول
لنفسي إن موعد رحيلي قريب، وأتمني من الله أن يعوضني بزوج حنون ينسيني ما مضي من آلام ولكن أفكر في
أمي وأخي وأختي وهل سأتركهم إلي الوحدة والحزن، أنا أسأل نفسي كل ليلة هل أبي سعيد الآن؟ والله يا سيدي
ظللت أنا وأختي نحصل علي أعلي الدرجات وحتي في الجامعة نأخذ تقديرات جيدة وأخلاقنا يحلف بها الجميع،
!ونكن لأبينا كل احترام ونسمع كلامه دون مناقشة، فلماذا فعل كل هذا بنا؟
أصبحت أخفي وجهي من المجتمع حتي لا يقرأ أحد الأحزان علي وجهي، وأخفي حالتنا الاجتماعية التي أخجل
من أن يعرفها أحد... أنا الآن انتظر الحلقة الأخيرة فأنا منذ أن تغير حالنا وأنا أحس بأنني أعيش في مسلسل
درامي لن يخطر ببالي أن أعيشه في الواقع، وكنا دائما نقول أن المسلسلات والأفلام تكون مبالغة أكثر من الواقع
ولكني اكتشفت أن الواقع أكثر ألما وجرحا، ومع انتظار النهاية وكيف ستكون مريحة أم أليمة إلي أين سينتهي
حال بيتنا ومتي تجف دموعنا، أتمني دعاءك ودعاء قرائك لي ولأمي ولإخوتي ولأبي بأن يذهب الله الحزن عنا،
ويبعد الغمة من بيتنا ويهدي أبي.. فأنا كثيرا أفكر في ترك البيت، ولكن لا أعلم إلي أين سأذهب في هذه الدنيا
.وكثيرا أدعو الله أن يقرب أجلي إذا كان فيه رحمة لي فأنا أعلم أن الله أرحم بعباده حتي من أبي وأمي
ابنتي العزيزة.. رسالتك تكشف وجها آخر قبيحا للطلاق وللعلاقة السيئة بين الأبوين، ينشغل كل طرف >
بانتصاراته أو هزائمه فينشغل بحاله ولا يلتفت الي تأثير ذلك علي الأبناء الأبرياء الذين تتشوه مشاعرهم وترتبك
تركيبتهم النفسية، فينتظرون النهاية في بداية سني الحلم، ويرون في الهروب أو الموت حلا بدلا من أن يكون كل
ما يشغلهم التفوق الدراسي أو انتظار شريك العمر القادم. لا أعرف سر الشجار الدائم بين والديك منذ بداية
زواجهما، ربما لاختلاف الطباع أو لعدم وجود الحب أو لأخطاء في شخصية أحدهما أو لكليهما، وقد اتفهم ان
يكون هذا الخلاف والتنافر مبررا لأن يبحث الأب عن زيجة ثانية يجد راحته معها، خاصة بعد تحسن أحواله
المالية، وإن كان هذا لا يعني ان يكون الحل الجاهز للزوجين المختلفين هو الهروب لزوجة ثانية بدلا من مواجهة
المشكلات والبحث عن حل لها، ولكن مالا أفهمه هو سر إصرار الزوج علي القسوة والتعنت مع الزوجة التي
غضت الطرف في البداية، والقسوة الدائمة والمستمرة مع الأبناء، فعلت ما أردت ووجدت سعادتك ـ هذا إن
وجدتها ـ فلماذا تبخل ياسيدي ببعض هذه السعادة علي أسرتك؟ ولماذا ضننت علي زوجتك بحقها في الطلاق إذا
كان هذا أريح لها ولك بدلا من دفعها الي ساحات المحاكم، وتشويه ما تبقي من مودة ورحمة بينكما حتي من أجل
الأبناء؟! وما يزيد من حيرتي ويجعلني اتشكك في مدي اتزان الأب النفسي هو زواجه الثالث وحرصه علي
الانجاب ليضيف الي المعذبين طفلا جديدا. فكيف لأب فشل في تربية أبنائه الثلاثة وهرب منهم أن يأتي للحياة
بمولود رابع يلقي به الي المجهول، بدلا من الالتفات الي طفل وابنتين في سن حرجة وفي أشد الحاجة الي حنانه
واحتوائه وفهمه، بدلا من أن تبحث صغيرته عن كل هذا عند اساتذتها أو كل من يغريها بمشاعر الابوة الخادعة.
ابنتي العزيزة.. لا أحد منا يختار والديه، ولكننا علي الاقل نختار مستقبلنا، فإذا كان ماضيك ليس بيديك، فإن
مستقبلك ملك يمينك، والد ـ مهما فعل ـ له حق الطاعة والاحترام، لذا تجنبي الاصطدام به وقت وجوده في البيت،
وامنحي طاقة الحب بداخلك لأمك الغالية ولا تنشغلي بالحزن عليها لأنها اختارت شريكها ودفعت الثمن، فليس
من الحكمة البكاء علي ما كان، وواصلي احترامك لنفسك، يدك بيد شقيقتك، امنحا الحب والاهتمام والرعاية
لشقيقكما، وحاولا ان تجنباه ما تعرضتما له، لا توغرا صدره تجاه والده، ففي تفوقكم ما يسعد والدتكم ويؤمن
يبارك في عمرك حتي تحسني الي والديك، مستقبلكم وثقي في عدل الله ورحمته، ولا تتمني الموت، بل ادع الله ان
وتحسني اختيار شريك حياتك، وعاهدي الله علي ألا تفعلي ما فعله والداك ويكون لك من الذرية الحسنة ما يقر
عينيك ويعوضك عما فات. البهجة ياصغيرة قادمة، فلا تضيعي أيامك الحلوة المقبلة بالنظر إلي ما فات، فالغرس
ليس غرسك، والذنب والعقاب من فاطر السماوات والأرض، لمن كان راعيا ولم يكن مسئولا عن رعيته، فمن

زرع العذاب والحنظل في فم الصغار الأبرياء لن يجني في نهاية الرحلة سوي العذاب والحنظل، حفظك الله ورعاك وهدي والدك، وإلي لقاء قريب بإذن الله.

==

القيود المتكسرة

أنا طبيب في الثانية والأربعين من العمر نشأت في أسرة بسيطة وشققت طريقي في التعليم معتمدا علي نفسي وكفاحي لتوفير نفقات الدراسة من خلال العمل في الاجازات الصيفية إلي أن تخرجت وعملت وبدأت ألتقط أنفاسي، وبعد عامين من تخرجي وقعت في هوي زميلة لي حاولت الاقتراب منها فلم تبد أي تجاوب تجاهي، وعلمت من زملائي أنها من أسرة كبيرة وتحيا حياة اجتماعية لامعة، ونصحني أكثر من زميل بأن أصرف نظرا عنها لأنها كما سمعوا متكبرة ومغرورة بأسرتها ومالها.. لكن كيف للقلب الذي لم يخفق من قبل أن يستجيب لنداء العقل..، لقد استولت علي عقلي وقلبي.. وشاع بين الزملاء أنني متيم بها وأنها لا تعيرني أدني اهتمام، ولم يدفعني ذلك لليأس منها.. فرحت أختلق الأسباب للحديث معها.. ومجاملتها.. فكانت تعاملني في بعض الأحيان بجفاء.. وفي أحيان أخري بشيء من الرقة..، وبعد شهور طويلة من ملاحقتها وامتهان نفسي في طلب مودتها كلفتني بمساعدتها في إعداد بحث كانت تقوم به، فسعدت كثيرا بذلك.. وبذلت كل جهدي في إعداد المطلوب من أرقام وإحصائيات، وطفت علي الجهات المختصة لإحضار البيانات اللازمة فكانت مكافأتي ابتسامة صغيرة وكلمة شكرا!

وتصورت أن ما حدث قد قرب بيننا.. لكني فوجئت بها تعود إلي جفائها معي.. واستمر الحال علي هذا النحو بضعة أسابيع، ثم طلبت مني أداء خدمة أخري لها.. وأديتها بحماس فشكرتني. ورجعت إلي جمودها وتحفظها من جديد، واستقرت العلاقة بيني وبينها علي هذا النحو أكثر من عامين.. أحترق لكي أظفر منها بلفتة عاطفية أو كلمة تطمئنني إلي أن لي نصيبا من قلبها.. وهي تواصل جمودها معي إلا إذا احتاجت إلي تكليفي بعمل أو خدمة، وشكوت حالي لأستاذي الذي أعمل معه.. فوعدني بأن يحاول إقناعها بقبول خطبتي لها.. وأبلغني بعد أيام أنه قد بذل كل ما في وسعه معها لكنها لم تستجب وأن رأيه الشخصي هو أنها مرتبطة بغيري ولا تفكر في علي الإطلاق!

وتلقيت الصدمة حزينا.. وحاولت بعد ذلك تجنب رؤيتها بقدر الإمكان وعرفت بعد قليل أنها قد خطبت لشاب ثري من أسرة كبيرة وتوالت الأحداث بعد ذلك متسارعة فتزوجت وسافرت مع زوجها في اجازة شهر العسل إلي إسبانيا ورجعت إلي العمل وقد ازدادت تكبرا وترفعا!

وخلال هذه الفترة حاولت إقناع نفسي بالتفكير في غيرها، فبدأت أتلفت حولي دون جدوي، وراحت أمي تضغط علي لكي أتزوج قبل أن يسرقني العمر.. وترشح لي كل حين فتاة جديدة، فوافقت علي خطبة فتاة من الأقارب البعيدين.. وتمت الخطبة وبدأنا ننشغل بالإعداد للزواج.. ووجدت في ذلك شواغل جديدة وبهجة، ثم ذهبت إلي العمل ذات يوم فرأيت زميلتي تركن سيارتها الحديثة وتنزل منها والتقت عيوننا فحييتها فردت التحية بابتسامة صغيرة، وتركتها في طريقي للعمل ففوجئت بها تناديني وتطلب مني الاقتراب فنظرت إلي طويلا ثم سألتني فجأة: أمازلت تحبني؟ واحمر وجهي خجلا وتلعثمت ولم أعرف بماذا أجيب.. فرجعت إلي سيارتها وقالت لي بلهجة آمرة: أركب! ووجدتني أستجيب لها بلا تفكير وقادت سيارتها إلي كازينو قريب علي النيل.. وروت لي أنها علي وشك الانفصال عن زوجها لأنها لم تجد السعادة معه.. وأن تجربتها قد علمتها أن من الأفضل لها أن تتزوج شابا يحبها ولو كان عادي الامكانات.. من أن تتزوج ثريا لا يحبها بنفس القدر..، وكالمسحور وجدتني أقول لها إنني مازلت أحبها وأتمني زواجها.. ونسيت في غمرة ذلك أنني خاطب فتاة أخري أستعد للزواج منها.. وأن هذه الزميلة لم تحفل بي ولا بمشاعري طوال السنين الماضية، وانتهت الجلسة باتفاق بيني وبينها علي أن أفسخ خطبتي.. وأن نتزوج بمجرد انقضاء عدتها بعد الطلاق وإنهاء مشاكلها مع زوجها.

وصارحت أستاذي بما حدث.. فتشكك في نيات زميلتي هذه.. وطالبني بعدم فسخ خطبتي والتروي إلي أن يستجلي الحقيقة.. وقال لي بعد أيام إنه قد عرف أن زميلتي هذه قد حصلت علي الطلاق بالفعل من زوجها بعد مشاكل مادية شديدة معه.. وأنها خرجت من هذه الزيجة بنصيب الأسد، حيث كانت قد أجبرت زوجها قبل الزواج علي أن يكتب لها الشقة باسمها.. ففازت بالشقة والأثاث وكمية كبيرة من المجوهرات فضلا عما أستنزفته من ماله خلال الزواج، وكذلك قطعة أرض صغيرة للبناء اشتراها باسمها! وجدد نصيحته لي بالابتعاد عنها لأنها علي حد تعبيره غول لا أستطيع الصمود أمامه.. لكن كيف للمسحور أن ينجو من الساحر..

لقد مضيت في الطريق الذي حذرني منه أستاذي.. وفسخت خطبتي رغم ثورة أمي وأهلي، ودموع قريبتي التي لا ذنب لها في شيء، وتقدمت لخطبة زميلتي الفاتنة.. واستجبت لكل مطالبها.. وأرهقت نفسي بتقديم شبكة باهظة الثمن ومهر فوق احتمالي.. ولم تنل الشقة التي كنت قد حصلت عليها خلال السنوات الماضية رضاءها.. فبعتها ودفعت ثمنها كمقدم لشقة أخري لائقة وكبلت نفسي بالأقساط والديون والشيكات المؤجلة.. وعملت في ثلاث جهات في وقت واحد لكي أستطيع الوفاء بالتزاماتي وتزوجنا في شقتها بصفة مؤقتة إلي أن ينتهي إعداد شقتي.. ونعمت بالسعادة التي كثيرا ما حلمت بها معها.. ولم أتوقف أمام أسلوب الحياة الذي فرضته علي منذ اللحظة الأولي.. حيث أشعرتني من البداية إنها قائدة السفينة.. وأن الزوج المحب هو الزوج المطيع الذي لايعترض علي

أي شيء.. ولا يرفض أي طلب لزوجته.. وحرمت علي أمي وأخوتي وأهلي دخول بيتي.. ورفضت أية صلة لها بهم.. في حين أدخلتني دائرتها العائلية من اليوم الأول.. وفرضت علي زيارة أفراد أسرتها وأقاربها.. وتبادل المجاملات معهم واستجبت لكل ذلك طائعا أو مرغما.. وعشنا ثلاث سنوات ولم ننجب لأنها رأت تأجيل الحمل إلي مرحلة لاحقة.. وفي عامنا الرابع أتيحت لي فرصة العمل في الخارج وكانت مغرية فسألتها عن رأيها فشجعتني علي السفر علي أن تلحق بي فيما بعد.. وسافرت علي أمل أن يجتمع شملنا بعد أسابيع، فمضت شهور قبل أن تحضر في زيارة لمدة أسبوعين.. وصارحتني بأنه من الأفضل لنا أن أبقي في الغربة بضع سنوات علي أن نلتقي في الإجازات كل٦ أشهر، لكي أستطيع ادخار مبلغ نبدأ به معا مشروعا يؤمن مستقبلنا في مصر..

ووافقتها علي رأيها.. وبدأت بعد ذلك أحول إليها معظم مدخراتي لكي تشتري أرضا لإقامة المشروع.. ثم لمستلزماته.. وأمضيت في الغربة٨ سنوات طويلة لا أري زوجتي خلالها إلا في الإجازات ثم رجعت إلي بلدي وعملي.. وبدأت أستعد لبدء المشروع الذي وضعت فيه كل مدخراتي.. وساهمت فيه زوجتي بأقل من ربع تكلفته، فوجدت كل أوراق المشروع باسمها دون أسمي ولفت نظرها إلي أننا نحتاج إلي تصحيح الأوراق بحيث يكون لي٧٥% من المشروع ويكون لها٢٥% منه وفقا لما دفعه كل منا فيه، فماطلت في تنفيذ ذلك، وتعجلتها فصارحتني ببرود بأن المشروع سيظل باسمها لأنها هي التي بذلت الجهد الأكبر في إقامته، كما أنها صاحبة الفكرة، ومادمنا زوجين فلا داعي لتغيير الأوراق لأن ما تملكه الزوجة يملكه زوجها بالتبعية! وشممت رائحة الغدر في حديثها.. فأصررت علي تعديل الملكية بما يتفق مع ما دفعه كل منا في المشروع، وأصرت هي علي الرفض.. وكشفت لي عن الوجه الذي حذرني منه أستاذي قبل بضع سنين.. فطردتني من مسكنها، وأرسلت لي حقيبة ملابسي مع البواب.. وتدخل الأصدقاء والوسطاء بيننا.. وبعد أهوال طويلة وجلسات تحكيم عديدة تعطفت زوجتي علي وقبلت أن تعطيني ثلث ما حولته إليها خلال سنوات الغربة مقابل إقرار مني لها بأنها ليست مدينة لي بشيء.. وأن المشروع ملك خالص لها، وتم ذلك بالفعل وأستردتت نحو٣٥% فقط مما حولته لها من الخارج بدعوي أن النسبة الباقية هي نفقاتها كزوجة في غيابي، مع أني كنت أدفع لها كل٦ أشهر مبلغا يغطي نفقات الفترة كلها، ومن عجب أن زوجتي بعد أن تم الاتفاق واستردتت ما نجحت في استرداده من مالي أعلنت أنها لا تمانع الآن في عودتي إلي البيت واستئناف حياتنا الزوجية معا بعد أن حلت المشكلة كما تقول!

لكني ولأول مرة منذ رأيتها.. شعرت بالنفور الشديد منها.. وظهرت في عيني رغم جمالها الجسدي كوحش ماص للدماء، امتصت دماء زوجها الأول، وامتصت من بعده دمي وشبابي وعمري.. فبادرتها وأمام الحاضرين بأني قد طلقتها وتحررت من أسرها.. فلم تهتز، وإنما سألتني في برود عن حقوقها المادية من مؤخر الصداق والنفقة! ورفضت التنازل عنها.. فلم أجد ما أقوله لها سوي أن أمامها المحاكم لتفصل بيننا في ذلك.

ووجدت نفسي في الأربعين من عمري ولم أنجب لأن زوجتي كما اكتشفت بعد ذلك لم تكن قادرة علي الانجاب لكنها راوغتني طوال السنوات الماضية لكيلا أكتشف هذه الحقيقة، وتذكرت قريبتي التي حطمت قلبها بغير ذنب جنته حين لوحت لي هذه السيدة بالقبول.. وتساءلت تري هل غفرت لي جريمتي في حقها؟ أم أن ما حدث لي في حياتي مع هذه السيدة كان عقاب السماء لي؟!..

وتحريت عن مصيرها.. وشعرت بالارتياح كثيرا حين علمت أنها قد تزوجت رجلا فاضلا بعد هجري لها بثلاث سنوات وأنجبت منه طفلين وسعيدة بزوجها وأبنائها وأسرتها، والآن يا سيدي فإني أرمم حياتي وقد اشتريت فراشا صغيرا لأنام عليه في شقتي الخالية، بعد أن أمضيت الفترة السابقة وأنا أنام علي مرتبة أسفنج.. وحمدت الله أنني لم أستجب لإلحاح زوجتي علي ببيع هذه الشقة ووضع ثمنها في المشروع وإلا كنت قد وجدتني بلا مأوي الآن وضاع ثمنها مع ما ضاع من مدخراتي..

وقد حصلت بما تبقي معي من مال علي شقة متواضعة أفتتحتها كعيادة إلي جانب عملي الحكومي.. وأحاول أن أسري عن نفسي بالعمل والاهتمام بمرضاي.. وسماع آلامهم وأحزانهم..

وصدق أو لا تصدق أنني قد تعرفت منذ أسابيع علي سيدة جاءتني في العيادة مع والدتها المريضة بالسكر.. فتبادلت معها الحديث خلال فحصي لوالدتها.. فإذا بالأم تروي لي عن ابنتها أنها مدرسة تقترب من الأربعين ومطلقة منذ شهور وعائدة حديثا بعد٦ سنوات من العمل في الغربة، وأن زوجها السابق سامحه الله قد استولي علي كل مدخراتها بمقتضي التوكيل الذي كان يحمله منها.. وتزوج عليها في مصر فلما رفضت هذا الوضع طلقها ورفض أن يعيد إليها مليما واحدا من مالها وأن هناك قضية في المحاكم بينهما علي نفقتها ومؤخر صداقها! يا ربي.. لقد كنت أظنني المغفل الوحيد علي هذه الأرض فإذا بالأيام تثبت لي أن هناك ضحايا آخرين مثلي.

وتكررت زيارة الأم وابنتها لي.. ومع ازدياد الألفة بيننا وجدتني أحكي لهما قصتي مع زوجتي السابقة بلا رتوش.. فإذا بالأم المريضة تقول لي في صراحة العجائز ولماذا لا تضع جرحك علي جرح أبنتي وتساعدان بعضكما بعضا علي السلوي والتعويض؟

ونظرت للابنة فوجدتها محمرة الوجه في خجل. وبعد انصرافهما فكرت فيما قالته الأم.. وتساءلت تري ما هي فرص نجاح مثل هذا الزواج إذا فكرت فيه، إنني أشعر بالارتياح للابنة وأجدها جميلة ومتدينة وطيبة ومسالمة ولا تطلب من الدنيا إلا الستر والسعادة.. فهل هي الزوجة الملائمة لي بعد تجربتي السابقة؟.. وهل تراني صالحا للزواج مرة أخري بعد التجربة السابقة التي زلزلت كياني؟ إن هذه السيدة لها طفل وحيد عمره٧ سنوات ووالده

لن يسترده إذا تزوجت أمه كما عرفت، وجدته هي التي ترعاه وهو مرتبط بها أكثر من ارتباطه بأمه.. فهل تشجعني كل هذه الظروف علي تكرار التجربة

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

إنك لم تخسر مالك وحده في زواجك السابق يا صديقي، وإنما خسرت ما هو أهم منه بكثير، إذ خسرت روحك وهويتك واعتزازك بكرامتك وكفاحك الشريف في الحياة، كما خسرت أهلك وأبويك وأخوتك وذويك وانتماءك لهم وانتماءهم لك حين استسلمت بلا أدني مقاومة لأسلوب الحياة الذي فرضته عليك زوجتك السابقة، وحين حرمت علي أبويك وأخوتك دخول بيتك، ونبذتهم جميعا واقتلعتك من جذورك العائلية وحاولت اعادة غرسك في وسطها العائلي.. ففقدت بذلك أهلك.. ولم تكسب أهلها وكأنما قد حكمت عليك بالنفي الأبدي عن عالمك الذي نشأت فيه وقومك الذين درجت بينهم. والإنسان لا يسعد أبدا في المنفي ولا في النسيان أي في نسيان جذوره العائلية وهويته، كما يقول الأديب الفرنسي الراحل ألبير كامي في روايته الرائعة سوء التفاهم وهو لا يحيا أبدا حياة طبيعية كريمة وهو منبت الجذور ومنقطع الصلة بأهله وذويه. ولهذا فلقد كانت فترة زواجك من زوجتك السابقة غربة حقيقية عن واقعك وقيمك الأصلية.. ودنياك العائلية.. وهي غربة أشد تدميرا للنفس والقيم من الغربة المكانية!

فإذا كنت قد تألمت أكبر الألم قبيل رجوعك إلي الحياة الطبيعية.. فلأنك قد تمردت علي الأغلال التي كبلتك بها زوجتك السابقة طوال سنوات ارتباطك بها.. والمفكر الفرنسي الكبير باسكال يقول لنا في كتابه الأفكار إن الإنسان لا يشعر بقيوده إذا اتبع مختارا من يجره.. فإذا بدأ المقاومة محاولا الابتعاد تألم غاية الألم!

غير أنه في النهاية ألم استرداد الروح والهوية واستقلال الإرادة والتحرر من العشق المذل للنفس والكرامة لمن لم تبادلك ذرة واحدة من العاطفة.. ولم تقدر لك تفانيك في محبتها وطاعتها ومودتها. وإنما استغلت عشقك الغامر لها في قهر ارادتك وإملاء رغباتها عليك.. واغتصاب مالك.

ونحن علي أية حال لا نتعلم الحكمة بغير ثمن باهظ من سعادتنا ومشاعرنا وأيامنا.

ومن عرف بالتجربة المؤلمة من لا يصلحون له فلقد عرف بالتالي الصالح المنشود.

وأنت قد عرفت الآن أن رغبتك العارمة، في امرأة لا تكفي وحدها لكي تجد السعادة والأمان والكرامة في جوارها.. وإنما يتطلب الأمر كذلك أن تحمل لك هذه المرأة بعض ما تحمله لها من مشاعر عاطفية أو من المودة والرحمة.. والرغبة الصادقة في السعادة والأمان وإسعاد شريك الحياة وأن تهتدي في حياتها بالقيم الدينية والأخلاقية الصحيحة التي تورثها روح العدل مع شريك الحياة والحياة بوجه عام وتنفرها من أن تظلمه أو تستبيح حقوقه..

ولأنه لم يتوافر في زواجك السابق شيء كثير من ذلك فلقد تحطم علي صخرة الأطماع المادية.. والحسابات المجردة.. والأنانية المفرطة، ولا عجب في ذلك.

والآن فإنك ترمم بنيان حياتك الذي تأثر بشدة بهذه التجربة المؤلمة.. فعسي أن تكون أول خطوة أقدمت عليها في هذا السبيل هي عودتك نادما إلي أحضان أمك وأخوتك وذويك الذين أبعدتك عنهم زوجتك السابقة طوال سنوات جاهليتك معها.. ذلك أن هذه هي البداية الصحيحة لتعويض الخسائر المعنوية والإنسانية والعائلية لمن استرد هويته وحطم أغلاله.. وليست فقط افتتاح عيادة جديدة ومحاولة تعويض الخسائر المادية، فأما السيدة المطلقة التي وضعتها الأقدار في طريقك ودهشت أنت كثيرا لتشابه ظروفها مع ظروفك إلي حد التطابق.. فلقد توقفت أمام ما ذكرته من صفاتها، وكيف أنها متدينة ومسالمة وطيبة ولا تحلم إلا بالستر والأمان، فالحق أن هذه الصفات هي الأجدر بالاهتمام بها من المواصفات الشكلية والجسمية التي اجتذبتك في الماضي لزوجتك السابقة.. فلم تتوقف كثيرا ولا قليلا للأسف أمام سمات شخصيتها المتكبرة.. المادية.. وبعدها عن الدين، وإذا كان الأديب الروسي العظيم انطون تشيكوف يقول لنا في إحدي قصصه، إن التعاسة لا تجمع بين الناس وإنما تفرق بينهم.. لأن التعساء مهمومون بأمرهم وليس في مقدورهم أن يعينوا غيرهم علي السلوي، فإني أري أن تشابه البلوي في مثل هذه الظروف كثيرا ما يجمع بين بعض البشر.. ويرقق مشاعرهم تجاه بعضهم البعض، والحق أنني لا أعول كثيرا علي رصيد التعاسة والتعرض للاستغلال من شريك الحياة، في الجمع بينك وبين تلك السيدة المطلقة.. بقدر ما أعول علي الرغبة المشتركة لدي كل منكما في السعادة.. والتعويض والأمان.. ونسيان التجارب الأليمة ومساعدة الطرف الآخر علي تجاوزها.. والفيصل في ذلك هو الطبيعة المسالمة والتدين والرغبة الدافقة في السعادة والأمان. فاختبر طباع هذه السيدة وشخصيتها عن قرب واتخذ قرارك علي ضوء ما تكشف عنه التجربة.. وما أحسب إلا أنها سوف ترجح حسن الظن والأمل الصادق فيها بإذن الله.

==

القيود الثقيلة

أنا سيدة أبلغ من العمر ٤٥ عاما.. زوجة وأم لابنة عمرها عشرون عاما نقيم في محافظة ساحلية.. وتعمل ابنتي بعد تخرجها في القاهرة بوظيفة مرموقة وتحصل علي مرتب عال والحمد لله.. وهي تسافر بين مدينتنا القاهرة لتذهب إلي عملها.. وفي احدي المرات وخلال عودتها من القاهرة إلي مدينتنا تعرفت علي شاب بالمصادفة يبلغ من العمر ٢٨ عاما، ويعمل بوظيفة مرموقة ومركزه الاجتماعي جيد، وما أن تعرفت عليه حتي بدأت الاتصالات

بينهما علي المحمول وتوثقت العلاقة إلي أن فاتحها برغبته في الزواج منها وصرحتني هي بذلك وصارحت أباها ورحبنا بالفكرة، ثم جاء هذا الشاب إلي مدينتنا وأتصل بزوجي وطلب منه يد ابنته ووافق زوجي مبدئيا وأشترط عليه فقط أن تقيم ابنتنا بعد الزواج في مدينتنا.. وألا تنتقل للاقامة معه في مقر عمله ولم يعترض الشاب علي ذلك وقال أنه سينقل نفسه في أقرب فرصة إلي محافظتنا. وإلي هنا وكل شيء جميل وواعد بالسعادة والتوفيق، وقد ابتهجنا بسعادة ابنتنا وتعلقها بهذا الشاب، غير أن البهجة لم تطل سريعا فلقد صارحتنا ابنتي بعد أيام قليلة من اتصاله بأبيها بأن الشاب الذي أعجبت به وتريد الزواج منه متزوج وله من زوجته خمسة أبناء! وقالت أن أبويه قد شجعاه علي الزواج وهو طالب بالثانوية العامة لأنه وحيدهما.. ويريدان أن يكون لهما منه أحفاد كثيرون يشعرونهما بأن لهما عزوة تعوضهما عن عدم انجاب أبناء غيره، لكنه كما قالت ليس سعيدا في حياته.. وقد أحبها ووجد سعادته معها وأحبته هي أيضا وتعلقت به! وذهلت حين سمعت منها ذلك وتعجبت كيف تقبلت هذا الأمر الخطير ببساطة وترغب في الزواج منه. وناقشتها في ذلك طويلا ونبهتها لما يحيط بها من أخطار في المستقبل.. ولم تفلح جهودي ولا جهود والدها وأعيتنا كل الحيل معها لتبصيرها بما ينتظرها من مشاكل ومصاعب.. وبأنها سوف تندم علي اختيارها بعد فوات الأوان.

إنني أخشي في قرارة نفسي أن تكون منساقة إلي هذا الارتباط بدافع الخوف من أن يفوتها قطار الزواج لأنها كانت قد خطبت قبل تخرجها لشاب لمدة٣ أشهر، وفسخت هي خطبتها له حين شعرت بماديته وطمعه في مالها، كما أخشي أيضا أن يكون للفراغ العاطفي الذي كانت تعيشه بعد فسخ خطبتها أثر في اندفاعها نحو هذا الشاب حيث إنها لم تقترب من أحد علي هذا النحو قبل تعرفها بهذا الشاب، إنها فتاة طيبة وشكلها مقبول للغاية ودمها خفيف ومعاملتها للآخرين طيبة وتحظي دائما بإعجاب من يتعاملون معها وسمعتها جيدة، والفرص أمامها كثيرة فلماذا هذا الاختيار المر.

إنني ووالدها وشقيقها نعارض جميعنا زواجها من هذا الشاب ونقول لها أنه حرام أن تستولي علي رجل من زوجته وأبنائه الخمسة.. وهي تقول لنا إنها لم تكن تعرف حين تعرفت به أنه متزوج وله أبناء، كما أنه كان سيترك زوجته سواء تعرف بها أو لم يعرفها وكان سيترك أطفاله لأبويه لكي يرعيانهم لأنهما يريدان العزوة وقد زوجاه من أجل هذا الغرض.

كما إنها تريد كذلك أن تتوقف عن العمل وتتحول إلي ربة بيت وتقول إن فتاها موافق علي هذا.. وذلك بعد أن تعلمت وأنفقنا الكثير علي دراستها حتي تخرجت وعملت، فلماذا لا تستمر في عملها ومستقبلها فيه كبير، وتتزوج شابا بسيطا وتحيا معه في أمان؟ وماذا أفعل معها يا سيدي؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

الذريعة الأبدية لكل من تسوغ لنفسها الارتباط برجل متزوج وله أبناء واغتصابه منهم، هي أنه لم يكن سعيدا في حياته الزوجية لأسباب تتعلق بزوجته الأولي أو ظروف زواجه منها.. وإنه كان سينفصل عنها إن آجلا أو عاجلا وسواء تعرف بفارسة الحب الجديدة أو لم يلتق بها من الأصل! وبالتالي فإنها، أي الفارسة، لم تكن مسئولة عن أنهيار الحياة الزوجية السابقة لمن ارتبطت به ولا عن انصراف رجلها عن أبنائه وزوجته الأولي إليها.

وكل ذلك ليس سوي من قبيل خداع النفس للتخلص من الشعور بالذنب تجاه الزوجة الأولي والأبناء.. أو من قبيل الحيلة النفسية الدفاعية التي تلجأ إليها لا اراديا كل من تجد نفسها في هذا الموقف تهربا من الاعتراف لنفسها باغتصابها ما لم يكن يحق لها أغتصابه وبإسهامها الخطير في هدم سعادة الآخرين واشقائهم، غير أنها حيلة فاسدة وشديدة التهافت ولا تصمد للنقاش الموضوعي المتجرد من هوي النفس وأغراضها، إذ يكفي لدحضها أن توجه ابنتك، وكل فتاة تواجه نفس هذا الموقف، هذا السؤال البسيط إلي نفسها وتلتمس له الأاابة الصادقة:

نعم.. كان هذا الشاب تعيسا بزواجه وأبنائه الخمسة وتزوج ارضاء لأبويه وكان سيهجر زوجته وأبناءه من قبل أن يلتقي بابنتك فلماذا إذن لم يكن قد حسم أمره وصح عزمه علي تنفيذ قراره هذا قبل أن تظهر هي في أفق حياته.. فإذا التقت به بعد ذلك لم يكن لها بحق أي دور في هدم هذه الأسرة الصغيرة ولا في حرمان هؤلاء الأطفال الصغار من أبيهم؟ ولماذا لم يجيء هذا الحسم إلا بعد أن تعرف بها وتبادل معها الحب وتطلع للزواج منها؟..

وكيف لا تكون مسئولة بشكل أو بآخر عن تعاسة زوجته الأولي وشقاء أبنائه الخمسة الذين سيحرمون من أبيهم وهو الذي لم يحسم أمره بشأن الانصراف عنهم إلا بعد أن أرتبط بها ومن أجلها؟

إن الإنسان قد تراوده الرغبة في تغيير حياته كثيرا وقد تعابثه أحلام اليقظة طويلا بأن يختار لنفسه طريقا غير الطريق الذي يمضي فيه أو اختارته له الأقدار دون أن يجرؤ علي التغيير بالفعل اشفاقا علي من يعتمدون عليه في حياتهم من تبعاته أو اشفاقا علي النفس من تحمل جريرة إيلام الآخرين واشقاء حياتهم.. أو اعلاء لسعادة الأبناء علي سعادته الشخصية.. ولقد يمضي العمر كله وهذه الأفكار تراوده من حين لآخر أو كلما ضاقت نفسه فلا تخرج عن اطار أحلام اليقظة والأمنيات المستحيلة.. إلي أن يجد المثير الخارجي الذي يحسم تردده ويغريه بحسم أمره ويشجعه نفسيا علي الاقدام علي الخطوة المصيرية فكيف يعفي هذا المثير الخارجي نفسه إذن من المسئولية عن مثل هذا القرار الخطير ولو لم يكن قد ظهر في الأفق من الأصل لما حسم الآخر أمره وأقدم علي ما تردد طويلا من قبل أمامه؟

إنها حقيقة واضحة وضوح الشمس ولا جدوي من خداع النفس عنها.. وهي أن ابنتك هي هذا المثير الخارجي في هذه القصة المتكررة ولسوف تكون، وسواء أدركت ذلك أم تغافلت عنه شريكة لهذا الشاب في إشقاء زوجة بائسة وحرمان خمسة أطفال صغار من الحياة الآمنة بين أبويهم.

فلماذا تقبل لنفسها أن تبدأ حياتها الزوجية بمثل هذه الذيول الطويلة من المشاكل الانسانية والاتهامات الصامتة لها بالأنانية واغتصاب رجل متزوج من زوجته حتي ولو كان هو الساعي إليها.. وحرمان خمسة أطفال صغار من أبيهم؟

إن الأبناء روابط أبدية لا انقسام لها، وقيود أخلاقية ثقيلة يردها أصحاب الضمائر الحية علي نزواتهم وأهوائهم وجموحهم ونزوعهم الغريزي إلي طلب السعادة الشخصية علي حساب الواجبات الإنسانية والأخلاقية فكيف ترضي هي لنفسها بأن تتزوج شابا يبدأ حياته الزوجية معها وهو يجر في قدميه هذه القيود الثقيلة، كما كان السجناء في العصور الوسطي يجرون أثقالهم معهم أينما تحركوا.. وكيف تتصور أنه سيخلو لها وجه زوجها وهو مكبل بهذه الأغلال الأبدية التي لن ينجح أبدا، حتي لو توهم ذلك، في الانصراف عنها بكليته إليها..

إن عمر الهوي الجامح قصير مهما طال.. وصغر سنها الآن يصور لها أنها تستطيع التجاوز عن هذه الأغلال والقيود، لكن تجربة الحياة كثيرا ما تؤكد لنا عكس ذلك.. وكثيرا ما تثبت لنا أن نطح الصخور لا يفتح فيها الثغرات وإنما يدمي رؤوس ناطحيها.. فلماذا تختار لنفسها كل هذا العناء في الحاضر والمستقبل.. وفي يدها أن تختار لنفسها حياة طبيعية بلا مشاكل ولا أعباء؟

==

القنبلة المدوية

أنا رجل في أواخر الخمسينيات من العمر، نشأت في أسرة بسيطة بين أب زاهد وأم تجاهد للحفاظ علي مظهر الأسرة بالجنيهات القليلة التي يجنيها الوالد من عمله. وقد أحببت في شبابي فتاة حالت ظروفي المادية دون التقدم إليها.. وأنهيت دراستي العملية وجرح الحب القديم مازالت آثاره في الحنايا.. وتزوجت من رشحتها لي والدتي رحمها الله، وكنت عند زواجي منها في الثامنة والعشرين وهي في الثامنة عشرة من عمرها، ولم تكن قد نالت قسطا كبيرا من التعليم.. فقلت لنفسي إن من لم يتزوج من أحب ينبغي له أن يحب من تزوجها.. وهذه هي سنة الحياة، وبالفعل فقد روضت نفسي علي حب زوجتي ورعايتها وعشت معها٥ سنوات في شهر عسل طويل وأنجبت منها.. وساعدت أخوتي في تعليمهم حتي تخرجوا واستقرت أحوالهم.. وازدادت وطأة مطالب الحياة، فسافرت للعمل في الخارج لمدة سنة.. ورجعت فاستقلت من عملي الحكومي وخضت مجال العمل الحر.. وحققت نجاحا مرضيا وتحسنت أحوالي ولم أبخل علي أسرتي الصغيرة بشيء.. واشتريت لزوجتي سيارة لتحميها من عناء المواصلات.. فلاحظت أن زوجتي الوديعة قد بدأت تتغير وتزداد مطالبها بلا مبرر، وبدأت أشعر بانشغالها عني بصديقاتها الكثيرات..

واهتماماتها الاجتماعية، ومنذ حوالي١٢ عاما توقفت أمام تصرف منها أغضبني بشدة وفكرت في أن أطلقها، لكني بدلا من طلاقي لها فقد أبقيت عليها مع الأبناء وتزوجت من أخري لتخفف عني الصدمة.. واعتبرت مافعلته من الزواج عليها درسا لها سوف تستوعبه، ولم أقصر بالرغم من ذلك في حقها ولم أظلمها، ثم تعرضت في عملي لهزة عنيفة زلزلت كياني ورضيت بقضاء ربي، وقررت الابتعاد عن مصر لفترة إلي أن تعود الأمور إلي وضعها الطبيعي. وخلال ذلك عادت زوجتي الأولي إلي نفسها.. وجاءت تزورني في غربتي، فرأيت فيها إنسانة جديدة سعدت بها وبدأت أنسي النقطة السوداء السابقة.. وفي نفس هذا الوقت طلبت زوجتي الثانية الطلاق اقتناعا منها بأنه لم يعد لها مكان بعد عودة شريكة الحياة إلي مكانتها عندي.. وقدرت لها مشاعرها وسرحتها بإحسان مع تعهدي لها برعاية طفلي منها إلي نهاية العمر، ومنذ عامين كنت قد قررت العودة إلي بلدي بعد أن ضقت بمرارة الغربة، وجاءت زوجتي لتزورني فقلت لها إنه قد آن الأوان لأن تدعو طفلي من مطلقتي بعد أن بلغ العاشرة من عمره لكي يتعرف علي اخوته قبل أن أرجع إلي بلدي.. فإذا بها تثور ثورة عارمة وترفض ذلك بإصرار وتتمسك بطلب الطلاق في الغربة وتصر علي إيقاعه عن طريق السفارة المصرية، وكل ذلك بالرغم من أن الطفل يقيم مع أمه في منطقة بعيدة وكان طلبي أن يقضي معنا يوم العطلة فقط كل أسبوع. ولم تفلح كل محاولاتي معها لإثنائها عن رغبتها.. وكان أقصي ماتوصلت إليه معها هو أن ترجع إلي بلادنا دون طلاق وأن نؤجل الطلاق حتي موعد عودتي إليها خلال أسابيع، وقبلت بذلك مؤكدة أنها قد تهدأ أعصابها خلال فترة العدة وربما سمحت الظروف باجتماع الشمل من جديد.. وعادت إلي مصر.. ورجعت بعدها بأسابيع وكان من بين من استقبلوني شقيقها الأكبر، فتوقعت أن يبشرني بعدولها عن الانفصال، لكنه زارني في اليوم التالي وأكد لي تمسكها به.. وفكرت في أن أصارحه بما دعاني للزواج الثاني لفترة من الوقت.. لكني عدلت عن ذلك.

وتم الطلاق، ورجعت للسفر لإنهاء أعمالي في الخارج والاستعداد للعودة النهائية، وكانت زوجتي الأولي قد أكدت لي قبل الطلاق أنها ستكرس حياتها للأبناء وتقيم معهم ولن تفكر في زواج آخر حرصا علي الأبناء.. فرجعت إلي مصر بعد فترة قصيرة فوجدت الأبناء يعيشون في مسكننا وحدهم.. وسألت عن الأم التي ترعاهم فقيل لي إنها غائبة لدي إحدي صديقاتها، لكن الغيبة طالت دون أن تظهر.

وأخيرا علمت أنها خانت العهد الذي عاهدتني عليه بألا تتخلي عن الأبناء وتزوجت بالفعل.. فتظاهرت أمام الأبناء بأننا كنا متفقين علي مبدأ الطلاق، وأكدت لهم أنها قد تزوجت من رجل مناسب لها تماما ولم أهتم بأن أعرف ممن تزوجت أم أولادي..

وبدأت أدبر حياتي مرة أخري.. وأبدأ عملا جديدا.. فإذا بقنبلة مدوية تنفجر في حياتي وتزلزل كيانها.. فلقد تزوجت أم أولادي التي عاشت معي٣٢ عاما لم أغضبها مني خلالها يوما واحدا من اعدي أعدائي في مصر ومن إنسان يحقد علي من منبت الشعر إلي أخمص القدمين وكان أول من سعد بانكساري في عملي السابق، كما أنه متكبر ومتغطرس وقد تسلم خلال غيابي عن مصر شركة كنت مساهما فيها مع بعض الأصدقاء، فخسر الجميع أموالهم فيها وأنا منهم.. وفوق ذلك فهو زوج أعز صديقة لأم أولادي، وجارنا بالعمارة التي نقيم بها.. ولا أعرف كيف اتفقا أو التقيا.. وقد قالت زوجتي السابقة لجارة لنا عاتبتها علي مافعلت وطلبت منها العودة إلي رشدها أن زوجها الحالي لم يخطيء في شيء لكي تطلب منه الطلاق، فضلا عن أنه قد أغدق عليها بالطبع مما جمعه من مال.

أما حين سألتها عما أخطأ فيه زوجها السابق وهو أنا فإنها لم تجد ماتقوله.

لقد تأخر أحد أبنائنا عن أقرانه في كليته.. ويعيش الابن الأوسط في عزلة تامة في حجرته رافضا الحديث في هذا الموضوع، أما الأكبر فإنه يحاول أن نرضي بالأمر الواقع.

وهي تأتي إلي المسكن من حين لآخر لتعد للأبناء بعض الطعام ويخيل إليها بذلك أنها قد أدت واجبها نحوهم.. وتردد دائما كلما سئلت عن الأسباب: قدر الله وما شاء فعل.

أما أنا فقد قاربت علي الجنون لأن غرفة نوم عدوي الوحيد في مصر تقع فوق غرفة نومي مباشرة ولا أتحمل سماع صوتها أو رؤيتها في البيت ولا أستطيع النوم إلا مع الفجر ولمدة ساعتين أو ثلاث. ثم أسرع بالهروب من المنزل وقد تغيرت نظرة الجيران لنا بعد أن كنا مضرب الأمثال في الحي كأسرة محترمة.

وأفكر جديا في اعتزال الحياة والاختفاء عن أعين الجميع.. وفي نفس الوقت لا أستطيع الزواج لظروف اجتماعية واقتصادية.. وأعيش في حالة من الذهول وأبكي كثيرا علي حالي وكلما تذكرت ان هذا الرجل قد تزوجها انتقاما مني وتنفيذا لوعيده لي قبل سنوات بأن يحول حياتي إلي جحيم.. اشتعلت النار في صدري.. وأتعجب كيف رضيت لنفسها بأن تكون زوجة ثانية له.. لا تراه إلا كل بضعة أسابيع لمدة أيام.. وأناشدك أن تكتب كلمة لها لكي تفيق مما هي فيه.. فلقد تحطم حلمي بدفء الأسرة واللهو مع الأحفاد في أخريات العمر.. ولقد قرأت لك منذ١٣ عاما كلمة تقول فيها: ماذا يعرف عن الحياة من لم يعرف الألم ؟، وأعرف جيدا أن الألم جزء من ناموس الحياة وقد خبرت منه ألوانا عاتية خلال رحلة العمر وفي عثراتي خلال حياتي العملية وخلال الغربة، لكني لم أكن أعرف أن هناك من الألم مايتعدي حدود الاحتمال.. كما هو الحال معي الآن.. فماذا تقول لي ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

جو القصة كله لا يبعث علي الارتياح.. ولولا ماastشعره من عمق جرحك لاختيار زوجتك السابقة لأن تتزوج ممن تعده أنت أعدي أعدائك وأن تقيم معه فوق غرفة نومك مباشرة، لما وجدت في نفسي الرغبة في مناقشتها معك، ولهذا فلسوف أحاول قدر جهدي أن أعبر لك عما أتصوره بشأنها، فلقد فهمت أنك قد اضطررت للابتعاد عن مصر حوالي سبع سنوات فيما يشبه النفي الاختياري لكي تتفادي بعض المتاعب التي تعرضت لها في أعقاب تعثر أعمالك وانكسارك اقتصاديا، كما فهمت أيضا أنه خلال سنوات الغياب كان من تعتبره الآن عدوا لك مسئولا عن إدارة عمل تشترك في رأس ماله معه ومع غير كما من الأصدقاء، فأدت إدارته له إلي خسارة الجميع لأموالهم.. واعتبارك إياه مسئولا عن ذلك، وحين نجحت في إزالة أسباب ابتعادك عن مصر واستعددت للعودة النهائية صارحت زوجتك برغبتك في أن يتعرف طفلك من الزيجة الثانية بأخوته منها.. فأبت ذلك وطلبت الطلاق وأصرت عليه وبالرغم من تبريرك لهذه الزيجة بأنك قد أقدمت عليها لتكون درسا لزوجتك في أعقاب ماأغضبك منها.. وأنها قد عادت إلي نفسها ورجعت المياه إلي مجاريها بينكما فإنه يخيل إلي أنها لم تكن تعرف بوجود طفل لك من الزوجة الثانية.. كما يخيل إلي أيضا أن سنوات الانكسار والهبوط المالي في حياتك قد تزامنت في نفس الوقت مع إتجاه مؤشر أعمال الآخر الذي تعتبره أعدي الأعداء إلي الصعود والثراء، مما يمكنه من الإغداق علي الزوجة الجديدة في حياته.

وأيا كانت الأسباب والدوافع الحقيقية لمطلب أم أبنائك الطلاق منك ونقضها العهد معك بتكريس حياتها لأبنائها الثلاثة، علي أمل العودة إليك ذات يوم فإني أقدر أسباب معاناتك لضياع حلم دفء الأسرة والحياة العائلية الهادئة في هذه المرحلة من العمر..

كما أتفهم أيضا عمق الجرح الذي تستشعره لاختيار أم أبنائك أن تتزوج من بين كل الرجال بمن تشتعل نار العداوة والكراهية بينك وبينه.. وبمن كان يتوعدك خلال احتدام أوار الخلافات المالية معه بأن يحيل حياتك إلي جحيم مع إقدامها علي الارتباط به والحياة معه في نفس العمارة التي تقيم أنت فيها وفوق غرفة نومك مباشرة، وكل ذلك مؤلم بالفعل ومثير للحسرة.

لكن ماذا يملك الإنسان أن يفعل إذا استحكمت المقادير معه علي هذا النحو ؟ هل يكتفي بالاحتراق داخليا ومكابدة ألم الغيرة والنقمة علي من يعتقد أنه قد سلبه زوجته السابقة بعد أن سلبه بعض ماله بإدارته الخاسرة للعمل المشترك السابق ؟

هل يناشد هذه الزوجة أن ترجع إلي نفسها مرة ثانية وتحصل علي الطلاق من زوجها الذي قبلت به بإرادتها الحرة لكي يعيد اجتماع الشمل معها ويستمتع بالدفء العائلي والحياة الأسرية المستقرة ؟

إنك تقف الآن علي قمة العمر والخبرة بالحياة العملية والعواطف الإنسانية.. وتعرف جيدا أن من أقدمت علي هذا الاختيار بالرغم من الأشواك الضارية المحيطة به بالنسبة لك، وبالرغم من وجود ثلاثة أبناء في سن الشباب، لن تستجيب إلي مثل هذه المناشدة اليائسة، ولن تؤثر فيها لوهلة واحدة، ولهذا فان خير ماتفعل هو أن تعفي نفسك من عذاب الجحيم الذي تكابده بالاحتراق كل لحظة تراها أو تتسمع فيها صوتها.. أو تتخيلها خلالها في أحضان عدوك، فنحن لا نقدر علي الآخرين ولا نملك أن ندفعهم إلي طريق لا يرغبون في الاتجاه إليه لكننا نقدر بالتأكيد علي أنفسنا.. ونملك حياتنا ونستطيع أن نخفف بعض عنائها بإعفاء النفس من الانشغال بالغير.. وكف العقل عن الأمل فيهم والتفكير في أمرهم.. واجترار الأحزان التي أدموا قلوبنا بها.

ولاشك في أنك تستطيع أن تغير مسكنك الذي يؤجج لديك كل هذه الأحاسيس المؤلمة. وان تنتقل إلي موقع آخر لا ترقب فيه حياة أم أبنائك مع خصمك حتي ولو كان أقل ميزة من المسكن الحالي.. فماذا يقعدك عن ذلك، ثم أنك تقول أنك لا تستطيع الزواج من غير أم أبنائك لأسباب اجتماعية واقتصادية، فأما الأسباب الاجتماعية وهي الأبناء الشباب والوضع الاجتماعي فإنها لم تحل دون أم أبنائك نفسها ودون زواجها من زوجها الحالي والقبول بوضع الزوجة الثانية له..

كما أنها لم تحل بينك أنت من قبل وبين الزواج لفترة من العمر وإنجاب طفل من زوجتك الثانية.. فماذا تكون إذن هذه الأسباب ؟

أما الأسباب الاقتصادية فلكل إنسان ظروفه وقدرته.. والزوجة الملائمة لهذه القدرة وللمرحلة التي يعيشها من العمر.. لكن المشكلة الحقيقية هي أنك لا تتعلق فقط بالأمل في استعادة أم أبنائك ليجتمع شمل الأسرة الطبيعية من جديد.. وهو أمل إنساني مفهوم.. وإنما تتعلق أيضا بأمل آخر لا يقل أهمية لديك.. وهو أمل الانتصار علي عدوك، ورد الصفعة له.. واستعادة زوجتك منه وهو أمل يندرج تحت باب صراع الحيتان والديناصورات أكثر من اندراجه تحت باب الرغبة في الحياة العائلية الهانئة.

وفي هذا الشأن فلعلي أقول لك إن صمود الإنسان لاختبارات الحياة المؤلمة وتخطيه لها دون أن يفقد روحه وقيمه ومبادئه وإيمانه وثباته وقدرته علي البدء من جديد هو انتصار كبير أيضا في حد ذاته علي الصعاب والأحزان والآلام، كما لعلي أذكرك أيضا بكلمة شاعر الإنجليزية الأعظم شكسبير حين قال: إذا ابتسم المهزوم فقد المنتصر لذة النصر!

واستطرادا لهذا المعني فإن احتراقك الآن بالغيرة والألم والغضب والحسرة هو انتصار للخصم الذي يكبدك كل هذه الآلام.. وان تخلصك من كل المعاناة وتعاليك عليها.. وتعاملك مع الأمر كله بواقعية تضعه في حجمه الصحيح يفقد خصمك؛ هذا النصر الرخيص ويعيدك إلي الثقة في النفس والخير والحق والحياة.. والأمل في تعويض السماء وفي كثير من لايجد المرء لها علاجا أنجع مما قاله الشاعر العربي ابن المعتز:

اصبر علي كيد الحسود
ان صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها
ان لم تجد ماتأكله

فإذا كان الأمر كذلك فلماذا تقدم للنار ماتأكله كل يوم وفي وسعك أن تضن به عليها فلا تأكل إلا بعضها!

أما حديثك عن الآلام التي لا تحتمل.. فإن تقديري لمعاناتك لا يمنعني من أن أقول لك أيضا إن في الحياة من الآلام مايتواري إلي جواره ألمك الحالي خجلا إذا وضع موضع المقارنة معها فادع ربك متوسلا ومتبتلا إلا يختبرك بشيء منها.. وأن يهيىء لك من أمرك رشدا ويخرجك من دائرة التحسر والرغبة في الثأر لكرامتك ومشاعرك إلي دائرة خلو النفس من الأكدار.. والاستعداد للابتهاج من جديد بالحياة.

==

القمر الساطع

أنا شاب في الخامسة والثلاثين من عمري ، امثل الابن الأوسط بين ثلاث ذكور لأبوين كريمين وأسرة طيبة ترعى حدود الله في حياتها ومعاملاتها

.فنشأنا والحمد لله على استقامة الطبع لا نعرف الخداع وعلى المثل العليا والصراحة

وقد تخرجنا جميعا متفوقين وشغلنا بفضل الله مراكز جيدة تهيئ لنا حياة فاضلة كريمة

والتحقت أنا بالعمل بشركة كبرى بمرتب كبير وتزوج شقيقاي الأكبر والأصغر في حياة أبي بينما ترددت أنا طويلا في الزواج حتى مات رحمه الله بغير أن أحقق له أمنيته في أن يشهد زواجي ويرى أبنائي . كأخوى

ومضت الأيام وأمي و " شقيقتاي " أي زوجتي أخوى اللتين وجدت فيهما الشقيقتين ، يلححن علي في الزواج
. دون جدوى
ومنذ عام تقريبا التقيت أثناء تأديتي لمهمة خاصة بالعمل في احدي الجهات بفتاة لفتت نظري من أول وهلة
بجمالها الباهر وقوامها الممشوق وشعرها الذهبي واهتمامها الزائد بمظهرها
. وأيضا بنشاطها و خفتها ومرحها ولاحظت هي اهتمامي بها ونظراتي إليها
فعدت إلى بيتي وصورتها ورنين صوتها في أذني لا يفارقني
ووجدت نفسي مدفوعا بقوة غامضة اختلق الأسباب للعودة إلى جهة العمل التي تعمل بها والتحدث إليها
وبعد عدة لقاءات قليلة معها فاتحتها في الزواج ففوجئت بها تقول لي ضاحكة بثبات وفي ثقة إنها كانت تنتظر
مني هذه الخطوة منذ المرة الأولى التى رأتني وسعدت بترحيبها وعرفتني بأسرتها اى بأبيها الموظف المحال إلى
المعاش وأمها ، وعرفت منها ان لها أخا متزوجا يعمل في الخارج ولاحظت أن شخصية والدتها تختلف عن
.شخصية أمى من حيث أنها متفتحة وتتزين وتهتم بمظهرها اهتماما كبيرا على غير المألوف في آسرتي
كما لاحظت أيضا أن مستوى الأسرة الاجتماعي ومستوى البيت اقل بكثير من المظهر الذى تحرص عليه
.ولم يغير ذلك شيئا في حماسي الشديد للفوز بمن استحوذت على قلبي ومشاعري من الوهلة الأولى
وفاتحت أمي وأخوى فسعدوا بأنى قد وجدت أخيرا بنت الحلال التي سأبني معها عشي السعيد واجمعوا حين
. رأوهاا على أنها جميلة كالقمر الساطع واني قد صبرت ونلت فوق ما أردت
وبدأنا نتفاهم في أمور الزواج وكنت قد استعددت له منذ فترة بشراء شقة تمليك
لكن والدة فتاتي اقترحت علي أن أبيع هذه الشقة وأقيم معهم في مسكنهم لأن الشقة واسعة وابنها المتزوج الغائب
في الخارج قد اشترى شقة سيعود إليها بأسرته حين ينتهي عمله هناك
والعروس كما قالت لي أمها موظفة وسوف يسعدها بلا شك أن ترجع من عملها فتجد والدتها قد أعدت لها كل
. شئ كما أن الشقة ستكون لنا كلها ما عدا غرفة واحدة للأبوين بصفتهما ضيفين علينا
على حد تعبير أن فتاتي وشاركت فتاتي أمها هذا الرأي بحماس ولم استطع الرفض أمام أسلوبهما الساحر في
. الحديث والإقناع فقبلت اقتراحهما رغم اعتراض أمي واخوي على ذلك
وبعت الشقة فعلا وكان من الضروري إجراء بعض التجديدات في الشقة التي ستصبح عش الزوجية لي ، فقمت
بتغيير الحمام القديم وتركيب حمام ملون وتغيير المطبخ القديم بمطبخ أرو زان فاخر وقمت بإعادة طلاء الشقة
. كلها وتغيير معظم أثاثها بأثاث جديد لائق وقدمت لفتاتي شبكة فاخرة وهدايا كثيرة
وأنفقت في سبيل ذلك راضيا سعيدا كل ثمن الشقة التمليك التى بعتها خلال أسابيع معدودة
وبدأنا الاستعداد للزفاف ففوجئت بحماتي قبله بأيام تطلب مني التوقيع على قائمة لزوجتي بالأثاث الجديد الذي
.اشتريته كله بحجة ضمان مستقبل ابنتها ولم استطع الرفض أيضا أمام نفس الأسلوب الساحر
وأمام تشوقي إلى السعادة ورغبتي في ألا يعرقل طريقنا إليها شئ
وتم الزفاف ونحن في قمة الابتهاج وسافرنا لقضاء شهر العسل في احد الفنادق بمدينة ساحلية ونحن نطير على
. أجنحة الحب والبهجة
وهناك لم تسمح لي زوجتي بإقامة علاقة زوجية كاملة معها بحجة الخوف وتفضيلها تأجيل ذلك إلى حين عودتنا
. إلى بيتنا واستجبت لرغبتها محاذرا أن يعكر صفونا شئ على أمل أن يذوب الخوف مع الأيام
لكن معاملتها لي بدأت تتغير بعد أيام قليلة من عودتنا من أجازة العسل
وبدأت ألاحظ كثرة اختلائها بأمها ثم جاءت أمي وشقيقاي للتهنئة فقابلتهم زوجتي بجفاء بحجة أننا ضيوف على
. بيت أسرتها ولا يحق لنا أن نستقبل ضيوفنا فيه
.وبعد انصرافهم نشب أول خلاف بيني وبينها حول هذا الأمر
ففوجئت بها تستخدم معي ألفاظا وقحة ونابية لم أعهدها من قبل ولم أتخيل أن تستطيع النطق بها وأمها تؤيدها في
. كل كبيرة وصغيرة وتكررت الخلافات الصغيرة بيننا
بعد ذلك فتطاولت علي في احدها واتهمتني بأنني غير مكتمل الرجولة وبأنها مستعدة للفحص الطبي لإثبات ذلك
رغم أنى كامل الرجولة وقادر على الإنجاب والحمد لله وهي التي تهربت مني
وفوجئت بها تطلب الطلاق وتتمسك به وتوجهت أمها على الفور الى بيت والدتي وقالت لها ما يسئ لي بصوت
. عال وألفاظ بذيئة لم تتردد من قبل تحت سقف بيتنا
ووجدت نفسي بعد ما حدث أمام موقف لا مفر فيه من الطلاق فطلقتها بعد شهر واحد من الزواج وعدت إلى بيت
والدتي وقد خسرت الزوجة التى أحببتها وتمنيتها منذ رأيتها والشقة التي بعتها وأنفقت ثمنها فى تجديد شقة
. العروس الغادرة وفي الأثاث الذى اشتريته لها
وخسرت قبل كل ذلك ما هو أكثر منه وأفدح وهو الاعتبار بعد أن طعنتني زوجتي الجميلة في رجولتي بطريقة
. جارحة وظالمة
وانطويت على أحزاني استرجع هذه التجربة الغريبة وأفكر فيما جرى لي فيها

فلم تمض أيام حتى سمعت أنها قد خطبت لابن خالتها الذي يحبها وتحبه منذ سنوات لكنه لم يكن قادرا من الناحية المادية على الوفاء بمتطلبات الزواج .

ولم تكد شهور العدة تنتهي حتى تم الزفاف الميمون ليستمتع الحبيب الغالي بالأثاث الذي اشتريته وغرفة النوم التى دفعت ثمنها والحمام الملون الذى اخترته والهدايا التى أهديتها لها والشقة التى جددتها واعدت طلاءها من مالي ليسعد بها صاحب النصيب .

هل تتصور هذا يا سيدي ؟

لماذا فعلت بي ذلك

وما قيمة الأثاث وتجديد الشقة مهما تكلف من مال حتى تخوض فتاة تجربة زواج بإنسان جاء إليها راغبا في الارتباط بها بإخلاص وهى عاقدة العزم على التخلص منه بعد قليل ؟

لقد فقدت ثقتي في الناس والقيم والأصول والواجب وطويت صدري على أحزاني ولم استطع إخبار أصدقائي وزملائي بما جرى لي وان كان الجميع قد لاحظوا على حزني ووجومي

ومضت شهور على هذه التجربة فلم يخفف إحساسي بالضيق وفقدان الثقة في الآخرين

وبدأت والدتي وزوجات اخوي في الحديث معي عن ضرورة الزواج مرة أخرى

وبدأن في عرض فتيات من الجيران والأقارب علي وشرح مزاياهن دون اى تجاوب من ناحيتي

وأرادت أمي جزاها الله عنا كل خير أن تعوضني عن خسارتي المادية فباعت نصيبا لها في بيت قديم موروث وقدمته لي في حضور أخوى وبرضاهما على أن يشجعني ذلك على الإقدام على الزواج لكنى رفضت قبوله تحرجا من ان يكون ذلك غير جائز شرعا لأخوى مثل ما لي من حق في هذا المال .

ولأنني أيضا أحب أن أعوض خسارتي من كدي وعرقي وليس بالاستيلاء على نصيب أخوى

وفي احد أيام الأجازات جاء شقيقي الأصغر وزوجته لزيارتي ففاتحتني أختي الصغرى في ضرورة نسيان تجربتي الأليمة ونسيان ما خسرته فيها من مال لان الأفعى بطلتها لا تستحق منى الاستمرار في المعاناة من اجلها على هذا النحو.

ورغم تقديري لإخلاصها وحسن نيتها فان خسارة المال لم تكن أهم ما أصابني بل لا تقاس إلى جانب خيبة أملي في اعز الناس لدي وما أصابني من مهانة وإهدار لكرامتي في هذه التجربة الخاسرة .

فضلا عن إحساسي باني مغفل عجزت عن اكتشاف خدعة مرتبة بإحكام لاستغلالي في تحقيق مأرب مادي حقير.

وخلال مناقشتي مع زوجة شقيقي قالت لى أنني المخطئ من البداية لأنني قد اخترت الجمال والشعر الأصفر والقوام الممشوق فقط دون النظر إلى الجوهر والأخلاق والأهل والأصل والتكافؤ والالتزام الديني .

كما انه لم يكن يليق بشاب متدين يصلي ويصوم ويقرأ القرآن مثلي أن يتزوج ممن لا تعرف فروض دينها ولا ترعى الله في ملبسها وزينتها واشتدت المناقشة بيننا لكنها لم تستسلم ولم تسكت وقالت لي انه يجب أن يختار الإنسان العاقل شريكة حياته بعقله بحيث تكون قريبة منه في المستوى الاجتماعي والعلمي والعقلي ثم بالعشرة الطيبة بين الطرفين والأخلاق الحميدة يتولد الحب بينهما بعد الزواج .

وتركتني وهي تبكي وترجوني بإلحاح ألا أضيع فرص الزواج المعروضة علي لان السنين تمر والعمر يجري ولن يكون ذلك في صالحي .

وانصرف شقيقي وزوجته ووجدتني حائرا أفكر فيما قالته لي ولا استطيع اتخاذ قرار صائب في مستقبلي

لقد تزوجت وخسرت كل شئ وفقدت قدرتي على الاختيار والحكم على الأمور

ففقدت ثقتي في أشياء كثيرة وفي كثيرين حتى في اقرب أصدقائي ولم اعد قادرا على اتخاذ قرار بشأن مستقبلي .

إنني أحس بأنك أخ لي وصديق رغم أنى لا أعرفك إلا مما أقرؤه لك

وهذا فإني أضع مشكلتي بين يديك أسألك هل الصواب هو ما قالته شقيقتي الصغرى من أن العاقل حقا هو من يختار بعقله وليس قلبه ؟

وهل أنا مسؤل حقا عما حدث لي لانى انقدت بلا تفكير وراء قلبي وحده ؟

وهل الزواج مرة اهرى هو الحل الوحيد الذى سينسينى هذه التجربة المريرة؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

أنا مع شقيقتك الصغرى في رأيها حول مسؤوليتك الشخصية عما تعرضت له من تجربة مؤلمة باستسلامك لنداء القلب وحده بغير استشارة العقل في اختيارك او التمهل على الأقل لفترة مناسبة لدراسة شخصية من وقعت في حبها من الوهلة الأولى واندفعت للزواج منها والاستجابة لكل رغباتها كأنك منوم بتأثير حبها الجارف عليك بلا مقاومة ولا مراجعة للنفس او الاستماع لنصيحة الأهل .

فحب النظرة الأولى هو " قرين الجنون " على حد تعبير أحد المفكرين

ذلك أن الحب ليس وليد نظرة واحدة وإنما هو وليد تفاعل تدريجي بطئ للمشاعر والأحاسيس الطيبة تجاه الطرف الآخر

وهذا التفاعل لا يتم في لحظة واحدة وإنما يحتاج إلى وقت لكي ينضج على نار هادئة

أما حب النظرة الأولى فليس سوى إعجاب أو انبهار قد يفتح الباب فيما بعد لهذا التفاعل البطئ .. وقد لا يوصل إليه .

وما جرى لك هو خروج على هذه القاعدة واستثناء وارد قد يبتلى به اى شخص كما قد يبتلى الإنسان بالمرض دون سابق إنذار فيندفع وراء مشاعره ويسبح ضد تيار العقل وعشرات الاعتبارات الأخرى ويصيبه ما يصيب من يسبح ضد التيار من جهد وبلاء

ويزيد من كارثته انه يصادف غالبا عقلا منتبها لدى الطرف الآخر فيتحكم فيه ويوجهه لما يريد بلا مقاومة غير انك يا صديقي من جهة أخرى سعيد الحظ لانك قد فقدت بطلة هذه القصة العجيبة قبل أن يتمكن منك حبها إلى الأبد وتصبح داءك المزمن الذى لا شفاء منه ولا راحة معه حتى نهاية العمر.

فالواضح إنها لم تحمل لك ذرة واحدة من هذا الحب الجارف الذي استولى عليك منذ رأيتها للمرة الأولى ولو حملت لك شيئا منه لما ضحت بك وهدمت تجربة زواجها منك بعد ثلاثين يوما فقط حتى لو كان ما تدعيه عليك صحيحا او به بعض الصحة .

ذلك أن المرأة المحبة لا تضحى بمن أحبت بعد أيام من الزواج لمثل هذا السبب وإنما تسانده وتحاول مساعدته على تخطى متاعبه وتحيطه بحبها وحنانها إلى ينجح فى اجتياز أزمته فإذا فشلت كل الجهود واضطرت للاختيار بين نداء القلب ونداء الطبيعة كان الاختيار قاسيا ومريرا عليها وربما استجبت له بعد طول عناء .

وفي إطار احترام المشاعر وحفظ الاعتبار وليس بالتشهير الرخيص ولا بالألفاظ النابية الجارحة وسواء كانت فكرة المؤامرة المسبقة لاستدراجك للزواج وتجديد الشقة وشراء الاثاث لكي يستمتع به الشخص الآخر بعد حين صائبة تماما او ان فتاتك قد تزوجتك بعقلها وحده راغبة في تحقيق أكبر قدر ممكن من المكاسب المادية من ورائك ثم واجه الزواج الظروف غير المواتية فتحولت إلى نمرة شرسة وأسرعت بهدم المعبد بأعصاب قاتل محترف لا يهتز له رمش وهو يقتل ضحيته راضية بالفوز بما أتيح لها من غنائم خلال هذا الوقت القصير فإن النتيجة واحدة وهى انك قد صادفت للأسف من لم يحبك ومن لم تكافئ حبك لها بما يستحقه من وفاء وبما تستحقه أنت من تقدير واعتبار انها محنة ليست وقفا عليك ولا تنقص من جدارتك واعتبارك

فالمشكلة فى النهاية هى مشكلة سوء الاختيار والاندفاع وراء المشاعر وحدها إلى طريق لم نعرف دروبه ولم نتلمس مواطئ خطانا فيه .

فإن كنت قد خسرت في هذه التجربة الكثير نفسيا وإنسانيا وماديا

فان العناية الإلهية لم تتخل عنك رغم كل ذلك وكان من ألطافها الخفية بك أن كشفت لك حقيقة فتاتك قبل ان تنجب منها وتتضاعف الخسائر وتتعقد الأمور وإذا كان الأمر كذلك فلماذا تحس بالمهانة وفقد الاعتبار والثقة في النفس وفي الناس والقيم والمثل العليا والأصدقاء لمجرد انك قد صادفت من لم يكن يستحق ما حملته له من طوفان المشاعر الطيبة ومن لم تلتزم معك بما تقتضيه آداب الخلاف عند الفضلاء ان الطرف الآخر هو الأحق بان يشعر بالدونية وفقد الاعتبار لأنه اقترف معك كل ما يتعارض مع أخلاقيات أهل الشرف والوفاء .

إذ ليس عارا لأحد أن يخدعه الآخرون أو يستغله استغلالا دنيئا لكنه عارهم ووصمة في جبينهم هم دون غيرهم .

فاستعد ثقتك بنفسك وبالحياة وبالناس يا صديقي وادرس أسباب فشل تجربة زواجك الأول وواجهها بغير خداع للنفس ثم تخلص من أثار تجربتك عليك وعلى أفكارك وشخصيتك وبعد ذلك تزوج مرة أخرى لا لكى تنسى هذه التجربة الأليمة وإنما لكى تعيش حياة طبيعية كزوج وأب وشريك في الحياة لإنسانة أخرى تستحقك وتحرمها الآن من حقها العادل فيك .

فالزواج إنما يطلب لذاته ولأسبابه الطبيعية وليس لنسيان تجربة او للتخلص من مشكلة .

فإذا سألتني بعد ذلك عن أسلوب الاختيار الأمثل لشريك الحياة أجبتك بان أفضل الاختيارات هو ما صادف هوى القلب ولم يتعارض مع أحكام العقل و أن ما يليله من الأفضلية هو اختيار العقل الذى لا يرفضه القلب وينفر منه نفورا راسخا لا أمل في تغييره ثم اختيار القلب الذي يرفضه العقل فيجعل من صاحبه ساحة للصراع بين نداءين متعارضين ويحسمه العقل لصالحه فى كثير من الأحيان بعد بعض السعادة وكثير من المعاناة .

فتقبل تجربتك يا صديقي وارض بأداء ثمنها لان لكل تجربة خاطئة في حياتنا ثمنا لابد ان نتحمل ضريبته ونقبل به وان كان ثمنا باهظا وظالما لشاب طيب القلب مستقيم الطبع مثلك يرفض بإباء قبول هبة أمه له تحرجا من ان يغتصب حقا لأخويه حتى ولو رضيا بذلك إيثارا له وأملا في مساعدته على الخروج من محنته ولشاب متدين يرعى حدود ربه ويستحق بكل تأكيد أن تهبه الحياة شريكة أفضل كثيرا ممن اختارها في لحظة من لحظات ذهول القلب والعقل التى قد تصادف أي إنسان لجمالها الباهر وحده دون النظر للاعتبارات الأخرى الأكثر فانطبق عليه قول القائل :

" إن من اكبر أخطاء الرجل أن يعجبه وجه امرأة او قوامها فيتزوجها " كلها !

اى فيتزوجها لجمالها دون ان يتنبه إلى انه إنما يتزوج أيضا شخصيتها وأخلاقها ومبادئها وأسرتها والقيم السائدة في وسطها العائلي مهما تنافرت مع قيمه وأخلاقه .

انه خطأ مشترك تقع فيه المرأة أيضا كما يقع فيه الرجل لكنى أرجو الا تفهم من ذلك انى أنكر عليك او على احد حبا شريفا لمن يرغب في إن تشاركه الحياة وإنما الإنكار فقط لاختيار شريكة العمر على أساس الشكل وحده دون النظر للاعتبارات الأخرى وأيضا للاندفاع وراء العاطفة وحدها بغير استشارة العقل .

أما الحب الإنساني النبيل فمن ذا الذي ينكره على بشر يحس و يتألم ؟

في قصة ضوء القمر للأديب الفرنسي جي دي موباسان ، راقب رجل الدين الأب مارينيان ابنة أخته وخطيبها وهما يتمشيان صامتين في ضوء القمر الساحر .. وكلاهما ينظر للآخر في عطف وحب واهتمام فمسته شاعرية الموقف وقال:

- لو لم يكن الله يرضى عن الحب الشريف .. لما أحاطه بمثل هذا الإطار من الجلال !

مع تمنياتي لك بحياة جديدة سعيدة تمسح عنك كل أحزانك ان شاء الله .

==

القلوب المغلقة

أكتب إليك وكلي أمل في الله سبحانه وتعالي أن تجد مشكلتي حلا لها علي يديك، فأنا سيدة في الثامنة والثلاثين من عمري نشأت في أسرة متوسطة بين أب يعمل بالتعليم، وأم ربة بيت وشقيق وشقيقة يكبرانني. ولقد ربانا أبي تربية صارمة .. واعتاد منذ صغرنا علي تطبيق مبدأ الثواب والعقاب في التعامل معنا .. فكان يطالبنا دائما بالتفوق في الدراسة .. وبالالتزام الصارم بالآداب والتقاليد .. وإذا أخطأ أحدنا حاسبه على الخطأ حسابا مريرا، ويعقد مجلس العائلة علي هيئة محاكمة له ثم يصدر حكمه عليه بالعقاب المناسب.. وكان يتراوح بين الضرب القاسي بالمسطرة والحبس يوم الإجازة في البيت في غرفة الأبناء من الصباح حتى اليوم التالي، والحرمان من اللعب والخروج أو الحرمان من المصروف والحلوى للفترة التي يحددها.. والويل بعد ذلك لمن يتعاطف مع المذنب أو يساعده علي التهرب من تنفيذ العقاب..

فنشأنا جميعا ونحن نتحسب لغضب أبي تحسبا شديدا ونحرص علي الالتزام بكل ما يطلبه منا.. وكانت لنا بالرغم من ذلك أوقاتنا السعيدة.. وإن كنا قد افتقدنا أن يكون لنا أصدقاء من نفس أعمارنا، لأن أبي كان يحذرنا دائما من أصدقاء السوء، ويتشكك في صداقات أبنائه، ومضت بنا الأيام علي هذا الحال حتى تخرجنا جميعا وتزوجت أختي ورحل أبي عن الحياة.. وحمل أخي الأكبر الراية من بعده في التشدد وإدارة شئون حياتنا بصرامة وبتشجيع من أمي.. وأنهيت أنا سنوات دراستي الجامعية دون أن أحيد عن الطريق الذي حدده لنا أبي ومن بعده أخي، ولم أستجب لمحاولات أحد من الزملاء للاقتراب مني.. حتى أشاعوا عني أنني مضطربة نفسيا ومعقدة من كل الشباب، وعملت بإحدى الجهات بعد تخرجي.. وكان أخي قد تزوج وأنجب وخفت قبضته قليلا عني.. وفي هذه الأثناء رجع إلى العمل زميل كان في إجازة سنوية بسبب وفاة أمه وتقدمت الزميلات والزملاء لتعزيته، ولم أدر أنا ماذا أفعل لأنني كنت أرتبك إذا تحدثت لأي شاب في غير أمور العمل.. فلم أتقدم إليه بالعزاء.. ولاحظت ذلك زميلة لي فحثتني علي القيام بهذا الواجب لأن الإنسان يكون في هذه الظروف في حالة ضعف ويجرحه أن يتجاهل القريبون

منه مواساته.. فاستجمعت شجاعتي، وقلت له بصوت لا يكاد يسمع: البقية في حياتك.. ورجعت إلى البيت ووجهه الحزين يحتل تفكيري ومخيلتي. ويوما بعد يوم أصبح هذا الزميل محور تفكيري ليلا ونهارا وعرفت من الزميلات أنه شاب مستقيم ومسالم وعلاقته بزملائه طيبة.. إلى أن لفتت زميلة لي انتباهي إلي أنه يطيل النظر إلي ويهتم بأمري، وسعدت بذلك كثيرا ثم فوجئت به يقترب مني ويسألني بأدب: هل أنت مخطوبة يا آنسة؟.. فوجدتني أجيبه بالإيجاب مع أني لم أكن مخطوبة ولا مرتبطة بأحد، وفي الليل كدت أنفجر من الضيق والندم على ما فعلت بنفسي.. وعقدت العزم على أن أصارحه بالحقيقة في اليوم التالي.. فمضي النهار دون أن أجرؤ على الاقتراب منه أو النظر تجاهه، وقبيل انصرافنا من العمل فوجئت به يقترب مني ويسألني: لماذا لا أرتدي أية دبلة إذا كنت حقا مخطوبة.. فوجدتني أقول له إنني لست مخطوبة لأحد ولا مرتبطة، لكني اعتدت أن أجيب على هذا السؤال بالإيجاب لكي أرد عني العابثين.. فابتسم عاتبا وقال لي إنه ليس عابثا وإنما هو مهتم بأمري ويريد أن يتقدم لي إذا قبلت به.

وهكذا بدأت علاقتي بأول إنسان من الجنس الآخر يتفتح له قلبي.. وخلال أسابيع كنت قد عرفت عنه كل شيء.. وصارحني بأنه أراد أن يتقدم إلي قبل شهور، لكنه تراجع خشية رفضه لأن أحواله المادية سيئة، ولا يمتلك إلا مرتبه الصغير وقد انقطع معاش أبيه برحيل أمه عن الحياة وبلوغه السادسة والعشرين من العمر.. ولن يستطيع أن يوفر لي إمكانات الزواج اللائقة، فأكدت له أنني سأسانده بكل ما أملك وجاء يطلبني من أخي، وبعد مداولات قصيرة بين أخي وأمي وأختي انتهوا إلى رفضه لأنه لا يملك شيئا.

وحاولت مع أمي وأختي كثيرا أن تتفهما عمق محبتي لهذا الشاب واحتياجي إليه.. فلم تتزحزحا عن موقفهما قيد أنملة، فتولتني ثورة عارمة لأول مرة في حياتي وهددت أمي بأنني سأتزوجه في كل الأحوال.. فأسرعت تستدعي أخي وجاء مضطربا ليحاول أن يعرف مني لماذا الإصرار علي هذا الشاب وهل أخطأت معه أم لا؟ فطمأنته إلى أنني نفس الفتاة الملتزمة التي نشأت على مبدأ الثواب والعقاب وترعي حدود ربها.. ولا يمكن أن تفرط في نفسها لأحد إلا بشرع الله سبحانه وتعالي، فحاول إقناعي بأن هذا الشاب لا يناسبني لأنه معدم.. وأهله وإن كانوا طيبين

إلا أنهم جميعا بسطاء ومسكنه الذي ورثه عن أمه شقة متواضعة بالإيجار في حي شعبي مزدحم، وأنني إذا تزوجته فلسوف أبدد ميراثي عن أبي كله في تأثيث مسكن الزوجية وسأعجز عن مواجهة الحياة بمرتبه ومرتبي.. فلم أزدد إلا استمساكا بمن اختاره قلبي.. وعشت شهورا عصيبة وأمي تقاطعني وأختي تخاصمني وأخي لا يتحدث معي إلا مهددا ومنذرا.. فإذا تجرأت علي مخالفته في الرأي انهال علي ضربا وكأنني مازلت الطفلة الصغيرة التي تحاكمها الأسرة وتوقع عليها العقاب، واستمر الحال علي هذا النحو عامين.. وفتاي يتعجلني ويشكو إلي من وحدته بعد وفاة أمه ويحرم نفسه من القوت الضروري لكي يوفر كل قرش للزواج.. وبعد مشاجرة عنيفة بيني وبين أخي أدماني خلالها ضربا وإيذاء بسبب رفضي خطيبا أحضرته لي أختي، أعلن يأسه مني، وترك لي حرية الزواج بمن أريد، ولكن بدون أية مساعدة منه أو من أمي ودون حصولي علي نصيبي من ميراث أبي، وبشرط أن يحوله إلي شهادات استثمار يحتفظ هو بها لديه لكيلا يستفيد بها زوجي. وإلى أن يطمئن إلي أمانته معي ووافقت على ذلك.. فأضاف شرطا آخر هو أن يوقع خطيبي شيكا بمبلغ عشرين ألف جنيه كضمان له مقابل المهر الذي سيعجز عن دفعه والشبكة التي لن يشتري منها إلا شيئا رمزيا.. ورفضت أنا هذا الشرط الجائر.. وقبل به فتاي رغما عني.. وتمت الخطبة والزفاف في أضيق الحدود وانتقلت إلي سكن زوجي في الحي الشعبي..

وتحملت شظف العيش وجفاء أمي وأخي وأختي معي.. وحرصت على زيارتهم جميعا وخطب مودتهم في كل حين، وحملت وأنجبت طفلي الأول. وبعد عامين أنجبت طفلي الثاني.. وازدادت أعباء الحياة علي.. فطلبت من أخي أن يعطيني فوائد الشهادات الخاصة بي لألبي بها مطالب الأبناء بدلا من أن يشتري بها شهادات جديدة باسمي كما كان يفعل منذ زواجي، وبعد رجاء وتوسلات

مرت شهورا وافق على أن يعطيني ربعها ويشتري بالباقي شهادات.. وحمدت الله على ذلك، لكني أنجبت طفلة أخرى وازدادت مطالب الأبناء فرجوت أخي أن يفرج عن فوائد الشهادات فقط لأشعر بالحياة وأعيش كما يعيش هو وأمي وأختي، فثارت مشكلة جديدة لم تحل إلا بعد أن قبلت قدم أخي في بيته وأمام زوجته وأبنائه الذين بكوا من أجلي وغضبوا منه واشتركوا في الإلحاح عليه بأن يلبي طلبي.

وبعد ست سنوات من زواجي تحملت فيها ظروف الشقة القديمة غير الصحية، راودني الأمل في أن أغير مسكني وأحصل على شقة تدخلها الشمس والهواء وينمو فيها أطفالي في جو صحي.. وتوصل زوجي إلى اتفاق مع صاحب البيت الذي نقيم فيه علي إخلاء الشقة مقابل٢٠ ألف جنيه.. ووافق أخوته على إقراضه مبلغا آخر.. فطلبت من أخي أن يسلمني الشهادات لأبيعها وأكمل بقيمتها ثمن شقة ملائمة عثر عليها زوجي.. فهاج وماج أخي.. واتهم زوجي بالاستغلال واتهمني بالضعف.. وأقسم ليدخلن زوجي السجن بالشيك الذي يمسكه عليه.

ولجأت إلى أمي فلم تساندني وإلى أختي فخذلتني وإلي كل من أعرفهم فلم يقدر عليه أحد، وفي لحظة جنون ذهبت إلى أخي في العمل. وطالبته بتسليمي الشهادات والشيك وهددته إن لم يستجب لي أن أشكوه إلي رؤسائه وزملائه في العمل.. بل وإلي الشرطة كذلك إذا تطلب الأمر ذلك.. فكانت هذه هي خطيئتي الكبرى التي لا تغتفر ونظر إلي أخي مذهولا ثم سحبني من يدي وعاد بي إلي البيت وروى لأمي ما حدث فانفجرت براكينها ضدي، وانهالت علي صفعا وركلا وسبتني وبصقت على وجاءت أختي مهرولة بعد أن استدعاها أخي وانهالت هي الأخرى علي سبا وشتما حتى صرخت من القهر والظلم وأخي ينظر إلي متشفيا، ثم نهض في النهاية فأحضر الشهادات والشيك وسلمها لي ودفعني دفعا خارج البيت وهو يبلغني بقراره الذي لا رجعة فيه وهو أنني لم أعد أختا له أو لشقيقتي ولا ابنة لأمي، وحذرني من العودة إلى هذا البيت أو الاتصال بأحد من أسرتي وخرجت وقهر الدنيا كله في قلبي.. ورويت لزوجي ما حدث. فتألم من أجلي وأصر على إرجاع الشهادات والشيك إلى أخي.. وأخذها وتوجه إلي بيت أخي وطرق الباب فخرج إليه شقيقي ورفض دعوته إلى الدخول، ورفض تسلم الشهادات والشيك منه وطلب منه الانصراف ونسيان كل شيء هو وزوجته عن أهلها..

وانقطعت منذ تلك اللحظة كل صلة لي بأهلي وذوي رحمي.. وانتقلت بأسرتي إلي الشقة الجديدة فلم أشعر بالفرحة التي حلمت بها لإحساسي باليتم والقهر والنبذ من أقرب الناس إلي، وأملت أن تذيب الأيام المرارات وأن أرجع إلى حضن أمي وأختي وأخي.. وصبرت عدة شهور ثم بدأت محاولاتي لطلب العفو والمغفرة وبدأت بأمي فوجدت قلبها كالحجر الأصم.. وحاولت مع أختي فلم أجد منها إلا القسوة والصرامة.. وحاولت مع أخي فقال لي إنه ليس له سوى أخت واحدة وأنه لا يعرفني.

ورجعت حزينة ومريضة.. فرقدت في فراشي أسبوعا وانتظرت على مضض عدة شهور أخرى وكررت المحاولات، فإذا بالقلوب مازالت كالحجر أو أشد قسوة، ومرضت من جديد ولازمت الفراش عشرة أيام، وبعد أن تمالكت قواي بعض الشيء عدت للعمل.. فإذا بي أشعر بألم شديد في صدري فذهبت إلي طبيب العمل.. وفحصني ثم أحالني إلي المستشفي وهناك فوجئت بالطبيب يحتجزني ويطلب مني الاتصال بزوجي على وجه السرعة، وجاء زوجي منزعجا.. فصارحه الطبيب بأنني مريضة بالمرض اللعين وفي مرحلة متأخرة، ولابد من جراحة عاجلة لاستئصال الثدي اليمني قبل فوات الأوان..

وطفر الدمع من عيني زوجي وتمالكت أنا نفسي فلم أبك بل رحت أخفف عنه وأرفع من روحه المعنوية.. ودخلت غرفة العمليات بعد يومين وتمت الجراحة بسلام.. ووجد زوجي من واجبه أن يبلغ أخي بوجودي في المستشفي فذهب إليه في العمل وأبلغه فلم يجبه بكلمة واحدة..

وجاء زملائي و زميلاتي جميعا وسعاة المكتب لزيارتي والاطمئنان علي ورفع معنوياتي، وجاء كل أهل زوجي الذين أخذوا أطفالي لديهم، وأحاطوا جميعا بفراشي ورفعوا أيديهم بالدعاء من أجلي.. وكلما انفتح الباب توقعت أن أرى أمي وأختي وأخي.

فانقضى أسبوعان وأنا في المستشفي دون أن يحضر أحد منهم لزيارتي أو للسؤال عني.

وجاءني زوجي يبشرني بالخروج من المستشفي.. وراح يجمع حاجياتي ويساعدني على ارتداء ملابسي، ثم حمل عني حقيبتي وأمسك بذراعي ليعينني على المشي، فما أن تحركت في اتجاه الباب حتى انهارت مقاومتي فجأة وانفجرت في بكاء مرير وعويل كعويل الثكالي، ولأول مرة منذ علمت بمرضي أرى زوجي يبكي لبكائي ويحتضنني ويقبل رأسي ويدي ويقول لي إنه أخي وأمي وأبي وأختي ولم أبك يا سيدي للمرض وإنما لهواني على أهلي وقسوتهم علي ورفضهم لي.. وحرماني من عطفهم وأنا في أشد الحاجة إليه.. وعدت إلى بيتي وحياتي وأولاديى.. وامتثلت لأقداري وبدأت العلاج بالكوبالت.. وتساقط شعري.. ومضت الشهور ومازلت تحت العلاج.. والطبيب يقول لي إن نتائج العلاج جيدة، لكن روحي المعنوية منخفضة وأن هذا يؤثر علي استقرار الحالة ويهدد بالخطر..

وأنا لا أريد من أمي وأختي وأخي شيئا.. ولقد أقررت بذنبي وخطئي في حق أخي حين هددته باللسان فقط ومن وراء القلب والله على ما أقول شهيد، ولم أكن لأفعل شيئا مما قلت أو أجرؤ عليه وحياتي مع زوجي مستقرة وهو يعاملني أفضل معاملة ووقف إلى جواري في شدتي ووقف أهله بجانبي وقدموا لي كل الرعاية والخدمة.. لكني منبوذة من أهلي.. وقلوبهم مغلقة في وجهي.. ولم ترق لي حتي في مرضي وضعفي.. وقد أعيتني الحيل في استرضائهم.. وطلب عفوهم عن حماقتي التي لم تتكرر.. وأبنائي يسألونني عن أهلي ولماذا لا يزورون أهل أمهم. ولا يعرفونهم ولا أدري بماذا أجيبهم، فهل تكتب لأمي وأختي وأخي الذين يتابعون هذا الباب بانتظام وتطالبهم بالعفو عما جري.. وفتح أبوابهم المغلقة في وجهي.. لقد عفوت أنا عن عدم سؤالهم عني في مرضي وشدتي.. فلماذا لا يعفون هم كذلك عن فعل واحد اضطررت إليه وندمت عليه، والله يغفر الذنوب جميعا إلا الشرك به؟ وإلي متى سوف يستمر عقابهم القاسي لي؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أيعلم شقيقك وأمك وأختك أنه قد أجريت لك جراحة خطيرة وأنك ترقدين بالمستشفي في طور النقاهة من المرض الخطير، فلا تفارقهم قسوة قلوبهم حتي في هذه اللحظات العصيبة ولا يهرعون إليك باكين خائفين لرعايتك والاطمئنان عليك وشد أزرك في محنتك؟

يا إلهي.. إنها ساعة تنسي فيها العداوات وتذوب الأحقاد.. ولا تبقي إلا عاطفة ذوي الأرحام تجاه أرحامهم.. فكيف تحجرت قلوب الأهل تجاهك إلي هذا الحد يا سيدتي؟ وماذا جنيت حتى استحققت منهم هذا النبذ المؤلم والطرد القاسي من جنتهم ورحمتهم؟

إن كل ما فعلت هو أنك قد اخترت حياتك ولم تشقي عصا الطاعة على الأهل ولم تتزوجي في غيابهم وإنما صبرت حتى قبلوا بمن اختاره قلبك كارهين وقبلت بشروطهم القاسية لإتمام زواجك.. ووافقت على الزواج منه بلا أية إمكانات مادية لكي يطمئنوا إلي أنه لم يستفد بمالك الموروث، ورضيت بالحرمان وشظف العيش سنين عددا لتبرئي زوجك لديهم من كل شبهة استغلال لك، وحين اشتدت عليك وطأة مطالب الحياة تطلعت إلي استرداد حقك المحتجز لدى أخيك لترفعي به مستوي حياتك وتؤمني لأطفالك مسكنا صحيا، فما هي الجريمة في ذلك وكل إنسان رشيد في النهاية أحق بماله.. ومن حقه أن يتصرف فيه كيف يشاء، وليس لأهله عليه في هذا الصدد سوى حق النصيحة والإرشاد وله أن يعمل بمشورتهم في ماله.. أو يرى الخير في غيرها فيشكرهم على حرصهم علي أمره.. ويعتذر لهم عن قبول النصيحة لأسباب يراها مادام كامل الأهلية وليس مطعونا في قدرته علي حسن التصرف في ماله، فإذا كنت قد اضطررت لأن تتظاهري بتهديد أخيك لكي يسلم إليك مالك بعد أن أعيتك كل الحيل والطرق الودية لإقناعه بذلك فإن الخطأ الأكبر هو خطأ من احتجز مالك لديه رغما عن إرادتك وغل يدك عن التصرف فيه بما ترينه خيرا لك ولأسرتك.. ورفض كل حيلة لإقناعه بتسليمه لك حتى ولو كان قد فعل ذلك بدافع الحرص على هذا المال من الضياع.. بل حتى ولو كانت نيته صادقة في الحفاظ عليه من أجلك.. لأنه أمانة لديه ترد لصاحبها عند الطلب وليس من حقه أن يمتنع عن ردها بأي مبرر يراه هو في صالح صاحبها، وإلا كان محتجزا لهذا الحق على غير رغبة مالكه الشرعي، ومغتصبا له منه، والناس لا يساقون إلي الجنة بالعصا، كما قال ذات يوم الزعيم السوفيتي الأسبق خروشوف، فإذا كنت قد أخطأت بتهديده بفضحه لدى رؤسائه أو شكواه إلى الشرطة.. فلقد حرضك هو على ارتكاب هذا الخطأ العابر في حقه، بارتكابه هو خطأه الأفدح معك ورفضه تسليمك ما لك لديه بمجرد الطلب منه وبغير الحاجة إلى الإلحاح والرجاء والاستجداء.

وهو على أية حال خطأ هين ولا يعبر أبدا عن حقيقة مشاعرك الأخوية، وكان يكفى الاعتذار عنه لكي يمحوه وترجع علاقتك به إلى طبيعتها بعد حين.. لكن شقيقك فيما يبدو قد ورث عن أبيكم نظريته في العقاب المدرسي.. ولم يرث عنه على الأرجح حكمته في تقدير العقاب الملائم للخطأ.. ولو كان قد ورثها عنه حقا لاكتفى لحظة ذهابك إليه في العمل بمعاتبتك على تهديدك له وقبل اعتذارك عنه ثم رد عليك مالك بلا ضغينة وحافظ علي صلته الأخوية بك.. وراقب عن قرب تصرفك في مالك ليتدخل في الوقت المناسب ويشير عليك بما يراه في صالحك،

أو يردك عما يراه ضارا بك، إذ هكذا يفعل الآباء الرحماء مع أبنائهم حتي ولو تورطوا في خطأ عابر في حقهم واعتذروا عنه.. مادام شقيقك قد أراد أن يقوم بدور الأب في حياتك وحياة الأسرة، فالأبوة هي في الرعاية والعطف والعطاء والتسامح والحكمة والفهم.. وليس فقط في الرياسة والسيطرة والتحكم في مقادير الأبناء كما يراها شقيقك من وجهة نظره القاصرة.

ومع ذلك فلعلي أستطيع أن أفهم بعض أسباب غضبه الأعمى منك وإحساسه بالإهانة حين قمت بتهديده وهو الذي اعتاد ألا ترد له كلمة في أسرته بعد وفاة أبيه، حتى ولو أنكرت عليه هذا الغضب الضاري.. لكن ما لا أستطيع فهمه حقا هو كيف تحجر قلب والدتك تجاهك على هذا النحو.. وكيف استطاعت أن تباعدك وتقاطعك حتى وبعد أن علمت أنك تصارعين المرض القاسي وفي أشد الحاجة إلى عطف الأمهات وحنانهن في مثل هذه الظروف العصيبة.. وماذا جري لبعض القلوب حتي صارت كالحجر أو أشد قسوة.. وأين عطف الأم والشقيقة وذوي الأرحام في الشدائد؟!

وهل كان من الضروري أن تشقي بحياتك الزوجية لكي تثبت والدتك وشقيقك وأختك بعد نظرهم فيفتحوا لك مغاليق قلوبهم القاسية؟

وماذا ينكرون على زوجك سوى ضعف إمكانياته، وقد كان ومازال نعم الزوج المحب العطوف لك.. في حين جفت ينابيع الرحمة في قلوبهم هم، فلم يترفقوا بك حتى وأنت في محنة المرض؟

إن الناس لا يسعدون بحياتهم والأهل الأقربون يباعدونهم وينكرونهم وينبذونهم وكأنهم قد ارتكبوا أبشع الجرائم.
ولقد كان الشاعر الفرنسي بول ايلوار يقول: إن وحدة الإنسان بغير أهله جريمة.. وإننا نحتاج إلي رفقة في الحياة لكي نري الحياة ونتذوقها.. ونشعر بكل أحاسيسها.

وأيا كانت سعادة المرء أو تعاسته الزوجية فإنه في حاجة كإنسان إلى الأهل الأقربين الذين أشار إليهم التنزيل الحكيم بقوله: وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله.(الانفال٧٥)

فكيف يتفق ذلك مع هذه القلوب الصخرية التي تباعدك وتقطع رحمك ولا ترق لك حتى وأنت في محنة المرض، وألا يوجد في أسرتكم شخص رشيد يرد هؤلاء الجبابرة إلى صوابهم أو يذكرهم بعقاب رب السماوات والأرض لقاطعي الأرحام وغلاظ القلوب ومعذبي البشر بغير ذنب جنوه !.

نشرت بتاريخ ١٣ ديسمبر ٢٠٠٢*

==

القلعة السوداء

أكتب إليك رسالتي الأخيرة لعل الله يقدر لي بها سبيلا للنجاة بعد أن بدأ العد التنازلي للنهاية. استحلفك بل * وأتوسل إليك ألا تتخلي عني فقد لا تواجهني صعوبة بعدها في ايجاد طريقة للتخلص من حياتي، فلم أعد اطيق البقاء علي هذه الدنيا ولا أجد لوجودي بها قيمة، لقد أعلنت اليوم رفضي لعالم عاقبني طوال ثلاثة وعشرين عاما هي سنوات عمري علي ذنب لم اقترفه، ولم يكن لي أدني تدخل فيه، إلي أن جاءتني الفرصة الطبيعية كأي فتاة لابدأ حياة مستقلة بما شرعه الله لي من حق في الزواج، فأبي إلا أن تكون هي الاخري مكبلة بشروط قاسية وعقبات لم ينزل الله بها من سلطان. لكن قبل هذا القرار سوف أترك لك رسالة اخري وأوصي بأن تصلك موقعة بالدماء قد لاتتردد كثيرا وقتها في نشرها فتصل متأخرة فقط كنموذج صارخ لفتاة قضت أيامها في قلعة سوداء قد تبكي قراءك وتثير الرأي العام، لكنها لن تذيب ألواح الثلج تلك الكائنة في ضمائر الجناة.

أنا الابنة الكبري لأب يعمل بوظيفة مرموقة وأم علي درجة عالية من التعليم والثقافة كان لهما الفضل الأكبر فيما وصلت إليه الآن، فبغض النظر عن كرههما لانجاب البنات واعتبارهن مسئولية خطيرة منذ اليوم الأول حتي اليوم الأخير فهما ينتميان إلي مجتمع غريب يملأه الحقد والفضول فلايهتم أفراده سوي بالفضائح والاسرار والتدخل في حياة الغير. لقد بدأت مأساتي معهما منذ نحو خمس سنوات عندما شاء لي القدر أن التقي بشخص غير حياتي، فكان أول من عاملني كإنسانة لها كيان واحساس، لقد أدخل الدفء إلي حياتي وأضاء شمعة أمل صغيرة سرعان ما انطفأت عندما أدركت أنه لا يحاول الاقتراب مني ويتجنب الاعتراف لي بحبه، ولم تطل حيرتي بعدها لأعرف السبب،

لقد عرف من شقيقته وهي احدي صديقاتي بالكلية أن الفارق بيننا كبير لا يمكن تجاوزه فقرر أن يبتعد في هدوء، إنه شاب بسيط يدرس باحدي الكليات التي ليس لها مستقبل، يعيش ظروفا متواضعة يرعي والدته بعد وفاة والده وزواج اخوته الكبار، ولم يكن امامي أنا الاخري سوي الاستسلام، لكني لم استطع النسيان فعشت انتظر مصادفة تجمعني به أو لقاء، حتي جاءت البداية ليعلن كل منا للآخر عجزه عن المقاومة.

فقد اصبت في حادث ودخلت المستشفي، واصطحبته شقيقته معها في الزيارة المسائية ليوصلها نظرا لبعد المسافة وتأخر الوقت لكنه لم يكن يعرف أنه سيراني.

رأيت في عينيه يومها كل ما حاول أن يكتمه عني طوال تلك المدة، وشعر هو الآخر من دموعي بضعفي وقلة حيلتي، وهكذا بدأنا لأعيش معه أسعد أيام حياتي واكتشفت من صفاته واخلاقه ما تعجز كلماتي عن وصفه. فقد وجدته شابا متدينا علي خلق، يضع الله امام عينيه في كل أفعاله. وعدني بألا يتخلي عني وأن يبذل كل مايستطيع من أجلي، ولم تمض سوي أشهر قليلة علي تلك السعادة حتي قررنا أن تأخذ علاقتنا شكلا رسميا، لكن هيهات. فقد

رفض أبي ذلك بشدة وتعمد الاهانة في رفضه حتي يكون ذهابه بلا رجعة ويبتعد عني للأبد، فكل ما يملكه لا يكاد يتعدي ثمن فستان الزفاف الذي ارتدته فلانة ابنة فلان التي هي أقل مني مالا وجمالا.
وكيف يوافق أبي علي خطبة قد تستمر عاما أو عامين لن يستطيع خلالها سوي توفير أقل ضروريات الزواج، فلا يجوز أن تتزوج ابنته إلا صاحب المال والنسب في مراسم تنال رضا الناس ولا مانع من أن تأخذ جزءا من ذاكرتهم.
لقد نسي أبي قول الرسول الكريم: إذا خطب اليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفسادا كبيرا لم يتذكر سوي رحم الله امرأ عرف قدر نفسه. لقد صدمت بهذه الحقيقة صدمة أقعدتني الفراش ما يزيد علي شهرين خصوصا وقد تولت أمي الأمر لتعيدني إلي رشدي أو تعيد تربيتي ـ كما قالت ـ تدهورت حالتي النفسية وتساقط شعري ونقص وزني وملأت جسمي بقع غريبة، وبقيت تحت العلاج مدة طويلة، وتمكنت من الاتصال به بعد مدة ليقول لي إن أبي لديه حق فيما قاله ولو كنت مكانه لفعلت مثله، أنت تستحقين أفضل مني بكثير واعتذر لي عما سببه لي من احراج ورفض أن يكمل المشوار.
مرت بعدها الأيام بطيئة كئيبة حتي عرفت من شقيقته أنه التحق باحدي الهيئات الخاصة التي لها مستقبل أفضل، وفي الوقت نفسه باع ميراثه من والده ليسدد مصروفاتها وأصبح يدرس بالصباح ويعمل بالمساء ربما يستطيع أن يحقق شيئا يرضي به أبي. وطلب منها ألا تخبرني بهذه الخطوة حتي لا أعيش علي أمل قد لا يتحقق، لكنها لم تكتم هذا عني ولم يفرحني هذا الخبر بقدر ما آلمني، فهذا ليس دليلا علي حب عظيم لي فقط أو علي تضحية بكل ما يملك من اجلي وانما دليل علي أمل معذب مازال يعيش عليه، لذلك قررت عدم الاستسلام أنا الاخري وأن أظل بجواره إلي النهاية ووعدته بألا اكون لاحد غيره ووعدني هو بألا يدخر جهدا في إسعادي وتوفير مستقبل لائق بي.
وانتهت مدة دراسته بعد كفاح مرير وتحدث مع ابي ثانية علي أمل ان يوافق هذه المرة خصوصا وقد شرح له تحسن ظروفه واستعداده للسفر بالخارج لكن أبي لم يرحمنا فكان رفضه هذه المرة بعناد وإصرار، وقال له أنت لو اشتغلت ليلا ونهارا عشر سنوات فلن تستطيع أن تجمع مهر إبنتي ولم تشفع لي دموعي ليدرك مدي احتياجي لهذه الموافقة.
أصابني يأس شديد جعلني أفكر في الزواج منه ووضعهم أمام الأمر الواقع وعرضت عليه اقتراحي فرفض وقال لي أنت لا تستحقين ذلك بعد كل هذا الصبر، إنك لن تخرجي من بيت أهلك إلا عروسا وسط رضا الجميع لكنك لن تكوني لي. وأخبرني بأن ظروفه قد تعقدت أكثر فلن يستطيع السفر قبل قضاء الخدمة العسكرية، وقال لقد انتهت رحلتنا عند هذا الحد فلم يعد بيدي شيئ افعله.. أتمني لك السعادة.
ولم تمر سوي أيام قليلة حتي تقدم لأبي العريس المنشود إنه إبن احد اصدقائه المقربين فوافق علي الفور فهو يمتلك الشقة المؤثثة والسيارة المناسبة والعمل المريح، كما أن والده يستطيع إقامة حفل زفاف مشرف، لقد كانت هذه المؤهلات هي الثمن فقرر ابي ان يبيعني به دون حتي ان يأخذ رأيي. وتمت الخطبة سريعا لأجد نفسي أمام شخص غريب يفتقد كل معني للرجولة، فقد ولد كما يقولون وفي فمه ملعقة ذهب، ولا أكاد أتعدي في نظره واحدة من قائمة مزدحمة بالفتيات قد أكون أنا أقلهن جمالا وروشنة، لكن الواحد لما بيفكر في الاستقرار والزواج بيدور علي الأصل لأنه هوه الأهم، هذا ما قاله لي في اول لقاء. ولن أزيد في نظره علي زوجة آلية ليس عليها سوي الطاعة والولاء، وكأن ابي اختاره بعناية ليكمل معي تلك الرسالة المتوارثة ويتأكد أني سأعيش ما تبقي من عمري في ذلك القهر الذي تربيت فيه.
قد تتعجب أن وضعا كهذا مازال موجودا في عصرنا هذا، وقد تسألني: لماذا لا اعترف لخطيبي وأشرح له حقيقة شعوري وأخبره بأني حتي لم أوافق عليه عندما تقدم لخطبتي؟! فهذا الاعتراف ليس الا فضيحة كبري ظلوا يحرصون علي عدم وقوعها سنوات. ولا أعتقد كذلك أن هذا الإعتراف يهمه كثيرا فربما يزيده إصرارا وعنادا وتماديا في تعذيبي، كما ان ابي لن يرضي من بعده إلا بمن هو في مثل وضعه ومؤهلاته أو افضل منه لذلك فلن يكون الفارق كبيرا.
سيدي لقد حدد أبي أخيرا موعد عقد القران، ذلك العقد الباطل بجميع المقاييس لتنتهي القصة أو تبدأ لا أدري. وقد بقي علي ذلك الموعد أقل من شهرين لذلك كان قراري بأن اضع انا النهاية فلن أجلس لانتظارها كما يفعل من أهلكه المرض أصبح الموت هو شفاؤه الوحيد. وأترك لك جزءا من هذه النهاية يكتبه قلمك ردا علي رسالتي هذه تبدأ هذا الرد بكلمة ياعزيزتي أو يا ابنتي فأنا حتي لا اسمعها من اقرب الأقربين الي، حتي امي اغلقت عسي ان قلبها في وجهي واتهمت مشاعري بالمراهقة لقد كانت دائما هكذا تطير فرحا عندما تري فلانا ينظر إلي في إحدي المناسبات نظرات إعجاب ساخنة وتلومني علي عدم التجاوب معه فهو حلم كل فتاة، كما أن والده من الشخصيات المرموقة، وتموت نكدا لان آخر أحبني وأراد ان يتزوجني في شرع الله ويبدأ معي حياة متواضعة نبنيها معا ونسعد بكل مراحلها راضين بما قسمه الله لنا وما أنعم به علينا.
سيدي لقد أعياني التفكير وفكرت في ان اكتب لك بعد ان استخرت الله كثيرا لتكون آخر محاولة أبذلها لإنقاذ نفسي ومساعدة إنسان بذل كل ما يستطيع من اجلي، لكن مع الاسف وقفت ظروفه المتعثرة حائلا بيني وبينه. فليس له

أب ينفق علي زواجه وربما أمامه مدة طويلة لتحقيق تلك المعادلة الصعبة، وقد وصل حاله من يأس واحباط لدرجة جعلت والدته تبكي وهي تحدثني وتسألني لماذا تركته؟وتستحلفني بأن افعل اي شيء لإنقاذه.
لقد منعت حتي من انتظاره. فهم ينتظرون اليوم الأخير بفارغ الصبر. ربما كانت كلماتي مؤلمة، ولكنها لم تعبر بعد عن الواقع. صدقني أنا لست طامعة في شيء ولو معي المصباح السحري لما طلبت منه أكثر من العيش بسلام مع من أحب. لكن هذا لن يحدث قبل توافر تلك الشروط القاسية فهل تقرر مساعدتي؟
ربما يكون توفيرها بشكل مؤقت كاف جدا. حتي يتبدل ذلك اليوم الأسود الذي سأزف فيه إلي ذلك الصنم بيوم آخر من أيام الجنة. تخيل أنك تشاركني فرحتي في ذلك اليوم.
ابنتي العزيزة: ها أنا أبدأ بما أحببت، وأضيف ان لغتك في التعبير عن نفسك وعن مشاعرك ومجتمعك * أذهلتني، ففي مثل عمرك تكون الأفكار مشوشة او عاجزة عن الوصول للآخرين، ولكنك نجحت في التعبير عن القلعة السوداء بداخلك وليست تلك التي تعيشين فيها.
تلك القلعة التي غرسها فيك والداك، فجعلاك تشعرين بأنك تدفعين ثمن انك أنثي، وهذا فكر غريب وشاذ وجاهلي لايليق بأب يعمل في وظيفة مرموقة وأم علي درجة عالية من التعليم والثقافة، ولا أدري أي علو وأي تعليم وأي ثقافة تلك التي تؤدي الي غرس مثل هذه المفاهيم في قلوب صغيرة.
صغيرتي.. أقدر مشاعرك، وأقدر غضبك، كما أتفهم اندفاعك، ولكن اسمحي لي ـ قبل ان اناقش ماجاء في رسالتك وأتوجه الي والديك ـ ان الومك علي طريقة تفكيرك في الانتحار والموت فهذا المستوي من التفكير لايليق بمن تكتب بهذا المستوي. ودعيني أتفق معك في رصدك للتناقضات الاجتماعية حولك والاهتمام بالمظاهر والشكليات، وان معايير الزواج يجب ألا تخضع لمعايير والديك حسب ماجاء في سطور رسالتك.
ولكن لابد ان ألفت نظرك الي ان والديك وهما يرفضان عريسا غير جاهز بالمرة، متواضع الامكانات مستقبله غير واضح، يبدو رفضهما منطقيا، وإذا كنت تستندين الي الحديث الشريف في مواصفات الزوج فإن هناك احاديث وآراء لأئمة المسلمين تضع التكافؤ بين الزوجين شرطا لصحة النكاح. وهذا لايعني أبدا أن يجبرك احد علي الزواج بمن لاترغبين لمجرد انه يمتلك الامكانات المادية والانتساب الي عائلة كبري.
وهنا لابد ان اقول لوالديك ان يوقفا هذه الزيجة ولايسيرا فيما اتجها اليه، لأنهما بذلك يدفعانك للشقاء، فالزواج أيها الآباء ـ كما تعلمون ـ كما انه سكن ورحمة فإنه حقل أشواك، يحتاج الي محبين كي يتحملوا وخزه.
وأقول ايضا لوالديك ان ضعف إمكانات شاب بهذا الخلق، دخل البيوت من أبوابها، ورفض ان يرتكب حلالا بأسلوب خاطئ تكريما لابنتكما واحتراما لاسرتها، لايستحق الاهانة او الرفض بعناد واصرار، فعظام الصغار مازالت هشة وتحتاج الي الحنان والاحتواء.
عزيزتي.. أقترح عليك ان تواجهي والديك بكل ماتحملينه في نفسك وتخبريهما برفضك الكامل للزواج بالعريس الذي اتيا به، بدون ان تربطي ذلك بالزواج بمن احببت. وافسحي للزمن والقدر مساحة، لعله يفعل ماقد لانراه ولانعلمه. فإذا تغيرت احوال هذا الشاب وكان قادرا علي الزواج بتكاليفه المجهدة ـ ايا كان مقدارها. قد يغير والداك رأيهما، وإما ان يهدأ القلب من انفعالاته ونبضاته، ويتيح للعقل مساحة اكبر تمكنك من اختيار شريك حياتك.. لاتتعجلي في قراراتك، فأنت مازلت صغيرة والحياة مليئة بالاختبارات والاشواك، واثق في أنك ستجتازينها، وسأكون حريصا علي مشاركتك فرحتك بإذن الله.
===

القلب المغلق

أنا فتاة عمري ثلاثون سنة، نشأت في عائلة مرموقة، لأبوين مخلصين ربيا أولادهما علي الفضيلة، وعرفنا طريق الاستقامة منذ البداية، ولم أهتم بما يقولونه عن أنني جميلة ورشيقة وخفيفة الظل,
ورحت أركز كل جهدي في الدراسة، حتي حصلت علي بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية، والتحقت بمؤسسة كبري وأقبلت علي العمل بكل همة ونشاط.
وتابع رؤسائي أدائي وأثنوا علي كثيرا، وتمت ترقيتي إلي أكثر من منصب، لكن طموحي الزائد صار هو مشكلتي الكبري التي لا أجد لها حلا في مواجهة أهلي الذين تكتلوا ضدي رافضين انغماسي في العمل إلي هذا الحد القاتل من وجهة نظرهم.
أتعرف السبب ياسيدي في رؤيتهم هذه؟ إنه عزوفي عن الزواج، ورفضي فكرة الارتباط حتي أحقق كل طموحاتي في العمل، ودفعني ذلك دون أن أشعر إلي كره الرجال، وكلما أبلغوني بأن عريسا تقدم لي أرفضه دون أن أراه أو أجلس معه، أو حتي أعرف بعض التفاصيل عن حياته وعمله.
هل تتصور أنني لم أفكر يوما في أي علاقة عاطفية، أو أحلم ذات يوم بأن أكون عروسا وأما لها بيت وأولاد، ولم أهتم أبدا بالصداقات مع الشباب، وكنت أنفر من أي رجل يحاول الاقتراب مني، وانعكس ذلك علي شخصيتي، فمضيت في طريقي الذي رسمته لنفسي منذ البداية، ولم ألتفت إلي أحاديث أسرتي الجانبية عن أنني مريضة نفسيا، أو معمول لي عمل، وللأسف فقد أخذوا بمشورة بعض الأصدقاء بعرض حالتي علي الدجالين والمشعوذين فربما يكون هناك من عمل لي عملا لكي يوقف حالي ويجعلني أنفر من الرجال. لوم يصلوا إلي شيء

وبرغم محاولاتي المستميتة لشرح وجهة نظري لهم لم يفهمني أحد، ولم يقتعنوا بأسبابي، وظلت قصتي كالبركان تثور تارة، وتخمد تارة أخري، وهناك من اتهمني اتهامات باطلة بأنني أخفي سرا خطيرا في حياتي، بل أحسست في نظرات بعضهم بأنني أداري علي مصيبة ارتكبتها تمس شرفي، وأكاد أصاب بالجنون من هول ما يدور حولي.

لقد اعتدت أن أرمي كل ما أسمعه وراء ظهري، وأواصل مسيرتي، لكن ضغط أهلي وعدم تفهمهم لما أفكر فيه، وصل إلي تهديدهم لي بحرماني من العمل وإجباري علي ملازمة البيت إذا لم أقبل الزواج من شاب تقدم لي من طرفهم وليس فيه ما يعيبه.

ولم يفلحوا في تضييق الخناق يضيق علي، فابتعدوا عني، وصرت معزولة عنهم، فهل أنا مخطئة؟ وهل أتخلي عن طموحاتي بعد كل هذا المشوار الطويل؟ ثم من أدراني أنني سأستريح مع العريس الذي جاءت به أمي؟ وهل سيوافق علي تأخري في عملي وانهماكي فيه؟

إنها أسئلة لم أجد إجابة عنها، فهل تشير علي بما ينقذني من الدوامة التي أعيش فيها؟

<<... وأقول لكاتبة هذه الرسالة:

لا تدعي طموحك في العمل والشهرة يقتل فيك هدف الزواج وتكوين أسرة، وهو ما تسعي إليه كل فتاة، وما يتطلع إليه كل أبوين لابنتهما.

وليس هناك أي تعارض بين أن تعملي وتنجحي وتحققي مآربك في العمل، وأن تقيمي أسرة ناجحة ومستقرة.
إنك فتاة طبيعية جدا، ومثقفة، ويتمناها كل شاب، وعدم انخراطك في علاقات عاطفية في أثناء الجامعة هو عين الصواب، لكن ليس معني ذلك أن تغلقي قلبك أمام المشاعر والأحاسيس التي تشعر بها كل بنت عندما يأتيها العريس المناسب، ولا أدري لماذا ترفضين من يتقدمون إليك دون أن تمنحي نفسك فرصة التعرف عليهم، فربما يدق قلبك لأحدهم وتجدين فيه فارس أحلامك.

فالأمر يحتاج إلي التأني في اتخاذ قرار الزواج، وإتاحة الفرصة لك كاملة لكي تتبيني جوانب شخصية من يتقدم لك، ويجب أن تكون أمامكما فسحة من الوقت خلال فترة الخطبة لتقريب أفكاركما، وبعد ذلك يمكنك تحديد موقفك النهائي بالاستمرار في مشوار الزواج أو تؤجلينه إلي أن تلتقي بمن يناسبك وتتوسمين فيه زوجا تكملين معه مسيرة الحياة.

وبالطبع فإنه لا يخلو إنسان من عيوب، فالمسألة نسبية، والمهم أن تكون العيوب بسيطة، ويمكن تداركها، وأن يوجد بينكما تقارب في المستوي الاجتماعي والفكري والمادي، وفوق كل ذلك الأخلاق التي جعلها رسول الله صلي الله عليه وسلم فوق كل المعايير.

والرجل الصالح إذا أحب المرأة أكرمها، وإذا كرهها لم ينقصها حقها، وكذلك المرأة الصالحة تراعي ربها في زوجها، وتحرص علي إرضائه، وكما يقال دائما في نصح الزوجة: كوني له أمة.. يكن لك عبدا.

أما مسألة الند فلا مكان لها في قاموس الحياة الزوجية التي تقوم علي التراحم والتواد والتعاطف.

انبذي الأفكار الخاطئة واستمعي إلي نصيحة أبويك.. وفقك الله وسدد خطاك

==

القلب المحفور

أنا يا سيدي شاب أقترب من الأربعين تخرجت في معهد عالٍ منذ حوالي ١٧ عامًا وتخصصت في أحد المجالات الضرورية للعمل الفني لكن صاحبها يبقى معظم حياته في الظل لا ينال شهرة ولا يحفظ الناس اسمه وحين كنت في السنة الثانية بالمعهد .. ارتبطت عاطفيًا بزميلة لي شدني إليها صفاؤها .. وجمعت بيننا الظروف المتشابهة فلقد كانت مثلي مقطوعة من شجرة كما يقولون يتيمة الأب تعيش مع أمها في إحدى المدن القريبة من القاهرة على معاش صغير بلا إخوة ولا أعمام ولا خالات . وليس لها سوى أقارب بعيدين صلتها بهم شبه منقطعة .. وكنت يتيم الأبوين لي شقيقتان فرقت الدنيا بيني وبينهما فإحداهما تزوجت وعاشت في البحر الأحمر والأخرى تزوجت واستقرت مع زوجها في سوهاج في بيت الأسرة .. وجئت أنا إلى القاهرة الكبيرة لألتحق بالمعهد .. معتمدًا على ما تبقى من معاش أبي ، أقمت في القاهرة في غرفة مفروشة صغيرة في حي بين السرايات في أحد البيوت التي تقبل سكنى الطلبة وفي هذه الظروف التقينا .. هي تقيم في بيت للطالبات يلتهم معظم معاشها وأنا أقيم في غرفة مفروشة تلتهم معظم معاشي .. وبدافع من الوحدة والتماس الصحبة كنت أمضي معظم يومي في المعهد أدرس وأقرأ .. وأتكلم مع زملائي وزميلاتي .. وكانت هي مثلي تمضي معظم نهارها فيه واقترب كل منا من الآخر .. ووجد فيه عزاءه عن غربته ووحدته .. وذات يوم كنا نشاهد بروفة مسرحية كجزء من دراستنا في أحد المسارح وسط المدينة .. وكنت جائعًا فتسللت من المسرح لأذهب إلى محل للفول مواجه له .. فوجدتها فيه تأكل الساندويتش .. فشاركتها المائدة وطلبت طعامي .. وبعد انتهائه طلبت مني أن أوصلها إلى بيت الطالبات لأن الوقت تأخر بها .. وانحشرنا في الأتوبيس إلى الجيزة وعندما صافحتني مودعة استبقيت يدها في يدي وسألتها سؤالاً واحدًا هو : هل ما أحس به تجاهها هو نفس ما تحس به نحوي ؟ فأومأت برأسها نعم .. ثم انفلتت جارية إلى مسكنها .. ووقفت أنا مذهولاً من السعادة لحظات قبل أن أستدير عائدًا إلى مسكني . كنا أيامها في السنة الثالثة بالمعهد فأصبحت أصحو من نومي مبكرًا لأذهب إلى ميدان الجيزة سيرًا على الأقدام وأقف على محطة الأتوبيس

القريبة من بيت الطالبات حتى تجئ ثم نركب معًا إلى المعهد .. فنمضي اليوم كله معًا ثم نعود إلى ميدان الجيزة فأودعها وأسير أنا إلى غرفتي في بين السرايات وهكذا كل يوم .. نذهب معًا ونجئ معًا .. ونشارك في نشاط المعهد معًا .. ونذاكر معًا في حديقة الأورمان .. أو نشاهد تجارب الفرق المسرحية والندوات معًا، وقد عرف كل الزملاء ارتباطنا واحترموا علاقتنا التي توجناها بالخطبة فسافرت إلى بلدتها في عطلة نهاية الأسبوع والتقيت بأمها وطلبت يدها منها .. وقدمت ها دبلة الخطبة وعدنا سعيدين إلى دراستنا.

وتخرجنا معًا في يوم واحد .. وجاءنا تعيين القوى العاملة بعد شهور فأنقذنا من الضياع .. فعينت هي في وظيفة صغيرة بأحد قصور الثقافة .. وعينت أنا في وظيفة أصغر بأحد أجهزة الثقافة. وبدأنا نستعد لبناء عشنا .. بلا سلاح سوى مرتبينا الصغيرين ..

وفي هذه الفترة مارست أعمالاً كثيرة لكي أجمع بعض المال لاستئجار شقة .. فكنت أطوف على مكاتب الإعلان لأعرض عليهم كتابة الإعلانات الضخمة التي تعلق في الشوارع لأني أجيد كتابة الخط والرسم إلى حد ما .. وكنت أجد فرصة أحيانًا فأحمل جردل اللون والفرشة الضخمة وأرسم وأكتب مقابل جنيهات .. وكانت هي تخرج من عملها تبحث عني في شوارع القاهرة فتجدني مرة في شارع رمسيس ومرة في الهرم واقفًا أمام لوحة إعلانات .. فتأتي لي بساندويتشات الفول والطعمية .. ثم تحمل إليّ الأدوات وأنا على السلم وتشاركني الكتابة والرسم إلى أن ينقضي النهار ونعود سعداء بالجنيهات التي أعطاها لنا المعلم، ثم جاءت انتخابات عامة اشتد الطلب فيها على الخطاطين لكتابة لوحات الدعاية .. فأمضينا ليالي عديدة ساهرين في ميدان الجيزة نكتب اللافتات ونسلمها لأصحابها .. وبعد أن انتهت الانتخابات كان معنا ما يكفي لاستئجار شقة متواضعة بالدور الأرضي في بيت شبه ريفي من بيوت الهرم في ذلك الوقت، ورغم تواضعها فلقد فرحنا بها فرحة العمر .. وأسرعنا ننقل ملابسنا إليها ونشتري "أثاثًا" .. وكان أثاثًا عجيبًا بحق .. لكننا فرحنا به ورأينا فيه رياشًا فاخرًا .. فبروحها الساخرة الصافية نزلنا إلى أحد محلات الكليم في الجيزة واشترينا ٣ قطع من الكليم الملون ووسادتين وبطانية وبعض أدوات المطبخ و"سبرتاية" وعدنا للشقة .. فراحت "تفرشها" .. تفرش كليمًا في غرفة خالية وتقول هذه هي غرفة النوم .. وكليمًا في غرفة أخرى وتقول هذه هي غرفة المعيشة .. وكليمًا في الصالة وتقول هنا الأنتريه .. أما الغرفة الثالثة فتركتها خالية للمستقبل، وحددنا يوم عقد القران والزفاف واستدعينا أمها .. وأرسلت أستدعي شقيقتي ثم أذعنا بين الأصدقاء وزملاء الدفعة موعد القران .. وكان بعضهم قد بدأ يعرف طريق الشهرة والمال .. في عالم المسرح والفن، فجاءوا جميعًا يحمل كل منهم شيئًا للبيت أو الحفل .. بل جاء أحدهم وكان من أقرب الأصدقاء إلى قلبي يحمل معه "ترابيزة" كبيرة من بيته قال إنه لا يحتاج إليها .. وآخر جاء ومعه دستة فناجين وبراد شاي وثالث معه شرائط زينة وبالونات قام بتعليقها في الشقة ورابع جاء ومعه دستتان من المقاعد المؤجرة من محل فراشة قريب .. وهكذا وبعد انصراف المأذون .. بدأ الزملاء يقيمون لي زفة وحفل زفاف استمر حتى الصباح .. أقسم لك أنه لو أراد مليونير أن يقيمه لابنته الآن لتكلف عشرات الألوف لأن مطربيه ونجومه أصبحوا الآن من المشاهير ! الذين يتقاضون الألوف !

المهم بدأنا حياتنا الزوجية سعداء، وليس في غرفة نومنا سوى كليم ووسادة وبطانية وبدأنا نشتري قطع الأثاث قطعة قطعة .. وبدأت هي تفصل الستائر وتعيد طلاء الشقة وخلال ٣ أعوام كان لدينا شقة مقبولة من كل الوجوه . وبدأت أنا أنجح في عملي ويزيد رزقي .. فأعطيه كله لفتاتي تتصرف فيه بحكمة .. وبعد ٥ أعوام من الزواج نجحت في استئجار شقة حديثة من ٣ غرف في الهرم أيضًا ولكن على وش الدنيا انتقلنا إليها "بزفة" أخرى من الزملاء والأصدقاء .. وأصبح لنا أثاث معقول .. وأصبحت لي غرفة مكتب ومائدة رسم أعمل عليها في البيت .. أما هي فقد زادت جمالاً وتوردًا وأصبحت أكثر حبًا للناس والحياة .. وقد ألحت على أمها لتعيش معنا فأصبحت تمضي معنا بعض شهور السنة وهي سيدة طيبة كابنتها من هذا النوع الذي لا يكره أحدًا، وكلما أهديت لزوجتي فستانًا أو بلوزة جميلة .. فرحت بها ثم ارتدتها مختالة لفترة .. وبعد ذلك أراها بالصدفة على بنت البواب .. أو ابنة المكوجي أو أي فتاة تتعامل معها .. فإذا سألتها قالت لي ببساطة أن الثوب "يدعو" لصاحبه وهو على جسم غيره حتى يذوب آخر خيط فيه .. وأنها توزع كل ملابسي القديمة وملابسها أيضًا طلبًا للدعاء .. لكي يحفظ الله لنا سعادتنا وصحتنا، وأسمع ذلك فأزداد حبًا لها وأفهم ساعتها سر خلو دولابي من كل ملابسي وملابسها التي لم يمض أكثر من عام أو عامين على شرائها وأضحك حين تذكرني إذا ناقشتها في ذلك بكفاحنا أو عندما تقول لي تريد لغيرك أن يكون وحيد "البنطلون والبلوفر" أو وحيدة "الفستان" كما كنا في شبابنا ؟!

لقد زادتها النعمة صفاء على صفاء وحبًا للدنيا والناس .. وحين عرضت عليها ذات يوم أن تستقيل من عملها وتتفرغ للبيت رحبت بذلك استجابة لطلبي وقالت لي أنه ليس لها أي طموح سوى أن تسعدني وتسعد معي بقية أيام حياتنا ، وفعلاً استقالت غير نادمة وزادت حياتي بهجة بتنظيم أموري وعملي الذي توسع بعد أن تعاملت مع المحلات التجارية وأصبحت مصمم ومنفذ ديكور مطلوبًا في السوق .. وأصبحت هي تشاركني في عملي .. فترسم وتصمم وتشارك في التنفيذ .. وذوقها ممتاز ودائمًا أستشيرها في أعمالي ..

ثم نأتي إلى المشكلة .. وهل تخلو حياة من مشاكل يا صديقي كما تقول دائمًا ؟

إن المشكلة التي لابد أنك فهمتها هي أننا مازلنا بعد ١٤ عامًا من الزواج "عروسين" نتبادل الحب والإخلاص والاحترام ولكننا وحيدان تمامًا بلا أطفال وبلا أمل فيهم ! فلقد شُغلنا بحبنا وسعادتنا وكفاحنا خلال السنوات

الخمس الأولى من الزواج فلم نلتفت إلى أننا لم نرزق أطفالاً .. ثم بعد أن استقرت أحوالنا المادية وانتقلنا إلى الشقة الجميلة بدأنا نواجه تساؤلات الأصدقاء لكني لم أكن قلقًا بسبب ذلك .. حتى لاحظت أن زوجتي قد بدأت تشرد أحيانًا بعيدة عني .. وحين سألتها صارحتني بأنها قد فحصت نفسها وأن الطبيب قد قال لها أنه لا أمل في الإنجاب .. وصدقني أني لم أهتز لذلك .. وقد وجدت فيها الأم والزوجة والابنة والابن ولست أحتاج معها إلى شيء آخر .. مادامت هذه هي إرادة الله . ونسيت الأمر كله .. حتى جاء يوم وجدت بالصدفة في دولابها فستانًا واسعًا من الفساتين التي ترتديها الحوامل .. لم تكن قد أشارت إليه معي من قبل .. فأدركت أنها تحن إلى أن تكون وأن ترتدي هذا الفستان الواسع لكي تختال به .. وأدركت عمق المشكلة لديها وحزنت لذلك ككل الزوجات حاملاً وحاولت التخفيف عنها بانتهاز الفرص لكي أقول لها في كل حين أنني سعيد بحياتي معها وأن نشأتي كطفل وحيد يتيم قد نفرتني من الأطفال .. وأنني لا أطيق "دوشتهم" ومشاكلهم .. إلخ فتسمعني باهتمام وشك كأنها لا تصدقني .. ثم تبتسم وتقبلني وتقول لي ساهمة : ظننت أنك تحب الأطفال وتريدهم ! فأقسم لها على عكس ذلك .. ثم ننسى الموضوع كله إلى أن تأتي مناسبة أخرى وهكذا .. ولقد جاءت المناسبة هذه المرة على غير قصد منّي .. إذ كنت أستعد معها لركوب سيارتي من أمام بيتي فوجدت مجموعة من أطفال العمارة يلهون حول السيارة وفوقها .. فداعبتهم وداعبتهم هي معي ثم دعتهم زوجتي للركوب معنا في جولة حول العمارة فركبوا متصايحين وانحشروا في السيارة وطلبت مني التجول بهم قليلاً وهي تضحك وتلاعبهم وبعد أن أنزلناهم وواصلنا طريقنا كانت سعيدة ضاحكة .. لكنها بددت سعادتي فجأة باقتراح غريب ، فهل تدري ماذا اقترحت عليّ زوجتي ؟ لقد قالت لي أنها لا تريد من الدنيا سوى سعادتي .. وأنها تأكدت من حبي للأطفال من خلال ملاحظات عديدة وأنها لا تريد حرماني من شيء أريده بسببها .. لذلك فهي تقترح عليّ أن أتزوج زوجة أخرى لأنجب منها طفلاً يحقق رغبتي .. على أن تستمر في حياتنا الزوجية السعيدة معًا ! .. ظننتها تمزح .. لكنها أكدت لي أنها جادة ، وعادت إلى نفس الحديث بعد أيام بجدية تامة مؤكدة لي أنه من الأفضل لها أن يتم ذلك بموافقتها بدلاً من أن يتم في الخفاء بعيدًا عنها .. وأنها لن تحس بأي غضاضة في ذلك لأن ما يهمها هو سعادتي .. كما أن إمكانياتي الآن تسمح لي بفتح بيت آخر وحبذا لو كان قريبًا من مسكننا لكيلا أتشتت بينهما .. وأن كل ما تطلبه مني هو أن أكون عادلاً في الحياتين والبيتين !

لقد رفضت هذا الاقتراح لكنه أزعجني .. لأنه كشف لي عن عمق المشكلة .. ولم أعد إلى الحديث فيه من جديد .. حتى أثارته منذ أيام وطالبتني بالتفكير فيه بجدية وحين رفضت شارحًا أسبابي أصرت .. حتى اقترحت عليها تخصنا من الموقف أن نحكمك بيننا .. وها أنذا أفعل .. وأطالبك بأن تقول رأيك بصراحة .. مع العلم بأني لا أشعر بحاجتي إلى الأطفال وقد أعطتني الحياة هذه الشريكة المحبة .. وهذا النجاح .. وهذه السعادة حتى لقد استعرضت معها أحوال بعض زملاء الدراسة القدامى الذين أصبحوا من المشاهير الآن، وبعضهم أنعم الله عليه بالإنجاب لكن حياتهم ممزقة، وبعضهم تزوج أكثر من مرة .. والبعض دفع ثمن النجاح من صحته وتعاسته الشخصية .. والبعض الآخر تهدمت حياته الزوجية وتمزق الأبناء بين الآباء والأمهات .. لكنها مازالت متشككة .. فماذا تقول لي ولها ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول :

ولماذا يا صديقي نفسد الأحلام الجميلة بالبحث عن العذاب ؟

إنك تعيش معها حلمًا جميلاً من أحلام السعادة الزوجية وكلاكما محفور في قلب صاحبه بنقوش عميقة من الذكريات وقصص الكفاح وروابط التفاهم العميق والإيثار .. فلماذا تفتحان على نفسيكما أبواب الجحيم ؟

إنني أصدقك وإن خالفني البعض في ذلك حين تقول لي أنك سعيد في حياتك كما هي الآن وراضٍ بها ولا تحس برغبة حقيقية في هدم السعادة جريًا وراء الإنجاب، مادامت هذه هي إرادة الله ولا راد لإرادته ، أصدقك يا سيدي لأن لكل حال جمالها كما لكل حال أيضًا مشاكلها .. ولأن كثيرين غيرك يستطيعون العيش بغير الإنجاب ولا يفرطون في شريكات العمر لهذا السبب وحده أبدًا ولا غرابة في ذلك .. ألسنا نرى في الحياة عديدين يستطيعون الحياة بلا زواج من الأصل ؟ فما وجه الغرابة إذًا في أن يكتفي مثلك بهذه الزوجة الرائعة المتفانية في إسعادك إلى حد التطوع بإكمال ما تعتقده نقص في حياتك باقتراح زواجك من غيرها ؟

إن المشكلة ليست مشكلتك أنت يا سيدي .. لكنها في رأيي مشكلة زوجتك التي تعاني من قلق كامن على سعادتها، ومن خوف شديد من ضياعها .. لذلك فهي "تدافع" عن سعادتها بهذا الاقتراح كأنها تتعجل مواجهة المشكلة قبل أن تفاجأ بها وهي غافلة عنها !

إنها تتصور أن هذه الرغبة كامنة داخلك أنت .. وتحاول مساعدتك على إظهارها .. وتعفيك مقدمًا من أي شعور بالذنب تجاهها وهي في ذلك سيدة عظيمة بكل معاني الكلمة .. لكنها تظلم نفسها كثيرًا بلا داعٍ، و"اختباراتها" المتكررة لاكتشاف مدى حبك للأطفال عذاب لا مبرر له .. لأن رضانا عن حياتنا بلا أطفال أحيانًا لا يعني أبدًا أن نكرههم لأن حب الأطفال شعور إنساني طبيعي سواء أكنا محرومين منهم أم غير محرومين ولا يعني حبنا للأطفال أننا نريدهم جميعًا أبناء لنا .

دائمًا إلى المستقبل هذه النظرة الحزينة الخائفة غير الآمنة على سعادتنا ؟ أليس عجيبًا أننا لا نكاد ثم لماذا ننظر نقترب من أي إنسان تمضي حياته بلا مشاكل درامية ظاهرة حتى نكتشف داخله أعماقًا حزينة خائفة من المستقبل

؟ لقد أصبحت أشك دائمًا في أن هذا الميل الغريزي للحزن داخلنا هو من ثمار تربية خاطئة في بيئات أسرية حزينة تستجيب لدواعي الحزن بأكثر مما تستجيب لدواعي السرور وتستغرب السعادة وتتوقع لها دائمًا نهايات . مأساوية .. بل وتتوجس من السرور خوفًا مما سيليه من أحزان

في هذه النظرة الحزينة الخائفة ؟ وألسنا جميعًا شركاء في هذه الجريمة التي ألسنا جميعًا شركاء بشكل أو بآخر . تسرق أيامنا بغير أن ندري وتبددها في المخاوف والأحزان غير الجدية

خائفة على سعادتها معك يا صديقي وتحاول أن تدفع عن نفسها هذا الخوف وهذا القلق وعلى مستقبلها إن زوجتك معك بهذا الاقتراح فطمئنها على سعادتها وعلى نفسها وأكد ها أن كليكما مشدود للآخر بحبل سري لم ينقطع ولن ينقطع بإذن الله .. فإذا كانت هي تحس بالحنين إلى الأطفال فما أسهل أن ترعى طفلاً يتيمًا محرومًا تفرغ فيه أمومتها المكبوتة وتخدم به الحياة وتخفف من بعض آلامها ، أما إذا كانت لا ترغب في ذلك فلتواصلا حياتكما كما هي .. ولتستمتعا بما بين أيديكما من أسباب للسعادة .. لأن "الكل شيء إذا ما تم نقصان" كما يقولون ولأن لكل إنسان حظه في الحياة ، ولأن الحظوظ تتفاوت دائمًا بين البشر فتعطي الدنيا لإنسان شيئًا وتسلبه شيئًا .. وتعطي .للآخر أشياء وتسلبه أشياء أخرى فتتساوى الأقدار دائمًا في النهاية وإن بدا لنا غير ذلك

لقد أعجبني منطقك وأنت تذكّرها بحال بعض زملاء الدراسة من المشاهير الذين تجرعوا التعاسة رغم وجود الأبناء .. ولو شاءت هي لقصصت عليها عشرات القصص من هذا النوع ، لكنها لا تحتاج إلى ذلك لأنها تعرف تمامً أن ثروتها من السعادة لا تقدر بمال .. لكنها فقط خائفة .. والخوف قد يدفع الإنسان للمبادأة بالهجوم دفاعًا عن نفسه .. كما فعلت هي باقتراحها هذا .. لذلك فإني أطمئنها نيابة عنك إلى أنه لا أساس لمخاوفها هذه ولا مبرر لها وأؤكد لها مرة أخرى أن علينا دائمًا أن نسلم بإرادة الله ونشكره على ما أعطانا وأن نصبر على ما يشقينا ، فإذا فعلنا ذلك تصبح "المخاوف كلهن أمان" كما يقول الشاعر .. وكما أتمنى لكما دائمًا بإذن الله

==

القلـب الكـبير

لم أكتب إليكم إلا بدافع من الواجب وعرفانا مني بمعروف قد أسدي إلي يوما ما فغير حياتي. وإن كنت في أزمة كبيرة الآن أحتاج فيها إلي رأيكم ومعاونتكم.

قصتي تبدأ يا سيدي منذ خمسة أعوام ونصف العام تقريبا وقت أن كان عمري سبعة وعشرين عاما، أنتمي إلي أسرة متوسطة ونعيش في إحدي مدن الدلتا الصغيرة.

فبعد أن تخرجت في كليتي وقررت البحث عن عمل لم أجد وظيفة إلا في مجالات المبيعات المختلفة وبرغم أنها ليست من صميم تخصصي فإنني عملت فيها مضطرا في بادئ الأمر ولكنني أحببت هذا المجال جدا فعملت فيه بكل جهدي وطفت في مدن مصر شمالها وجنوبها وذلك أكسبني خبرة كبيرة، ففي يوم من الأيام كنت في إحدي مدن مصر الكبيرة أنهي عملا هناك وكنت قد أجهدت كثيرا في ذلك اليوم، ولكنني تماسكت حتي وصلت إلي محطة القطار وتوجهت إلي بوفيه المحطة لأشرب كوبا من الشاي، وجدت كل الطاولات مشغولة تقريبا، وبينما عيناي تدوران هنا وهناك أبحث لي عن مكان خال لمحت رجلا في نهاية الأربعينيات من العمر تبدو عليه ملامح الوقار والغني فنظر إلي فوجد عيني المحمرتين من فرط الاجهاد تبحثان عن مكان بين الجلوس فأومأ لي برأسه أن أجلس بجانبه فذهبت وألقيت عليه التحية وشكرته وجلست وتبادلنا الحديث في مواضيع عامة.

وقبل أن أنتهي من كوب الشاي، غادر الرجل متعجلا لأن قطاره كان علي وشك التحرك ولما أردت أن أنصرف بعدها بنحو ربع الساعة وجدت الرجل وقد دفع حسابي دون أن يشير إلي ذلك كما فوجئت بأنه قد نسي حقيبة أخري كانت معه ولكني لم أرها منذ البداية. لم تمض خمس دقائق حتي كنت خارجا من البوفيه وفي يدي حقيبتان، حقيبتي وحقيبة الرجل.

وبعد أن عدت من سفري دخلت حجرتي وأغلقتها علي نفسي وقبل أن أنام لم أتردد لحظة في فتح الحقيبة فهذه هي الطريقة الوحيدة لمعرفة الطريق إلي صاحبها فوجدت بداخلها مبلغا كبيرا من المال وكان معظمه دولارات وبرغم ذلك لم يهمني بقدر ما أهمني أن أجد ما يدل علي صاحبها وكيف أصل إليه. وأحمد الله أنني وجدت أوراقا وفواتير تدل علي مصنع كبير وشركة صناعية كبيرة في محافظتنا.

في الصباح ذهبت إلي المصنع الذي وجدت اسمه في الحقيبة ولكني لم أعرف مقابلة من؟! فوجدت لساني ينطق تلقائيا بأنني أريد مقابلة صاحب الشركة برغم أنني لا أعرف إذا كان هو صاحبها أم أحدا غيره. ولم تكن مفاجأة كبيرة لي أن يكون هو نفسه من كان يجلس بجانبي بالأمس فعرفني لما رآني وسلم علي وكأنه يحس أنني قادم ومعي ضالته ثم سلمتها له وأنا اعتذر عن اضطراري لكسرها برغم أنه كان ضروريا.

ومع أنه كان فرحا بعودة الحقيبة له ولكنه كان أكثر فرحا بي ولم يتركني إلا بعد موافقتي علي تناول الغداء معه في بيته وتواصل الحديث عن العمل ومواضيع شتي وقبل أن أهم بالانصراف قال لي إذا كنت تريد أن تعمل معي فسيكون ذلك شيئا يسعدني وسيكون ذلك في نفس مجالك في المبيعات أما عن الخبرة في مجالنا فسأعلمك بنفسي. فرحت جدا بذلك لأنها فرصة عمل أفضل بكثير من عملي الحالي، الآن مر ما يزيد علي خمس سنوات وأنا أعمل معه عرفت خلالها أنه رجل خير لدرجة كبيرة جدا أحسبه كذلك ولا أزكيه علي الله.

وفي كل يوم موقف وفي كل يوم قصة ولكن أفضل وأغرب ما سمعته هي قصة الفتاة التي جاءت لتعمل عاملة في المصنع منذ اثني عشر عاما ولم تكن تحمل إلا شهادة متوسطة نظرا لظروف عائلتها ولأنه أحس بحلمها في إكمال تعليمها، تبناها وأنفق عليها حتي حصلت علي مؤهل عال ثم الماجستير والدكتوراه وطوال سنوات الدراسة لم تكن تحضر للمصنع إلا ٤ ساعات فقط حسب جدولها الدراسي الذي كان يتابعه بنفسه وكأنها ابنته التي أنجبها وكلما حصلت علي شهادة أعلي حصلت علي ترقية في الشركة حتي أصبحت الآن رئيسة الحسابات بالشركة وعضوا في مجلس إدارتها وقد التحقت مؤخرا بهيئة التدريس بإحدي الجامعات الخاصة.

كما أخبرني عم إبراهيم ـ رحمة الله عليه ـ أكبر العاملين سنا في المصنع وكانت معه كل أسرار المصنع والشركة لأنه كان يعمل مع والد صاحب الشركة منذ أنشأها. إنه أكمل مسيرة والده ولم يقطع ما كان يعمل من خير وصدقات بل زادت جدا في حياته لدرجة أنني لو قلت ان الأيتام الذين يكفلهم في بيوتهم ويقيمون مع أهلهم وذويهم لو تجمعوا في دار للأيتام لاحتجنا إلي دار أخري لا أكون مبالغا، وأنه المسئول ـ عم إبراهيم ـ عن متابعة هؤلاء الأيتام وأفهمني أن ما قاله لي لم يكن علي سبيل التسلية وقتل الفراغ ولكن لأنه مريض ويحس باقتراب الأجل وأنه لم يعد قادرا علي المتابعة وحده وأن صاحب الشركة قد فكر في أنا لأحل محل عم إبراهيم في متابعة الصدقات. ويشاء الله أن يزداد مرض عم إبراهيم ويدخل المستشفي ثم تصعد روحه إلي بارئها بعد خمسة أيام فقط من دخوله المستشفي.

وبرغم حزنه العميق علي فقدان عم إبراهيم استدعاني صاحب الشركة وأخبرني بأنه تقع علي عاتقي مسئولية كبيرة منذ الآن حيث سأعمل في الشركة بالإضافة إلي متابعة ما كان يتابعه عم إبراهيم من أعمال الخير ورعاية الأيتام.

ثم سلمني أوراقا وكشوفات بأسماء وأرقام حسابات بنكية وكروت صرف آلي وطلب مني مراجعة وتفهم ما اقدر علي فهمه ثم أسأله فيما لم أفهمه.

وشدد علي أن هذا العمل بيني وبينه فقط ولا ينبغي أن أعلم أحدا به كائنا من كان ورفضت أن أتقاضي أجرا مقابل ما أقوم به، وفوجئت بهذا الرجل العظيم يشتري لي سيارة خاصة لتساعدني في العمل بدون إخبار أي موظف في المصنع حتي لا يفتح علي أبوابا للحقد والشر.

كان هذا الرجل العظيم يقول لي ان رعايته للأيتام ليست فقط طاعة لله وتقربا إليه ولكنها حماية لهذا المجتمع، حتي لا يتحول هؤلاء الأيتام إلي مجرمين ومنحرفين.

وذات يوم استدعاني صاحب المصنع، وقال لي انه يريدني في أمر خاص، أمر فاجأني وأبكاني، عرض علي هذا الإنسان الرائع أن أكون زوجا لابنته.. لم أصدق نفسي.. تلعثمت وصمت، فحثني علي الكلام.. قلت له: ما تعرضه علي شرف عظيم لا أستحقه، ولكني مرتبط بعلاقة حب مع فتاة منذ سنوات، وقد اتفقت مع أهلها علي الزواج بعد أن تنهي دراستها، ولا استطيع أن أخل بوعدي علي الرغم من الإغراء الكبير الذي يقدمه لي. نظر إلي بابتسامة حانية، والدموع تتراجع في عينيه، وقال لي:تعرف يا ولد أنا هاعديها لك بس علشان إنت كل شويه بتكبر في عيني وبتفكرني بشبابي.

توقعت أن تتغير معاملته لي، ولكن ما حدث هو العكس، فوجئت به يتتبع أخباري، فعرف أني اقتربت من إنهاء أقساط الشقة التي اشتريتها، فأتي لي بحقيبة وقال هذا مبلغ بسيط، ثلاثون ألف جنيه، ضعها في حسابك ليعينك علي الزواج.. حاولت الرفض كثيرا، ولكنه أصر وقال هذه عطية مني فلا تردني.

كانت سعادتي لا توصف، لأني سأستطيع الآن إتمام زواجي بسهولة، ولكن الأقدار كان لها رأي آخر، فبعد أسبوع واحد انقلب كل شيء.. دمر المصنع تماما في يوم الجمعة بعملية تخريبية غريبة، أتلفت الماكينات بحرفية عالية وباستخدام مواد قال المعمل الجنائي في تقريره بأنها تستخدم في تصنيع المتفجرات، كما تم تخريب المحولات والمولدات الاحتياطية وتم تدمير كميات كبيرة من المواد الخام.

لم نفق من هول الصدمة ونحن نري هذا الكيان وقد انهار رأيت رجالا ونساء يبكون مثل الأطفال لافرق بين رجل وامرأة في ذلك.

وقبل ان أكمل الأحداث أقف وقفة للتعجب!! من أين أتي هؤلاء؟ ومن أين حصلوا علي تلك المادة وبتلك الوفرة؟ إنه ولاشك عمل إرهابي عصابي منظم وربما يكون فوق تخيلي!! ولكني أتعجب من جرأتهم وضمائرهم الميتة فماذا فعل لهم هذا الرجل وكل هؤلاء الناس الذين جعله الله لهم سببا للرزق والله إني لا أجد إجابة لهذه الأسئلة بالفعل.

أتعجب أيضا لماذا لم تنشر مثل هذه الحادثة في الجرائد؟!! ربما كان إرسالي لهذه الرسالة وتلميحي إلي هذه النقطة سببا في ضرر لي ولكن لا أعرف ماذا أقول؟

أتعجب من تماسك الرجل وصلابته اللامتناهية؟! فبعد أن قدرت الخسائر بـ٣٩ مليون جنيه ما بين ماكينات قد تلفت نهائيا ومنشآت كهربائية ومواد خام ومخزون قد تآكل معظمه والباقي معظمه أيضا لا يصلح للاستخدام وبضائع منتجة كانت جاهزة وعلي وشك التسليم أضف إلي ذلك شروطا جزائية لابد ولا مناص أن تدفع لأن الإنتاج قد توقف تماما ولا يوجد أي شيء للوفاء بالالتزامات في المواعيد المقررة.

وفي قمة ما نحن فيه من انهيار وخوف وتساؤلات عديدة لا تلوح لها في الأفق أي إجابات كان هو ـ بارك الله فيه وعوضه خيرا يارب ـ كان في قمة التماسك وكلما التقيته وجدته يتمتم بكلمات كنت أسمع بعضها لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم لا حول ولا قوة إلا بك يا رب العالمين حسبي الله ونعم الوكيل إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيرا منها لا إلا الله.. لا إله إلا الله.

وبعد أن ظل شبه صامت طوال ثلاثة أيام جمع العاملين جميعا ثم وقف ليخطب فينا! عجبا له! قد كان يحتاج من يخفف عنه! لكنه ويا للعجب لم ينس أيضا أن هؤلاء الناس قد أصابهم مثل ما أصابه تقريبا فوقف ليخفف عنا، أوصانا بالصبر وأن هذا قدر الله وأن الدنيا ستستمر لا محالة والفوز فيها للصابرين واعتذر لنا لأن المرتبات ستقل نظرا للظروف ولكننا سنستميت حتي نعيد البناء ونقف علي أرجلنا من جديد وقال: إنه من أراد البقاء معنا فليبق وليصبر ومن وجد مكانا آخر يري أنه أفضل له فلينصرف وليبارك الله له في رزقه وإذا أراد أن يعود بعد انتهاء الأزمة ـ بإذن الله ـ فمكانه محفوظ وأنه لن يرفض عودته. ثم أنهي كلامه بآية وردت في سورة يوسف:إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين عجبا!.

ثم دعاني مع مجموعة ممن هم محل ثقته وقال لنا إنه قرر أن يبيع كل ما يملك من أصول وعقارات ـ فيما عدا المصنع بالطبع ـ حتي يستطيع أن يفي بما عليه من التزامات بقدر الامكان والأهم قبل المهم وسنحاول أن يعود المصنع إلي أكبر نسبة من طاقته الانتاجية في أقرب وقت بإذن الله لأن أهم شيء هو المصنع والعاملون فيه ولأن هؤلاء العاملين في المصنع والشركة مسئوليته وفي رقبته.

باع كل شيء يملكه تقريبا ولم يبق إلا المصنع حتي إنه يقطن في شقة صغيرة جدا بعد أن كان يسكن فيلا. ويبدو يا سيدي أن الصدمة قد افقدتني رشدي فلم أتذكر المبلغ الذي كان قد أعطاني إياه لاتمام زواجي ولكني بعد أن تذكرته قررت بيني وبين نفسي أن أعيده إليه فبرغم صغر المبلغ مقارنة بما عليه من التزامات إلا أنه يحتاج كل جنيه الآن، فسحبت المبلغ وجئت إليه فكان رافضا أن يأخذه قائلا لي انه لا يجوز شرعا أن يرجع الرجل في عطيته لأنه قد أصبح ملك من أعطي له!!!.

فقلت له: أنت الآن لا ترجع في عطيتك!! فقال كيف؟

فقلت له: أنت تقول إن هذا المبلغ قد أصبح ملكي أنا الآن؟ فقال نعم، فقلت له وأنا أعطيته لك عن طيب خاطر لأن هذا واجب علي وليس تفضلا مني فبكي واحتضنني.

وذهبت بعد ذلك إلي خطيبتي وفي حضور أهلها أخبرتهم بما كان ثم أخبرتهم بأنني سأصبر مع الرجل حتي أشد من أزره وحتي يتمكن من العودة لما كان عليه وطلبت منهم أن يصبروا معي وأن الزواج بالطبع سيتأخر نتيجة ما حدث.

وهنا اعترض والدها اعتراضا شديدا وصل لحد الثورة علي وقال لي:لا! أنا كده بقي مش معاك فقلت له اذن وما هو الحل فقال أيا كان الحل فهو ليس ما تقول وقال لي أنه سيفكر في الحل وسيخبرني ثم أخبرني بعد نحو خمسة أيام بمفاجأة قد تكون هي السبب الرئيسي في حيرتي التي وصلت الآن إلي ذروتها وجعلتني أكتب إليك يا سيدي الفاضل!!.

لقد اتصل بأخ له يعمل في الخليج منذ أكثر من٢٠ عاما وطلب منه أن يجد لي عقدا مناسبا في مجال المبيعات الذي يعرف جيدا أن خبرتي فيه كبيرة فطلب مني بعض البيانات وصورة جواز السفر وسيرتي الذاتية فتعجبت من السرعة التي تسير بها الأمور فسلمت له ما طلب ارضاء له وأنا لا أعرف هل أنا أريد أن أسافر فعلا أم لا؟. ثم فوجئت به يتصل بي بعد مرور أيام قلائل ليخبرني أن العقد جاهز فلما اطلعت عليه وجدت أن شروطه جيدة والأجر مرتفع والعمولة أيضا فلم يكن لي حجة أن أرفضه فلما جلست مع والدها أخبرني أنه علي أن أسافر إذا كنت أريد إتمام الزواج وأنه علي السفر في أقرب وقت وأكون فيه جاهزا وأن أقصي مدة أمامي هي ثلاثة أسابيع. فأحسست ساعتها أن الظروف قد ألجأتني إلي أحد خيارين أحلاهما مر.

فإما أن أغضب والد الفتاة التي أحببتها وربما جعله ذلك يعدل عن رأيه ويصبح رافضا بعد أن كان مرحبا وقد أخبرني بذلك تصريحا.

وإما أن أكون ناكرا للجميل مع الرجل الذي كان له علي الفضل كل الفضل بعد الله عز وجل وربما لن يمكنني القدر من مقابلة مثله في حياتي ثانية!

وطلبت من والد خطيبتي أن يعطيني فرصة لأفكر فقال لي أن الأمر لا يحتاج إلي تفكير فإما أن أسافر ثم أرجع في أول أجازة لي بعد العام الأول في العقد لأتمم مراسم الزواج وآخذها معي للعيش هناك وسيكون عمها هناك بدلا منه وفي مكانته، أو أن انسي الأمر برمته وكل واحد يروح لحاله وبرغم ذلك أعطاني فرصة للتفكير أسبوعا. وها أنا ذا يا سيدي أكتب إليك في أول يوم من الأسبوع المهلة فماذا أفعل؟.

فلو رفضت السفر فستضيع مني فتاتي ولو سافرت أكون ناكرا للجميل ومتخليا عن الرجل الذي جعلني من أقرب الناس إليه وائتمنني علي ماله وكان يريد أن يأتمني علي ما هو أكبر من ذلك ويزوجني ابنته.

ولأني أحس أنه في مكانة كبيرة وأحس أنه كوالدي أخبرته بما كان قبل أن أرسل إليك لأعرف رأيه باعتبار أني أخبره بقرار فظهر عليه حزن شديد ولكنه تماسك وقال لي:أنت آخر واحد توقعت أنه يسيبني لكن يا بني لو مافيش

قدامك غير السفر سافر وشوف مستقبلك ولما ترجع بإذن الله وكان لي عمر وربنا قدر ورجع المصنع زي الأول هاتيجي تلاقي مكانك موجود معانا.

ولكن موقفه هذا جعلني أشعر بالذنب أكثر من ذي قبل هل جزاء الإحسان إلا الإحسان وهل أنا لو سافرت أكون بذلك ناكرا للجميل؟ إنها أول مرة في حياتي أقف هكذا عاجزا عن اتخاذي لأي قرار وقد تعودت دائما أن أفكر ثم أتخذ قراراتي دون تردد لكني هذه المرة فقدت توازني تقريبا ولا اعرف ماذا أفعل؟.

لقد فكرت طويلا ثم وجدت أمامي فكرة ربما لو نفذتها أكون ساعتها قد وفيت بجزء مما علي من الجميل وهي أن ابيع الشقة التي انتهيت والحمد لله من أقساطها وهي كل ما أملك من حطام الدنيا وأعطيه ثمنها فقد كان هذا الرجل سببا أساسيا في أنني استطعت أن أشتريها ولولاه من بعد الله عز وجل لما استطعت ذلك وقد قفز سعرها في الفترة الأخيرة مع ارتفاع سعر العقارات في منطقتها ليزيد عن١٠٠ ألف جنيه وقد دفعت فيها أقل من ذلك بكثير.

ولأنني سأسافر ومدة العقد ثلاث سنوات قابلة للتجديد وسأعيش هناك لمدة طويلة وأتزوج هناك إذن فلن أقيم فيها ولن أحتاجها وستظل مغلقة بلا فائدة لمدة طويلة لا يعلمها إلا الله.

فما هي فعلا حاجتي لها الآن؟ ولكن حتي هذا الحل لم يريحني، أنا في حيرة فهل تساعدني بالرأي؟.

سيدي.. لا أخفيك أني لو وددت فقط أن أرد عليك وأخبرك برأيي، ما أفردت لك كل هذه المساحة، وما تعذبت * في قراءة واختصار عشرات الصفحات التي كتبتها، ولكن من كتبت عنه، هو الذي دفعني سعيدا إلي إفساح كل المساحة لرسالتك.. فمثل هذا الرجل، الخير، الخلوق، صاحب القلب الكبير، المعطاء، الصابر، البار، والمؤمن، يستحق أن تفتح له الصفحات، ويكتب له وعنه. فكم نحن في حاجة إلي مثل هذا الإنسان، لينير لنا الطريق، ويعيد إلينا ثقتنا في الخير وفي العاملين عليه. وليتك أخبرتنا باسمه كي نذهب إليه، ونعينه علي البلاء الذي حل به وبكل من حوله، بأيدي أشرار حسدوه علي نعم العطاء والمحبة، فهؤلاء يؤلمهم الخير والخيرون، لأنه يقلق مضاجعهم، ويكشف فسادهم وإفسادهم.

سيدي.. قد يمنح القلب عقلا، ولكن العقل لا يمنح قلبا قط، لذا فإن قلبي هو الذي يتحدث معك، فلن استطيع أبدا أن أحكم عقلي مجردا في موقفك، وأنظر إلي موقفك بحسابات المكسب والخسارة. هذا الرجل الإنسان لا يحتاج الآن إلي قيمة شقتك، بقدر حاجته إلي إنسانيتك، هو في حاجة إلي من يثبته علي موقفه، خاصة من أحبهم وقربهم إليه وأحسن إليهم.. فلو اخترت مصلحتك المجردة، بعد كل ما فعله معك، فماذا سيكون موقف الآخرين من حولك، وإذا لم تمد كلتا يديك له الآن وهو يسقط فمتي تمدها إليه؟!.. لا يكفي سيدي أن تعمل خيرا، بل يجب أن تحسن عمل الخير، بأن تواصل وقوفك بجانب هذا الإنسان ومشروعه الخيري الكبير، أن تكون وفيا له، ولا تخش علي رزقك، فالوفاء كما الصدق يجلب الرزق، ولن تنال من الرزق أكثر مما كتبه لك الله ولو حرصت.

ابق علي شقتك، وأخبر والد خطيبتك أنك ستستمر في عملك، فإذا لم يشجعك علي موقفك النبيل، ولم تحترم فتاتك اختيارك الأخلاقي، فاترك لهما القرار الذي يناسبهما، واختر أنت ما يمليه عليك ضميرك حتي لا تعيش نادما علي ما فعلت، لأنك في هذه الحالة ستعذب شريكة حياتك لأنها حرصت علي فعل ما لا تحب ولا ترضي، وللرجل المحب الكريم كل الدعاء بأن يعينه الله علي إعادة الحياة إلي مصنعه لمواصلة رحلة خيره ومحبته، والله العادل ما هو بظلام لعبيده.. وإلي لقاء بإذن الله.

==

القلــب الحــرير

أستاذي الفاضل، أنا سيدة عمري٣٠ عاما تزوجت منذ٨ سنوات وأنا من عائلة متدينة والحمد لله أعطاني الله كثيرا من مقومات الزواج وكان المستوي المادي والاجتماعي عاليا والحمد لله، والدتي كانت طبيبة غير عاملة، وكنت أدرس في كلية الطب وكان والدي استاذا في هذه الكلية وكان يري أن الناحية المادية ليس لها أهمية فيمن يتقدم لخطبتي لذا كان يتوسم الدين والخلق فقط، وكنت مقتنعة بذلك لذا قبلت بزوجي بالرغم من أن ظروفه كانت صعبة للغاية ولأنني لم يكن لي أخ يكبرني احسست أن زوجي هو الأخ الذي افتقدته، ولأن والدي بحكم ظروفه كان دائم البعد عني أردت أن يكون زوجي الأخ والوالد، ولأنني كنت ملتزمة في الجامعة فلم أصادق في حياتي أي شاب أو أحدثهم فإنني احتجت إلي أن يكون زوجي الأب والأخ والحبيب، فكان أول انسان أحدثه وأتعامل معه من الجنس الآخر، أحببته جدا جدا جدا ورأيت أنه أعظم نعم الله علي واندفعت اليه بكل كياني ومكوناتي أملا في أن أجد عنده الهدوء والاطمئنان والحب والحنان والسكينة والاستقرار، كنت في شدة الحاجة اليه وتزوجني وكنت سعيدة مع أنه رفض مساعدة أهلي له بشدة، لأنه يريد الاعتماد علي نفسه ولا يحب أن يأخذ شيئا من أحد، تزو جنا في شقة صغيرة ليس بها أي قطعة أثاث غير غرفة النوم فقط وكانت حياتي في البداية قاسية جدا وتحملتها بصدر رحب حتي بعدما فتح الله عليه وتجاهل جميع مطالبي ولم يحضر لي أثاثا لمنزلي أو تلفازا أو كمبيوتر أو أي وسيلة ترفيه ومنعني من العمل، صبرت وتحملت ومازلت أتحمل أشياء كثيرة يطول شرحها. ولكن شيئا ما انكسر بداخلي منذ أن بدأ زوجي وأنا أم لثلاثة أطفال ينظر إلي نظرات إهانة ويلقي علي كلمات بذيئة وتشبيهات صارخة علي جسدي الذي أصبح وزنه غير مثالي، وينظر إلي الفتيات في الشارع أو الفيديو كليب ويقارن أجسادهن الممشوقة بي، ليس ذلك فقط بل أخبرني أنه سيتزوج من أخري وأن من حقه ذلك إذا وجد الفرصة،

وعندما أبكي وأخبره أنني أنثي لا أتحمل من جانبه هذا يخبرني أن الأنثي صارت تحمل مقاييس أخري غيري أنا، بدأت من كثرة تعليقاته القبيحة أمام أولادي واخوتي، أشعر بالمرض، نعم شعرت أنني مريضة، والله أشعر بذلك وأري في احلامي أنني أقطع من جسدي بالسكينة، ولا أستطيع أن أفعل كما تقول صاحبة الرسالة أن ألبس كما أشاء أمامه فإذا لبست شيئا قصيرا أمامه أظهر اشمئزازه ويأمرني أن أغطي ذلك المكان السيىء كما يقول: ولأنني أحب أن ألبس بداخل منز

لي أحدث وأجمل الصيحات فألبسها حين يكون خارج المنزل لأنني فعلا أجد راحتي في لبس ماأريد، وكم أطير من السعادة عندما أسأل ابنتي عن رأيها في فستاني فتجيبني أنه رائع، وأتمني أن أسمعها منه، لماذا أفقد ثقتي بنفسي الآن، أفقدها وأظل صامتة عندما يثني علي الأخريات أمامي ويقبحني ويعقد المقارنات وإذا نزلت مني دموعي متأثرة بذلك لا يتأثر ولا يخفف عني مع أنني أنيقة في ملبسي جدا، نظيفة ومتناسقة المظهر والحمد لله، ومع ذلك يشعرني دائما بأنه كم سيصبح سعيدا إذا تزوج بأخري من الوجوه اللامعة التي لا هم لهن إلا عرض المفاتن، سيدي هل هذه الوجوه ستحبه مثلما كنت أحبه وهل ستضحي بجميع ما لها مثلما فعلت أنا عندما تعرض لظرف قاس في حياته، هل ستترك عملها ومستقبلها من أجل أن تتفرغ له وللأولاد، لا أعرف ياسيدي لماذا تغمض عيناه عني؟

أنا الآن أشعر أن حبه قد مات بداخلي وأنه سحب كل رصيده من عندي وأنا الآن الحمد لله أستعيد لياقة جسدي بحرمان شديد من الطعام ولا أستطيع أن أنسي هذه الأيام بل هذه السنين ولو لم يكن عندي أطفال أبرياء لكنت خرجت من تلك القلعة بدون عودة أبدا وما استسلمت لما أشعر به الآن من الوحدة واليأس وعدم رغبة في الحياة..

أتمني من الله أن تصلك رسالتي وتكتب لي علني أجد في كلماتك شمعة تنير طريقي إلي الأبد.

سيدتي: لم أفهم سر هذا التغير في نظرة زوجك إليك وأسلوب تعامله معك، لذا سأستبعد احتمالات أن تكون * هناك أسباب أخري خاصة بك لم تذكريها في رسالتك قد تكون سببا في هذا التحول الغريب.

فأنت فعلت كل شيء من أجل هذا الزوج، اخترته وهو فقير لخلقه ودينه، تحملت مصاعب البدايات، وشاركته في رحلة كفاحه حتي فتح الله عليه. وفجأة حدث هذا التحول بعد انجاب ثلاثة من الأبناء، هل كان زوجك كاذبا، مخادعا، ولم يكن علي دين وخلق كما اعتقدت، فانقلب عليك، منتقما منك لأنك المرأة التي تذكره بمعاناته وبفقره؟ أم أنك كنت تعايرينه وتذكرينه بتلك الأيام؟!

الاحتمال الثاني أن يكون زوجك من هذا الصنف من الرجال الذي يري بعينه أكثر مما يفكر بعقله، وبعد أن استراح ماديا، واستنزف النجاح سنوات عمره الشابة، بدأ يتلفت حوله ليجدك مشغولة بأطفالكما، مهملة في نفسك، فاستسلم لأهواء عينيه معتقدا أن نموذج فتيات الفيديو كليب ومطربات هذه الأيام اللائي يظهرن علي الشاشات في أحلي صور كاذبة وخادعة ـ هن الصورة الطبيعية للمرأة التي تليق به، فاختار أن يعيش في الأوهام، مسقطا عليك كل إحباطاته وعجزه، متجاهلا أن ما وصلت إليه نتيجة لمسئولياتك الثقيلة في رعاية وتربية ثلاثة من الأبناء.

نعم، علي الزوجة ألا تهمل في نفسها، وألا يشغلها الأبناء عن الحفاظ علي أنوثتها أو الاهتمام بزوجها، ولكن علي الزوج أيضا مسئولية الاهتمام بشريكة حياته ومساعدتها في تحمل المسئوليات، ولفت انتباهها إلي أهمية الحفاظ علي جمالها وأناقتها. ولكن الرجل الشرقي ـ في بعض الأحيان يفضل أن يترك الزوجة تستدرج إلي مغارة الاهمال والانشغال، حتي يكون لديه المبرر للتجول بعينيه بين الحسناوات ليكمل بهن الصورة التي يتمناها أو يقنع نفسه، إذا كانت شخصيته مهزوزة، بأنه جدير بامرأة في مثل هذا الجمال.

سيدتي.. لقد بدأت في معرفة الطريق الصحيح، إهتمي بنفسك، استعيدي رشاقتك، اهتمي بمظهرك، وتجاهلي تماما رأي زوجك، اهمليه مؤقتا، حتي تستعيدي ثقتك بنفسك، فالثقة لا يمنحها لنا الآخرون، إذا لم تنبت من داخلنا، وقتها قد يفيق هذا الزوج الظالم ويعلم أن الكلام الخشن يخشن القلوب التي هي أنعم من الحرير مثل قلبك، ويتوقف عن الحديث عن الزواج بأخري، لأن الذي يريد أن يفعل لا يقول، وربما فعل ذلك لاستفزازك. أما إذا استمر في أسلوبه المستفز الجارح، وثبت لك يقينا أن هذا القبح جزء من نفسه، فليس أمامك إلا خيارين، أنت وحدك التي ستقرر أحدهما، إما أن تختاري الانفصال حفاظا علي سلامتك النفسية والجسدية، وإما أن يكون هذا القرار صعبا عليك، ووقتها سيكون عليك أن تقبلي بوجوده كأب لأطفالك، راضية باختيارك، متجاهلة كل استفزازاته، وإن كنت أري أن هذا الاختيار صعب وظالم لك وأنت في أحلي سنوات عمرك.

==

رسالة (بئر الاســــــرار) ..ووافقت علي الزواج منه في السر

أنا مهندسة في الثامنة والثلاثين من عمري قصتي بدأت منذ أكثر من١٨ عاما عندما كنت طالبة بالسنة الثالثة بكلية الهندسة، فمن خلال الأنشطة الطلابية بالجامعة تعرفت علي معيد بالكلية يكبرني بـ٧ سنوات ولفت نظري بذكائه والتزامه وأيضا جديته، ولأنني تربيت مع أولاد خالتي فكنت أتعامل كالأولاد في الشكل وطريقة التعامل، وفي فترة قصيرة أصبحنا أصدقاء وأصبح يساعدني في المذاكرة أحيانا لأنني كنت اهتم بالنشاط طوال العام، بالرغم من أني متفوقة، وفي خلال فترة صداقتنا وطوال فترة دراستي شعرت بحبي الشديد له ولكنه كان يتعامل معي علي انني اخت صغري وأيضا كان يشبهني بابن اخته طالب الإعدادية في زيي وطريقتي وصوتي العالي وشعري القصير.

ومنعني كبريائي وخوفي علي صداقتي له من أن أعلن له أو حتي ألمح له عن مشاعري، بالعكس فقد كنت دائما أحدثه عن أنه لابد أن يرتبط وأرشح له الفتيات من محيط كليتنا واصدقائنا المشتركين، كنت أخشي أن يلاحظ مشاعري وتهتز ثقته في وصراحته معي، فقد كان يتحدث معي، في كل شيء كنت بئر اسراره كما كان يحلو له أن يصفني.

ولن أطيل عليكم فقد تعينت الأولي علي دفعتنا معيدة بالكلية في نفس القسم الذي يدرس به صديقي، ولم تكن صديقتي بل كانت زميلة هادئة محترمة وكنت أشعر بإعجابها ناحيته بغريزة الأنثي، ولا ادري لماذا قمت بلفت نظره لها، خاصة انها لم تكن تعجبه، ولكنني حرصت بالاصرار علي أن يلاحظها، واستمررت شهورا احاول أن اجمعهما معا وأسرد له مزاياها وكم هي هادئة ورقيقة ومن عائلة محترمة.

المهم قام بالتقرب إليها وكنا كثيرا نخرج معا، هي كانت دائمة التحدث معي عنه، وهل هو مرتبط أم لا، وهل إذا كنت أحبه، لأنها تلاحظ علاقتنا القوية ولكني كنت دائما أنفي هذا بشدة وكأنه عيب أن أحبه ولكن احساسي أنه لا يراني سوي صديقة وأخت منعني من أن أعلن أو حتي ألمح بهذا وأحاول تجاهل هذا الإحساس، المهم أنه قد تمت خطبتهما، شعرت وقتها بأنها تناسبه أكثر مني وفضلت أن استمر صديقة وبالتأكيد سأنساه بمرور الوقت، ولكن بعد خطبتهما مباشرة بدأت أشعر بأنني شخص غير مرغوب فيه من جانبها، وبصراحة كان معها حق فلا تحب أي امرأة أن تكون هناك أخري أقرب لزوجها منها حتي لو كان علي المستوي الإنساني فقط، وبالرغم من حزني انني سأفقد صداقتي له ابتعدت تدريجيا وهو لم يشعر بالابتعاد فقد كان يجهز لزواجه الذي تم بسرعة.

نسيت أن اخبرك أن لي أخا وحيدا يعيش باستراليا وأختا تعيش في مدينة بالصعيد وفي هذه الأثناء توفي والدي وقد انتهيت من فترة الامتياز وقررت والدتي أن نسافر في نفس المدينة التي تعيش بها اختي ونستقر هناك لأنها ايضا مسقط رأس أمي، وسافرنا وبدأت رحلة تحضير رسالة الماجستير والعمل ومرت بحياتي بعض قصص الارتباط الفاشلة التي كانت تنتهي سريعا، لأنني كنت دوما اقارن أي شخص بمن احببته فهو كان في نظري المقياس الذي اقيس عليه، وتقابلنا خلال ١١ سنة في مؤتمرات علمية وكانت دوما لقاءاتنا برغم أنها سريعة حميمة، نجلس لنتحدث بالساعات، هو يتحدث معي في كل ما حدث خلال الفترات السابقة، وأنا اتحدث عن قصة ارتباط فاشلة أو مشاكل العمل، وكان ينصحني دائما بألا أنسي نفسي ولابد أن أتزوج، أما هو فقد انجب ولدين ومنذ أن التقينا بعد زواجه بعامين وهو يحدثني عن مشاكله معها وانها بالرغم من اجماع كل من يعرفونها عن اخلاقها، ومزاياها ولكن هناك اختلافات وفروقا فردية لا علاقة لها بأخلاقها، علي سبيل المثال فهي دائمة النقد لا تفوت فرصة إلا وتنتقد فيها تصرفاته وعاداته ولبسه وطريقة معالجته، لأمر ما،

وبالرغم من انها تركت الجامعة بإرادتها إلا أنها تتهمه دائما بأنها ضحت بمستقبلها العلمي لأجله وأجل الأولاد، كانت تلك بعض الأحاديث المتفرقة التي يتحدث فيها معي عن حياته ولكنه كان يعود ويقول ان الأولاد أهم حاجة في الدنيا وأن لولاهم ما كانت استمرت زيجته حتي الآن، وينصحني مرة أخري بالزواج والانجاب حتي أشعر بقيمة لحياتي، وخلال الأعوام التالية حصلت علي الماجستير ثم الدكتوراه وسافرت أختي مع زوجها لظروف عمله، واقترحت علي أمي أن نعود للقاهرة وكان عمري وقتها٣٥ عاما وعدنا وافتتحت مكتبا هندسيا صغيرا وعملت بمكتب شهير والتقيته في النقابة مصادفة ولم يكن يعلم أنني عدت، وكان يعيش فترة خلاف بينه وبين زوجته وكانا علي وشك الطلاق واستمررت اقنعه بأن يحاول بأن يتفاهم معها لأن اسباب الطلاق كانت فقط لأنهما لا يشعران بتفاهم أو حب حقيقي ونصحته أن يحاول كثيرا من أجل أولاده وشكله الاجتماعي، بصراحة في داخلي كنت أتمني أن ينفصل عنها وإحساسي هذا هو ما كان يدفعني إلي أن اقنعه بالاستمرار حتي لا يؤنبني ضميري، وعاد إلي زوجته في محاولة أخري للاستمرار وعادت صداقتنا من جديد،

وطلب مني أن أعمل بمكتبه الذي يمتلكه لم استطع الرفض فقد كنت لدي رغبة قوية في أن أظل بجانبه، وعملت معه وأصبحت ساعده الأيمن في خلال عام واحد، واقسم بالله بأنني لم أحاول أن تتعدي علاقاتنا علاقة الزمالة او الاخوة فهو ملتزم وأنا أيضا، كانت بيننا صداقة أقرب لصداقة الرجال نتحدث في العمل والدراسة كثيرا، وحتي مشكلاته الخاصة قلل من الحديث عنها عن ذي قبل، حتي ظننت أن حياته عادت لاستقرارها ولكن فجأة وبدون مقدمات طلب أن نتزوج وأخبرني أنه يدرس هذا القرار منذ فترة واستخار ربنا وأنه كان يشعر ناحيتي ببعض العاطفة منذ بداية صداقتنا، ولكنه كان يشعر دائما بأنني لا أفكر فيه اطلاقا وأنه لا يشغلني سوي الأنشطة الطلابية وانني أجده عاقلا جدا، فأيضا خشي أن يلمح لي ببعض شعوره ولم استطع الاحتمال، فبعد١٨ عاما من الحب الصامت اكتشفت أنه كان من الممكن أن يتغير شكل حياتي، واعترفت له أنا الأخري بمشاعري لم استطع الكتمان، وكم كان متعجبا مني ومن انني استطعت أن اخفيها طوال تلك الأعوام، فمن ناحيته لم يكن يحبني بل كان فقط لديه بعض الانجذاب قام بتجاهله عندما شعر بأنه قد لا يلقي استجابة،

أما أنا فقد كنت أحبه جدا وأريته كشاكيل محاضراتي التي مازلت محتفظة بها والتي كتبت اسمه في كل جوانبها، وأيضا مذكراتي التي كنت أكتبها خلال ا لفترة التي عشت فيها خارج القاهرة، وكيف انني مازلت أبحث عن هذا الشعور الذي شعرته معه، لا أعرف لماذا صارحته بكل هذا ولكنني وجدتني أشعر بأن الحلم الذي خشيت أن احلمه يتحقق واخبرني بأنه سيصارح زوجته وسيخبرها بالوضع الجديد، فرفضت بشدة وقد خشيت أن أهدم

استقرار أسرة عمرها١٣ سنة فمنذ الخلاف الأخير بينهما والذي تزامن مع ظهوري بشكل دائم في حياته كانا قد اتفقا علي التعايش من أجل الأولاد، ولو علمت هي برغبته بالزواج من أخري فستطلب الطلاق حتما.
ووافقت علي الزواج منه في السر، خشيت علي شكلي أمام الناس وأمام زملائنا في المكتب الذين يرونني شخصية جادة ومحبوبة، ولا يتخيل أحد أنني زوجة المدير وأيضا أمي وأخي فقد لمحت إليهما بأن هناك زميلا لي متزوجا ويريدني زوجة ثانية فرفضا بشدة ولم ابذل مجهودا لإقناعهما، بل بالعكس اخبرت أمي بأنني مقتنعة برأيها، وتم زواجي منه منذ عامين أحيا في منتهي السعادة وهو أيضا يحاول ألا يظلمني ويحاول أن يعدل بيننا قدر استطاعته فمثلا اصطحب زوجته لأوروبا في العام الماضي واصطحبني أنا في العام الحالي ويعاملني بمنتهي الرقة والحنان وأنا أفعل كل شيء لارضائه، ويعلم الله أنني لا أحاول أن آخذه من أسرته فيكفيني أنني آراه يوميا ونقضي عطلة نهاية الأسبوع مرة شهريا واحيانا الأيام التي تقضيها هي لدي أسرتها ونسافر في جميع المؤتمرات أو المعارض معا.
أنا لا أطلب حلا لمشكلتي لأنني لست أعاني من أي مشكلة، حتي الإنجاب فضلت أن امنعه بالرغم من رفضه لهذا، فهو يري أن من حقي أن أكون أما ولكنني أخشي أن تواجهنا مشاكل الإعلان ولأنني أخاف علي السعادة التي احياها بأن تتأثر فقط في بعض الأحيان وعندما اقرأ تعليقات علي الزواج السري والزوجة الثانية أشعر بالخوف ان أكون ظالمة أو إنسانة سيئة، أنا سردت قصتي بكل أمانة ولم اخف أي شيء، والله يعلم أنني لا أريد شيئا من علاقتي به سوي أن نكون معا ونرضي الله، فقط أريد أن أعرف زواجي بدون علم أسرتي حلال أم حرام علما بأن جيراننا في شقتنا يعلمون أننا زوج وزوجة ولكننا نعيش في مدينة أخري ونأتي شقتنا عندما نجئ إلي القاهرة.
أرجو أن ترد علي رسالتي فأكثر ما يشغلني هو مدي مشروعية ما أفعله؟ وهل أنا بزواجي بمن احببته لمدة عشرين عاما ومحاولتي أن أعف نفسي واعفه واحيا بسعادة شيء خاطئ؟ .
ولكاتب هذه الرسالة أقول:
سيدتي.. لست من الذين يتعاطفون مع هذا النوع من الزواج وان كنت أتفهمه.. فان لم ير الحلال النور ويتم اخفاؤه عن عيون الناس فما هو الذي يمكننا أن نعلنه ولا نخجل منه أمام الناس؟
فلاعيب ان يعرف زملاؤك في العمل انك متزوجة من مديرك، الا اذا كنت تخجلين من كونك زوجة ثانية، فلو كان هذا هو المبرر فكان الادعي بك عدم الاقدام علي تلك الخطوة، ولك ان تتخيلي لورآك بعض زملاء العمل مع زوجك في وقت ومكان غير مناسبين لوجودكما معا اوشاهدك احد تدخلين معه شقتكما او تخرجان منها فماذا سيقولون وكيف سيصفون علاقتكما؟
ولأن كل حالة لها ظروفها الخاصة، ولكل شخص مبرراته، ومع التسليم بكل ما جاء في رسالتك وتصديق رواية زوجك عن زوجته الأولي ليس من المناسب الآن الحديث معك في صحة ما فعلته او خطئه، فما حدث قد حدث ولكن قبل إجابتي علي سؤالك عن شرعية ما فعلته ادعوك للتفكير في امتناعك عن الإنجاب، فالعمر يجري وانت زوجته ولك كل الحق في الانجاب والاحساس بمعني الأمومة، فاذا كان الوقت الان في صالحك فان العمر يمر وقد تندمين علي هذا القرار غير الانساني.
أما سؤالك ولاني لا املك تحليلا أو تحريما عدت إلي فضيلة الشيخ خالد الجندي احد علماء الازهر الشريف فقال لي ان عقد النكاح صحيح ولكن في كتمانه إثما شديدا لان الإثم لايقتضي البطلان ودعاك الي إخبار اهلك بزواجك من هذا الرجل وعدم تعمد اخفاء زيجتكما، اما هو فيتحمل الإثم في عدم ابلاغ زوجته الاولي بزواجه باخري، فمن يريد الغناء ياسيدتي لايخفي شفتيه والا فليمتنع عن الغناء، اقصد الزواج!
وفقكما الله لما فيه الخير لكما ولمن حولكما من أهل وأصدقاء والي لقاء باذن الله.
==

القفص الذهبي
أنا سيدة فى الثلاثة والثلاثين من عمري أعمل محامية وموفقة فى عملى جداً ولى شخصيتى البارزة فى وسطى ولدى عملائى وأربح كثيراً والحمد لله .. ومنذ ٤ سنوات شاءت الظروف أن أتعرف عن طريق عملى بشاب محاسب فى الخامسة والثلاثين من عمره .. كان مطلقاً بغير أولاد وقد جاء إلىّ سعياً إلى حل بعض المشاكل التى تخلفت عن الطلاق .. فتوليت أمره وساعدته بأمانه فى حل مشاكله وأقنعته بأن يكون عادلا مع مطلقته فلا يراوغ فى أداء حقوقها وفى نفس الوقت يحصل على حقوقه كاملة ، وأعترف لك يا سيدى بأننى قد شددت إليه من الوهلة الأولى التى دخل إلى فيها مكتبى بطلب معاونتى القاونية بالرغم من أنى أقابل العشرات كل يوم وأقف فى ساحة المحكمة بين العشرات ، وأعامل الجميع بجدية وإحترام لكن ماذا تقول فى أمر القلوب؟
كنت قد جاوزت الثلاثين ولم أتزوج ولم أرتبط عاطفيا بأحد بالطبع وأنا على درجة معقولة من الجمال أخفيها تحت مظهرى المحترم ووجدت نفسى مشدودة إليه .. إذا جاء يكلمنى فى أمر من أموره وددت لو لم ينه الحديث، وكلما هم بالإنصراف خلقت له مبرراً جديداً لمواصلة الكلام فى القضية .. وكلما انصرف استدعيته للحديث عن القضية أو لعمل إجراء شكلى لا يستدعى حضوره كما لو كانت قضية الموسم ، وكلما سألني عن المصاريف أو الأتعاب قلت له بكرم فيما بعد إلى أن بدأ يحس بأن المسألة ليست مسألة قضية أحوال شخصية وإنما هى قضية

حياتى ، فبدأ يستجب لى وبدأ يميل إلى ويدى إستعداداً للقاء معى .. لكنى كما قلت لك إنسانة جادة ولا أعرف العبث ولذلك لم أجد مناصاً من أن أفاتحه فى الموضوع بصراحة فقلت له إننى كما فهمت ولا اجد مبرراً للإنكار لكنى لا أعرف إلا الطريق المستقيم ولا أقبل العبث ومن حقى أن أتزوج من إختاره قلبى لهذا فإنى يا سيدى أريد أن أتزوجك قد تتساءل بهذه البساطة فأقول لك نعم بهذه البساطة ولماذا لا يكون من حق المرأة أن تسعى السعى الشريف إلى الزواج ممن تقتنع به ؟ لماذا تنتظر أن تأتى المبادرة دائماً من الرجل .. ثم ماذا إذا انتظرنا ولم تأتى؟ إنني لا أرى عجباً فى ذلك ولو كان قد رفضنى ما كانت قد غضبت لكرامتى بل لعلى كنت قد رضيت عن نفسى أنى حاولت وأنى لم أقصر فى حق نفسى .. خصوصاً وأنه ليس لى من الأهل من يمكن أن يقوم عنى بهذه المهمة فالأقارب كل منهم مشغول بنفسه وليس بعد الأب والأم من قد يهتم بأن "يكشف وجهه" فى الحديث مع أحد من أجلك ولأنى وحيدة بلا أم ولا أب فلقد إضطررت أن أكشف وجهى وأن أطل ما أراه من حقى بنفسى.

لقد شردت بعيداً عن الموضوع لأنى تصورت أن هذه التساؤلات سوف تثور فى ذهنك وأنت تقرأ رسالتى .لذلك فقد بادرت الإجابة عنها ، وأعود بعدها لاستكمال قصتى .. فأقول لك إنه لم يدهش كثيراً من حديثى وكأنه يتوقعه ثم صارحنى بأنه يرغب فى زواجي فعلاً لكنه خارج من طلاق وليس معه سوى ملاليم .. فهونت عليه الأمر وقلت له إننى فى سبيل سعادتى لا أبخل بشئ فعقدت قرانى عليه وكانت لديه شقة على البلاط ليس فيها سوى سرير سفرى صغير وبعض الجرائد القديمة .. وثلاثة أطباق وبضعة أكواب .. هى ما بقى منها بعد طلاقة ، وشمرت عن ساعدي وبدأت الكفاح لتحويل هذه الشقة الخالية إلى جنة فبدأت بطلائها ثم فرشتها بأثاث فاخر ولم أبخل بشئ .. حتى الثلاجة المستوردة والتليفزيون الملون والمكنسة الكهربائية إشتريتها جميعاً ولم يفتنى أن أشترى له ملابس أنيقة ليبدو فى أحسن صورة وباختصار أنفقت كل ما أدخرته من المحاماة خلال سنواتى السابقة .وكنت سعيدة بذلك وعشنا حياة هادئة جميلة أدعوه بابا ويدعونى ماما،لم أتشاجر معه يوماً واحداً

ومضت حياتنا هادئة يذهب إلى عمله فى الصباح وأذهب إلى عملى ومرت ٤ سنوات من السعادة ثم فجأة تغير الرجل بلا أدنى سب ولم يطل تغيره فقد طلب منى فجأة أن آخذ كل شئ من الشقة وأن أتركه لأنه سيتزوج للمرة الثالثة .. ولا تتصور حالي حين طلب منى ذلك وصمم عليه فلم أجد مفراً من ذلك فحملت أثاثى وكل ما إشتريته وغادرت شقته وبعد أيام إتصلت به توسلت إليه أن نعود كما كنا فكان رده على أنه قد خطب فتاة أخرى وأنه يحبها وأنه يستعد للزواج منها وأنه ليس فى حاجه إلىّ فبكيت

إننى أكتب إليك هذه الرسالة بعد شهر واحد من الطلاق ، وأنا فى حالة لا أستطيع أن أصفها لك فأنا محطمة أتمنى أن يعود إلى ولو معه زوجة أخرى .. وأتمنى أن أرجع إلى بيتى الذى أثثته وبنيت كل طوبة فيه لكن أقول لمن .. ومن يسمعنى

إننى أعرف أنه لا يستحق كل ذلك لكن ما هو ذنبى إنى أكتب إليك لأسألك هل أستطيع أن أواصل الحياة مرة أخرى..وماذا أفعل وبماذا تنصحنى؟

:ولـكاتـبـة هـــذه الـرســالـة

أنصحك يا سيدتى بشئ واحد أن تحترمى نفسك وأن تكفى عن الجرى وراء سراب لن يتحقق فزوجك السابق لن .يعود إليك لسبب بسيط هو أنه لم يحبك أبداً خلال السنوات الأربع التى عشتماها معاً

وأغلب الظن أنك قابلتيه وهو فى حالة ضعف عقب طلاقه من زوجته الأولى .. وخروجه من الطلاق مفلساً فضلا عن المتاعب النفسية التى خلقتها له أزمة الطلاق ووجدك تعرضين نفسك عليه بكرم وتبسيطن يدك للإنفاق بسخاء على زواجك منه ، فإستجاب لك فى ضعفه لكنه فيما أتصور لم يحبك أبداً أو لعله كان يأمل فى أن تخلق المعاشرة الزوجية الحب من جانبه فلما مضت السنوات بغير أن تخلقة،وضع بسرعة النهاية غير السعيدة لقصته معك وأخرجك من حياته بأعصاب بارده ، وآثر أن يهدم هو القفص الذهبى الذى وضعته فيه ليعيش حياته كما يختارها هو مع من يحبها هو، وفى ذلك قد لا ألومه كثيراً لأنه كان أميناً معك وصارحك بمشاعره .. ولم يخدعك وقد كان فى مقدوره أن يستنزفك وأن يواصل حياته معك فى الوقت الذى يتجه فيه بمشاعره لغيرك .. لكنه لم يفعل وهذه ميزه تحسب له رغم قسوة الأمر كله ، إننى أفهمك جيداً يا سيدتى وأقدر مشاعرك لذلك فإنى أهمس لك بأن رفض الآخرين لنا لا يعنى فى النهاية أننا لا نساوى شيئاً كما تتصورين وإنما فقط أننا لم نوفق إلى من يقدرنا حق قدرنا إلى من يجد فى قربنا السعادة والراحة وسوف نرشف رحيق السعادة حين نلتقى بمن يجد فينا واحته وسط هجير .الحياة

ولا ينقص ذلك من قدرك أبداً .. فمن تركك فلقد خسرك كما خسرته وربما تلقى عليه الأيام درساً قاسياً يعرف منه قيمة ما خسر أما ما عانيت منه أنت فهو حال قديمة من أحوال الحب فى بعض الأحيان أن نحب أحياناً من لا :يحبوننا وأن يحبنا من لا نحبهم والشاعر القديم يترجم هذه القضية فى بيت شهير يقول فيه

جننا بليلى وهى جنت بغيرنا.....وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وقمة السعادة أن يوفق الإنسان إلى من يبادلة مشاعره ومن تتكامل به حياته ومشاعره "لكن ليس كل ما يتمنى المرء يدركه" ياسيدتى لذلك فإنى أدعوك إلى أن تطوى هذه الصفحة من حياتك بكل آلامها وأن تبدئى حياة جديدة ، وثقى أنك سوف تنسين هذه القصة بكل آلامها بعد حين ولولا نعمة النسيان ما جف دمع ولا ابتسمت شفاة بل

لعل قدرة الإنسان على النسيان هى التى مكنته من مواصلة الحياة عبر الأجيال المتعاقبة ولقد صدق الشاعر حين قال :

وما سمى الإنسان إلا لنسيه...ولا القلب إلا لأنه يتقلب

فإحفظى لنفسك كرامتها وكفى عن إنتظار هذا الأمل وواصلى حياتك كما كنت قبل زواجك منه وحاولى ألا تندفعى وراء عواطفك وحدها فى المستقبل وأن تحكمى العقل إلى جانب العاطفة فى زواجك المقبل ...وسوف توفقين إلى من يقدر سجاياك حق قدرها ومن سوف يعوضك عن هذه التجربة المريرة وينسيك ألامها بإذن الله.

==

القفزة القاتلة

من الطبيعى أن يحزن الإنسان لما يصيبه من ابتلاءات الدنيا، لكنه يجب ألا يجزع ولا ييأس، ولا يفتح الباب على مصراعيه للخطأ، كما فعلت أنت طلبا للزواج، متناسية أنه ليس بهذه الطريقة تكسب الفتاة أو المرأة قلب من أحبته، وليس أيضا بعدم الحديث معه أو رفض لقائه، وانما عليها تحكيم عقلها فى تصرفاتهالا أعرف من أين أبدأ رسالتى إليك، فأنا لست بارعة فى الكتابة التى لم تكن يوما إحدى مهاراتي، وسوف أدخل فى صلب الموضوع مباشرة، حيث إننى فتاة فى سن الثالثة والثلاثين، عشت حياة عادية فى أسرة بسيطة ومستقرة حتى سن السابعة عشرة عندما حصلت على الثانوية العامة، ومنذ ذلك التاريخ، وعلى مدى سبعة عشر عاما واجهت مصاعب عديدة، حطمت معنوياتى وقضت على حياتي. وكانت البداية عندما دخلت كلية نظرية، فهى وإن كانت تتماشى مع دراستى فى القسم الأدبى إلا أننى كرهتها. ولم أفلح فى اجتياز موادها بالغة الصعوبة، وزاد من يأسى فى الاستمرار بها، ما عرفته من أن نسبة النجاح فيها كل سنة لا تتجاوز سبعة فى المائة. فكل المواد مبنية على الحفظ وليس الفهم، ورسبت فى السنة الأولي، مما ترك أثرا سيئا للغاية فى نفسي، وفكرت فى الانتقال إلى كلية أخرى حتى لا تفوتنى فرصة التعليم الجامعى لكن أبى وأمى لم يوافقا على سفرى إلى محافظة أخري، حيث تقع الكليات التى تناسب مجموعى والتى تقترب طبيعة الدراسة بها من دراستى النظرية، وفى العام التالى توقفت عن الذهاب إلى الكلية، واتجهت إلى العمل لعلى أعوض فشلى الدراسي، وسمعت كلاما شديد القسوة من أهلى بأن اخوتى جميعا سيكونون من خريجى الجامعات إلا أنا، فلم آبه لكلامهم، ومضيت فى طريقى نحو الهدف الذى رسمته لنفسى بأن أعمل ويكون لى كيان وسط من حولي وفى رحلة البحث عن وظيفة وقفت الخبرة والكمبيوتر عقبتين فى طريقي، فأخذت عدة دورات تدريبية، ثم وفقنى الله فى العمل بمستشفي، وكان كل احتكاكي فيه بالمرضى والممرضات، ثم جاءتنى فرصة أفضل فى شركة كبرى للعمل سكرتيرة لصاحبها، ولكن منذ الأسبوع الأول وجدته يهينني، ويتعمد إحراجى أمام الجميع، فأصابتنى صدمة نفسية، ولم أجد تفسيرا لمعاملته لى بهذا الأسلوب، فكل من يعرفونه أنكروا أسلوبه فى توجيهي، وأكدوا انه ليس من طباعه أن يهين أحدا أو يسبه. وفشلت فى معرفة السبب الذى جعله يتصرف معى بهذه «الدناءة»، وذات يوم قررت مواجهته، فسألته: ما الخطأ الذى ارتكبته لكى تسبنى وتشخط فيّ «عمّال على بطّال» فأجاب: «معلهش.. أنا مريض سكر».. وللأسف لم يتوقف عن أسلوبه الفج معي، وتحملت إهاناته عاما كاملا إلى أن كرهت مجرد سماع إسمه، وراودنى حلم الدراسة من جديد، فدخلت الامتحان دون أى أمل فى النجاح، ولم أذهب إلى الكلية بعدها حتى ولو لأعرف النتيجة! ومرت السنوات وأنا أتنقل من وظيفة إلى أخري، إلى أن التحقت بشركة يبدو أنها شركة كبيرة، وأن موظفيها محترمون، ولم يمر يومان فقط حتى عرفت أن صاحبها لا يعرف فى تعامله مع الآخرين غير «السباب»، فقلت فى نفسى «إن بإمكانى أن أتفادى أى معاملة غير لائقة بالتركيز فى العمل. ولن يمسك عليّ أحد أى غلطة بعد أن أصبحت ممتازة فى الكمبيوتر والأعمال الادارية، ولن أحتك بهذا الرجل فى أى أمر».. وبعدها بأيام وجدته فجأة واقفا ورائي، ويضع يده على كتفى ويتحسسني، فالتفت إليه، وأنا مذعورة بنظرة غضب. فإرتبك من رد فعلي، وقال: «خلصى شغلك بسرعة» وظل هذا الموقف محفورا فى ذاكرتى وابتعدت عنه تماما، ولم أدخل مكتبه إلا فى وجود أحد من الموظفين، لكنه كان ينتظر اللحظة التى يكرر فيها محاولاته لجذبى إليه، فلقد إنتهز فرصة وجودى بمفردي، وهو يمر بالشركة ووضع يده على ذراعي، فابتعدت عنه، وقلت له «فيه إيه حضرتك» ومن يومها بدأ سلسلة اهانات غير مبررة لي، وكثر صراخه فى وجهي، ومع تماديه فى إيذائى أخذت حقيبتى وإنصرفت من المكان إلى غير رجعةوخضت رحلة جديدة للبحث عن عمل آخر، ووجدت ضالتى عند سيدة لديها شركة بسيطة، والحق أننى إرتحت فى عملى معها، وبذلت أقصى جهدى لنيل ثقتها، وعاملتنى بكل حب لدرجة انها كانت تقدمنى للآخرين بقولها: «دى بنتي»، ونجحت الشركة، وما ان بدأت هذه السيدة فى اثبات وجودها، حتى جاء الاخوان إلى الحكم، وتدهورت أحوال البلد كلها، فاضطرت إلى تصفيتهاعند هذا الحد توقفت حياتي، فلا أنا استقررت فى عمل، ولا أنا استكملت دراستى الجامعية، وانصرفت إلى عالم «الانترنت»، وعن طريقه تعرفت على شاب تحدثت معه كثيرا، وقال لى تفاصيل عديدة عن حياته، وانه يريد الارتباط بي، وما أن نطق برغبته هذه حتى قفز قلبى من الفرح، وأحسست أنه قريب جدا مني، وطلب رقم هاتفى فأعطيته له، فأخذ يحدثنى يوميا بالساعات، ثم دعانى إلى الجلوس معه فى أحد الأماكن العامة، فقبلت دعوته، وأحسست معه بحب كبير، ومن بين ما قاله لى أنه صاحب شركة، وأكبر منى بأربع سنوات، وأن أهله ناس طيبون، وتوطدت علاقتنا. ولم يبق إلا أن يطلبنى من أهلي وقبل أن أحدد معه موعدا لزيارتنا، وأخبر أهلى به، طرق بابى عريس فرحوا به فرحة عارمة، واعتبروا

طلبه يدى نصرا كبيرا، واستجابة لدعاء السنين، أما أنا فلقد وقع الخبر عليّ كالصاعقة، وسارعت الى فتاى وأخبرته بأمر العريس الذى يرحب به أهلي، وأن عليه الإسراع فى زيارتنا، وأكدت له أنهم سيرحبون به من أول جلسة معه، ففوجئت به يماطلني، ويتعلل بحجج واهية لكى يتنصل من وعده لي، ثم طلب منى أن أجلس مع العريس إرضاء لأهلي، الى أن يرتب أموره ويتقدم لي!، وظللت أبكى طول الليل، وكتمت علاقتى بفتاي، ولم أخبر بها أحدا من أهلي، وجاءنا العريس، وجلست معه، ولكنى لم أنظر إليه أو أسمعه، وظللت طوال لقائنا فى حجرة الصالون شاردة ولم أركز فى أى كلمة قالها، ولم أنطق بحرف واحد، وحاول أهلى لفت نظري، وكانوا يشيرون لى من بعيد بأن أتجاوب معه، فلم أعرهم اهتماما وظللت صامتة الى أن انتهت الزيارة، وبعدها اتصل بى فتاى وسألنى عما فعلته مع العريس، فثرت عليه، وقلت له إنه ظهر على حقيقته، فرد عليّ بأنه يخفى عنى سرا، وحان الوقت لأعرفه لكى نكون على نور ـ على حد تعبيره ـ وهذا السر هو أنه متزوج منذ عشر سنوات ولديه ولد وبنت، وأن اسمه غير الاسم الذى عرفته به، وأنه تعرف عليّ منذ البداية، وفى نيته الزواج منى لأنه ليس سعيدا مع زوجته، وأنه سيتزوج، سواء منى أو من غيري، لكنه خشى أن يخبرنى بهذه الحقائق خوفا من أن أتركه.. فأحسست كأن السماء وقعت على رأسي، ولم يكن بيدى شيء أفعله، فلقد أوقعنى فى حبه، ولا أكذب عليك ـ يا سيدى اننى صدقت كل حرف من هذا الهراء.. نعم صدقته لأنى أحببته، حيث تجاوزت الثلاثين، ولم يتقدم لى سوى واحد غير مناسب، وقد سايرته، وأصبحت أقابله كثيرا، ولم يتوقف الأمر عند ذلك، إذ تركته يضع يده عليّ كيفما شاء، وأنا التى لم أسمح لأحد أن يقترب مني، ووجدها فرصة لكى يحدثنى عن أشياء لم أسمعها من قبل، وكنت بالنسبة له أرضا خصبة للشرح وزراعة الأفكار الهدامة، وجاريته بمنتهى السذاجة، وتطور الأمر الى أن زرته فى مكتبه بمنطقة شعبية، ورأى منى ما أراده بحجة أننا سوف نتزوج، واستمرت علاقتى به لأكثر من عام حتى كرهته وكرهت نفسي.. إننى مازلت عذراء، لكن مجرد سماحى له بالاقتراب منى زلزل كياني، فلقد دأبت طوال حياتى على قيام الليل، وقراءة القرآن، ولم أكن أتخيل أن تصل بى الحال الى ما وصلت إليه، وصارت أمسياتى كلها بكاء لا ينقطع، ويمزقنى ضميرى ويكاد رأسى أن ينفجر من الضيق والندم لقد عاهدت الله أن أغير حياتى تماما، وأن أعود الى سابق عهدي، وأغلقت كل منافذ الوصول لي، وعدت الى المواظبة على الصلاة والعبادة.. وجاءتنى فرصة للعمل فى مدرسة خاصة، ولكنى لم أعجب المديرة التى فشلت فى ارضائها، وظلت ورائى حتى فصلتني، وكل زملائى فى المدرسة ضربوا كفا بكف، فلم يجدوا مبررا للتنكيل بي إننى لا أفكر فى أى شيء الآن سوى الموت، ففيه راحة لى من متاعب الدنيا وأعتبر أن حياتى انتهت منذ عدم التحاقى بالكلية التى أرغبها قبل ستة عشر عاما، ثم توالت الأحداث الدامية فى حياتي، وأنا الآن بلا عمل ولا زوج ولا حتى صديقة أفضفض إليها بما تكنه نفسي، فأنا صامتة طوال النهار والليل، ويغلبنى البكاء فى كل وقت وحين، وأعيش مع أبى وأمى بعد أن تزوج أخوتى جميعا، وبقيت أنا مصدرا للتعاسة، ولا أمل فى الاستقرار العائلى بعد أن وصلت الى هذه السن، ولا فى العمل فكل من طرقت أبوابهم يشترطون ألا تزيد سن الموظفة على ثلاثين عاما، وأحيانا يشترطون خلع الحجاب، بل إن منهم من قال إن زى العمل لديه «بنطلون استرتش» و«بدي»، وهناك من يريدون سكرتيرة متحررة.. وقد ضعف بصرى من كثرة البكاء، وانهارت نفسيتى من نظرات الشفقة التى تطاردنى فى كل مكان، وها أنا أسيرة جدران حجرتى الأربعة أنتظر الموت بعد أن أصابنى اليأس من الحياة

استوقفتنى فى رسالتك جوانب عديدة تدل على أنك تعانين حالة تخبط شديدة منذ نشأتك، وقد ساعدت عوامل كثيرة على وصولك الى ما أنت فيه من حزن واكتئاب ورغبة فى الموت، والأمر برمته يقتضى أن تغيرى نفسك ومنهجك فى الحياة، لا أن تتقوقعى داخل حجرتك فى انتظار المصير المحتوم، فعلى جانب الدراسة رحت تصبين اللعنات على الكلية النظرية التى التحقت بها، وبررت عدم نجاحك فيها بصعوبة مناهجها لدرجة أن سبعة فى المائة فقط من الطلبة هم الذين يحالفهم التوفيق كل عام، وهو بالطبع رقم غير صحيح، ولو تدنت نتيجة أى كلية الى هذه الدرجة لتم إغلاقها وتسريح طلابها الى كليات أخري!، ثم إن دراستك فى الثانوية العامة كانت نظرية، وكان بإمكانك أن تلتحقى بالقسم العلمي، المهم أنك وبدلا من أن تعيدى ترتيب أوراقك، وتشغلى وقتك بالمذاكرة، فكرت فى أن تتركى كليتك وأن تتجهى الى العمل، ولا أدرى كيف وافقك والداك على صنيعك هذا؟، واننى أطرح هذا التساؤل، ليس لأن الاكتفاء بالمؤهل المتوسط فيه تقليل من شأن من يحمله، ولكن الأمر الطبيعى لمن اتجه الى دراسة الثانوية العامة أن يكون مساره الطبيعى هو الجامعة التى يكتمل بها المنهج التعليمي، ويكون الخريج على دراية وعلم بأحد فروع العلوم أو الآداب التى تؤهله لسوق العمل، كما هى الحال بالنسبة لمن يحصلون على الدبلومات الفنية.. صحيح أن والديك رفضا نقلك الى كلية فى الأقاليم تتطلب الغربة، أو السفر الدائم، خوفا عليك من العواقب المجهولة التى يمكن أن تصادفها بنت فى مثل سنك، لكن الصحيح أيضا أن انعدام الطموح الدراسى لديك هو الذى أوصلك الى الحالة التى اعتبرت فيها استكمال تعليمك أمرا هامشيا، فانقطعت عن الدراسة، ثم دخلت الامتحان مرة واحدة بعد رسوبك فى السنة الأولى من باب ذر الرماد فى العيون، وكان طبيعيا أن يتم فصلك من الكلية، لكنك لم تأبهى لذلك أو تكترثى لهوأما عن جانب العمل، فلم يكن متاحا لك أن تجدى الوظيفة التى كنت تتطلعين إليها، ورضيت بأى فرصة عمل لدى من يقبل تشغيلك، وبرغم تعدد الشركات والمكاتب التى عملت بها، لم تجدى صاحب عمل يعاملك معاملة حسنة، فلقد أظهرتيهم جميعا وحوشا ضارية، الكل يترصد لك الأخطاء، بدءا بالمستشفى الكبير الذى لم ترتاحى فيه مع من عملت معهن من الممرضات، ثم الشركة الكبيرة التى

عملت بها سكرتيرة لكن صاحبها دأب على اهانتك خروجا على طباعه الودودة التى يتعامل بها مع العاملين لديه، ولا أدرى لماذا خصك أنت وحدك بالمعاملة الغليظة والجافة والمهينة ـ على حد تعبيرك؟ ثم كانت التجربة التالية لها فى شركة تبين لك بعد التحاقك بها أن صاحبها لا يعرف غير لغة السب وسيلة للتعامل مع عماله وموظفيه، ثم أرادك أنت شخصيا، لكنك رفضت هذه العلاقة، وتركت العمل عنده، وبعدها وجدت ضالتك فى العمل لدى سيدة فاضلة قدمتك للناس بأنك ابنتها، ولكن للأسف انهت مشروعها فى سنة حكم الاخوان، ثم مديرة المدرسة الخاصة التى لم ترتح لك وفصلتك من العمل.. والحقيقة أننى أعيد سرد محطات عملك كلها لكى أبين لك بُعدا مهما هو أن هناك شيئا ما فى شخصيتك يجعل الآخرين يعيدون النظر فى موقفهم منك، ربما يكون هو العناد، والإصرار على تنفيذ ما يتراءى لك من قرارات دون الرجوع لمن بيدهم الأمر أو أن معاملتك لهم فيها شيء من الحدة، وعدم الاستماع للرؤساء، على غرار قرارك بترك الكلية رغما عن أبيك وأمك اللذين ذكراك بأنك الوحيدة التى اكتفت بالثانوية العامة، فى حين تخرج أخوتك البنون والبنات فى الجامعة، وتزوجوا، وكونوا أسرا، وشقوا طريقهم فى الحياةوعلى الجانب الأسرى والاجتماعي، فإنك افتقدت الحوار، وعشت سنوات الشباب أسيرة للوحدة، وغاب عنك أنه ما خاب من استشار.. ويقول الحق تبارك وتعالى «وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله»..

أنت تتصورين أن قرارك هو الصواب، ورؤيتك هى المثلي.. وهذا منهج غير صحيح فى الحياة، واصرارك عليه هو الذى أوقعك فى حبائل هذا الشاب معدوم الضمير، فقفز قلبك فرحا به، وأنت لا تعرفينه، وانما راسلتيه عبر عالم «الفيس بوك» المجهول، فكانت القفزة القاتلة لك نفسيا، وكادت أن تفقدك أغلى ما تعتز به الفتاة، لكن الله سلم، وكان حريا بك أن تقطعى فورا علاقتك به مع تنصله منك، ودفعك للموافقة على من تقدم لك، لاعبا بمشاعرك، ولا تدرين إن كان «كلامه المعدل» بأنه متزوج ولديه ولد وبنت، صحيح أم لا؟.. فكل ما يريده هو أن يتسلى بك، ويمتص منك كل ما يستطيع أن يصل إليه، وفى النهاية وبعد أن يحقق غرضه، يتركك نهبا للإكتئاب وعذاب الضمير لاشك أن اندفاعك نحوه لم يكن حبا، وهو لا يستحق مجرد التفكير فيه، وحسنا أنك استوعبت الدرس، وسددت «طريق الهلاك» الذى انسقت اليه بإرادتك.. فلا تفقدى ثقتك بنفسك والإنسان قادر على أن يبدأ حياته فى أى سن، ففى العمر متسع للعمل والزواج، وليس معنى أنك صادفت ظروفا قاسية أو أنك أخطأت فى عدم الاستجابة لنصائح أبويك أن كل شيء قد انتهي، ولكنه يعنى أنك صرت الآن أكثر قوة، وقادرة على أن تتبينى الغث من الثمين، فلا تجزعى من الألم ولا تخشى المعاناة، وانما اتخذى منها قوة لك، فإنك ان تعيشى على الكفاح والعطاء، ومجاهدة النفس، ومواجهة الصعاب، خير لك من أن تعيشى باردة المشاعر، فاترة الهمة، خامدة النفس، وفى ذلك يقول تعالى «ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين»من الطبيعى أن يحزن الإنسان لما يصيبه من ابتلاءات الدنيا، لكنه يجب ألا يجزع ولا ييأس، ولا يفتح الباب على مصراعيه للخطأ، كما فعلت أنت طلبا للزواج، متناسية أنه ليس بهذه الطريقة تكسب الفتاة أو المرأة قلب من أحبته، وليس أيضا بعدم الحديث معه أو رفض لقائه، وانما عليها تحكيم عقلها فى تصرفاتها، وأن تضبط مسافة معينة منه، بحيث لا تقترب أو تبتعد أكثر منها، وأن تشرك أسرتها معها فى كل خطواتها وتسترشد برأى أهلها قبل قرار الزواج أو الدخول فى متاهات علاقة مع رجل، أى رجل، فكل شيء له حدود.. أما البكاء الذى صار هو الملمح البارز فى حياتك فإنه لن يجدى شيئا، فالتحكم فى ردود الأفعال تجاه ما يعترض المرء من متاعب ومصاعب هو دائما الأسلوب الأمثل للتعامل، كما أن الابتسامة للحياة تجعل المرء أسعد حالا، ليس لنفسه فقط وإنما أيضا لمن حوله، والمبتسمون هم الأكفأ فى العمل، والأكثر تحملا للمسئولية، والأقدر على مواجهة شدائد الحياة

===

القطرة الزائدة

أنا سيدة في الأربعين من العمر نشأت في أسرة مكونة من أب وأم وسبعة من الأبناء، وقد رحلت أمي عن الحياة وأنا في طفولتي، فلم يصبر والدي علي وحدته طويلا وسارع بالزواج من أخري، وانفرد معها بإحدي غرفتي الشقة الصغيرة التي نقيم فيها وتكدسنا نحن الأبناء السبعة في الغرفة الثانية، ولم تلبث الحياة أن كشرت لنا عن أنيابها وبدأ الصراع بيننا وبين زوجة الأب ووالدنا الذي انصرف عنا وعن كل شئ إلي زوجته، مما أدي إلي فشل معظم اخوتي في الدراسة، أما أنا فلقد استمت في الاستمساك بفرصتي في التعليم ودبرت أمري بحيث أواصل الدراسة مهما تكن الظروف قاسية حتي التحقت بكلية التجارة، وبدأت أري زميلاتي يرتدين أحدث الملابس.. وأدخل بيوتهن فأري التليفزيون الملون والمياه الساخنة وأشكالا جديدة للحياة لا أعرفها، وتوثقت العلاقة بيني وبين زميلة لي يعمل والدها بأحد البنوك، فكنت أتردد عليها كثيرا وأقضي معها معظم اليوم ولا أذهب إلي البيت إلا في المساء لكي أنام، وتخرجت في الكلية فألحت علي صديقتي هذه أن ترجو والدها في أن يتيح لي فرصة التدريب في البنك معها.. وتم ذلك بالفعل وتدربت بالبنك خلال عام الخدمة العامة وانتظرت أول الشهر بفارغ الصبر

لكي أقبض أول مكافأة أكسبها في حياتي وكانت خمسين جنيها، وبعد عامين عينت في نفس البنك بمساعدة والدة صديقتي وتم توزيعي علي أحد الأقسام فوجدت رئيسه شابا يكبرني بنحو عشر سنوات ووسيما وأنيقا وخدوما ويحسن معاملة الآخرين... ووجدت معظم فتيات القسم معجبات به ويتمنينه لأنفسهن، فأدركت أنه حلم صعب المنال بالنسبة لي، لكني لم أتوقف عن الأمل فيه إلي أن جاء يوم سمعته فيه يتحدث إلي صديق له في التليفون

ويضرب له موعدا للقاء في الثالثة من بعد ظهر اليوم التالي، أمام البوابة الرئيسية لمعرض القاهرة الدولي، وعلي الفور حزمت أمري وقررت أن أذهب للمعرض في نفس هذا الموعد وألتقي به، كما لو كان لقاء بالمصادفة..
وذهبت إلي هناك بالفعل ورأيته وعبرت الطريق أمامه كأنني لا أراه وناداني محييا فاصطنعت الدهشة لهذه المصادفة السعيدة وقلت له إنني كنت علي موعد مع صديقة لزيارة المعرض لكنها لم تحضر، فتعجب للمصادفة لأنه كذلك كان علي موعد مع صديق لنفس الغرض وتخلف أيضا عن الحضور، وسألني عما إذا كنت أحب مشاهدة المعرض معه فرحبت بذلك، ودخلنا معا وأمضينا عدة ساعات معا، وتواعدنا علي اللقاء في الموعد نفسه غدا لاستكمال الفرجة. وقام بتوصيلي إلي مسكني بسيارته.. وفي اليوم التالي أمضيت معه يوما سعيدا آخر ووجدته انسانا كريما وودودا، وفي نهاية اليوم سألني وهو يوصلني إلي منزلي عما إذا كنت أقبل به زوجا لي.. فغلبتني دموعي وراح هو يحنو علي.. ويخفف عني. وفاتحت أبي برغبة رئيسي في التقدم إلي فرحب بذلك لكي يخلو له المسكن مع زوجته، وجاء رئيسي مع أخته وأخيه والتقوا بوالدي، وصارحه أبي بأننا لانملك شيئا وأنه إذا أراد أن يتزوجني فعليه أن يتكفل بكل شيء دون أي مساعدة منه، وقبل ذلك، ولم تمض أسابيع حتي كان قد عقد القران، وبعد شهور قليلة تم الزواج وانتقلت إلي شقة زوجي الجميلة المؤثثة بكل الكماليات.. وأجهزة التكييف والأجهزة الكهربائية الحديثة، وتحقق الحلم الجميل الذي لم أتصور إمكان تحقيقه، وأصبحنا نذهب إلي العمل ونرجع منه معا.. وافتتحت لنفسي بعد الزواج دفتر توفير في البنك أصبحت أضع فيه مرتبي أو معظمه كل شهر لأن زوجي الكريم أبي علي أن أنفق منه شيئا علي حياتنا، وحملت وأنجبت طفلة جميلة وبعد انتهاء إجازة الوضع وجدت أنني أحتاج للتفرغ لبيتي وأسرتي فحصلت علي أجازة بدون مرتب وحملت مرة أخري ثم ثالثة وأصبح لدينا ولدان وبنت، ومضت الأيام جميلة وبهيجة، فحتي الخلافات البسيطة التي تحدث بين الزوجين كانت سرعان ما تزول، وتقدم زوجي في عمله واطرد نجاحه وازداد دخله.. ووجدت أنني لن أستطيع العودة للعمل فتقدمت باستقالتي إلي البنك لكي أتفرغ لأسرتي، وحصلت علي مبلغ لا بأس به كمكافأة أودعته دفتر التوفير بناءعلي نصيحة زوجي، وواصلت الحياة طريقها وزوجي يضعنا في بؤرة اهتمامه.. ولا يعكر علينا صفو الحياة شئ سوي أنني قد أصبحت مع الأيام وأعباء الأبناء والبيت عصبية مع زوجي لأقصي الحدود، وأثور عليه لأتفه الأسباب، وهو يهدئ روعي ويستحلفني ألا تحدث أية مشادة بيننا أمام الأبناء لكيلا تتأثر نفسياتهم، وفي هذه الفترة كان زوجي قد دخل في بعض المشروعات التجارية مع بعض أصدقائه وبدأت مشروعاته في النمو، وأصبحت تدر علينا دخلا كبيرا.. وحاول زوجي أن يحصل علي إجازة بدون مرتب لكي يخصص وقتا أكبر لأعماله التجارية فلم يوفق في ذلك، ولم يجد مفرا من الاستقالة من البنك والتفرغ لأعماله الخاصة.
ثم اضطربت فجأة حياة زوجي العملية حين استولي أحد شركائه علي قيمة أحد الشيكات وفر بها. فتأثرت الأعمال التجارية.. واضطربت الأحوال ووصل الأمر إلي ساحة القضاء، لكن زوجي لم ييأس والتحق بالعمل بأكثر من شركة تجارية، فلم يكن العمل يطول في كل منها أكثر من٥ أو٧ أشهر، ثم يعود إلي البيت..
وفي هذه الأثناء زادت عصبيتي معه بشكل رهيب.. وأصبحت أشتبك معه في مناقشات عنيفة تستغرق الليل بأكمله وتستمر حتي الصباح، وهو يرجوني أن أخفض صوتي لكيلا يسمع الأبناء بلا طائل، وحتي أنه كان في بعض الليالي يترك البيت ويركب سيارته ويظل يطوف بها في الشوارع حتي يطلع النهار ويذهب الأولاد للمدرسة فيرجع مهدودا لينام، وما أن أشعر بوجوده حتي أنهض من نومي لأستأنف معه النقاش! وغضبت من زوجي وهجرته إلي بيت أبي وشكوت إليه حالي فقال لي إنه لادخل له بحياة زوجي ومن حقه أن يدبر أموره كيف يشاء مادام لايقصر في شيء مع أبنائه، ورحل أبي فجأة عن الحياة وأنا مقيمة لديه، وبعد وفاته أبلغتنا زوجته أنه قد كتب لها الشقة منذ ثلاث سنوات، وحضرت إلينا في نفس اليوم سيدة أخري معها طفل قالت لنا إنها هي الأخري زوجته وهذا الطفل ابنه!
وهكذا وجدت الدنيا تنهار من حولي ولم يعد لي مكان في بيت الأسرة فرجعت إلي منزلي ومعي الأبناء وانقطعت صلتي بالمكان الذي نشأت فيه، وبعد وفاة أبي بدأ أخي الأكبر الذي لم يكن يزورني كثيرا من قبل في زيارتي والاهتمام بأمري، خاصة أنه كان قد استقرت حياته وافتتح لنفسه مشروعا صناعيا بإحدي المدن الجديدة.. وبدأت أنا أعتمد عليه كأخ أكبر وأحكي له كل كبيرة وصغيرة في حياتي.. وأصبحت أستجيب لكل ما ينصحني به حتي أنني هجرت غرفة نومي وأصبحت أنام في حجرة الأبناء بناء علي نصيحته، لكي أستحث زوجي علي أن يجد حلا لمشكلاته.
وذات مساء جاءني زوجي بعد نوم الأبناء.. وقال لي إن معه شيكا يستحق الصرف بعد٢٠ يوما، وطلب مني أن أعطيه أي مبلغ لكي ينفق منه علي البيت إلي أن يحل موعد الشيك فيعيده إلي، فنهرته وانطلقت أجرحه بشكل غير طبيعي وهو صامت لاينطق حتي استيقظ الأبناء من نومهم علي صوتي واندفعوا يبكون فأدخلتهم حجرتهم.. وأنا أشعر بسعادة شديدة لأن الأبناء قد تصوروا أن أباهم يعتدي علي بالضرب ومضت الأيام بحلوها ومرها وزوجي يحاول جاهدا الاصلاح ونصائح أخي لي تنسف جهوده أولا بأول.. وكلما شعرت أن مع زوجي مبلغا من المال أخبرته أنني مريضة وفي حاجة إلي استشارة طبيب وإجراء تحاليل، فلا يملك إلا القبول لأنه يعرف أن المرض معناه أن تحدث مشادة عنيفة بيننا أمام الأبناءوهو لا يريد ذلك، وباختصار ياسيدي فقد أحلت حياته إلي جحيم وأعترف لك بذلك واعتاد الجيران سماع صوتي العالي وهو يسب بأفزع كلمات السباب، وهو يتحمل

صابراويستحلفني بالله أن أدعه يعيش في أمان لكي يستطيع تدبير رزقه ورزق أولاده، وأنا أشعر كأنني قد ركبت قطارا انطلق بأقصي سرعته.. ولم أعد أستطيع إيقافه.
وفي الصيف الماضي وجدته ذات يوم يعد حقيبة سفر صغيرة وسألته عما يفعل فأجابني بأنه سيسافر إلي بورسعيد لقضاء بعض الأعمال التجارية وسافر، وفي اليوم التالي تلقيت منه ورقة الطلاق، وجاء معها المحامي الذي يتعامل معه زوجي ورجال من قسم الشرطة لكي أتسلم منقولاتي ومؤخر الصداق، وأسرعت أتصل بأخي فحضر ليشاركني هذا الموقف العصيب، وبعد مداولات انتهينا إلي أن آخذ معي الأولاد بناء علي طلبي بالرغم من إنتهاء حضانتي لهم ومقابل أن أتكفل أنا بنفقاتهم وألا أطالب مطلقي بشئ.. وتم إنزال الآثاث إلي الشارع وجاءت سيارة نقل فحملته مع الأبناء، والجيران ينظرون إلينا من الشرفات في صمت، وذهبت إلي مسكن أخي، وبمساعدته ,لكن إقامتي لديه لم تطل كثيرا لأنني أحسست أنني لو بقيت معه فترة أطول فسوف يخسر زوجته عثرت علي شقة سطح صغيرة من غرفة وصالة، وانتقلنا إليها في حين تكوم معظم الأثاث في مخزن يمكله صديق أخي.. ودخلنا الشقة الجديدة والأبناء يتلفتون حولهم في ذهول وأنا مثلهم، ومضت الأيام وأنا أتحمل مسئولية الإنفاق علي الأبناء من مدخراتي، وبعد بضعة أشهر خرجت ابنتي الكبري في الصباح الباكر دون أن تصارحني بوجهتها، وانقضي النهار بغير أن تعود، وعند الغروب استدعاني الجيران لأرد علي مكالمة تليفونية فوجدتها منها ووجدتها تبلغني بإنها لدي والدها وستقضي الليلة معه وعلينا أن نقابلهما أمام حديقة الحيوان في صباح اليوم التالي.. وذهبنا كلنا في الموعد.. وبعد قليل حضر زوجي السابق بسيارته ومعه ابنتي وإندفع إليه الولدان في شوق وفرح ورأيته يحتضنهما ويقبلهما والدموع تملأ عينيه، ثم أعطي كل ولد مظروفا به ألف وخمسمائة جنيه ولابنتي مظروفا مماثلا، وودع الأبناء وانصرف مسرعا بسيارته وأنا واقفة فوق الرصيف لا أتحرك ولم يصافحني ووجدت ابنتي تحمل حقيبة كبيرة عرفت إنها تحوي ملابس جديدة لها اشتراها أبوها لها ولأخويها وملابس للمدارس، ومنذ هذا اليوم حدث تحول غريب للأبناء تجاه والدهم وبدأوا يهاجمونني ويتهمونني بأنني السبب في حرمانهم من أبيهم، وخاصة ابنتي الكبري التي أصبحت تذهب إلي والدها كثيرا وتبقي عنده بالأيام، كما أن ابني الصغير الذي يحب أباه بجنون ذهب إليه وقضي معه شهرا كاملا لم أره خلاله.. وأنا الآن في موقف غريب.. إعرف إنني أخطأت في حق زوجي السابق كثيرا وأهنته كثيرا وحطمت بيتا كان من الممكن أن يكون من أسعد البيوت، وأعرف أيضا أنه يقرأ لك بانتظام، فهل يمكن أن توجه إليه كلمة لكي يعيد اجتماع الشمل مرة أخري، وأنا علي استعداد لأن أقبل الأرض التي يسير عليها من أجل الأبناء الذين أصبحت حياتهم صعبة خاصة وأنني أشعر أنهم سوف يذهبون إلي أبيهم الواحد بعد الآخر ذات يوم وأبقي أنا وحيدة؟
ولكاتبة هذه الرسالة أقول:
قد تكون رسالتك هذه فرصة لا بأس بها لفهم سر إقدام أحد شريكي الحياة علي اتخاذ خطوة مصيرية غير متوقعة علي خلاف ماكان يبدو عليه من استسلام ظاهري لظروفه.. وقبول للشرب علي القذي علي مدي سنوات طويلة، حتي ظن به الطرف الآخر أنه لايجرؤ علي الاعتراض، ناهيك عن التغيير!
إن النفس البشرية كالكأس التي تفيض فجأة إذا تلقت قطرة زائدة واحدة علي قدرتها النهائية علي الاستيعاب.
وبعض شركاء الحياة يتغافلون عن إدراك أن كأس الشريك قد امتلأت ولم يعد بها متسع للمزيد، وبدلا من أن يحاولوا إفراغها من مخزونها القديم من المرارات أولا بأول، بالاعتذار ومحو الاساءة.. وحسن العشرة والحب والعطاء وإثبات حسن النية.. يواصلون إضافة المزيد والمزيد إلي أن تجئ اللحظة الحاسمة وتفيض الكأس بما فيها ويتعذر الاصلاح، ويفاجأ أحد الطرفين بالآخر وقد انتفض كالمارد بغير سابق إنذار وسد كل أبواب التفاهم.. وأصر علي الانفصال مهما تكن التبعات.
والحق أن أكثر ما يعين علي إفراع هذه الكأس قبل أن تفيض بما فيها... هو أن يكون الخطأ عابرا وليس متعمدا، أو أن يعتذر عنه مرتكبه ويسترضي الشريك نفسه حتي تخلو من الموجدة أوأن يحرص علي مودة صاحبه حتي لينسيه بعد قليل الاساءة السابقة، أو أن يقف إلي جواره في المحن والشدائد فتجب فضائله الأساسية عثراته الهينة.. أو أن تكثر محاسنه فتمحو تلقائيا سيئاته علي نحو ما عبر عنه المتنبي بقوله:
فإن يكن الفعل الذي ساء واحدا .... فأفعاله اللائي سررن ألوف
وقبل ذلك كله ألا يسبب الخطأ المرتكب في حق الشريك جرحا غائرا لكرامته الانسانية.. وألا يشعره بالهوان علي صاحبه.. ولابالجحود ونكران الجميل، فإذا كان من ذلك النوع احتاج من مرتكبه إلي ما هو أكثر من الاعتذار والاسترضاء البسيط، وتطلب التفكير وصدق الندم.. والوعد المقنع بعدم العودة إليه مرة واحدة، وفي ظني أنك قد تغافلت عن حقائق عديدة في علاقتك بزوجك السابق.. ولم تحترزي في تعاملك معه في السنوات الأخيرة.. فاعتمدت اعتمادا خاطئا علي روح المسالمة التي يتعامل بها مع إساءاتك إليه.. وخوفه الدائم من إطلاع الأبناء علي خلافاتكما.. فتماديت برعونة في الإساءة إليه والاستهانة بأمره، وحولت حياته كما تقولين إلي جحيم، ومحاكم تفتيش تتواصل طوال الليل حتي ليفر منها ويهيم علي وجهه في الشارع إلي أن يطلع الصباح حتي يذهب الأبناء إلي المدرسة ويطمئن إلي أنهم لن يشهدوا هوانه ومذلته مع زوجته.
ومن أسف إنك لم تفعلي ذلك لأنه كان يسئ عشرتك أو يخون عهد الوفاء معك أو ينصرف عنك وعن أبنائه إلي زوجة أخري أو يطلق العنان لأهوائه وينغمس في اللهو والعبث والفجور بما يؤثر علي سمعة الأسرة والأبناء..

وإنما استبحت كرامته وكبرياءه لسبب لايشرف أي زوجة حريصة علي حياتها الزوجية وأمان أبنائها.. وهو تغير أحواله المادية لأسباب لا حيلة له فيها.. وتعثر خطواته وضعفه أمامك، بعد أن كان الحلم صعب المنال الذي تتنافس فتيات البنك علي الفوز به.. وتخططين أنت لاقتناصه لكي ينتشلك من ظروفك القاسية قبل الزواج. وبدلا من أن تواسيه بمالك حين تغيرت أحواله وتعينيه علي أمره حتي يستعيد ما فقده ويقف علي قدميه من جديد تحولت إلي زوجة عدوانية معه وتوحشت في إساءة معاملته، بالرغم من اجتهاده لارضائك وتلبية متطلبات حياة الأسرة بقدر الإمكان، وبالرغم من إقرار والدك كذلك بأنه لايقصر بالرغم من ظروفه في تلبية مطالب الأبناء.
ولا تفسير لذلك لدي سوي أنك لم تعرفي الحب الحقيقي لهذا الرجل في أي مرحلة من مراحل علاقتك به، وأن سعيك للفوز به دون الأخريات لم يكن استجابة لنداء القلب المتطلع للسعادة بقدر ماكان أملا عمليا في التخلص من ظروفك القاسية والفوز بالحياة الكريمة والأمان المادي.. أي أنه كان تطلعا إلي حياة أفضل وإنسلاخا من واقع اجتماعي مؤلم.. وليس في ذلك خطأ في حد ذاته لأنه حلم مشروع لكل انسان، لكن الخطأ قد بدأ حين اعتبرت تغير أحواله المادية وكأنه إخلال من جانبه بشروط المشروع المادي الذي شغلت به عند التطلع للارتباط بهذا الرجل، وتعاملت معه وكأنه جان ارتكب في حقك خطيئة عظمي لابد من عقابه عليها لتعسره المادي وضياع ماله!

وليس هكذا تفعل الزوجة المحبة التي ترتبط مع زوجها بوحدة المصير في السراء والضراء وفي الصحة والمرض وفي الفقر والغني..

ولاعجب إذن في أن ينتهي بك السعي إلي حيث بدأت خطواتك للارتفاء الاجتماعي، فترجعين إلي مايشبه المسكن القديم الذي كان يتكدس في إحدي غرفه سبعة من الإخوة، لأن الشكر هو الحافظ للنعم.. وليس التمرد والجحود والانقلاب علي الشريك حين تتغير أحواله المادية ولأنه كما ينبئنا الحديث الشريف:

التحدث بالنعمة شكر وتركها كفر ومن لايشكر القليل لايشكر الكثير ومن لايشكر الناس لايشكر الله، والجماعة بركة والفرقة عذاب صدق رسول الله صلوات الله وسلامه عليه.

ولم يكن من شكر النعم أن تقلبي لزوجك ظهر المجن لمجرد أنه فقد ماله.. أو اضطربت أحواله التجارية.
والآن فإنك تقولين إنك تعرفين إنك قد أخطأت في حق زوجك كثيرا وأهنته كثيرا، وتأملين في إعادة جمع الشمل معه.. وهذا أمل مشروع لك لاشك في ذلك.. لكنك لاتبررينه بأنك قد أدركت هول أخطائك وندمت عليها ندما شديدا وأدركت كم كنت متحجرة المشاعر.. صخرية القلب حين كفرت بعشرة زوجك الذي يتحمل منك الأذي صابرا ولا يرد عليك الاساءة إلا بالرجاء المتوسل إليك بخفض صوتك لكيلا يسمعك الأبناء، وصح عزمك علي أن تعوضي زوجك عن كل ماعاناه معك.. وتغيرت بالفعل أفكارك وشخصيتك إلي الأفضل، وترغبين في استعادة أبنائك لحياتهم ا لعا ئلية المستقرة وإنما تبررين رغبتك في العودة بمبرر يعد استطرادا للتفكير المنحصر في الذات.. وهو أن الأبناء قد بدأوا يتجهون إلي أبيهم ويعرفون له فضله ويتعاطفون معه.. ويتهمونك بالمسئولية عن حرمانهم من حياتهم العائلية ولن يمضي وقت طويل حتي يتسربوا واحدا بعد الآخر عائدين إلي أحضان أبيهم وتاركين إياك للوحدة وسوء المصير!

ولست أحسب أن هذا المنطق الذاتي سوف يفيد شيئا في إقناع زوجك السابق بأنك قد أدركت بالفعل حقيقة ما ارتكبت من أخطاء جسيمة في حقه وحق أبنائك، بل وحق نفسك، ولن يغريه بالأمل في أن يتعامل مع متغيرات إيجابية في شخصيتك في حالة العودة إليك، وإنما يفيد حقا ألا نكتفي بمجرد الإقرار، وإنما نضيف إليه صدق الندم وإبراء الذمة من حقوق من أخطأنا في حقهم.. والاعتذار الكافي لهم، وأن نواصل الجهد المخلص الدءوب للتفكير عن خطايانا في حقهم واسترضائهم إلي أن يعفوا ويصفحوا ويقتنعوا بأننا قد تغيرنا بالفعل إلي الأفضل.
ومن أقوال السيد المسيح عليه السلام: من يهلك نفسه من أجلي يجدني.
وكذلك الحال أيضا مع أهدافنا في السعادة والأمان، فإننا لا نحققها بمجرد التمني أو الرغبة فيها، وإنما نحققها بالجهد والعرق والصبر علي المكاره.. لكي نجدها في نهاية المشوار.
فابذلي كل ذلك في سعيك لاستعادة السعادة والأمان في حياتك، وحاولي إقناع زوجك السابق إنك لاتسعين للعودة إليه لأن ظروفه المالية قد بدأت في التحسن كما هو واضح من نهوضه لتحمل مسئوليته المادية عن أبنائه بالرغم من اتفاقه معك علي استمرار حضانتك لهم مقابل الانفاق عليهم، وإنما لأنك قد أدركت ما كان قد فات عليك من حقائق الحياة وعرفت له بالفعل فضله وقدره وحسن عشرته لك.
وحبذا لو قدمتي له أي دليل مادي لاثبات ذلك حتي ولو كان رمزيا لإشعاره بتغيرك وتغير أفكارك المادية السابقة!

==

القطة المدللة

أنا سيدة فى أوائل الخمسينات، تزوجت منذ ٣٢ عاما ولى عدد من الأبناء كنت فى شبابي آية فى الجمال يتعجب لها الآخرون حتى كانوا إذا أرادوا أن يصفوا فتاه بالجمال قالوا عنها إنها جميله مثل فلانة وبسبب جمالي هذا دللني الجميع وبدأ الخطاب يتهافتون علي منذ صباي وتمت خطبتي وأنا في بداية مرحله الأنوثة إلى ابن خالتي لكن أمي سامحها الله وقفت في طريق سعادتي معه لأنها كانت لا تحب أمه وانتهي الأمر بفسخ الخطبة ورحل ابن

خالتي عن البلاد أما أنا فلقد تقدم لي زوجي الحالي ولم اشعر نحوه بأية عاطفة، ومع ذلك مضيت فى مشروع الزواج وأنا أمنى نفسي بأن أحبه بعد الزواج .. وتزوجنا ولم تتغير مشاعري واستمرت حيادية تجاهه لا تنبض بالحب وانشغلت بعد ذلك فى تربية الأبناء ومشاكلهم وأمراضهم ومدارسهم.. فنسيت نفسي .. ومضت السنوات عاما بعد عام وكبر الأبناء فوجدت نفسي بعد الرحلة الطويلة أتوقف لأراجع حياتي وانظر إلى هذا الجبل الصامت الجالس إلى جواري وهو زوجي وأتساءل من هو .. ومن أنا .. وماذا جنيت من رحلة حياتي معه ؟ فلقد دفنت شبابي وأيامي كلها مع الزوج الذى لم يشعرني مرة واحدة بلمسة رقيقة أو يسمعني كلمة حب واحدة وتذكرت ابن خالتي الذى كان يتمنى لى الرضا لكي أرضى وندمت اشد الندم على أنني لم أدافع عن حبي دفاعا مستميتا وقتها .. ونظرت إلى أولادي فوجدتني اقسمهم إلى فريقين .. فريق مثلى يحبني وأحبه وفريق آخر مثل زوجي يدافع عنه ويحبه .. وكنت قد فقدت منذ سنوات احترامي لزوجي ولم أجد مانعا من ألا احترمه أيضا أمام أولاده وان أشعرهم دائما بأنني غير سعيدة مع أبيهم ، فكان أفراد الفريق الأول الذى أحبه يسمعونني ويشاركونني مشاعري ويصبروني على ما أنا فيه .. أما أفراد الفريق الثاني الذى لا أحبه فكانوا يقولون لى دائما : حرام عليك ولماذا تزوجتيه إذا من البداية ولم يغصبك احد عليه ... الخ ولا تتعجب يا سيدي حين أقول لك إنني لا أحب بعض أولادي فهذا هو الحال فعلا .. وأنا فعلا لا أحبهم ولا يهمني قربهم أو بعدهم عنى واشعر أنهم يبادلوننى نفس الشعور وأكثر ! واعترف لك أنني بتأثير حبي لبعض أبنائي دون البعض الآخر فإنني أفضل بعضهم على بعض فعلا بطريقة ملحوظة .. وأولادي الذين أحبهم يدللوني ويمدحوني دائما ومع إنني اشعر فى أحيان كثيرة بأنهم منافقون إلا إن هذا لا يغير من حبي وتفضيلي لهم شيئا لان هذا النفاق يسعدني وأنا بحاجة إليه .. فى حين اشعر تجاه الفريق الذى لا أحبه بالجفاء والبعد وبأنهم لا يغفرون لى ما افعله بابيهم .. أما زوجي فهو يشغل منصبا محترما ولا يهمه سوى أن يعمل حتى وهو فى أسوأ حالاته الصحية كأنه لا يطيق الجلوس فى البيت معي وهو بصفة عامة يأكل وينام فقط واشعر أنه بلا مشاعر ولا أحاسيس والجميع يقولون عنه انه طيب القلب وحنون لكنه ليس الزوج الذى كنت أتمناه ولا أحب الجلوس معه طويلا كما انه عديم الشخصية معي وأنا الذى اسيره كيفما أشاء ولا ينفذ إلا أوامري ومع ذلك فإنني لا أحبه ولا يعجبني ولا ارغب فى المعيشة معه.. ولا أتمنى فى الوقت نفسه أن يطلقني إذ أين اذهب ومن يتحملني بعد هذه السنوات الطويلة ؟ وبسبب هذه الظروف المتداخلة اشعر بعدم حبه وبكره شديد لبعض أولادي واشعر بنفس الإحساس من ناحيتهم .. كما اشعر أن زوجي غير سعيد معى لكنه أفضل حالا منى لأنه راضى بما قسمه الله له وأنا لست راضية ولا سعيدة ودائما مبتلاة بمصائب عديدة مع أنى أصوم واصلي ولا أخون زوجي وأحافظ على ماله ..

لقد سمعت بعض أبنائي من (الفريق الآخر) يقول لشقيقه عنى إنني مريضة نفسيا بمرض عدم الرضا وان الله لن يغفر لى أبدا ما افعله مع أبيهما وسوف يعاقبني فى السماء بسبب تفرقتي فى المعاملة بين أولادي . فهل هذا صحيح يا سيدى ؟ وهل أنا حقا مريضة نفسيا واحتاج لعلاج لدى طبيب نفسي ؟ وهل سيعاقبني الله حقا على حبي لبعض أولادي أكثر من البعض الآخر ؟ وكراهيتي او عدم حبي لبعضهم ؟ مع العلم بأن سيدنا يعقوب كان يفرق فى المعاملة بين أبنائه ؟

إنني أعيش فى جو عائلي كئيب ملئ بالمشاكل وكل ما أريده هو أن يلهمني الله الصبر على ما أصابني ويعوضني عنه خيرا وان أجد حلا أحب معه او به كل أولادي بنفس الدرجة وأتقبل مجرد تقبل زوجي بعد كل هذه السنوات الطويلة معه واشعر بأنني المرأة وهو الرجل . ألا من سبيل إلى ذلك ، وهل سيعاقب الله أولادي من الفريق الذى لا أحبه عقاب عقوق الوالدين بسبب مشاعرهم نحوى لأنني لم افعل بهم ما يوصلهم لدرجة (الكفر) وعقوق الأم ! ؟ ولكن هذه مشاعري ولا حيلة لى فيها

ولكاتبة هذه الرسالة اقول :

هناك قلة من النساء يراودهن دائما إحساس عجيب بأنهن (ثروة نفيسة من الجمال) لم يكن ليستحقها أزواجهن .. ولم يكن لها أن توضع بين أيديهم ، فيدفعهن هذا الإحساس غير السوي إلى عدم الاقتناع بأزواجهن مهما قدموا لهن من عطاء ، ومهما حاول هؤلاء الأزواج استمالتهن ونيل رضاهن خلال رحلة العمر معهم .

والواقع يا سيدتى إن إحساسك القديم بأنك (آية فى الجمال) قد رافقك معظم سنوات الرحلة مع زوجك ، ووقف حائلا بينك وبينه وساهم فى ذلك انك قد تزوجتيه عن غير حب وعاشرتيه ٣٢ سنة وأنجبت منه عددا من الأبناء وأنت لا تطوين له إلا على المشاعر الحيادية التى لا تنبض بالحب ولا تحمل الكراهية .

ومع تسليمي بأن المشاعر لا تصدر بشأنها قرارات إرادية ، إلا أن النفس الراضية تستطيع دائما ان لم تنبعث فى أعماقها شرارة الحب لمن تشاركه رحلة الحياة ، أن تحسن عشرته .. وتقدر له عطاءه ومزاياه ، وذلك ان المرأة كالرجل فى هذا المبدأ الأخلاقي العادل الذي نبهنا اليه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، حين أوصى بقبول من نرضى دينه وخلقه لأنه (إذا أحب زوجته أكرمها وإذا لم يحبها لم يظلمها) لكنك لم تتعاملي مع زوجك على ضوء هذا المبدأ العادل ، ليس لأنك لم تحملي له مشاعر الحب طوال ٣٢ عاما ولكن لأنك تظلميه بإساءة عشرته وعدم احترامك له وعدم التحفظ فى إشعار أولادك منه بذلك ، وبعدم رضاك عنه أو اقتناعك به ، وبإنكارك عليه كل مزية يراها فيه الآخرون وتعمى عنها بصيرتك مع انه بإجماعهم طيب القلب وحنون ومع انه باعترافك أيضا لا يعصى لك أمرا وتسيرينه كيفما تشائين .

فأي ظلم أبشع من هذا الظلم ؟! بل وأي بطر أوضح من هذا البطر خاصة انك لا تحبينه ولا تحسنين عشرته ولا ترغبين فى نفس الوقت فى الانفصال عنه !

إن ما تنكرينه عليه هو انه يحب عمله ويعمل دائما حتى لو كان فى أسوأ حالاته الصحية ، كأنما لا يطيق البقاء معك فى البيت ، وانه كما تقولين بلا مشاعر ولا أحاسيس ولم يقل لك كلمة حب واحدة ولم يشعرك بلمسة رقيقة ! ولهذا فهو ليس الزوج الذى كنت تتمنينه ولا الزوج الذى تحبين الجلوس معه طويلا !

ولست أنكر أهمية المشاعر والأحاسيس واللفتات العاطفية فى العلاقة الزوجية مهما طال بها الزمن .. لكن كل ما تنكرينه عليه لا يبرر أبدا ألا تحترميه أمام أولاده أو أن تنغصي عليه حياته حتى ليقسم لك أبناؤك من الفريق المكروه بأن الله لن يغفر لك ما تفعلينه بابيهم ، كما لا يبرر لك أن تجعلي منه موضوعا أساسيا للشكوى إلى الأبناء من أبيهم .. بما يشرخهم نفسيا ويقسمهم إلى فريقين احدهما يتعاطف معك والآخر ينكر عليك ما تفعلين .. فالرجل فى النهاية لا يسئ عشرتك ولا معاملتك ولا يقصر فى أداء واجباته الزوجية والتزاماته العائلية تجاهك وتجاه أبنائك .. ولا يطعنك فى كرامتك بخيانته لك مع امرأة أخرى ، ولا يصب عليك جام غضبه كل يوم أو ينهال عليك ضربا وركلا لإساءتك عشرته وتعريضك به لدى أبنائك على هذا النحو المزري ، واغلب الظن انه قد انبهر فى بداية الزواج انبهارا شديدا (بآية الجمال) التى اهدتها له المقادير وغمرها بحبه ومشاعره وكل أنواع اللفتات العاطفية والرومانسية فلم يجد منها فى المقابل سوى السخط والنفور والجفاء بل واستخسار النفس فيه أيضا ، فكف عن التعبير عن مشاعره التى لا يجد لها اى صدى لدى شريكة حياته ، ورضي من الحياة بأقداره وتفادى المشاكل معك بالاستجابة لكل رغباتك وتنفيذ كل أوامرك بغير تذمر فماذا تريدين منه أكثر من ذلك يا سيدتى ؟ وهل كنت تتوقعين منه ومع ما تبدينه اتجاهه من جفاء ونفور واستخسار لجمالك فيه ان يفعل معك ما كان يفعله المحب فى اسبانيا القديمة حين كان يستأجر فريقا موسيقيا صغيرا ليغنى تحت شباك حبيبته (سيرنادا) الحب والهيام كل مساء !؟

إن الرجل لا تغيب عنه فى أحيان كثيرة مشاعر زوجته الحقيقية تجاهه ، مهما كان نوع العلاقة بينهما . والمؤكد ان زوجك قد أدرك منذ فترة طويلة انك لا تحبينه ولا تنطوين له إلا على المشاعر السلبية ، فكف أو يئس من استجداء مشاعرك بعد طول العناء وعوض ما يشعر به من تعاسة وحرمان عاطفي فى الانهماك فى العمل ، ولم يرفع راية العصيان فى وجهك ولم يتوقف عن تنفيذ أوامرك .

انك تعترفين بجرأة عجيبة انك لا تحبين بعض أبنائك لأنهم مثل أبيهم ويدافعون عنه ، وبأنك تميزين بعض أبنائك على البعض الأخر ، ومن عجب انك تحاولين تبرير ذلك بأن سيدنا يوسف كما تقولين كان يفضل بعض أبنائه على البعض الآخر ! والواضح انك تقصدين بذلك عطف يعقوب عليه السلام على ابنه يوسف وهو طفل صغير مما أثار حفيظة إخوته الكبار عليه ، وردى على هذا التبرير العجيب إن عطف يعقوب عليه السلام على يوسف لم يكن تفضيلا له على إخوته أو تفريقا فى المعاملة بينه وبينهم وحاشا لنبي من أنبياء الله ان يرتكب هذا الإثم وإنما كان عطفا إنسانيا طبيعيا من أب على اصغر أبنائه حتى يشتد عوده تحقيقا للمبدأ التربوي الحكيم الذى يقول : إن أحب أبناء الأب إليه هو الصغير حتى يكبر والمريض حتى يشفى والغائب حتى يعود ، وهذا تفاضل مؤقت بالزيادة فى درجة الحب والعطف الذين ينبض بهما قلب الأم والأب لبعض الأبناء مراعاة لظروفهم وليس غمرا لأحد الأبناء بالحب دون إخوته او بعضهم دون البعض الآخر .. او تمييزهم فى المعاملة والحقوق كما تفعلين أنت الآن باعترافك مع بعض أبنائك

فإذا كنت تسألينني هل يعاقبك الله حقا على ذلك فجوابي نعم لان الله قد أمرنا بأن نسوى بين أبنائنا ولو فى القبل فإذا حملت نفس احدنا لأحد الأبناء حبا اكبر من حبنا لباقي إخوته فان الرحمة بكل الأبناء تفرض عليه أن لا يظهر اثر هذا الحب الزائد له أو تفضيله لهذا الابن على إخوته فى شئ ولو كان تافها كقبلة على جبينه

أما عن سؤالك الغريب الآخر عن حساب الله لأبنائك من الفريق المنبوذ على عقوقهم لامهم ، فجوابي عليه إن إثم العقوق سوف يقع فى البداية عليك لأنك لم تعينيهم على البر بك ، بالمساواة بينهم وبين إخوتهم ولأنك قد دعوتيهم إلى مجافاتك كما تجافينهم ، وكرهك كما تكرهينهم لكن ذلك لا ينفى من ناحية أخرى أن من واجبهم تجاه ربهم وليس تجاهك أن يتفادوا عقابه ، بالإحسان إليك مهما لاقوه منك ، ومفهوم الإحسان هنا لا يعنى الحب بالمعنى الشائع لان النفس لا تستطيع مهما جاهدها المرء أن تحب من يكرهها ، ويعلن له عن كراهيته بوضوح ، وإنما يعنى فقط ألا يبادل الابن الأم أو الأب كرها بكره وجفاء بجفاء وألا يقصر فى حقوق كل منهما عليه ، وان يحسن معاملتهما مهما لقي منهما محتسبا صبره عليهما عند ربه .

وختاما ، فإني أقول لك يا سيدتي إن من يطلب حب الآخرين عليه أن يبدأ هو بحبهم ، ويمهد أرضه لغرس بذور الحب بينه وبينهم ، فتطرح ثمارها بعد حين ويتعاون الجميع على رعايتها .

أما أن يجاهر بكراهية البعض ثم يتعجب بعد ذلك من بعدهم عنه او جفائهم له ، فهذا هو الغرور الذى يصور للمرء أحيانا أن من واجب الجميع أن يرتلوا تراتيل الحب والهيام تحت أقدامه دائما ، وليس من واجبه هو ان يبادلهم بعض هذا الحب ، وظني انك قد عاملتي زوجك بهذا المنطق الفاسد معظم سنوات حياتك معه ، وانك تعاملين به الآن أولادك المنبوذين ، وتتعجبين بعد ذلك من جمود مشاعر الزوج ، وسلبية أحاسيس هؤلاء الأبناء تجاهك ..

فإذا أردت أن تخرجي من هذه الدائرة المغلقة ، فابدئي بالرضا عن حياتك وزوجك وكل أبنائك ، واعترفي لنفسك بأنك إنسانة عادية ولست آية من الآيات النادرة التى لا يجود بمثلها الزمان على احد ، وقدمي العطف والحب لمن تعيشين بينهم تصفو لك قلوبهم ومشاعرهم ، وتستريحين من كل هذا العناء .
واحسب فى النهاية أن زيارة الطبيب النفسي قد تفيدك حقا فى تصحيح بعض مفاهيمك الخاطئة عن الحياة والنفس البشرية واستجابتها الغريزية لحب الآخرين او كراهيتهم .. فضلا عما سيفيدك به من مواجهة هذه المرحلة المضطربة من حياتك ، والتى احسب انها ترتبط الآن بشكل او بآخر بما تشعرين به من فزع وخوف لبعض التغيرات البيولوجية التى طرأت عليك مؤخرا .. ونبهتك الى انك تدخلي مرحلة جديدة من حياتك فتوقفت (تراجعين)(وتتسائلين)(وتتذكرين) (وتندمين) على شئ فاتك التمسك به قبل اكثر من ٣٢ سنة ! وكل ذلك من أعراض هذه الأزمة المعروفة فى هذه المرحلة من العمر ، ومن المفيد بالفعل أن تستعيني عليها ببعض المطمئنات النفسية .. وتعديل الأفكار الخاطئة .. وشكراً

==

القصة الشائعة

أنا سيدة عمري ٣٨ عاما زوجة وأم لثلاثة أطفال أكبرهم في الثامنة من عمره و أصغرهم عمره أكثر من عام قليلا، ورغم الحمل و الإنجاب فمازلت في ريعان شبابي حتى لا يكاد يصدق أحد أنني أم لثلاثة أطفال، وقد التقيت بزوجي في المستشفي الذي كنا نعمل به معا في إحدى مدن الجنوب، و كنا زميلين في المهنة، فأنا طبيبة لكني اعتزلت العمل منذ اليوم الأول لزواجي منذ ١١ عام، و تفرغت لزوجي و بيتي، و أنجبت طفلي الأول ورضيت عن نفسي وزوجي وبيتي ومضت السنوات بنا عادية إلى أن أتممنا عامنا التاسع، و حملت مرة أخرى لأنجب لطفلي شقيقا أو شقيقة، و اقترب موعد ولادتي التي تقرر أن تتم بعملية قيصرية بعد أن تبين حملي بتوأم، فإذا بزوجي يكلف بالسفر في مهمة علمية بأحد المؤتمرات بالخارج، فرتب لي دخول المستشفي لإجراء الجراحة القيصرية، و طلب مني ألا أغادر المستشفي إلي بيتي بعد الجراحة، و إنما إلى بيت احدي قريباتي لكي ترعاني عقب الولادة، و تمت الولادة بسلام وخرجت إلي بيت قريبتي فأمضيت به بضعة أيام، ثم عرفت فجأة أن زوجي قد رجع من السفر و لم يتصل بي، واتصلت أنا به فاعتذر بأنه لم يرجع إلا منذ ساعات و بأنه كان على وشك الحضور إلي،
ثم طلب مني البقاء في بيت قريبتي بعض الوقت حتى أسترد صحتي، لكني لم استرح لهذه الرغبة من جانبه وحزمت أمري علي الفور وجمعت ملابسي و حملت أطفالي و رجعت إلي البيت، فإذا بزوجي يستقبلني بضيق شديد ويسألني عما جاء بي، وابتلعت المقابلة الفاترة بجهد جهيد وحاولت تفسيرها بإجهاد السفر أو تغير نفسه تجاهي بعد إنجابي لطفلين توأم سوف يشغلاني عنه بعض الوقت، وحاولت رغم ذلك إرضاءه بشتى الطرق لأنني أحبه وقد سامحته من قبل كثيرا على أشياء مماثلة، لكن تصرفاته ازدادت سوءا في الأيام التالية فازداد إهمالا لي و لأطفاله حتى لم تعد بيني و بينه صلة سوى ما يتركه لي من نقود، و لاحظت أيضا أنه لا يهتم بنا جميعا، ولم يعد يشغله شئ سوى شراء ملابس جديدة له كل حين، وقدرت أنها ربما تكون حالة طارئة وسرعان ما تختفي فحاولت التقرب منه أكثر، فوجدته يتهرب مني باستمرار، وابتذلت نفسي و كرامتي كامرأة في التودد إليه أكثر وأكثر، ففوجئت به يقول لي إنني جميلة جدا لكنه للأسف لا يستطيع أن يتقرب مني لأنه مل الحياة معي ويريد الانفصال عني ليبدأ حياة جديدة وعاتبته في ألم على ما قال وسألته كيف طاوعه قلبه على أن يقول أو يفكر في هدم البيت بعد ١١ عاما من الزواج وبعد إنجابنا لثلاثة أطفال يحتاجون إلى أبيهم وأمهم و رجوته أن يعيد التفكير في الأمر وألا يتخذ قرارا يندم عليه فيما بعد.
وتركته لنفسه بعد ذلك مع قيامي بكل واجباتي كزوجه وربة بيت تجاهه، فتمادى هو في البعد عنا إلى ما لا نهاية و تركنا للقيام برحلة لمدة ١٠ أيام خارج المدينة التي نعيش بها، ثم رجع من سفره وهو أكثر فتورا وجفاء ولا يريد أن يراني أو يرى أطفاله، وبحثت وراءه لأعرف سر هذا التغير الكبير، فعرفت أنه قد تعرف بزميلة جديدة في نفس المستشفي منذ فترة وأنه قد ارتبط بها، وحاولت إنقاذ بيتي وأطفالي من الخطر الذي يتهددهم، فاتصلت بمدير المستشفي الذي يعمل به زوجي وكنت أعرفه منذ فترة عملي السابقة معه وشكوت إليه مما أعرفه فأجابني مندهشا بأن كل من في المستشفي يعرفون هذه القصة الشائعة فكيف لم أعرف بها إلا الآن، واستجاب الرجل لرجائي له لمحاولة إنقاذ بيتي وإبعاد زوجي عن هذه الزميلة، فقرر ندبه للعمل لبضعة شهور في مستشفي بمدينة أخرى قريبة، ومع أن هذا الندب كان يوفر لزوجي استراحة مستقلة تسمح بإقامة أسرة، فلقد رفض بإصرار الاستجابة لإلحاحي عليه بأن يصطحبنا معه إلي هذه المدينة الأخرى خاصة وقد كنا في أجازة المدارس الصيفية بالنسبة لطفلي الأكبر، وتمسك بالسفر إليها وحيدا تاركا إياي وأطفاله في مدينة لا أهل لنا فيها ولا أصدقاء سوى قريبتي التي أشرت إليها من قبل.
وسافر زوجي إلي مقر عمله ورجع منه وهو أكثر جفاء وقسوة معي، فلقد أحس بأنني كنت وراء هذا الانتداب الذي أبعده عن حبيبة القلب بضعة أسابيع، واستدعي قريبتي وزوجها وحاكمني أمامها بتهمة إفشاء الأسرار العائلية إلى رئيسه في العمل و استعدائه عليه، مع أن الرجل لم يفعل ما فعل إلا بإحساسه كأب تجاه الخطر الذي

يهدد أطفالي وانتهت جلسة المحاكمة إلي إدانتي بالخطأ المشهود وهو نقل الأسرار العائلية إلي محيط العمل و الزملاء، مع أن القصة كانت علي كل لسان في مكان العمل منذ البداية.

ورغم ذلك فقد تحملت وواصلت الحياة معه علي أمل الإصلاح وزوال هذه الغمة، فإذا بي أسمع زوجي الحبيب يتحدث همسا ذات ليلة في التليفون إلي شقيقه عن خطته لطردي من البيت وإجباري علي تركه باختياري، ولمست بعد ذلك بالفعل هذه الخطة، ولم تكن تزيد عن ضربي كل يوم ضربا مبرحا بلا مبالاة لصراخ الأطفال و بكائهم وفزعهم، ثم الخروج بعد ذلك مباشرة للقاء حبيبة القلب أو الاتصال بشقيقه ليروي له ما فعل !

وكانت النتيجة هي أن عجزت عن تحمل عناء هذه الخطة بعد فترة قصيرة ليس من أجلي وإنما من أجل الأطفال الصغار وبكائهم المستمر وفزعهم مما يرون ويسمعون، فما أن غادرت البيت ورجعت إلي أهلي، حتى قام زوجي بتغيير كالون الباب ورفض أن يسمح لنا بأخذ أي شئ من البيت، وتوقف عن إرسال أية نقود لي.

وبعد عودتي لأهلي ومدينتي القديمة عشت في انتظار حل من السماء لمشكلتي مع زوجي لعدة شهور، ثم مرض أحد أطفالي ذات يوم فاصطحبته إلي المستشفي المجاور وجاء الطبيب الأخصائي ليفحصه فإذا به يتهلل عند رؤيتي ويرحب بي بحرارة شديدة وإذا بي أكتشف فيه زميلا سابقا لي في أول مستشفي عملت به قبل زواجي، وتذكرت كيف كان هذا الزميل يحاول دائما أن يتقرب مني وكيف تقدم لخطبتي من أهلي، فرفضه أبي وقتها للأسف لأنه كان على وشك السفر للخارج للحصول علي رسالته العلمية، ولم يكن أبي راغبا في سفري، فجاءني هذا الزميل مودعا ومؤكدا لي أنه كان يتمني صادقا أن يرتبط بي لولا رفض أبي، ثم سافر إلي بعثته، وتعرفت أنا بعد ذلك إلي زوجي وأحببته و تزوجته.

وفي موعد الاستشارة التالي وجدت هذا الزميل يحاول أن يحدثني عن الماضي ويقول لي أنه قد عرف بكل ما حدث لي مع زوجي ويطلب مني الحصول علي الطلاق منه لكي يتزوجني لأنني كما قال مازلت فتاة أحلامه التي تمناها لنفسه منذ ١٢ عاما و مازلت محتفظة بجمالي ودماثة خلقي ولسوف يكون أبا رحيما بأطفالي وزوجا سعيدا بي.

وراح هذا الزميل يلاحقني بعد ذلك في كل مكان، ويسمعني من الكلام ما كنت أتمني أن أسمعه من زوجي ووالد أطفالي بالرغم من تهربي منه وامتناعي عن الرد علي التليفون في البداية، لكن ماذا أفعل يا سيدي والنفس تميل لما يرضيها ويمسح جراحها، ويعيد إليها الثقة المفقودة في بعض الأحيان؟

لقد بدأت رغما عني أشعر بهذا الزميل القديم، وأخشى الآن أن أفقد مقاومتي معه وأحاول الحصول علي الطلاق لأتزوج ممن يتمني مجرد النظر إلي، لكن الشقاء كله في أطفالي الذين لا أستطيع البعد عنهم ولا أعرف كيف سيكون مصيرهم مع أبيهم، ولست أريد لهم إلا السعادة والاستقرار، وكلما فكرت في أمرهم شعرت بالرغبة في أن أرجع إلي بيت الزوجية ولأرتمي في أحضان زوجي وأعيش معه في سلام لنربي أطفالنا وأطلب منه أن يحميني من خطرات النفس، وشرور الدنيا، لكن كيف السبيل إلي ذلك وزوجي غارق في العسل مع حبيبة القلب وقد خلا له و لها الجو بعد رحيلي !

إنني أرجوك أن تشير علي بما أفعل، وأن تكتب كلمة لهذا الزوج الشارد ليفيق من غفوته وينقذ أطفالنا من التمزق والضياع وهم الآن الأهم من كل شئ وشكرا لك ..

ولكاتبة هذه الرسالة أقول :

أخطأت يا سيدتي حين اتصلت بمدير المستشفي وطلبت منه مساعدتك في أبعاد زوجك عن شريكته في القصة الشائعة بندبه أو نقله مؤقتا إلى مكان آخر، فمثل هذا التصرف لا يثمر عادة عودة الزوج الشارد إلى رشده كما هو الظن عند من يفعل ذلك، وإنما يؤدي غالبا إلي إمعان هذا الزوج في الشرود والمضي في طريق اللا عودة، ليس فقط لأنه يشعر بالحنق الشديد علي زوجته التي يعتبرها قد أساءت إليه في محيط عمله حتى ولو كان هدفها من ذلك حمايته من الانجراف إلي هاوية تدمير الأسرة، وإنما أيضا لأن مثل هذه الإجراءات الانتقامية تضفي علي القصة التي يعيشها الزوج وصديقته ظلالا رومانسية مغلفة بالشجن والإثارة الانفعالية التي قد تعمق العلاقة بينهما وتزيد من روابطهما معا وليس العكس كما يتصور آخرون.

فاضطهاد المجتمع المحيط لبطلي القصة العاطفية المماثلة قد يؤدي غالبا إلي توحدهما في مواجهة الخطر المشترك الذي يواجهانه معا وليس إلي انفصالهما واقتناعهما بخطأ ما يفعلان، وقد يضفي كذلك على كل منهما شيئا من إرهاب البطل الرومانسي الذي يغالب أقدارا أقوي منه تريد أن ترغمه علي التخلي عن حبه لكن هيهات أن يفعل أو يستسلم بعد كل ما تحمل من تضحيات غالية في سبيل هذا الحب العظيم.

ومادام الجميع قد تكتلوا ضدنا- هكذا يقول بطلا هذه القصة لنفسيهما غالبا- فلم يبقي لكل منا سوى الآخر ولابد أن نزداد تلاحما وارتباطا لمواجهة هذه الأقدار الظالمة وإلا ذهبت كل معاناتنا السابقة هباء.

ولا عجب في ذلك سيدتي فالإنسان يميل بالفعل في بعض الأحيان لأن يعتبر نفسه شهيدا لظروفه وأقداره التي يتوهم أنها غير رحيمة به، والضغط الشديد عليه في مثل هذه الظروف قد يستثير فيه إرادة التحدي والإصرار علي ما يفعل أكثر مما قد يرده إلي الطريق القويم، ولقد قلت مرارا أن أفضل ما تفعله الزوجة التي يخونها زوجها إذا كانت راغبة في استعادته وليس في الانفصال عنه، هو أن تتعامل معه بحكمة الأم التي تشفق علي ابنها من استمراره في الخطأ الذي يهدده بالدمار، وتأمل في عودته إلي الطريق القويم بإشعاره بالذنب تجاهها بلا صخب

ولا ضجيج ولا استعداء للآخرين عليه فلا تقدم له المبررات النفسية التي ينقب هو عنها ليقنع نفسه بأنه لم يظلمها حين نقض عهد الوفاء معها، وإنما تتمسك دائما بأن تظل المثال الأخلاقي المناقض للمثال الآخر المغامر الذي لم ير ما يمنعه من التورط في قصة عاطفية غير مشروعة مع زوج وأب لأطفال صغار، وهذه المقارنة الصامتة في نفس الزوج والتي تزيد من معاناته مع الإحساس بالذنب قد تكفي وحدها في أحيان كثيرة لإرجاع ذوي الضمائر الحية والقلوب الحكيمة عن غيهم بعد إبحار قصير في بحر المغامرة، أما الحرب الشعواء الضارية علي الزوج الشارد فلا عائد لها غالبا إلا اقتناع الزوج بما يحاول أن يبرر به لنفسه منذ البداية أقدامه علي خيانة زوجته والارتباط بغيرها.

وعلي أية حال يا سيدتي فقد بلغت الآن مفترق طرق عليك أن تختاري من بينها ما ترين فيه صلاح أمرك وأمر أطفالك الثلاثة، فإما أن تراجعي حياتك مع زوجك وتحاولي اكتشاف الثغرات والأخطاء التي سمحت له بالشرود بعيدا عنك والارتباط بغيرك، وقد تسفر هذه المراجعة عن الاستعداد لإيجاد نقطة التقاء جديدة مع زوجك، واستئناف حياتكما الزوجية وتنشئة أطفالكما معا في بيت آمن مستقر، وقد تسفر أيضا عن تفهمك لبعض ما فاتك التنبه إليه في علاقتك بزوجك، فتتصلين به وتدعينه إلي كلمة سواء بينكما يعترف عندها كل منكما بما يتحفظ علي الآخر فيه ويعد بتغييره والتخلص منه، وقد لا يكون هذا الطريق مستبعدا رغم ظروف القصة الشائعة لأن تخلي زوجك عن أطفاله الصغار الثلاثة وعنك أيضا ليس بالأمر الهين حتى ولو كان يتوهم في غمار قصته الرومانسية الحالية قدرته عليه أو علي احتماله. وإما أن يكون زوجك قد حسم أمره نهائيا علي الانفصال عنك، واستكمال بقية فصول هذه القصة مع شريكته فيها بالزواج، وفي هذه الحالة فمن واجبه الأخلاقي أن يسرحك على الفور بإحسان وأن يكون عادلا معك ومع أطفاله فيؤدي إليك حقوقك كاملة ويتحمل مسئوليته المادية عن أطفاله وهم في حضانتك وقد يقبل بعد ذلك السماح لك باستمرار رعايتهم في حضانتك إذا تزوجت من زميلك القديم، ليس لأنه غير راغب في ضمهم إليه، وإنما لأن شريكته في الحياة الجديدة سوف يثقل عليها بكل تأكيد رعاية ثلاثة أطفال صغار بينهم توأم في عمر عام واحد وبضعة شهور! وبالتالي فقد يكون الحل الملائم لكل الأطراف في مثل هذه الظروف هو أن تستمري أنت في رعايتهم حتى بعد زواجك، وأن تتعاملي مع زوجك فيما يتعلق بشئون الأطفال بطريقة حضارية تسمح له برؤيتهم واستقدامهم إليه في الأجازات وزيارتهم في المواعيد الملائمة بلا مشكلات ولا منازعات يدفع الصغار ثمنها الظالم.

فإذا أصر هو علي أن يضمهم إلي حياته الجديدة عند زواجك فلا مفر من مواجهة الأمر الواقع وتحمل تبعات اختيار زواجك مرة أخرى بعد الانفصال عنه، ومع الأمل الدائم في أن تبرأ النفوس والتسليم بما جري من ضغائنها، فلا تسمحي لأية مرارات سابقة بالتأثير علي مصلحة هؤلاء الأطفال أو علي حقك في تبادل رعايتهم مع أبيهم وفقا للظروف المتاحة.

وليس الأطفال في تقديري هم المشكلة العاجلة التي تواجهينها الآن، وإنما المشكلة هي أنني أخشي أن يكون زوجك كبعض من يواجهون هذا الموقف فيرغبون غالبا -ولا أدري لماذا- ولكل شئ تبعاته و ثمنه دائما، في إنهاء الحياة الزوجية الأولي بلا خسائر مادية من أي نوع أو بأقل قدر ممكن من هذه الخسائر ليبدأوا حياتهم الجديدة في ظروف أفضل فيتعمدون إلي إساءة معاملة الزوجة حتى تهجر بيتها كما فعلت أنت، ثم يذرونها علي حالها هذه انتظارا لأن تطلب هي الطلاق منهم، فيكون شرطهم لذلك هو أن تتنازل عن حقوقها المادية لديهم! ولست أعرف شيئا أبعد عن العدل الإنساني والخلق القويم والدين الصحيح وأدني من الأنانية والفجور والروح المادية البغيضة من ذلك.

فإذا كان مفهوما أن تتنازل الزوجة طواعية وبلا ضغط عليها وبلا ضغط عليها من أي نوع عن هذه الحقوق أو بعضها لأنها هي الساعية إلي الانفصال والراغبة فيه، فكيف نفهم أن يتعمد ذو نخوة إلي إطالة فترة تعليق زوجته التي يرغب بالفعل في طلاقها ليتزوج غيرها بلا عشرة ولا طلاق انتظارا لأن تجئ المبادرة منها فيحق له أن يزعم أنها الساعية في الطلاق ويطالبها بالتنازل عن حقوقها لديه، كأنما كان ينافسها في مباراة معيبة للاحتمال والصبر علي هذا الوضع الشاذ حتى تضيق بها الحيل وترفع راية الاستسلام قبله!

وماذا ينتظر من يفعل ذلك لا أملا في الإصلاح ومراجعة النفس، وإنما لهدف وحيد هو التخلص من الأعباء المادية للانفصال حتى إذا خارت قوي زوجته قبله وطلبت الانفصال متنازلة عن حقوقها، كان انتصاره في مثل هذه المعركة انتصارا شائنا الهزيمة أشرف منه وأقرب إلي معاني الرجولة وتحمل مسئولية الإنسان عن أفعاله واختياراته في الحياة. بل وماذا ينتظر أيضا من يرضي لزوجته بمثل هذا الوضع لهذه الأسباب وحدها، إذا انهارت مقاومتها وهي مازالت تحمل اسمه أمام إغراء الكلام المعسول الجميل الذي تسمعه من غيره من الرجال في فترة مباراة الصبر إلي أن يستسلم الخصم بلا قتال ..

ألا يدفعني ذلك لأن أجازف بالقول أن مثل هذه الزوجة إذا أصابت إثما خلال فترة التعليق الطويلة هذه، فإن بعض إثمها علي زوجها الذي لم يصلح ما بينه وبينها، ولم يحررها في الوقت نفسه من ارتباطها به

إنني علي أية حال يا سيدتي لا أري أملا كبيرا في مناشدة أب لثلاثة أطفال أن يضع حدا لقصته الشائعة مع زميلته، ويستعيد زوجته ويستأنف حياته معها علي أسس جديدة تلبي له ما يريد منها، لأن من لا يؤثر فيه فراقه ثلاثة أطفال صغار أكبرهم في الثامنة من عمره، لن تؤثر فيه أغلب الظن كلماتي أو كلمات غيري، لكني ألمس

من ناحية أخري في ثنايا كلماتك أنك ترغبين في العودة إليه ليس فقط بإحساس الأم التي ترغب في سعادة أطفالها، وإنما أيضا بقلب الزوجة التي لم تفقد بعد الأمل في زوجها ومازالت تحتفظ له بنصيب كبير من مشاعرها، ولا تتخيل رغم كل ما جرى أن تنطوي صفحتها معه علي هذا النحو، فإذا كنت قد بدأت كما تقولين تشعرين بصديقك القديم، فما حدث ذلك إلا تلهفا من النفس التي اهتزت ثقتها في جدارتها بحب الرجل علي أن تستعيد بعض هذه الثقة الهاربة منها، وإذا كنت قد بدأت تسمعين للكلام الجميل الذي يهمس لك به هذا الزميل القديم اعتقادا منك أن السماع فعل سلبي يلبي لديك احتياجا نفسيا وعاطفيا تفتقدينه الآن بالطريق المشروع وأن هذا الفعل السلبي لا يلزمك بشئ تجاه زميلك ولا يتعارض في تصورك مع وضعك كزوجة مازالت تحمل اسم زوجها، فدعيني أقل لك أن السماع في مثل ظروفك الحالية ليس مجرد فعل سلبي ولا يورطك في الخطأ كما تتصورين، وإنما هو فعل إيجابي مكتمل الأركان وشديد الخطورة عليك لأنه قد وضع أقدامك بالفعل ومن حيث تدرين أو لا تدرين علي خط البداية الذي إذا خطت عليه الزوجة تعذر عليها أن ترجع منه بغير أن تكابد إثم الاقتراب من حافة الخيانة، التي تبدأ دائما معنوية تكتفي بالسماع والصوت وعدم قطع الخيوط، وتتطور غالبا إلي ما هو أكثر من ذلك وقديما قال الفقيه المحدث أبو سفيان الثوري: إن أول العلم الصمت ثم الاستماع إليه ثم العمل !به

وأظن أن هذا هو أيضا نفس الشرك الخداعي للنفس الذي يمضي فيه الإنسان حين يسمح لنفسه بما يتصوره عملا سلبيا لا يورطه في الخيانة حتى ليحق لي أن أقول علي نفس هذا النهج: إن أول الخيانة السكوت علي محاولة !الطرف الآخر الاقتراب منا رغم وضوح قصده، ثم الاستماع للكلام الجميل الذي يبثه في أسماعنا، ثم التأثر به فانقذي نفسك يا سيدتي من هذه الحافة الخطرة، بالاتصال بزوجك علي الفور وحسم الوضع كله حسما واضحا لا يدع مجالا لأي تأويل، وذلك بالعودة إليه والبدء معه من جديد بعد كل ما جرى، أو بفصم رباط الزوجية بينكما واختيار كل منكما لطريق جديد بعيدا عن الآخر ولا بديل لذلك، ولا عائد لإطالة هذا الوضع المعلق بينكما إلا .تماديه هو في الخطأ

!واقترابك أنت أيضا من رماله الناعمة

نشرت سنة ١٩٩٧*

==

القرارات الصارمة

أكتب إليك وأنا في قمة المعاناة التي استمرت اثني عشر عاما ومازالت فصولها تتكرر، ولم أفلح في اتخاذ القرار الصحيح حتي الآن، وكل أملي في الله عز وجل أن يجعل لي من خلال ردكم مخرجا لمشكلتي، فأنا سيدة في بداية الثلاثينيات من عمري، غير أن عمري الشكلي أصغر من ذلك بعشر سنوات كاملة ويقولون إنني أكثر من جميلة وخفيفة الروح والظل وسريعة الإلف والإيلاف،

نشأت مدللة وأكسبني كل ما سبق ثقة كاملة في النفس أثناء صغري فتعاليت علي كل ما كانت تقع فيه الفتيات من أخطاء، وصددت أي محاولة للاقتراب مني من جانب أي شاب بداية من الصف الأول الثانوي وحتي زواجي في التاسعة عشرة من عمري ولم يكف خلالها الخطاب عن طلبي من والدتي السيدة طيبة السمعة حلوة الكلام التي يحترمها الصغير والكبير ولا يفوتها مناسبة للقاصي والداني إلا وقامت بالمجاملة فيها،

ويبدو أنني كنت أشغل بال الكثيرين وقتها في دائرة الأهل والمعارف والجيران، حتي أنني كنت أضيق بمحاصرتي الدائمة وكأنني من كوكب آخر برغم أنني وحتي اليوم لا أري في نفسي ما يلفت الانتباه. وبدأت قصتي حينما تقدم لي جار لنا كان وقتها مدرسا مساعدا بإحدي كليات الطب ولديه عيادة خاصة مسائية، وكانت والدتي من مرضاه ولم تكن تكتم دعاءها بأن يجعله من نصيب إحدي بناتها، وبالطبع كان قد تزوج عدد كبير منهن ولم يتبق سواي وأختي، التي كانت تتعلق به فعلا،

وكنت الوحيدة التي تعلم ذلك وكانت ملتزمة بمعني الكلمة لولا أن ليس لها يد في قلبها، وكان تقدمه إلي مفاجأة لنا جميعا فالكل يري وضوح التزامه الكامل وكنت لم أتحجب بعد وشديدة المزاح تماما عكس أختي التي كان الكل يتوقعونه لها هي وليس لي، ولهذا الأمر أعطته أمي(السوط) الأول ليجلدني به دائما وهو عرضها أختي عليه بدلا مني لأني شقية ولن أريحه وكانت قد أنهت دراستها فاعتذر بقوله: كيف أتعلق بواحدة وأتزوج أختها وصارحت أمي بأمر أختي فإذا بها تؤجل الموضوع حتي تهدأ الأمور،

وكنت قد أعلنت لها رفضي التام، فهذا الرجل كان يخيفني وكنت أشعر أن به حدة رغم نظره الموجه دائما للأرض وحب الجميع المعلن له، وكان وقتها في الثامنة والعشرين وكنت في الثامنة عشرة ولكن أمي لم تترك الفرصة ورفضت بعض الخطاب وفضلته عليهم قائلة لي انهم يشترون جمالك بأموالهم ولن يلبث الجمال أن يزول فيشترون غيره، أما هذا الملتزم فإنه يريدك زوجة وواصلت الالحاح علي حتي قبلت علي مضض، وقبل العقد أشار علي خطيبي بالحجاب وتغيير ملابسي إلي الاحتشام برغم التزامي الخلقي ولم تدع لي أمي خيارا أيضا ففرضت علي حصارا حتي فعلت ما يريد وتقدم لي وليس لديه إلا شقة حتي دون شبكة أو مهر،

وذللت له والدتي العقبات أمام والدي الذي كان عمله يأخذه طوال اليوم وكانت ترتب ألا يشدد عليه أبي وأقنعتني بالدموع أنه سيكون، ويكون بعد عودته من استكمال دراسته العليا بالخارج ولم تكن لي طلبات مادية، غير أنني

تمنيت أن أكون ككل صديقاتي لي فستان وشبكة وغيره إلا أنه رفض حفل الزفاف الذي حلمت به، وتم العقد في منزلنا في حفل بسيط وحين عاد بعد عام تم الزفاف في الاسبوع نفسه وكنت علي يقين من أن والدتي تعجل الأمر لمرضها الشديد،

ولأنني الصغري ولم يكن قد تبقي سواي بالبيت، وبعد عودتي من رحلة الزواج لبيتي أسمعني زوجي ما لم أكن أعرفه عنه، فلقد أظهر لي غيرة جنونية بكلامه وتصرفاته، فأعطي فرمانات غير قابلة للمناقشة هي عدم الذهاب لأي مخلوق صديقة أو أقارب، الذهاب للجامعة فقط معه ذهابا وعودة، عدم فتح النوافذ إلا وأنا بكامل ملابسي وللضرورة القصوي عدم الرد علي الهاتف، ولو كان غير موجود لا أرد أبدا، نزور بيت أبي فقط معا كأي ضيوف ونعود معا،

فبدأت أبكي ولعله لو كان قد تدرج في فرض القيود لما بكيت، فاتهمني بأنني أحب الشوارع وهو لا يرضي بالوحل، فصدمت صدمة العمر بكلماته وللأسف كنت حاملا في أول طفل لي، وظلت والدتي تسهل علي الأمور بدعوي حبه الشديد لي وخوفه علي وظل هو من جانبه يصدر المزيد من الفرمانات ووالدتي قوة الدفع لي حتي أنهيت الليسانس ومعي طفلي، ووالدتي تتولي كل شئونه هو والبيت حتي توفيت رحمها الله وتركتني وحيدة، ومضت الأيام وأنجبت منه مرة ثانية وثالثة حتي أصبح المجموع ثلاثة أطفال برغم أنني اكتشفت أننا ومن أول يوم دخلت فيه بيتي أننا كقضبان القطار لن نلتقي من البداية للنهاية، ولن أحكي عن سنوات طويلة مضت كان خلالها يسألني إن أكثرت معه المزاح.. هل لو تزوجت رجلا غيره أكنت أمازحه؟ هكذا وببراءة أجبت نعم لأنه سيكون زوجي فيتكرر الصفو إلي ما شاء الله وتعودت الكثير من طباعه لكن فرماناته لا تنتهي وكنت أحاول شغل نفسي بتعلم الحياكة أو الكمبيوتر طبعا داخل جدران المنزل، فكان يثير الزوابع وأن كل هذا من وقت أولادي ويظل يمنع حتي يتم إحراجي أمام من أتت لتعليمي وينتهي الموقف بتمزقي النفسي وأنا التي لا أري ولا أزور أي بشر إلا نادرا، وازور شقيقاتي في مناسباتهن الخاصة فقط وهن أيضا كل منهن قال لها زوجها ماذا بنا حتي يمنعها عنا أنت أيضا لاتزورينها إلا بالمثل!!

ووقفت كثيرا أمام نفسي وهي تتطور من قمة الثقة والحيوية والنشاط إلي اليأس والاحباط، فلم أدع صحتي النفسية المرتفعة التي يعرفها الجميع تذهب سدي وكرست وقتا كبيرا لأطفالي فهم الأوائل علي مدارسهم برغم ذلك مازال لدي وقت لنشاط آخر شغلته بالقراءة، لكنه للأسف منعها عني أيضا فكنت أخبيء الكتب الدينية تحت الأنتريه فور دخوله كأنها لا قدر الله شيء معيب واتجهت للمسجد عن اقتناع كبير من نفسي وارتديت أكثر مما كان يحلم هو به، أنه لم يصبر طويلا ثم منعني من المسجد أيضا فهو يكره خروج المرأة، وفجأة أصبت بمرض علله الأطباء جميعهم انه نفسي وقال هو لي أنا ليس لي فيه يد، وإنما أنت التي لا تغيرين رأيك برغم أننا اتفقنا من البداية علي عدم استعمال التليفزيون لأطفالنا، وتكفي أقراص الليزر بما نريده سليما لهم إلا أن الأمر اليوم أصبح شبه مستحيل مع أطفال كبروا وأنهي ابني الكبير دراسته الابتدائية هذا العام ولا وسيلة ترفيه له سوي يوم اسبوعي وطاقتهم كلها موجهة علي، وهو يرفض أن يصادقوا أحدا حتي أبناء عمومتهم أو خالتهم، ولا أعرف كيف أطبق ما يريد وأنا دائما متهمة بالتقصير برغم أنني ليس لي سواهم.

هل تصدق أنه تصارع بالأيدي مع طبيب تخدير احتاجته الطبيبة أثناء وضعي طفلتي الأخيرة فدخل خلفه وجذبه من ملابسه، لأنه كما يدعي رآني وعندما أفقت سمعته يحدث والدته وهو يصرخ أنه سيطلقني، ولكنه فيما يبدو خفف العقوبة إلي الخصام شهرين وكأن لي ذنبا في الأمر!! تكرر المشهد كثيرا حينما أقف للشراء ويأتي رجل للشراء أيضا، فيجري مندفعا نحوه وهو ينهره ويدفعه في صدره(عيب تشتري جنب النساء) وأكون في قمة الإحراج ولكن ماذا بيدي، لقد تحولت من الشخصية الهادئة المبتسمة دائما إلي شخصية شديدة العصبية، فراح يعاقبني بقطع أسلاك الهاتف مدة لاتقل عن شهر كل مرة حتي يربيني ويمزق كل ملابسي حتي لا أجد ملابس أغيرها،

حتي جاءت لي شقيقة وعلمت بالأمر فأحضرت لي بعض الملابس، ثم بدأ في تمزيق الأحذية باستمرار حتي لا أترك البيت لأني هددته بذلك ذات مرة وحقائبي كذلك، ثم وافق أخيرا علي أن استكمل دراستي العليا، وبدأت الدراسة بكل جد واهتمام خاصة أن أطفالي ليس بينهم من هو رضيع والتحقوا جميعا بالمدرسة، كما أنني بدأت أعطي زوجي اهتماما أكبر وللبيت حتي لا يتهمني بالتقصير فيمنعني، وأذهب وأعود سريعا بعد المحاضرات حتي لا يري خطأ واحدا وبالرغم من كل ذلك فاجأني بأنه يمنعني من مواصلة الدراسة،

ومزق كتبي فثرت عليه ونبشته بأظافري وطلبت الطلاق بإصرار فلم يكن ذلك إلا القطرة الزائدة، لقد حلمت خلال أعوام طويلة أن أشم هواء لا يشمه وصممت علي الذهاب إلي الامتحان فأرسل لي الأطفال قبيل دخولي الامتحان وهم بملابس البيت ورحل وأخذتهم معي وتركتهم بمسجد الجامعة، ووجدت بفضل الله من تتبرع بالجلوس معهم ممن ليس لديها امتحان، وفي الامتحان التالي جاء بنفسه وقال إنه سيذهب لإجراء عملية اللوز لابني رغم أنه يمكن تأجيلها اسبوعا آخر حتي أنتهي فذهبت إلي المستشفي حتي دخل حجرة العمليات وانتهي وذهبت متأخرة علي الامتحان،

خلالها ترك لي البيت لمنزل والدته بعد ارتفاع الضغط عندي ولما رأي تصميمي ولم يتبق إلا يوم أخير من ثلاثة أيام للامتحان قال لي أنت طالق فأدركت للمرة الأولي في حياتي أن الحرية أعظم شيء في الوجود، ومر يومان

وجاء زوجي لي في الثالث يبكي ويقول إن البيت انهار وأنني السبب لأنني مازلت بنت التاسعة عشرة كما أنا وأفكر في الخروج والضحك ولا أتحمل أي مسئولية، وقد أوغر البعض صدره وأوهموه بأنني يمكن أن أكون قد طلبت الطلاق لأنني رأيت شخصا غيره وأريد أن أتزوجه فمت رعبا ووافقت علي الرجوع إليه حتي لا يظن بي شيئا، برغم كرهي الشديد لهذا الأمر ولأنه دائم الشكوي مني لأهله والأصدقاء بل والمرضي وكأنني أعيش في بيت من زجاج.. الكل يراني فيه ويري حركاتي اليومية، خاصة أهله فأي حياة هذه يا سيدي؟ إنني دائما أسمع نصائحك حول لم شمل الأسرة التي بها أطفال، وأنا أملك إرادة فولاذية وأستطيع العيش بدونه في حضن أطفالي ودائمة التنازل حتي تسير الأمور، لكنني فاض بي الكيل، وليس لي طلبات مادية نهائيا بل أصبح عندي فقدان دائم للشهية حتي فقدت من وزني أربعة عشر كيلو جراما منذ زواجي لم أستردها إلي الآن.

ولقد فشلت كل الوساطات بيننا للتوصل إلي حل وسط، ولأنني من قراء هذا الباب الذي كنت أجد العزاء فيه دائما بمن هم أشد مني بلاء فلقد جذبته إليه حتي لا يمنعني منه هو الآخر وأتمني لو وجهت له كلمة، ويعلم الله أنني أتقي الله فيه في غيابه وأسفاره قبل وجوده حتي نظراته التي تتابع لحظ عيني في الطريق برغم غضي البصر، انها تقوي لله وليست له، لقد وصلت لمرحلة هيستيرية في مشاجراتنا ولأول مرة أسبه وأتصرف تصرفات جنونية لعله يطلقني أول ما يسمعها لكن هيهات، فإذا كان يريد الحياة فليحيا بالمعروف أو يسرحني بإحسان رغم علمه حدود الله وحب الجميع له لكنه ليست بهذه الطريقة تحفظ البيوت.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

كل ما تعانيه معه بدأ بأول بذرة للشك غرستها والدتك من حيث لا ترغب في نفس زوجك تجاهك، وذلك حين نصحته بأن يتزوج أختك الكبري دونك بدعوي أنك شقية ولن يجد راحته وأمانه معك،

ولأنه كان قد تعلق بك أنت ويرغبك بشدة، فلقد استمسك بزواجه منك دون أختك والتزم من البداية أن يكبلك بالقيود والسدود والقرارات الصارمة، لكي يسيطر علي ما يعتبره نزقا من جانبك، وليغرس الطمأنينة في قلبه تجاهك.. والمؤكد أنه قد بالغ كثيرا في ذلك، وأنه قد تخطي حدود الحرص المطلوب إلي التشدد فيما لا ضرر فيه، ولا حياة لزوجة بدونه كزيارة الأهل والصديقات والخروج الآمن إلي الحياة والعيش بنفس مطمئنة وليست خائفة علي الدوام أو مترقبة للمنع والنهي والحرمان..

لقد مضت الأعوام وأصبحت أما لثلاثة أطفال، ولم يعد هناك ما يبرر هذا الخوف المرضي الذي بلغ بزوجك حد الوسواس القهري تجاهك، ولابد له أن يعتدل في غيرته عليك وفيما يفرضه عليك من قيود، وإلا انفجر الإناء بما فيه وسكب الحمم الملتهبة علي الجميع، فقوامة الرجل علي المرأة لا تعني القهر أو الظلم أو إرغام الزوجة علي أن تحيا حياة لا ترضاها لنفسها، ولقد عني كبار المفسرين بجو الأسرة المسلمة وهم يشرحون معني حدود الله في آية الطلاق مرتان فكان أهم ما حذروا منه في هذا الصدد هو الظلم، وقال صاحب المنار رضي الله عنه: إن ظلم الأزواج للزوجات أعرق في الإفساد وأعجل في الإهلاك من ظلم الأمير للرعية، ذلك أن رابطة الزوجية أمتن الروابط وأحكمها فتلا في الفطرة الإنسانية، فإذا فسدت الفطرة فسادا انتكث به هذا الفتل، وانقطع ذلك الحبل فأي رجاء في الأمة من بعده يمنع عنها غضب الله وسخطه؟

أما الباحث الإسلامي الأستاذ أحمد موسي سالم فيقول إن القوامة للرجل لا تزيد علي أنه له بحكم أعبائه الأساسية، وبحكم تفرغه للسعي علي أسرته والدفاع عنها ومشاركته في كل ما يصلحها أن تكون له الكلمة الأخيرة ـ بعد المشورة ـ ما لم يخالف بها شرعا أو ينكر بها معروفا أو يجحد بها حقا أو يجنح إلي سفه واسراف، ومن حق الزوجة إذا انحرف أن تراجعه وألا تأخذ برأيه وأن تحتكم في اعتراضها عليه بالحق إلي أهلها وأهله، وإلي سلطة المجتمع، وعليه أن يقيم حدود الله. أما الإمام الراحل فضيلة الشيخ محمد الغزالي ـ رحمه الله ـ فلقد أشار إلي أن آية وأمرهم شوري بينهم قد نزلت في مكة وقبل أن تكون هناك شئون عسكرية ودستورية، وأن عموم الآية يتناول الأسرة والمجتمع، إذن فهي للحياة الأسرية، والعلاقات الإنسانية كما هي للشئون العامة سواء بسواء، فقولي كل ذلك لزوجك يا سيدتي.. وأعينيه علي أن يخفف قيوده عنك بتحفظك في كل ما يثير غيرته الجنونية عليك..

وأني لأرجو أن يكون أكثر ثقة في نفسه وفي زوجته مما هو الآن، وذلك حرصا علي بنيان أسرته وأمان أطفاله وسلامة النفس وسلام زوجته، فالسدود لا تحول بين الماء وبين التسرب من ثقوبها، والقيود قد تضيق بها النفس ذات مرة، فتحطم كل الأغلال وتقطع شعرة معاوية التي كانت تربطها بالطرف الآخر.

والحرص المغالي فيه كثيرا ما يكون السبب الأهم لضياع ما حرصنا عليه بشدة وما تخوفنا أكبر الخوف من أن يضيع من أيدينا، وقديما قال شاعر الكوميديا الإلهية الأعظم دانتي في وصف حالة مماثلة: كمن يحرص أشد الحرص علي الكسب فيخسر كل شيء بمعني أن انصرافه كلية للتفكير في الكسب كاحتمال وحيد قد شغله عن ملاحظة عوامل أخري مؤثرة في الموقف فخسر من شدة الحرص علي الكسب، كل شيء.. كل شئ!

أنني أرجو صادقا ألا يكون هذا هو مصير زوجك معك إذا استمر علي هذا النحو من المغالاة والتشدد والتطرف في التسلط وفرض القيود.

==

القرار الصائب

قرأت رسالة الاختيار الصعب للقارئة التي ارتبطت بإنسان بعد علمها بإمتحانه بالمرض اللعين واقترب موعد زفافها إليه.. فتناوبتها الهواجس بسبب تأثير علاج خطيبها من مرضه علي قدرته علي الإنجاب، وقرأت كذلك رسالة الفتاة الأخري التي نشرت بعنوان الاختيار السهل والتي تعقب فيها علي كاتبة الرسالة الأولي ترددها في إتمام زواجها من فتاها بسبب الخوف من عدم الإنجاب وتروي قصتها المشابهة لقصة الاختيار الصعب.. وكيف أنها لم تعتبره اختيارا صعبا ولم تتردد في الارتباط بفتاها الممتحن بنفس المرض والذي تأثرت أيضا قدرته علي الإنجاب نتيجة للعلاج من المرض اللعين، وتري أنها قادرة علي الحياة دون أطفال إذا لم تهبها السماء أطفالا من زوجها.. فشجعتني هاتان الرسالتان علي أن أروي لك قصتي.. فأنا سيدة شابة عمري٣٤ عاما. سافرت منذ أربع سنوات في بعثة دراسية إلي إحدي الدول الأجنبية، وخلال رحلة الطائرة إلي هناك تعرفت بشاب مصري يعمل في تلك الدولة وعائد من اجازة قضاها في مصر. ولست أدري ما الذي جذبني إليه في البداية هل هو الخوف من السفر.. أم هو الشعور بالوحدة. أم الائتناس إلي مصري يتكلم العربية.. المهم أننا تعارفنا وساعدني هو علي الذهاب إلي الجامعة التي سأدرس فيها.. وأصبحنا بعد ذلك نلتقي كصديقين جمعت بينهما الغربة ووحدة الجذور ونقضي أوقاتا طويلة معا بعد مواعيد دراستي ومواعيد عمله، وعرفني بكثير من العائلات المصرية في الغربة.. وانتهت دراستي في موعدها المحدد ورجعت إلي بلدي.. وبعد فترة من عودتي جاء إلي مصر في اجازة قصيرة واتصل بي وسعدت باتصاله سعادة كبيرة وتوجهت لمقابلته وأنا في لهفة إلي رؤيته وتحدثنا وسألني عن أحوالي بعد العودة ثم قال لي فجأة إنه يريد أن يطلعني علي سر لا يعرفه أحد سواه واثنين من أصدقائه في الغربة.. وتنبهت حواسي بشدة لمعرفة هذا السر فإذا به يحكي لي أنه قد أصابه المرض اللعين قبل ثلاث سنوات أي قبل أن يعرفني وأنه أخفي الأمر علي أهله في القاهرة اشفاقا علي أمه وأخته من وقع الخبر عليهما، وكتم سره في صدره وأقبل علي العلاج حتي تم له الشفاء والحمد لله.. وكيف أنه يخضع للفحص الطبي الشامل في مواعيد دورية والنتائج مطمئنة بفضل الله. ونزل علي الخبر كالصاعقة.. ووجدتني أتأمله.. وأتأمل حبه للحياة ورجولته والابتسامة التي لا تفارق شفتيه.. وأسترجع مواقفه بجانبي في الغربة وأتعجب لمفارقات الحياة وأفقت من تأملاتي عليه وهو يحدثني لأول مرة منذ عرفته عن أنه يحبني ويريد أن يرتبط بي وأنه تردد في الاعتراف لي بحبه ونحن في الغربة وأجل ذلك إلي حين عودتي لمصر واستقراري فيها.. لكيلا أتأثر في قراري بمشاعر الوحدة في البلد الأجنبي ووجدتني أتجاوب معه علي الفور وأقبل بالارتباط به والسفر للعيش معه في بلد الغربة.. وقرأت كل ما أستطيع قراءته عن هذا المرض لكي أطمئن علي حياته.. وكتمت الأمر كله عن أهلي وحفظت سره عن أقرب الناس إلي وحين اقترب الزفاف انتابتني حالة من القلق والخوف من شدة تعلقي به وتوجسي من أن أفقده بعد الزواج. وقاومت هذه الحالة بتذكير نفسي بأن الأعمار دائما بيد الله سبحانه وتعالي وكم من شاب لقي وجه ربه بغير مرض وكم من مريض طال به العمر حتي سئم الحياة، ورأيت أنه من الأفضل لي أن أحيا مع من أحب ولو لسنوات قليلة وأكون بجانبه وأسعده.. وأتممت الزواج وطرت مع زوجي وحبيبي إلي بلد الغربة وبدأنا حياتنا معا كزوجين. ووفقني الله بسهولة في الحصول علي عمل خاصة بعد حصولي علي شهادة دراسية عليا من هذا البلد. ومضت حياتنا سعيدة ومستقرة في إجمالها وبعد فترة من الزواج بدأت أشعر بتأخر الإنجاب.. ومع اني لم أكن أعرف شيئا عن تأثير علاج مرض زوجي علي قدرته علي الإنجاب فلقد راودني علي الفور هاجس بأن زوجي هو المسئول عن ذلك ولست أنا، فذهبت وحدي إلي أحد المراكز الطبية وخضعت لفحوص شاملة فأكدت كلها سلامتي وقدرتي علي الإنجاب وأن العلاج الذي تعاطاه زوجي هو الذي أثر علي قدرته الإنجابية.. لكن الأطباء بالرغم من ذلك قالوا إن هناك أملا في اللجوء إلي الوسائل الأخري كأطفال الأنابيب وأنه لابد لنا أن نطرق كل الأبواب. وصارحت زوجي بما فعلت ففوجئت به يثور ثورة عارمة ويؤكد لي رفضه الدخول في أية محاولات للإنجاب بطريقة غير طبيعية، وأنه يؤمن بأن الله إذا أراد لنا الإنجاب فسوف يرزقنا به.. وتألمت لثورة زوجي كثيرا وحاولت معه بشتي الطرق تغيير رأيه ودفعه لأن يطلب العلاج كما فعل حين طلب العلاج من المرض الذي هاجمه وقاتله.. لكنه يرفض ذلك ووصل به الحال إلي أن خيرني بين الاستمرار معه بغير أي وعد منه بالمحاولة وبين الانفصال عنه.. ومنذ ذلك الحين وأنا في حيرة شديدة من أمري، فأنا أحب زوجي بشدة وسعيدة معه لكنني امرأة وغير قادرة علي كبح جماح الأمومة بداخلي وليس هناك من يعلم بهذه المشكلة من أهله أو أهلي حيث إن والدته تعتقد أنني السبب وأهلي يتلهفون علي ذلك أيضا خاصة أن أختي التي تصغرني بأربع سنوات قد رزقها الله بطفلة جميلة أرجو الله أن يبارك لها فيها وأنا حائرة في أمري هل أنفصل عن زوجي أم أستمر معه. وماذا إذا استمررت معه وجاء اليوم الذي اقتنع فيه بطلب العلاج وأراد الإنجاب بعد أن أكون قد فقدت أنا القدرة عليه أنني أخاف الله وأخشي أن أكون بتفكيري في الانفصال، متمردة أو ناكرة لنعمة الزوج المحب والحياة السعيدة التي أحياها، لكني في الأوقات التي أتشاجر فيها مع زوجي وهي قليلة والحمد لله أو حين يطول غيابه في العمل أشعر بالضيق وألقي عليه في أعماقي باللوم لأنه لا يحاول إسعادي بمحاولة الاستعانة بالطب لحل مشكلة الإنجاب، وأود أن أوجه كلمة لصاحبة الاختيار الصعب هي أن رغبة خطيبها في العلاج للإنجاب مؤشر جيد وعليها أن تطرق معه كل الأبواب للتأكد من امكانية ذلك وعلي ضوء النتيجة عليها أن تقف مع نفسها وقفة صريحة.. وأقول لها ذلك وأنا أعلم كم هو صعب اتخاذ قرار الانفصال عن إنسان طيب العشرة حلو الخصال خاصة وهي لم تتزوج بعد ومازالت في مرحلة العشق والحلم بالبيت الجميل.. فما بالها بصعوبة هذا

القرار التي تصل إلي درجة الإستحالة بعد الزواج؟ خاصة إذا أحسن عشرتها وأصبحت سعيدة معه. أما صاحبة رسالة القرار السهل فلقد استشعرت عاطفتها الزائدة وأنصحها بالتمهل قبل أن تؤكد أنها قادرة علي العيش بدون أطفال، ذلك أن عدم الانجاب ابتلاء صعب ويتطلب تحمل مشاعر مناقضة للمشاعر الطبيعية للمرأة.
والله سبحانه وتعالي وحده هو الذي يعلم عمق رجائي بأن يمن علي بالأطفال.. أو بالقرار الصائب في أمري وأدعو الله أن ينير بصيرتي ويلهمني الصواب ويجعلني أرضي بقدري وأتغلب علي تغير وتقلب احتياجات الإنسان في مراحل العمر المختلفة، وأتمني في النهاية للجميع السعادة والصحة والتمتع بنعمة الإنجاب كما أدعو لكل من وهبهم الله أطفالا أن يسعدهم بهم ويمتعهم، وأطلب منهم الدعاء للمحرومين من هذه النعمة بأن يذيقهم الله سبحانه وتعالي من حلاوتها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
ولكاتبة هذه الرسالة أقول:
من المحزن حقا أن تنتهي قصة جميلة كهذه القصة نهاية غير سعيدة.. أو أن ينتهي الأمر بأحد طرفيها بعد فترة قصيرة من الحب والسعادة إلي الوقوف مع النفس ومحاولة التأكد من صحة قراره بالارتباط بمن أحبه!
فلقد جمعت بينكما الأقدار فوق السحاب علي غير انتظار وتعاطف كل منكما مع الآخر في غربته وكان له صديق مخلص وظهير.. ونما الحب بينكما ببطء وتدرج حتي عبر عن نفسه في الوقت الملائم، وصمد الحب لأقسي الأختبارات وهو اختبار المرض والخوف من المجهول، وتشاربتما بعد الزواج كئوس السعادة والوفاق والعشرة الجميلة، فكيف يمكن أن يتعرض الحب الصادق لعاصفة كهذه لأن زوجك يرفض أن يستجيب لرغبتك المشروعة في التماس العلاج لحالته الصحية لكي يحقق لك أمل الإنجاب؟
إن من يحب شريكه في الحياة لا يتردد لحظة في أن يبذل كل ما في وسعه لإسعاده وتحقيق أمانيه المشروعة في الحياة.. وأنت يا سيدتي لا تطالبينه بما تعجز عنه إرادته، ولا تطالبينه بأن يضمن لك نجاح العلاج في تحقيق أمل الإنجاب.. وإنما تطالبينه فقط بما يطالبه الدين والشرع والفطرة السليمة وهو أن يأخذ بالأسباب.. ويسعي لتحقيق أمل الإنجاب لك بما يملكه الإنسان وهو اخلاص السعي.. وصدق المحاولة فقط وبغير أن يتعارض ذلك نهائيا مع عمق التسليم بإرادة الله سبحانه وتعالي.. وترك الإيواء إلي الله.. فإن تحقق الأمل فلقد سعد القلب بما يهفو إليه وتطيب به الحياة، وإن شاءت إرادة الله لكما غير ذلك فلقد أديتما واجبكما تجاه نفسيكما فلا يلومن أحد شريكه.. ولا ينقمي عليه في أعماقه تقصيره في حق الحب وفي السعي لإسعاده بكل الوسائل المتاحة..
ومحاولة الإنجاب عن طريق الأنابيب أمل مشروع لمن حرم من الانجاب بالطريقة الطبيعية.. وهي حل جائز شرعا لأنها تجري بنطفة الزوج وبويضة الزوجة وليس من الإنصاف أن يترفع عنها من يقدر علي تكاليفها..
ويوطن النفس علي القبول بفشلها إذا فشلت كما سوف يسعد بنجاحها ويحقق الأمل عن طريقها..
وصحيح الإيمان يطالب المرء بألا يدع بابا لتحقيق أمانيه المشروعة في السعادة والحياة بغير أن يطرقه.
فلماذا يحرم زوجك نفسه من شرف المحاولة.. ويحرمك أنت من التعلق بالأمل في الأمومة..
بل ولماذا يخاطر بضياع الحب والسعادة تمسكا بهذا الموقف غير العادل؟
لقد ذكرتني رسالتك بما رواه الأديب العظيم مصطفي صادق الرافعي في أحد مقالاته عن أحد الزهاد المعروفين بتقواهم ونسكهم وقد عاش حياته عزبا فلم يتزوج ولم ينجب ثم رأي ذات ليلة في نومه أنه في يوم الحشر العظيم وقد تجمع الخلق واشتد به وبهم العطش فإذا بولدان يتخللون الجمع وفي أيديهم أباريق من فضة وأكواب من ذهب يسقون أناسا بعينهم.. ويدعون غيرهم فمد يده إلي أحدهم قائلا: اسقني، فقال له الغلام: ألك ولد افترطته صغيرا فاحتسبته عند الله؟ قال لا، قال: ألك ولد كبر في طاعة الله؟ قال لا، قال ألك ولد نالتك منه دعوة صالحة؟ قال لا، قال: ألك ولد تعبت في تقويمه وقمت بحق الله فيه؟ قال لا، قال: فنحن لا نسقي إلا آباءنا تعبوا لنا في الدنيا واليوم نتعب لهم في الآخرة.
ثم رأي الزاهد نفسه وقد نودي عليه للحساب فقيل له إنه طاووس من طواويس الجنة قد حصي ذيله ـ أي قطع ـ فضاع أحسن ما فيه.. فأين ذيلك؟
وقيل له: قتلت رجولتك ووأدت نسلك ولبثت عمرك ولدا كبيرا لم تبلغ رتبة الأب فلئن أقمت الشريعة فلقد عطلت الحقيقة
وهذا صحيح بالنسبة لمن يعزف عن الزواج أو الإنجاب برغبته وإرادته هو وليس لظروف لا حيلة له فيها أو لأقدار قدرت عليه. فلماذا يحكم زوجك علي نفسه بشيء من ذلك بسبب تقاعسه عن طلب العلاج لحالته وفي مقدوره أن يسعي ويأخذ بالأسباب ولا لوم عليه إن لم تنجح الجهود أو فشلت المحاولة..
ألا يكون بذلك قد أدي حق الحب والوفاء والإخلاص لزوجته التي اختارته وارتبطت به ونهل معها من نبع السعادة والوفاء؟ وألا يكون قد أدي قبل ذلك وبعده، حقه هو تجاه نفسه وأسرته وكل من يحبونه؟
إننا لا نفر من قضاء الله إلا إلي قدره ونقيم الشريعة ولا نعطل الحقيقة حين نأخذ بالأسباب ونسعي بالطرق المشروعة لتحقيق آمالنا العادلة في الحياة.
==
القرار السليم

أنا رجل أعمال شاب تعرفني شخصيا لأنني قد تعاونت معك من قبل في موضوع قديم من موضوعات بريد الجمعة، لكن ظروفي الآن تحول بيني وبين ذكر اسمي، وقد دفعني للكتابة إليك ماقرأته في بريد الجمعة من رسالة الزوجة الشابة التي انفصلت عن زوجها الذي تحبه ويحبها بسبب عدم قدرته علي الإنجاب، وإحساسها بالندم علي ذلك، ورغبتها في العودة إليه، وقد كان يحبها بإخلاص ويحسن معاملتها، ولقد رددت عليها ونصحتها مادامت ترغب في العودة إليه، بالاعتذار له عما آلمته به تمهيدا لاستئناف حياتهما معا، ولقد أثارت هذه الرسالة شجوني. فلقد افاء الله سبحانه وتعالي علي بكل النعم، من مال ونجاح كبير في الحياة العملية، إلا ان حكمته جل شأنه قد رأت أن تحرمني من نعمة البنين، واكتشفت ذلك أخيرا حين تأخرت زوجتي في الحمل واضطررنا لعمل التحاليل اللازمة فجاءت نتيجتها بهذه الحقيقة المؤلمة، وأنا رجل مؤمن بالله وراض بقضائه إلا أنه تواجهني عدة مشكلات لا أدري لها حلا، أولاها أنني أشعر بأنني أظلم زوجتي باستمرارها معي بالرغم من أنها مصرة علي الحياة معي وتري أنني لم اقصر في حقها وأرعي الله فيها وفي كل من هم حولي، وتري كذلك أن هناك أملا في الشفاء، وهو من عند الله سبحانه وتعالي دائما، لكني بمنطق رجل الأعمال أري أن النهاية آتية لا ريب فيها وأنها لن تستطيع تحمل الحرمان من الولد إلي النهاية خاصة مع إنجاب صديقاتها وزميلاتها، ونظرات الأقارب المتسائلة عن سر عدم الإنجاب، ومن هذه المشكلات أيضا أنني لم أستطع حتي الآن ولا استطيع مواجهة أبي وأمي بهذا الابتلاء خاصة انهما في حالة صحية لا تسمح لهما باحتمال هذه الصدمة، ومنها ماسبق ان أشار إليه بعض المبتلين بمثل هذا الحرمان وهي في رسائلهم إليك وهو نظرات الناس من حولي وتساؤلاتهم لماذا لم تنجب حتي الآن وقد أفاء الله علينا بأكثر مما نستحق من نعم، وهي تساؤلات لا جواب لها عندي، أما المشكلة الأخيرة فتتعلق بي شخصيا، فلقد أصبت بحالة احباط شديدة عند علمي بهذه الحقيقة المؤلمة، وأشعر الآن انني قد فقدت الحافز للحياة وبأنه لا معني للسعي والعمل ولا لهذه المشاريع والأعمال التي أديرها، فهي لم تذهب لأحد من بعدي، وأبي وأمي لديهما مايكفيهما فلمن أعمل إذن وأكدح وأسعي إلي التوسع والنمو ؟ إنني لا أجد داعيا للعمل وبالتالي إلي الحياة ولا حتي للخروج من باب البيت، ولقد وجدت سلواي في الصلاة وقراءة كتاب الله، آملا أن يلهمني الله سبحانه وتعالي الصبر والقرار السليم بشأن حياتي الخاصة، ذلك أنني أري أننا يجب أن ننفصل أنا وزوجتي الحبيبة حتي لا نصل إلي المرحلة التي وصلت إليها الزوجة الشابة في الرسالة المشار إليها حين طلبت الطلاق من زوجها وأصرت عليه بالرغم من دموع زوجها وتوسلاته إليها الا تتركه، ولكي اقطع دابر الأسئلة الحائرة من حولي، لكني لا أجد في نفسي الشجاعة لأن أخبر زوجتي برأيي هذا، كما أري أنني يجب أن أصارح عائلتي ومن حولي بهذه الحقيقة المؤلمة لكني أيضا لا أجد الشجاعة الكافية لذلك، وأنا أؤمن دائما بصواب رأيك، لكني لا اتفق معك في نصحك لهذه الزوجة بالاعتذار لزوجها والعودة إليه، لأنها لو اعتذرت ورجعت المياه إلي مجاريها بينهما فسوف يغلبها الحنين إلي الأطفال، ويتكرر ماحدث بينهما مرة أخري، وأري لها أن تترك زوجها لأقداره لأن اليأس إحدي الراحتين، ولا داعي لنكأ الجمار مرة أخري، إنني انتظر رأيك فيما يواجهني من مشكلات، وأرجو تجنب الإشارة الي أي شيء تفلح معه الاستنتاجات في التعرف علي شخصيتي راجيا من المولي عز وجل أن يلهمكم الصواب دائما، وان نتعاون مستقبلا في أية مشاكلات تخص اخواننا من قراء البريد.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

حين يصطدم الإنسان بإحدي حقائق الحياة المؤلمة، ويتطلب منه الأمر اتخاذ قرار مصيري بشأنها، فإن أفضل مايفعله هو أن يؤجل اتخاذ هذا القرار بعض الوقت، إلي أن يستعيد توازنه الذي زلزلته هذه الحقيقة نفسها، ويتاح له الوقت الكافي لكي يبرأ من أثر الصدمة القاسية ومما اصابه من إحباط وقنوط ويأس انفعالا بها. ذلك ان أسوأ مانفعله بحياتنا هو أن نتخذ القرارات المصيرية بشأنها ونحن في قمة تأثرنا وتشوش أفكارنا وانفعالنا بما لا يرضينا من حقائق الحياة المؤلمة.

وأنت ياصديقي في بؤرة تأثرك بما اكتشفت من عدم قدرتك علي الإنجاب في الوقت الحالي، وتستوي لديك الآن كل الأشياء، وتشعر بعدم جدوي الحياة والحب والعمل والكفاح والعلاقات الإنسانية، وفقدت حتي الرغبة في مجرد مغادرة البيت ومواصلة الاشتراك في مباراة الحياة، وتقبل هزائمها والانتشاء بانتصاراتها.. فكيف تكون صالحا وأنت في هذه الحال من الضعف النفسي واليأس والضغط لاتخاذ قرار قد تتأثر به حياتك سلبا أو إيجابا إلي نهاية العمر، انكم في دنيا الأعمال والإدارة تقولون ان القرار الخاطيء الذي تكون له دائما أوخم العواقب هو القرار الذي يتخذه صاحبه انفعالا بموقف طاريء، أو تحت ضغوط نفسية قاسية لا تتيح لصاحبه صفاء التفكير والتجرد من المؤثرات الشخصية، أو بناء علي معلومات ناقصة أو خاطئة.

وقرارك الآن سوف تجتمع له كل أسباب الخطل اذا اتخذته علي الفور لأنك أولا في قمة انفعالك الحزين بما عرفت عن نفسك، وتقع تحت ضغوط نفسية قاسية، ولا تتوافر لك كل الحقائق اللازمة لاتخاذ القرار الصحيح، وأبسط دليل علي افتقادك لها هو أنك لا تضع اختيار الطرف الآخر المعني بهذه المشكلة لحياته في الاعتبار وهي زوجتك، وترجم بالغيب فتقرر انها لن تحتمل الحياة بدون إنجاب إلي مالانهاية، وسوف تعمل معك إلي النقطة التي تشفق علي نفسك منها وتطلب ذات يوم الانفصال عنك، وكل ذلك ليس هناك مايؤكده أو يجعل منه أمرا غير قابل للمناقشة، فشريكة حياتك ـ كما تقول أنت نفسك ـ ترغب في استمرار الحياة معك وتري أنك ترعي الله فيها ولا تقصر في حقوقها، والزوجة التي كتبت لي الرسالة وتتخوف من أن تصل شريكة حياتك ذات يوم إلي مثل

موقفها حين طلبت الطلاق، هي نفسها الزوجة التي ندمت علي هجرها لزوجها وكتبت إلي ترجوني مناشدته أن يعيدها لعصمته بعد أن عرفت عن نفسها أنها لا تحتمل الحياة بعيدة عنه. فإذا كنت تستشهد بموقفها في طلب الانفصال كدليل مؤكد علي عدم قدرة شريكتك علي احتمال الحياة معك بدون إنجاب إلي مالانهاية، فكيف غاب عنك موقف هذه الزوجة نفسها حين ندمت علي تسرعها وافتقدت شريك حياتها المحب ورغبت في العودة إليه والحياة معه بغير إنجاب ؟

لقد أثرت تأملاتي بحديثك عن عدم جدوي العمل والمال وليس هناك من سوف يرثه عنك، لكني أقول لك ياصديقي إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون، وأنت والحمد لله رجل مؤمن بالله سبحانه وتعالي ورسله وكتبه وبقضائه وقدره خيره وشره، فكيف تقنط من رحمته إلي هذا الحد ؟ إن في الحياة رجالا ونساء شاءت لهم أقدارهم أن يحرموا من الإنجاب فازدادوا عطفا وتمسكا بشركائهم وتعزوا عما افتقدوه بجوانب حياتهم الأخري، وبالحب الصافي الذي يتشاربونه مع شركاء العمر وبالعطف المتبادل بينهم، وعرفوا أنه لا يربط بينهم سوي الحب الصادق فحرصوا عليه ورووا أشجاره.. فأثمرت ثمارها الطيبة في حياتهم، وفي الحياة أيضا من اكتشفوا مثل هذه الحقيقة عن أنفسهم في بداية زواجهم فلم ييأسوا من رحمة ربهم، وصبروا علي أقدارهم، وواصلوا السعي وطلب العلاج بلا كلل سنوات بعد سنوات، فمنهم من أنجب لأول مرة بعد زواجه بـ١٢ أو١٥ عاما، ومنهم من شعر بالرضا عن أقداره لأنه لم يقصر في طلب العلاج، واتسع قلبه لرعاية طفل محروم أو تعوض عن حرمانه بان اعتبر أبناء الأشقاء والشقيقات أبناءه وفاض عليهم قلبه بحبه وحنانه.

إنني أخشي أن أقول لك إنك بما تراه من ضرورة الانفصال عن زوجتك بعد أسابيع قليلة من اكتشاف عدم قدرتك علي الانجاب وبغير كفاح طويل ومر يتطلب الشفاء، أخشي أن أقول إنك إنما تخشي علي نفسك أنت من اللحظة التي يشتد فيها حنين زوجتك للأطفال فتطلب منك الانفصال، أكثر مما تشفق عليها هي من حياتها معك بغير إنجاب وفي ذلك فانك ستكون ظالما لها باقصائها عن حياتك علي غير رغبتها بدعوي أنك تطلب لها الأفضل علي المدي البعيد حتي ولو تألمت لبعض الوقت لانفصالك عنها، ولن تكون ظالما لها علي العكس من ذلك حين تواصل حياتك معها بناء علي رغبتها واختيارها الحر، حتي ولو عانت داخليا مما لا مفر من معاناته في مثل هذه الحالة.

إننا في بعض الأحيان قد نتخذ من القرارات ماهو أكثرها أنانية.. ونحن نتوهم أننا إنما نقدم بها التضحية لمن يستحقون التضحية من أجلهم، ونصيحتي لك في النهاية هي أن تؤجل اتخاذ أي قرار بشأن حياتك الشخصية إلي أن تستعيد صفاء الذهن وحماسك للحياة والأشياء من جديد، والا تنفرد بإتخاذ هذا القرار دون شريكتك في الحياة بدعوي التضحية بسعادتك في سبيل سعادتها. فالسعادة أثمن من أن يضحي بها المرء بمثل هذه السهولة. ومنطق رجال الأعمال الذي تري به ان النهاية آتية لا ريب فيها، لا يصلح للتعامل مع هذه المشكلة، لأنه منطق لا قلب له ويعتمد علي الحقائق المجردة والأرقام الصماء وحدها، وحياتك وحياة زوجتك وسعادتكما إنما تحتاج إلي منطق الحب والعطف والتضحية الحقيقية وليست الموصومة.. للتعامل معها.

فأما اشفاقك علي أبويك من إبلاغهما بما تعانيه في مشكلة الإنجاب، وتساؤلات الآخرين من حولك، فالحق هو إنك لست مطالبا بتفسير أي شيء في حياتك الشخصية لآخرين فيما عدا والديك اللذين يهتمان بأمرك وصهريك اللذين يهتمان بأمر زوجتك، وماأسهل أن تتلطف في إبلاغ أبويك بأنك تواجه بعض المشكلات الصحية في الإنجاب لكنك تطلب العلاج بجدية وتأمل في الشفاء ذات يوم قريب بإذن الله، وان تفعل زوجتك نفس الشيء مع أبويها.. ثم تغلقان باب التساؤل بعد ذلك أمام الجميع وتواصلان حياتكما في أمل لا ينقطع في رحمة الله..

وتخرج أنت من قوقعتك وتستعيد حماسك للحياة، وتؤمن بما أمرنا به الهادي البشير صلوات الله عليه وسلامه، من أنه إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها في الأرض طلبا للخير للآخرين ولو كانت الآزفة علي الأبواب فإذا كنت تتساءل عن جدوي العمل والتوسع والمال وليس هناك من يرثه، فإني أقول لك إن الشجرة الوارفة يستفيد الآخرون بظلها ولا تستفيد هي منه شيئا.. ولهذا يفضلها الجميع علي الشجرة الجرداء ويخصونها بحبهم واعتزازهم، وكذلك الإنسان حين يمتد ظله علي الآخرين ويحميهم من لهيب الشمس ويهييء لهم اسباب السعادة، ويسعد نفسه وشركاء حياته وكل من حوله

==

القرار الخطير

قرأت باهتمام شديد رسالة المفاجأة المذهلة للأب الذي رحل اثنان من أبنائه عن الحياة وتنتابه هواجس بأنه قد يفقد الثالث، ثم رسالة زهرة البنفسج للأم الأرملة التي ماتت ابنتها الكبري وأراد خطيبها الزواج من أختها الصغري. لكن الفحوص الطبية أثبتت أنها تعاني ضعف عضلة القلب، ولن تستطيع الحمل والإنجاب والحياة الطبيعية مع زوجها، ولا تدري هذه الأم الصابرة، هل تبلغ خطيبها بالحقيقة أم ماذا تفعل؟

ووجدتني أمسك بالقلم وأكتب إليك بتجربتي المؤلمة بعد عامين من الصمت والانعزال عن الآخرين، فأنا مهندس في الخمسين من عمري، نشأت في قرية بإحدي محافظات الوجه البحري لأب يعمل محاسبا بإحدي الهيئات الحكومية، وأم ربة بيت وخمسة أخوة ثلاثة ذكور وبنتان، وعشنا حياة عادية، وتعلمت منذ صغري الاعتماد علي نفسي وعدم اللجوء إلي الدروس الخصوصية، وحصلت علي الثانوية العامة بمجموع أهلني للالتحاق بكلية

الهندسة، ومضت سنوات الدراسة سريعا، وجذبتني إحدي زميلاتي بهدوئها وبساطتها ففاتحتها في الارتباط بها، فسكتت برهة، ثم قالت إنها سوف تعرض طلبي علي أسرتها، وفي اليوم التالي أبلغتني أن والديها حددا لي موعدا لزيارتهم، وفي الموعد المقرر كنت في ضيافتهم بصحبة والدي، واستقبلونا بترحاب شديد، وعرفت أن لفتاتي أختا متزوجة، وأن أباها موظف علي المعاش، وتبادلنا الهواتف وكتبت عنواني علي ورقة صغيرة سلمتها له لسؤال من يشاءون عنا، وانصرفنا وأنا أشعر براحة شديدة وكذلك أبي الذي وصفهم بقوله ناس طيبون.
وبعد أسبوع تقريبا طلبني وأبلغني بموافقته، وتزوجنا في حفل بسيط، وأقمنا في شقة بمنزل العائلة مع وعد بالبحث عن شقة مناسبة في القاهرة عندما تتحسن الأحوال.. وعملت في شركة مقاولات كبري، ونلت ثقة رؤسائي ورزقنا الله بابنتي الكبري بعد عام من الزواج، ثم جاءني عقد عمل في دولة خليجية، فحصلت علي إجازة بدون مرتب وسافرت بمفردي، وبعد ثلاثة أشهر استأجرت مسكنا، وجاءتني زوجتي وابنتي.. وبدأنا هناك مرحلة جديدة من الحياة، فكنت أذهب في الصباح الباكر إلي العمل وأظل أكدح طوال اليوم، وأعود في المساء فألتمس بعض الراحة والفضفضة مع زوجتي، ثم أخلد إلي النوم بضع ساعات قبل أن أصحو لمواصلة رحلة الكفاح.
ومر العام الأول وحلت الإجازة الصيفية فعدنا إلي مصر في زيارة لمدة أسبوعين قضيت منهما أسبوعا مع أسرتي وأسبوعا مع أسرة زوجتي، وعشنا أياما سعيدة بين الأهل والأصدقاء، وسافرنا من جديد.. وبعد شهر تقريبا، وبينما كنت جالسا مع زوجتي نتابع أحد البرامج التليفزيونية، دق جرس الهاتف فرفعت السماعة، فإذا به حماي الذي أبلغني وهو يبكي بحرارة بأن حماتي ماتت فجأة.. فرددت عليه وقد تحشرجت الكلمة في فمي ماتت؟.. وعلمت زوجتي بالخبر الذي نزل عليها كالصاعقة، ولم ننم ليلتها وظللنا نرتجف، ونحاول أن نلملم قوانا، ونسيطر علي أعصابنا بقراءة القرآن الكريم حتي حل الصباح، فذهبت إلي صاحب الشركة واستأذنته في اجازة لمدة يومين، وعدنا إلي القاهرة حيث حضرنا مراسم تشييع الجنازة وتقبل العزاء، وسألت حماي عما إذا كانت لديه الرغبة في أداء العمرة بصحبتنا فوافق واستخرجت التأشيرات اللازمة عن طريق إحدي شركات السياحة..
وزرنا البيت الحرام والمسجد النبوي، ووجدتها فرصة للحديث معه للاستقرار معنا ولو بضعة أشهر، فأومأ برأسه بما يعني الموافقة، ولكني لاحظت عليه الصمت التام علي غير عادته، ولم تفلح محاولات ابنته لإخراجه من دائرة الأحزان التي أصبح أسيرها، وذات يوم كنت أجلس معه في الصالة، وتركته دقائق ودخلت المطبخ لإعداد الشاي، وعندما عدت إليه وجدته نائما، فحاولت إيقاظه فإذا به يسقط علي الأرض.. وأسرعت إلي الهاتف واتصلت بالمستشفي المركزي بالبلد الذي نسكن فيه، وجاءنا الطبيب علي عجل ووقع الكشف الطبي عليه ثم قال: البقاء لله فانفجرت زوجتي في بكاء مرير ونحيب بصوت عال وهي لاتبالي بما تقول، وأحس الجيران بأن شيئا ما قد حدث عندنا فاتصلوا ببعضهم وتجمع عدد كبير منهم، وانتحت السيدات مع زوجتي جانبا، بينما ساعدني الرجال في استخراج تصريح الدفن.
وعلم صاحب العمل بما حدث فأعطاني إجازة أسبوعا كاملا لكيلا أترك زوجتي وحدها طوال النهار وحاولت جاهدا أن أخفف عنها أحزانها، لكنها تحولت إلي إنسانة أخري لا تعرف غير لغة الصمت والوجوم، وأجدها دائما شاردة الذهن، وبعد أن كانت تنتظر الإجازة الصيفية بلهفة وشوق، قررت عدم العودة إلي مصر نهائيا، واكتفت بالحديث مع أختها عبر الهاتف من آن لآخر.
ورزقنا الله بولد وبنت ثانية، ومرت سنوات الغربة متشابهة.. عمل متواصل طوال العام.. وأجازة قصيرة أحضر فيها إلي مصر بمفردي قاصدا زيارة عائلتي والاطمئنان علي أبي وأمي وأخوتي.. وقد اشتريت الشقة التمليك التي طالما حلمنا بها في القاهرة، وقطعة أرض في القرية التي نشأت فيها لكي أقيم عليها مشروعا خاصا بعد انتهاء عقدي في البلد الذي أعمل به، وظللت أدعو الله أن يلين قلب زوجتي وأن يلهمها الصبر وتعود كما كانت فيلتئم الشمل من جديد، ولا تكون هي في واد، وأختها في واد آخر، وعائلتي في واد ثالث.. والتحقت ابنتي الكبري بكلية الطب ووصل شقيقها الذي يليها إلي الثانوية العامة، ثم أختها الصغري إلي المرحلة الإعدادية.
وما أن بدأت في اتمام مشروعي الذي وضعت فيه عائد شقاء السنين حتي انقلبت حياتنا رأسا علي عقب وكثر كلام الناس عن الثروة الطائلة التي أملكها،وحدثني أبي عن أنني أخطأت في إقامة المشروع في قرية صغيرة، حيث يكثر الحسد ولا يسلم أحد من نظرة الناس!.. ولم أهتم بكلامه ومضيت في بناء ما اعتزمته بإصرار، لكن المصائب لا تأتي فرادي كما يقولون.. فلقد مات شقيقي الأصغر في حادث سيارة وترك أربعة أولاد بالمرحلتين الابتدائية والإعدادية، وهم في حاجة إلي من يرعاهم، وصاروا هم شغلي الشاغل.. ولم تمر أشهر حتي توفي أبي بعد مرض قصير ولم أجد بدا من العودة إلي مصر.. لكن زوجتي لم يلن لها جانب وظلت علي موقفها الرافض تماما لفكرة استقالتي من العمل في الخارج مادام العقد مستمرا مع الشركة التي أعمل بها.. وتري أن اعتكافها في بيتها بعيدا عن الاحتكاك بالآخرين هو الصواب بعينه!.. وأرسلت ابنتي الكبري إلي القاهرة مع بدء العام الدراسي لتعيش مع خالتها.
وفي أحد أيام العطلات الأسبوعية خرجنا لقضاء بعض الوقت في حديقة عامة، واستقللت السيارة وإلي جواري زوجتي، وفي المقعد الخلفي الولد والبنت الصغري، وكان الطريق مفتوحا، وفجأة انفجر إطار السيارة فطارت في الهواء لمسافة طويلة ثم سقطت علي الأرض وجاءتنا سيارة الإسعاف ونقلونا إلي المستشفي وأنا شبه غائب عن

الوعي، وكل ما أذكره عما حدث وقتها مجرد خيالات، وعندما افقت تلفت حولي فلم أجد زوجتي وابنائي، وافهموني أنهم في العناية المركزة، وعرفت أنني أصبت بكسور في المفاصل، وتهتك في أماكن متفرقة من جسدي، وأنني سوف أخضع لعدة جراحات، وجاءني صاحب العمل، وحاول تهدئتي، وكذلك فعل زملائي وجيراني والحجت علي الأطباء أن اطمئن علي أسرتي فوعدوني بذلك بعد أن تستقر حالتي، ومضت ثلاثة أيام طويلة كئيبة، ثم نقلوني بعدها علي كرسي متحرك إلي غرفة زوجتي فوجدتها راقدة فوق السرير لا تعي شيئا عما يدور حولها، فصرخت بصوت عال وأنا أبكي بحرقة..وألم إيه اللي حصل؟ فين، العيال؟ فأعادوني سريعا إلي غرفتي واعطوني حقنة مهدئة، ثم زارني طبيب نفسي أخذ يحدثني عن القضاء والقدر، وأننا جميعا ضيوف علي هذه الحياة، وأن المؤمن يجب أن يعي أننا وديعة الله في الأرض وأنه سبحانه وتعالي يسترد وديعته حين يشاء. هنا عرفت أن ابني رحلا عن الحياة وهما في عمر الزهور، وأنهم دفنوهما في البلد الذي نعمل فيه دون أن أشارك في إلقاء نظرة الوداع عليهما أما زوجتي التي صارت أشلاء تدب فيها الحياة وأصبحت قعيدة تماما، فلم تتحمل الخبر عندما علمت به وزادت حزنا علي حزنها ولم يجد لها الأطباء سبيلا إلا الأدوية المهدئة.. وطالت فترة علاجنا في المستشفي لمدة تقترب من ثلاثة أشهر وعدنا إلي بيتنا نجر أحزاننا ولك أن تتخيل حالنا،وحال ابنتنا في مصر وحال العائلة بما نحن فيه، ومن كثرة الاتصالات التي تؤلب المواجع غيرت أرقام الهواتف، ولم أعد أرد علي أحد وأغلقنا بابنا علي أنفسنا نشكو همنا إلي الله داعين أن يجد لنا مخرجا مما نحن فيه.

وللحق فإن صاحب العمل وهو رجل شهم عرض علي أن أعمل في المواعيد التي أحددها، وفي الموقع الذي أراه لكي أكون قريبا من زوجتي فأباشر تمريضها بنفسي فشكرته، ورحت أسترجع رحلتي مع الحياة، فلقد كان الطبيعي والمنطقي أن أنهي عملي في الخارج، وأعود إلي بلدي كما تمنيت دائما حيث كانت زوجتي دائما هي ترفض ذلك مادام عقدي مستمرا مع صاحب العمل، ولكن وجدتني بعد ما حدث لنا أؤيدها تماما في البقاء التي بالخارج، بل والانعزال عن الآخرين مفسرا ما حدث لنا بأنه الحسد، وبأنني أخطأت حين اشتريت الشقة الفارهة في القاهرة، وأقمت مشروعي الكبير في مسقط رأسي! وتذكرت نصيحة والدي التي لم أعمل بها. وبالفعل نفذت قراري.. وها نحن وقد مر عامان ثقيلان مازلنا نتمسك بموقفنا، وأنوي ضم أبنتنا إلينا بعد أن تنهي دراستها كما أنني أطمئن علي أبناء شقيقي الراحل وأتابع احوالهم مع إخوتي، وأرسل إليهم ما يريدونه من أموال، فهل تراني علي حق في قراري؟ وهل من الممكن أن تستقيم حياتنا بعد الجراح التي آلمت بنا!.

وأقول لكاتب هذه الرسالة:بلاشك فإن القرار الخطير الذي اتخذته بالتقوقع علي نفسك، وعدم التواصل مع << الآخرين، وأن تظل في الخارج بعيدا عن أهلك ووطنك إلي أن يتم إنهاء عقدك هو قرار خاطئ بكل تأكيد، فليس معني أن يتعرض الإنسان لمحن مؤلمة في حياته هو أن يحكم الخناق علي نفسه ويعذبها بالوحدة، بإعتبار أن ما حدث له نتيجة الحسد، صحيح أن الحسد موجود، وعلينا أن نستعيذ بالله من شرور الحاسدين، لكن الأصل في المحن والمصائب هو أنها من قدر الله، كما أن الأعمار بيده عز وجل، ألم تقرأ قوله تعالي مخاطبا رسوله الكريم إنك ميت، وإنهم ميتون ثم قوله لكل أجل كتاب، فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون؟

إنني أعلم تماما أنه ليس باستطاعتك أن تبدل إحساسك بمحض إرادتك، ولكني أري أنه بمقدورك أن تغير أفعالك، فإذا تغيرت الأفعال تبدلت الأحاسيس بصورة تلقائية، بمعني أنه يتعين عليك أن تخرج من العزلة التي فرضتها علي نفسك، فتعود الي زيارة الأحباب والأصدقاء، وأن تدرك أنه لا راد لحكم الله، فإذا سلمت بهذه الحقيقة سوف يرتاح ضميرك، وتهدأ نفسك تدريجيا.

ولست في حاجة ياسيدي الي أن أذكرك بأن الله يبتلينا بالمحن لاختبار مدي رضانا وقبولنا بما قسمه لنا، وأن من لا يصبر علي البلاء لا يرضي بقضاء الله وقدره، وهذه ليست شيمتك، فأنت رجل مؤمن تعرف حق ربك، وحق أهلك، ولذلك ينبغي عليك أن تصبر وتجاهد فلا يعرف اليأس ولا التبرم سبيلا اليك، فكما كنت في وقت الرخاء شاكرا متواضعا لاتعرف التجبر والاستعلاء بفضل ايمانك بالله، يجب أن يكون هذا هو منهجك في وقت الشدة، فتستغفر الله وترضي بحكمه وتواصل علاقاتك بمن حولك، فلا يعرف أحد ما تخبئه له الأقدار، وعليه دائما أن يحمد الله في كل الظروف والأحوال.

ودعني أذكرك بقول الجاحظ قليل الصبر يشعر بالألم أضعاف ما يشعر به الصابر المحتسب. وكما يقول الشاعر:

اصبر ففي الصبر عقبي لو علمت بها

سجدت شكرا لذي الأفضال والنعم

واعلم بأنك إن لم تصطبر كرما

صبرت حتما علي ما خط بالقلم

فلا تلق بالا ياسيدي بمن تتصور أنهم حسدوك، فلا هم ولا غيرهم يملكون لك ضرا أو نفعا، فمن وجد الله حاز الدنيا وما فيها، ومن ابتعد عنه فقد كل شيء، ولو أنك صدقت مع نفسك وتسلحت بالارادة القوية، سوف تصفو نفسك، وتواصل سعيك في الحياة، فالعاجز حقا هو من ينشغل بالماضي ويظل أسيرا له، ولو أحسن التفكير لأدرك أنه لاطائل من إعادة العجلة الي الوراء.

وكذلك الحال بالنسبة لك، فلو أنك ظللت منغلقا علي نفسك لن تكسب شيئا ولكن سوف تخسر الكثير، فالحزن لا يرد الغائب، والقلق لا يحقق النجاح، والنفس المطمئنة مع القلب المطمئن هما جناحا الرضا والقناعة ومن ثم الاطمئنان وهدوء البال.

فكن قويا ياسيدي في مواجهة أحزانك ولا تستسلم لها، فاليأس فيه طعم الموت، وفي الشجاعة معني الحياة كما يقول علي الجارم.. واعلم أن الزمن كفيل بمداواة الجراح، فالمهمة التي تنتظرك أكبر من الاستسلام للحزن واليأس.. وعلي زوجتك أن تدرك ذلك، وأن تعرف أنه آن الأوان لأن تعودا الي مصر وتجمعا شمل عائلتكما، فينشأ أبناء شقيقك الراحل في كنفك، ومع ابنتك الكبري.. اسأل الله أن يزيل عنكما الأحزان، وأن يكتب لكما السعادة وراحة البال في قادم الأيام، وهو وحده المستعان

==

دائرة الرعب !

سيدي أكتب إليك والخوف يملأ قلبي، ولأبحث عن الطمأنينة والأمان في كلماتك لي .. أنا سيدة عمري ١٧ عاماً رحلت أمي عن الدنيا، وأنا صغيرة وتزوج أبي من امرأة بغيضة، وقاسيت معها الكثير خلال طفولتي، ثم رحل أبي أيضاً عن الدنيا منذ سنوات، وتركني لها وحيدة بلا سند ولا نصير ولا أقارب .. ويعلم الله كم عانيت منها بعد وفاته، حتى زوجتني فور أن أكملت السادسة عشرة لأول طارق على الباب ، وشكرت الله أن كان هذا الطارق شاباً وسيماً عمره ٢٥ سنة على خلق ومثقفاً وناجحاً في عمله ومقطوعاً من شجرة مثلي.

وخلال شهور كنت قد تزوجته وانتقلت إلى شقته الصغيرة، التي اعتبرتها بالنسبة لي جنة الأحلام .. ولأني لم أعرف الحب قبله فلقد أحببت زوجي إلى درجة العبادة، وعشت معه أحلى أيام العمر وكان هو جذاباً ومرحاً ودائم الحركة والضحك.. يخرج إلى عمله في الصباح ويعود بعد الظهر فيشاركني أعمال البيت .. ثم يصطحبني إلى الخروج في المساء لنتمشى في الشوارع أو ندخل السينما.. ويقول لي دائماً نحن بلا أهل .. فليكن كل منا هو أهل الآخر وأقاربه وأصدقاءه .. وأقول له إني بلا أب ولا أم ولا أقارب .. وقد وجدت فيه أبي وأمي وأسرتي.

ومضت شهور الزواج الأولى سريعة كالأحلام السعيدة.. لكن قرب نهاية العام الأول من زواجنا صدمت زوجي سيارة أدت إلى إصابته بالشلل التام في ساقيه .. وتحول الشاب الذي كان يملأ البيت حياة وضحكاً وحركة إلى جليس دائم في البيت، ورغم شدة الفاجعة فقد تحملها بصبر وتجلد، ولم يفقد إيمانه ولا صبره، ولأننا لم نكن ندخر شيئاً للمستقبل، أو لم تمهلنا الحياة لكي ندخر شيئاً .. فقد انخفض دخل زوجي إلى أقل من النصف، وكان من الضروري أن أخرج للبحث عن عمل نعيش منه أنا وزوجي .. وبعد بحث قصير وجدت عملاً مناسباً وبدأت أخرج أنا في كل صباح، وأذهب إلى عملي ثم أعود بعد الظهر حاملة كل حاجيات البيت والجرائد والمجلات التي يحبها زوجي .. فأدخل إلى المطبخ ويقرأ هو الصحف حتى انتهى من إعداد الطعام، ثم نتناول غداءنا ونمضي الوقت فى الحديث والتفرج على التليفزيون .. ثم نحتضن وحدتنا وعذابنا وننام راضيين بما اختارته لنا الأقدار.

ومضت حياتنا هكذا عدة أسابيع ثم بدأت ألاحظ أن زوجي الوسيم الضاحك، قد بدأ يتحول إلى شخص آخر يثور لأتفه الأشياء ويعارض كل شىء ويفقد ابتسامته بلا سبب.

بدأت ألاحظ أيضاً أن نظرة الحب التي كانت تطل دائما من عينيه قد بدأت تتوارى وتحل محلها نظرة ارتياب وضيق بلا مبرر، ولأني لا أجد وقتاً للقراءة، فلقد كنت اشتري لزوجي الكتب التي يحبها ، ويقرأ هو وأنا في العمل ثم يحكى لي ما قرأه في المساء ونتحدث، وذات مساء روى لي أنه قرأ قصة رائعة عن رجل تزوج من فتاة جميلة مثلك، وبعد زواجها أصيب في حادث سيارة أدى إلى بتر ساقيه، وخرجت زوجته للعمل وتعرفت على زميل لها في العمل وارتبطت به عاطفياً، وعرف زوجها ذلك بطريق المصادفة لكنه أخفى عنها الأمر.. ثم خنقها وهى نائمة بجواره في الفراش وانتحر بعدها!

سمعت هذه القصة منه.. ولم ألتفت إليها في البداية.. لكني تذكرتها فجأة بعدها بأيام حين كنا جالسين في المساء، نتحدث في بعض الأمور فقال لي فجأة يبدو أنى سأخنقك أنا أيضاً في يوم من الأيام، واندهشت وسألته لماذا تقول لي ذلك؟ فضحك ضحكة غريبة وسكت. وحاولت جاهدة أن أخفي اضطرابي وخوفي بلا فائدة، ثم حدث بعد ذلك بأسبوعين أن كنت في المطبخ أؤدي عملاً وهو يجلس في الفراش أمام التليفزيون، فقال لي تعالي أجلسي بجانبي .. فذهبت وجلست إلى جواره فراح ينظر إلى رقبتي طويلاً.. ثم قال لي إن شكل عنقي هكذا لا يعجبه! ثم مد فولاذيتان كأن الله سبحانه وتعالى قد عوضه عن عجز ساقيه ذراعيه ولفهما حول عنقي وهو بالمناسبة له ذراعان بقوة ذراعيه، وتذكرت فجأة وهو يلف ذراعيه حول رقبتي، القصة التي حكاها لي وجمد الدم في عروقي وتوقعت أن يضغط عليها بذراعيه القويتين.. واستسلمت لمصيري .. فلم أفكر في أن أصرخ أو أحتج، فإذا به يتحسس عنقي بحنان ثم يبتسم ويخرج من تحت الوسادة سلسلة ذهبية ألبسني إياها وهو يقول لي إن شكل عنقي هكذا سيكون أفضل!

وتنفست الصعداء.. ومكثت أنظر إليه في صمت وبلا حراك.. فسألني هل أنت خائفة؟ إن الخنق لا تستحقه إلا الخائنات فهل أنت خائنة؟ ثم ضحك ضحكته المريرة الجديدة عليّ وعلى زوجي الذي أحبه . وانتهت هذه اللحظة المرعبة.. لكن الخوف لم يفارقني بعدها.. فهو لا يكف عن تذكيري بعقاب الخائنات، وعندما يرى الرعب يرتسم على وجهي يسألني السؤال الغريب نفسه: لماذا تخافين .. هل أنت خائنة؟ ومع ذلك فأنا أحبه ولا أحاول أن أتكلم

أو أدافع عن نفسي لكيلا يقول لي لماذا تدافعين عن نفسك وأنا لم أتهمك بشيء؟ وبالتالي يثبت علي التهمة الظالمة!

إنني حامل الآن يا سيدي وقد زاد ذلك من تمسك زوجي بى، لكن الخوف يملأ قلبي وأنام بجواره وأنا خائفة من أن يضغط على رقبتي بذراعيه القويتين وينهي حياتي .

إنني أرجوك أن تنقذ زوجة ترتعد خوفاً من زوجها الذي تحبه.. وتشير عليها بما تفعل لكي تعيد ثقة زوجها فيها.. ولكي تدافع عن نفسها ضد شكوكه فيها.. إني أكتب إليك وأنا أعرف أن زوجي سوف يحاول خنقي قريباً جداً فأخبرني بسرعة ماذا أفعل يا سيدي؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

هدئي من روعك يا سيدتي فالأمر لا يعدو صراعاً نفسياً يتأجج داخله بين حبه لك وخوفه من أن يفقدك، وبين هواجسه التي تصور له أن من كانت فى مثل ظروفك قد تضعف وقد تضل الطريق، لذلك فهو يعمد إلى ترويعك من مصير الخائنات ، لكي يبعد عنك هذا الشبح الذي يؤرقه وهو مخطىء فى ذلك بغير شك، لكن له من ظروفه الأليمة مما يدعوك إلى الصبر وتفهم الأسباب والدوافع.

فهو يخيفك لكنه أكثر منك خوفاً.. وخوفه كله هو أن يفقدك ويفقد معك الحب والأمان والكرامة، وزوجك قد اهتزت ثقته فى نفسه قبل أن تهتز ثقته فيك، والرجال يغارون يا سيدتي حين يفقدون ثقتهم في أنفسهم، وفى لياقتهم لمن يحبون، وهم قد يغارون أحياناً بلا سبب، لأن الغيرة على حد تعبير شكسبير فى عطيل (وحش يلد نفسه بنفسه ولا يحتاج إلى معين!).

لذلك فلا حل لمشكلتكما إلا بأن يستعيد زوجك ثقته الكاملة فى نفسه وفى جدارته بحبك وإخلاصك، والأمر كله بين يديك يا سيدتي، فأنت تستطيعين بسلوكك الأمين معه أن تقنعيه بأن حبك له لم يتأثر بما شهدته حياتكما من تطورات مؤلمة ، وبأن الزوجة المحبة لا تضل الطريق أبداً مهما اعترضت حياتها معوقات طارئة يمكن أن تقع فى أي وقت، ولأي طرف من طرفي العلاقة الزوجية، لأن الزواج شركة كاملة فى مباهج الحياة وفى آلامها، وليس رحلة سياحية تنتهي بانتهاء مسراتها فقط، فإذا كانت الحياة قد امتحنتكما بهذه المحنة فالأحرى أن تكون دافعاً قوياً لأن يتمسك كل منكما بالآخر ويحتمي به من وحدته وآلامه، لا أن تخسرا بسببها ما تبقى لكما من أسباب الحب والسعادة، وكل ذلك لن يتحقق بصمتك والاكتفاء بمعايشة الرعب كل ليلة، وبتجاهلك الأمر خوفاً من أن يثبت دفاعك عن نفسك الشكوك الظالمة.. لا يا سيدتي لابد من المواجهة الصريحة للمشكلة معه، ولابد بعدها من أن يترجم سلوكك معه كل هذه المعاني التي تهدئ خواطره وتقتل هواجسه.

فقولي له كل ذلك يا سيدتي وسوف تجديه أكثر تلهفاً منك على تصديقك، وساعديه فى محنته على استعادة ثقته فى نفسه وفى حبك له، وفى تمسكك به وسوف تشعرين بعدها أن ذراعه القوية إنما تلتف حول عنقك لكي تتشبث بك لا لكي تخنق فيك الحب والأمان كما تتصورين.

أما إذا استمرت الهواجس واستمر شبح الرعب يخيم على عشكما الصغير إلى مالا نهاية، فلا مفر فى هذه الحالة من أن يشق كل منكما طريقه بعيداً عن الآخر، وإن كانت ثمرة الحب القادمة تطالبك بالمزيد من الصبر والمزيد من الجهد لاستعادة الأمان المفقود.

==

ضد التيار!

اكتب لك قصتي

فأنا فتاة في الخامسة والعشرين من عمري متوسطة الجمال وسمراء وخفيفة الظل، أقيم باحدى المدن الساحلية وحاصلة على شهادة جامعية ومن أسرة كبيرة جدا ولي شقيق واحد يصغرني - بدأت قصتي وأنا في السنة الثانية بكليتي حين تعرفت على شاب يسبقني في الدراسة بعام أحبني جدا وطلب الارتباط بي وفكرت في أمره ورأيته مناسبا لي من ناحية الأسرة والمستوى المادي.. فتقدم لأبي وأمي وخطبت له واستمرت الخطبة عامين اكتشفت خلالها أنه لا يستطيع تحمل أية مسؤولية وضعيف الشخصية أمام أبويه وكثير العلاقات مع فتيات آخريات، ففسخت الخطبة ثم قدمت لي الأسرة رجل أعمال عمره ٤٠ عاما ومستواه المادي مغر جدا لأية فتاة، وعلى الرغم من عدم اقتناعي الكامل به فقد تأثرت برأي أهلي في سوء اختياري لنفسي ووافقت عليه وتزوجته خلال ثلاثة أشهر.. وكان لطيفا معي ومع أسرتي في البداية، لكنه بمرور الأيام تكشف لي بخله وكانت كل المشاكل التي بيننا بسبب البخل، ولم استطع العيش معه أكثر من ذلك فطلبت الطلاق منه وحصلت عليه بعد عام ونصف العام من الزواج،

وحمدت الله على أنني لم أنجب منه أطفالا وبعد طلاقي اتسعت أوقات الفراغ أمامي فطلبت من أبي أن يبحث لي عن عمل ملائم من خلال علاقاته الاجتماعية واتصالاته، وبالفعل أوجد لي أبي عملا بأحد البنوك وذهبت الى العمل وأنا سعيدة بأنني سأثبت وجودي ولو لمرة واحدة في حياتي بعد ما مررت به من فشل، وأقبلت على عملي بنشاط وبعد ٦ أشهر لاحظت اهتمام مدير البنك بي، وشككت في دوافع هذا الاهتمام لكنني لم أصدقها، الى ان جاء اليّ الساعي الخاص به يستدعيني ذات يوم لمقابلة المدير في مكتبه فذهبت، وما أن دخلت عليه حتى قال لي باهتمام: اجلسي واستمعي جيدا لما سأقوله لك، أريد أن أتزوجك لأني أحبك منذ رأيتك لأول مرة

وذهلت لما سمعت وطلبت وقتا للتفكير، وانصرفت ولم أبح بكلمة لأحد مما سمعت ولم استشر أحدا ورحت أفكر في أمره بروية، إن مركزه الوظيفي كبير ومركزه المالي ممتاز، وهو رجل وسيم ومن أسرة كبيرة وهو موضع احترام الآخرين فماذا يعيبه بالنسبة لي، إذن؟ شيء واحد فقط هو أن عمره ٦٠ عاما وأنا عمري ٢٥ عاما وفارق السن بيننا ٣٥ عاما، فماذا سيكون موقف أسرتي وماذا يقول عني الأهل؟ ولم أتوصل الى قرار بالرفض أو بالقبول لكن الأيام والاسابيع مضت فبدأت أشعر بأنني أحبه وأن قلبي ينبض لأول مرة ويختار فأبلغته بموافقتي، وشجعته على مقابلة أبي، فذهب إليه وطلب يدي فقوبل منه بالسخرية والضحك لأنه في نفس عمره، ولم يكتف أبي بذلك بل وطرده أمامي فخرج وهو في قمة اليأس، وفي اليوم التالي استدعاني الى مكتبه وسألني عن رأيي فأكدت له أنني لن أتخلى عنه، فلم ييأس وبعد شهر رجع الى زيارة والدي وطلبني منه مرة أخرى فرفض وطرده ثانية، وبعد هذه المقابلة قرر أبي منعي من العمل لكيلا يؤثر عليّ مديري خلال العمل، ومنعني من الخروج ومن الاتصال بصديقاتي وفرض علي الاتصالات الواردة لي رقابته فكان يرد على التليفون أولا ويتأكد من أن الطالب احدى صديقاتي قبل أن يعطيني السماعة لكن البنت حين تقع في الحب لا يحول بينها وبين ما تريد حائل فاتفقت مع صديقة لي على أن تذهب الى مكتب مدير البنك وتطلبني من عنده فسيرد عليها أبي ويعطيني السماعة فتعطيها هي له، وتحدثت إليه واتفقت معه على مقابلته كلما سنحت الفرصة، وقابلته أول مرة ولمدة ساعة فبكى وراح يقبل يدي ويطلب مني ألا أتركه أبدا لانه يحتاج اليّ بشدة، فمرضت من كثرة التفكير والسهر والاكتئاب، ولم استطع التحمل أكثر من ذلك فوافقت على الزواج منه سرا وتزوجنا زواجا شرعيا لدى المأذون، ولكن في السر

، وكتب لي الشقة باسمي وأودع لي بحسابي في البنك مبلغ ٥٠ الف جنيه، ولم يعرف أحد بزواجي منه وكنا نتقابل سرا فتكون الساعة التي اقضيها معه هي أجمل ساعة في حياتي، فهو سخي في كل شيء، في الحنان والعطاء والحب والمال ويحبني بجنون ولم أشعر بفارق العمر هذا الذي تحدثوا عنه كثيرا،

وبعد مرور ثلاثة أشهر على زواجنا عرفت أنني حامل، فواجهت أسرتي بالحقيقة، وثاروا عليّ ثورة هائلة وطردوني من البيت فذهبت للإقامة في بيت الزوجية وانقطعت كل صلة لي بأبي وأمي وأهلي، ومضت ستة شهور دون أن يتصلوا بي وجاءت ساعة الولادة وأنجبت طفلا وسميته على اسم أبي، وبعد خروجي من المستشفى حملت طفل وذهبت الى بيت أهلي لكي يروه ويصفحوا عني وعن زوجي، لكنهم لم يسمعوا مني كلمة واحدة وطردوني، وكلما اتصلت بهم أغلقوا سماعة التليفون في وجهي وحتى أخي منعوه عني، وأنا لا أريد سوى رضائهم عني وعن زوجي وابني، لاني وجدت السعادة بين يدي فاخترتها، وكان اختياري حسنا، وسؤال: لهم.. هو: لماذا يعتقدون ان الرجل ـ صغير السن المناسب لي سيكون كاملا في كل شيء وبه كل المواصفات الجيدة؟ ولماذا يعتقدون أن كبير السن يقترب من الموت بسرعة وصحته ضعيفة ولديه أمراض كثيرة؟

انني بعد التجارب التي عشتها أرجو كل أب وكل أم معالجة الأمور بالمناقشة المقنعة للابن أو البنت مع احترام رغبات الابناء وآرائهم، لأن الشكليات العائلية ليست كل شيء.

وأرجو منك أن تكتب لي رأيك بصراحة وأن تقول لي بوضوح: هل أخطأت فيما فعلت وهل فارق السن الكبير عيب أو حرام أو عدم تكافؤ؟! انني أتوسل إليك أن تطرح قصتي لكي يقرأها أبي وأمي وأخي والعائلة ويصفحوا عني لنرجع كما كنا أسرة سعيدة دون تفرقة وبغير خصام فأنا سعيددة في حياتي، وكل ما أطلبه من أهلي هو أن يرضوا عني لكي تكتمل بهم السعادة، لأني لا أنام وأبكي كثيرا بعد أن اشتدت عليّ وحشة الأهل.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ترقبت طوال قراءتي لرسالتك أن تشيري الى حالة زوجك الاجتماعية حين تزوجت منه على غير إرادة الأهلي، فلم أجد اشارة واحدة إليها وتجاهلك لهذا الجانب الجوهري من شخصية الرجل الذي ارتبطت به، وخرجت على طاعة أهلك من أجله، يرجح لدي الظن أنه لم يكن عزبا في الستين من عمره فاته قطار الزواج، وانهارت حصونه فجأة أمام فتاة صغيرة توسم فيها امكان قبوله زوجا لها، وإنما كان في أغلب الأحوال رجلا متزوجا وله من زوجته الأولى أبناء بعضهم يماثلونك في العمر وقد يكبرك بعضهم الآخر ولربما كان مطلقا أو أرمل ذا أبناء.

وقديما قال أحد الحكماء لمن جاء يطلب منه المشورة: إذا لم أعرف كل جوانب القضية التي تعريضنها عليّ بصدق فإن رأيي سيكون عبئا عليك أكثر منه عونا لك.

لكن تجاهل هذا الجانب من شخصية زوجك رغم جوهريته يتسق في رأيي مع ما استشعرته في رسالتك كلها من إعلاء مطلق للاعتبار المادي فوق كل الاعتبارات، فلقد ذكرت عن خطيبك الأول في مرحلة الجامعة أنه كان مناسبا لك من ناحية المستوى المادي وكان ذلك من عوامل أفضليته لديك، وذكرت عن زوجك رجل الأعمال أن مستواه المادي كان مغريا جدا لأية فتاة، ولهذا قبلت به زوجا، ثم تكشف لك عن حرص لا يتفق مع طموحاتك المادية، ثم قلت عن زوجك الحالي إنك فكرت في أمره فوجدت مركزه الوظيفي جيدا ومركزه المالي ممتازا فبدأت تتجاوبين مع مشاعره العاطفية، الى أن تزوجت منه سرا فكانت مكافآته المادية لك تسجيل الشقة باسمك وايداع ٥٠ ألف جنيه في حسابك بالبنك، فماذا يعني هذا الاهتمام الطاغي بالاعتبارات المادية ايتها السيدة الشابة، وكيف يتفق مع قولك عن نفسك أنك من أسرة كبيرة جدا، وما قيمة الاشياء إن لم تحرر الإنسان من الاحتياج المادي للغير، أو لم تحمه من الخضوع للإغراءات المادية وتقديم التنازلات من حياته الشخصية للحصول على ما

يتطلع إليه؟! إنها مأساة حقيقية أن يقدم البعض الاعتبارات المادية على كل الاعتبارات الأخرى على هذا النحو وأن يستبدلوا بالقلوب في حنايا الصدور آلات حاسبة لا تعرف إلا لغة الأرقام وحدها، والمؤسف حقا أن يكون هذا البعض من الشباب الذي تمتد الحياة أمامه وتتسع لتحقيق الأحلام بالكفاح الطويل، وليس بجني ثمار حدائق الآخرين، انك كمعظم من تتعللين بأنك قد وجدت السعادة مع زوجك الذي يكبرك بـ ٣٥ عاما، ولقد تكونين كما تقولين لنفسك قبل الآخرين سعيدة بحياتك الجديدة بالفعل، ولكن لن تدوم مثل هذه السعادة يا ابنتي وهي مهما كانت حقيقية أو مكثفة سعادة مسروقة بحكم العوامل القدرية التي لا حيلة لأحد فيها وسباحة ضد تيار لا يصمد أمامه !أحد مهما أوتي من قوة، لأنه تيار الزمن؟

إن قوانين الحياة الطبيعية أولى دائما بالاتباع فإذا كان ثمة استثناء هنا أو هناك فإن الاستثناء مهما تكرر لا يصنع قاعدة أبدا، ولا يصلح لأن يكون مثالا يحتذى، شأنه في ذلك شأن ما يقوله الفقهاء عن غريب الفتوى: يبقى الشاذ .من الفتيا كما هو ولا يقاس عليه

ولقد تحدثت عن سباحتك ضد التيار وتحديك بعض قوانين الحياة وتطلعاتك المادية المؤسفة التي أثرت على اختيارك لحياتك، ولم أشر بعد إلى جرمك الأكبر في حق أبويك وأسرتك وأهلك وهو زواجك سرا بمن رفضه أبواك اشفاقا عليك من نفسك وحماية لك من اندفاعك الأهوج، فكانت مكافأتهما منك هو التسلل بليل الى من .رفضوه حبا لك وحرصا عليك، والزواج منه في غيبة الأهل

ثم تشكين الآن من أنك تفتقدين وجودهم في حياتك، وتشعرين بالوحشة في بعدهم عنك، وتريدين اكتمال سعادتك بصفحهم عنك وقبولهم لك واجتماع شملكم من جديد كأسرة سعيدة، فهل بذلت كل ما في الوسع حقا لاسترضائهم ومحو المرارة من قلوبهم؟ وهل صبرت على عقابهم المعنوي لك الى أن تهدأ النفوس الثائرة وتصفو من شوائبها؟ انه بقدر الجرم يكون التكفير، ولقد أجرمت في حق أبويك وأسرتك جرما منكورا بزواجك السري ممن اخترته رغما عنهم، فتقبلي عقابهم لك في صبر وواصلي سعيك لاسترضائهم وتحملي منهم الأذى المعنوي بعض الوقت كما كابدوا هم احساس المرارة، والغدر، والأسى، باكتشافهم ما فعلت، ولو لم تكوني قد انجبت من زوجك الحالي ابنا لاذنب له في تفكير أمه المادي ولا في صبابة أبيه، لأشرت عليك بالانفصال عن زوجك والعودة لأحضان أهلك وتصحيح مسارك في الحياة، لكنه قد فات أوان تصحيح الأخطاء الآن، وقد يؤدي تصحيح بعض الأخطاء أحيانا الى اضرار إنسانية أفدح من استمرارها على حد قول أمير الشعراء: وأخف من بعض الدواء الداء ، فاعتصمي إذن بالصبر على أبويك، والتمسي لهم العذر فيما تغلي به الصدور من الحنق والغضب عليك، ولا .تكفي عن طرق أبوابهما الى ان تخمد نار الغضب وترق القلوب.. وتأذن لهما بالصفح عنك

===

! موضوع الجدال

أنا سيدة في الثانية والأربعين من عمري.. زوجة لرجل فاضل وإنسان بمعني الكلمة، وقد أنجبت منه علي مدي١٢ عاما ثلاثة أطفال أكبرهم في الحادية عشرة من عمره، وأصغرهم وهي بنت جميلة وذكية في الرابعة من عمرها.

والحق أنها ليست الرسالة الاولي التي أكتب اليك فيها، فلقد كتبت لك من قبل رسالة لم أبعث بها اليك، لانني لم استأذن زوجي في كتابتها، وحين قرأتها عليه شعرت بأنه ليس راضيا عنها فمزقتها.

وكانت المشكلة التي أردت تحكيمك فيها بيني وبينه هي انني موظفة حكومية وزوجي موظف صغير بأحد بنوك القطاع العام، وينفق مرتبه كله في البيت فلا يكفي لذلك، بالرغم من انه لا يدخن ولا يجلس في مقهي، وكان لهذا السبب يأخذ مني مرتبي كله ليكمل به نفقات البيت ومطالب الأبناء، ولم أكن أعترض علي ذلك لكني كنت أريد فقط أن يترك لي جزءا من مرتبي ولو ربعه لكي أشعر بأنني موظفة وأتقاضي أجرا عن عملي ولي مصروف خاص، وكان يغضب هو لذلك، ونتجادل حول هذا الأمر، ونختلف حول مشاركتي بمرتبي كله في مصروف الأسرة. هل هو فرض علي كما كان يقول زوجي مادامت هناك ضرورة، أم أنه تطوع كما كنت أقول وأري ان الرجل هو المسئول الاول والوحيد عن تلبية مطالب اسرته، والآن ياسيدي فلقد توقف الجدال بيني وبينه حول هذا الامر، وليته لم يتوقف. فلقد ظهرت في حياتنا منذ أربع سنوات مشكلة أخري طغت علي كل المشاكل وجعلت منها ترفا نتحسر عليه الآن ونتمني لو كان قد استمر، فلقد اصبت بالمرض اللعين في صدري منذ أربع سنوات.

وقال لي الأطباء انني محظوظة لاكتشافه مبكرا، وحمدت الله علي ذلك وتقبلت الأمر برضا ولم اجزع له لانني مؤمنة بأننا لن نهرب من اقدارنا مهما اردنا، واجريت لي الجراحة بنجاح والحمد لله.. وظلت حالتي الصحية جيدة بعدها فعشت حياة طبيعية ورحت اقوم بخدمة زوجي واطفالي واشارك في المناسبات الاجتماعية واقيم حفلات أعياد الميلاد للأبناء، وأضع التورتات بنفسي وادعو الاهل والاقارب، ونسيت تماما انني قد ابتليت بهذا المرض كما طلب مني الطبيب ان افعل، واستمر الحال علي هذا النحو لمدة عامين، ثم فجأة تدهورت حالتي وبدأ المرض ينتشر في جسمي، وتمسكت بصبري وايماني ورضيت بما اختاره لي ربي وتلقيت العلاج من جديد وما أدراك ما عذابه وما آثاره الجانبية، وتحملت كل شيء في جلد وصلابة، واخفيت معاناتي عن زوجي واطفالي.. حتي كانت طفلتي تتعجب للطاقية التي أغطي بها رأسي وتسألني عن سبب ارتدائي لها دائما فأشغلها عن السؤال بشيء آخر.

أما زوجي فلقد وقف الي جواري في محنتي وراح يشد أزري ويخفف عني ويذهب معي من طبيب الي آخر

ويذكرني بمواعيد الدواء ويصبر علي ظروفي الصحية التي لم تعد تسمح لي بأن اكون زوجة كاملة له منذ شهور، ولم يعد له مطلب في الحياة سوي ان يستطيع ذات يوم ان يهييء لي زيارة بيت الله الحرام.. وقد اشتركنا في جمعية ادخار.. لكي نتمكن من اداء فريضة الحج في المستقبل، لكن العمر يجري ولا أحد يدري هل يتسع لتحقيق هذه الأمنية الغالية أم لا، واني اتعجب الآن من حالنا.. فلقد كانت المشكلة التي نتجادل حولها من قبل هي مرتبي وهل احتفظ لنفسي بقدر منه أم أنفقه كله علي البيت، فنسينا هذه المشكلة الآن تماما، وادركنا كم كانت تافهة واصبحت المشكلة هي هل يكتب الله لي الشفاء في القريب العاجل أم لا.؟ وهل يتسع العمر لتحقيق أمنية الحج أم لن يتسع؟. فهل تعرف ياسيدي بعض الجمعيات أو الهيئات التي يمكن أن تساعدنا علي تحقيق هذه الأمنية في حدود امكانياتنا البسيطة؟

: ولكاتبة هذه الرسالة اقول

لو اتيح للانسان أن يطلع علي ما تخبئه له الايام لاستخسر أن يبدد الاوقات الخالية من مشاكل الحياة الحقيقية في الشقاء بما لا يستحق الشقاء به، ولأحسن الاستمتاع بأوقات السعادة الصافية من كل الأكدار وغبط نفسه عليها.. ورجا ربه أن يطيل أمدها في رحلته ويحفظها عليه.. لكن متي اتيح للانسان أن يعرف ما سوف تحمله له امواج الحياة في قادم الايام، ليسعد بحياته الحالية ويدرك كم هو سعيد الحظ لخلوها من الآلام الجادة؟

اننا للاسف لا نتنبه الي ذلك إلا حين تداهمنا اختبارات الحياة القاسية، ولا ندرك قيمة السعادة المتاحة لنا إلا بالمقارنة مع ما نواجهه فيما بعد من أحزان وشقاء، ولو ألهمنا الحكمة في الوقت المناسب لأبينا أن نبدد لحظة واحدة من الأيام الخالية فيما لا يستحق العناء من اجله او الشكوي منه، ولادخرنا كل قوانا النفسية والصحية لمواجهة ما تخبئه لنا أمواج الحياة من أنواء، تماما كما يستثمر الملاح أوقات هدوء الرياح في الراحة والاسترخاء والاستمتاع بجمال الطبيعة، لكي يستنفر كل طاقته للسيطرة علي السفينة حين تهب عليها أعاصير الشتاء، ولأن الأمر كذلك فلا عجب في أن يتواري موضوع الجدال القديم من حياتك ياسيدتي ويصبح بالمقارنة بما امتحنتك به الأقدار فيما بعد، ترفا تتحسرين علي انقضائه وتتمنين لو كان قد استمر الي ما لا نهاية.

فأما موضوع الجدال الجديد في حياتك فإن ايمانك العميق بربك وتسليمك بارادته وامتثالك لقضائه سوف يحسمه لصالحك باذن الله فيتحقق الشفاء التام حين يأذن به ربك إن شاء الله، ويتسع العمر لزيارة بيت الله الحرام وقبر رسوله الكريم بإذن الله. والمهم ان نستمسك دائما بالأمل في رحمة الله، وأن نؤمن كذلك بحقنا العادل في الحياة، وفي الغد الافضل الذي تتحقق فيه الأمنيات. فالايمان بالله جزء جوهري من العلاج، والامل الغلاب في الشفاء يسرع به الي المريض والثقة في الله وحسن الظن به من أهم عوامل النجاة باذن الله.. وتفضلي بالاتصال بي مساء الاثنين المقبل لنستكمل الحديث حول كل ذلك إن شاء الله.

==

! وخز الشوك

أكتب إليك وأنا أواجه اختيارا صعبا ..أحتاج معه إلى من يشير علي بالرأي فيه .. فأنا يا سيدي شاب في الأربعين من عمري نشأت في أسرة عادية. وكان أبى موظفا حكوميا مكافحا ونقيم في حي الحلمية، ثم التحقت بكلية الحقوق .. وخلال سنوات دراستي الجامعية كانت هناك في الحي فتاة جميلة مزهوة بنفسها تدرس بكلية التربية .. الرياضية، وكان معظم شباب الحي يعجبون بها ويرون فيها فتاة أحلامهم

وكانت هي تتيه فخارا بذلك، ثم شاءت الظروف أن أتعرف عليها في بيتنا حين أصبحت صديقة لأختي وجاءت لزيارتها.وفى هذا اليوم تحدثت إليها لأول مرة فأعجبت بها وتمنيتها لنفسي، لكني لم أجسر على إعلان أمنيتي لكثرة المعجبين حولها. وتكررت الزيارات فوجدتها ذات يوم تفاتحني بأنها تجدني شابا مختلفا عن الذين .. يلاحقونها بالتنهدات ومحاولات التعرض لها.. وأنها تأمل أن تتزوج ذات يوم من شاب مهذب مثلي

فانهارت مقاومتي واعترفت لها بأني أحبها، فسعدت بذلك وشجعتني، وأصبحنا نتلاقى من حين لآخر.. وقدمتني لزميلاتها بالكلية على أنى خطيبها، وفاتحت أبي وأمي برغبتي في خطبتها فوافقا ، بشرط أن أؤجل أي خطوات .. للزواج إلى ما بعد زواج شقيقتي الكبرى

واصطحبت أسرتي ذات يوم إلى بيت أبيها الموظف الصغير بأحد الأندية الرياضية وقرأنا الفاتحة .. وتفرغت لامتحان الليسانس وكل أملى أن أحصل على تقدير عال يرشحني للعمل فى القضاء لأن خطيبتي كانت تتمنى أن .. تتزوج من وكيل نيابة له هيبته! وكافحت لتحقيق أمنيتها وحصلت على تقدير جيد

لكن القدر لم يشأ لي أن أعمل بالقضاء، وعينت بوظيفة قانونية في إحدى الوزارات، وصدمت حبيبتي في ذلك، لكنها لم تتمسك طويلا بهذا الأمل، وبدأت أدخر معظم راتبي لتوفير متطلبات الزواج .. ورحت أعمل أعمالا إضافية لأكسب أكبر قدر ممكن من النقود، حتى أصبحت أعمل طوال ساعات اليوم، وكلما توفر لي مبلغ أعطيته لأبي ليكون جزءاً من المهر، وفى قمة انشغالي بذلك لاحظت على خطيبتي فتورا فى علاقتها بي .. فسألتها عن .سره فلم تفدني بشئ وفسرته لنفسي بكثرة انشغالي عنها

وقررت أن أكثر من فترات خروجنا معا .. فاعتذرت عن العمل الإضافي ذات يوم ودعوتها للخروج فوافقت بعد إلحاح مني، وكنا نذهب فى نزهاتنا معا إلى كازينو صغير على النيل أمام مستشفى القصر العيني، ونجلس أمام

مائدة تطل على فرع النهر، فاصطحبتها إليه .. وجلسنا في نفس المكان وأنا أحس بأن ظلا ثقيلا يخيم على المكان .. وأحاول أن أطرد هواجسي

فرحت أتحدث عما جمعت من المهر وعن خطوات الزواج المقبلة، فسألتني متى تستطيع أن تدبر المهر والشقة ! فأجبتها أنني أستطيع أن أدفع المهر وأن نعقد قراننا بعد شهرين أو ثلاثة .. وأنني أستطيع أن أجمع مبلغ خلو الرجل في فترة عامين أو ثلاثة فنتزوج على الفور، ففوجئت بها تقول لي أن الطريق طويل والعمر يجري .. ثم تختم هذه المقدمة الفلسفية بأنه من الأفضل لكل منا أن يبحث عن حياته في طريق آخر .. وصدمت وحاولت أن أثنيها عن أفكارها هذه .. وترافعت مرافعة طويلة عن حبنا وشبابنا وحقنا في الحب والزواج، فلم تتحرك عن موقفها، وأصرت على أن نفترق على باب الكازينو، وأن يذهب كل منا إلى طريق مختلف ..

وصافحتني بيد باردة وأعطتني ظهرها ومشت مبتعدة عني إلى الكوبري الصغير بجوار الكازينو، وأنا أرقبها وهي تبتعد وإحساس مؤلم بالقهر والعجز يملأ كياني، ثم انصرفت بعدها حزينا وعدت لبيتي، فأبلغت أسرتي بأن خطيبتي قد فسخت الخطبة لأني فقير ولا أستطيع تدبير متطلبات الزواج بالسرعة الكافية، وثارت أمي وبكت شقيقتي الكبرى من أجلي وحزن أبي وإخوتي الصغار وتحملت أقداري صابرا ..

وبعد أسابيع سمعت من أصدقائي في الحي أن فتاتي خطبت لشاب يأتي إلى بيتها في سيارة شيفروليه كبيرة، وأنها تخرج معه سعيدة ومزهوه كعادتها. واكتشفت أن أسرتي تعرف الخبر وقد حجبته عني حرصا على مشاعري .. وبعد أيام كنت واقفا على محطة الأتوبيس للذهاب إلى عملي ..

فإذا بخطيبتي تمر أمامي فى سيارة خطيبها الجديد وهما يضحكان في سعادة والتقت عيوننا في لحظة خاطفة فإذا بها تنظر إلي بثبات ثم تتحدث مع خطيبها فيلتفت وينظر إلي من الخلف بعد أن غادرتني السيارة وفى عينيه نظرة تشف غريبة تألمت لها .. وحدست أنها ربما قالت له أنى خطيبها السابق أو أحد الذين تمنوا خطبتها، وجاء الأتوبيس فركبته، وشاء حظي أن يتكرر نفس المشهد فى شارع محمد على المزدحم بالمرور وأن يمر الأتوبيس إلى جوار السيارة الفارهة فيراني الخطيب السعيد معلقاً فى سلم الأتوبيس وينظر إلي نفس النظرة الغريبة .. بينما راحت فتاتي تتأملني بإمعان كأنما تقول لنفسها أنها لو ارتبطت بى لكان مصيرها التشعلق معي بالأتوبيس كما أفعل الآن .. وأحسست بغصة جديدة في حلقي وتمنيت لهما السعادة.

ثم توالت الأنباء بعد ذلك فعرفت أنهما تزوجا وأقاما حفلا سعيدا فى فندق كبير ، وأنها انتقلت بعد تخرجها من الكلية إلى مدينة زوجها الساحلية، وتزوجت فيها، وعينت مدرسة بمدرسة ثانوية للبنات .. وانقطعت عني أخبارها ٥ سنوات شفيت خلالها من حبها ومن آلامه النفسية. ثم رأيتها فجأة فى شرفة بيتها القديم خيالا أو كالخيال وقد اختفى رونقها. ولاحظت أنها مريضة .. فإذا بحبها القديم يتحرك فى قلبي ووجدت نفسي أتلهف على معرفة أخبارها .. فسألت عنها شقيقتي وعرفت أنها عادت إلى بيتها غضبى من زوجها منذ فترة.

وأنها ذاقت معه الأمرين من أول أيام زواجهما بعد أن اكتشفت انه مدمن للخمر ، وأنه يشرب كل يوم حتى يفقد وعيه، ثم يضربها أو يطردها في الليل، وعرفت أنه عولج مرات من إدمان الخمر، لكنه ينتكس في كل مرة، وأن أهله قد نفضوا يدهم منه وأبعدوه عن عملهم التجاري، ويخصصون لها مبلغا كل شهر يسلمونه لها لكي تنفق منه على طفليها وعلى نفسها,

ويرفضون إعطاءه قرشا واحدا فيتعدى عليها ليأخذ منها النقود وتألمت لما سمعت، وعشت أياما وأنا حزين من أجلها، وتعمدت أن أمر أمام بيتها لأكثر من مرة لأراها ثم استقر رأيي على قرار استجمعت إرادتي على أن أنفذه، فأسررت به إلى شقيقتي ورجوتها أن تنفذه بلا معارضة، وكلفتها بأن تذهب إليها وتبلغها باستعدادي للزواج منها ورعاية طفليها إذا رأت أن تطلق من زوجها الآن ..

وذهبت شقيقتي إليها وفاتحتها فلم تجبها بلا أو نعم، وأبدت رغبتها فى أن تلقاني وتسمع منى ذلك شخصيا وطلبت أن يكون اللقاء فى مكان عملي لكيلا تجلس معي فى مكان عام. وجاءتني فى العمل وروت لى ما تعانيه من زوجها .. ثم سألتني: أمازلت تحبني؟ فأجبتها بالإيجاب ..

فسكتت ساهمة ثم ودعتني وانصرفت، وانتظرت قرارها على أحر من الجمر، وأرسلت إليها شقيقتي مرة أخرى ، فعادت تقول لى انها فكرت طويلا فى الأمر وأنها ترى أن حملها ثقيل، وأني لن أستطيع تحمله .. لهذا فهي تعتذر وتشكرني .. وصدمت صدمتي الثانية فيها، وعادت بعدها بأيام إلى زوجها وعدت أنا إلى حياتي ويئست منها مرة أخرى .. فتزوجت من فتاة طيبة رشحتها لى أسرتي ..

ووجدتها هادئة ومهذبة ومتطلعة للسعادة .. فرضيت بها ورضيت بى، وتزوجنا وأنجبنا طفلين وعشت معها حياة هادئة ليس فيها حرقة الحب .. ولا عذاب المعاناة .. ورضيت بذلك .. ورضيت على زوجتي وأدبها وحسن معاشرتها لي، وشغلت بطفلي وبمتاعبهما اللذيذة، وتحسنت أحوالي المالية بعض الشئ ..

ثم فوجئت ذات يوم بجرس تليفون الترنك الطويل فى مكتبي وبصوت فتاتي القديمة تقول لي أنها تحتاج إلى مشورتي القانونية في بعض أمورها، وأنها ستزورني فى عملي بعد يومين، وانتظرتها باهتمام لا أنكره .. ثم جاءت فإذا بها ترتدي السواد وقد ازدادت نحولا وتجعدت بشرتها وظهرت بعض الشعيرات البيضاء في شعرها، وإن كان جمالها القديم ما زال متوهجا .. وأبلغتني أن زوجها قد مات فى حادث سيارة وهو مخمور ..

وأنها تواجه بعض المتاعب القضائية بسبب التركة، وتحتاج إلى مساعدتي وطلبت منى أن أتولى أمورها مع المحامى الذي يباشرها .. وأبديت استعدادي وقدمت لها النصيحة المخلصة وسافرت .. وبعد أيام طلبت منى أن أسافر إليها فى مدينتها لإنهاء بعض الأمور فسافرت .. وعدت فى نفس اليوم. وباشرت معها كل مشاكلها حتى انتهى معظمها وظفرت بنصيبها كاملا من التركة، فقامت بنقل أطفالها الذين أصبحوا ثلاثة إلى مدارس القاهرة وعادت للإقامة فى بيتهم القديم .. وطلبت مني البحث لها عن شقة مناسبة وأديت المهمة بأمانة وأشرفت على انتقالها للشقة الجديدة.

وتكرر اللقاء بيننا لمثل هذه الشئون إلى أن قالت لى فجأة: أمازلت تحبني؟ .. فأطرقت برأسي ولم أجب .. فقالت في ارتياح : أنت مازلت تحبني .. أعرف ذلك تمام .. فماذا تنتظر؟ وفهمت أنها تطالبني بأن أتزوجها .. وأعترف لك بأني اهتززت لهذه الفكرة رغم أنها لم تخطر لي، ووجدت نفسي أفكر فيها طويلا ..

ولاحظت زوجتي انشغال فكرى وسهومى .. وحاولت أن تعرف ما يشغلني فلم أساطع البوح لها به .. وكان أكثر ما شغلني هو أني لاحظت على فتاتي القديمة أنها قد أصبحت شديدة العصبية ودائمة التوتر بطريقة مرضية، وسألتها عن سر ذلك فصارحتني بأنها لا تنام بغير الأقراص المهدئة، وأنها تتناولها بانتظام ..

والتمست لها العذر فيما لقيته من عذاب مع زوجها. وبدأت أسأل نفسي لماذا لا أتزوجها فأحقق حلمي القديم، ويكون لى حق دخول مسكنها بلا حرج فأعوضها عن معاناتها .. وأعوض نفسي عن آلامي القديمة وأواصل حياتي الزوجية كما كانت .. وذات يوم سوف تعرف زوجتي .. وربما تلتمس لى العذر وتصفح عني ونستمر فى حياتنا الهادئة كالماء الفاتر ..

واسترحت إلى هذا الخاطر أو إلى أنى سوغته لنفسي لأنه أرضاني، وطرحت الفكرة عليها فإذا بها تفاجئني بثورة عصبية شديدة وتطلب منى أن أطلق زوجتي قبل كل شئ .. وحاولت مناقشتها فإذا بها تسد كل أبواب المناقشة بعصبية شديدة .. وتقول لى أنها لم تتزوج من قبل وأن زوجها كان يبيت بالأيام بعيدا عن بيته ..

وأنها لا تريد زوجا لنصف الوقت .. وإنما تريد زوجا كاملا .. ثم تصرخ بهستيرية وها قد جاءتك الفرصة التي تنتظرها منذ ١٥ عاما فماذا تنتظر .. وماذا تمثل زوجتك فى حياتك؟ .. فلفت نظرها إلى أطفالي الذين أصبحوا ثلاثة .. صاحت بعصبية أشد: وهل مات أبوهم كما مات أبو أطفالي؟

سترعاهم وسيتربون كما سيتربى أطفالي بعد موت أبيهم؟ .. ووجدت أنه لا فائدة من المناقشة فتوقفت وانصرفت .. وراجعت نفسي فى تفكيري وقررت أن أصرف النظر عن الموضوع كله .. لكنها لم ترحمني يا سيدي فكلما بدا لي أنى أتماثل للشفاء تقفز إلى حياتي مرة أخرى وتسألني ماذا تنتظر؟

ستضيع حياتك مرة أخرى وحياتي .. فأعود للتفكير فى أمرها ثم أنظر إلى زوجتي الراضية بحياتها .. والطيبة دائما والتي لا أعانى معها أية انفعالات حادة لا بالحب ولا بالغضب أو بالكراهية .. والمستسلمة لأقدارها فألوم نفسي على انقيادي لأفكاري.

ثم بلغت المشكلة ذروتها حين فوجئت برجل طويل عريض فخم يدخل إلى مكتبي ويقدم نفسه لى كرجل أعمال ويقول لى أنه يريد أن يتقدم لخطبة فلانة هانم .. وأنه تحدث إليها فطلبت منه أن يلتقي بى قبل أن تبدى رأيها لأني " إبن خالتها" وأتولى شئونها وتحترم رأيي .. وسوف تسترشد برأيي الحكيم فى قرارها .. وانتهى اللقاء العصيب فماذا أفعل يا سيدي .. هل أستجيب لشرطها .. وأدركت أنها شوكة جديدة منها لكي أحزم أمري وأتصرف معها القاسي وأحقق معها حلمي القديم .. أم أواصل حياتي كما هي بلا مشاكل .. بماذا تشير على؟

ولكـاتب هذه الرسـالـة أقول:

أشير عليك يا صديقي بالرأي الوحيد الجائز فى مثل ظروفك فأقول لك بلا تردد .. لا تبحث عن المتاعب وارض بحياتك المستقرة الهادئة التي قد تراها أحيانا خالية حقا من حدة العواطف .. لكنها بالتأكيد خالية أيضا من حدة العواصف والبراكين التى ستقيم عشك فى مهبها وتحت فوهتها إذا استسلمت لرغبة فتاتك المدمرة ..

وهدمت أسرتك وشردت أبناءك من أجلها .. فمعها قد تنعم ببعض العواطف اللاذعة التى تفتقدها فى حياتك الهادئة، لكن المؤكد أيضا أن براكينها المتقلبة سوف تصب عليك من حممها من حين لآخر ما ينسيك كل ما لقيته معها من فترات النعيم العابرة.

فهذا هو الحال مع طبيعة فتاتك البركانية التي لن تسمح لك أبدا بأن تحيا معها فى هدوء .. وإنما ستكون حياتك معها دائما كحياة بعض من ابتلوا بمثيلاتها .. فترات قصيرة لاذعة المتعة وفترات طويلة لاذعة الشقاء والتعاسة ولا وسط بين الاثنين .. ولا هدوء ولا أمن ولا سلام، وإنما تقلبات متوالية بين السعادة والشقاء تتعاقب عليك كما يتعاقب الليل والنهار.

كل ذلك ولم أتحدث بعد عن زوجتك التي رضيت بك ورضيت بها وعاشرتك فأحسنت عشرتك وربطت بينك وبينها الأيام وذكريات الحياة المشتركة .. بل ولم أتحدث بعد عن أبنائك الذين تطالبك فتاتك بقسوة لا إنسانية بأن تدمر حياتهم بحجة أنهم ليسوا أفضل من أبنائها الذين رحل عن الدنيا أبوهم .. كأنك أنت المسئول عن ذلك أو كأن أطفالك هم المسئولون عن رحيل زوجها.

إنني أقولك لك إن مجرد زواجك منها حتى لو رضيت هى بالإبقاء على زوجتك وأولادك ظلم لهم جميعا لا يستحقونه منك .. ولا ترضى به طبيعة إنسان عادل شهم مثلك .. وما أظنك تقبل لهم أن يدفعوا هم ثمن طموح فتاتك وأنانيتها التي دفعتها للتخلي عن أحلامكما وأنتما فى سن الشباب.

أما تفكيرك فى الاستجابة لطلبها والتضحية بزوجتك وأطفالك إرضاء لها، فهو ليس ظلما لهم فقط .. وإنما هو جريمة أربأ بك أن تأثم بمجرد التفكير فيها .. كما أنه دليل جديد على أن فتاتك مازالت كعهدها شديدة الأنانية وشديدة الذاتية .. وشديدة الخيلاء رغم ما توالى عليها من خطوب ..

لقد رفضتك وأنت شاب فى سن الأحلام بسبب تطلعها إلى حياة أفضل .. ورفضتك وأنت تعرض عليها بشهامة أن تخلصها من معاناتها مع زوجها رغم ما فى ذلك من تضحية من جانبك، وتمسكت بمعاناتها ربما أملا فى ألا تخرج من عناء حياتها بلا عائد مادي يعوضها عنه .. أو ربما حرصا على صالح أبنائها وطلبا لحقوقهم ولا بأس فى ذلك، ولكن لماذا إذن تنكر عليك حقك فى أن ترجح مصلحة أبنائك وزوجتك ..

ولماذا تطالبك بهذه التضحية القاسية كأنك أنت من صنع مأساتها وليست هي .. بل ولماذا تعود لاقتحام حياتك مرة أخرى من الأصل .. وقد شق كل منكما حياته فى طريق آخر كما طلبت هي منك فى لقاء الكازينو المأساوي وكما فعلت حين كانت تمر بك فى سيارة خطيبها الفارهة وأنت متعلق بسيارة الأتوبيس وتنظر إليك بثبات!

يا صديقي لا تلق بنفسك فى الجحيم .. وأطو هذه الصفحة بأكملها من حياتك .. وأنظر إلى زوجتك بعين مختلفة .. وسوف تكتشف أن الأيام قد نسجت بينكما خيوطا حريرية متشابكة قد تبدو لك واهنة لكنها فى الواقع كثيفة وقوية وناعمة وفى منتهى الصلابة .. وقد اكتسبت قوتها من نسيج السنين والألفة والعشرة الطيبة وعشرات الأشياء الصغيرة التي قد لا تبدو واضحة للعين المجردة.

فكل ما يدور فى خاطرك الآن هو من تأثير عودة الأخرى إلى مجالك من جديد .. وإصرارها على أن تخزك بوخزات الشوك كل حين، لكي يظل اللهيب داخلك مستعرا .. فأحتم بعشك وسعادتك وزوجتك الطيبة وأبنائك من هذا الوخز المستمر.. ودعها لحياتها كما تركتك لحياتك من قبل .. ولتتزوج هى ممن تشاء وخطابها كثيرون .. أو فلتتفرغ لرعاية أطفالها كما تفعل كثيرات .. فقد فات الأوان لإصلاح الأخطاء .. واستقر النهر في مجراه وأصبح من المستحيل أن يغيره كوارث عديدة أنت فى غنى عنها

==

فوق القمة !

أنا فتاة فى التاسعة و العشرين من عمرى ..لا أغالى اذا قلت انى جميلة ..لأننى فعلا كذلك و قد عشت حياة بسيطة فى اسرة ميسورة بين أمى ربة البيت الطيبة المحترمة و أبى رجل الأعمال الذى ورث عن ابيه تجارة ناجحة و تمتعت بحب أمى لى و تعلقها بى .. اما ابى فلقد كان مشغول دائما فى عمله فلم تتعد دائره علاقاتى الأجتماعية بعض الزيارات العائلية مع أمى أو بعض المرات القليلة التى اذهب فيها الى النادى لالتقى ببعض الصديقات الى ان جاء يوم كانت فيه سيدة طيبة تأتى الى بيتنا لتساعد امى فى بعض أعمال البيت و تأخرت عندنا فى ذلك اليوم فدق جرس الباب و فتحت فوجدت أمامى شابا وسيما يتفجر رجولة و حيوية ، يسأل عن السيدة ، و عرفت منها انه ابنها و دعوته للدخول لكنه رفض حياء و انتظرها حتى خرجت معه و انصرفا ، و أنا مشدودة لا أعرف ماذا جرى لى .

و فى الأسبوع الثانى جاءت السيدة الطيبة فوجدتى أجلس معها و أنتهزت الفرصة لأسال عن أبنها الشاب ، فأذا بها تخبرنى انه طالب معى بنفس الكلية و يتقدمنى بسنه و أكتفيت بما عرفته منها ، و فى اليوم التالى بحثت عنه فى الكلية حتى وجدته و حييته تحية الصباح فرد على بأدب و حياء ، ثم خفض رأسه فوجدتى أساله عن الصحة و الأحوال فرفع رأسه مندهشاً و أجابنى شاكرا و أنصرف .

و تكررت لقائتنا داخل الكلية مصادفة أو عمداً من جانبى ، و بمرور الأيام عرفت كل شىء عن حياته ، فعرفت أنه يعمل بعد الدراسة فى محل تجارى ليكسب دخلا يعينه على نفقات الكلية و ليساعد به أسرته و عرفت ايضاً أنه طالب متفوق مجتهد فى كل يؤديه ، حتى أنه يجمع أسئلة أمتحانات السنوات السابقة و يقوم بحلها كنماذج للأجابات و يطبعها و يوزعها على الطلبة و يحقق منوراء ذلك دخلاً بسيطا كل سنة .

و أستمرت زملتنا على هذا النحو ثلاثة سنوات ،أزددت خلالها أعجاباُ به و برجولته و بأعتزازه بنفسه ، و قبيل نهاية العام الأخير بالجامعة أستقر فى يقينى أنه أحبه من أعماقى ، على الرغم من أنه لم يبدى من جانبه أى علامة على وجود مثل هذه المشاعر لديه ، و حين أقتربت الأمتحان سألته عما ينوى أن يفعل بعد التخرج فلم يحر جوابا ، فعرضت عليه أن أحدث أبى بشأنه ليعمل معه ، ففاجأنى بثورة كالبركان رافضاً ذلك ، و أنصرف يومها غاضباً ، و عدت لبيتى حزينة و حكيت لأمى ما جرى فسرته لى بأنه وجد فى عرضى ما يمس كرامته ، و مضت فترة طويلة لم نلتقى خلالها ، ثم علمت بأنه عمل بعد التخرج فى عمل كان قد بدأه فى الشهور الأخيرة من الدراسة ، و روادتنى نفسى طويلاً أن استقصى اخباره الى أن جاءت اللحظة حين زرت والدته و التقيت به هناك ، و فى هذه المرة تحدثت معه قليلاً .. فأندفع يعبر لى عن مشاعره المكتومة التى لم يستطيع أن يبوح لى بها بسبب ظروفه ، و تعاهدنا الا نفترق ، وأن يتنظر اللحظة المناسبة ليتقدم لأسرتى ، و جاءت هذه اللحظة بعد عام عندما تخرجت من كليتى . ففاتحت أمى فى الأمر فرفضت بشدة و أبلغت أبى الذى ثار ثورة هائلة و لم تفلح كل

المحاولات فى تهدئته ، و لم يسمح لى بمناقشته ..أو محاولة أقناعه ، و أسرع بأن وضعنى أمام أختيار صعب ،هو أما صرف النظر عن هذا الزواج و أما ترك البيت فوجدت نفسى حائرة بين أرضاء أبى .. و بين نداء قلبى الذى لم يخفق طوال عمره لهذا الشاب المكافح .. و فكرت كثيراً .. و بكيت كثيراً .. و بكت أمى طويلاً و حاولت أثناء أبى عن تشدده لكى يقابلنا فى منتصف أو يتفاهم معنا لكنه تمسك بموقفه بأصرار .

و هكذا وجدت نفسى فى الخامسة و العشرون من عمرى و بعد حوالى ٥ سنوات من الحب العميق لمن أختاره قلبى مخيرة بين أمرين يعز علي أن افرط فى أيهما ، هما أسرتى و حبيبى ، لكنى بعد عذاب طويل لم أجد مفراً من أن أستجيب لنداء قلبى و كلى أمل فى أن يرحم أبى ابنته التى تحبه و أمى الحائرة بيننا و يغير من موقفه و لو بعد حين .

و هكذا حزمت أمرى بعد ليالى عصيبية قضيتها ساهرة حتى الصباح و ودعت أمى و أنا أبكى و هى تبكى ثم خرجت ألى بيتى الجديد .. و كان فتاى قد أجر شقة متواضعة و اسسها بأثاث أكثر تواضعا ..و تم عقد القران و أقام لنا أصدقائه فرحاً و زفة ن أنساها العمر كله فهو محبوب دائما من كل معارفه و تم زفافنا بين أهلة و اصدقاءه أما أهلى فلم يحضر منهم أحد بكل أسف .

و رغم ذلك فقد بدأنا حياتنا الجديدة و محم سابحان فى بحر السعادة ..فكانت يقظتنا أحلامنا و أحلامنا أنغاما ، و مضت الأيام سعيدة جميلة لا يعكر صفوى فيها سوى "غربتى" عن أهلى و أنا أعيش معهم فى نفس المدينة .. و كان زوجى ينبوعاً من العطف و الحنان ، فحاول كثيرا أن يصلح ما بينى و بين أهلى ، و تحمل فى سبيل ذلك الكثير رغم أعتزازه بكرامته ، كما حاول كثيراً أن يخفف عنى مؤكداً أنها سحابة و سوف تنقشع .. و أن المياه سوف تعود فى النهاية الى مجاريها .. لكن الحال بقيت كما هى حتى أراد الله لنا ان نغادر مصر كلها ليكون لأغترابى عن اهلى سبب مقبول .. فقد جاءته فرصة للعمل فى الخارج و شجعته عليها و سافرنا معا ، و حصلنا على شقة هناك و أثثناها ، ووفقه الله فى عمله كما وفقه من قبل فى كل عمل تولاه ، و أتم الله نعمته علينا فأنجبنا ابننا بعد شهور من سفرنا ، و شكرنا الله على نعمته فأخرج زوجى الزكاة و أرسلها الى بلادنا لتوزع على من يستحقونها ، و أدينا فريضة الحج و أعتمرنا و بقينا ثلاث سنوات لا نعود الى مصر ،و كلما جاء موسم الحج أدينا الفريضة بدل من السفر لبلادنا و فى العام الثالث كنا قد وقفنا بعرفات زوجى و أنا و طفلى الصغير فأحسست فجأة كأن تيار كهربائيا يشدنى الى الناحية اليمنى ، فنظرت اليها فجاة فآّا بى أرى ابى و أمى الذان لم تقع عيناى عليهما منذ ٣ سنوات بملابس الأحرام ، يقفان الى جوارى بالظبط ، كأن وجودهم بالقرب منى قد خلق مجالا كهربائيا ارسل اشارته الى و نبهنى اليهما ..نظرت اليهما و لم اصدق نفسى و لم يدصدقا نفسيهما ووجدت نفسى اندفع اليهم و هما يندفعان الى فى نفس اللحظة و فاضت العيون بالدموع الغزيرة .. و أبى و امى و انا و زوجى حتى ولدى صغير ترقرقرت عيناه بالدمع ايضا و هو يرى هذا المشهد الغريب .. و بكيت حتى اشتفيت ، و بكت أمى حتى سالت دموعها انهارا ، و بكى ابى و زوجى حتى تواصلت دموعهم و من حولنا ينظرون الينا مشفقين ، و حين ادركوا الموقف شاركونا التأثر و قالوا جميعا فى هذا المكان الطاهر تمسح الجراح و يولد الأنسان من جديد، و نزلنا من فوق جبل الرحمة معا و تمسكنا بان يقيم معى أمى و ابى الى ان يحين موعد السفر و بعد أنتهاء موسم الحج عدنا جميعا على طائرة واحدة لمصر و دخلنا معا بيت ابى لاول مرة بعد اكثر من ثلاثه سنوات و استقبلنا الجميع بفرحة كبرى و انطلقت زغاريد الفرح التى لم اسمعها يوم فرحى فى هذا اليوم السعيد .

و صفت نفس أبى بعد أن أستسمحته ، حقق الله أمنية زوجى المؤمن الصادق فى أن يصلح ما بين و بين أهلى، و عشنا اياما سعيدة فى-/مصر ثم عدنا مرة أخرى الى مقر عمل زوجى بعد أن تمسك رؤساؤه باستمرار معهم .

و عدت لبيتى هناك و لأول مرة أجد للغربة معنى أخر غير الذى وجدته فى السنوات السابقة ..فأنا بعيدة الان عن أهلى و لكنى معهم فى كل حين أكتب لهم الخطابات و ابثهما حبى و أشواقى ، و أتصل بهما تلفونيا و يتصلون بى فى مواعيد دورية و الحمد لله على كل شىء ..و الحمد لله الذى ثبت ايماننا بأنه بالصبر تتحقق الأمانىو بانه لا فرق بين غنى و لا فقير و بأن علينا أن نرضى الله و لا ننسى نصيبنا من السعادة و من الدنيا و أرجو ألا أكون قد طلبت الكثير .. فلقد طلبت سعادتى مع من أحب و طلبت رضى أهلى ايضا و صبرت حتى حقق الله لى الأمنيتان ..فهل طلبت الكثير يا سيدى ء

و لكاتبة هذة الرسالة اقول :

لا يا سيدتى لم تطلبى الكثير فمن حق كل أنسان أن يطلب لنفسه السعادة كما يرها محققا لأمانيه ، لكنه من واجبه ايضا أن يسعى لتحصين هذه السعادة ضد عثرات الطريق ، برضا الأهل عنه و بتايدهم لهم لمشروعاته المستقبليه .

فالسعادة الشخصية لا تكتمل الا براحة الضمير ..و لهذا لم تكتمل سعادتك الا حين تخلصت من وخز الضمير الذى لا شك انك عانيت بسبب تقطع الأسباب بينك و بين اهلك .

و الأوفق دائما حين يجد الأنسان نفسه أمام هذا الأختيار الصعب الذى واجهته ، هو أن يكافح لنيل رضا الأهل عن مشروعاته و الا يخرج على طاعتهم فى هذا الأمر الا حين يكون تجنيهم عليه صارخا و لا يقبله عقل ولا دين و لا شك انه لو بذل الأنسان جهده بأخلاص و صبر لنال تأيدهم و لو بعد حين لما أختاره لنفسه لأن الأمهات و الأباء يا سيدتى يستهدفون فى نهاية الأمر سعادة أبنائهم كما يتصورنها ، فاذا تعارضت الأرادات الأبناء و

صدق رغبتهم فيما أختاروا سلموا لهما بما أرادوا لأنفسهم ، ابقاء على شعرة معاوية معهم أو هكذا يفعل الرحماء منهم لأنهم لا يملكون لأبنائهم الراشدين سوى النصيحة مهما كانت دوافعهم الشريفة و لأن الحياة فى النهاية هى خير معلم .

و لكل زمان قيمه و معايره التى علينا ان نعترف بها كما نعترف بأن ما يصلح لزمان قد لا يصلح لأخر . فأذا كان فى قصتك الجميلة هذه أنتصار الحب و الكفاح الشريف فى الحياة ما يستحق التعليق ،فهو فقط بانك كنتى تستطعين الصبر قليلا قبل مفارقى اهلك ، و انا زعيم لك بانك كنتى ستحصلين بعد قليل على اعترافهم بحبك و قبولهم بهذا الشاب المكافح الأمين .

و لعل هذا هو خلاصة حكمة الصنيين الشهيرة بعد ان عاشوا ٥ الاف سنة يراقبون أحوال البشر (يمشى هونا .. يمشى دهرا) أالصبر كام يتطلب ايضا الأصرار ..لكنى لا اريد ان الومك على شىء بعد ان فات ما فات لانى من المؤمنيين بما يقول الشاعر :

لا تسقنى ماء الملام ..فأننى صب قد استعذبت ماء بكاء

و لان مشهد اللقاء المؤثر فوق جبل عرفات يمسح كل الاحزان ، و يجب كل الكلام .. ثم لانى ايضا سعيد برسالتك هذه و اعتبرها انشودة السعادة وسط اهات المعذبين، فلم لا نحتفل بها كما نهتم بزفرات المهموميين ، و نحن من يصدق عليهم الشاعر الانجليزى شيلى (قد علمتنا الاحزان نظم القصيد) فاذا كان الامر كذلك فلماذا لا تعلمنا السعادة ايضا دروسها .. الجميلة و تعلمنا نظم الهازيج ؟

==

الحديدى الستار !

أنا رجل فى الثامنة والثلاثين من عمري .. متزوج منذ سبع سنوات تقريبا ، ولى طفلتان توءم تبلغان من العمر ثلاث سنوات .. زوجتي تعمل سكرتيره بإحدى شركات القطاع الخاص ، وتحصل على راتب كبير من عملها يصل إلى ضعف دخلى من عملى بإحدى شركات القطاع العام ، ولكن يعوض الفرق إيراد خاص لى من بعض الأملاك ، ولا نعانى من مشكلات مادية حادة والحمدلله.

أما مشكلتى مع زوجتى فهى أنها تتعامل مع الحياة بروتينيه بحته مع عصبية زائدة وعدم إحساس بالأمان للزمن .. فهي تتصرف معي ومع البنتين وكأنها تتعامل مع آلات صماء تدار بأزرار لأداء مهام معينة .. وعندما يخرج أي فرد عن الدور المرسوم له تثور أعصابها وتدخل فى طور من النرفزة والصياح مع إتهام من حولها بالبلادة والتخاذل!

لقد أصبحت أشعر أننى لست زوجاً وأبا ولكنى موظف بدرجة زوج وأب ينبغى على أداء مهام معينة يومياً وفقا لجدول محدد فى أوقات مرسومة مسبقا حتى لا يحدث خلل فى حياتنا .. ولكي تستطيع زوجتي الوفاء بالتزاماتها تجاه بيتها وبالأسلوب الذى يساعدها على الحفاظ على عملها الذى تؤمن إيمانا غريبا بأنه الشئ الوحيد الذى يؤمن لها مستقبلها ويحميها من تقلبات الزمن ، بالرغم من أننا نمتلك أرضا زراعية وعقارا ورثتهما عن أبى رحمة الله عليه ..

وبالرغم من أنى أشهد الله أننى أحسن معاملتها جهد الطاقة ولا يصدر منى ما يشعرها بعدم الأمان لحياتها معي .. ولكنها تتصرف وكأنها فى معركة الزمن..فهى فى الصباح تثور على البنتين وعلىّ عند حدوث أى خطأ أو تأخير لأن هذا سيؤدى إلى تأخرها عن ميعاد عملها مما يعرضها لأن تتغير الصورة الطيبة المعروفه عنها فى العمل!

وبعد العودة من العمل نجلس إلى المائدة فى نظام شبه عسكري لكي نتناول الطعام بأدب وغير مسموح لأى فرد بأى نسبة خطأ..فإذا تساقط بعض الطعام من البنتين على مفرش المائدة أو على الأرض ، انفجرت عصبيتها وصياحها بكلمات من نوع " يا غبية يا هبلة .. إلخ " فيمضى وقت الطعام ونحن فى حالة توتر وقلق خوفا من أى خطأ ، مع أن معظم أخطاء البنتين تتناسب مع عمريهما ، وفى المساء لا ينبغى أن أجلس مع الطفلتين وأداعبهما إلا فى أوقات معينة وظروف معينة تحددها هى ..

كأن تكون فى المطبخ لطهو الطعام أو عند إنشغالها بتنظيف البيت .. وفيما عدا ذلك فليس من حقى أن أداعب البنتين أو أن أتحدث معهما حديث الأب لأطفاله لأنهما ينبغى أن تكونا جاهزتين تحت الطلب " لأعمال "الاستحمام والنظافة والنوم قسرا فى ساعة محددة كل يوم لابد أن نطفئ لها كل أنوار البيت ، وأن نكتم أنفاسنا خلالها فلا نتكلم ولا نتحرك حتى تروحا فى سبات عميق .. وكل ذلك لكي يستطيعا الاستيقاظ فى ساعة مبكرة صباح اليوم التالى والنزول معها فى وقت معلوم لتودعهما الحضانة وهى فى طريقها إلى عملها .. ورغم هذا النظام الحديدى الذى تفرضه علينا زوجتى فكثيراً ما تتأخر رغما عنها وتواجه ذلك بالعصبية والتوتر والصياح.

أما إذا دعوتها بعد نوم الطفلتين للجلوس والتسامر معى قليلا كما يفعل كل زوجين .. جاءت كارهة متأففة .. ولا يخلو الأمر من سماع بعض الألفاظ من نوع : "يالا خلصنا بقى عايزة انام أنا عندى بكره شغل .. أنا مش مرحرحة زيك " ! ..

فضلا عن أنها دائما مرهقة وتعبانة من العمل والبيت ولا وقت عندها لمشاعر الناس المرحرحين من أمثالي .. حتى أصبحنا لا نجلس سويا لمناقشة أمور حياتنا وبناتنا فضلا عن أنها تؤمن إيمانا لا يقبل النقاش بأن الحياة العصرية تستلزم تقسيم الأعباء العائلية إلى واجبات متساوية بالسنتيمتر بين الزوج والزوجة،يجب أن يؤديها كل

منهما آليا ودون تفكير أو تقصير أو خلل ! وإلا فهو بليد وخامل ومقصر وليس عنده إحساس بالمسئولية ! أما المشاعر والأحاسيس فلا وقت لها ما دام كل طرف يؤدى واجبه !

وقد جربت ذلك منها حين مرضت أنا لفترة طويلة فكان تصرفها معى أنه ما دام الطعام والدواء يعدان بالطريقة التى أمر بها الطبيب وفى الأوقات المحددة لها ، فلقد أدت واجبها تجاهى على أكمل وجه وعلىّ أن أشكر لذلك وأمتن !

حتى مرات خروجنا القليلة تتم فى مواعيد محددة قبلها بفترات طويلة ، ولأهداف محددة بدقة وبنظام صارم لا يمكن الخروج عليه .. ولا يمكن أبدا الإستجابة لرغبة طارئة منى للخروج لزيارة أحد أو للترفيه على الأطفال ونفسينا .. إنني يا سيدي لست ضد الإلتزام فى أى شئ ، ولا مع النكوص عن تحمل كل إنسان لمسئوليته ، ولا ضد عقاب الطفل إذا أخطأ بشرط أن يتناسب العقاب مع الخطأ ، ولا ضد أن تعمل زوجتى وتحس بنفسها فى عملها مع أنى لا أهتم بعملها ولا أنظر إلى عائده ونستطيع إذا أردنا أن نحيا بدونه .. لكنى ضد التوتر المستمر والآلية الشديدة فى كل شئ ومحاولة علاج الأمور بالعصبية ..

فقد تأثرت الطفلتان كثيراً بالعصبية الشديدة التى تعاملها بها أمهما ، فأصبحتا كثيرتي البكاء وكثيرتي الأخطاء وتكرران نفس الأخطاء التى تعاقبان عليها دون أى فهم، أما أنا فقد حاولت كثيراً إصلاحها وتغير أفكارها وتخفيف عصبيتها حتى أنى أدمنت القراءة فى الكتب التى تتحدث عن الأسلوب الأمثل لتربية الأطفال والأسرة المثالية وفطرة الإنسان وضرورة عدم إغفال الجانب الروحى فيه .. مع قراءة الكتب الخاصة بالتعامل مع الأشخاص العصبيين ,

وكانت آخر محاولاتى معها أن أصطحبتها منذ شهور معى لأداء فريضة الحج عسى الله أن يهدى النفوس الثائرة وأن تشعر زوجتى بأنها تتعامل مع بشر وليس مع آلات متحركة .. لكن كل ذلك لم ينجح فى تغييرها .. حتى أنني أصبحت أكره العودة إلى بيتى وأظل أسير بعد العمل فى الطرقات إلى أن ينهكنى التعب فأعود للبيت وأتناول طعامى وأنام مباشرة حتى لا ألتقى بها ولا أسمع ولا أرى ما يضايقني .

لقد فشلت كل محاولاتى معها وأرجو أن توجه لى النصح فيما يجب أن أفعله ، أو أن توجه لها كلمة فهى تقرأ أهرام الجمعة لعلها تتأثر بكلماتك الطيبة إن شاء الله. أو إن كان هناك قصور من ناحيتى فأرجو إرشادى إليه.

ولكاتبة هـذه الرسـالة أقـــول :

لا لوم عليك يا سيدى ولا تقصير من جانبك ، وإنما اللوم كله والعتاب للسيدة زوجتك لهذا سوف أجه حديثتى إليها مباشرة.

إن غاية الحياة الأساسية هى السعادة ، وكل ما نهتم به فى حياتنا ليس فى النهاية سوى وسائل نتوسل بها إلى تحقيق سعادتنا بالطرق المشروعة .. وفيما لا يغضب خالقنا أو يعرضنا لعقابه ، فإذا طغى إهتمامنا بالوسائل على إهتمامنا بالأهداف فإن محصلة سعينا فى الحياة تكون فشلا ذريعا مهما حققنا من نجاح أو أمجاد ، وبهذا المفهوم فإن عملك وسيلة وليس غاية ..

ولا ينبغي أن يدفعك حرصك عليه كأنه طوق النجاة الوحيد لك ضد الزمن ، إلى التقصير فى حقوق طفلتيك وزوجك .. أو محاولة فرض نظام حديدى يشقون به .. فالعمل يمكن أن يفقده الإنسان مهما بذل من حرص عليه .. كما يمكن له أيضا أن يغيره إذا إقتضت الظروف ذلك ، أما العمر فإنه لا يمكن إستبداله أو إسترجاعه من عالم الغيب لكى نحياه من جديد ونطبق فيه ما تعلمناه من تجارب الزمن إذا ضاع وإنقضى فى التوتر والشقاء ومحاولة إخضاع الآخرين قسرا لما يناسبنا نحن وحدنا .

فخففي الوطء كثيرا يا سيدتى وإعلمى أن الملل والروتينية يورثان الاكتئاب ، وأن تجاهل مشاعر شريك حياتك وعدم مجاراته فيها بدعوى ضرورة العمل يقتل الحب ويبلد الأحاسيس،ويحول الحياة إلى كآبة عصرية منظمة لا روح فيها ولا نبض ..

وتذكري دائما أن معظم مشاكل الزوجات والأزواج إنما ترجع إلى أنهم لا يحاولون أدنى محاولة أن يلتزموا مع أهلهم الأقربين بما يلتزمون به من آداب اللياقة وضبط النفس والتسامح التى يلتزمون بها فى معاملة الغرباء .. مع أن الأقربين أولى بالمعروف وبحسن الرعاية ورقة التعامل ، وأنت قادرة بغير شك على التحكم فى عصبيتك وكبح جماح نفسك لكنك لا تحاولين ذلك فى تعاملك مع أسرتك ..

وإلا فكيف لم تفقدى عملك حتى الآن إذا كنت تتعاملين مع رئيسك وزملاء العمل والغرباء بهذه العصبية والتوتر الدائمين وأنت موظفة بقطاع خاص يستطيع أن يستغنى عنك بسهولة ؟ .. إذن فأنت تستطيعين لكنك لا تحاولين .. وتبررين لنفسك كل شئ بأنك مرهقة ، وأنها ضرورات لكى تستطيعى أداء عملك ,

ومن أقوال زوجة أمريكية سعيدة أنه :لو إلتزمت الزوجات حدود اللباقة مع أزواجهن كما يلتزمن بها مع الأغراب لعض كل زوج على لسانه إذا إندفعت إليه قوارص الكلم ! ونفس المبدأ ينطبق على الأزواج .

وزوجك يا سيدتى لا يبادلك عصبيتك ولا تندفع قوارص الكلم إلى لسانه .. ولا يحاول أن يفرض عليك ما يراه حقاً له ، فلماذا لا تبادلينه رقه برقه ومشاركه بمشاركه ؟ ولماذا تتصورين أن كل من فى مملكتك الصغيرة ينبغى أن يخضع لإرادتك ونظامك الحديدى الذى قد يناسبك وحدك بغير أدنى محاولة لتفهم حقوق الآخرين عليك .. إن تجديد الحياة من حين إلى آخر أمر ضرورى لطرد الملل الذى يهدد السعادة الزوجية ..

وبعض الحكماء يطالبون الزوجة بأن ترتدى لزوجها كل يوم قناعا جديداً كأقنعة سالومى السبعة لكى تنبه مشاعره وتحتفظ بها دائما عند درجة الفوران .. ونحن لا نطالبك بأقنعة سالومى السبعة أو الستة ، ولكن نطالبك فقط بشئ من التسامح الضرورى مع طفلتيك ، وبشئ من المرونة فى نظام الحياة فى بيتك الذى تفرضين عليه الإظلام التام كل ليلة كأنكم فى زمن الحرب ..

وبشئ من الإعتبار لأهمية المشاعر والأحاسيس فى الحياة الزوجية،وبشئ من الخروج على روتين الحياة من حين لآخر ترويحا للنفوس ، وليس كل ذلك عليك بعسير إذا إقتنعت معى بأنه لا شئ فى الحياة يعدل حياة زوجية سعيدة هادئة وأبناء سعداء أسوياء.

فهل تقتنعين بذلك ؟ وهل تجدين فى نفسك الشجاعة لأن تطلبى المساعدة الطبية من طبيب أعصاب متخصص إذا إكتشفت حاجتك إلى ذلك وهو أمر لا شئ فيه ولا يسئ إليك بحال من الأحوال ؟

==

علامات الخطر !

أرجو أن يتسع صدرك لرسالتي هذه فقد دفعني لكتابتها لك تأثري برسالة " الموعد النهائي" للزوج الذي طالبته زوجته فجأة بالطلاق بعد ٢٣ سنة تفانى خلالها في حبها وإسعادها لتتزوج ممن تعرفت به قبل ثلاثة شهور فقط مضحية بأبنائها وزوجها ، وقبل أن أبدأ في سرد قصتي أقول لك إنني سيدة جامعية متوسطة العمر وقد تزوجت – منذ ٢١ عامًا بعد قصة حب عنيفة ألححت خلالها بشدة

وبكل الطرق – على أهلي لإقناعهم بقبول زواجي ممن أحببت حتى استسلموا في النهاية وتم الزواج كما أردته . ومن العام الأول لزواجي أدركت أنني قد أخطأت الاختيار وأن أهلي كانوا على حق حين جاهدوا إقناعي بالعدول عن هذا الزواج .

لكني صبرت وصممت على نجاح زواجي بأي طريقة حتى لا أسلم بالفشل فكنت الزوجة المطيعة الصبورة لزوجي ..

واهتممت بمظهري وجوهري وزوجي ورزقني الله بولد وبنت فكنت لهما الأم والأب والمدرس ، ولزوجي الزوجة والصديقة والحبيبة ..

وجعلت من زوجي عريس حياتي الدائم منذ اليوم الأول لزواجنا وإلى النهاية حتى أطلق عليه الأهل والأصدقاء " الملك المتوج " على عرش قلبي لما أحيطه به من حب ورعاية واهتمام وثقة فيه بلا حدود ،

ومضت حياتنا هادئة وكافحنا سويًا وسافرنا للعمل في إحدى الدول العربية لعدة سنوات عملت خلالها مدرسة إلى جانب عمل زوجي لنرفع مستوى حياتنا ، واكتفينا بما حققناه في خلال سنوات الغربة فعدنا إلى بلدنا منذ سبع سنوات .. ورأيت أنني قد أديت واجبي تجاه أسرتي بقدر استطاعتي فقررت التفرغ لزوجي وابنيّ وتركت العمل وبدأنا مرحلة الاستقرار والاستمتاع بثمرة كفاح السنين .

فشكرنا الله كثيرًا على ما أعطانا ورجوته أن يشمل ابنيّ برعايته فيوفقان في دراستيهما وحياتيهما .

ثم رجعت من إحدى دول الخليج جارة لنا في سكننا الجديد لم أكن قد رأيتها من قبل .. ففوجئت حين تعرفت إليها بشبهها الغريب لأختي الصغيرة التي حرمتني منها ظروف مؤلمة لا داعي للإشارة إليها ، ولهذا السبب انجذبت إليها وشعرت بالعطف عليها وعلى ظروفها ولأنها عادت مع زوجها وأسرتها في ظروف مأساوية فقد خلالها زوجها عمله ومدخراته في الدولة التي كان يعمل بها .

ووقفت إلى جوارها وأحببتها من كل قلبي فكانت إذا مرضت قمت عنها بالتزاماتها الأسرية من طهي وعناية بطفليها الصغيرين الجميلين وقد كانت هي أيضًا جميلة وفي الثلاثين من عمرها ، وذات يوم اشتد بها المرض فاصطحبتها إلى الطبيب الذي أوصى بإجراء جراحة لها في أقرب وقت ، ولم تكن ظروفها المادية تسمح لها بتحمل نفقات هذه الجراحة ، فدفعت تكاليف الجراحة على الفور وتم إجراؤها وشفيت ،

وردت لي قيمتها حين تيسرت ظروفها بعد ذلك ثم ازددنا اقترابًا واندماجًا في حياتنا الأسرية وكانت صديقتي هذه تشكو من زوجها ومن بعض جوانب تقصيره معها وقالت لي ولزوجي ذات مرة إنها تغبطنا على سعادتنا فلم أتوقف عند هذه العبارة العابرة ، وازددت رضًا عن حياتي وسعادتي وثقة في نفسي وفي زوجي الذي لا ينقصه شيء في حياته ، وبدأ زوجي بعد ذلك يطلب مني تقديم مزيد من الخدمات إلى هذه الجارة لأنها في محنة وزوجها لا يعمل وظروفه المادية سيئة ولم أتردد في الاستجابة ،

ثم تحسنت أحوال زوجها وحصل على عمل جديد في نفس الدولة التي كان يعمل بها ولكن بلا سكن عائلي يسمح له بجمع شمل أسرته فسافر إلى هناك تاركًا زوجته وطفليه في مصر .. وتزايد اهتمام زوجي بهذه الجارة بعد أن أصبحت وحيدة بدعوى أداء الواجب معها خلال غياب زوجها وأصبح لا يشتري لبيتنا شيئًا إلا واشترى مثله لها كما لو كان قد أصبح المسئول الأول والأخير عنها ..

وكثرت زيارات هذه الجارة لنا صباحًا ومساءً ثم حدث ذات يوم أن خرجت من مسكنها دون أن تبلغني أو تبلغ زوجي عن وجهتها ، وغابت في الخارج طويلاً فإذا بزوجي يثور لخروجها ثورة عمياء حتى إنه لم ينم لحظة من الضيق والقلق .. فبدأت في هذه اللحظة أشعر بوجود شيء ما بينهما وأحسست أن ثورة زوجي لخروجها دون إعلامنا بوجهتها ليست سوى غيرة رجل على امرأته لا جارة يؤدي معها واجبًا إنسانيًا .. وتأكدت شكوكي مما

بدأت ألاحظ عليه من أعراض النزوة الطارئة ككثرة النظر إلى المرآة وضيقه بالشعر الأبيض الذي بدأ يتسلل إلى رأسه واهتمامه بعمل " ريجيم " قاسٍ لتخسيس وزنه ..
إلى جانب انشغال البال دائمًا والهموم بلا سبب ظاهر ثم فوجئت به يطلب مني أن أنبه على ابننا – وكان وقتها في الصف الثاني الثانوي – ألا يقترب من أبيه حين يقابله في الشارع لأنه أطول منه ولأن زوجي قد بدأ يشعر بالخجل حين يراه الناس وابنه الطويل الفارع يسير إلى جواره !
وأدركت أن الأمر قد بلغ حد الخطر خاصة بعد أن بدأ زوجي – سامحه الله – يحتسي الخمر ويلاحظ عليه ابناي الاهتمامات المتبادلة بينه وبين جارتنا وكثرة الإيماءات والإيحاءات ويجذبان نظري إلى كل ذلك كعلامات لخطر يهدد سعادتنا واستقرار أسرتنا ، ويتطلب مني اتخاذ إجراء حاسم قبل فوات الأوان واستجمعت إرادتي وقررت قطع علاقتي بهذه الجارة غير الأمينة على الصداقة فإذا بزوجي يضيق بي وبالابنين ضيقًا شديدًا ويكثر شجاره معهما ،
بل وضرب ابنه بعنف ذات يوم لأنه تجاسر ورد على هذه الجارة في التليفون بشكل غير لائق وغادر البيت غاضبًا ولم يعد إلا في اليوم التالي وبدأت أسوأ أيام العمر يا سيدي في حياتي .. وجاهدت لإنقاذ زوجي وأسرتي وابنيّ بكل وسيلة ، وغمرت زوجي بالحنان والاهتمام وتوسلت إليه أن يقاوم ويصمد لنزوة سن الأربعين هذه التي تهدد حياتنا ، ويمكن تجاوزها بأمان وقلت له إنني أسامحه فيها وأصبر على ما يفعل وسأقف إلى جواره حتى تمر المحنة ونعود لمواصلة حياتنا كما كنا قبلها
بل وقلت له إن قلبي معه في محنته هذه وأشعر بالعطف عليه لا بالضيق منه أو الغضب لأنه شريك عمري وحياتي وحبي الأول والأخير ورجوته ألا يتعجل القرار وألا ينسى عشرة العمر وسنوات الحب قبل الزواج وبعده وسنوات الكفاح وأيامنا الحلوة .. توسلت إليه بالكلام وبالدموع فإذا به يعترف لي بأنه يحب جارته ولا يملك من أمر نفسه معها شيئًا وتوسلت إليها هي أيضًا ورجوتها بدموعي أن تذكر حبي وعطفي عليها ووقوفي معها في محنتها .. فلم تتحرك شعرة في رأسها .
وبرغم كل ذلك لم يتحسن حاله بل ساءت حالته المعنوية والنفسية للغاية ثم تشاجر مع ابننا ذات يوم وغادر البيت معلنًا أنه لن يرجع إليه إلى الأبد !
ومهما وصفت لك ما عانيته من آلام واكتئاب بعد خروجه يا سيدي فلن أستطيع أن أصور لك بصدق حالتي في هذه الأيام السوداء .. فلقد تركنا زوجي بلا مال .. وهو لا يحمل لنا – أنا زوجته وولديه – إلا كل كراهية مريرة وأسوأ الأمنيات لنا بأن نختفي تمامًا من الدنيا لكي يستطيع أن يستمتع بحياته ويحقق لنفسه ما يريد ..
وتجرعت مرارة الإحساس بالرفض ممن كرست له كل حياتي وعانيت آلامًا نفسية رهيبة حتى أصبحت أمنيتي الوحيدة خلال هذه الأيام أن أعرف شيئين هجراني إلى الأبد هما طعم النوم الهادئ ، والرغبة في الطعام فقد كنت إذا نمت لاحقتني الكوابيس المزعجة إلى أن أصحو أكثر تعبًا وإرهاقًا مما كنت قبل النوم ، وكنت لا أشعر بأية رغبة في الطعام ، وتمر الساعات الطويلة والأيام دون أن أشعر بالجوع أو أضع شيئًا في فمي حتى نقص وزني من ٦٤ إلى ٥٠ كيلو جرامًا ..
وأصبحت كالخيال ثم نظرت لولديّ وحزنهما من أجلي وتذكرت حاجتهما إليّ فتمالكت نفسي بعض الشيء ، ولجأت إلى الله سبحانه وتعالى وقرأت القرآن وتفسيره وسلمت أمري إلى الله وإلى عدالته .. وعرفت أن زوجي قد اختار الدنيا وأنني اخترت الآخرة وحسن المآل ، فصبرت على قضاء الله وقدره وأعطيت ابنيّ كل اهتمامي ورعايتي وبعد سنة وثلاثة شهور من مغادرة زوجي لبيته وصلتني منه ورقة الطلاق بعد ١٩ عامًا من الزواج وقبل شهرين فقط من امتحان الثانوية العامة لابني ،
وبعدها بأيام اختفت جارتي من مسكنها ولم يعرف أحد عنها شيئًا وأخيرًا تبين أنها قد أقامت مع زوجي السابق في شقة مفروشة لمدة عشرة شهور وهي على ذمة زوجها ، ظهرت خلالها نتيجة ابني فإذا به أحد أوائل الثانوية العامة العشرة ، فعرفت على الفور أنها أولى جوائز السماء لي على صبري ومعاناتي .. وتفويضي أمري لخالقي وكانت هذه هي أول فرحة للقلب الحزين منذ أكثر من عامين جل شأنه ، .
أما زوجي السابق وصديقتي السابقة فلم ينجوا من عقاب الله طويلاً ، فلقد رجع زوجها من الخارج وراح يبحث عن زوجها ويترصدها حتى تم ضبطهما معًا في الشقة المفروشة وتم القبض عليهما بالجرم المشهود وأفرج عنه بكفالة وما تزال قضيتهما منظورة أمام القضاء حتى الآن ، وفضلاً عن ذلك فلقد عرفت تلك السيدة التي باعتني زوجي السابق ، وباع ولديّ من أجلها بعد خروجها من الحبس أحد الضباط وأقامت معه علاقة آثمة مع استمرارها مع زوجي !
وعرف زوجي السابق سيدة أخرى غيرها مع استمراره معها حتى ضبطته جارتي الغادرة معها وذاقت نار الغيرة التي نهشتني بسببها طويلاً .. وتذكرت حين بكيت لها وتوسلت إليها أن تدعه لشأنه فلم يرق قلبها لي .. فإذا ربك يريني فيها ثأري بأسرع مما توقعت وإذا بالعلاقة بين الحبيبين تنقطع قبل مرور عامين عليها وكل منهما يكره الآخر كراهية سوداء ويحتقره ويراه غادرًا وغير أمين ولا شريف ، ولكن بعد أن دمرا معًا بيتين كانا مستقرين وينعم فيهما الأبناء بالأمان والهدوء .. فحسبي الله ونعم الوكيل ..

وأنا الآن يا سيدي أشعر باستقرار وراحة لم أحلم بهما من قبل ، وأحمد الله على كل شيء ، وأعتبر أن ما مررت به كان اختبارًا منه سبحانه وتعالى لإيماني وصبري فرضيت به وأرجو أن أكون قد نجحت فيه .
فلقد تعذبت كثيرًا وتصورت أن الحياة بدون زوجي ووالد ابنيّ لن تستمر لحظة لكن فضل الله عليّ كان عظيمًا .. وأحب أن أطمئن كاتب رسالة " الموعد النهائي " الذي بكى دمًا وأسفًا حين هجرته زوجته التي أخلص لها الحب سنوات طويلة من أجل نزوة مماثلة ، وأطمئن كل المجروحين والمكلومين والمهجورين من أمثالي أن من نعم الله علينا التي لا تقدر بمال .. نعمة النسيان ..

فكل شيء يولد صغيرًا ثم يكبر إلا الحزن فهو يولد كبيرًا ثم يصغر ويتضاءل حتى يموت ، فليتذرع الجميع بالصبر والإيمان ويعرفوا أن الله لن يتخلى عنهم وأنه سوف يعوضهم عن معاناتهم خير الجزاء كما أقول لكل أم تبيع أولادها جريًا وراء أهوائها أو حبها بدعوى أنها تعيش حياتها مرة واحدة وليس من العدل أن تواصل التضحية من أجل أبنائها للنهاية وتضيع فرصتها في السعادة مع من أحبت أقول لها ولكل أم مثلها : أعمى الله قلبك وبصيرتك ..

إن التضحية تكون بالحقوق وليس بالواجبات فأية تضحية هذه التي تتحدثن عنها حين تتحدثن عن تضحياتكن من أجل الأبناء ؟ إنها واجبات كل أم نحو أبنائها وليست تضحيات ، والأم التي تتجرد من أمومتها من أجل الحب والعاطفة لا خير فيها فهناك سيدات فاضلات يذقن المر كؤوسًا فوق كؤوس مع أزواجهن ويصبرن من أجل الأبناء فيعوضهن الله خيرًا فيهم .. وكل أم تحرم أبناءها من أمومتها سوف يأتي اليوم الذي تتمنى فيه بنوتهم فلا تجدها لديهم لأنه كما تدين تدان .

وفي النهاية يا سيدي فلقد فوجئت منذ فترة قصيرة بزوجي السابق يتصل بنا ويعترف بالخطأ والخطيئة ويطلب الغفران ، لكنه مازال يشرب الخمر وما تزال هناك علاقات نسائية عابرة وبشعة في حياته أي أن توبته ليست دينية ولا صحيحة ، وأعتقد أنها مجرد أزمة يمر بها الآن ويطلب مني ومن ابنيّ السماح ويطلب العودة .. فهل مثل هذا الرجل يؤتمن على أسرة وعلى ابنيه وأكبرهما يدرس في كلية عملية مرموقة وأصغرهما في الثانوية العامة ؟

ولكاتبة هـذه الرسـالة أقـــول :

من الحكم المصرية القديمة يقول لنا الحكيم بتاح حتب إن قانون السماء والأرض هو أن تتعلم عن طريق الألم والمعاناة .. فقد بدأ الناس حياتهم كالوحوش ولم يتعلموا كيف يصبحون آدميين إلا من خلال تجارب مؤلمة وطويلة !

هذا ما قاله الحكيم الفرعوني منذ حوالي ٤٦٠٠ سنة لكن آفة البعض منا هي أنهم يقبلون لأنفسهم أن يعيدوا سيرة الإنسان إلى الوراء فيرجعون حياتهم كالوحوش التي لا تتحكم فيها إلا غرائزها ولا يردها عن رغباتها وأهوائها لا دين ولا عرف ولا أخلاق ولا ضوابط .. ثم يبررون هذه " البربرية " بأنبل المشاعر وأطهرها وهو الحب الذي يرجعون إليه كل جرائمهم في حق القيم والحياة .

إن وحوش الغابة لا تعرف الصداقة ولا الوفاء ولا احترام الحرمات وهي على استعداد دائمًا وفي أية لحظة لأن تنقض على أقرب الكائنات إليها لتصرعها وتنهش لحمها إذا استشعرت الجوع أو ثارت لديها غريزة العدوان ، فهل يختلف تصرفها هذا في شيء عن تصرف من ينقض على عرض صديقه أو جاره في أول فرصة تتاح له لينهشه بلا رادع من وفاء أو قيم أو أخلاق ؟ وهل يختلف ذلك كثيرًا عن قنص الوحوش الضارية بعضها لبعض في الغابة ؟ وكيف يبرر البعض لنفسه هذا الارتداد الوحشي الذي يهدد كل القيم النبيلة في الحياة بهوى القلب القاهر الذي لا حيلة له فيه ؟ إننا لا ننكر هوى القلب ولا سلطانه ، ولا ننكر أيضًا الضعف البشري .. لكنه كيف يقبل عاقل أيضًا أن يبرر الإنسان لنفسه جرائمه في حق الدين والأخلاق والوفاء والأبناء وشركاء العمر بهوى القلب الذي لا حيلة له فيه ، كأنما قد أصبح هذا الضعف غاية في حد ذاته ، وليس عقبة في طريق سعي الإنسان إلى الكمال ، أو كأننا لسنا مطالبين بمجاهدة أنفسنا وردها عما ترغبه إذا تعارض مع سعادة الآخرين وحقوقهم علينا ؟

وإنما قيمة الإنسان همته " كما يقول لنا الإمام أبو حامد الغزالي ، وهمته هذه هي التي تعينه على مغالبة أهواء " النفس وعدم الانسياق وراء رغائبها وحدها ون رادع من ضمير أو دين .

لقد تأخرت كثيرًا يا سيدتي في اكتشاف علامات الخطر في تحولات شخصية زوجك حتى استفحل الداء وتمكن منه ، والكشف المبكر عن هذه العلامات والتحولات يفيد كثيرًا في رأب الصدع ومقاومة الأمراض الغازية للأجسام الصحيحة لأن اقتلاع هوى النفس في بدايته ومحاصرته .. والبعد عن موطن الداء يسهم كثيرًا في سرعة الشفاء ، كما يسهم التشخيص المبكر للأمراض الخطيرة في زيادة احتمالات الشفاء منها ..

لكن زوجك كان قد تمكن منه الداء حين اعتزمت قطع علاقتك بهذه الصديقة الغادرة ، ودهمه " ذهول القلب " الذي ورد أن الله سبحانه وتعالى حذر منه في التوراة .. فاختلت موازينه ومعاييره ولم يعد يبصر ولا يرى ، حتى لقد أصبح يرى النعمة نقمة ، ويتمنى بذهول العقل والقلب معًا زوالها ! فكل أب يرعى أطفاله يحلم بأن يمد الله في عمره حتى يرى أبناءه أطول منه ، لكن هذه النعمة التي تحققت لزوجك قد تحولت إلى "نقمة" يستخفي بها عن الآخرين .. ويكره أن يطلعوا عليها ، وكل إنسان رشيد يسعد بزوجة محبة وفية ومخلصة حتى ولو لم يحمل لها

مشاعر الحب ، وأبناء ناجحين موفقين في دراستهم حتى ليبرز أحدهم في الثانوية العامة ويصبح من أوائلها .. لكن هذه النعمة تحولت إلى نقمة وعقبة يتمنى زوالها لكي تخلو له الساحة ويجني ثمار الحب والسعادة مع من اختارها القلب .. فأي ذهول وأي جنون أشد من ذلك ؟

لكن من ضوابط الحياة أيضًا أن تترفق بنا أحيانًا ، فتؤكد لنا صواب اختيارات الفضلاء من البشر لالتزاماتهم الخلقية تجاه الحياة وتضحياتهم برغائب النفس ولذائذ الحياة إذا تعارضت مع واجباتهم تجاه الآخرين ، فتطلعنا من حين إلى آخر – على ما ناله من عقاب الحياة – من لم يردوا على تصرفاتهم هذه القيود التي يقبل بها راضين الأخيار من الناس فتزيد من يقينهم بأن تضحياتهم لم تذهب سدى .. وهيهات أن تضيع في الأرض أو في السماء وهيهات أيضًا أن ينجو الآخرون من عقاب السماء إذا فاتهم في الأرض .. أو إذا لم يكفِّروا عن جرائمهم بصدق الندم والاستغفار .

وفي رأيي أن العقاب القاسي الذي ناله زوجك السابق وصديقتك الغادرة لم يكن هو عقاب ضبطهما متلبسين بالجرم المشهود ولا تعرضهما للسجن والعار والفضيحة مع ما في ذلك كله من عقاب رادع ، وإنما العقاب الأشد قسوة في تقديري هو "خيانة" كل منهما للآخر .. وانفصاله عنه منطويًا له على مشاعر الكراهية والبغضاء والازدراء والاحتقار ، بعد أن كان قد ظن أنه قد هدم أسرته وضحى بأبنائه على مذبح السعادة الأبدية ، هوى سيتحدى الزمن ويستحق القربان الباهظ الذي أحرق دمه تحت قدميه القلب الذي!

إن هذا هو العقاب الأنكى والأشد من قاب السجن والفضيحة في تقديري .. فلقد أسفرت الرحلة "البطولية" للخروج على القيم والأعراف والتضحية بالأعزاء والأبناء والوفاء والأهل والدين عن عبث كالعبث ، وبلا أي عزاء عما ضاع من الشرف والكرامة والأمان .. فكيف كان عقاب ؟

إنك تسألينني يا سيدتي في نهاية رسالتك ، هل يؤتمن مثل هذا الرجل على أسرته بعد كل ما كان منه في حقها .. وجوابي هو أن لهجة سؤالك تحمل من معنى الاستنكار أكثر مما تحمل من معنى الاستفهام .. وهذا يعني أنك قد حزمت أمرك على ألا تسمحي له بالعودة إليكم وألا تثقي في صدق ندمه وتوبته خاصة مع استمراره في الشراب والعلاقات النسائية الشائنة ، ومن رأيي دائمًا أن التكفير عن الجريمة لابد أن يتناسب مع فداحة الجرم ، إذ لا يكفي أن يرتكب إنسان في حقنا كل الخطايا والآثام ، ثم يقول لنا بلسانه – وليس بأفعاله – إنه قد ندم عليها لكي نفتح له صدورنا وقلوبنا ،ونعلق على صدره الأوسمة .. وإنما ينبغي عليه أن " يجاهد " طويلاً لاستعادة ثقتنا المفقودة فيه ، كما جاهدنا نحن طويلاً من قبل ، لكي نستعطفه ونستبقيه ونسترضيه ، وعليه أيضًا أن يثبت لنا صدق ندمه بالإقلاع عن السلوكيات الشائنة التي اكتسبها في فترة ذهول العقل والقلب .. وأن يدخل " المطهر " فترة كافية يتطهر خلالها من كل آثامه وجرائمه في حقنا ، ويلتزم بالسلوك القويم ، فإذا فعل كل ذلك ، ووجدت في نفسك بقية من رغبة أو أمل فيه، وشاركك ابناك في هذه الرغبة وهذا الأمل ، فلا بأس باجتماع الشمل مرة أخرى إذ يكون حقًا قد تعلم الدرس خلال الفترة الماضية عن طريق الألم والمعاناة واستعاد طبيعته الآدمية بعد سياحة دامية في عصر الوحشية .. أما إذا لم يفعل ولم يصدق في ندمه ولا توبته .. فلا صفح ولا سماح ولا لوم عليكِ ، ولا على ابنيك إذا أغلقتم دونه قلوبكم وصدوركم ، كما أغلق هو دونكم جميعًا قلبه وصدره وباعكم جميعًا بأرخص الأثمان .

أما رسالتك التحذيرية لكل من تضحي بأبنائها جريًا وراء هوى القلب وحلم السعادة الشخصية فعادلة وحكيمة.. وأما رسالتك المشفقة إلى كل المهمومين والمهجورين أن اصبروا وثابروا ، فلسوف يجزيكم الله عن معاناتكم خير الجزاء ، فلكِ عنها ، وعن رسالتك القيمة المفيدة هذه كل الشكر وكل الثناء ..

==

كشف القناع !

أنا شاب من أبناء إحدي محافظات الوجه البحري، عمري٣٢ عاما وحاصل علي مؤهل عالي وأعمل بوظيفة ممتازة بإحدي الشركات الاستثمارية بمحافظتي، وقد نشأت في أسرة طيبة ينعم أفرادها بالحب والتعاطف والتدين، فوالدي من رجال التعليم وأمي ربة بيت، لم تحصل علي شهادة، لكنها تحب أبي بالفطرة، وكانت خير سند له في رحلة العمر وإخوتي جميعا حصلوا علي شهاداتهم العالية وشقوا طريقهم في الحياة، وسعداء بما حققوا خلال الرحلة، ومنذ سنوات قليلة كنت أبحث عن فتاة تشاركني الحياة فدلني البعض علي فتاة من بلدة مجاورة لمدينتي، ولم أتحر أي معلومات عن هذه الفتاة وإنما اتجهت إلي أسرتها مباشرة ومعي وسطاء الخير لأطلب يدها، فعلمت أن والدتها منفصلة عن والدها منذ ولادتها وأن أمها قد تزوجت من آخر ورزقت منه بطفلة وطلقت لثاني مرة.. أما والدها فيقيم في مكان بعيد عنهم وتزوج ثلاث مرات وله من زيجاته عشرة أبناء، ومع أن هذا التفكك الأسري كان مؤشرا كافيا لتنبيهي إلي ما أنا مقدم عليه، إلا أنني كنت في غيبة عن الوعي، وتزوجت الفتاة خلال أربعة أشهر وقبل زفافنا بأيام قلائل فاجأتني، وبعد أن عقدت قراني عليها، بأنها كانت علي علاقة بشاب من مدينة قريبة وتقابلت معه منذ أيام في أحد الأماكن ــ أي ونحن مخطوبان وتم عقد قراننا ونستعد للزفاف بعد أيام ــ وصدمت وأردت أن أخبر جدتها التي قامت علي تربيتها بعد طلاق أمها وزواجها مرة أخري.. ولكن فتاتي توسلت لي ألا أخبر أحدا، وسامحتها وقلت لنفسي لعلها كانت تودع العبث وسوف تحفظني بعد الزواج.. وفي

إحدي الليالي كنت في زيارة لهم لترتيب الفرح وكان الوقت قد تأخر فأصروا علي أن أبيت لديهم هذه الليلة، وفعلت وأخطأت مع فتاتي وأصابني الذعر، ولكيلا يعلم أحد بما حدث عجلنا بالزفاف علي الفور، وقالت لي فتاتي بعد الزواج لن أنسي لك هذا الموقف طيلة حياتي، لأنك كنت تستطيع التخلي عني.. فقلت لها ادعو الله عز وجل أن يغفر لنا.. وكل ما أطلبه منك هو الحب والحرص علي والأمانة في التعامل معي، ولم يمض علي الزواج أكثر من أسابيع حتي سقط القناع من وجهها، وتكشفت الطباع السيئة لزوجتي من سلاطة اللسان وجلافة الأسلوب، فكنت أطلب منها التحدث بأسلوب هادئ ومهذب بدلا من ارتفاع صوتها الذي يخترق الجدران حتي لا تصل بذاءاتها وألفاظها النابية إلي أسماع الجيران ونحن المعروفون لهم أنا وأسرتي بالخلق الكريم، ولكن نصائحي كانت تذهب سدي، فشكوت لجدتها التي قامت علي تربيتها وأخوالها وأقاربها فكانوا جميعا سلبيين وكل منهم مشغول بحياته، بل لقد كانت جدتها تفسدها أكثر بتدليلها لها، فاستعملت معها قوله تعالي فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا خفيفا.. ولكن لا حياة لمن تنادي.. أصبت بالمرض من جراء تصرفاتها معي.. ومع أهلي.. فعندما كانوا يزورونني للاطمئنان علينا فلا يجدون منها سوي المقابلة السيئة والفتور والجفاء في التعامل والكلمات البذيئة لوالدتي لكيلا ترجع لزيارتي. وكنا نغفر لها وقاحتها لتسير بنا الحياة حيث إنها كانت حاملا ولكنها تمادت في غيها وكذبها ولم تدع شيئا من خصوصياتنا إلا ونشرته كالغسيل القذر، ثم وضعت زوجتي طفلا جميلا، وبعد ولادته بشهرين فوجئنا قضعف صحته ونصحنا الأطباء بضرورر إدخاله مستشفي الأطفال بأبو الريش بالقاهرة لأنه مريض بعيب خلقي في القلب، فذهبنا لعلاجه هناك ومكثنا به ثلاثة أشهر، خلال هذه الفترة لم تتخل أسرتي عن واجبها نحو زوجتي وهي ترافق ابني بالمستشفي من تقديم الطعام وغسل وكي الملابس لزوجتي وتلبية جميع مطالبها.. إلي أن جاء يوم أخذت فيه اجازة من عملي للاطمئنان علي ابني وزوجتي بالمستشفي، وإذا بي وأنا أسير بالممر في المستشفي في طريقي لغرفة إبني أسمعه يبكي وأسمع زوجتي تنهره وهو الذي يبلغ من العمر خمسة أشهر وبين الحياة والموت وتقول له اسكت ربنا ياخدك لكي أستريح منك فنهرتها وحملت ابني علي صدري وقبلته وأنا أنزف دما من داخلي حزنا عليه، وبعد قليل طلبت مني بلا اكتراث أن تحضر أمي لمرافقة ابننا في المستشفي لمدة يوم لكي تذهب هي معي إلي شقة أسرتها لأنها كما قالت قد اشتاقت إلي كزوجة! فصدمت وقلت لها إن أعظم غريزة خلقها الله في أي امرأة هي غريزة الأمومة فكيف تفكرين في نفسك وابننا في مثل هذه الحال.. لكنها صممت ونفذت لها مطلبها لكي تراعي ابننا في مرضه، وفي ظهر أحد الأيام وبعد معاناة ابني من قسوة أمه ومرضه فارق الحياة واختاره الله إلي جواره ليريحه من أم قاسية نزعت الرحمة من قلبها وتوقعت بعد وفاة ابني بأن تتعظ زوجتي وتحل عليها السكينة والطمأنينة ولكن هيهات، فلقد اكتشفت أن زوجتي علي علاقة بشخص عن طريق التليفون وكانت تتصل به من المستشفي حتي في شدة مرض ابني، وكشفت أمامها الحقائق فندمت وبكت وسامحتها وقلت لنفسي لعلها نزوة وانتهت إلي أن جاء يوم وتوجهت لعملي مودعا إياها.. وبعد انتهاء عملي وعودتي طرقت علي باب بيتي فلم يجب أحد فتصورت أن زوجتي قد أصابها مكروه واستعنت ببعض أقاربي علي كسر باب الشقة، فإذا بالشقة خاوية علي البلاط فحتي ملابسي الشخصية وأحذيتي لم أجدها.. خرجت مسرعا لأبحث عن زوجتي.. وذهبت إلي منزل جدتها فوجدت زوجتي وأمها وزوجة خالها وجدتها وأشخاصا لا أعرفهم، والجميع متحفزون لي وقاموا بسبي وشتمي وخيروني بين أن أنقل إقامتي إلي شقة قريبة من بيت جدتها وأترك مدينتي وبين الطلاق، فتركتهم ورجعت مكسور الخاطر ورفعت يدي إلي السماء أشكو إليه ضعفي وقلة حيلتي مع إنسانة مات ضميرها هي وأهلها ونسوا ما قدمته لهم من خير.. حتي أمها المطلقة مرتين ساعدتها في الحصول علي قرض من أحد البنوك بضمانتي، وفي هذه الأثناء أغمي علي، وبعد أن رجعت إلي الوعي مرة أخري، وجدت نفسي في بيت أحد الرجال الصالحين، ورويت له قصتي وأنا أبكي بكاء شديدا فواساني ونصحني بالانفصال. إنني أكتب لك هذه الرسالة من فراش المرض بسبب هذه الزوجة.. وبعد خروجي من المستشفي سأرسل لها ورقة طلاقها لأإنني أشعر بغصة شديدة في حلقي وبحجر ثقيل فوق صدري وإحساس بالقهر والمرارة، فهل يصل الجحود والنكران وكتمان الشكر والتدني إلي هذا الحد.. وهل سأستطيع أن أبدأ حياتي مرة أخري؟!..

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

أي قناع هذا الذي سقط عن وجه هذه الفتاة العابثة بعد زواجك منها!

لقد كان القناع مكشوفا منذ البداية ولم تخدعك ولم تتجمل أمامك، وإنما طالعتك بوجهها الحقيقي من قبل أن ترتبط بها، لكنك لم تكن تري هذا الوجه أو لا ترغب علي الأحري في أن تراه في غمرة اشتهائك لها كأنثي ورغبتك في الزواج منها والارتباط بها وتجاهل الحقائق لا يغير منها شيئا. وانكارنا لها كذلك لايساعدنا أبدا علي التعامل السليم معها، فلقد كانت المؤشرات كلها تنذر منذ البداية بالشكوك والمخاوف وعدم الاطمئنان إلي أخلاقياتها، لكنك مضيت بالرغم من ذلك في طريق الارتباط بها كأنك تنفذ حكما أصدرته الأقدار عليك ولا تملك له دفعا، ولست أقصد بهذه المؤشرات نشأتها فقط بين أبوين ممزقين انصرف كل منهما إلي حياته الخاصة وتركا رعايتها لجدة مسنة أفسدتها بتدليلها لها أكثر مما أصلحتها أو قومتها. وإنما أقصد كذلك ما هو أخطر من ذلك وهو اعترافها لك بأنها قد قابلت شابا كانت ترتبط معه بعلاقة عاطفية قبل زفافها إليك بأيام وهي مخطوبة لك ومعقود قرانها عليك.. فإذا بك بدلا من أن تنزعج بشدة لهذا الاعتراف وتتخوف مما قد يحمله لك المستقبل معها.. تتجاوز ببساطة شديدة

عنه بلا أي لوم لها، وتعلله لنفسك بأنها قد تكون قد أرادت أن تودع العبث قبل أن تبدأ حياتها الزوجية معك، وأنها لابد سوف تحفظ نفسها وتحفظك بعد الزواج بعد أن يكسبها وقر المسئولية الرشد والنصح والحكمة! فأي تفريط هذا يا صاحبي.. وكيف لم يزعجك كذلك إغواؤها لك قبيل الزفاف بأيام حتي نلت وطرك منها خلافا لما تقضي به الأصول والأعراف، حتي ولو كنت قد عقدت قرانك عليها.. وألم ينبهك كل ذلك إلي ضعفها مع نفسها وتساهلها فيما لاتتساهل فيه الفتاة الملتزمة بالفضائل والقيم الدينية والأخلاقية؟ بل وكيف تتجاوز بعد كل هذه الأصول عن عبثها بكرامتك وعلاقتها بأحد الشباب وهي زوجة لك ومقيمة مع طفلها الذي يصارع الموت في المستشفي.. وماذا تنتظر منها أن تفعل بك ومعك بعد كل هذا الهوان؟ هل كنت تتوقع منها أن تحسن عشرتك وتحفظ لك قدرك وترعي حدود ربها في التعامل مع أهلك؟ إنها فتاة جامحة لم تعتد القيود والحدود في حياتها ولا في زواجها، وليس هناك أي مبرر لهذا الحزن الشديد الذي أصابك حتي أسلمك إلي فراش المرض لمجرد أنها قد هجرتك واستردت أثاثها وخيرتك بين الانتقال إلي بلدتها أو طلاقها. فمثل هذه الفتاة الرعناء لايحزن أحد علي فراقها.. وإنما يسعد بتحرره من غريزته التي تربطه بها.. ومن خنوعه معها وهوانه عليها.. فطلقها بلا تردد ولا ندم.. ودعها لنفسها وحياتها تحياها كيف تشاء.. ومع من تتوافق قيمه الأخلاقية مع قيمها المهترئة.. ولا تحزن علي أية انفصالك عنها.. لأنك الفائز في النهاية بكرامتك وسلامك النفسي ورجولتك، وبعد فترة خسارة مادية تترتب علي مناسبة من النقاهة النفسية اجمع شتات نفسك واستعد لبدء حياة جديدة مع فتاة أخري تعيد إليك ثقتك بنفسك وبالفضائل، وبكل شئ جميل في الحياة، وتكفيك من الفضيحة النجاة من هذه المحنة، بغير أن يكابد طفل برئ مرارة الانفصال بين أبويه.. أو يدفع ثمنا أبديا لجموح أمه.. وتساهل أبيه المعيب..

==

! دموع الصمت

أكتب إليك يا سيدى لأسألك هل صحيح أنه لا يليق بالرجل إذا كبر وتزوج وأنجب ورأس موظفين وموظفات أن يبكى كلما غلبته مشاعره؟ولكى أعينك على أن تفتيني بالرأي السليم سأشرح لك ظروفي.

فأقول لك أنني تفتحت للحياة فوجدت نفسى يتيم الأب أعيش مع أمى وأختين فى إحدى المدن الصغيرة، يرعانا خالي الذى يقيم فى البيت المجاور لنا وأخ أكبر يعمل موظفا فى القاهرة ولا يزورنا إلا فى الأجازات الصيفية.ورغم غيابه عنا فلقد كان نجم العائلة الذى لا تُرد كلمته فى شأن من الشئون، والمثل الأعلى لى ولشقيقتى الإثنتين.

أما عند خالى فقد كان "الأستاذ" الذى أنهى تعليمه واغترب وتوظف واستحق احترام الآخرين.ولم يكن لأخي الأكبر دور يذكر فى المسئولية المادية عنا فلقد كنا نعيش على معاش أبى وريع قطعة أرض صغيرة. ولم يقلل ذلك من حبنا واحترامنا له لأننا نشأنا على احترام الكبير مهما كان وضعه بيننا، وكانت ظروف حيانا تضطرنا إلى التقشف الشديد وتحرمني من كثير مما أحتاجه,

فكنت أتحمل ظروفي بصبر .. وكنت أقضى العام الدراسي كله ببنطلون واحد وقميص واحد، وأقضى الشتاء ببلوفر أثرى قديم، وحين بلغت المرحلة الثانوية ونما جسمي أصبحت أرتدى ملابس أخى القديمة مهما كان حجمها، وأتحمل سخرية السفهاء من زملائي حين يرون الجاكته التى أرتديها تتدلى تحت ركبتي.وهكذا عشت حياتي حتى حصلت على الثانوية العامة,

وآن الآوان للإلحاق بالجامعة فى العاصمة، وكان أخي عازبا لم يتزوج وقد تحسنت ظروفه المالية وأصبح يركب سيارة صغيرة، فبت أحلم باليوم الذى سأنتقل فيه للإقامة معه فى شقته وأعيش حياته الراقية، ففوجئت بمجلس العائلة يجتمع ويبلغني بأني علىّ أن أبحث لنفسي عن سكن بجوار الكلية التى سألتحق بها لأن شقة أخي لن تتسع لى بحجة إنها بعيدة عن الكلية.وفهمت أن أخى لا يريدني أن أقيم معه لأسباب قدرها هو،ولم أعترض لكنى أحسست بشئ من المرارة.

وشددت الرحال إلى المدينة الواسعة وطفت بشوارعها بحثا عن سكن حتى عثرت على حجره فى بيت خراب بلا مياه ولا كهرباء واتفقت مع اثنين من زملائي على الإقامة فيه واقتسام إيجارها وتكاليف المعيشة فيها، وبدأت حياتي الجامعية وكلى أمل وتفاؤل وواجهت حياة الغربة وحيداً فى المدينة الكبيرة.

وبعد أسبوع توجهت لزيارة شقيقي فى مسكنه الراقي لأقضى يوم الجمعة وأتمتع بدخول الحمام وتناول وجبه طعام شهية، فاستقبلني بفتور وطلب منى عدم زيارته لأن أصدقاءه يزورونه باستمرار وهو لا يريدني أن أختلط بهم حتى لا أنصرف عن دراستي !

وفهمت أنى غير مرغوب فى ظهوري فى عالمه الخاص،وتألمت داخلي ومع ذلك لم أفقد حبي أو احترامي له. وعدت إلى الشقة مهموماً، وسألني شريكاي عما فعلت مع أخي وماذا أكلت عنده، فرويت لهما قصة خيالية عن فرحته بى حين رآني وكيف عانقني وكيف تغدينا طعاماً شهياً وكيف قدمني لأصدقائه من كبار الموظفين، لكن القصة لم تنطل على أقربهما منى فانتهز فرصة غياب شريكنا الثالث فى المطبخ وسألني عما بى .. فلم أستطع أن أمنع دموعي وأنا أروى له القصة الحقيقية .. ومنذ ذلك اليوم لم أزر شقيقي فى مسكنه حتى تخرجت، وكان هو خلال سنوات الدراسة يزورني مرة كل شهرين فيأتي بسيارته ويتركها فى أول الحارة .. ثم يدخل متأففا من رائحة المجارى التى تنبعث من البيت والشقة,

ويرفض شرب الشاي ويمضى معنا عدة دقائق يسألنا خلالها عن دراستنا كأنه ناظر يفتش فصلا ويسأل تلاميذه عن دروسهم .. ثم ينصرف مودعا منا بالإجلال والإكبار. وعلى هذا الحال مضت حياتي حتى تخرجت وبيعت قطعة الأرض الصغيرة لإتمام زواج شقيقتي .. واحتفظ خالى بما تبقى من ثمنها ليوزعه بالعدل بيني وبين شقيقي عند زواجنا وبدأت أبحث عن عمل.

وبعد شهور جاءني خطاب القوى العاملة وعملت بإحدى المؤسسات، وعمل زميلاي فى الشقة المتواضعة، فقررنا أن نبحث عن شقة أفضل نسبياً، وتمكنا بعد شهور من الانتقال إلى شقة بها ماء وكهرباء وخرجنا إلى سطح الأرض من الحجر الذى عشنا فيه ٦ سنوات.

وكنت فى عامي الأخير بالكلية قد ارتبطت بزميلة لى ظللت عاميين طويلين أنظر إليها فى صمت وأرجوها لنفسي بغير أن أجرؤ على مفاتحتها بمشاعري، إلى أن بادرتنى هى فى العام الثالث وشجعتني على مصارحتها وتعاهدنا على الزواج وتركزت أحلامي حولها، فخففت عنى كثيراً من متاعب حياتي. وبعد أن عملت بدأت تطالبني بالتقدم لخطبتها ونظرت فوجدت نفسي شاباً فى الرابعة والعشرين وأعمل .. فلماذا لا أتجرأ على مفاتحة أهلي فى أمر زواجي الذى لن يتم قبل أن أعوام وحدثت أمى وخالى وشقيقتى فرحبوا جميعاً.

ثم جاءت المهمة الصعبة وهى نيل موافقة أخى الكبير الذى لن تتم خطوة بغيرة، فكتبت له رسالة طويلة وطلبت منه فى نهايتها مباركته لمشروع زواجي ، وكان حرجى الوحيد فى الأمر هو أنه كان قد بلغ الثامنة والثلاثين ولم يتزوج، لأنه يؤمن بأن الإنسان لا يصح له أن يتزوج إلا بعد أن "يكوّن" نفسه ويقيم بنيانه كاملا، وتركت الرسالة له فى صندوق بريده وانتظرت أياما فى قلق بالغ أن يفاجئني بزيارته ويحاسبني حساب الملكين قبل أن يعلن موافقته لكن الأيام مضت ولم يزرني.

ثم فوجئت به يدعونني لمقابلته فى شقته فذهبت إليه وجلست مترقباً ما سيقول فإذا به يفاتحني بأنه قد قرر أن يتزوج لأن العمر قد تأخر به، وأنه سوف يحتاج إلى كل ما بقى من ثمن الأرض لأنه سيتزوج فتاة من أسرة كبيرة ويطلب "رأيى" فى ذلك .. فأحسست بغصة فى حلقي وكتمت مشاعري ولم أستطع إلى أن أقول له: ألف مبروك، وفهمت الإشارة بغير حاجه لشرح طويل .. أنه يقول لى إصرف نظراً عن موضوع الزواج وسأتزوج أنا بدلا منك ولن تنال شيئاً من النقود قبل ٥ أو ٦ سنوات وإن شئت فلن أعطيك منها شيئاً لأني أستحق نصيبك بما ساعدت به الأسرة خلال فترة تعليمك.

وعدت إلى مسكني مهزوماً .. واتصلت بى فتاتى تتعجلني فأبلغتها عجزي وأحللتها من عهدها معى .. فتركتنى ساخطة وتزوج أخى سيدة مطلقة ولها بنت ومن أسرة ثرية .. وبالغ فى الإنفاق على الزواج ليظهر فى مستوى لائق بأسرتها، ولم أشكِ أنا لأحد وواصلت حياتي البسيطة .. وبعد عامين تزوج شريكا السكن وغادرا الشقة وبقيت فيها أعانى متاعب الوحدة وحياة الغربة، وأنجب أخى طفلة وطفلا وسافر عدة سنوات ثم عاد,

وبلغت أنا الثانية والثلاثين وثقلت على حياة الوحدة .. وشكوت لأمي متاعبى وطالبتها بأن تبحث لى عن فتاة مناسبة ترضى بإمكاناتي المحدودة وشقتي المتواضعة. كنت فى حالة يأس من كل شئ فأردت أن أتزوج من أى إنسانة تقبل بى وفى حدود مدخراتي الصغيرة وشجع أخي هذا الاتجاه وطالبني بأن أتزوج فتاة من أسرة بسيطة لكى تقتنع بالحياة معى، لأن زوجته الثرية قد استنزفت ماله بإنفاقها وإسرافها مع حرصها الشديد على ألا تنفق قرشاً من مالها بحجة أن ابنتها أحق به...!

وتزوجت بلا حب من فتاة من معارف الأسرة ، وبدأت حياتي معها من الدنيا وعرفت الاستقرار لأول مرة بعد ١٤ عاماً من الوحدة والاغتراب.

وبدأ أخى يزورني فى شقتي المتواضعة كثيراً ويمضى معى الأمسيات ويرحب بدعوتى له للعشاء، وبدأ يصارحني بمتاعبه مع زوجته وأنانيتها وكبريائها وثوراتها العصبية المستمرة، وقال لى ذات مرة أنه لا يحس بالراحة الحقيقية إلا فى بيتى البسيط هذا، وإنه كان يتمنى لو تزوج من أول فتاة أحبها وعاش معها حياة سعيدة بسيطة كحياتى .. ووجدت الدموع تنهمر من عينى وهو يرقبنى بدهشة.

فشقيقى يشكو لى من زوجته الثرية التى لم يسعد معها، والتى حرمنى بسببها من الإرتباط بمن أحببتها، وحكم على بأن أتزوج ممن لم أحبها .. ولم أستطيع أن أحبها لجفاء طبعها وجمودها وفتورها، وإن كنت أتحمل حياتى معها راضياً .. وبدلا من أن أنقم عليه وجدت نفسى تفيض عطفا وإشفاقا عليه، وهو الذى لم يشعرني يوماً بأي عطف علىّ,

وأصبحت أكثر من السؤال عنه ومن دعوته لزيارتي وأزوره للإطمئنان عليه وأتحمل كبرياء زوجته وأنفتها من أجله، بل ولا أشكو من ذلك لأي أحد حتى لزوجتي، وسافرت فى مهمة عمل إلى الخارج فحرصت على أن أعود محملاً بالهدايا له ولزوجته ولإبنتها بالرغم من أنه قضى فى الخارج ٤ سنوات ولم يفكر فى إهدائي شيئاً .. ولم أنقطع عن زيارته حتى بعد أن أهانت زوجته ذات مرة زوجتي بلا سبب، وخاصمت كل منهما الأخرى للأبد ..

ثم جاءت فرصة للعمل فى الخارج فشجعني أخي قبولها وسافرت لمده أعوام عدت بعدها وقد جمعت مدخرات بسيطة، لكن الله بارك فيها فزادت ونمت ، وقد عرض علىّ أبناء خالي أن أشترى بيتهم المتهدم بعد أن هجروه لأنهم فى حاجه إلى ثمنه للزواج، فلم تمضى سنوات حتى تضاعفت قيمته وجاءني من اشتراه بعشرة أمثال سعره....

واستقرت أحوالي المادية والحمد لله وكبر أبنائي وترقيت فى عملي، وإن كانت زوجتي قد بقيت على فتور مشاعرها وجمودها وخصامها لى بسبب وبغير سبب، وإنتظارها منى دائما أن أبدأ أنا بالصلح بحجة أننى الرجل .. وأن الرجل هو الذى لابد أن يبدأ. ثم فوجئت ذات يوم بفتاتي الأولى تزورني فى مكتبي وقد إزدادت جمالا على جمالها القديم,

وشكت لى من أن زوجها قد هاجر منذ ٦ سنوات إلى أمريكا، ويرفض اصطحابها معه .. ولا يزورها إلا لمدة ٣ أسابيع كل سنه، وإنها تتحمل وحدها مسئولية تربية ولدها وطفلتها ، فتدفق الينبوع القديم فى داخلي لكنى أوقفته عند حده، ولم أستجب لها حين دعتنى بعد ذلك إلى أحياء حبنا القديم,

وقلت لنفسى أن زمن المغامرات قد انقضى،وما أنا بقادر على أن أتخلى عن إلتزاماتى تجاه أولادى وأتزوجها، ولا انا أستطيع أن أتقبل الخيانة .. أو أحرض زوجة عليها مهما كنت راغبا فيها، فصمدت لمشاعرى القديمة ورفضت مجاراتها فى رغبتها أن تحصل على الطلاق للهجر وتتزوجني وتحملت أنا هذه العاصفة الداخلية وحدي، ولم أصارح أحداً بها حتى الآن فإنعكست على سلوكي وإكتئابي.

ثم زرت أخى ذات يوم بغير موعد سابق ففوجئت بأصوات عالية صادرة من شقته فدخلت منزعجاً، فإذا بزوجته فى إحدى ثوراتها تنهال على أخى بكلمات قارصة مهينة أمامى .. وعزّ على أن أرى مثلى الأعلى يتعرض للإقامة فهتفت بها أن تحافظ على كرامته أمام أخيه الأصغر .. فإذا بها تواصل إنفجاراتها لاعنة الأكبر والأصغر على السواء فصفعها أخى .. وإزدادت هى هياجاً وكانت فضيحة رقدت بعدها يومين مريضاً بسبب إنفعالى ، وغبت عن العمل وامتنعت بعدها عن زيارته ولم أبح لزوجتى بما حدث وكتمته فى صدري.

ويبدو يا سيدى أن المصائب لا تأتى فرادى كما يقول المثل العربى فبعدها بأيام افتعلت زوجتي أزمة جديدة بلا أى سبب وهجرت البيت إلى بيت أبيها .. فتحملت وحدى رعاية الولدين لمدة أسبوعين حتى طاوعتنى نفسى على الذهاب إليها وأعدتها .. فعادت، وعدت وأنا أحس أننا نتقدم معاً فى طريق مسدود ! ورغم ذلك لا أشكو منها ولم أشك منها أبداً حتى لأحد من أهلى أو أصدقائى ..

وبعد هذه الأزمة بأيام أصبت بإغماء فى العمل واستدعوا لى الطبيب فأكتشف إصابتي بمرض السكر .. ولم أنزعج لذلك كثيراً لأنى مؤمن بالله وبدأت العلاج والالتزام بنظام غذائي معين، وبعد عدة أسابيع أجرى لى فحوصا عديدة وانتهى إلى أنه قد طاف بى طائف آخر من مرض جديد يتطلب نظاماً غذائياً أكثر قسوة ويحرمني من معظم أنواع الأطعمة ومن أشياء أخرى كثيرة، فتقبلت قضائي أيضا صابراً وراضيا، ولم أصارح أحدا بمرضى الجديد ..

وأصبح طعامي الآن أقل رفاهية حتى من طعامي أيام التقشف والحرمان .. فكأنى بالحرمان بدأت .. وإلى الحرمان الأشد أعود، مع الحرص الشديد على عدم إجهاد نفسى رعاية للمرض الحديث الذى أرجو ألا تشير إليه والحمد لله من قبل ومن بعد ...

وأنا الآن يا سيدى لا أشكو لك مرضى ولا حرمانى ولا إفتقادى للدفء العاطفي فى حياتي الزوجية، لكنى أشكو لك شيئا آخر هو أنى قد أصبحت كثير البكاء رغم أنى بلغت الخامسة والأربعين من العمر وزوج وأب ورئيس عمل لا أفتقد الحزم وحسن الإدارة فى عملى.

فإذا ما زارني أخي الأكبر ذات مساء ولاحظت عليه سهومه وإكتئابه وشكا لى من حياته، سالت دموعي لفترة طويلة حتى أصبح هو يتجنب أن يحكي عن متاعبه.

وإذا زارتني شقيقتاى أو زرتهما قابلتهما بالدموع تسح منى كأنى طفل صغير، وإذا شكت لى إحداهما من زوجها جاوبتها دموعي قبل أن يجيبها عقلى وحكمتى، وإذا علمت أن أمى مريضة بكيت طويلا أمام ولدى الصغيرين. وإذا شاهدت موقفا فى تمثيلية تليفزيونية يقسو فيه أخ على أخيه أو يختصمان ثم يصطلحان أبكى بغزارة، حتى أصبحت أتجنب رؤية معظم التمثيليات. وفى معظم الليالي أجلس وحيدا فى شرفتي وأتذكر بعض مشاهد حياتى فأجد الدموع تنساب منى بلا وعى .. وزاد من المشكلة أن زوجتي لا تحترم دموعي .. فهى إما أن تسخر منى فأحس بالخجل والضيق .. وإما أن تثور علىّ وتتهمي بأنى غير راضى عن حياتي معها وأحب غيرها وأريد التخلص منها .. وقد تؤلمنى بعبارة أو أخرى من نوع "ما تروح تتجوز وتريحنى" فأقول لنفسى صامتاً أين المفر من هذا الكرب داخلي وحولي ؟ ..

أننى أسألك هل بكائى هذا حالة طبيعية أم إنه عرض لمرض نفسى علىّ أن أبدأ بعلاجه .. وهل هو عيب حقاً أن يبكى الرجل كما تقول لى زوجتى .. وماذا أفعل لكى أعيش فى سلام .. وأنا أحترم الجميع وأحب الجميع وأتحمل حتى الإساءة من أقرب الناس إلى بلا شكوى .. ودائما أحرص على مجاملة أهلي وأقاربي وأصدقائي حتى وإن لم يجاملوني ! هل عندك تفسير لحالتى هذه ؟.

ولكاتبة هـذه الرسـالة أقـــول :

ليس أقسى على الإنسان من فجعيته فى نفسه وفى أحلامه، وأنت يا صديقى قد سُلبت منك أحلامك ولم تكافح جدياً للدفاع عنها، وأحسست دائماً أنك لا تنال من الآخرين بقدر ما تعطيهم.

ولأنك من أصحاب المثل العليا الذى يلتزمون بالسلوك القويم فى حياتهم وينفرون من الخطأ والإثم والرذيلة ويتوقون دائما إلى النقاء والبراءة والحق والخير، فأنت لا تستطيع إلا أن تمضى فى طريقك كما أنت، ولا تستطيع

أن تفكر فى سعادتك الخاصة على حساب تعاسة ولديك وزوجتك، ولا تستطيع أن تعامل من قسا عليك بمثل ما كنت تتمنى أن تعامله به.

ومشكلة أمثالك هى أنهم بقدر حرصهم على ألا يحرجوا مشاعر الآخرين، فإنهم يتألمون لأية إساءة تنالهم منهم، ويتوقعون دائما أن يحرص عليهم الآخرون كما يحرصون هم عليهم، لهذا تتأذى نفوسهم من أى لفتة عابرة قد تؤذى غيرهم، ويميلون عادة إلى كتمان إنفعلاتهم ومشاعرهم كما تفعل أنت، فيحاول أن يتخلص منها بإسقاطها إلى دائرة اللاوعي .. فتستقر فيه حينا، ثم تعود للظهور فى أشكال مختلفة كنوبة بكاء بلا سبب مباشر يستحق البكاء .. أو فى إحساس بالإكتئاب والضيق بلا سبب مفهوم .. أو فى مرض عضوي له أسباب واضحة أو غيرها من الأشكال.

وفى ظنى أن إستشعارك لقسوة أخيك القديمة عليك ووقوفة فى طريق تحقيق حلم زواجك ممن أحببتها، مازال عاملاً مؤثراً فى شخصيتك وفى علاقتك به حتى الآن. ذلك أنك حين أصبحت قادراً على أن تحمى نفسك من ظلمه لك وعلى معاملته معاملة الند للند ،فوجئت بهذا الصرح الكبير فى خيالك يتحول إلى شخص لا يتسحق إلا رثاءك له. وتحولت رغبتك الداخلية فى الإنتصاف لنفسك منه إلى إشفاق عليه وإلى ضغط آخر يضاف إلى ضغوطك الأخرى,

فكأنما كان عبئا نفسيا عليك فى سطوته وبطشه وعبئا مماثلا فى ضعفه وتعاسته، فحاول أن تصفح عما فعل بك صفحا حقيقيا كما صفحت دائما عن كل من آذوك .. لأنك فى حقيقة الأمر لم تغفر له فى اعماقك قسوته الماضية عليك .. ولست ألومك فى ذلك ، لكنى أطالبك فقط بألا تسمح للمرارة منه بأن تعيش داخلك للأبد .. ولعل فى حالتك هذه ما يدعو الآخرين إلى أن يرحموا ضعفاءهم من مثل هذه القسوة التى تحفر آثارها فى شخصية الإنسان إلى آخر العمر.

فالقسوة ليست فقط هى القسوة الجسدية وإنما هناك نوع أشد ضراوة هو القسوة العقلية أو الذهنية التى يؤلم فيها الإنسان الآخرين بتصرفاته معهم وبأنانيته بغير أن يمد إليهم يدا بالإيذاء أو يكويهم بالنار. والمحاكم الأمريكية على سبيل المثال تعتبر القسوة العقلية مبررا كافيا للطلاق وتحكم بمقتضاها...فلماذا تعذب الآخرين وفى أيدينا إذا إحتكمنا إلى العدل والضمائر أن ندعهم يعيشون حياتهم سعداء وأن نحيا نحن أيضا إلى جوارهم سعداء؟ إن نصيحتى الوحيدة لك بعد ذلك هى ألا تكتم مشاعرك داخلك وحدك.

فالنفس إناء إذا ضاق بما فيه انفجر، وأنت اعتدت إن تختزن آلامك وتضيف إليها آلام غيرك،فتعلم أن تشرك الآخرين معك فى آلامك وأن تشكو لمن تصطفيهم منهم مما يثقل على صدرك .. وتعلم أن تشكو لأخيك أيضا كما يشكو لك هو، بل ولا مانع من أن تعاتبه عما بدر منه تجاهك فى الزمان الأول لتصفو نفسك تماما من المرارة وتخلص مشاعرك له تماما، فأيسر على النفس أن تبدى رأيك فيما لا تقبله من أن تتكتمه ثم تخلو إلى نفسك فتجتره وحيداً وتزداد وطأته عليك.

أما دموعك فلا عيب فيها...فهى تنفيس عن كل آلامك ومعاناتك ،وهى دموع الصمت التى تعبر عما لا ينطق به لسانك.

وأنت يا صديقى لديك مخزون من الذكريات المؤلمة والإحباطات تساعد حساسيتك المفرطة على إسترجاعها فى كل حين.، فلا تخجل من دموعك .. فإنما يبكى أصحاب النفوس الشفيفة التى لم تحجرها ضغوط الحياة ومازلت تهفو لعالم لا يتألم فيه الإنسان..ولا يقسو فيه أحد على أحد ...

فإبك إذا أردت حتى تستشفى و انهر زوجتك إذا سخرت منك، وأدع لها الله أن يمنحها بعض رقتك وحساسيتك وشمائلك الطيبة الخيرة، وطمئنها إلى أن مثلك لا يختار سعادته على حساب سعادة غيره، لأن نفسه قد طُبعت على التضحية لإسعاد الآخرين ... حتى ولو شقى بهم ...

أما عن مرضك الآخر ... فهو ليس مستعصى الشفاء، وهو فى رأيى ليس أخطر أدوائك، فكتمانك لمشاعرك وآلامك دائما قد يعرضّك إذا أستمر لما هو أقسى منه لا قدر الله ... فإنج بنفسك يا سيدى من شبح الإكتئاب وتلفت حولك تجد فى ولديك وفى بعض وجوه حياتك الأخرى ما يمسح عنك آلامك واسعد بما أتيح لك من أسباب ،فليس أحق بالسعادة ممن عرف الشقاء ... وليس أحق براحة القلب والنفس ممن لا يتمنى للآخرين إلا كل هناء مثلك...مع تمنياتى لك بالصحة وسعادة القلب والروح معا بإذن الله.

==

فن الحياة !

أنا سيدة في التاسعة والعشرين من عمري، بدأت قصتي مع الحياة حين بلغت سن الرابعة عشرة من عمري وشببت عن الطوق قبل الأوان كما يقولون فجاء من يقطف زهرة صباي قبل أن أتنسم عبيرها، ويطلب يدي من أبي في هذه السن الصغيرة لسببين هما جمالي الملحوظ .. وفقري الشديد وقلة حيلتي ..

فأبي موظف بسيط ينوء كاهله بأسرة من ٥ بنات .. ومرتبه لا يكاد يكفي لإطعامها خبزاً فقط والأسرة تدخر بالسنوات لكي نشتري أسمالاً تستر أجسادنا الضئيلة لهذا بدا هذا الزواج وكأنه ليلة القدر لأبي وتم الزواج سريعاً وقطعت دراستي وكنت وقتها طالبة بالمدرسة الإعدادية وتنفست أسرتي الصعداء لكن فرحتها لم تطل فقد أغلق زوجي سامحه الله الأبواب في وجه أسرتي ملتمساً في البداية الأعذار..

ثم ناهراً وآمراً بقطع كل الصلات مع أسرتي الفقيرة، فوجدت نفسي فجأة وأنا في سن الخامسة عشرة أو تزيد وحيدة في بيت زوجي ومغتربة عن أهلي وليس بيني وبينهم سوى بضعة كيلو مترات تفصل ما بين الفقر الشديد في بيت أسرتي وفي الحي الشعبي الذي تعيش فيه ، وبين البيوت العامرة بالغنى والثراء في الحي الذي أقيم فيه مع زوجي..

ووجدت نفسي مغلوبة على أمري فاستسلمت لمصيري وتعلمت في وحدتي "وغربتي" في هذا العالم الغريب الصبر فكان أول دروس الحياة التي تعلمتها الصمت فكان سلاحي في دفع الأذى عني .. وتعلمت ما هو أهم من ذلك الصلاة والابتهال إلى الله ليل نهار أن يمدني بالعون والمساعدة والقدرة على تحمل الألم.

وكان علي أن أقوم بخدمة زوجي صباحاً ومساء وفي الأسحار وأحياناً حتى صباح اليوم التالي صابرة محتسبة آملة في الله أن يعوضني عن صبري خيراً، واستمرت حياتي على هذا المنوال ٤ سنوات طويلة وأنا شبه محرومة من أهلي ومن أنس صحبة شقيقاتي وصديقاتي، حتى أنني كنت أفتقد أحياناً ملاعب صباي وذكريات طفولتي فلا أجد سوى الدمع أروح به عما في صدري بيني وبين نفسي بعيداً عن أنظار زوجي الذي يجب أن أبدو أمامه دائماً باسمة سعيدة حتى ولو كانت ابتسامتي حزينة.

وبعد ٤ سنوات بدأ زوجي يتململ من عدم الإنجاب وعقم حياتنا الزوجية.. فذهب بي إلى الطبيب ليجري لي الفحوص والإشاعات ويكتشف أنني أحمل رحم طفلة لا يزيد عمرها عن ٣ سنوات ولا يقوى على الامتلاء والحمل فكانت صدمة شديدة بالنسبة له لأنه كما قال لي لم يحصل بذلك على حقه كاملاً من الزواج وهو الإنجاب، أما بالنسبة لي فلم أستوعب الأمر ولم أهتم له فقد كنت فتاة في الثامنة عشرة وليس إلى جانبي أم أستشيرها ولا صديقات يشرحن لي الأمر، وهكذا لم يجد جديد في حياتي.. فالحياة ماضية كما هي وحدة.. واغتراب.. وطاعة عمياء لزوجي وصبر وصمت واستعداد لقبول كل شيء لكنه يبدو أنني لم أكن أشعر بما حولي،

لأني فوجئت ذات يوم بزوجي بلا مقدمات ولا سابق إنذار يسحبني من يدي أي والله هكذا إلى مكتب المأذون ويطلب مني أمامه أن أتنازل عن كل شيء لي عنده حتى عن ملابسي، ووجدت نفسي أوافق على كل ما طلب مني بلا معارضة وماذا كنت أستطيع أن أفعل يا سيدي وأنا ضعيفة وحيدة بلا أب أو أم يقفان إلى جواري في هذه اللحظة الصعبة، فوقعت على ما طلب مني التوقيع عليه،

ووقفت في انتظار الخروج لا أعرف كيف أعود إلى بيت أبي حتى تفضل الرجل الذي قطف زهرة صباي بإعادتي إلى بيت أبي.. فعدت إليه كما خرجت منه بلا حقيبة ملابس وأصدقك القول يا سيدي أنني رغم عودتي إلى الحرمان والحياة المتقشفة الصعبة إلا أنني أحسست بالألفة التي افتقدتها في ذلك البيت الموحش الصامت طوال ٤ سنوات، وإن كنت لا أنكر أني تألمت لحالي وسنوات عمري التي ضاعت هباء فأصبح الحزن يكسو ملامحي وعدت إلى دراستي التي قطعتها،

وبعد بضعة شهور دعينا إلى حضور زفاف إحدى فتيات الأسرة فقابلت في الفرح شاباً تنبئ ملامحه لأول وهلة بالطيبة والخلق فصافحته بين من صافحت من المدعوين وصافحني، ولم نتبادل أكثر من كلمات التحية العابرة ثم انتهى الفرح وعدت إلى بيتي، فإذا بهذا الشاب يجيء في اليوم التالي لمقابلة أبي ويطلب منه يدي وبعد أن سأل عني طوال الليلة السابقة كل من يعرفنا أثناء الفرح وقابله أبي بترحاب لكنه كان قد تعلم الدرس فتردد في الموافقة على استعجال الزواج وصارح هذا الشاب بحقيقة مشكلتي في الإنجاب،

وطلب منه عدم التسرع وعدم الإقدام على الزواج إلا بعد أن يتأكد تماماً من حقيقة مشاعره ومن استعداده لتقبل هذا العجز، وقبل الشاب رغبة أبي في تأجيل الزفاف وبدأ يتردد علينا.. وبدأت أحس تجاهه بمشاعر فياضة، وكعادة الخطيبين سألته ذات يوم ماذا شد انتباهه إلي فأجابني على الفور بأنها مسحة الحزن والاستكانة التي استقرت فوق ملامحي!

فقلت لنفسي.. وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم.. فلقد ربطت بيننا هذه المسحة التي كرهتها من قبل وكانت السر في لقائنا وتمسك خطيبي بإتمام الزفاف فتزوجنا بعد عام من الخطبة وهاجرت معه إلى البلد العربي الذي يعمل فيه، وشتان ما بين الهجرتين، ففي الأولى كنت في نفس المدينة على بعد خطوات من أسرتي وبيني وبينهم سدود وجبال من تكبر زوجي واستعلائه عليهم ونفوره منهم وفي الثانية كنت على بعد آلاف الأميال منهم لكنهم أقرب إلي من أي وقت مضى فزوجي رجل فاضل يعرف ربه حق المعرفة فلم يقطع ما بيني وبين أسرتي ولم يحاول أن يضع سداً بين فقرهم ويسر حياته

وإنما تواضع لله وشكره فأعطاه من فضله الكثير وكان دخولي إلى بيته فاتحة خير له فاتسعت أعماله بدرجة مذهلة، وخلال سنوات قليلة أصبح في مصاف كبار رجال الأعمال بل ومن أصحاب الملايين وكلما زاده الله من فضله ازداد شكراً لله وتواضعاً له ورقة معي والتصاقاً بي واهتماماً ورعاية لي، فأعانني على تزويج شقيقاتي كلهن وأكرم أبي وأمي أكرمه الله وقمنا بحج بيت الله جميعاً أكثر من سبع مرات. ولم يفقد الأمل يوماً في علاجي فطاف بي أنحاء العالم طلباً للشفاء..

وبدأ العلاج يؤتي ثماره بعد تلك السنوات الطويلة فأصبح لي رحم أنثى كاملة لكني لم أستطع الإنجاب لأنني أحمل أنبوبتين مسدودتين، فجاءنا الأمل بعد ٥ سنوات في عملية الإنجاب عن طريق طفل الأنابيب، فقمت بإجرائها لأول مرة في لندن وفشلت وعدنا إلى البلد الذي نقيم فيه ففوجئنا بافتتاح قسم فيه لأطفال الأنابيب فكنا أول من

ذهب إليه، وخلال ٥ سنوات قمت بإجراء هذه العملية إحدى عشرة مرة كانت أكثرها نجاحاً هي المرة التي عاش فيها الجنين داخل رحمي ٥ أسابيع فقط..

وفشلت جميعها لكننا لم نفقد الأمل في الله أبداً وسوف أقوم بالعملية رقم ١٢ في أواخر أبريل القادم رغم ما أعانيه من آلام لا تعرفها سوى من قامت بإجراء هذه العملية من تناول جرعات الهرمون المتزايد، ومن آلام العمليات الجراحية التي يحصلون بها على البويضات، وأعدك يا سيدي إذا نجحت هذه العملية أن أبلغك بذلك وإن لم تنجح فأنا وزوجي من الصابرين الشاكرين.. وقد أكرمني الله بزوجي.. وعوضني عما لقيت من زواجي الأول من آلام .. وفي حياتي السابقة من عناء فلنشكر الله دائماً.. ولنطلب منه دائماً أن يشملنا بعطفه ورعايته والسلام عليكم ورحمة الله.

و لكاتبة هذه الرسالة أقول:

تلقيت هذه الرسالة ضمن رسائل أخرى تعلق على رسالة سابقة نشرتها منذ فترة بعنوان "زائر الصباح" للمهندس الذي فقد وليده بعد رحلة عناء طويلة مع الأمل في الإنجاب ولأني كنت قد نشرت رسالة منذ أسبوعين تعليقاً عليها فلقد اعتزمت ألا أنشر رسائل أخرى حول نفس القصة لننتقل معاً إلى هموم الحياة الأخرى وما أكثرها لكني بعد قراءة هذه الرسالة لم أستطع مقاومة نشرها ليس فقط تلبية لرغبة كاتبتها في نقل تجربتها للمهندس ومواساته، وإنما أيضاً لما ترويه من تجربة إنسانية تضيف إلى خبرتنا بالحياة الجديد، فلقد شد انتباهي إليها ما تنبض به من صدق إنساني فريد يجعل منها قطعة أخرى من أدب الحياة الذي يطلعنا فيه أصحابه على قصصهم مع الحياة لنتعلم منهم دروس التجربة وعبرتها.

أما أنت يا سيدتي فلقد زادتني رسالتك اقتناعاً بما أؤمن به دائماً من أن أصحاب النفوس الراضية لا خوف عليهم مما قست عليهم بعض ظروف الحياة، لأنهم يواجهون شدائدها بهذه النظرة المتسامحة التي تغفر للحياة كل ما يلاقونه فيها من آلام وينتظرون بصبر لا يكل حظهم العادل من السعادة وهو ما عبرت عنه أنت في رسالتك بالاستسلام لما لا حيلة لك فيه وقبوله برضا واستكانة فأنت رغم جفاف حياتك قبل الزواج الأول والثاني لم تكوني ساخطة على ظروف أسرتك بل مشفقة عليها منها، وفي سنوات زواجك الأول الموحشة الكئيبة لم تكوني ساخطة عليها حتى وأنت تعانين مرارة الوحدة والصمت والاغتراب النفسي والحرمان الظالم من الأهل.

وإنما كنت مشفقة على نفسك.. وصابرة على البلاء ولا تفكرين في هدم عشك طلباً لحقك العادل في حياة سعيدة وأنت يا سيدتي رغم ما تعانين منه الآن بسبب مشاكل عدم الإنجاب لست ساخطة على حرمانك منه ولا على ما تلاقين من عناء شديد في سبيل تحقيقه وإنما تتقبلين أقدارك برضا ولا تقصرين في حق نفسك، فتجرين وراء الأمل مرة ومرات حتى بلغت ١١ مرة عدا ما تحملت في كل منها أشد الآلام وأشد العناء بصبر ورضا وسوف تقدمين على المحاولة الثانية عشرة وسوف تشكرين إن نجحت وتصبرين إن فشلت وأصحاب النفوس الراضية من أمثالك يدافع الله عنهم حين لا يحسنون هم الدفاع عن أنفسهم، لذلك فقد أقدم زوجك الأول على هدم عشك وقسا عليك واستلبك حقوقك.

ولولا أنه قد تسرع فهدم خلية النحل لربما ظل يرشف رحيق العسل حتى الآن، ولما هيأ الله لك هذا الزوج الفاضل الذي يعرف حقوق ربه فيرعاك ولا يقطع رحمك ويكون لك ولأسرتك عوناً وسنداً في الحياة ولا عجب في ذلك فمن تركز في رسالتها وهي الآن زوجة لأحد أصحاب الملايين على وصف فقر أسرتها وقلة حيلتها، وفضل زوجها في مساعدتها،

لابد أن تكون من هذا النوع من النساء اللاتي قال عنهن سليمان الحكيم في أمثاله: "امرأة فاضلة من يجدها فإن ثمنها يفوق اللآلئ" ولابد أن تكون إنسانة أصيلة حسنة الطوية، لم يغير منها الثراء المفاجئ.. ولم يدر رأسها كما يفعل ببعض الحمقى الذين يفقدهم فتات الدنيا اتزانهم ويفسد صلاتهم بالآخرين أتدرين يا سيدتي أين هو السر في كل ذلك..

إن السر هو أنك حققت لنفسك ما يجهد الكثيرون أنفسهم للوصول إليه بلا فائدة وهو طمأنينة القلب والرضا دائماً بالواقع وطمأنينة النفس لا تتأتى إلا بتقبل الحقيقة مهما كانت مؤلمة، لأن تقبل الواقع هو الخطوة الأولى دائماً للتغلب على الصعاب ومواجهتها فعسى أن يمن عليك ربك بما يحقق لك آمالك في الحياة وعسى أن تسعدني الظروف بأن أتلقى منك البشرى بنجاح العملية الجديدة بأمر ربك إن شاء الله وفي كل الأحوال فإن قيمة الحياة هي في أن نحياها وأن نحيا كل ساعة منها ونتقبل منها كل شيء، إذا كنا لا نملك تغييره ولست في حاجة لأن أذكرك بذلك لأنك "أستاذة" بحق في فن الحياة والرضا بالواقع، والشكر لله على ما أعطى.. وما سوف يعطي بفضل منه ورضوان إن شاء الله.

==

رسالة (الجائزة الثانية)..النكد الزوجي

أنا يا سيدي رجل في السادسة والأربعين من عمري أشغل وظيفة في الأبحاث الفنية حيث يتطلب عملي إيجاد حلول للمشاكل الفنية مما يستدعي التفكير والتركيز وإجراء عشرات التجارب وأجد متعتي في هذا العمل وأحقق فيه نجاحا طيبا والحمد لله .. لكني عاجز عن إيجاد حل لمشكلتي الشخصية مع زوجتي التي تصغرني بعشرة

أعوام .. فرغم أني أحب أسرتي ولا أخرج إلا معها ومع أولادي ودائما أذهب بهم إلى المصايف والنزهات ..فهي لا تشاركني مشاكلي وحياتي واهتماماتي ولا تتحدث معي إلا نادرا ..!
وبالرغم من ارتفاع أسهم جمال وجهها الذي كان يشرق بالبسمة والمرح قبل الزواج وبعده وحتى إنجاب الأطفال، فإنها دائما عابسة مكفهرة الوجه
وصوتها عال مع كل من تتحدث معه سواء كنت أنا أو رئيسها في العمل ودائمة الشجار مع الأبناء " في الفاضي والمليان " ولا تأخذ الأمور بالمرح ..وتحول أبسط الأمور إلى مشاجرة بالضجيج والتشنج والعصبية ولا تتسامر معي أو تؤنس وحدتي أو تخفف عني متاعب العمل والتفكير ، فإذا خرجنا لزيارة عائلية لأحد أقاربنا نعود فلانا " الذي كان في الجلسة ثقيل الدم وكان يردد كلاما يقصدها به ، أو لأن فلانة صافحت " فتتشاجر معي لأن الجميع ما عداها وتطلب مني أن أرد لها حقها وأتشاجر مع من تظن أنه يقصدها بكلامه وإلا كنت مقصرا في حقها ومتخاذلا ولا أحميها ، ثم تغلق على نفسها باب الحجرة ولا تكلم أحدا ولا تأكل ولا تشرب وتترك لي رعاية الأولاد ..بل وأحيانا تترك البيت بلا نظافة وبلا طهي للطعام سواء للأبناء أم لي عدة أيام فيبدو وكأنه بيت مهجور وتظل مرتدية له يومين ليلا ونهارا مع أن ثمنه لا يقل عن بل وأحيانا أيضا تنام بنفس " الفستان " الذي خرجت به مائتي جنيه ، ثم قد ترميه بعد ذلك بلا اكتراث وهكذا كل شيء في البيت تستطيع الاستغناء عنه بلا تفكير ، فأحيانا تهدي فستانها الجديد لإحدى صديقاتها .. وأحيانا تهدي الغسالة القديمة أو البانيو القديم لأي أحد بحجة أنها أشياء قديمة وتزحم البيت .
فإذا حصلت على أجازة واصطحبتها مع الأولاد إلى أحد المصايف أملا في أن نقضي بعض الأيام السعيدة أجدها محتملة يوما أو بضعة أيام .. ثم ترتد إلى النكد والعبوس والصياح الذي يصل إلى التشنج في بعض الأحيان فلا أكمل الأجازة وأعود قبل انتهائها .
وكثيرا ما نصحتها وطلبت منها أن تريحني وأن نتفاهم في كل شيء وأوضح لها الخطأ والصواب وكثيرا ما واجهتها أمام أهلها بما تفعل بلا فائدة .. ولا أجد مفرا سوى تركها على ما هي عليه والصبر عليها لأني لا أريد أن أضحي بمستقبل أولادي فأصبر لعل الله يهديها أو يحكم بيننا بالحق في الدنيا أو الآخرة لكني أضيق يا سيدي بما أحتمل في بعض الأحيان ..
وأجد نفسي بعد انتهاء عملي وبعد عناء يوم طويل غير راغب في العودة للبيت الذي لا أجد فيه راحتي ولا أجد فيه من يستقبلني ويسامرني ويشعرني بأن لي زوجة تشاركني الحياة إذ كثيرا ما تركتني أنام وأنا غاضب عليها ..
وكثيرا ما تركت البيت إلى العمل وأنا غاضب من أفعالها مما عرضني أكثر من مرة لبعض الحوادث بسبب قيادتي للسيارة وأنا مغتم ومهموم ولا أكاد أرى الطريق من سوء أفعالها ..فهي دائما نكدية وغير مهتمة بنفسها وغير نظيفة رغم جمالها وغير عابئة بأي شيء فلا حنان ولا مودة ولا مشاركة ..وهي إذا أرادت شيئا ولم أنفذه لها تظل ثائرة غاضبة وصوتها عال وإذا فتحت الراديو فالصوت عال وكل اهتمامها مركز في مشاهدة الفيديو .
إن جمال زوجتي يا سيدي لم يعد يساوي عندي شيئا .. ولم أعد أحس به أو أراه لأنه يختفي تحت قبح الطباع .. ودوام النكد والعبوس .. وأرجو ألا تتصور أني مقصر في حقها .. فالحق أنني مثالي معها ومع الأبناء وآخذ الأمور بالحزم وأحيانا باللين وفي معظم الأحيان بالصبر .
لكن زوجتي لا تشعر بالمسئولية رغم أنها حاصلة على الماجستير وقد نصحتها مرارا وشكوت لها متاعبي معها فكان ردها علي هو أن أتزوج لكي أرى الفارق بينها وبين غيرها لأنها – ولا تعجب – تعتبر نفسها " مثالية " مع أني لست أول من يحكم عليها بغير ذلك وليس لها صديقات سوى اثنتين فقط ، ولقد بدأ تركيزي في عملي يتأثر من هموم هذه الزوجة بماذا تنصحني أن أفعل معها .. هل أسرحها بإحسان بما أعانيه !
إنني أخشى أن أفعل ليس حبا فيها وإنما حرصا على أولادي فماذا أفعل ؟
(ولكاتبة هـذه الرسـالة أقـــول (رد الكاتب عبد الوهاب مطاوع
مأساة بعض الزوجات أنهن يحفرن قبور سعادتهن الزوجية بالتدريج بسلسلة من حفرات النكد الصغيرة التي تبدو تافهة في البداية ..ثم تنهدم الجدران الهشة بين الحفر الصغيرة ذات يوم فتتحول فجأة إلى هوة سحيقة تفصل بين الزوجين حتى ليتعذر عليهما بعد ذلك الاتصال والاستمرار .. ومن هنا تأتي خطورة هذا الرصيد المتزايد من حفر النكد التي تحفرها بعض الزوجات وبعض الأزواج لشركاء الحياة ..فالنكد هو أمضى سلاح لقتل الحب والسعادة ،. وهو الذي دفع كاتبا عظيما كتولستوي إلى أن يتسلل من بيته ذات ليلة شتاء ممطرة وهو في الثامنة والثمانين من عمره ليهيم على وجهه فرارا من زوجته البشعة ولكي يعثروا عليه بعد ١١ يوما ميتا بالالتهاب الرئوي في محطة مهجورة للسكة الحديد ثم فيما بعد تعترف زوجته لابنتيها بأنها قتلت أباهما بالنكد .. فيؤمنان على اعترافها الخطير .. بعد فوات الأوان .
وهو أيضا الذي دفع الفيلسوف الإغريقي لأن ينصح مريده قائلا له تزوج يا ولدي فأنت الفائز في الحالين فإن كانت زوجتك طيبة عشت سعيدا ... وإن كانت سيئة ..تعلمت الحكمة وصرت فيلسوفا !
ويبدو أن أقدار بعض بعض الأزواج والزوجات هي أن يتعلموا الحكمة حرصا على مصلحة أبنائهم وعلى حساب سعادتهم وهنائهم معظم سنوات العمر لكن الحرص على سعادة الأبناء ينبغي أن يكون من ناحية أخرى حرصا

متبادلا من الطرفين .. فإذا افتقده طرف ولم يرع الله فيهم كان حرص الآخر على استمرار الحياة من أجلهم إلى ما لا نهاية تنازلا مستمرا يغريه بالتمادي والاستهتار ...

لهذا يحتاج الإنسان أحيانا إلى أن يحس بالخطر لكي يدافع عن حياته ومملكته بإعادة النظر في أمره ومراجعة تصرفاته والتقدم من الطرف الآخر خطوات لكي يتواصل اللقاء ولا تتسع الهوة باستمرار بينهما .. وأغلب ظني أن زوجتك في حاجة إلى شيء من هذا " الخوف " البناء الذي يدفع الإنسان لأن يبادل الآخرين حرصهم عليه بحرصه عليهم ولو أوتيت زوجتك البصيرة لفهمت مغزى حديثك المرير عن جمالها الذي لم يعد يساوي شيئا عندك ولم تعد تحس به .. لأن الجمال فعلا هو جمال الروح والطبع وليس جمال التماثيل الجامدة التي لا روح فيها ولا إيناس ... ولأن المرأة الجميلة تفقد جمالها في اللحظة التي يعلو فيها صوتها بالشجار والتشنج والإيلام ولا تشك أنك كنت تحبها حبا كبيرا ما زالت بعض بقاياه مستقرة في قلبك .. لكن إدمانها للنكد والتشنج وإهمالها لحقوقك كاد ينزع من قلبك ما بقي لها من رصيد فيه .. لأن النكد هو فعلا قاتل الحب والسعادة وليس شيء آخر ، فأنذرها يا صديقي بأنك لن تستطيع أن تحتمل الحياة معها على هذا النحو إلى مالا نهاية .. وقاوم ضعفك تجاهها .. واهجرها بغير أن تغادر البيت .. ثم دعها لنفسها لفترة تعيد التفكير في الأمر لعلها تفيق وتتذكر واجباتها تجاه أبنائها وتجاهك وتجاه ربها ... فإن استمرت في غيها ..ولم تشأ أنت – غير ملوم وتقديرا لمصلحة أبنائك - أن تفصل ما بينك وبينها .. فواصل الصبر والاحتمال من أجلهم لعلهم يعرفون لك ذلك ذات يوم وفز في هذه الحالة بالجائزة الثانية من جائزتي الزواج وتعلم الحكمة على حساب راحة القلب ... والأمر لله !

==

رساله (السجن)..أضاع المال الحرام أولادي وصحتي

عملت ممرضة عند طبيب طيب القلب مدة عشرين عاما، وكان لا يشك في أخلاقي، إلا أنني كنت أسرق باستمرار من درج مكتبه مبالغ كبيرة، كان لا يشعر بها، واستطعت من هذه الأموال شراء شقة في أحد الأحياء الشعبية بمبلغ ٣٠ ألف جنيه، كما استطعت أن أضع في دفتر التوفير ما يعادل هذا المبلغ، ورزقني الله بولد وبنت، ثم توفي زوجي، وأتقن ابني فن السباكة واستأجرت له محلا، واشتهر في الحي بأنه سباك ممتاز، أما البنت فتخرجت في المدرسة المتوسطة ولم أرغب في خروجها للعمل لميسور حالنا، وزوجت ابني وأنفقت في مشروع زواجه وإنشاء محله نصف ما ادخرته

وفي يوم من الأيام أصيب ابني ببحة في صوته وترددنا علي الأطباء لنكتشف أنه مصاب بسرطان الحنجرة، وتعذب ابني عاما كاملا من عمليات وعلاج بالأشعة، وتوفي بعد هذا العذاب الشديد، واستولت زوجته علي محله وأمواله بعدما أنفقت أنا كل ما ادخرته في أثناء رحلة علاجه، أما ابنتي فتزوجت بعد وفاة أخيها بخمسة أعوام، ولأني بقيت بعد زواجها في منزلي وحيدة فقد عملت للشبابيك والباب أسياخا حديدية لتأمين المنزل، وأصبت بمرض نفسي يحتاج للعلاج والتردد علي الأطباء النفسيين

وبسبب هذا المرض تبرأت ابنتي مني وطردتني من علي سلم بيتها، وألزم بيتي وحيدة لا أنام طوال الليل من الحزن والخوف والمرض النفسي، وأنظر حولي فإذا بيتي كالسجن تماما له باب وشبابيك حديد، وليس فيه عفش، فأنا أنام علي الأرض.

هكذا ياسيدي أضاع المال الحرام أولادي وصحتي، وتسبب في دخولي سجن أسسته أنا بنفسي، أرسل لك الرسالة ليقرأها قراؤك، ولتكون عبرة لمن يعتبر.

رد الكاتب:

سيدتي.. أوقن تماما أنك نادمة علي ما فعلت، ولست في حاجة مني إلي تفسير لماذا حدث ذلك، ولكن دعيني } أذكرك وأذكر نفسي وأصدقائي من قراء بريد الجمعة بأن المال خادم جيد، لكنه سيد فاسد، فإذا استعبد إنسانا أهلكه، وإذا آمنا بأن أحدا منا لن يموت قبل أن يستوفي رزقه، وسيطارده حتي يدركه كما يدركه الموت، ما اقترب من مال حرام، وهنا أتذكر تفسيرا لأحد علمائنا بأن اللص عندما يسرق يحصل علي رزقه، وكان سيحصل عليه بالحلال، لكنه تعجل وجناه حراما، وأتذكر أيضا قول الشاعر الحسين بن المطير الأسدي:

فلا تقرب الأمر الحرام فإن

حلاوته تفني ويبقي مريرها

تلك المرارة هي التي ورثتها ياسيدتي، بفقدك لابنك، وعقوق ابنتك التي نبتت في أحضانك من مال حرام، ودخولك سجنك بكامل إرادتك، فما يكتسب بطريق غير مشروعة يضيع ويضيع صاحبه مهما طال به الزمن.

سيدتي.. أدعو الله لك بالمغفرة والعفو عنك، وأدعوك أن تتوجهي إلي الله بتوبتك، وتذهبي إلي الطبيب الذي كنت تعملين لديه، تطلبي عفوه ومسامحته، فهو له حق لديك وهو الذي يستطيع أن يتجاوز عنه ويغفر لك ما ارتكبته.

أما ابنتك العاقة فإني أدعوها إلي تأمل ما ألم بك، لتفهم أنها ستشرب من نفس الكأس التي تذيقك إياها الآن، وأنها ترتكب معصية كبري، وواحدة من الكبائر بعقوقها وقسوتها عليك، فهل تفيق قبل أن تندم في وقت لا يجدي فيه الندم.

==

رسالة(دماء الندم)..أنت معاك القمر، مالك ومال النجوم.

سيدي.. أنا سيدة في بداية الثلاثينيات، كنت متزوجة، وكان لي ابن وابنة!.. نشأت في أسرة مكونة من أب ميسور الحال، يشغل مركزا مرموقا، ولكنه للأسف الشديد، لم يكن يمثل لنا شيئا غير واجهة اجتماعية أمام الناس، بالإضافة إلي تحمل مسئولية الإنفاق علي البيت بالطبع.. أما أمي فقد كانت هي صاحبة الكلمة الأولي والأخيرة علينا، وعلي أبي، ولا أعرف لماذا.. قد يكون لأن شخصيتها قوية، ومتعجرفة، ومغرورة!

كان لي أخ يكبرني بعامين، وأخت تصغرني بثلاثة أعوام، ومنذ صغرنا سيدي ونحن لانعرف غير أهل أمي، نزورهم، ويزورونا، أما أهل أبي فلا نعرفهم، ولا نراهم سوي في المناسبات البعيدة جدا، وكنا نسأل أمي عن ذلك، فتقول لنا: إنهم طمعانين في أبيكم، ولا يعرفونه إلا لطلب الأموال، أو لطلب مصلحة، أو خدمة، وكانت دائما تردد جملة لاتفارق لسانها: أنا معايا القمر، مالي أنا ومال النجوم بمعني أن معها أبي، فلماذا تهتم بأهله؟!

كبرنا علي ذلك، والتحقت بالجامعة، وتقدم لخطبتي صديق أخي.. طبيب شاب، له مستقبل كبير، وكان حسب تعبيره هيموت من أجل الارتباط بي، فقد كنت حلم حياته.. فهو من أسرة بسيطة، والده رجل مكافح، تعب حتي أصبح ابنه دكتور أد الدنيا، مثلما كان يقول، وهو وحيد علي بنات ثلاث، علي وشك الزواج.. ووافقت علي الخطبة، أنا وأبي، بعد موافقة أمي بالطبع، وتم الزفاف بعد أن نفذ زوجي كل طلبات أمي، من شبكة وشقة وأثاث!!

سيدي.. منذ اليوم الأول لزواجي، حاولت أن أبعد زوجي عن أهله، فكنت أشعر بأنهم ناس بسطاء جدا، ميشرفوش في أي مناسبة، مثلما كانت تقول أمي، فكنت أقابلهم بفتور عندما يزورونا، حتي لايكرروا الزيارة، بينما كنت أتبادل الزيارات يوميا مع أهلي، وكان زوجي يرافقني فيها بكل حب وكرم.. وقد كنت أتحجج عندما يطلب مني الذهاب معه لزيارة أهله، مع أني لم أسمع، أو أر منهم أي سوء طوال فترة زواجي، أو بعدها، وكنت أقول ذلك لأمي، فكانت تردد جملتها الشهيرة: أنت معاك القمر، مالك ومال النجوم، فأهله طمعانين فيه، ويريدون منه الانفاق عليهم!!

رزقني الله ببنت وولد، ولا أستطيع أن أصف لك سيدي مدي سعادة زوجي بهما، فكان يقول لي دائما إنهما كل حياته، وروحه متعلقة بهما، ولا يتحمل فراقهما، ولو ساعة واحدة... وفي يوم من أيام شهر رمضان طلب مني زوجي أن أجهز إفطارا، لأن أخته وخطيبها، ووالديه سيحضرون معه لتناول الإفطار عندنا، وكنت حينها سمعت أن زوجي هو الذي سيتولي مصاريف جهاز أخته، فوالده لايمكنه تحمل هذه المصاريف، وعندما حضروا قبل الإفطار بساعة، فوجئ زوجي بأنني لم أجهز أي طعام للإفطار، فأصيب بحرج شديد، وعلي الفور طلب إفطارا من أحد المطاعم، ولم يشعرهم بشيء، وتظاهر بأني مريضة، وتناولوا الإفطار، ثم انصرفوا، ودخل علي زوجي حجرتي، وهو ثائر جدا، وتشاجر معي، وقال لي كيف أضعه في هذا الموقف المحرج، وأخبرني أنه تحملني كثيرا، ولكن عند الإهانة لم تعد لديه طاقة.. أخبرته بما سمعته عن تحمله نفقات جهاز أخته، فتخيلت أنه سينكر، ولكني وجدته يقول لي نعم.. إني أنفق علي أهلي، وسوف أجهز أختي، ليس هي فقط، بل اخواتي الثلاث، فقد تعب والدي حتي أصبح هكذا، ولن أتخلي عنه في يوم من الأيام حتي لو خلعت هدومي، وأعطيتها له.. لم أتمالك نفسي ساعتها، وتطاولت عليه، فصفعني علي وجهي، وأحسست أن الأرض تنهار من تحتي، صعقت لما حدث منه، فقد كان كالبركان الثائر، أخذت أولادي، وتركت البيت، وذهبت إلي منزل أمي!!

كالمعتاد، ثارت أمي، وتوعدته بالويل، والبهدلة لما فعله معي، ولكن زوجي عندما هدأت أعصابه حضر إلي، واعتذر، وطلب مني العودة، فما كان من أمي إلا أن أعطته الواجب وزيادة، فأعطاني فرصة للتفكير، فطلبت منه أمي كتابة قطعة أرض ملكه باسمي، وأن يضع باسمي مبلغا في البنك.. و... و... و، فرفض زوجي الاستبداد بهذه الصورة، وطلب مني ألا نشرك أحدا في مشاكلنا، ولكني عاندت، وركبت رأسي، وازدادت المشاكل، وطلبت الطلاق، فرفض.. فألححت في الطلب، ثم سعيت لرفع قضية خلع، وما إن علم بذلك، حتي أسرع وطلقني في هدوء، وترك لي الشقة وأعطاني مؤخر الصداق، والنفقة، وكل مستحقاتي وزيادة، واشتطت أنا غضبا، فكيف يطلقني وأنا اللي كان هيموت عليها، كيف يطلق بنت الحسب والنسب، أين الحب، والأولاد؟! لم أكن أتخيل أن يملك الجرأة يوما ليفعلها!.. حرمته من رؤية ولديه، وأنا أعرف أنهما نقطة ضعفه، وبعد معاناة منه، وفشله في كل المحاولات، حكمت له المحكمة برؤيتهما يوما في الأسبوع بالنادي، فكنت أتعمد فعل أي شيء لكي أمنعهم عن رؤيته!!

ظللنا سيدي علي هذه الحال، حتي علمت أنه علي وشك خطبة طبيبة، وأستاذة معه في الجامعة، فقامت ثورتي، وذهبت له في عمله، وتطاولت عليه، فقال لي إنه كان يحبني وانني الذي أضعت هذا الحب من قلبه، حتي أصبح الآن لا يطيق رؤيتي، لما أفعله معه، ولما سببته له من فضائح، تركته وانصرفت بعد أن أحسست أني قد فقدت حبه واحترامه، إلي أن جاء اليوم الموعود!!

في يوم عيد ميلاد ابني دق جرس الباب، فوجدته هو، وقد حمل هدية لابني بين يديه، فرفضت دخوله، ومنعته من رؤية طفليه، وصاح أخي وهم بالسماح له بالدخول، إلا أنه لم يصمد أمام إصرارنا، أنا وأمي، علي طرده وتوبيخه، وبكي ساعتها ابناي، وطلبا الذهاب مع أبيهما فأدخلتهما حجرتهما، وطردته، فخرج، وترك هدية ابنه،

وهو يقول: حسبي الله ونعم الوكيل، لقد أردت أن تكون هذه آخر محاولة معك، ولكنك كما أنت، ولا ندم علي أي شيء أفعله بعد ذلك، وبعد أن خرج تشاجر أخي معي أنا وأمي، وأثناء الشجار دخل ابني البلكونة دون أن ندري، ونادي علي أبيه، وما إن نظر إليه أبوه، إلا واختل توازنه، وسقط من الدور الرابع، وصدمنا نحن بصوت الارتطام والصياح في الشارع!!

هرولنا للبلكونة، فوجدت ابني علي الأرض ينزف دما من كل جسده، فأسرعت إلي أسفل، ولا أعلم حتي الآن كيف حملتني ساقاي حتي نزلت علي السلم، فوجدت زوجي يفترش الأرض، وابني في حضنه، وكل ملابسه ملطخة بالدماء!! أسرعنا في سيارة يقودها أحد الجيران، إلي أقرب مستشفي، ولكن بعد دقائق فارق ابني الحياة، وليس هناك كلمات تصف لك هذه اللحظات بل الساعات التي عشناها، فلم يستوقفني عن حزني وشرودي، سوي مشهد زوجي وهو ساجد علي الأرض في المستشفي يدعو ربه أن يلهمه الصبر!!

مرت الأيام سيدي، وأنا لا أدري ما حدث، فقد كنت في عالم آخر، ولكني علمت أن زوجي ترك عمله، وأغلق عيادته، وأطلق لحيته، واعتزل الناس، وتدهورت صحته، وكره الدنيا ومن فيها، حاولت أن أقابله، ولكنه رفض..

أما ابنتي فمنذ حادث أخيها لا تطيق النظر في وجهي، ولا تريد رؤية أبيها، فهي تعيش الآن عند خالها، وتقول لي: أنت السبب ياماما في موت أخي، أنا بأكرهك، وبأكره بابا وتيته، والناس كلها!!

سيدي.. أنا مستعدة الآن لتقبيل رجل زوجي، ليصفح عني، لا بغرض أن يعيدني إليه، ولكن ليسامحني علي ما فعلت معه، فكفي عقاب الله لي، وحرماني من ابني وقرة عيني أمام عيني، بهذه الطريقة التي لن تمحي من ذاكرتي طوال الدهر... أرجو أن يسامحني زوجي من أجل ابنتي التي انهارت، وكل يوم صحتها إلي الأسوأ، ولا أستطيع تحمل فقدها هي الأخري، فأنا أنزف بدلا من الدموع دما، وأحزان الدنيا كلها لاتكفيني، وسأظل مسكونة بالندم طوال عمري، وسامح الله أمي، فقد كانت هي السبب!!

* سيدتي.. أقاوم بكل ما أوتيت من قوة مشاعري الغاضبة والموجوعة تجاهك أنت ووالدتك بسبب هذا المشهد الدامي والموقف العصيب الذي ذهب بطفل ليس له أي ذنب سوي أنه كان يحب أباه كما كان يحبك.. ولكني سأحاول أن أنحي مشاعري الباكية جانبا، لأنه إذا كان هذا هو حالي لمجرد أن قرأت رسالتك، فكيف يكون حالك وأنت أمه، ففي الوقت الذي تستحقين فيه اللوم والعتاب علينا أن نقدم العزاء والدعاء لك بالصبر علي الابتلاء الذي ذهبت إليه بكامل إرادتك، بسبب الغرور والعناد والأنانية كما قلت في رسالتك.

نعم سيدتي تربيتك الخاطئة لها دور كبير فيما وصلت إليه، ولكن الركون دائما إلي سوء التربية يجعلنا نتجاهل أهم ميزة رزقنا بها الله وهي العقل، فإذا لم تتبيني الخطأ من الصواب في صغرك، فكيف يمكن قبول كل هذا الخطأ وأنت كبيرة وناضجة بما يكفي لتمييز ما هو حسن وما هو قبيح.

لم يكن الخطأ في نظرية والدتك الغريبة فقط، بعزل والدك عن أسرته، مستندة إلي منطق غريب، طالما القمر معي فما جدوي النجوم، متناسية أن القمر يغيب ويختفي وتصبح النجوم هي بطل السماء، ولا يستقيم جمال القمر وبهاؤه بدون النجوم التي تحيط به وتصنع له الهالة والقيمة والفارق.

لم تفهم والدتك ــ كما يفعل مثلها الكثيرون ــ أن الله عندما ميز زوجها وجعله مسئولا، فهذا تكليف حتي يلبي طلب السائلين من أهله ومن غيرهم، وأن الانسان عندما يبخل بما ميزه الله يذهب بنعمته ويجعله من السائلين فأي الأمرين أفضل. لذلك أقول لك إن الخطأ أيضا يقع علي والدك ــ ومن مثله من الأزواج والآباء ــ فقد فرط في قوامته ولم يمارس حق رجولته في أن يعيد والدتك إلي صوابها ويصلح اعوجاجها، مما زادها في طغيانها.

لاتجعلي التربية تكئة لكل مخطئ، فأخوك لقي نفس التربية ولكنه رفض سلوككما واعترض عليه ولكنكما لم تفيقا أو تستجيبا.

سيدتي.. كلماتي الآن ليست لك فقط ــ ولكنها لكل زوجة يغرها عنادها وطيبة زوجها، فتنكر عليه أصالته وبره بأسرته، فإذا لم يفعل كيف ستأمنينه عليك وعلي أبنائك. وكيف تطالبين ابنا بارا نجح والده البسيط في أن يجعله أستاذا جامعيا، وهذا بالطبع قد يكون علي حساب شقيقاته، أن يتنكر لهن ويحرمهن مما أكرمه به الله.

كم كانت تلك النهاية قاسية ومؤلمة لكل الأطراف. عصفوركم ينزف أمام عيونكم ويموت في حضن أبيه المشتاق إليه، المتعاطف معه. وها هي سيارة الفراق تجمعكم في أصعب لحظة مميتة في حياتكم بعد أن رفضت أن تجمعكم بالحب والسكينة والمودة والرحمة.

سيدتي.. لا أستطيع أن أقول لك شيئا، فيكفيك ما بك، أنت الآن تعرفين جيدا حجم خطئك وتعيشين أياما صعبة ادعو الله أن يهونها عليك ويمنحك الصبر والسكينة، وأعتقد أن والدتك الآن فهمت وإن كان متأخرا كيف جنت عليك، ولكن الذي يجب أن أحادثه هو هذا الأب المكلوم في ابنه لأني أحس بما يعانيه الآن، ولكني اختلف معه فيما وصل إليه. فلا أحد يستطيع إنكار الحزن والاحباط عليه، أما اعتزال الحياة وإغلاق العيادة الخاصة والغياب عن ابنته جريمة لاتليق بمن له مثل هذا الخلق العظيم.

سيدي.. ما حدث لابنك قدر محسوم ومحدد منذ مولده، وما كان الله يخطئ أبدا قدره علينا، فابنك مات في موعده وهو الآن شفيع لك في الجنة مع الشهداء، فهل تحزن لما هو فيه، لما يتمناه أي إنسان لمن يحب؟

فإذا سلمنا بأنك تعلم أين استقر فلذة كبدك، فهل هناك أفضل مما هو فيه؟

ماذنب أسرتك إذن وهي تعتمد عليك في الكثير الذي تستحقه منك؟ وما ذنب تلاميذك ومرضاك لتحرمهم من علمك الذي أكرمك الله به؟ وما ذنب ابنتك البريئة حتي تعيش معذبة في مرحلة هي أحوج ما تكون فيها إلي حنانك واحتوائك وعقلك؟

سيدي.. لن أطالبك بأن تعود إلي زوجتك النادمة الباكية دما فقد يكون هذا صعبا عليك، وإن فعلت فستكون من العافين عن الناس، الله يقبل التوبة ويغفر لعباده التائبين، فلماذا لا نحاول نحن؟ أعرف أنه صعب ولكنه يتوقف علي قدرة كل إنسان، فقد يكون هذا القرار لصالح طفلة لم تجن ذنبا، ولن يسعدك أن تدفع ثمن أخطاء لم ترتكبها. فإذا لم تستطع فليس أمامك إلا أن تنفض عنك غبار الحزن وتستعين بالله ليمنحك الصبر فتعود إلي عملك، وتضم ابنتك في حضنك وتصالحها علي ما تخاصمت معه، قربها إليك وأخبرها أنك عفوت عن أمها.

سيدي.. أثق في حكمتك وإيمانك وادعو الله أن يعينك علي ما أصابك، وأتمني أن تطمئننا علي عودتك إلي كل أحبابك، وعودة طفلتك إلي حضنك الدافئ.. ولك كل المحبة، والدعوات الصادقة بالصبر للأم الثكلي.. وإلي لقاء بإذن الله.

==

.رسالة (الصبر الجميل).رد زوج صاحبة دماء الندم

بعد التحية والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

لعلك تتذكرني فأنا الطرف الثاني من قصة

دماء الندم

فأولا أشكر سيادتك والسادة القراء الذين تقدموا بواجب العزاء من خلال بريدكم الموقر، فوددت أن اطمئنك، كما طلبت مني في نهاية ردك علي صاحبة الرسالة ومعذرة أني تأخرت، فكان السبب هو إجراء جراحة في القلب فجأة، وهي تغيير شرايين بالرغم من انني لم أعان من أي مشكلة بالقلب من قبل، ولكن الحمد لله علي كل شيء.... فأنا يا سيدي لست بأفضل من رسول الله صلي الله عليه وسلم الذي فقد ابناءه الذكور، وهو راض وشاكر لله، وكما ذكر أحد قرائك المشكورين في تعليقه علي الرسالة أن النبي محمد عليه أفضل الصلاة والسلام عندما ذهب ليدفن ابنه إبراهيم نظر للجبل، وقال له لو أن بك ما بي لهدك... فحقا يا سيدي ما أفظع وأبشع احساس فقد الابن عفاكم الله جميعا وحفظ لكم ابناءكم فأنا أعلم جيدا أنه قدر ومشيئة الله سبحانه وتعالي، وأنه مقدر لابني ان يموت في ميعاده، فتعددت الأسباب والموت واحد، ولكن احساسي بأنه مات بسبب أنه يحبني، ويريد ألا افارقه، وهو ينادي استنني يا بابا فهذه كانت آخر جملة اسمعها منه، إنه عذاب الضمير ووسوسة الشيطان، فكنت أعاقب نفسي، وأقول ياليتني ما ذهبت في ذلك اليوم.. لو لم أذهب ما كان حدث هذا.. لو لم اترك البيت وأنصرف ما كان ذهب للبلكون لكي ينادي علي استنني يا بابا، فكنت باستطاعتي أن أتمهل، وأحاول مرة ومرات، ولو كنت من البداية استسلمت وتهاونت ما كان حدث كل هذا، ولم يمت أبني، وأعود سريعا، وأستغفر الله العظيم، وأتوضأ وأصلي شكرا لله، وأطلب منه الصبر والمغفرة، وأن أقابل ابني في جنات النعيم بإذن الله الغفور الكريم..

أما عن زوجتي السابقة، فأدعو الله لها بأن يصبرها علي ما ألم بها ويعوضها عنه خيرا، فلقد زارتني في المستشفي في اثناء مرضي، وأشكرها لذلك كثيرا ونتقابل معا كل جمعة عند قبر ابني رحمة الله عليه مصادفة، فهي تعلم جيدا ما بي، وتقدر ذلك، وأنا أشفق عليها مما هي فيه، فلا ألومها الآن، ولكن أنصح كل سيدة وفتاة مقبلة علي الزواج أن تتقي الله في زوجها إذا كان يتقي الله فيها، ويعاملها معاملة الإسلام، فالزواج مودة ورحمة والرحمة منها صلة الرحم، فكيف تأمن زوجها عليها، وهو قاطع لرحمه وناكر لفضل ابيه وأمه، وهو أيضا كيف يأتمنها علي بيته، وهي قاطعة رحمها وناكرة لفضل أبيها وأمها، فوالدي تعب وضحي بالكثير من أجلي أنا وأخواتي البنات حتي تخرجن كلهن من كليات القمة، فاسمح لي أن أعطي والدي ووالدتي واخواتي حقهم بعد وصفهم من خلال رسالة دماء الندم بأنهم ناس ميشرفوش فأي شرف هذا الذي تعنيه، فوالدي حفظه الله رجل تربوي قضي عمره مدرسا في مدرسة ثانوية تتلمذ علي يده أطباء ومهندسون، والجميع يقدرونه، ووالدتي سيدة مصرية من صعيد مصر، تعرف جيدا معني الزوج والأبناء وتقدس الحياة الزوجية، وتعرف حقوق ربها أما عن انفاقي علي اهلي، فهذا غير صحيح، ولو حدث فهو شرف لي، مهما انفقت من مالي وصحتي وعمري ووقتي، فلا يكفي ولكن انا أبر والدي، وبخصوص تحملي لنفقات جهاز اختي، فهذا ليس عيبا ولا حرجا، وأتمني لو كان لي عشر أخوات وأجهزهن أحسن جهاز مساعدة مع والدي مادمت لست مقصرا في واجباتي لدي زوجتي وبيتي، فالمسألة ليست هذه يا سيدي، ولكنها أشياء أخري، أشياء سيئة في النفوس والضمائر لماذا أصبحنا هكذا.. أدعو الله كثيرا أن يصلح أمرنا!

وأخيرا.. اشكرك علي كلامك الذي أثلج صدري، وكان كالبلسم لشفائي مما كنت فيه فكتبت لك اليوم لأطمئنك، كما طلبت مني وأشكر فضلك لاهتمامك وقولك للحق دائما واطمئنك أني تصالحت مع نفسي، وصالحت ابنتي علي نفسها، وأخبرتها أني عفوت عن أمها، وهي الآن تعيش مع أمها وتأتي لي وقتما تشاء واراها كل يوم، وهي الآن في تحسن مستمر، والحمد لله فهي مازالت صغيرة، ولكن تحملت فوق طاقتها، وعمرها الآن٦ سنوات

وأحمد ابني رحمة الله عليه توفي يوم عيد ميلاده الثالث، ولقد نويت بإذن الله تعالي أن أذهب لعمرة شهر رجب أنا وابنتي حتي تطمئن قلوبنا بزيارة بيت الله الحرام، وقبر النبي صلي الله عليه وسلم.
وأشكركم لسعة صدركم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
* المحرر: شكرا سيدي، فقد كنت أنتظر هذه الرسالة منذ زمن، لأني أب وأحس بمدي حزنك، وألمك علي فقد أعز وأغلي الناس... فالحمد لله الذي لا يحمد علي مكروه سواه، علي سلامتك، وعلي صبرك الجميل النبيل، وعلي عفوك عن زوجتك الجريحة... وما يطمئن قلبك أن لكما شفيعا في الجنات العلا بإذن الله، فهنيئا لكما به في مكان كلنا نصبوا إليه... وعمرة مقبولة بإذنه سبحانه وتعالي، ولا تنسونا ــ مع أصدقائنا في بريد الجمعة ــ في الدعاء

===

القذائف النارية

أنا شاب في التاسعة والعشرين من عمري أعمل بوظيفة جيدة بإحدي الدول العربية، وأنا الابن الوحيد لأب رحل عن الحياة منذ تسع سنوات، ولي٤ شقيقات تزوجت اثنتان منهن والأخريان في سن الشباب، ووالدتي علي قيد الحياة، ومشكلتي هي أنني قد اختارت لي أقداري أما متسلطة لأقصي درجات التسلط، وتعاني حب التملك والسيطرة وشراسة اللسان، ولقد كانت في وجود أبي تستمتع بتنغيص حياة فلذات أكبادها، وتمارس علينا ضغوطا رهيبة وتتلذذ باستثارة أبينا ضدنا فيقوم ـ رحمه الله ـ بعقابنا أشد العقاب دون تحقيق أو تمحيص، وكانت النتيجة أن خرجنا إلي الحياة فاقدي الثقة في أنفسنا وفي كل شيء ونعاني الاحساس بعدم الأمان، وبالخوف من المستقبل ومن الآخرين، وكان لي النصيب الأكبر من هذه الأحاسيس والمخاوف لأنني الابن الأكبر.
ولقد كان أبي يتحمل مسئوليته عن حياتنا بصعوبة لقلة دخله.. ولمعاناته المستمرة مع أمي وخلافاته اليومية معها التي كانت أمي تتجاوز فيها كل الحدود، وتطلق قذائفها النارية في كل اتجاه، ورحل أبي عن الحياة وأنا في عامي الجامعي الأخير، وسترنا الله حتي تخرجت في الجامعة، واصبحت وأنا في الواحدة والعشرين من عمري رب الأسرة المسئول عنها والزوج والابن والأخ لكل أفرادها، وخلت الدنيا من حول أمي ممن كانت تنغص عليه حياته كل يوم حتي اللحظة الأخيرة من عمره وهو أبي ولم تجد أمامها سواي فراحت تفرغ في كل طاقتها علي الشجار والعناد والخلاف، وبدأت المشاحنات والمشاجرات التي تنتهي دائما بإطلاق القذائف وصب اللعنات علي وعلي شقيقاتي بالرغم من تحملي لمسئولية البيت بالكامل وعدم تقصيري في أي شيء، حتي أصبح خروج أية شقيقة لي من بيتنا بالزواج إنقاذا لها من الجحيم الذي يعيش فيه اخوتها، وبعثا لها من جديد، ولقد خرجت اثنتان فودعتهما أمي بحفلات النكد والخصام واللعن والسباب في ليلة زفاف كل منهما.
أما أنا فلقد توزعت حياتي بين الكفاح من أجل الحفاظ علي كيان الأسرة وتجهيز البنات وبين بناء مستقبلي، وكان هاجسي الدائم هو من تكون تلك الانسانة التي يمكن أن تشاركني حياتي، وتتحمل أمي وقدرتها علي إشعال النار في قلب أكثر البشر برودا بقذائفها الملتهبة التي لا ينجو منها أحد؟ وبسبب هذا الهاجس الدائم عزمت عن الارتباط بأية فتاة خوفا من هذه المواجهة المرتقبة.
وبعد أن استقرت أحوالي المادية، وأمضيت عدة سنوات في الغربة بدأت أبحث عن هذه الانسانة النادرة التي يمكن أن تحقق لي المستحيل فترضيني، وتنجح في إرضاء أمي التي يعجز عن إرضائها بشر.
ثم تعرفت علي فتاة من نفس مستواي الاجتماعي واحببتها وتقدمت لخطبتها وتمت الخطبة وعدت لمقر عملي وكلي أمل في أن تحدث المعجزة ويتم الزواج، ولكن هيهات أن تخيب الهواجس والتوقعات، فلقد دبت الخلافات الشديدة، وراحت أمي تطلق سهامها المسمومة وتوقع بيني وبين خطيبتي بمنتهي الدهاء، وقوبل ذلك بردود فعل عنيفة من جانب خطيبتي وأسرتها، ونجحت أمي بذكائها وبغباء أسرة خطيبتي في الإجهاز علي الحلم الوليد، واستسلمت أنا لأقداري وعانيت طوال ستة أشهر الانهيار النفسي بغير أن ترحم أمي عذابي أو تقدر مشاعري، وكان يوم إرجاع أسرة خطيبتي للشبكة يوم فرح وسرور بالنسبة لها!
ثم بدأت في غربتي ووحدتي أشعر تجاه أمي بمشاعر سلبية كريهة، وتفجرت في داخلي مكامن الغضب المكبوتة في أعماقي طوال رحلة العمر، وشعرت بأنها قد دمرت حياتي بالرغم من رجائي لها ألا تتدخل فيها، وألا تسعي لتدميرها.. فكان أن دمرتها كما دمرت حياة شقيقاتي ومازالت، واذا بي أشعر برغبة جامحة في مقاطعة أمي مع استمراري في إرسال النقود اليها.. ونفذت هذه الرغبة الجامحة ولم أعد أكتب لها أي خطابات أو أتصل بها من غربتي تليفونيا وتولدت لدي رغبة في أن أحرمها مني كما حرمتني من سعادتي، ولست أقصد بذلك انني أريد العودة لخطيبتي التي تخلت عني بمنتهي السهولة، ولم تحاول الوقوف الي جانبي ومساندتي، وانما أقصد سعادتي التي ستظل تحرمني منها ممادمت مستمرة في أسلوبها معي ومع الجميع. إنني أعلم الآن أنك تنقم علي لهذه العبارات القاسية عن أمي لكني ضحية لظروف لا يد لي فيها.. كما أنني الآن في مرحلة شذوذ عاطفي قلبت حياتي رأسا علي عقب، وأشعر بحاجتي إلي من يشير علي وينصحني ماذا أفعل مع أمي التي لا هدف لها سوي إخضاعنا كأبناء لها وإذلالنا وتدمير معنوياتنا.. إنني أرجو ألا تنصحني بالصبر وانتظار الفرج لأني انتظره منذ وعيت للحياة ولم يأت ولن يأتي فماذا أفعل؟!
ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لو انني نشرت كل ما ذكرته في رسالتك الكريهة هذه عن والدتك لحق لك أن تتوقع مني ما هو أكثر من النقمة عليك لمشاعرك السلبية تجاهها.. لكنك علي أية حال تدرك أنك الآن في مرحلة شذوذ عاطفي وان هذا الشذوذ يعني الخروج علي المألوف من مشاعر الإنسان السوية، ومن شذوذ العواطف بالفعل أن يحمل الانسان مشاعر الكراهية لأمه أو أبيه أو شقيقه لأنها أحاسيس مضادة للفطرة التي فطره الله سبحانه وتعالي عليها. إذ قد يغضب المرء من أبيه أو أمه أو شقيقه أو أخته لبعض الوقت، وقد يأخذ علي أحدهم مايراه افتئاتا عليه أو تقصيرا في حقوقه أو إساءة له.. لكن هذا الغضب لا يتفاعل في أعماقه فيستحيل إلي كراهية متأصلة تجاه أحدهم أبدا وهيهات لإنسان ينطوي علي مثل هذا الإحساس البغيض تجاه أمه أو أبيه أو أحد أشقائه، أن يحيا حياة طبيعية، أو أن يكون قادرا علي حب الآخرين والعطاء لهم. فضلا عن أن الإنسان لايسعد بحياته أبدا وأعماقه تضطرم بمثل هذه المشاعر الكريهة تجاه من أمره الله بالرفق بهما ولو ظلماه كما هدانا إلي ذلك الهادي البشير صلوات الله وسلامه عليه.

لهذا فإنني لن أنصحك بالصبر علي ما تلاقيه من والدتك، ولا بانتظار الفرج الذي لا يعني للأسف في مفهومك سوي شيء أكثر بغضا، وإنما سأنصحك فقط بأن تكون إنسانا سويا يغضب من أمه أو يكره منها سلوكها وتصرفاتها لكنه لايكرهها هي نفسها أبدا ولو ظلمته ولا يقاطعها إنسانيا ولا يحرمها منه ردا علي ما يراه هو من وجهة نظره مسئوليتها في فشل ارتباطه بفتاة أراد الارتباط بها.

ونحن علي أية حال نستطيع أن نتعامل مع من لا مفر لنا من التعامل معهم بمشاعر الرحمة إن عجزنا عن التعامل معهم بمشاعر الحب، وبإحساس الإشفاق عليهم من شر أنفسهم، إن عجزنا عن التعامل معهم بإحساس الاعتزاز بهم، كما اننا نستطيع في آخر المطاف إن خلت قلوبنا حتي من الحب والرحمة والاشفاق، أن نتعامل معهم بحيادية في المشاعر، فنؤدي واجبنا تجاههم.. ونتفادي أشواكهم.. ونتحفظ في ابداء المشاعر السلبية تجاههم.. أما الإفاضة في الحديث عن المشاعر البغيضة تجاه من أمرنا الله بمحبتهم ورعايتهم والبر بهم فليس من الإيمان، ولا هو من الصحة النفسية في شيء.. ولقد أحسن الله بنا أن أعفانا من الحساب علي مشاعرنا السلبية تجاه الآخرين ما لم تتجاوز الصدور، وتتحول الي أفعال وتصرفات تسيء إليهم، فاعف نفسك أيها الشاب من هذا الإثم العظيم.. وصل والدتك كما كنت تصلها من قبل، وتعلم درس تجربتك السابقة في هذه الخطبة الفاشلة، وحاول أن تبدأ مشروعا جديدا للارتباط لا تدع فيه بذكائك أنت ثغرة لما تعتبره أنت ذكاء شريرا من جانب والدتك، لكي تفسده عليك..

ولسوف تتخلص من هذه المشاعر البغيضة تدريجيا مع تسليمك بشذوذها واستشعارك لخطورتها علي اتزانك النفسي، ولسوف يوفقك الله إلي فتاة تكون أكثر حيلة في مواجهة هذا الدهاء الذي تدعيه لوالدتك، فتصمد له وتتمسك بك، وينجح ارتباطك بها بإذن الله.

==

الفندق

أرجو ألا تتهمني أنت أيضا بالجنون أو تتفق مع رأى أمى فىّ، وهو أني كما تقول باحثة عن النكد والشقاء ولا ينفعني إلا أكل الحصرُم !

والقصة من البداية هي أنى سيدة عمري ٣٧ سنة أعمل بالتعليم ومتزوجة منذ ١٥ سنة من رجل فاضل، كان حين تقدم لخطبتي معيداً بنفس الكلية التى أدرس فيها، وتزوجنا بعد تخرجى مباشرة وكان كما عرفته خلال الخطبة رجلاً رائعا وحنونا ومهذباً وكريماً وميسوراً من الناحية المادية ، وفى صبيحة اليوم التالي لزفافي فتحت عينى وأنا مازلت فى الفراش فرأيت مشهدا من مشاهد الأفلام الغرامية التى طالما حلمت بها فى صباى .. فلقد رأيته واقفاً أمامي فى بيجامته الحرير حليق الذقن تفوح منه رائحة الكولونيا باسم الثغر .. ويحمل فى يده صينية الإفطار فضحكت فى سعادة، ووضع الصينية على الفراش بيننا وجلسنا نتناول الإفطار فى بهجة .. ثم نهض قبل أن أتحرك فحمل الصينية وذهب إلى المطبخ وأفرغ بواقي الأطباق وغسلها وغسل البراد والأكواب والشوك والسكاكين ووضعها بنظام فى أدراج المطبخ، فإزدادت سعادتي بهذا الزوج الرائع، وفرحت لأننا سوف نتعاون معاً في كل شيء من أعمال المطبخ والبيت إلى كل شئون الحياة، وبعد قليل إستقبلنا المهنئين، ففوجئت به يسرع أيضاً إلى المطبخ ويعد أكواب الشربات والشاي وفناجين القهوة ويقدمها للضيوف بسعادة فإزددت به إختيالاً .. وبعد إنصرافهم جمع كل الأواني فى المطبخ وقام بغسلها رافضاً أي مساعدة مني فى ذلك، ومؤكداً لي أنه لا يريد أن يتعبنى في أي شئ وتكرر ذلك فى المساء أيضاً، ومضت الأيام فى شهر العسل وأنا لا أفعل شيئا من شئون البيت...ولا أستطيع أن أفعل إذا أردت ، فهو يطهو الطعام بيديه، ويقوم بكل عمليات الطهو من غسل الخضر إلى إعداد اللحم وطهو الأرز إلى وضع الطعام على المائدة...إلى رفع الأطباق وغسلها وغسل الحلل وتجفيفها ورصها بعناية فى موضعها كما يغسل الملابس وينشرها..وينظف الشقة ويلمع قطع الأثاث ويسوى الفراش بعد النهوض من النوم..وقد سعدت بذلك كثيراً..وأدركت منه مدى محبته لى وحرصه على ألا أفعل شيئاً طوال شهر العسل لأتفرغ لنفسي وزينتى .. ومباهج الحياة الجديدة. لكن شهر العسل إنقضى ولم يتغير شيء من سلوكه فى البيت بل ومضت الشهور والسنوات وأنجبنا أطفالا والحال على ما هى عليه، فلقد تولى أيضا من اللحظة الأولى كل شئون الأطفال من إعداد الرضعات إلى نظافتهم وغسل ملابسهم...إلخ.

وأصبح المعيد الشاب مدرساً مساعداً بكليته ثم مدرساً ثم أستاذاً مساعداً وعالما له أبحاثه ومؤلفاته،ولم يتغير شئ فى نظام حياتنا فهو مازال يطهو الطعام ولا يسمح لى بمد يدى إليه وإذا تجرأت ودخلت المطبخ ولو لعمل كوب من الشاى ثار وغضب وأفرغ الشاى فى الحوض ليصنعه هو بدلاً منى، ومازال زوجي حتى الآن وهو الأستاذ الجامعي والباحث يصر على ألا يغسل أحد الملابس سواه وعلى ألا يكويها غيره...ولا يخجل من وقوفه فى الشرفة أمام الجيران وبجواره آنية الغسيل البلاستيك يلتقط منها الملابس المغسولة،وينشرها بعناية و"يحبك" المشابك عليها وهو فى قمة الإبتهاج والإهتمام،أما قبل الأعياد فهو يحصل على أجازة يومين من عمله،لأن "عنده تنظيف الشقة والتنفيض" بالمنفضة المصنوعة من جريد البامبو، وفى شهر رمضان يصنع المربى والبسكويت والحلويات،وقد جاءنى منذ يومين والفرحة تملأ وجهه، ليخبرني سعيداً بأنه قرر أن يصنع كعك العيد هذا العام فى البيت،لأنه أرخص من شرائه من المحلات فكدت "أرقع" بالصوت من غيظي ونكدي !

يا سيدى إننى لا أنكر أنه زوج مثالي تحسدنى عليه كثيرات ولا أنه أب رائع لأولاده ومهذب ولم تصدر عنه كلمة واحدة تغضبنى منه منذ زواجنا حتى الآن، لكنى لا أشعر معه بأنى ربة بيتى منذ تزوجنا،وإنما نزيلة فندق صغير تستمتع فيه بالخدمة الكاملة من جانب العاملين به، ولست أكره أن يساعدنى فى أعمال البيت ورعاية الأطفال فهذا أمل كل زوجة فى العالم، لكنى أكره أن يقوم هو وحده بكل ذلك دونى، وكلما إشتكيت من ذلك قالى لى باسماً إنه يريد راحتى، حتى أصبحت أكره إبتسامته هذه وأكره وقوفه فى الشرفة وهو ينشر الغسيل،وكلما شكوت لأمي إتهمتنى بأنى "فقرية" وغاوية نكد وتعب وقالت لى إن زوجى هذا تحسدني عليه أخواتى، لكنى لا أريد هذه الراحة وأكاد أطق من الغيظ فماذا أفعل مع هذا الزوج المثالي الذى سوف" ينقطنى" بمثاليته...هل أتركه بضعة أيام حتى تستريح أعصابي فى بيت أمى خاصة أنه يقوم لنفسه بكل شئ..أم ماذا أفعل لكى يكف عن إعتبارى" ضيفة " عليه.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

للشاعر الهولندى المعروف بإسم الأب كاتس (١٥٧٧_١٦٦٠_ عبارة جميلة تقول: ينقلب البيت رأسا على عقب حين يسكت الديك...وتصيح الدجاجة!

والمقصود بالعبارة هو أن الحياة الزوجية تختل بالفعل حين لا يقوم كل طرف من أطرافها بالدور الذى تؤهله طبيعته لأدائه أو حين يحاول القيام بدور مخالف تماماً لهذه الطبيعة،ولا شك أن التعاون بين الزوجين فى كل شئون الحياة بما فيها الأعمال المنزلية بدافع التراحم وإستشعار المسئولية الجماعية عن الأسرة، مما يوثق الروابط بينهما ويجدل خيوطها بحيث تتشابك وتتدعم ويصعب فصمها، لكن هنالك فارقاً كبيراً بين التعاون والتطوع بالمساعدة، وبين تبادل الأدوار.. أو إلغاء دور أحد الطرفين إلغاء تاماً وتحويله إلى نزيل فى " فندق" يعنى بخدمته بنظام خدمة الغرف فى فنادق الدرجة الأولى .. إلى ما لا نهاية وبلا داع من مرض عابر مثلاً، فهذا شئ آخر مخالف للطبيعة .. وخارق لكل مألوف. وإذا سعدت به المرأة بعض الوقت فى البداية إيثاراً للدعة أو إستمتاعاً بالراحة، فإن الزوجة الطبيعية تفضل فى النهاية أن تكون ربة بيتها وسيدة مملكتها الصغيرة،ولا تسعد بما يغير من هذا الوضع حتى ولو غبطتها عليه الأخريات ممن يتحملن عناء كل شئ فى حياتهن بلا أدنى مساعدة أو تقدير من شريك الحياة...فلا هذا وضع طبيعى.. ولا ذاك وضع عادل ومنصف ، ولقد كان الرسول الكريم وهو مَن هو لا يترفع عن أن يساعد زوجاته فيما يشق عليهن من أعمال البيت ، وقالت عنه السيدة عائشة حين سُئلت عن صنعه فى بيته:

كصنع أحدكم يشيل هذا ويحط هذا ويخدم فى مهنة أهله ويقطع لهن اللحم ويقم البيت " أى يكنسه " ويعين الخادم فى خدمته...صلى الله عليه وسلم.

لكنه من ناحية أخرى وهو يفعل هذا حباً وكرامة قد حكم بين إبنته فاطمة وزوجها الإمام على بن أبى طالب حين شكت إليه من ثقل أعمال البيت وهى وحيده بلا معين، فحكم على فاطمة بخدمة البيت، وحكم على علىٍّ بكسب النفقة وإعانة الأسرة ، وهذا هو الوضع الطبيعي .. وهو لا يمنع من تعاون الزوجين فيما يخفف عنهما من عناء الحياة كأن تعين الزوجة زوجها على أعباء الحياة المادية ،إذا شقت عليه وأن يعين الزوج زوجته على أعباء البيت حين تحتاج لمعونته، وفى أطار ما أهلت الطبيعة كلا منهما له ،أما المغالاة فإنها تخرج بالإنسان عن جادة الإتزان وتثير المشاكل بدلاً من أن تسهم فى حلها..والغلو أى الشطط وتجاوز القصد مرفوض ومذموم فى كل شئ حتى فى الدين، فكيف بأعمال البيت؟

أما الإعتدال فهو مطلوب دائما فى كل أدوار الحياة حتى فى" مثالية " الأزواج من نوع زوجك ،لأن الطبيعة كما يقول الشاعر الهندي طاغور قد (خلقت خليجاً فاصلاً بين الجنسين لكى تضمن إستمرار التجاذب المتبادل بينهما) فإذا إختفى هذا الخليج الفاصل بين طبيعة الجنسين وضعف التجاذب .. وحل الفتور ولا شك أن زوجك رجل مثقف ويعرف أن ما يفعله ربما يكون بلغةعلم النفس_ناتجا عن "إضطراب التحكم فى نزعة ما غير مصنفة فى المعروفه "، لكنها نزعة غلابة تدفعه لأداء دور ليس مطلوباً منه أداؤه بل ويُغضب من الاضطرابات النفسية يحاول إرضاءهم به!

كما لابد أنه يعرف أيضا أنه من المحتمل أن يكون لوسواس النظافة القهري دخل أيضا فى إصراره على أن يفعل كل شئ بيديه..إعتقاداً منه أن لن يحس بالأمان إلا إذا صنعه بيديه بدليل حكاية إفراغ الشاي فى الحوض لأنه لم

يصنعه بيديه ! وسواء نجح فى مقاومة هذه النزعة الغلابة وهذا الوسواس بالإستعانة بالمشورة النفسية المتخصصة أو لم ينجح فلا شك انه شديد الحب لك والحرص عليك...فحاولى أن تتوصلي معه إلى حل وسط بالتفاهم أو بإقناعه بطلب النصيحة النفسية المتخصصة على الأقل، لكى يتفرغ لما هو أهم من نشر الغسيل وحبك المشابك عليه..فإن لم يستجب لكل ذلك فلا مفر من التعايش مع هذه" المشكله " التى قد تتمنى ألوف الزوجات أن يبادلنك عنها بمشاكلهن مع أزواجهن فإمسكى الخشب رغم كل شئ...وترفقي بزوجك .. إلى أن ينجح فى التخلص من وسواسه ونزعته وإستمتعى " بخدمة الغرف " هذه إلى أن تتغير الأحوال تدريجياً..وأرجو مخلصا ألا" تندمى" ذات يوم على تخلصه من تلك النزعة .. وهذا الوسواس!

==

الفصل الأخير ٢

انا ياسيدى احد الأشخاص الذين يجدون صعوبة شديدة فى بث شكواهم للآخرين.. لكننى فى حاجة شديدة لمن يسمع لى الآن .. فأنا مهندس تفتحت عيناى على الحياة فوجدت نفسى لا احد لى فى الحياة سوى اخت وحيدة مثلى.. وقد رحل والدنا عن الحياة وانا فى العاشرة واختى فى الثامنة وتولت امنا تربيتنا ورعايتنا بمعاش ابى .. وبايراد بيت قديم نقيم فى احدى شققه

ولم يكن لنا اعمام ولا اخوال .. ولا اقارب سوى اقارب بعيدين فى اقصى الجنوب تقطعت صلتنا بهم منذ زمن بعيد .. ولم يعد لنا من يعرفنا او نعرفه .. وكانت امى تميل الى العزلة بطبعها وقد كرست حياتها لنا .. وحددت هدفها فى ان نتعلم تعليما جامعيا يهيىء لنا فرصة الحياة الكريمة، ولم نخيب املها فكنت وشقيقتى دائما من المتوفقين، ودخلنا كلية الهندسة فى عامين متتالين وكأن امى قد اطمأنت بذلك الى انها قد وضعتنا على بداية الطريق فانسحبت من الحياة بهدوء كما عاشت دائما بهدوء ووجدت نفسى انا وشقيقتى وحدنا تماما، لا اقارب .. ولا اصدقاء .. نذهب الى الكلية معا ـ ونعود الى البيت الخالى معا، وقد رطت بيننا الوحدة برباط متين..

وفى العام الثانى لى فى الجامعة تعلق قلبى لأول مرة فى حياتى بزميلة لى فى الكلية اقتربت منى ومن شقيقتى ثم نشأت بينى وبينها قصة حب عميق نمت داخلى حتى تملكتنى تمما.. وتم التفاهم بيننا على الارتباط الأبدى، وأسعدنى فى هذه الفترة ان تقدم جار لنا يطلب منى شقشيقتى واستشعرت لديها الميل اليه وقبلوله فتمت الخطبة بعد ادائى لامتحان البكالوريوس ونجاحى فىالامتحان .. وبدأت افكر فىالتقدم لخطبة فتاتى .. لكنها وصارحتنى بأنها قد عرضت الأمر على ابيها وكان وقتها سفيرا خطير الشأن فواجهها بالرفض الصارم، لأنى كما قال سامحه الله لست من مستواها الاجتماعى.. ومع انى لست جريئا فقد وجت نفسى أطلب منها ان تقدمنة اليه لأقنعه بنفسى وترددت طويلا ثم وافقت تحت الحاحى فذهبت اليه فى بيته .. وفتح لى الباب سفرجى يرتدى القفطان والحزام الأحمر وقادنى الى الصالون كلاسيكى عتيق ثم جاء الى ابواها بعد قليل ورحب بى بأدب وتخفظ .. ثم نظر الى صامتا وتكلمت وقلت كلاما كثيرا.. كثيرا.. لكنه لم يهتز له رمش واحد وقلت كلاما كثيرا .. كثيرا.. لكنه لم يهتز له رمش واحد وقال هو الآخر كلاما كثيرا عن صعوبة الحياة وان ابنته قد تعودت على مستوى معيشة معين.. وأن من يحب يضحى فى سبيل سعادة حبيبه .. انمن يحب يضحى فى سبيل سعادة حبيبه، وانها شبه مخطوبة الى احد اقاربها الذى ينتظره مستقبل باهر الى اخر هذا الكلام .. كان الرجل مهذبا لكن كلماته كانت تقطع من لحمى بالسكين .. فشكرته وخرجت والتقيت بها مع شقيقتى بعذ ذلك بيومين.. وتكلمت شقيقتى نيابة عنها وحاولت ان تخفف عنى الأمر..وقالت لى ان أباها عنيد وصارم وانه مصر على زواجها من قريبه الديلوماءى وانه حين استشعر ميل أمها لتأييد ابنتها فى مطلبها .. حذرها من ان اية محاولة من جانب انبتها لفرض هذا الزواج عليه لن تكون لها نتيجة سوى انفصاله هو "عنها" اى هدم الأسرة كلها..

وهكذا وجدت نفسى فى طريق مسدود، فأعفيتها من عهدها لى وتمنيت لها السعادة .. وحاولت بعد ذلك ان ادفن همومى فى الاستعداد لزواج شقيقتى .. وزفت شقيقتى الى زوجها.. وكان حفل الزفاف حزينا كمعظم ايامنا .. فلقد بكت اختى فى صباحه كما لم تبك من قبل لأنها سوف تتركنى.. مقطوعا من شجرة .. كما قالت وحاولت التخفيف عنها وقلت لها انها لن تتزوج فى المريخ وانما على بعد ٣ عمارات من بيتى واننى سوف ازورها كل يوم حتى تزهق منى، وحاولت بعد ذلك ان اتظاهر بالمرح لكى اجعلها تضحك وتبتسم .. لكنه يبدو اننى بالغت فى ذلك اثناء الزفة .. حين امسكت العصا لكى ارقص لأول مرة فى حياتى .. ورقصت ثم توقفت فجأة حين لمحت دموع العروس تنساب بغزارة من عينيها والحق انى كنت سعيدا من اجلها .. ومثقلا بالحزن من اجل نفسى .. لكن ماذا افعل.؟! وهذه هى سنة الحياة؟؟

وعملت فى احدى شركات القطاع العام.. وشغلت نفسى بالعمل وتجنبت شقيقتى ان تشير الى اخبار صديقتها معى، ولكنى عرفت من زوجها الذى اصبح الصديق الوحيد لى فى الحياة انها تزوجت من قريبها الدبلوماسى ورحلت معه الى احدىالعواصم الأوروبية وانها تراسل شقيقتى من حين الى آخر .. وبدأت شقيقتى تلح على فى الزواج لكى تطمئن على احوالى وصارحتها بأنى لم احب احدا فىحياتى سوى صديقتها، لكنها نصحتنى بأن احاول التخلص من تقوقعى على نفسى وان انظر حولى فى الشركة التى اعمل بها، ونظرت حولى فوجدت مهندسة تتقرب لى وتحاول ان تخطب ودى.. لم اشعر بالعب تجاهها لكنى لم اغلق الباب امامها ثم بعد مشاورات مع شقيقتى خطبتها وتوجتها وانا الم ابرأ بعد من حبى لفتاتى الأولى .. وفشلت التجربة فشلا ذريعا بعد ٣ اعوام لا

أعرف كيف تحملتها والحمد لله اننا لم ننجب اطفالا.. فأستغفرت ربى فيما لا يد لى فيه وطلبت منها ان تسامحنى لأنى لا اصلح لها.. وكانت هى قد ملت ايضا فيما يبدو الحياة معى بعد ان كثر هجرها للبيت، فوافقت بلا مرارة على الطلاق وأديت لها حقوقها.

وعدت أشغل نفسى مرة اخرى براعية اختى.. خاصة بعد ان رزقت بطفلين أشاعا البهجة فى حياتى.. .. وكام من عادتى بعد ان اخرج من عملى اشترى بعض اللوازم لشقيقتى التى لم تعد تستطيع الخروج كثيرا بعد الإنجاب ثم اذهب اليها بها وذهبت اليها ذات يوم ففتحت لى اختى الباب وفى عينيها نظرة جديدة فسألتها ما بك؟ فقالت: ادخل .. لدينا صديقة قديمة تنتظرك .. فدخلت واذا بى اجد نفسى امامها وجها لوجه جالسة فى الصالون جميلة نحيلة .. هادئة.. رقيقة كالعادة تنظر الى من وراء غلالة خفيفة من الدمع ووقفت التقط انفساسى مبهورا..

وعرفت بعد ذلك تفاصيل القصة، انها لم تنقطع عن الاتصال بأختى طوال السنوات الماضية ومنها كانت تعرف كل شيء عنى وانها عاشت مع زوجها ٤ سنوات من العذاب انتهت بالأ،فصال وهما فى الخارج وعادت وحدها منذ اسابيع كسيرة القلب بعد ان ذاقت الأهوال مع زوج لم يرع حقوقها وكان زواجه منها فى الأصل "زواج مصلحة؟ للاستفادة من نفوذ صهره!!

وبعد هذا اللقاء .. كنت بالتفاهم مع شقيقتى قد بعت البيت القديم الذى نملكه واستأجرت بنصيبى شقة لائقة وأثثتها بأثاث لائق .. ثم ذهبت الى أبيها على عير موعد فى النادى الذى يمارس فيه رياضته الصباحية، وقلت له ان ورائى سنين من العذاب تشفع لى فى الدفاع عما بقى من عمرى.. واننى اطلب يد ابنته للمرة الثانية فان وافق شكرته .. وان اصر على اتعاسها واتعاسى .. فلن ننهزم امام عناده مرة اخرى وسف نتزوج وافق او لم يوافق، فاستمع الى فى صمت ورفع حاجبيه فى كبرياء ثم نطق سامحه الله بجملة واحدة هى : "اذهبا فى داهية أنتما الاثنان!!"، ثم استدار وواصل رياضة المشى

وهكذا ذهبنا الى عشر السعدة .. ولم يعترض الأب ولم يخرج عن تحفظه معنا واقمنا حفلا صغيرا فى بيت ولم يخرج عن تحفظه واقمنا حفلا صغيرا فى بيت شقيقتى لم يشهده احد سوى ام فتاتى وبعض الصديقات .. وارادت شقيقتى ان تعبر عن فرحتها فحاولت ان تزغرد .. فخرجت الزغرودة كأنها ولولة .. ولاحقتها دموعها ودمعى .. فأصبحت ولولة بالفعل.. كأننا لا نعرف غير البكاء.. وبدأت حياتى الحقيقية وأنا فى سن السـ٣٢ سنة وحبيبتى فى سن الـ٢٩. وكنت قد تركت شركة القطاع العام التى بدات حياتى بها وانتقلت الى شركة استثمارية بمرتب معقول واصبحت لدى سيارة مقبولة .. واطمأنت شقيقتى على انى حققت احلامى .. ولم يكن لنا اصدقاء غيرها وزوجها فكنا نمضى الأمسيات معا لدينا او لديهما .. وعشنا ٥ سنوات كأنها أسابيع.. وكانت اجمل فتراتها هى العام الخامس .. ففيه بلغت زوجتى القمة فى رقتها .. وفى عطفها على.. وفى كل شيء رغم انى كنت اضبطها احيانا ساهمة او تختلس الى بعض نظرات العطف او الرثاء وكأنها تشفق على من شيء مجهول.. ثم عدت ذات يوم الى عش احلامى فلم اجد فتاة احلامى فيه وانما وجدت ورقة منها .. تطلب منى فيها .. هل تعرف ماذا؟.. الطلاق..! نعم الطلاق.. فتاتى .. حبى الأول والأخير .. عمرى المسروق منى الذى عاد بعد العذاب.. تطلب منى الطلاق. لقد عشنا معا ٥ سنوات لم نختلف مرة واحدة على شيء .. لم نبت ليلة واحدة الا ويدى ممسكة بيدها كأنى اخاف عليها ان تضيع منى وانا نائم . وهى نفس الشيء فماذا حدث؟ وجريت الى بيت ابيها .. وقابلتها.. ماذا جرى؟؟ لا جواب .. ماذا غيرك؟ لا رد.. لماذا تطلبين الطلاق ؟ لا اجابة سوى الدموع!! هل اشتقت للحياة فى مستوى حياة ابيك؟ اننى على استعداد للهجرة وقبول اى عمل فى الخارج لأوفر لك المستوى الذى تريدنه؟ لا جواب سوى الدموع .. ثم زاد الحاحى عليها لتتكلم فأغمى عليها، وجاءنى الأب "منفعلا": من فضلك كفاية كده.. مش عاوزة تعيش معاك وخلاص من غير اسباب.

وخرجت مدحورا مهزوما .. وجريت الى اختى .. وجرت اختى اليها وعادت من عندها مهزومة مثلى .. وقلت لها اننى سأحقق لها اى مطلب تريده.. لكنى اريد ان اعرف لماذا .. لأعرف عيبى فقط .. وما قصرت فيه فلم اسمع من اختى جوابا شافيا .. واستسلمت للأقدار ، وحددنا يوما للذهاب للمأذون ليتم الطلاق على يديه فى مكتبه لأجنبها مهانة ان تأتيها ورقة الطلاق عن طريق قسم الشرطة، واجرى المأذون أغرب طلاق اجراه فى حياته، كنا خمسة هى وانا وشقيقتى وزوجها وصديق له جاء للشهادة وبدأ المأذون عمله بتقديم نصائحه التقليدية بمراجعة النفس وكيف ان الطلاق ابغض الحلال الى الله الخ.. ففوجيء بالزوج والزوجة ينفجران فى البكاء امامه ومعنا اختى.. وكانت مناحة رقدت محموما مريضا بعدها ثلاثة ايام فى بيت شقيقتى .. ومرت الايام بطيئة ثقيلة وبدأت استرد وعيى شيئا فشيئا وكان اولما فعلته هو ان طلبت نقلى بصفة مؤقتة موقع للشركة فى الصحراء الغربية وذهبت اليه وانقطعت عن القاهرة واخبارها لمدة ١٠ شهور متواصلة .. لايربطنى بالحياة خارج الموقع سوى رسائل شقيقتى وسوى الصحف اليومية التى تصل الينا كل يومين .. وذات يوم كنت اقرأ الصحيفة فوجدت نفسى اقرأ نعى فتاة احلامى مكتوبا تحت اسمها انها حلام المهندس فلان الفلانى الذى هو أنا!! وسقطت مغشيا على..

وحين افقت حملنى زملائى الى القاهرة وفيها عرفت ولهمت كل ماعجزت عن فهمه طوال الشهور الماضية .. وكأننى اشاهد فيلما من افلام المآسى التى لا يصدقها احد.. فلقد عرفت ان فتاتى قد واجهت خلال العام الأخير معى مشكلة صحية حادة تأكدت منأ،ها حالة ميئوس منها .. فقررت الانفصال عنى لكى تجنبنى عذاب المرحلة الاخيرة من المرض.. ولكى تحافظ كما قالت لأختى ولأمها ولأبيها على صورتها الجميلة الحالمة فى خيالى وعرفت انها

سافرت للخارج مرتين بعد انفصالها عنى وانها كانت تعرف انى سأعجز عن توفير تكاليف السفر فأرادت تكاليف السفر فأرادات ان تجنبنى الاحساس بالعجز والقهر وهى معى.. وعرفت انها تذرت لله نذرا ان شفيت ان تعود الى لتواصل رحلة السعادة معى وأنها حين اقتربت لحظتها الأخيرة كلبت من ابيها ان يذكر فى نعيها انها حرم المهندس فلان.. لأنها تعتبر نفسها زوجتى رغم الطلاق، فوفى الرجل بوعد لها .. ورأيته حين زرته لأعزيه يحتضنى لأول مرة ويقبلنى ويقول لى انه يحبنى لأنى أسعدت ابنته فى السنوات الاخيرة من حياتها .. ويطلب منى ان اعده بزيارته كلما وجدت الفرصة.

وهكذا انتهت هذه القصة الطويلة ياسيدى ووجدت نفسى مرة اخرى وحيدا.. أعيش فى الشقة التى عشت فيها اجمل ايام حياتى ولم يمض على الفصل الأخير منت قصتى سوى فترة قصيرة .. وقد حفر الزمن أثاره على وجهى.. فأصبح لون شعرى رماديا ومازال عمرى ٣٨ سنة وشقيقتى حزينة من اجلى تبكى كلما زرتها وتحذرنى من ان الزمن يسرقنى .. واننى "أعجز" وسوف يفوتنى قطار الشباب وتطالبنى بالزواج.. لكنى عاجز عن التفكير فيه .. وحتى لو فكرت فيه هل يستطيع مثلى ان يكرر التجربة للمرة الثالثة.. ان الشاب الذى يقترب من الأربيعن يصعب عليه ان يعثر بسهولة على الزوجة اللائقة بحجة ان سنه قد كبرت..

ومن طلق مرة قد يصعب عليه ان يجد بسهوله الزوجة التى يرضاها لنفسه بحجة انه مطلق .. فما بالك بمن شارف الأربعين وقد طلق مرتين؟!! وأين هى التى تعرف عنى كل هذا التاريخ ثم تقبل ان تربط حياتها بحياتى وهل سأظل اشرح لمن يسألنى انى طلقت الأولى اشفاقا منى عليها من معاشرة لا حب فيها .. وطلقت الثانية اشفاقا منها على من عذاب ارادت ان تبعدنى عته!! ام بماذا تنصحنى؟؟

ولكاتب هذه الرسالة اقول:

ياسيدى ان من يشاهد فيلما مأساويا حزينا .. يحتاج بعد انتهائه الى فترة صمت يلتقط انفاسه ويسترد نفسه بعد مابذل من انفعالات.. فما بالك بمن عاش احداث الفيلم نفسه؟؟وما بالك لو كانت هذه الأحداث مؤلمة الى هذا الحد وحزينة الى هذا الحد؟ انك فى حاجة اولا الى فترة استجمام نفسى كافية حتى تلتئم جراحك.. وتستعيد توازنك قبل ان تفكر فى اى خطوة جديدة للمستقبل .. وبعد ذللك سوف نفكر معا ان شاء الله فيما هو انسب لك.. فأما عن ظروفك فما اكثر المنصفين الذين يتفهمون ظروف الآخرين ويلتمسون لهم الأعذار وأما عن طلاقك مرتين فما اكثر من سيتفهمون أسبابهما ويقتنعون بأ،ها ليست دليلا على انك لن تكون زوجا فاضلا لأى سيدة تختارها الأقدار لك من جديد .. فحتى طلاقك الأول وهو خطيئتك الوحيدة فى القصة كلها له اسبابه المشفهومة كما انك لم تتعسف مع زوجتك ولم تكن قاسيا معها لذلك فقد قبلت هى الطلاق بلا احقاد ولا مرارة ولعله كان الحل الأفضل فى مثل ظروفكما حيث لا حب ولا ابناء..

اما الفصل الاخير من قصتك فلقد ارهقتنى كثيرا ولولا اننى من كثرة ماعايشت من هموم البشر لم اعد استغرب شيئا، لما صدقته لكنى اصدف كل حرف كتبته فى رسالتك.. لأنه نابض بالألم الصادق فعلا.. لأنه نابض بالألم الصادق فعلا.. ولأن النائحة الثكلى ليست كالمستأجرة فلا يستطيع احد ان يصور هذه اللحظات بهذه الطريقة الا اذا عايشها فعلا ، ولاشك ان الحياة هى المؤلف الأول فى العالم بلا شك.. وقد اختارت لط دورا مغلفا بالحزن الشفيف منذ البداية، او هكذا كان قدرك .. شقيق وشقيقة وحيدان تماما بلا ابوين..ولا اشقاء ولا اقارب.. من هؤلاء الأشخاص لاذين يحس المرء غالبا بأن احزانهم اكثر من افراحهم .. وانه حتى اشفراحهم فانها حين تجيء تكون قصيرة العمر ومن النوع المثقل بالهموم فتستدر الدموع اذا عبرت عن نفسها اكثر احيانا مما تثير البهجة كما حدث فى زفاف شقيقتك .. وفى زفافك ايضا وفى معظم فصول القصة. وفى الحياة من امثالكما كثيرون، وفيها مثيلات لقصتك ايضا لكنى لم اصادف قصة كقصة هذا الفصل الأخير الذى اختارت فيه فتاتك الملائكية ان تحجب عنك آلامها لتحتفظ لنفسها بصورتها الرومانسية الجميلة فى خيالك.. ثم انتحت جانبا بعيدا لترحل فى صمت بعد ان عزفت اجمل الانغام فى حياتنك تماما كالبجعة البيضاء الرقيقة التى تصدر دائما احلى اصواتها علىمدى عمرها كله.. فاللحظات القليلة السابقة للختام ولذلك يطلقون عى اللحظات الجميلة التى تسبق الوداع دائما اسم اغنية البجعة! وفى حياة كل انسان اغنية للبجعة ابتهج فيها اقصى ما يكون الابتهاج.. ثم حزن بعدها اقصى ما يكون الحزن.. وهى رغم كل ذلك الحياة .. ونحن مطالبون بأن نحياها كما هى وان نتقبل كل ما تقذفنا به احيانا من كرات اللهب.. وان نصبر عليها حتى تخمد نارها وتهدأ ككل شيء فى الحياة .. فاستحم اولا يا صديقى حتى تسترد صحتك النفسية وتتيح لنفسك فرصة الاختيار السليم، ثم خض تجربتك الجديدة مسلحا بخبرة الحياة مصهورة بنار الألمن واحتفظ بفتاتك فى اعماق صدرك واحمل لها دائما اجمل الذكريات لكن لا تطالب احدا بان يكون صورة منها.. ولا تبحث ايضا عن صورة بها فى احد ولا ترتبط ابدا الا بمن تجد فى نفسك ميلا قويا لها حين تكون قادرا على ذلك ـ لأن بداية احساسك بهذا الميل هو بداية الشفاء بأذن الله من اثار التجربة الأليمة.. لكن لا تضع من ستختارها لك الاقدار موضع المقارنة مع فتاتك .. وانما تقبلها بشخصيتها المميزة وعش تجربتك معها منفصلة عن اى تجربة سابقة اخرى. ولعل كل ما عانيته يشفع لك فى النهاية لدى الحياة فى ان تنال تصيبك العادل من السعادة بعد كل هذه الفصول الحزينة

==

الفصــل الأخــير

هل تذكر كاتبة رسالة الضوء المبهر التي نشرتها في١٩ نوفمبر عام١٩٩٩ ؟
لقد كتبتها لك تروي لك فيها قصتها مع الحياة وكيف أنها الابنة الوسطي الأثيرة لدي أبويها، وكانت متفوقة دراسيا علي الدوام والتحقت بكلية الصيدلة وفاجأتها وهي في السنة النهائية من الكلية حالة من الخوف المرضي المستمر لم تجد لها تفسيرا ثم تخرجت وعملت لبضعة شهور في صيدلية قريبة من منزل والدها وشجعها صاحب الصيدلية علي تجاوز خوفها وأقنعها أنه اختبار لها من ربها، إلي أن جاء ذات يوم صيدلي شاب إلي الصيدلية التي تعمل بها وكانت تعرف والده، وسألها ما إذا كانت تقبل منه الزواج أم لا وكان مطلقا لعدم الإنجاب فقبلت به بعد تردد وتزوجت منه وسعدت معه.
وبالرغم من سعادتها مع زوجها فلقد ظل الخوف المرضي يلاحقها ولكن بدرجة أخف.. ومضت الحياة لها مع زوجها وأنجبت له طفلين قالت لك عنهما في رسالتها إنهما قد تقاسما بالعدل فيما بينهما جمال القمر، وتوالت الأيام جميلة واعدة لم يزعجها خلالها شيء سوي أن طفلها الرضيع ولسبب لا تعرفه لم يكن يقبل الرضاعة من أحد ثدييها، ويرضع بصعوبة من الثدي الآخر، وأنها تشعر خلال الرضاعة ببعض الألم في صدرها.
وبعد تزايد الألم واستشارة الطبيب قررت أن تفطم رضيعها وعمره٨ أشهر ووعدها الطبيب بأن يختفي الألم بعد أن يجف صدرها من اللبن وفطمته بالفعل، لكن الألم لم يختف.. كما لم ينقطع اللبن.
وفي هذه المرحلة قررت هي وزوجها الانتقال من الحي الذي يقيمان فيه إلي حي أجمل وبدآ يبحثان عن شقة ملائمة وطال بهما البحث حتي أوشكا علي اليأس بالرغم من كثرة المعروض.
وذات ليلة رأت في نومها نورا مبهرا يضيء شقتها وتغشي منه العيون ونهضت من نومها مستبشرة خيرا بقرب العثور علي الشقة المأمولة، وبعد يومين فقط من هذا الحلم الجميل وفقها الله في العثور علي شقة أقرب ماتكون إلي القصر منها إلي الشقة السكنية واتفقت هي وزوجها مع صاحبها علي كل شيء.. وخرجت وهي تتيه كما قالت لك في رسالتها زهوا بحياتها وتنظر إلي نفسها فتري أنها قد ازدادت جمالا وإلي حياتها فتري لها زوجا تحسدها عليه الأخريات وطفلين يلفتان النظر بجمالهما وشقة فاخرة وسيارة جميلة وصيدلية ناجحة وعمرها٢٨ عاما فقط، وفي غمرة هذا الإحساس الشامل بالرضا والزهو وجدت نفسها فجأة تستعيد إحساسها بالخوف الغامض، وتتساءل في إشفاق: تري ماذا ستأخذ مني يارب لكي تتزن المعادلة ؟
وبعد يومين فقط من هذا التساؤل شعرت ببعض الألم في صدرها وتوجهت إلي الطبيب. وبعد فحوص عديدة واجهها الطبيب بلا أي محاولة للتخفيف عنها بأن المرض اللعين قد هاجمها في صدرها وبأن الحالة متأخرة ستة أشهر عن موعد الاكتشاف الملائم، وأنه إذا كان زوجها يريد لها الحياة فعليه إدخالها المستشفي غدا علي الأكثر لإجراء جراحة استئصال عاجلة بلا أي تأخير!
وفي نفس اليوم دخلت المستشفي وتم إعدادها للجراحة بسرعة وتمت الجراحة بسلام ومرت بعدها فترة عصيبة حتي استردت قواها الخائرة ووجدت نفسها كما كتبت لك غارقة في طوفان من المشاعر الفياضة التي غمرها بها الجميع وبعد ذلك تلقت العلاج الكيماوي واستغرقت المحنة العصيبة شهرين خرجت بعدها بعدة تأملات وخواطر أرادت أن تشركك وقراءك فيها، وهي أنها قد وجدت فيما وقع لها تفسيرا لذلك الحلم الغريب عن الضوء المبهر وظنته وقتها بشارة العثور علي الشقة الملائمة وأدركت ان هذا التفسير لم يكن صحيحا وان الضوء المبهر كان إشارة مسبقة إلي نور الله الذي غمر قلبها يوم الجراحة وجعلها لا تحتاج إلي أي أحد سواه. كما لاحظت أيضا أنها حين علمت بخبر مرضها وانخرط زوجها في البكاء لم تبك وإنما اجتاحها شعور بالأمان والاطمئنان وزال عنها الخوف الغامض الذي روت لك عنه، وهكذا فقد وجدت نفسها بعد الجراحة مستبشرة ومبتهجة وقالت للجراح الكبير إنها وزوجها سوف يهزمان المرض بالسعادة وأدركت من المحنة ـ كما قالت ـ أنها كانت مغرورة بشبابها وصغر سنها وشكرت ربها أن نبهها إلي ذلك في الوقت الملائم وأملت أن يمنحها الله الوقت والعمر لكي تزور بيت الله الحرام، ورجتك وقراءك أن ت
دعوا لها الله بالشفاء، واختتمت رسالتها بأن طلبت أن تلتقي بك مع زوجها في مكتبك.. هل تذكر هذه الرسالة إنني زوجها وأكتب إليك الآن لأقول لك ان الزمن قد توقف وهربت الكلمات مني.. بعد أن رحلت بهجة حياتي إلي بارئها وتركتني وحيدا يوم١٥ أكتوبر الماضي ولست أعرف كيف ستمضي بي الحياة، فلقد كنت أتمني الذرية الصالحة فرزقني الله منها بأجمل ولدين.
إنني أكتب إليك لأنها كانت تحب هذا الباب حبا شديدا ولعلك تذكر يوم استقبلتنا في مكتبك بعد نشر الرسالة كيف كانت في قمة الابتهاج والسعادة للقاء معك ولقد أحسنت أنت اختيار العنوان لرسالتها الأولي.. لأنها كانت بالفعل ضوءا مبهرا أضاء حياتي ثم ذهب بعد معاناة شديدة مع المرض وأكتب هذا الخطاب لأني أعلم أن روحها ستسعد بأن يدعو لها أصدقاؤها قراء هذا الباب الطيب الذي طالما أحبته وتفاعلت مع آلام وأحزان قرائه، بالرحمة والمغفرة فأرجو أن تدعو لها الله أن يجعل الجنة مثوي هذه المؤمنة الصالحة التي أكرمني بها الله في الدنيا وأن يجمعني بها ربي في مستقر رحمته ان شاء الله. والسلام عليكم ورحمة الله.
ولكاتب هذه الرسالة أقول:
ياإلهي.. أهكذا جاءت النهاية سريعا وانطوت صفحة هذه الزوجة الملائكية الطيبة مع الحياة ؟

لقد تذكرت رسالتها الأولي ووقائعها المثيرة للتأمل.. وتذكرت زيارتك لي معها وروحها الوضاءة المستبشرة وابتسامتها البهيجة ونفسها الراضية بكل ما تحمله لها أنواء الحياة.. واستعدت حديثها وتأملاتها وابتهاجها بزوجها وطفليها وأسرتها وشكرها لربها علي كل ماأنعم به عليها.. فحتي محنة المرض كانت تري فيها جوانبها الإيجابية ودروسها.. واقترابها من ربها خلالها واطمئنانها علي مستقبل طفليها بالرغم من النذر والغيوم ثقة منها في ربها.. رحمها الله رحمة واسعة ورعي ولديها من بعدها وأسعد روحها بالدعاء الصادق لها.

إن بعض البشر النورانيين يستشعرون بطريقة غامضة قصر رحلتهم مع الحياة، وماكان هذا الخوف المجهول الذي يهاجمها من حين لآخر.. إلا إرهاصا بما يترصدها من أقدار حزينة يرحمها الله.. وماكان ذلك الضوء المبهر الذي تغشي منه الأبصار إلا إشارة إلهية لما تلاه من أحداث وآلام.. ولقد ذكرتني رسالتك هذه بما حملته إلي من هذا النبأ الحزين بما قرأته ذات يوم علي لوحة للرسام جيروديه تيريزيون بمتحف اللوفر علي لسان الجميلة أتالا التي يحملها حبيبها والكاهن إلي مثواها الأخير: مررت بالحياة كالزهرة.. وجفت أوراقي سريعا كأعشاب الحقول! .. ولا عجب في ذلك فأمثال زوجتك الراحلة لا يعيشون الحياة وإنما يمرون بها كالزهرة الجميلة التي تنفث أريجها في المكان.. ثم تمضي الي سبيلها.. يرحمها الله.

==

الفرصـــة الثانيـــة

أكتب رسالتي هذه تعليقا علي رسالة سنوات الانتظار التي تشكو فيها فتاة من رفض أهلها قبول زواجها ممن تحب، لأنه مطلق شاب، لكي أروي لك عن تجربة أسرية تستحق الاشارة اليها، فأنا أعمل مستشارة لمؤسسة ثقافية ولي أبناء في سن الشباب منهم من تزوج والحمد لله ومنهم في سبيله للارتباط، وابنتي طالبة جامعية في الثامنة عشرة من عمرها وقد التحقت بمؤسسة مالية لقضاء فترة تدريب خلال الإجازة الصيفية ولأنها تتمتع والحمد لله بنعمة الوسامة والشخصية العاقلة، فقد تقدم لها أحد العاملين في تلك المؤسسة عن طريق قريب لنا هناك، ورحبنا بصفة مبدئية بتحديد موعد مع العريس، خاصة أننا علمنا أنه يشغل وظيفة محترمة وأن والديه يعملان في حقل التعليم الذي نقدره ونحترمه، ثم علمنا بالمصادفة أن هذا الشاب مطلق وأنه أمضي مع عروسه ثلاثة أشهر فقط ثم انفصل عنها، واجتمعت الأسرة لمناقشة الأمر وأبدي زوجي والد العروس تعاطفا مع الشاب واقترح أن نقابله لنعرف أسباب انفصاله فلربما كان مظلوما، ومالت ابنتي لرأي والدها رغم أنها لا تربطها أي صلة بالعريس ولا تعرفه لأنه يعمل في مبني آخر لتلك المؤسسة. ولم أنم الليل قلقا علي ابنتي وخشيت أن تتطور الأمور بحيث يصعب تحويل مسارها فيما بعد، فسألت زوجي حتي ولو كان ذلك الشاب مظلوما فماهي اداتنا للتحقق من ذلك وهل نملك الاتصال بزوجته السابقة؟ وماذا اذا كانت هي التي طلبت الطلاق، وكيف نتأكد من مصداقية كل منهما؟ وتدخل ابني في الحديث بقوله إن سوء اختيار العروس يدل علي شخصية متعجلة ومتهورة، ومع انه ممكن ان يكون مظلوما فان علينا أن نتحيز لبناتنا وألا ندخل بهن في تجارب غير مأمونه.

وفي رأيي أن التهوين من الحالة الاجتماعية لأي من العروسين علي اعتبار أنه سوء حظ، يمكن أن يتعرض له أي شاب أو شابة، ييسر علي الشباب أمر الطلاق وهو أبغض الحلال،و يجب أن يعرف كل شاب وشابة أن قرار الزواج من أهم القرارات التي تتحكم في مستقبل حياته وان سوء الاختيار يلقي ظلالا حول شخصه وعليه في المرة الثانية ألا يطمع في الزواج إلا ممن تماثله في الحالة الاجتماعية.فلقد شاع الطلاق بصورة خطيرة بين الأزواج الشبان حتي أصبح ظاهرة نتيجة لتهوين بعض الاجتماعيين والكتاب منه ـ وحمي الله ابناءنا من سوء الاختيار والتهور في اتخاذ القرار.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

اتفق معك ياسيدتي في أنه ينبغي لنا أن نتصدي لظاهرة استسهال الطلاق.. والمسارعة إليه عند أول صدام وتبرير سوء الاختيار أو الاندفاع.. أو قلة الصبر علي تبعات الحياة الزوجية بسوء الحظ وحده، كما اتفق معك ايضا في أن تردد كثير من الأسر امام القبول بشبان سبق لهم الزواج والطلاق في سن صغيرة.. انما يمثل أحد الروادع التي يمارسها المجتمع لإشعار الشباب بخطورة قرار الزواج وقرار الانفصال وضرورة عدم الاستخفاف بأيهما.. لكن كل ذلك لا يتعارض مع حقيقة أخري وهي أن هناك من يحرمون بالفعل من السعادة والاستقرار لأسباب خارجة عن ارادتهم، كما ان هناك من حرموا منها لأخطاء ارتكبوها واستوعبوا درس التجربة جيدا، واصبحوا أكثر حرصا علي الرابطة الزوجية من غيرهم، وهناك ايضا من صادفتهم اقدار كانت أقوي منهم فانهزموا أمامها.. وأمثال هؤلاء وهؤلاء يستحقون دائما فرصة ثانية للسعادة والأمان ومن حق كل أسرة أن تقبل بصاحب التجربة السابقة أو ترفضه وفقا لمفاهيمها واقتناعاتها الخاصة.

==

الفرصـة الأخـيرة٢

اسمح لي أن اختلف معك في الرد علي رسالة جروح الروح وذلك من واقع خبرتي بأمور الخيانة الزوجية وهو الواقع الأليم الذي أعاني منه بشكل متواصل أدي ليس فقط لإصابتي بجروح الروح وإنما بتدمير الروح والذات والكرامة واحترامي لنفسي.

مشكلتي الأولي ظلت معي١٤ عاما هي عمر زواجي الأول لكن الله هداني في النهاية إلي وضع نهاية لعذاباتي عندما أصررت علي الطلاق وخلعت زوجي وخرجت بثلاثة أولاد هم ثمرة ذلك الزواج المشوه بالإضافة إلي خسارة مادية كبيرة احتملتها بصبر علي اعتبار أنها ثمن راحتي وهدوء نفسي. أما مشكلتي الآن فهي بعد هذه التجربة الأليمة فقد كانت كل أمنيتي أن يرزقني الله الرجل الصالح الذي يبادلني الحب والوفاء والإخلاص وأن أعيش معه ما تبقي لي من العمر في مودة ورحمة كنت مازلت في الخامسة والثلاثين من العمر جميلة رشيقة متعلمة أبدو دائما أصغر من سني بكثير وكنت أعمل في مجال اعلامي مرموق جعلني مشهورة ومحط أنظار الجميع وكان لدي مبلغ مناسب من المال ادخرته للزمن وبعد طلاقي المأساوي اضطررت إلي ترك عملي والتفرغ لرعاية أبنائي والإنفاق عليهم.

سيدي.. لقد دخل حياتي ذلك الشاب الوسيم الجذاب ذو المهنة المرموقة والمطلق حديثا هو الآخر والذي كان يعرف عملي ومكانتي وشهرتي بحكم إقامته في نفس الدولة التي كنت أقيم وأعمل بها وتقرب مني بشتي الطرق والوسائل واعجبتني فيه تلك المثابرة واصراره الكبير علي الارتباط بي علي الرغم من وجود الأولاد في حياتي وذلك لرفضي مناقشة أي فكرة لإبعادي عنهم يوما واحدا وللصراحة فقد تحدي عائلته جميعها مصرا علي الزواج بي مع وجود الأولاد في حياتنا وأنا الأخري أمام هذا الموقف وجدته يدخل إلي قلبي وتعلقت به بشدة وأصبح هو بطلي المغوار وتحديت أنا الأخري عائلتي التي رفضته لاختلاف المستوي الاجتماعي بيننا، وقبل الزواج كنت صريحة جدا معه في كل شيء وأخبرته بعيوبي قبل مميزاتي وباخطائي وهفواتي قبل حسناتي وبادلني هو ذات الصراحة وعرفت أنه بعد الطلاق مر بفترة من الضياع النفسي جعلته صياد نساء يستمتع باللهو والمجون مع أكبر عدد ممكن من الفتيات والسيدات وصارحني بأنه بزواجه مني يتوب عن كل ما سبق لأنه يريد الاستقرار في حياة أسرية محترمة. ولم أكلفه بأية مطالب مادية، وتوجنا قصة الحب الجميلة هذه بزواج رائع حاول بشتي الطرق خلاله أن يسعدني وأن يثبت لي بأنه ج

دير بي وبأنه أب لأولادي يرعاهم ويهتم بهم وسقيته أنا الأخري من شهد حبي وعشقي لرغبتي أن أعيش تلك اللحظات الرائعة من الحب الحلال والتي حرمت منها طيلة حياتي السابقة، وبالفعل عشت في سعادة بالغة عاما كاملا شعرت خلاله أن الله قد عوضني خيرا علي صبري علي زواجي السابق وأن حلمي قد تحقق في وجود الزوج المحب الولهان الذي كانت تثور ثائرته ولا تهدأ لو ابتعدت عنه لساعتين دون أن احادثه تليفونيا علي الأقل وخلال تلك الفترة شاركته في مشروع صغير في مجال عمله بتمويل شبه كامل مني وسعدت بتلك الشراكة. وظهرت أمامي الكثير من الوقائع اعماني حبي عن التوقف عندها منها اكتشافي أن زوجي محترف كذب وأنه يحاول استنزافي ماديا قدر استطاعته كأن بينه وبين حسابي البنكي ثأرا قديما والطامة الكبري أنه خائن وللأسف فقد بدأت خيانته لي منذ شهور زواجنا الأولي ولكن ثقتي العمياء به ومكانته التي طالت السماء بعد الزواج في نفسي وتلك السعادة الغامرة التي نحياها معا منعتني من أن اجمع الصورة واكتشف الأمر ولكن بمرور الوقت اكتشفت أن زوجي علي علاقة بكثيرات عبر الهاتف وكانت صدمتي فيه كبيرة وثورتي أكبر وكل مرة أواجهه بالأمر ينكر أو يكذب ويسارع إلي قطع تلك العلاقة ويحاول استرضائي قدر استطاعته واعترف لي في لحظة صراحة نادرة بأن هؤلاء الفتيات هن اللاتي يعاكسنه وأنه يتجاوب معهن فقط من باب التسلية خاصة أنه مجرد كلام تليفونات ولكنه لحبه لي يسارع بإنهاء الأمر فور علمه بأن ذلك يغضبني!! وطلب مني أن أسامحه علي ذلك كمسامحتي لابني الصغير عندما يخطئ وبالفعل سامحته من قلبي واعتبرت تلك الأمور السابقة هفوة لن تتكرر ولكنها واقعيا لم تنقطع ووصلنا إلي درجة أنني عندما أواجهه بمعرفتي بعلاقة جديدة يرد علي ببرود بأنه لا جديد في ذلك وأنه شيء عادي ولكن حبي له منعني م

ن أن اتخذ موقفا حادا معه بل صبرت عليه وانشغلت بتكرار حملي واجهاضي للطفل الذي سيربط بيننا للأبد خاصة مع لهفة زوجي الشديدة هو وعائلته لحدوث ذلك الحمل ولكن للأسف كانت المشكلات المادية التي واجهها مشروعنا الصغير وخسارتي الشديدة لغالبية رأس مالي ولتلك الخيانات الصغيرة لها أثر نفسي سيئ أدي إلي ظهور بعض التوتر والفتور في حياتنا الزوجية خاصة أنه أصيب بحالة اكتئاب وعشنا لعدة أشهر في رحلة بين الأطباء وساندته لتخطي هذه المرحلة بكل الحب ودفعته للبحث عن عمل جديد وسعيت معه بجدية في البحث عن عمل جيد وبالفعل التحق بإحدي الشركات الكبري التي منحته راتبا كبيرا وسيارة حديثة وجذبه العمل بعيدا عني. ثم كانت المفاجأة السعيدة وهي حدوث الحمل الذي طال انتظاره وشعرت أن فرحتي اكتملت خاصة أن هذه هي أول مرة أسعي لأن أرزق فيها بطفل وأول مرة اشعر بالسعادة لأنني حامل وبطفل من الرجل الذي أحبه بكل جوارحي ولكن تلك السعادة لم تدم طويلا إذ صارحني فجأة بأنه يريد الزواج بأخري معللا ذلك بأسباب واهية دوشة الأولاد وازعاجهم وعلاقته التي كانت متوترة مع عائلتي في بداية زواجنا ولم أشعر بنفسي وأصابتني حالة هيستيريا استجديه ألا يدمر حياتنا لأنني لن أقبل أب

دا بوجود أخري في حياته حاولت التخلص من حياتي التي شعرت أنها انتهت بعد هذه الطعنة الغادرة ومنعني هو من ذلك واتصلت بها استجديها أن تتركه لي لأنه هو ما تبقي لي في هذه الدنيا، وبعدها تعهد لي بأنه سيحاول أن يعطينا فرصة أخري معا وبأنه سيحاول الابتعاد عن تلك الفتاة التي اراد الارتباط بها سعيا وراء انجاب الطفل الذي تأخر وأنها كانت راضية بأن تكون الثانية والهامشية في حياته وحلف لي علي المصحف بأنه لم يرتبط بها

بعد وأنه سيوقف مشروع الارتباط حتي يمنحنا تلك الفرصة لإصلاح حياتنا معا وبالفعل صدقته وتفانيت أكثر وأكثر في اسعاده وسد كل جوانب النقص والتقصير التي تعلل بها ولكني وجدته يبتعد أكثر وأكثر لكنه أصبح لا يتصل بي من عمله كما تعود من قبل بل علي العكس أصبح يستاء من اتصالي به وغالبا لا يرد علي ويتجاهلني بطريقة جارحة مهما اعترضت وبكيت وتوسلت وأصبح دائم السفر في مؤتمرات يتعلل بها ويبيت بشكل مفاجئ في شقته الصغيرة بشكل شبه منتظم وهجرني في الفراش طيلة شهور الحمل الباقية متعللا بخوفه علي استمرار الحمل وأصبح كذبه بلا حدود خاصة فيما يتعلق بمكان تواجده وعندما اكشف له كذبه كان يصرخ في بأنني خنقته من كثرة متابعتي له وحرص علي وضع كود

سري للموبايل حتي لا اقرأ الرسائل الغرامية الملتهبة التي كان يتسلمها بشكل متواصل. وتلقيت من تلك الفتاة اتصالا مفاجئا ذات يوم تخبرني فيه أنها ارتبطت بآخر وأعلنت خطوبتها رسميا وأنها تطمئن علي وظلت تسألني عن علاقتي بزوجي بإلحاح عندها شعرت أن الأمر تمثيلية وأنه وراء هذا الاتصال ولكنه بالطبع كان ينكر دائما عندما أواجهه.

وحانت ساعة الولادة وخرج ابننا الجميل الي النور وفرحنا به ايما فرح واقام له زوجي حفل سبوع كبيرا وذبح العقائق وكانت فرحة الجميع غامرة بالمولود الجديد خاصة عائلة زوجي بعد أسابيع. وجدته يطلب مني الموافقة علي زواجه من أخري فرفضت بشدة وطلبت الطلاق فقال لي انه لا يوجد غيري في حياته والدليل أنه قطع علاقته بتلك الفتاة وعرض علي آخر رسالة ارسلتها هي له ذات يوم تدعو فيها عليه لانفصاله عنها وحذرني من أنها قد تحاول الاتصال بي للايقاع بيننا. وتوقع أن أطير فرحا بذلك الخبر وبالفعل لا انكر أنني شعرت بالفرحة بداخلي ولكنها مصحوبة بغصة شديدة فلم يكن لكلامه معني سوي أنه كان يكذب علي طيلة الشهور السابقة وأنه حلف علي المصحف كذبا مرتين وأن كل شكوتي السابقة به كانت في محلها ولجبروته الشديد طلب رأيي في كيفية ايقاف هذه الإنسانة عند حدها لتبتعد عنه، ولم يطل الأمر كثيرا ففي صباح اليوم التالي وجدتها تتصل بي قائلة: إن ضميرها يؤنبها وأنها تريد أن تحكي لي تفاصيل ما حدث ولا يمكن لبشر أن يتخيل حجم الصدمة التي شعرت بها عندما استمعت لتفاصيل حياتي ترويها لي كأنها كانت تقيم معي في منزلي فقد امتدت علاقته بها عاما كاملا وارتبطا بالفعل بخطبة ي

علم بها أهله، ونقلت لي تفاصيل حملي وحتي لحظات ولادتي، والكثير من التفاصيل التي ما إن سمعتها حتي انزل الله صبرا غريبا ووجدتني اسألها ولم تركته بعد كل ذلك فقالت لأنها اكتشفت أنه يخونها هي الأخري مع عدة فتيات عبر النت ولكنها لم تحتمل هذه الخيانة، شعرت بالقرف والغثيان ولا أعرف لماذا تماسكت ولم اواجهه بشكل عاصف يعكس تلك التي تعصف بداخلي وإنما تعاملت معه ببرود إلي أن حاول أن يقترب مني وجدتني انتفض وأرفض ان يمسني لشعوري بالقرف وواجهته بذلك فضحك وقال انني مجنونة وانكر تماما أن تكون علاقته بها تعدت حدود الخطبة وعندها قذفت امامه بجبل الأكاذيب التي جعلني أعيش فيها طيلة عام كامل فأخذ ينكر أشياء ويراوغ في أشياء ويقر بأشياء وحاول أن يقنعني بأن ذلك النقل الحي لوقائع حياتنا الزوجية كان محاولة منه لإنهاء علاقتهما علي اعتبار أنه أصبح زوجا سعيدا ورزقه الله بالمولود الذي كان يرجوه لعل ذلك يشعرها بالمحسوس أنه لا مكان ولا لزوم لها في حياته بعد الآن.

سيدي أنا مجروحة ابكي واتمزق علي الغدر والخيانة والخداع وأريد أن انتصر لكرامتي ولكنني وللأسف أيضا مازلت أحبه ومازالت ابتسامته تضئ لي يومي كما أنني لا أريد أن ادخل من جديد في تجربة طلاق وما تجره من مشاكل والدتي تنحاز له بشكل كامل وهو الموقف الذي لم أكن اتخيله منها اذ قالت لي بالحرف الواحد: أنسي ولا كأنك سمعتي شيئا!! وكرامتي يا والدتي؟؟ فقالت لي دوسي عليها بالـ... انت الآن أم لطفل رضيع في شهور حياته الأولي كيف تفكرين في حرمان هذا الطفل الرائع من والده؟ كيف ستواجهين الحياة بأربعة أبناء؟ أليس هذا هو اختيارك وما فعلته بنفسك عندما انفقت كل مدخراتك وتركت عملك؟ ألست أنت من دللته وعاملته كطفل كبير.. فهذه هي نتيجة ذلك التدليل! ألا يكفيك أنه فضلك عليها وعاد لك! وطلبت مني الا احاسبه من جديد علي شيء بل اتعود من الآن علي تلك الخيانات لأنها طبع متأصل في زوجي والمهم هو أنه يعود إلي بيته في آخر اليوم.

ووجدتني اطيع والدتي وأصد تلك الفتاة وأخبرتها أنه مهما حدث فأنا أحب زوجي ولن ابتعد عنه وتعاملت معه بشكل طبيعي ولكنني في منتهي التعاسة أضحك في وجهه وبمجرد أن ابتعد عنه انخرط في البكاء لمجرد تذكري لخيانته وأكاذيبه واجه

ته مرة أخري بعدم احتمالي لهذا الأمر ولكنه تعامل معي ببرود وبأنه لم يخني وإنما كان يريد بشرع الله الارتباط علي الرغم من عدم وجود أي عذر له وبأنه هو من اخبرني ببداية الموضوع وهو أيضا من اخبرني بنهايته والتي عاد فيها الي بيته عودا ميمونا وانني بذلك الحديث افتح بابا للنكد في حياتنا ولكن كيف انسي كل ما حدث كيف ألغي عقلي مرة أخري أليس من الأفضل أن احترم ذاتي وأن ابتعد عنه خاصة أن الصراحة والمواجهة للإصلاح التي دعوت صاحبة رسالة جروح الروح لها لم تعد تجدي نفعا مع من احترف الخداع والخيانة بل علي العكس تعطيه راحة نفسية بأنه لا يستتر ولا يتحمل عناء الكذب فالزوجة علي علم بالأمر فما المشكلة إذن؟ ولكن هذه الصراحة هي ما سيجرح الزوجة وسيجعل الخيانة أمرا واقعيا ومعتادا لا جديد فيه خاصة أنه كان ليس لديها بديل سوي الاستسلام للأمر الواقع وأن تظل في حالة انتظار مستمر لحكاية الخيانة الجديدة التي عليها أن تتقبلها

كسابقتها يا سيدي من لديه القدرة علي الخداع والخيانة لن يكون لديه حياء المواجهة وصدقني احساس بشع أن تحترق ذاتك لأنك منحت حبك وحياتك لمن لا يستحق.. وكأنه عار علي الزوجة أن تحب وتعشق زوجها وأن تتفاني في اسعاده ويجب عليها أن
تدفع ثمن ذلك الحب غاليا من كرامتها واحترامها لذاتها.. أرأيت يا سيدي ما الذي يفعله الأزواج في زوجاتهم؟

* سيدتي.. ما قلته لصاحبة رسالة جروح الروح قد يكون مناسبا لها أو لمن في مثل ظروفها، ولايكون ذا نتيجة في مثل حالتك. نحن هنا في هذه المساحة المحدودة نحاول أن نشترك في التفكير، لأنه من الصعب علي أي إنسان أن يقدم حلا شافيا لمشكلة إنسانية تجمع بين أكثر من طرف وتستمر لسنوات طويلة، ويختصرها صاحبها في سطور قليلة مهما طالت.

إن المعرفة الإنسانية هي وليدة تجارب البشر المتنوعة، ومهما تشابهت التجارب فإن هناك تفاصيل لابد وأن تختلف، وزوايا رؤية خاصة بالطرف الآخر الغائب لابد أن تظل غامضة غموض النفس البشرية، والتي مهما اعتقدنا أننا خبرنا أغوارها، فسنظل عاجزين عن فهم تصرفات عديدة قد يعجز فاعلها عن فهمها.

سيدتي.. لتسمحي لي أن أبدأ معك منذ البداية، منذ تلك اللحظة التي اخترت فيها الانفصال عن زوجك الأول دافعة أثمانا باهظة، متحملة مسئولية أطفال ثلاثة، ثمنا لراحتك وهدوئك النفسي. ولكنك وقبل أن تلتقطي أنفاسك، وتفهمي أسباب خيانة زوجك لك، جعلت من البحث عن زوج جديد هدفا عاجلا. فوقعت بسرعة في شباك هذا الشاب الوسيم صاحب المركز المرموق، ولم يستوقفك أو يدفعك إلي مزيد من التفكير، اعترافه لك بأنه صياد نساء، يستمتع باللهو والمجون مع أكبر عدد ممكن من الفتيات والسيدات.. لم يستفزك أو يفزعك أنه بعد فشل زيجته الأولي، لم يتقرب إلي الله أكثر أو مال إلي العزلة والانزواء، وإنما اندفع إلي الخطيئة وإلي مزيد من المعاصي، التي انفصلت عن زوجك لأجلها.. فمن يفعل ذلك وهو غير متزوج دون خشية من عقاب الله سبحانه وتعالي، سيكون سهلا عليه أن يفعله بعد الزواج، فمن لايخاف خالقه، لن يخاف زوجته.

أقصد من كلماتي، أنك أسأت الاختيار ودفعت ثمنه. وعلي الرغم من يقينك بأنه يخونك، حرصت علي الانجاب منه، علي أمل أن يربط الطفل القادم بينكما، ولم ترهني هذا الإنجاب بعودته إلي صوابه والتزامه بمراعاة الله واحترامك في كل تصرفاته.

أعتقد ـ ياسيدتي ـ انك واصلت رحلة زواجك خشية من الانفصال الثاني، وتحملت أكثر مما تحملته في زيجتك الأولي، مضحية بهدوئك النفسي وراحتك، وكأنك راضية بهذا العقاب علي سوء اختيارك.

سيدتي.. لولا كلمات بسيطة وغامضة في رسالتك حول زوجك، لاقترحت عليك أن تصري علي الانفصال عنه، خاصة مع إحساسك بالاشمئزاز والاحتقار لذاتك، لأن الزواج سكن ومودة ورحمة لاتعذيب وذل وإهانة. ولا أتفق أيضا مع رؤية الفاضلة والدتك، وإن كانت تتحدث من منطلق حرصها عليك وخوفها من عبء مسئولية أربعة أبناء، لأن الأبناء لن يكونوا أسوياء في جو مسمم بين زوجين.

ولكن ما يجعلني مترددا في هذا الاقتراح، انك لم تستطيعي إثبات خيانة زوجك بمعناها الكامل، فما اكتشفتيه عبث مع فتيات علي الهاتف والانترنت، وعندما فكر في أخري اختار طريق الزواج وأخبرك به. وهذا لايعني التماس العذر له علي ما ارتكبه، ولكنه مبرر لالتماس طريق للحفاظ علي أسرة، فزوجك يؤكد أنه مازال يحبك وأنت توقنين وتعتذرين بأنك غارقة في حبه وأن ابتسامته تضئ لك يومك، مشاعر مثل تلك يمكن البناء عليها من جديد، مع مصارحة واضحة بأن هذه هي الفرصة الأخيرة له، لأن ما بينكما يستحق المحاولة والمزيد من التضحية. فهل تفعلين؟ وهل يستجيب هذا الزوج ويقدر تجاوزك عن أخطائه، ويجني ثمار السعادة التي بين يديه دون أن يلهث خلف سراب لن يؤدي به إلا إلي مزيد من الضياع وغضب خالقه عليه؟ أتمني أن يحدث ذلك.. وإلي لقاء بإذن الله
===

الفرصة الأخيرة

هذه ليست أولي رسالاتي اليك فقد سبقتها٣ رسائل ولم تنشر، ولقد قرأت رسالة الأمل الأبدي واريد أن اكتب تعليقا عليها وأروي قصتي انا الأخري مع زوجي، وفي البداية فأنني مع هذه السيدة العظيمة التي ترفض ان تشاركها زوجة أخري في زوجها ولو بنسبة٥%، لأنها لم تقصر يوما ما في حق زوجها، وكانت له نعم الزوجة، ولأولاده نعم الأم وعانت وتحملت نزوات زوجها، وأنتهز هذه الفرصة وأرسل عبر بريدكم رسالة الي ضمير كل سيدة تشارك أخري في زوجها هي.. لماذا تدمرين أسرة سعيدة وتكونين سببا في شقائها، هي هل قلة عدد الرجال ؟!أنني أدعو علي كل سيدة تسرق رجلا ليس من حقها ان تتجرع نفس الكأس التي سقت منها غيرها، اما قصتي فأنا سيدة متدينة وعلي خلق والحمد لله ومعروفة في عائلتي بلقب العاقلة، وعمري الآن خمسون عاما وقد تزوجت منذ٢٥ عاما بعد قصة حب وخطبة استمرت ثلاث سنوات اي ان علاقتي بزوجي عمرها٢٨ عاما أو أكثر، ولي منه ابن شاب خريج جامعة وابنة في بداية التعليم الجامعي، وقد عشنا في سعادة وتفاهم دائمين وكنت ارعي الله في زوجي وأولادي، ولن أحكي لك عن قصة الكفاح المعروفة دائما وكيف بدأنا حياتنا في منزل والد زوجي وسافرنا وتحملنا الكثير، وانا راضية وفي منتهي السعادة لأننا نحلم معا ونحقق معا ما نحلم به، ولم يبخل علي زوجي بأي شيء من ماله أو حبه، وكنت أنا أتفاني معه في كل شيء الي ان تحقق لنا ما نحلم به من شقة جميلة

وسيارة وأولاد يعشقون آباهم ويعشقهم هو، الي ان دخلت حياتنا(حية) لاأعرف كيف استطاعت ان تسرق مني زوجي، لكنني فوجئت به بعد٢٥ سنة من الزواج يخبرني انه اخطأ خطأ فادحا وتزوج وسوف يصلح هذه الغلطة في أسرع وقت، ولن أكتب الآن عن آلامي وشقائي وانهياري النفسي والأمراض التي أصبت بها، والتي جعلت زوجي يدعي كذبا أنه(طلق هذه الحية) ثم اكتشفت كذب ذلك ثم طلقها مرتين بلفظ الطلاق أمامي، وسألت أهل الافتاء هل يصح ذلك وأجمعوا علي صحة ذلك، ولكنه كان يردها في كل مرة دون ان تعلم هي بأي شيء، ولما اكتشفت أن العلاقة مازالت مستمرة صممت علي ان يختار بيني وبينها، كما كان موقفي من البداية، وكان قد مر علي ذلك سنة ونصف السنة وأمام ابني الشاب الخريج وقف زوجي وطلق هذه السيدة الطلقة الثالثة وفرحت لذلك ومضت الأيام، واذا بي اكتشف ان علاقته بها مازالت مستمرة، وان هذا الطلاق الأخير والذي سمعته انا وأبني كان مزيفا، وان زوجي تعمد أن ينطق به وينفي في نفس الوقت بصوت خافت ما يقوله بصوت مسموع، كل هذا حدث دون أن يعرف أحد من أهلنا أي شيء سوي الأخت الكبيرة لزوجي والتي كنت أقيم معها في كل مرة أكتشف فيها أن زوجي يكذب علي، وهكذا تحولت حياتي لجحيم وانا الآن(أقف علي حافة الطلاق) فإما أنا أو طلاق هذه الحية، وفي انتظار وعد جديد من زوجي الذي أصبح أسهل شيء عنده أن يعد وإلا يفي بالوعد حتي سقط من نظر أولاده ومن نظري، لكني مازلت مصممة علي ألا يشاركني فيه أحد مهما كانت الظروف، وانتظر الوعد الأخير والفرصة الأخيرة أمامنا لكي يستمر هذا البيت الذي بنيته علي الحب والإخلاص منذ أول يوم وكان زوجي كذلك قبل أن يتسلل اليه سم هذه الأفعي التي هي أقل مني في كل شيء، وليست فيها أي ميزة تجعلني ألتمس له العذر في الاندفاع نحوها، أنني أعيش اتعس أيام عمري ولكني حتي لا ألوم نفسي أو يلومني أولادي فأني اعطي هذه الفرصة الأخيرة لزوجي حتي يترك هذه الأفعي ويرجع كما كان وهو الرجل الذي تخطي الخامسة والخمسين من عمره ويشغل مركزا مرموقا.

إنني أرجو أن أواسي صاحبة رسالة(الأمل الأبدي) وأن تواسيني هي أيضا في صدمتي في زوجي بعد عشرة٢٥ سنة، وهو يعترف حتي الآن بحبه الشديد لي وتمسكه بي مهما حدث، وكأن الحب لا يمنعه من أن يفعل بي كل ما فعل فما معني الحب اذن هذه الأيام؟!

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أرجو أن ينتهز زوجك هذه الفرصة الأخيرة ويبادر بتصحيح ما تورط فيه قبل أن تتفاقم تبعاته الوخيمة وتتعقد أكثر فأكثر اذا حملت منه تلك السيدة.. فليس عارا ان يخطيء الإنسان مرة، لكن العيب كل العيب ألا يبادر بإصلاح الخطأ والاعتذار عنه، وهو يعرف جيدا أنه قد أخطأ في حقنا ويسلم لنا ولنفسه بذلك. لقد كان حكيم الصين كونفوشيوس يقول: إن من يرتكب خطأ ثم لا يقوم بتصحيحه فإنما يرتكب خطأ ثانيا!

وكذلك يفعل زوجك حين يعدك بالتخلص من تلك النزوة العابرة ثم لا يفي بوعده.. أو يضعف عن تنفيذه، فتمسكي بموقفك وتخييره بين تسريح الزوجة الغازية لحياتك الزوجية وتسريحك أنت بإحسان وهدم حياته العائلية المحترمة وتعريض صورته للاهتزاز الشديد أمام أبنائه.. والإطاحة بعشرة٢٨ عاما من الحب والإخلاص والكفاح المشترك وذكريات العمر وطفولة الابناء ومناسباتهم السعيدة.

==

رسالة (اعترافات أم نادمة). ولن أنسي أبدا ما حييت دموع الفتاة

أكتب إليك قصتي آملة أن يكون اعترافي هذا سببا في غفران بعض ما ارتكبته من ذنوب في حق أعز شخص لدي، وهو ابني الوحيد، فهو ليس ابني فقط بل هو حبيبي وأخي وصديقي في نفس الوقت، ومع كل هذا الحب إلا أنني كنت السبب المباشر في شقائه وتعاسته، فأنا طبيبة تزوجت منذ خمسة وثلاثين عاما من أحد أقاربي ورزقنا الله بإبني هذا وبنتين وسار بنا قارب الحياة هادئا أحيانا وجامحا غير مستقر كثيرا بسبب عنادي وعصبيتي وشخصيتي المسيطرة، وهذا أول اعترافاتي التي ربما أعترف بها لكم ولنفسي لأول مرة، ولقد أدي عدم استقرار حياتي مع زوجي وسفره الدائم ليدير أعماله إلي تعلقي بأبنائي خاصة ابني الذي اعتبرته الرجل الوحيد في حياتي..

والتحق ابني بكلية الشرطة وكانت سعادتي يوم تخرجه تفوق أي نجاح حققته وأي لحظة سعادة عشتها.. وبدأ ابني يخرج إلي الحياة العملية ولم يؤرقني سوي أنه كان دائم السفر بحكم عمله، وكانت فرحتي يوم مجيئه في الاجازات تفوق فرحة أي فتاة مراهقة بلقاء حبيبها، وبدأ الأقارب يحدثونني عن أن ابني وصل إلي سن الزواج وانني لابد من أن أبحث له عن عروسة فبدأت ابحث ومن داخلي أتمني ألا أجد أبدا الفتاة التي يستحقها ابني، وكنت كلما عرض علي

أحد الأقارب والأصدقاء فتاة رحت أتحجج بأعذار واهية، فهذه تبدو جريئة، وهذه أشعر بأنها عصبية، وهذه غير جميلة وهذه وهذه.. إلي أن تعرفت ذات يوم علي ابنه إحدي زميلاتي في دار تحفيظ القرآن!! وعلي غير العادة لا أدري لماذا ارتاح لها قلبي وعرضت الموضوع علي زوجي وابني وبنتي وتم الانسجام بين الأسرتين وسار كل شيء علي ما يرام، وتمت الخطبة وبعدها بدأت أشعر بأنني كنت مخدرة، فقد انتبهت انني لم أبق المرأة الوحيدة في حياة ابني فقد أصبحت تشاركني فيه امرأة أخري يدللها ويضحك معها ويضع يده في يدها، بل ويتحدث معها طويلا بصوت منخفض في التليفون، لقد أصبحت هناك امرأة أخري تشاركه أسراره وأحلامه وطموحاته، ومن

هنا بدأ يجن جنوني ورحت أختلق المشاكل وأحاول استفزاز مشاعر خطيبة ابني وأحاول بشتي الطرق أن أجعلها تقع في أخطاء لا تقصدها، وأمام محاولات ابني وزوجي وبنتي بل والفتاة نفسها لاسترضائي هدأت الأمور قليلا، واستغل الجميع الفرصة وتم عقد القران وبدأ التجهيز للزفاف، ولكن لم تستمر فترة الهدوء طويلا فراحت نيران الغيرة بداخلي تشتعل ثانية وفشلت محاولات الجميع لاطفائها بل علي العكس، كان دفاع ابني عن فتاته لا يزيدني إلا قسوة وظلما، وكان في تصريح ابني لي بأنه يحبها وأنه تعلق بها لمرور أكثر من عامين علي علاقتهما سببا كافيا لي لأن أنعتها بأقذر الشتائم هي وأهلها، علي الرغم من صبرهم كثيرا علي كلماتي وتصرفاتي ولقد وصلت بي الأمور إلي انني خيرت ابني بيني وبينها وقلت له انني لن أرضي عنه أبدا إذا تمم زواجه منها، بل والأكثر انني هددت زوجي بين استمرار حياتي معه وبين زواج ابننا من هذه الفتاة، وأمام كل هذا لم يملك ابني سوي أن يستجيب لرغبتي وبالفعل حدث الطلاق ولن أنسي أبدا ما حييت دموع الفتاة يوم الطلاق ولايزال يرن في أذني دعاء والدتها علي فهي لم تسب ولم تلعن بل فقط قالت لي حسبي الله ونعم الوكيل ولأن الله يمهل ولا يهمل فلقد نلت عقابي سريعا فقد هجرني ابني الذي كنت أظن أن زواجه قد يبعدني عنه، طلب نقله إلي محافظة بعيدة ورحت شهورا لا أراه، وفشلت كل محاولاتي معه في أن يري عروسا أخري وقال انه لن ينسي حبيبته وزوجته التي ظلمها وأنه لن يتزوج ثانية، بل أصبح شاردا دائما ويائسا وسمعته صدفة يتحدث مع أحد أصدقائه بأنه يتمني الموت ليخلص من سجني وانه يخشي عقاب الله. وبالنسبة لي فأنا لا أنام فالكوابيس تلاحقني وتأنيب الضمير لا يجعلني أشعر بأني سعيدة، ولقد علمت أن حبيبة ابني لم تخطب بعد فخططت لعمل صدفة معها لأري رد فعلها تجاهي، وكأن الله أراد أن أظل بقية حياتي نادمة علي ما فعلت، فقد قابلتني الفتاة بابتسامة صافية وتعاملت معي بكل أدب واحترام ولم تجرحني بكلمة ورأيت في عينيها دموعا لم تذرفها وحنينا لابني حاولت أن تخفيه.. والآن ياسيدي أنا أعلم أن حبيبة ابني من قراء بابك، وأنا أتمني منها الصفح والغفران لي وبأن تقنعها بأن توافق علي الرجوع إلي ابني الذي اشعر بأنني، الذي فقدته للأبد.. وفي النهاية أود أن أوجه كلمة لكل أم لديها ابن وحيد أن تتخلي عن أنانيتها وأن تتقي الله في أفعالها وتصرفاتها فكما تدين تدان.

ولكاتبة هذة الرسالة أقول*

سييدتي.. رسالتك هي الوجه الآخر لرسالة الأسبوع الماضي أنا وحماتي أطراف وجدت السعادة متاحة أمام أياديها، فلم تفتش عن الشقاء الكامن في تفاصيل الفرح.. حماة تعرف حدودها وواجباتها فوهبت السعادة والأمان لزوجة ابنها، فبادلتها زوجة الإبن حبا بحب وعطفا وبنوة.

أما أنت، فقد تغلبت عليك أنانيتك ـ اغفري لي اللفظ ـ وشعرت بأن ابنك الذي تعودت أن يلعب كل الأدوار في ظل غياب والده الطويل، سيضيع من بين يديك، ولم يشفع لك أنك التي اخترت عروسه بنفسك، وسلمت بحسن خلقها ودينها، ولكنها النفس الأمارة بالسوء أحيانا، صورت لك أن ابنك سيضيع منك، فقررت تدمير هذه العلاقة، ولم تستمعي إلي صوت العقل، واعتقدت أنك بإبعاد هذه الفتاة سيعود إليك ابنك، وكأن شيئا لم يكن.

لا أريد الاستفاضة في رصد أخطائك فأنت تعرفينها جيدا، وليت كل أم لها ابن أو ابنة علي وشك الزواج أن تتجنب ما فعلته وتتعلم من الثمن الذي دفعته.

سيدتي.. دعيني قبل أن أتحدث إلي خطيبة ابنك، أن أدعوك انت إلي القيام بمبادرة أكثر إيجابية، بالتوجه إلي الفتاة وأسرتها، وتقديم لهم الاعتذار الكافي عما بدر منك وعليك أن تطلبي منهم العفو والسماح، وستجدين منهم ـ وهم كما قلت من أصل طيب ـ كل لين ورفق، وبعدها يمكنك أن تخبري ابنك بما حدث، لتعود المياه إلي حقول النفس مرة أخري فترويها عطفا ومحبة.

أما هذه الفتاة التي ظلمت وتحملت الكثير، فأقول لها، لو لم يكن هناك في حياتك شخص آخر، ومازال في قلبك حب لهذا الشاب، فاصحفي صفحا جميلا، فها أنت قد فهمت مبررات تصرفات أم حبيبك، وقرأت وسمعت اعترافها وندمها، ألا يكفي هذا لترفقي بها كوالدتك وتفتحي نوافذ السعادة في بيتين أظلمهما إحساس وتفكير خاطئان.. نتمني أن نسمع اخبارا سعيدة وأن نكون من المدعوين.. وإلي لقاء بإذن الله.

==

رسالة (الحزام المشدود!).زوجي استاذ جامعي للأسف

اكتب اليك رسالتي هذه لاقص عليك ماساتي التي اعيشها انا وابنائي مع زوجي الذي يعمل استاذا جامعيا وله من عمله دخل ممتاز الي جانب دخله من المشروعات المتعدده التي تعود عليه بالربح الوفير. فلقد تخرجت في كليه مرموقه بتقدير جيد لكني لم اعمل.. ولعلي لو كنت قد عملت عقب تخرجي لربما كانت معاناتي مع المشكله التي اكتب لك بشانها اخف وطاه.

اما سبب لجوئي اليك فهو ان زوجي شديد الاعجاب بك وبردودك علي من يطلبون مشورتك للخروج بهم من الازمات التي تواجههم، ولاني علي ثقه من انه سوف يسمعك ويعمل بنصيحتك ويرحمنا من العذاب الذي نعانيه. فزوجي بالرغم من سعه رزقه يبخل علينا بماله ولا يعطينا منه شيئا علي الاطلاق ولكي تشعر بجديه مشكلتنا فسوف احكي لك عن نظام حياتنا معه.. فنحن لدينا ابناء في مراحل التعليم المختلفه من الحضانه حتي المرحله الاعداديه، وزوجي يحرمهم جميعا من المصروف ولا يعطي احدا منهم قرشا واحد كمصروف شخصي له بحجه

ان اعطاءهم النقود سيوثر سلبيا علي اخلاقهم ويعرضهم للانحراف ومجاراه اصدقاء السوء!.. والنتيجه هي ان ابنائي يمدون ايديهم لزملائهم في المدرسه لياخذوا منهم قطعه حلوي او لبان او شبسي لانه لا وسيله لهم لتذوق مثل هذه الاشياء التي يتطلع اليها الاطفال الا بتسولها من زملائهم الذين يقولون لهم انهم شحاذون.. ويرجع الي ابنائي ليشكو لي من ذلك!

كما ان زوجي يحرمنا جميعا من شتي انواع الفاكهه بحجه انها قد تم رشها بالكيماويات والمبيدات الخطيره جدا علي صحه الانسان، ونظرا لانه يخاف علينا من اضرارها فهو يحرمها علينا ولا يسمح بشرائها او دخولها البيت مع انني قد اكدت له مرارا وتكرارا ان نغسل الفاكهه جيدا بالماء النظيف يكفي لتجنب هذه الاضرار.

اما عن الطعام فنحن لا نعرف منه طوال ايام الاسبوع الا الانواع الشعبيه الرخيصه كالفول والطعميه والكشري الاسكندراني وهي طعامنا كل ايام الاسبوع الي ان يجيء يوم الجمعه.. وهو اليوم العالمي للتغذيه في حياتنا فيقوم زوجي بشراء كيلو جرام من اللحم المجمد ويدخل به المطبخ ليطهوه بنفسه لكي ينفرد به ويظل يتسلي بالتهام معظمه خلال الطهي والابناء ينتظرون الغداء الشهي بفارغ الصبر، وبعد ساعات من غياب زوجي بالمطبخ يخرج علينا وقد وضع لكل فرد منا قطعه صغيره من اللحم علي طبق الارز ويبدا يوم الغداء العالمي في بيتنا.

اما انواع الحلوي من الجاتوه والشيكولاته والبونبون فكلها بلا استثناء من المحرمات علينا لانها تهدد اسنان الابناء بالتسوس وهو يريد لابنائه ولي بالطبع اسنانا سليمه ناصعه البياض! وذلك بالرغم من انه حين يشهد معنا حفل زفاف او قران لاحد الاقارب يلتهم كل مايقع تحت يده من التورته والجاتوه بلا رحمه، ويحث ابناءنا علي ان يلتهموا منها بقدر مايستطيعون، لكي تمدهم بالنشاط وتعينهم علي السهر حتي نهايه الفرح كما يقول لهم!

فضلا عن انه يمسك بمصروف البيت في يده ولا يعطيني مليماواحدا منه بدعوي ان السيدات لا يصلحن لاداره الشئون الماليه للاسره ولانهن قد خلقن كما يقول لرعايه الزوج والسهر علي راحته وراحه الابناء ولهذا فان الزوجه المثاليه كما يوكد لي مرارا وتكرارا هي خادمه وعشيقه فقط ولا تصلح لاي شيء اخر!

والنتيجه ياسيدي هي انه لولا مساعده ابي الماديه لي لما استطعت اجتياز كثير من مصاعب الحياه التي واجهتها واوجهها كل يوم.. لكني اشعر بالحرج الشديد من مساعده ابي لانه احق بما يعطيه لي وقد ادي رسالته نحوي ونحو اخوتي علي اكمل وجه ولم يحرمنا من شيء.. فاذا بي اصبح عبئا عليه انا وابنائي وانا اعيش في كنف رجل اخر كل همه هو الادخار والادخار فقط.

لقد تحدثت الي زوجي مرارا وتكرارا ولجات الي اهلي والي اهله لكي ينصحوه بان يرحمنا ويخفف عنا جفاف حياتنا.. فكان رده علي وعلي الجميع ان لديه مشروعات عديده وطموحات كبيره لابد له من ان يحققها اولا قبل ان يتخفف من هذا الجفاف. حتي والده الرجل الطيب قال له: ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء.. فاجابه بنفس الرد وطلب منه ان يدعه يحيا حياته كما يريدها موكدا له انه لا يحرمنا من شيء!

وبعد فشل جميع المحاولات من جانب والدي ووالده قررت ان اطلب منه الطلاق لاتخلص من هذه الحياه المهينه القاسيه الجافه.. لكني بعد ان قرات رساله الطفله التي نشرتها بعنوان

&&&&&&&&&&&

البيت الجميل

&&&&&&&&&&&

والتي تشكو من حرمانها هي وشقيقتها من امها بعد طلاقها من ابيها، شعرت بالحزن والاسي.. واستشعرت خطوره كلمه الطلاق وخشيت علي ابنائي من مصير هذه الطفله، وحاولت بشتي الطرق اصلاح زوجي وتذكيره بنعمه الله الجليله علينا وهي الابناء وكيف ان علينا ان نرعاهم ونوفر لهم الحياه الكريمه فلم يسمع لي مع انه كاد يبكي وهو يقرا رساله هذه الطفله في بريد الجمعه!

انني لن اخفي عليك انني قد اضطررت مع استمرار حرمانه لنا ان اخذ من ماله مبلغا بسيطا لاشتري ملابس لاولادي ولي، ولكي اري الفرحه في عيونهم بعد طول حرمان من الملابس الجديده يرتدونها امام الاقارب والاصدقاء، والنتيجه معروفه مقدما.. فقد ثار علي زوجي ثوره عارمه واتهمني بانني نشاله ولصه وعديمه الاخلاق والتربيه ووجه لي شتائم والفاظا لا استطيع ان اخطها لك. وتحملت كل ذلك من اجل ابنائي كما تحملت الكثير من قبله.

انني ارجوك ان توجه اليه كلمه تنصحه فيها بان يرحمنا. وتقول له ان الابناء نعمه من الله يجب عليه رعايتها وان لهم عليه حقا ولزوجته كذلك هذا الحق فلقد قال الله سبحانه وتعالي المال والبنون زينه الحياه الدنيا وهو لا يعترف بزينه الابناء ويعترف فقط بزينه المال. سيدي انك الان الامل الوحيد الباقي لنا للخروج مما نحن فيه من حرمان شقاء.. فهل تستجيب لرجائي ؟

ولكاتبه هذه الرساله اقول:

وهل تظنين حقا ياسيدتي ان كلمه اوجهها الي زوجك العزيز يمكن ان تعدل به حقا عن الخطه التي ارتضاها لحياته.. ورضي معها لنفسه وزوجته وابنائه بهذه الحياه الجافه المحرومه.. حتي يتطلع اطفاله الي مافي ايدي قرنائهم ويستجدوهم بعضها ؟

لقد تحدثت في رسالتك عن ضرورات الحياه كالطعام والكساء واشباع رغبات الاطفال مما يتفكه به الصغار، ولم تشتري الي ما لايعد من كماليات الحياه بالنسبه للقادرين كالنزهات والرحلات والانديه وغير ذلك مما تستروح به الاسره وتخفف به عنها عناء الايام، ولقد فشلت مع زوجك كل جهودك وجهود اهلك واهله في اثنائه عن هذه الخطه الشانه وهو الاستاذ الجامعي وصاحب المشروعات والاعمال والطموحات، فكيف تنجح اذن كلمه من ناصح مثلي فيما فشل فيه الاقربون.. وكيف تحرك في قلبه ومشاعره مالم تحركه نظرات الحرمان في عيون الابناء ؟

ان البخل افه لا علاج لها للاسف.. ولا امل كبيرا في الشفاء منها الا في اندر الاحوال، وتحت تاثير قوي قهريه ضاغطه لا يملك معها صاحبه الا ان يتنازل كارها عن بعض شحه وتقتيره وليس عن كله تجنبا لاضرار اكثر عليه خطرا من تفريطه المحدود في المال كخطر انفراط عقد الاسره بالطلاق مثلا ان لم يستجب لمطالب الزوجه بالانفاق عليها وعلي الابناء بما يليق بمستواه الاجتماعي والمادي او ماشابه ذلك من الضغوط. اما عدا ذلك من المناشدات والرجاءات فلا تحرك ساكنا لدي من يري في المال قيمه تعلو علي كل اهداف الحياه وفي مقدمتها سعاده الابناء والزوجه واستقرار الحياه الزوجيه وهناوها.

لهذا فان افضل السبل لمواجهه هذا الحرمان الذي تكابدينه هو ان يكرر والده ووالدك ضغطهما عليه بشده لتحديد مبلغ عادل يتناسب مع مطالب الاسره واحتياجات الحياه للانفاق عليها شهريا سواء تمسك هو باداره موازنه الاسره او تخلي عنها لك، ولو تطلب الامر ان يتعهد والده بضمان انفاقه لهذا المبلغ او تقديمه لك كل شهر..، مع التاكيد له بان ذلك لن يوثر علي خططه للاثراء وتنفيذ الطموحات والمشروعات، وان كنت مازلت اعجب ممن يحرم نفسه وابناءه وزوجته من ضرورات اليوم لحساب رفاهيه موجله غير مضمونه في الغد.. وقد تجيء وقد لا تجيء واذا جاءت فقد تجيء بعد ان تكون الصحه قد غابت وفقدت النفس قدرتها علي الاستمتاع بمباهج الحياه.. او قد تجيء وقد تشبعت نفوس الابناء بالمراره تجاه الاب الذي حرمهم في طفولتهم وصباهم وربما شبابهم ايضا من بهجه الحياه، فلما اصابوا الثراء في شيخوخته لم يحملهم ذلك علي تغيير نظرتهم اليه ولم يشفع له عندهم في اكتساب مودتهم ومشاعرهم التي افسدتها مراره الحرمان سنوات طوالا.

مع ان العقل يقول لنا ان الانسان ليس مطالبا بان يحرم يومه مثل هذا الحرمان القاسي لحساب غده الذي قد يجيء وقد لا يجيء وانه يستطيع مادام قادرا ان يحيا حياه كريمه معتدله بغير او يوثر ذلك علي خططه للمستقبل اذا كان مقدرا له من الاصل ان يكون ذات يوم من اهل الثراء ولم يكن من الواهمين الحالمين والذين يجرون وراء سراب حلم الاثراء الواسع بغير قدرات ولا موهلات يرشحهم له.

والحق انه تحيرني دائما قدره الانسان علي خداع النفس والغير وعلي استخدام المبررات النبيله في تبرير الافعال والتصرفات الشائنه وهي سمه ينفرد بها الانسان دون بقيه الكائنات التي لاتخفي رغباتها وغرائزها.. ولا تحاول تجميلها والباسها ثوب الفضائل والنبل فزوجك ياسيدتي يحرم اطفاله من المصروف بخلا وشحا وتقتيرا عليهم لكنه لا يعترف بذلك لنفسه ولا لك وانما يبرره برغبه نبيله وهدف تربوي سام وهو ان يحميهم من خطر الانحراف الاخلاقي! ويغيب عنه في نفس الوقت ان من الوسائل التربويه ايضا التي تبني شخصيه الطفل وتساعده علي استقلاليه التفكير والتصرف ان يتعود منذ الصغر علي التعامل مع النقود وشراء احتياجاته بنفسه وحساب تكلفتها وموازنه دخله من المصروف مع انفاقه علي متطلباته الصغيره!

وزوجك يحرم نفسه وزوجته واطفاله من كل انواع الفاكهه والحلوي فلا يعترف لكم بانه انما يفعل ذلك شحا وتقتيرا لكي تزداد مدخراته علي حساب حرمان اطفاله مما تهفو اليه نفوسهم، وانما يبرره بالحرص علي صحه افراد اسرته وسلامه اسنانهم!

وهكذا يتواصل خداع النفس والغير الي ما لا نهايه، واذا كنت قد افتقدت في رسالتك تبريره النبيل لحرمان اسرته وهو الرجل القادر من اطايب الطعام طوال ايام الاسبوع الي ان يجيء يوم الغذاء العالمي كل جمعه، فلن يكون غريبا ان يبرر لكم ذلك ايضا بحرصه علي رشاقه اجسام افراد الاسره وحمايتها من اضرار السمنه!

والكارثه ليست فقط في ان يرضي هذا الاستاذ الجامعي وصاحب المشروعات والطموحات لاسرته بمثل هذا الحرمان الشائن من ضرورات الحياه، لكنها ايضا في هذه الحمي التي تنتاب البعض للاثراء والرغبه في التحول بقدره قادر الي اصحاب ملايين ولو اضاعوا في سبيل ذلك اسرهم وابناءهم واهانوهم بالحياه الجافه المحرومه واهانوا انفسهم في اعين ابنائهم وشركاء حياتهم والاهل الاقربين ولكل انسان ان يضع نفسه حيث يراها جديره بان تكون. وعطاء المرء القادر لاسرته وابنائه وزوجته انما يكون علي قدر اعتزازه بنفسه واحساسه بجدارته وليس فقط علي قدر اعزازه لهم.

ولقد قيل قديما لرجل: لنا عندك حويجه اي حاجه صغيره فاجابهم الرجل من فوره: اذن فاسالوا لها رجيلا تصغير رجل لانه يري نفسه احق بان تطلب منه الحاجات الكبيره وليس سفاسف الامور الصغيره!

ولن اقول بدوري لزوجك الاستاذ الجامعي ان لنا لديه حويجه هي ان يعطي ابناءه الصغار مصروفا معتدلا ويخصص لزوجته او لاسرته مبلغا عادلا يلبي به مطالب حياتها بطريقه كريمه تشعر الزوجه والابناء باعتزازه بهم ورعايته لهم وحدبه عليهم وانما ساقول له ان لنا لديك حاجه لا تطلب الا من الرجال وهي ان ترعي اسرتك وابناءك وزوجتك بما يليق بك وبمركزك العلمي ووضعك الاجتماعي والمادي لان مال الدينا كله لن يعوضك عن

تحول مشاعر زوجتك وابنائك عنك خاصه بعد ان يشبوا عن الطوق ويتفهموا حقائق الحياه ويتمردوا علي الاب الذي يحرمهم مما يتمتع به غيرهم في نفس ظروفهم الاجتماعيه، وفي هذه الحاله فلسوف تنفق المال الذي تضن به عليهم الان كارها او راغما لكنك ستنفقه تحت ضغط الابناء بغير ان يكون لعطائك لهم مردود عطاء الاب للابناء الذي يتالف قلوبهم.. ويجمعهم حوله ويزيدهم حباله.

فاختر لنفسك ماتشاء ياسيدي فلك قبل كل افراد اسرتك ماسوف تختاره لنفسك من حب الزوجه والابناء.. وعليك ماسوف تطلبه لها من تنكرهم لك في المستقبل المنظور وشكرا.

==

رسالة (دمــو ع السـعادة).والدها ظل كالصخرة لايرق ولايلين
أكتب إليك لأروي لك قصتي وأطلب منك المساعدة، فأنا شاب في الحادية والثلاثين من عمري.. نشأت في أسرة من الأسر التي تكافح في الحياة للحفاظ علي مظهرها.. ولا تستند في حياتها إلا إلي دخلها من العمل الشريف.. فأبي موظف كبير لكن مرتبه يضعه في فئة محدودي الدخل، ويده النظيفة تحجب عنه موارد الرزق الحرام والحمد لله، وأمي موظفة كبيرة أيضا وتنفق مرتبها كله علي أسرتها.. وتدبر شئون العائلة والأبناء بجمعيات الادخار والاقتراض أحيانا.. كما أنها أسرة تعرف ربها حق المعرفة والحمد لله فكل أفرادها من أصغرهم وهو أخي إلي أكبرهم وهو أبي كلهم صوامون قوامون مصلون..، وأسعد أوقاتنا حين يؤمنا أبي في الصلاة.. وحين نحتفل بالمناسبات الدينية، وخاصة المولد النبوي الشريف.
ولقد مضت بنا الحياة هادئة في معظم احوالها وأبي وأمي يرعياننا ويقدمان لنا مثلا أعلي في المودة والرحمة التي تجمع بينهما.. وقد تعاملا معنا منذ الصغر بالحكمة والصبر والحب، فلم نسبب لهما حتي في فترة المراهقة العصيبة المشاكل المألوفة، وواصلنا تعليمنا بنجاح حتي تخرجت في كلية التجارة والتحق أخي بكلية الشرطة، وبدأت رحلة البحث عن عمل.. ولم يستطع أبي ايجاد وظيفة لي ورحت أتابع اعلانات الوظائف الخالية وأقدم أوراقي لجهات عديدة دون جدوي، ثم عملت عملا مؤقتا لمدة شهور بإحدي المدارس، وفي شركة أخري كمندوب مبيعات، وأخيرا وجدت فرصة عمل مستقر نسبيا في شركة خاصة وكان راتبي ثلاثمائة جنيه فرحت بها حين قبضتها لأول مرة فرحا طاغيا واشتريت لنفسي بنطلونا وقميصا ولأخي مثلهما، وحاولت اعطاء أمي مائة جنيه كمساهمة في مصروف البيت فرفضت وطلبت مني ادخارها لزواجي بعد سنوات، وبالفعل بدأت أدخر من راتبي هذا جزءا كل شهر لكي أكون مستعدا حين التقي بفتاة أحلامي، ولم يطل الوقت بي فقد وجدتني مشدودا إلي زميلة لي في العمل عينت حديثا، ولاحظت عليها هدوءها وسماحتها وأدبها كما لاحظت عليها أيضا أناقتها وجمالها الهاديء.. ويوما بعد يوم
تعمقت الصداقة بيننا وعرفت أن والدها لواء سابق بالقوات المسلحة ومن أسرة كبيرة ويملك أرضا زراعية فترددت في مفاتحتها بحبي لها، وقدرت أنها قد لا تقبل بالارتباط بشاب مثلي لايملك إلا شبابه وحبه وبضع مئات من الجنيهات.. فتراجعت وكتمت مشاعري تجاهها.. بل وبدأت أيضا أتجنب الالتقاء بها.. وفوجئت بها في أحد الأيام تطلب مني أن أنتظرها بعد انتهاء العمل لأنها تريد أن تتحدث معي في أمر مهم.. وجاءتني بعد انتهاء العمل وخرجنا نمشي في طريق العودة إلي بيتها فسألتني عن أسباب ابتعادي عنها وعما إذا كانت قد أغضبتني في شيء أو سمعت عنها شيئا يسيء إلي أخلاقياتها، فقلت لها إنني لم أسمع عنها إلا كل ما يزيدني احتراما لها، لكنه رحم الله امرءا عرف قدر نفسه. وسألتني عما أعنيه بذلك فانهرت واعترفت لها بأنني أتعذب بحبها في صمت منذ أكثر من عام.. ولكني بعد أن عرفت ظروف أسرتها أدركت أنه لا أمل لي فيها فكتمت مشاعري وابتعدت فصارحتني بحبها لي ورغبتها في الارتباط بي، وطلبت مني ألا أبخس نفسي قدرها، فأنا ـ كما قالت ـ من أسرة تشرف أية أسرة تصاهرها ولسوف تطلب مني في الوقت المناسب وبعد أن تكون قد مهدت لي الطريق، أن أتقدم لأبيها.. وطرت فرحا بذلك وأوصلتها إلي
بيتها ورجعت إلي بيتي وفاتحت أبي وأمي في الموضوع ورويت لهما كل شيء فباركا رغبتي ووعداني بمساعدتي بكل مايستطيعان المساعدة به.
ومهدت لي فتاتي الطريق لدي أسرتها وفي الموعد المحدد اصطحبت أبي وأمي وأخي وقد أرتدواأفضل ثيابهم وتوجهنا إلي بيت الأسرة، فإذا به شقة واسعة من٦ غرف في عمارة فاخرة.. والشقة تفوح منها رائحة العز والعراقة.. واستقبلنا الأب ورحب بنا بغير حرارة وراح يتفحصني بعمق ثم بدأ الحديث فسأل عن راتبي ودخلي وهل لدي شقة ملائمة أم لا، وأجبته بصراحة عن كل شيء وقلت له أنني أبذل جهدي للحصول علي شقة في التعاونيات، بأحد أطراف المدينة فلم يبد عليه الحماس لما قلت، وانتهت الجلسة بغير قبول صريح منه ولا رفض، وانصرفنا عائدين وأنا أشعر بالهم يتسلل إلي نفسي، وكتم أبي مشاعره فلم يتكلم أمامي، لكن نظراته الحزينة كشفت عما يشعر به.
وفي اليوم التالي غابت فتاتي عن العمل .. واحترقت بنار القلق والرغبة في معرفة قرار والدها بشأني..، وانتظرت بفارغ الصبر ظهورها فلم ترجع إلا بعد ثلاثة أيام.. وبدت لي حين رأيتها مريضة وشاحبة الوجه.. وعرفت النتيجة بغير كلام..، وواسيتها وطلبت منها الامتثال لرغبة أبيها الحريص علي مصلحتها، فانفجرت في البكاء وأكدت لي أنها لن تتخلي عني مهما يحدث وستواصل الكفاح مع أبيها لإقناعه بمن اختارته.. واتفقنا في النهاية علي ألا نتخذ أي قرار بشأن مصيرنا فلا نقرر الانفصال أو الارتباط إلا بعد أن تيأس هي تماما من نيل موافقة أبيها
وتراضينا علي ذلك وواصلنا حياتنا ومضي عام طويل بغير أن تلوح لنا بارقة أمل.. بل لقد تجهمت السماء أكثر فشكت لي فتاتي من ضغط أبيها عليها لقبول خطبة عريس من أسرة ثرية تربطها بأسرتها صلة المصاهرة فشعرت باليأس ونصحتها بالقبول صادقا، لكنها لم تأبه لي ثم ازداد الموقف تعقيدا حين بدأنا نسمع عن تعثر الشركة التي نعمل بها واتجاهها إلي التصفية أو تقليص عدد العاملين بها، وترقبنا مصيرنا في وجل فلم يتأخر عنا القدر وتم الاستغناء عن خدمات كل من عملوا بالشركة خلال الأعوام الأخيرة مع تعويضهم بمكافأة بسيطة وكانوا

ستة أنا من بينهم، ونجت فتاتي من الفصل بالطبع مراعاة لوالدها.. وألححت عليها من جديد في قبول الآخر ونسياني بعد أن ادلهمت الظروف علي هذا النحو وصرت عاطلا.. فنهرتني باكية ورحت أبحث عن عمل آخر.. والتقي كل بضعة أيام بفتاتي في مقهي حديث اخترناه لموقعه الهاديء واعتدال أسعاره وقربه من بيتي. وكلما التقينا تبادلنا الأخبار ونسجنا الأحلام وتعلقنا بالأمل في تحسن الأحوال.. ومضي عامان تنقلت خلالهما بين أكثر من عمل مؤقت ولم تنجح فتاتي في إقناع والدها.. واقترحت هي علي ذات يوم أن نعقد قراننا ونؤجل الزفاف إلي حين الحصول علي موافقته لكني كرهت لها أن تخرج عن طاعة والدها، وتحملت غضبها مني وخصامها لي أسبوعا طويلا نتيجة لذلك، وأخيرا تمكن أبي من إيجاد وظيفة لي في جهة تابعة لعمله بعد٦ سنوات من تخرجي، وكان أخي قد تخرج في كلية الشرطة وذهب للعمل في أقصي الصعيد، ولم يكتف أبي بذلك؛ وإنما استبدل أيضا جزءا من معاشه ودفع لي مقدم ثمن شقة تعاونية بسيطة في أحد أطراف المدينة وشكرته علي ذلك كثيرا وقبلت يده وقلت له إنه قد أدي رسالته معي علي خير وجه وبأكثر مما هو مطلوب منه.. وتعمدت أن أقول له ذلك لأنني كنت أشعر بحزنه من أجلي واحساسه بعجزه عن اسعادي وتوفير سكن لائق وعمل مناسب لي..، فأنبسطت أساريره ودمعت عيناه فأعدت تقبيل يده شاكرا وداعيا له بالصحه وطول العمر

وأبلغت فتاتي بالتطورات الأخيرة .. فنقلتها لأبيها وهي تظن أنه سوف يلين فإذا به يصر علي رفضي وعلي أن ترتبط بالآخر الثري.. وصارحتني فتاتي بيأسها من أبيها وألحت علي في عقد القران، ورفضت للمرة الثانية فغضبت مني غضبا هائلا وتوقفت عن مقابلتي والاتصال بي، وتوقعت أن تخاصمني أسبوعا ثم ترجع إلي فإذا بالفترة تطول وتمتد لأسابيع.. واستشعرت الخطر واتصلت بها فإذا بها تنفجر في البكاء وتبلغني أنه قد تم عقد قرانها علي العريس الجاهز وتطلب مني عدم الاتصال بها ثانية وترجو لي السعادة مع غيرها..

فوضعت السماعة وظللت في مكاني ذاهلا حتي نبهني من يريد استخدام التليفون .. فتحركت وأنا لا أري الطريق، وعدت للبيت واستلقيت علي الفراش وأغمضت عيني متظاهرا بالنوم.. وراحت الصور المرئية تتوالي أمام مخيلتي وتعرض علي ذكريات خمس سنوات من الحب والصفاء لاتشوبها شائبة واحدة، ولم يغمض لي جفن ليلتها ولم أذهب للعمل في اليوم التالي، ثم امتثلت للأمر الواقع وأبي يرقبني في فهم، ويقترح علي السفر إلي أخي في الصعيد لبضعة أيام لتغيير الجو، وأفكر في اقتراحه فأجده حكيما وبالفعل أحصل علي إجازة من العمل وأسافر إلي أخي وأنزل معه في استراحة الشرطة، وأروي له ما حدث وأتشاغل عن همومي بالزيارات ورؤية الحياة هناك.. وأرجع إلي القاهرة وأشعر بعد عودتي للعمل بأن قلبي قد أغلق أبوابه تجاه الجنس الآخر وأنه يتعذر عليه أن يستجيب لأي فتاة أخري، بعد حب العمر، خاصة أن أقساط الشقة تلتهم معظم راتبي وأجدني طوال الشهر بلا نقود. فأرجع للبحث عن عمل اضافي وأمر بمقهي الذكريات السعيدة ذات مساء فأعرف من الجارسون أنهم يحتاجون في المقهي إلي مساعد جارسون يعمل٧ ساعات كل يوم، وأن الأجر ١٥٠ جنيها عدا البقشيش، واسأل عن مهمة هذا المساعد،فأعرف أن مهمته هي حمل الطلبات من البوفيه إلي الزبائن واعادة الفوارغ للبوفيه فقط لكنه لا يسجل طلبات الزبائن ولا يحاسبهم علي ما شربوه، وأفكر في الأمر بعض الوقت ثم أعرض نفسي عليه، وينتهي الأمر بالتحاقي بهذا العمل من الخامسة مساء حتي منتصف الليل كل يوم وبفضل هذا العمل بدأت أجد في يدي بعض النقود بعد سداد قسط الشقة، بل وبدأت أدخر بعضها أيضا ولم يعترض أبي علي عملي بالمقهي لأنه يحترم كل عمل شريف، وإنما جاء الاعتراض من أخي ضابط الشرطة، وغضبت منه لاني شعرت أنه يفكر في نفسه وهو يعترض علي عملي وليس في وصارحته بذلك فسحب اعتراضه وقبل رأسي وأشاد بكفاحي.

وبعد فترة ترقيت في عملي وأصبحت جارسونا يسجل طلبات الزبائن ويحاسبهم ويتلقي منهم البقشيش، وكنا اثنين فقط نقوم بهذا العمل مع ثلاثة من المساعدين، واكتشفت أن عمل الجارسون وإن كان من أشق الأعمال من الناحية الجسدية حيث يظل في حركة متصلة طوال فترته إلا أنه أيضا من أكثر الأعمال الصغيرة عائدا، إذ كان متوسط دخلي منه لا يقل عن٦٠٠ جنيه في الشهر وهو أكثر من ضعف راتبي من الهيئة التي أعمل بها، وفي هذا العمل اكتسبت خبرة ثمينة بالحياة.. وبالتعامل مع البشر، وشهدت فيه أيضا لحظات عصيبة وأخري بهيجة.. لكن أصعب اللحظات علي الاطلاق كانت حين لمحت ذات مساء وأنا أحمل صينية الطلبات فتاتي السابقة تنزل من سيارة حديثة بصحبة شاب رياضي مفتول العضلات وتتجه إلي احدي الموائد علي الرصيف في الناحية التي أتولي الخدمة فيها، فلقد شعرت بدوار شديد ووضعت الصينية علي مائدة خالية وجلست ألتقط أنفاسي للحظات ورآني زميلي الذي يعمل في الناحية الأخري جالسا فجاءني مستفسرا عما ألم بي وكنا قد أصبحنا صديقين فصارحته بأن من كنت أتمني الزواج منها وفرقت بيننا الظروف تجلس في المائدة القريبة مع زوجها وأنني أخشي أن تراني وأنا أقوم بهذا العمل فعرض علي أن يتولي هو خدمتها وخدمة المقهي كله حتي تنصرف .. وكدت أقبل عرضه لكني تمالكت نفسي بعد لحظات وفكرت أنني أكافح بشرف في الحياة وليس لدي ما أخجل منه فشكرت زميلي وقلت له إنني سأواصل عملي بطريقة طبيعية..، وبالفعل سلمت الطلبات التي أحملها للزبائن ثم اتجهت إلي مائدة فتاتي السابقة وحييت الجالسين وسألتهما عن طلباتهما.. فطلب الشاب شايا ثم أشار إلي زوجته. وكانت قد عرفتني بالطبع فألجمت المفاجأة لسانها.. وربما استغرقتها الذكريات وأردت أن أنهي الموقف فقلت لها بصوت خافت: الهانم تأمر بإيه، فهمست بصوت لا يسمع بما تريد ولولا أنني كنت أعرف مشروبها المفضل الذي كانت تطلبه دائما وهي معي، لما فسرت ما نطقت به وانصرفت من أمامها وأنا أشعر بأن نظراتها تخترق ظهري، وظللت

أشعر بعينيها تلاحقانني طوال نصف الساعة الذي أمضته بالمقهي ثم ودعتني بنظرة طويلة أثارت شجوني وجددت أحزاني. ورويت لأبي وأمي ما حدث فسألني أبي مشفقا: أمازلت تحبها؟ فأحنيت رأسي صامتا.. وتدخلت أمي في الحديث ونصحتني بالتفكير في الزواج بعد أن قاربت علي التاسعة والعشرين وأصبحت لدي شقة واستقررت في العمل.. ووعدتها بذلك وبعد ستة أشهر فوجئت بتليفون من فتاتي السابقة تقول لي إنها قد طلقت بعد زواج دام ثلاث سنوات لم تنجب فيه ولم تستطع خلاله التوافق مع زوجها وفشلت كل محاولاتها لأن تحبه لأن قلبها ظل مشغولا بغيره حتي سلمت باليأس وحصلت علي الطلاق رغما عن إرادة أبويها، وأنها الآن حرة وتعمل عملا مناسبا ومستقرا، وتسألني هل مازلت أحبها كما تحبني فصرخت في التليفون أنني أحبها ولم أحب سواها، وأحلم باليوم الذي يجمعني بها.. وانتهينا إلي الاتفاق علي أن أتقدم لأبيها من جديد بعد أن تغيرت الأحوال، وقبل أبي مصاحبتي مرة أخري إلي بيت أسرتها واستقبلنا الأب بالطريقة المحايدة نفسها واستمع إلي من جديد بلا حماس وأخفيت عنه بالطبع أنني أعمل في مقهي بعد الظهر لكيلا أعطيه المبرر لرفضي بحجة أن عملي لا يليق بمن يصاهره، ولأنني اعتزمت عند الزواج أن أتوقف عنه بعد أن ادخرت منه مبلغا لا بأس به..، وكانت المفاجأة حين أبلغنا والدها في الجلسة نفسها أن ظروفي مازالت غير مقنعة ولا ترشحني لمصاهرته، فغادرته ساخطا وأنا غاضب من فتاتي لأنني ظننت أنها قد مهدت لي هذه المرة الطريق وضمنت موافقته، ولم تتركني هي لغضبي طويلا فلقد اتصلت بي وأبلغتني فيما يشبه الأوامر وبغير مناقشة: أحضر المأذون إلي بيت أسرتك يوم كذا الساعة كذا وسأحضر إليك لعقد القران.. مع السلامة!

ثم رفضت الرد علي التليفون المحمول بعدها طوال اليوم لكيلا تدع لي أي فرصة لمناقشتهاواحترت في أمري واستشرت أبي فنصحني لإبراء ذمتي أمام أبيها بأن أبلغه بما قررته ابنته دون تحديد للموعد أو المكان وأسأله للمرة الأخيرة الإذن لنا بالزواج لكي يتم عقد القران في بيته هو، واتصلت به وأبلغته وسألته الإذن فأجابني في برود وكبرياء أنه لا يأذن لي بعقد قراني علي ابنته.. وهي حرة في أن تفعل بنفسها ما تشاء لكنه سوف يقاطعها ويحرم عليها دخول بيته حتي يوم الدين إن هي ارتبطت بي علي غير رغبته، وأغلق التليفون واقترب الموعد المحدد وأنا لم أحسم أمري بعد، وفي اللحظة الأخيرة واتتني نوبة شجاعة قمت خلالها بالاتفاق مع المأذون وأجريت الاستعدادات المطلوبة وجاءت فتاتي إلي البيت مصحوبة بينتي خالتها وأربع صديقات لها ملأن بيتنا بالزغاريد من اللحظة الأولي وجاوبتهن أمي وهي في قمة الفرح، وطلبت فتاتي أن تصلح زينتها فقدتها وصاحباتها إلي غرفتي.. وأغلقن الباب عليهن، وجاء المأذون وقدم الشربات وخرجت عروستي وقد اتخذت زينتها وارتدت فستان الفرح الأبيض.. وتمت الإجراءات وسط الزغاريد والدموع.. زغاريد الفتيات ودموع عروسي الجميلة ودموعي ودموع أمي، بل وأبي وأخي أيضا، وانطلقت الفتيات يغنين مع أنغام الكاسيت وزوجتي تغني معهن وضحكاتها ترتج لها الجدران وصاحباتها يتضاحكن ويقارن بين كآبتها يوم زفافها السابق وفرحتها اليوم، ثم بدأت الفتيات في الانصراف وأنا أتوقع أن تنصرف معهن زوجتي بعد أن تبدل فستانها الأبيض لكني رأيتها تودع ابنتي خالتها وصديقاتها بالقبلات وتبقي في الشقة فأدركت أنها قررت أن نتزوج علي الفور وليكن من أمرنا مايكون بعد ذلك!

وأعدت لنا أمي عشاء فاخرا ثم انفردت بعروسي في غرفتي وأنا أشعر بأنني أسعد انسان في الوجود.. وفي غرفتي عرفت خطة زوجتي للمستقبل وهي أن نقيم مع أسرتي إلي أن ننتهي من إعداد الشقة، ولا بأس باستمراري في العمل بالمقهي حتي ذلك الحين، علي أن أتوقف عنه بعد انتقالنا إلي عش الزوجية لبعده عنه قبل كل شئ، علي أن أبحث لنفسي عن عمل إضافي آخر في أحد المكاتب أو أن أكتفي بعملي الصباحي. وبدأنا حياتنا الزوجية.. وأصبحت زوجتي نجمة الأسرة وموضع اعتزاز كل أفرادها وحبهم، واكتشفت فيها روحها الحلوة المتسامحة وعشرتها الجميلة وقدرتها علي اكتساب مودة الآخرين بطريقة تلقائية..

وبعد شهر واحد ظهرت عليها أعراض الحمل، فبلغت سعادتها قمم الجبال وفسرت هي حملها من أول لحظة مني وعدم حملها علي مدي ثلاث سنوات في زواجها السابق بأنه فارق الحب!.

وكرست كل جهدي لتشطيب الشقة، ورفض والد زوجتي الإفراج عن أثاثها المكوم في شقته القديمة نكاية فيها فلم تأبه لذلك.. واخترنا بذوق زوجتي أثاثا بسيطا وجميلا.. وانتقلنا إلي الشقة بعد ثلاثة أشهر من الزواج.. لكن زوجتي لم تنس أبدا الأيام التي أقامتها مع أبي وأمي، وكثيرا ما فضلت أن نقضي بضعة أيام في شقة الأسرة، خاصة حين اشتدت عليها متاعب الحمل، غير أن شيئا واحدا فقط كان ينغص عليها حياتها وهو موقف أبيها منها.. فلقد كانت أمها بعد فترة غضب قصيرة تتصل بها وتسأل عنها، بل وتلتقي بها من حين لآخر في محل عام لتطمئن عليها، وكذلك كانت تفعل أختها الصغري وخالتها وأخوالها وأعمامها وأبناؤهم، ماعدا والدها الذي ظل كالصخرة لايرق ولايلين ولا يرد علي اتصالاتها به ولا يتصل بها.. وإذا سمع صوتها في التليفون أغلق السكة بغير كلمة واحدة، حتي اضطرت لأن تكتب إليه الرسائل كما لو كان يعيش في مدينة أخري، لكي تستسمحه وتطلب رضاه وتشرح دوافعها لما فعلت، بلا أي جدوي، بل لقد علمت من أختها أنه لايفتح خطاباتها التي يميزها بخطها ويتعمد تركها مغلقة أمامهم علي مائدة السفرة عدة أيام لكي يعرف الجميع أنه لايأبه لابنته التي تزوجت علي غير إرادته..

وحتي حين وضعت زوجتي مولودها الأول زارها في المستشفي كل أهلها بلا استثناء وقدموا لها الهدايا والمجاملات ماعدا والدها.. وكان التنازل الوحيد الذي قدمه هو إنه لم يعد يعترض علي اتصال والدتها واختها بها أو زيارتهما لها، والآن ياسيدي فلقد اقترب طفلي الوحيد الجميل الذي جمع حوله قلوب أهل زوجتي جميعا ـ ما عدا جده ـ وأهلي من نهاية العام الأول من عمره ومازال والد زوجتي يرفض أن يري حفيده الوحيد أو أن تزوره زوجتي حاملة طفلها معها ـ أو أن يزور هو ابنته أو يلتقي بها في أي مكان أو حتي أن يرد علي اتصالاتها ورسائلها إليه حتي الآن، ولقد أعيتنا الحيل معه.. ووسطنا لديه كل أفراد أهله وخاصته بلا فائدة، فماذا نفعل.. وكيف أقنعه بأنني غير طامع في ماله.. وأنني إنسان شريف أكافح بأمانة لإعالة أسرتي الصغيرة، وقد تركت العمل بالمقهي والتحقت بعمل مسائي بإحدي الشركات ودخلي منه يوازي نصف دخلي من المقهي، لكني رضيت بذلك لكي أسد عليه الثغرات..

إنه من قرائك فهل توجه له كلمة لكي يفتح أبواب قلبه المغلقة لابنته التي تحبه وتحترمه وتطلب رضاه ولم تفعل ما فعلت إلا بعد أن يئست من نيل موافقته علي زواجها بمن أرادت

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لو كانت كل جناية زوجتك في نظر أبيها أنها قد تزوجتك علي غير إرادته بعد أن أعيتها الحيل معه لنيل موافقته، أفلا يشفع لها عنده أنها لم تفعل ذلك إلا مضطرة، وبعد أن تأكدت بما لا يدع لها مجالا للشك أنها لن تسعد بحياتها إلا مع من اختاره قلبها

وألا يشفع لها أنها قد لقيت حظا عاثرا في زواجها الأول الذي امتثلت فيه لإرادة أبيها وقبلت الزواج بشروطه فكان الانفصال وانهيار حياتها الزوجية، وحمل لقب المطلقة هو مصيرها.

وألا تشفع لها عنده سعادتها الآن مع من اختارته لرفقة الحياة وتعمق روابطها به بعد الإنجاب منه.. وسعادة الابنة في حياتها الزوجية هي هدف كل الآباء ودوافعهم لما يتخذونه من مواقف بشأن زواجهن.

بل وألا يشفع لها عنده أن أنجبت أول حفيد له لكي تتحرك مشاعره تجاهه ويسعد به ويختبر معه تلك الأحاسيس البهيجة الجديدة التي يحركها الحفيد في قلب جده..

إن أهل الرزانة من البشر قد يطيش صوابهم فرحا وابتهاجا بأحفادهم، وتفيض قلوبهم حبا ورحمة بهم.

ولقد روي عن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه إنه كان شديد الحب لحفيديه من ابنته فاطمة الزهراء وغامر العطف عليهما والرحمة بهما، حتي لقد كان يطيل السجود إذا ارتحله أحدهما وهو ساجد لكيلا يتعجله النزول عن ظهره، كما كان لايشير إلي حفيديه هذين إلا بقوله: ابناي الحسن والحسين.

فكيف يحرم صهرك نفسه من هذه النعمة الجليلة.. نعمة أن يمتد به العمر حتي يري حفيدا له يلاعبه ويداعبه ويغمره بحبه وعطفه ورحمته ويري فيه امتدادا له وتواصلا متجددا مع الحياة؟

بل وكيف يحرم هذا الحفيد نفسه من حقه عليه في أن يسعد به ويلقي رعايته وعطفه؟

انني أربأ بوالد زوجتك أن يجحد نعم ربه عليه فلا يشكرها له سبحانه وتعالي ولا يشكره عليها، والشكر هو الحافظ للنعم ومنها أن يكون له هذا الحفيد وأن تكون ابنته التي اضطرت لمخالفته شديدة الحرص بالرغم من ذلك علي استرضائه ونيل عفوه وصفحه، ولو لم تكن كذلك لنفضت يدها منه وواصلت حياتها لا تأبه لمن يرفض يدها الممدودة إليه.. ويقطع رحمها، ولا يظنن صهرك أن ابنته إنما تسعي إليه طلبا لمنفعة أو حرصا علي إرث منتظر، إذ لو كانت الثروة غايتها لما فضلت الطلاق من زوجها الثري.. وارتبطت بشاب مكافح مثلك، كما أنه يستطيع أن يتخذ من الإجراءات ما يكفل له التأكد من صدق نية ابنته وحرصها علي أن تستعيد صلة الرحم معه وزهدك كذلك في أي نفع يجئ من ناحيته، بل يستطيع أن يحرمها من ماله وميراثه إذا أراد مخالفة شرع ربه في المواريث.. لكي يصدق أنه لا دافع لسعي ابنته إليه سوي رغبتها في أن تعفي نفسها من شبهة العقوق مع أنها لم تفعل ما فعلت إلا مضطرة وكارهة..

والفضلاء من الآباء والأمهات لايضعون ابناءهم أبدا أمام الاختيار الصعب بينهم وبين من يختارهم الأبناء لرفقة الحياة، لكيلا يتأذوا أبلغ الأذي إذا اضطر الأبناء لاختيار شركاء الحياة دونهم، ولقد يعترضون علي اختيارات الأبناء ويبذلون كل جهد لإقناعهم بوجهة نظرهم، لكنهم إذا لمسوا إصرار الأبناء وأنه لم يبق أمامهم لنيل ما يرون فيه سعادتهم سوي الخروج علي الطاعة.. تنازل الآباء في اللحظة الأخيرة عن مواقفهم ومنحوا موافقتهم حتي ولو لم يكونوا مقتنعين بذلك، برا بهؤلاء الأبناء وإشفاقا عليهم من دفعهم دفعا إلي شق عصا الطاعة عليهم..

===

بلا شراع

أكتب إليك يا سيدي لأروى لك قصتنا، وأرجو ألا تضيق بها وتتسرع في الحكم علينا، فلقد بدأت قصتنا حين رحلت أمي وتركتنا وراءها ثلاثة من الأبناء، كنت أنا أكبرهم في الثانية عشرة من عمري، وكان أصغرنا رضيعاً لم يكمل شهور عامه الأول .. وأراد أبونا أن يضمنا إلى زوجته الأخرى التي أنجب منها ولداً وبنتاً فرفضت زوجته. وتوصل الزوجان إلى حل وسط وهو أن تحضر اختنا من أبينا لتقيم معنا وترعى الطفل المولود.

وجاءت أختنا لتعيش معنا وتقوم بدور الأم لنا نحن الثلاثة.. وبرغم أن عمرها في ذلك الوقت لم يكن قد تجاوزا الخامسة عشرة. فلقد أشعرتنا نحن الثلاثة بأنها أم لنا فعلاً وليست أختاً لنا، فتولت رعاية شقيقنا الرضيع وتحملت

مسؤلية البيت كاملة، واستجابت راضية لطلب أبى حين أراد منها أن تتوقف عن الدراسة لمدة ٦ سنوات حتى اشتد عود شقيقي الصغير، وبعد ذلك عقدت العزم على استكمالها، وحتى بعد أن عادت للدراسة لم تكن تهمل شئوننا، بل كانت لا تذاكر دروسها إلا بعد أن ننام جميعاً. كما كانت تحافظ على زيارة أمها وشقيقتها في مواعيد دورية لأنهما يقيمان في مدينة أخرى، وكلل الله جهودها بالنجاح فحصلت على الثانوية العامة بمجموع كبير واستعدت لدخول الجامعة، فأصر أبى على تزوجيها من شاب من أبناء المحافظة التي تقيم فيها أسرتنا.. وكانت أختي ترغب في استكمال دراستها الجامعية قبل الزواج، لكنها لم تستطع أن تغضب أبى فاستجابت راضية لطلبه وتزوجت.. وتركتنا وانتقلت إلى المدينة التي يعمل بها زوجها.. وتقدمت للالتحاق بالجامعة فيها.

ونظمت حياتها بين رعاية بيت زوجها وبين دراستها.. وبين رعايتنا نحن (أبناؤها) الثلاثة رغم أننا نعيش بعيداً عنها في القاهرة.. فكانت تزورنا بانتظام مرة كل أسبوع لتطمئن علينا وترتب لنا أمور معيشتنا، وتعد لنا طعاماً يكفينا لمدة أسبوع، ثم تعود مودعة منا بالحب والعرفان إلى مدينتها وبيتها ودراستها.

ومع كل هذه المسئوليات فلقد تفوقت في دراستها الجامعية.. وتخرجت بتقدير متفوق رشحها لوظيفة مرموقة، وبدأت تعد لدراسة الماجستير وكأن الأقدار لم ترد لها أن تعفيها أبداً من المسئولية طوال حياتها.. فقد رحلت زوجة شقيقها الأكبر وتركت طفلة عمرها شهور.. فلم تتردد أختي في ضمها إليها في بيتها لترعاها كما رعت شقيقي الرضيع من قبل وأصبحت الطفلة لا تعرف لها أماً غيرها. وخلال ذلك رحل والدنا وترك لنا ميراثاً يكفينا لحياة ميسورة، وكان كل منا قد عرف طريقه في الحياة فأصبحت أنا الآن نقيباً بالشرطة، وأخي الأوسط محاسباً وأخي الأصغر طالباً في بداية المرحلة الثانوية، أما أخي من أبى فقد أصبح مهندساً معروفاً.

ورأت أختنا أو أمنا بمعنى أصح بعد رحيل أبينا جميعاً لسنا في حاجة إلى هذا الميراث لأن لكل منا دخله، وحتى شقيقي الطالب بالمدرسة الثانوية فإن لديه معاش أبيه لذلك فلا داعي لتقسيم الميراث أو التصرف فيه لكيلا يتفتت ويضيع، وأنه من الأفضل ألا نتصرف فيه وأن نعيش مما يدره من دخل مهما كان قدره. لكننا يا سيدي للأسف ضعفنا أمام ما يمثله لنا تقسيم الميراث وبيعه من إغراء.. فنسينا في لحظة كل شيء وطلبنا منها.. وأرجو ألا تصدم فينا. التنازل عن نصيبها من الميراث لنا لكيلا تذهب أموال الأسرة إلى غريب. لأن أختي لم تنجب.. وتمادينا فقلنا لها في لحظات الشر إننا سنكون ورثتها في كل الأحوال، سواء تسلمت الميراث أم لم تتسلمه. فالأفضل أن تتنازل عنه الآن.. وتمادينا أكثر فقلنا لها إنها مريضة بالقلب وإنه من الأفضل أن تحمى أموال الأسرة بالتنازل عن نصيبها لإخوتها.

وصعقت أختي مما سمعت، وأصرت على الرفض. ثم جاءنا ذات يوم زوجها ليقول لنا إنه سيطلقها لأنها ترفض ترك وظيفتها.. فاتفقنا معه أن يهادنها وأن يقنعها بالتنازل عن ميراثها مقابل أن نعطيه مبلغاً من المال يبدأ به مشروعه الذي يحلم به ثم يطلقها بعد ذلك!

فتمسكت أكثر بكل حقوقها أمام عنادنا (ونذالتنا).. وحصلت على نصيبها كاملا. لكنها لم تنس لنا ما فعلناه معها. وبعد انتهاء المشكلة وحصولها على حقها علمت بأمر هذا الاتفاق وتأكدت منه فانهارت ولازمت الفراش بضعة أيام، وعندما برئت من الأزمة الصحية أمضت عدة أيام ساهمة حزينة صامتة لا تكلم أحداً.. ثم غادرت بيتها ذات صباح وتوجهت إلى البنك الذي تودع به أموالها وسحبت مبلغ أف جنيه.. ثم رحلت.. إلى أين؟ لا أحد يعلم.. اختفت تماماً.. بحثنا عنها في المحافظة التي نقيم فيها فلم نجد لها أثراً، وبحثنا عنها عند أقاربنا في القاهرة فلم نتوصل إلى أي خبر عنها.. وبحثنا عنها في الإسكندرية فلم نعثر على طرف خيط يقودنا إليها.. وسألنا في المطار وفى المواني، فتأكدنا من أنها لم تستقر خارج مصر لأن سفرها يحتاج إلى موافقة جهة عملها التي لم تعطيها هذه الموافقة.

تسألني بالطبع لماذا أكتب إليك هذه الرسالة فأقول لك.. إننا نعرف أننا أخطأنا في حقها.. وإن خطأنا فوق كل اعتذار.. ونعرف إننا أخذنا منها الكثير ولم نعطها شيئاً.. فلقد كنا نعرف أن حالتها الصحية سيئة وأن قلبها ضعيف ومع ذلك لم يفكر أحد منا في أن يسألها عما وصلت إليه حالتها.. وكنا نعرف أن علاقتها بزوجها مليئة بالمشاكل وأنها تتحمل الكثير ولم يفكر أحدنا في التدخل بينهما.. وكنا نعرف أنها لن تنجب أطفالا لأن في ذلك خطراً على صحتها.. ولم نحاول مواساتها بكلمة.. والآن اختفت أختنا وأدركنا كم كنا قساة معها.. لذلك لجأنا إليك لأننا نعلم أنها في كل الظروف كانت تقرأ بابك وتناقشنا في مشاكله وتفكر في حلول لها.

إننا نرجوك أن تكتب وأن تقول لها: عودي إلى بيتك وعملك ودراستك.

وعودي إلينا لأننا لن نسامح أنفسنا أبداً إذا لم تسامحينا، ولنقول لها أيضا إن ابنة أخيها اليتيمة تبكيها.. وتناديها وأن أخاها الأصغر الذي لم يعرف له أما سواها قد حاول الانتحار بعد اختفائها حزناً عليها.

لقد تركنا أعمالنا وأوقفنا حياتنا للبحث عنها.. فأكتب إليها يا سيدي لتعود إلينا.. وتعود معها حياتنا من جديد.. فهل تفعل!!

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

صدقني يا سيدي إنني لو تركت نفسي على سجيتها لما استجبت لطلبك ولما كتبت إليها أدعوها للعودة إليكم، بعد كل هذا الجحود وهذا النكران، لكنى لا أستطيع أن استسلم لانفعالاتي وحدها لذلك فلسوف أكتب إليها ولكن ليس من أجلكم وإنما من أجلها هي، ومن أجل دراستها العليا التي بدأتها بعد رحلة كفاح عظيمة، ومن أجل عملها

المرموق الذي استحقته بتفوقها وإرادتها القوية. ثم من أجل هذه المولودة اليتيمة التي كانت تظللها بحبها ورعايتها كما أعادت دائما أن تظلل الجميع بظلها كالشجرة الوراقة بغير انتظار لمقابل من أحد، ثم أيضا من أجل ابنها الأصغر الذي لم يعرف له أما سواها والذي أرجو أن يكون صغر سنه قد أعفاه من الاشتراك معكم في إيلامها والتآمر عليها.

نعم سأكتب لها لهذه الأسباب وحدها.. وأترك صدق ندمكم للأيام لكي تمتحنه وتختبره طوياه.. لقد وقعتم رسالتكم إلى بألقاب فخيمة رنانة: النقيب.. المهندس.. المحاسب الخ فكيف تتفق هذه الألقاب المرموق مع هذه الفظائع التي ارتكبتموها في حق شقيقتكم!

إن في الحياة دائماً نمطين من البشر أحدهما يعطى بلا حساب وبلا انتظار للمقابل، والآخر يأخذ ويجمع وقد لا يعطى من نفسه شيئاً، وشقيقتك يا سيدي من هذا النوع المعطاء المضحى الحريص دائماً على ألا يغضب أحداً ولو على حساب نفسه.. لذلك قبلت وهى (الطفلة) أن تحرم من طفولتها ورعاية أبويها لتنتقل إلى بيتكم لتقوم بدور الأم لكم، وقبلت أن تتوقف عن دراستها لتتفرغ لرعايتكم وقبلت أن تتزوج قبل الالتحاق بالجامعة إرضاء لأبيها.. وقبلت بغير أن يدعوها أحد أن تحتضن طفلة شقيقها.

إنها رحلة تضحيات على طول الخط.. ورحلة عطاء على طول الخط، فماذا قدمت لها مقابل كل هذا العطاء وهذه التضحيات؟

طالبتموها بالتنازل عن الميراث بلا أي مبرر مقبول.. ولم تخجلوا بمصارحتها بأسبابكم اللعينة لهذا التنازل.. وهى أنها مريضة ومحرومة من الإنجاب.. بل ولم تتورعوا عن التآمر مع زوجها ضدها.

(فماذا كنتم تنتظرون منها بعد كل هذه (الدنايا).

لقد انهارت فجأة حين أكتشف أنها وحيدة بين أعداء لم تأخذهم بها شفقة ولا رحمة، لا بين أهل وأبناء وأقارب أعطتهم الكثير من دمها وشبابها، وهى محقة في انهيارها، فلو اكتشف هرقل أن كل من حوله يتآمرون عليه لبكى وانهار.. لقد عانت حالة شديدة من الرثاء للنفس دفعتها للهروب من كل شيء.. من صحبتكم.. ومن المال الذي أفسد النفوس.. ومن العمل ومن كل شيء يذكرها بهذا الواقع المؤلم، وحتى حين أرادت أن تحتج جاء احتجاجها كعادتها سلبياً لا يؤذى أحداً سواها لأنها غير قادرة على إيذاء الآخرين. فاختفت ضيقاً بكم وبالحياة.. وأنا أقدر دوافعها تماماً لذلك وأعرف جيداً أن:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند

لكنى رغم ذلك سأخاطبها.. وسأقول لها إن لكل احتجاج مداه يا سيدتي، ولكل سفينة مرفأ لابد أن تؤوب إليه مهما كانت رحلتها عاصفة، لذلك فإني أدعوك لأن تستوعبي هذه المحنة.. وأن تتغلبي عليها كما تغلبت من قبل على كل شدائد الحياة وصعوبتها، التي واجهتك وادعوك لأن تتفهمي أسباب هذا الضعف البشرى الذي انتاب إخوتك تجاهك وتجاه مسألة الميراث.. وأن تعرفي أننا لا نعيش في الجنة التي تسمو فيها النفوس على هذه الصغائر، وإنما نعيش فوق أرض الخطايا المليئة بأمثال هذه النقائض وهذا الجحود.. لذلك لا أطالبك بالصفح عنهم .. وإنما أطالبك بألا تغلقي أبواب الصفح حين تطيب نفسك وتشفى جراحك..

وأدعوك إلى الاعتصام بنعمة النسيان التي لولاها لما صافحنا الكثيرين ممن بادرونا بالعداء، حتى قبل أن نقترب منهم أو من رشقوا الحراب في ظهورنا بلا أي مبرر.

وأنت سيدة عظيمة بكل معنى الكلمة، وقادرة دائماً على إيجاد الحل المناسب لكل مشكلة تواجهينها.. والهروب ليس هو الحل الذى يليق بمن كانت لها مثل شخصيتك وإرادتك وخصائصك النفسية المتميزة.

فعودي يا سيدتي لعملك ولدراستك وواجهي حقائق الحياة.. واختاري الحل الذي يلائمك لحياتك الزوجية.. وامتحنى صدق ندم إخوتك وتوبتهم، ولا تهدري هذه المرحلة العظيمة من الحب والوفاء والعطاء.. والإرادة والتفوق .. بالاستسلام للهروب كسفينة بلا شراع تتخبطها الأمواج والأنواء والله معك..

==

رسالة (اغتيال شخصية!).. المشكلة الكبري

أنا شاب في الثلاثين من عمري من عائلة ميسورة الحال والدي رجل عصامي بدأ من تحت الصفر وحفر في الصخر حتي وصل بنا الي المستوي الذي نحن فيه الآن كان دائما يحكي لي كيف كان يعمل وهو صغير حتي يجلب مصاريف تعليمه.

فقد كان يتيم الاب من صغره وهو الوحيد من اخوته الذي صمم علي ان يكمل تعليمه حتي يرتقي بنفسه ويعيش حياة ميسورة، وكانت له حكايات ومواقف كنت ابكي عند سماعها وافخر بأن لي ابا كهذا، امي ايضا لها نفس ظروفه وكانت تعمل ايضا منذ صغرها ولم تكمل تعليمها لكنها مثقفة الي ابعد درجة.

تزوج ابي وامي في شقة صغيرة في حي شعبي متواضع حتي وصلا بنا الي العيش في حي من ارقي احياء القاهرة. لي اخ واخت انا اصغرهما اتمتع والحمد لله بحب كل من حولي، مطيع لابعد الحدود بعكس أخوي، ومن هنا تبدأ المشكلة الكبري الطاعة.. الطاعة.. الطاعة!!

لا اتذكر يوما اني قد خالفت ابي او امي في اي امر طلباه مني سواء كنت مقتنعا او غير مقتنع ليس خوفا منهما وانما احترام لهذين الشخصين، بدأت اشعر بالمشكلة الحقيقية مع دخولي الثانوية العامة فقد كانت ميولي ادبية،

وكنت اكره المواد العلمية وبعد نجاحي في اولي ثانوي تحدثت معهما في اني سأختار القسم الادبي لكن ابي رفض رفضا شديدا وصمم علي أنني يجب ان اختار القسم العلمي، وقال لي انه مستعد لأن يصرف كل ما يملك حتي يري ابنه مهندسا.
وكان يقول لي مش عايز منك غير ٥٠% وهدخلك جامعة خاصة بس انسي موضوع الادبي خالص، وبالفعل دخلت القسم العلمي وفشلت فشلا ذريعا واضعت من عمري سنتين في موال الثانوية العامة حتي تدخل احد اقاربي لدي ابي لاقناعه بتحويلي الي ادبي وبالفعل وافق علي مضض ولكن بشرط ان اتفوق وادخل احدي كليات القمة، وبالطبع لم اتمكن بسبب الحالة النفسية السيئة بعد هذه التجربة وقس علي ذلك بعض المواقف مثل: لا تصاحب فلانا لا تذهب الي المكان الفلاني لا تتأخر لا تقد السيارة الآن وقد وصل الحال بامي وابي إلي انهما كانا يختاران لي ملابسي علي ذوقهما، وكان هذا مجال سخرية كبيرة من زملائي، الغريب ان اخوي كان يحدث معهما نفس المواقف لكن بنسب اقل مني بكثير فهما كانا يعترضان ويصران علي رأيهما اما انا فكنت لا اجرؤ علي ذلك واثناء دراستي بالكلية تعرفت علي انسانة جميلة من بيت طيب معي بنفس الكلية بصراحة اعجبت بها من اول نظرة واستمرت علاقتنا نحو سنتين وعرف ابي وامي ان لي حبيبة، وبدأت الاسئلة مين دي؟؟ تعرفها من امتي؟؟ اهلها مين؟؟ ساكنة فين؟؟ اخذا كل المعلومات مني وطلبا مني الانصراف وبعد فترة عرفت خلالها ان ابي سأل علي هذه العائلة وجاء ابي وامي وطلبا مني ان انسي تماما هذه الفتاة فهي ليست من مستوانا المادي الآن ولا الاجتماعي ونحن نريد لك حياة افضل من ذلك انت كده بتهد كل اللي بنيناه.
وانهيت دراستي الجامعية في احدي الكليات النظرية الشعبية كما يقال عنها، وفكرت في عمل مشروع صغير حتي ابدأ حياتي العملية، درست المشروع جيدا وكنت متحمسا جدا وكنت منتظرا ان يفرح والدي بالفكرة ويدعمها ولم لا الفلوس موجودة والحمدلله الا انني صدمت الصدمة الثالثة، عندما استقبل مني الشرح بكل استهزاء وتهكم وعدم ثقة بقدرتي علي ادارة مشروع بنفسي وطلب مني صرف النظر عن هذا المشروع فالاولي ان اساعده في ادارة مكتبه لانه بعد عمر طويل المال كله لك ولاخويك، قبلت بالامر الواقع وبالفعل عملت مع ابي في مجال عمله ولكني فوجئت بطريقة معاملته لي فقد كنت مجرد تابع ليس اكثر، استمر هذا الوضع قرابة سنة حتي هز البيت زلزال كبير فقد تعرضت اختي لمرض خبيث اقعدها في الفراش، وقد صدم هذا الخبر كل من في البيت وزاد الأمور تعقيدا عندما عرفنا ان هذا المرض سيستمر علاجه سنين طويلة، وبعد عام في هذا العذاب الذي تحملت فيه امي العبء الاكبر فوجئت باكبر صدمة تلقيتها في حياتي والتي لم اكن اتوقعها علي الاطلاق والتي جعلتني اكتب لك الآن ففي احد الايام زارتنا احدي صديقات والدتي من ايام الطفولة جاءت لتطمئن علي اختي بعد ان علمت بخبر مرضها، وكانت معها ابنتها ففوجئت بامي علي غير العادة تطلب مني ان اسلم علي صديقتها وابنتها وان اجلس معهم وبالفعل جلست ولم انطق بكلمة كما هي عادتي حتي انتهت الزيارة، بعدها بيومين وجدت امي تقول لي ما رأيك في هذه البنت فقلت لها رأيي فيها بخصوص ايه؟ فجاء الرد الصاعقة اصل انا طلبت ايدها من امها قلت لها لمين فجاء التأكيد لك انت، لاول مرة وجدت نفسي اصرخ في وجهها بكلمة لا.. ازاي تعملي كده؟ وانتوا لحد امتي هاتختارولي كل حاجة دا مستقبلي وانا حر فيه مش هاتجوز دلوقتي ولاول مرة ايضا اري نظرة الذهول علي وجه امي وكانها تري شخصا آخر لم تنطق بكلمة، وقالت لي انها ستبلغ ابي بقلة ذوقي وردي عليها.
جاء ابي وعرف بما حدث واستدعاني كعادته وتحدث معي في الموضوع سألني عن سبب اعتراضي؟ قلت له انا لا افكر في الزواج الآن انا مازلت صغيرا واريد ان ابني مستقبلي بنفسي مثلك فارجوكم اعطوني الفرصة انا لاشعر بكياني وقلت له انظر الي حالي انا لم اختر اي شئ، كله من اختياركم وانفجرت باكيا وانا اتحدث معه، وبالفعل شعرت منه بتعاطف مع حالي ولكنه طلب مني ان اوافق حتي ادخل البهجة علي امي واختي وعلي البيت فطلبت منه مهلة للتفكير ورد علي بأنه من حقي طبعا ان افكر ولكن فوجئت خلال فترة المهلة بأن والدتي دائما تتحدث مع صديقتها علي انني موافق والموضوع منتهي ووجدت ابي يقول لي لاتعتقد ان طاعتك لنا ضعف منك انك بذلك ابن بار بأهله وبالفعل تزوجت من هذه الفتاة بدون فترة خطوبة بناء علي رأي العائلتين، وفوجئت بالمستوي الاجتماعي والفكري لها ولعائلتها فالاب والام اميان ويسكنان بمنطقة شعبية وبالرغم من ان زوجتي جامعية الا انها ذات تفكير سطحي وغير مثقفة علي الاطلاق ودهشتي الكبري انهما رفضا فتاتي الاولي لنفس السبب وعندما تحدثت مع امي في هذا الموضوع كانت تقول لي انها تعرفهم من زمان وتعرف اصلهم وهم ناس من اصل طيب وما الي ذلك والجملة الشهيرة وبعدين انت هاتتجوزها مش هاتتجوز اهلها والتي اري انها افشل جملة في التاريخ فعندما تتزوج فانت تتزوج عائلة بأكملها بافكارها بعاداتها بكل عيوبها ومميزاتها.
وبالفعل سارت بنا الحياة وسط كمية مشاكل وصدامات كثيرة، خلال هذه الفترة رزقني الله بطفلين آية في الجمال وخفة الظل هما اغلي شئ لي الآن لكني اخاف عليهما جدا فانا لا أريدهما ان يختلطا باهل زوجتي وانا كنت ارفض هذا الوضع وفي اوقات كثيرة عندما كنت اذهب لاخذهم كي نرجع الي بيتنا كنت اجد ولدي في الشارع مع اقاربهما او مع احد اخوتها والذي رأيته في يوم من الايام يدخن المخدرات امام منزلهم وعلي مقربة من ابني، ووصلت المشكلات بيننا الي انها تركت المنزل اكثر من مرة وذهبت لاهلها مما كان يزيد الضغط علي حيث إنني اكون في غاية التوتر والغضب لمجرد معرفتي بأن طفلي بين هذه العائلة، وكنت اضعف علي الرغم من انها

مخطئة واقبل رجوعها البيت ليس من اجلها ولكن من اجل اولادي حتي حصل صدام بين اهلي واهلها حدث فيه بعض التجاوزات من الطرفين وصلت الي حد القطيعة بين العائلتين.
فجأة وجدت نفسي وحيدا امام هذه المشكلة حتي اهلي السبب، فيما انا فيه رفعوا ايديهم من الموضوع واعترفوا لاول مرة بأن اختيارهم كان خاطئا بل واعتذرت لي امي في يوم من الايام وطلبت مني ان اسامحها علي هذه الزيجة ولكن ماذا افعل انا كيف اواجه هذه المشكلة؟ لم اعد قادرا علي التفكير واستسلمت للامر الواقع وحاولت التعايش مع الوضع ولكن علي مضض، وشغلت نفسي بعملي وكنت اقضي فيه وقتي الاطول فكنت اذهب الي مكتبي مبكرا جدا واكون آخر شخص يغادره واذهب متأخرا للمنزل اقضي ساعة او ساعتين مع طفلي حتي ميعاد نومهما ثم انام وهكذا علي هذه الوتيرة اياما طوالا حتي ظهرت في حياتي انسانة وجدت بها كل ما حلمت به فهي انسانة من عائلة طيبة ومثقفة تعمل في وظيفة مرموقة تعرفت عليها من خلال عملي، وجدت نفسي منجذبا اليها بصورة غريبة كنت لا احتمل ان يمر يوم دون ان اسمع فيه صوتها تطورت علاقتنا وصرنا اصدقاء بشكل سريع حتي جاء يوم واعترفت لها بحقيقة شعوري تجاهها اعترضت في البداية فهي لاتريد ان تكون سببا في تدمير اسرتي وكانت تشك في ان حبي لها هو رد فعل للنقص الذي اعانيه في حياتي، اختارت البعد عني فترة كنت خلالها كالمجنون لا اتخيل الحياة بدونها حتي قابلتها في يوم خلال العمل وتحدثت معها مرة اخري في الموضوع وجدتها تبكي وتعترف لي بأنها كانت تبادلني الشعور نفسه منذ اليوم الاول وانها اختارت البعد عني رغما عنها وانها تتمني ان تظل بجانبي طول العمر، ولكن الظروف اقوي منها وقالت لي انها تحدثت مع والدتها عني وعن ظروفي وطبعا والدتها رفضت رفضا شديدا وهددتها بابلاغ والدها الذي لايمكن ان يوافق علي ان تكون ابنته زوجة ثانية وحتي لو انفصل عن زوجته فلن يوافق عليه.. ساءت حالتي النفسية بشكل كبير حتي شعر كل من حولي بهذا التغيير ومنهم زوجتي التي شكت في الامر وسألتني عما بي فاذا بي اقول لها انني افكر في الزواج ولك ان تتخيل طبعا رد فعلها وقالت لي انها لاترفض زواجي ولكنها لن ترضي علي ان تكون زوجة ثانية، لو اردت الزواج يجب ان ننفصل اولا..
انا الآن في حيرة من امري لا استطيع التفكير، فكرة الانفصال تعني ان ولدي سيعيشان بعيدا عني وفي بيئة سيئة لا اطيق وجودهما فيها يوما واحدا فما بالك بعمرهما كله او علي الاقل حتي يبلغا الثانية عشرة من عمرهما واهل حبيبتي لا يمكن ان يوافقوا علي في هذه الظروف وانا وحبيبتي لايمكن ان نقدم علي فعل من وراء اهلها او نتزوج في السر فأنا لا ارضي لها هذا الوضع وهي لاتستحق مني ذلك.
ارجوك انا لا اعرف ماذا افعل ارجوك ساعدني علي اتخاذ قرار.. هل انا مخطئ هل انا فعلا مفتر؟ هل اتزوج الانسانة التي احبها ام اتركها لتعيش حياتها مع شخص آخر يسعدها ويكون افضل لها مني؟ هل ارضي بوضعي الحالي من اجل تربية ولدي امامي ولايضيع مستقبلهما ارجوكم افيدوني.
سيدي... كثير من الآباء يعتقدون أنهم يعرفون مصلحة أبنائهم أفضل منهم، فلا يثقون باختياراتهم، ولا يراعون قدراتهم الخاصة وميزاتهم ورغباتهم، فيختارون لهم أصدقاءهم ودراساتهم وملابسهم وصولا إلي أزواجهم، معتقدين انهم بذلك يضمنون لهم السعادة، بينما هم يغتالون شخصياتهم دون أن يدروا ويشقون لهم أنهار الشقاء.
أخطأ والداك ياصديقي، عندما اعتقدا بعد نجاحهما في الحياة وتحولهما من طبقة مادية الي اخري، ان الخطأ لايصيبهما مع الرغبة في تجنيبك وشقيقيك أي فرصة للشقاء، وتكبد ما عانياه في حياتهما.
بالحب وبقصور الرؤية تعاملا معك، ففرضا عليك دراسة وكلية لا تحبهما. وصادرا حقك في اختيار شريكة حياتك، ومنعك والدك من محاولة النجاح في مشروعك الخاص، واكتمل جرمهما في حقك بتزويجك ممن لم تختر أو تهوي، والنتيجة شخصية مهزوزة ممزقة بين قدراتها ورغباتها وبين طاعة الوالدين، هذا الإلغاء للشخصية فسره الأب بأنه طاعة لا ضعف، فيما يبدو انه كان ضعفا متراكما بفعل التربية لم يتح لك الاعتراض وعدم قبول مالا تحب ولا ترضي دون الخروج علي طاعة والديك. من حق الآباء ان يوجهوا أو ينصحوا أبناءهم، ولكن عندما يكبر الأبناء يجب ان يكون لهم الاختيار النهائي لمستقبلهم حتي لو رفضوا النصيحة أو اعترضوا عليها، فهم كيانات مستقلة، ليس بالضرورة ان تتشابه مع الاباء أو تكون امتدادا أو تحقيقا لذواتهم وأحلامهم المحبطة علي مدي العمر.
سيدي.. اعتقد أنك الآن في طريقك لاستعادة نفسك والتصالح مع شخصيتك التي تحبها وتتمناها، وهذه هي الخطوة الأولي للخروج من أزمتك.
قرارك ـ الذي تسألني عنه ـ سيكون هذه المرة بكامل ارادتك، فالتمس مخاوفك علي ابنيك ووعيك بما قد يتعرضان له في حالة انفصالك عن والدتهما، خاصة ان من تحب ظروفها لن تسمح لكما بالزواج.. اذن الانفصال سيكون من أجل التعبير عن رفضك للاختيار الخاطئ منذ البداية.. ولأني استشعر ان هناك مساحة ما طيبة، وبتعبير أدق، لا أجد بداخلك رفضا كاملا لزوجتك وانما تحفظات عديدة إذا استطعت بالحوار وبالرغبة في الاستمرار تغييرها الي الافضل وجذبها الي المستوي والمكانة والطبقة التي تحبها وترضاها، فسيكون هذا أفضل بكثير لأولادك، فلتمنح نفسك وزوجتك هذه الفرصة دون ضغوط من أحد علي ان تتذكر ان الانسان لا يحصل علي كل شيء في الحياة، فربما تجد السعادة مع من تحب أو تختار ويأتيك الشقاء من شقاء وتعاسة أطفالك، والحياة في النهاية خيارات وعليك ان تختار وتتحمل مسئولية ما اخترته. أما أبغض الحلال فهو القرار الصعب

الذي أفضل ألا اناقشه معك، وأتمني أن تجعله قرارك الأخير اذا استحالت الحياة مع أم الأولاد ووجدت في الاستمرار ما قد يضر بك وبطفليك وبأمهما التي أرجو ان تلتمس لها الأعذار لانها ابنة بيئتها التي لم تختر، وإن كان عليها بذل المزيد من الجهد والحب حتي تحافظ علي استقرار بيتكما.. متعكما الله بالحب والخير وراحة البال والي لقاء بإذن الله

==

رسالة (الحيره القاتله!) ؟ انني امام خيارين كلاهما مر

انا سيده ابلغ من العمر ٥٠ عاما، حاصله علي موهل عال، متزوجه منذ حوالي٢٧ عاما من زميل لي يكبرني بقليل ونشغل الان وظائف محترمه، وقد مضت بنا رحله الحياه بحلوها ومرها وكنا متفاهمين الي حد ما، ورزقنا الله بثلاث بنات قمنا بتربيتهن علي اكمل وجه والتحقن جميعا بكليات عمليه مرموقه وتخرجت الابنه الكبري من كليتها والتحقت بعمل وفي احدي المناسبات العائليه تعرفت ابنتي بشاب يكبرها بعشر سنوات علي خلق ومن اسره طيبه ومتدينه، تخرج في احدي الكليات النظريه ويعمل بمرتب كبير في احدي وظائف القطاع الخاص ومستعد لجميع تكاليف الزواج من شبكه ومهر وشقه وخلافه الا ان والدها رفض تزويجه من ابنته رفضا باتا بحجه ان فارق السن كبير وموهله من وجهه نظره اقل من موهلها وعمله بالقطاع الخاص غير مضمون الاستمرار فيه، وحاولت اقناعه بشتي الطرق ووسطت كل من يمكن توسيطه من اهل واصدقاء لاقناعه بان مواصفات هذا الشاب معقوله وجيده وان ابنته متمسكه به لاقصي درجه ولكن دون جدوي، وشن علي زوجي حربا شعواء لمجرد انني اقدم بعض المحاولات لاقناعه بالموافقه.. ويتصور انني اذا قلت لابنتي اصرفي نظرا عن هذا الموضوع فانها سوف ترضخ لكلامي ويعلم الله انني حاولت محاولات متسميته ان اثني ابنتي عن تمسكها بهذا الشاب وان تصرف نظرا عن هذا الموضوع ليس عن عدم اقتناع بالشاب ولكن تجنبا للمشاكل مع زوجي.. ورضوخا لارادته ولكن بلا جدوي. لقد مر علي هذا الموضوع عام ونصف العام واسرتي مازالت تعيش في جو كئيب من النكد وابنتي ذبلت وتدهورت صحتها من كثره الحزن، وكانها كبرت اكثر من عشر سنوات ومازالت تحاول هي وهذا الشاب اقناع والدها بشتي الطرق ووالدها يزداد عنادا ورفضا.. فماذا افعل؟ انني امام خيارين كلاهما مر، الخيار الاول هو ان اترك ابنتي تتزوج هذا الشاب دون اي سند منا، وتغادر بيت والدها وتذهب لحال سبيلها، فتكون عاقبه هذا الزواج معروفه ومنها الا تجد ابنتي من يساندها ويقف بجانبها ويحافظ علي حقوقها، بالاضافه الي الشكل الاجتماعي امام الناس، كما انها سوف تحرم والديها واخواتها، وسوف نحرم نحن ايضا منها ومن الفرحه بها، واما الخيار الثاني فهو ان اقوم باقناع احد اخوتي والضغط عليه لكي يقوم بتزويجها من هذا الشاب، وفي هذه الحاله سوف يقوم زوجي تطليقي لانه سوف يعتبرني انا واخوتي قد تحدينا ارادته وساعدنا ابنته علي معصيته، وفي هذه الحاله سوف تنهار اسرتي وطبعا مع ماسوف يترتب علي ذلك ايضا من متاعب عائليه وانسانيه خاصه ان لنا ابنتين اخريين عدا الابنه الكبري ويحتاجان لان يعيشا في اسره مستقره ومترابطه.. وانهيار حياتي الزوجيه سوف يوثر سلبا بالضروره علي زواجهما في المستقبل.. فماذا افعل ياسيدي، انني ارجوك ان تكتب كلمه الي الاهل الذين يقفون ضد رغبه ابنائهم بلا مبرر من شرع او دين.. وخصوصا حين تكون اسبابهم لذلك واهيه.. وشكرا لك.

ولكاتبه هذه الرساله اقول:

الا يكفي عام ونصف العام لكي يتاكد زوجك من ان اختيار ابنته العاطفي هو اختيار نهائي وليس قابلا للمراجعه او التنازل؟

ان فارق الشهاده الذي يبرر به الاب معارضته لهذا الزواج فارق وهمي لا يتوقف امامه الكثيرون. وعمل الفتي الذي اختارته الابنه وترغب في الارتباط به، في القطاع الخاص، ليس سببا مقنعا او كافيا لرفضه بحجه عدم ضمان الاستمرار فيه، لان المستقبل بصفه عامه للعمل الخاص بعد تقلص دائره العمل الحكومي او العام. واصرار زوجك علي رفض ارتباط ربنته بهذا الشاب لا عائد له في النهايه سوي دفعها دفعا حين تياس نهائيا من اي امل في تغير موقفه منها، الي الخروج عن طاعته وزواجها وحيده من هذا الشاب مما سوف يصيب قلب هذا الاب نفسه في مقتل، ويحرم الاسره كلها من بهجه زواج الابنه.. ويحرمها هي نفسها من بعض سعادتها بالزواج لافتقادها العون والسند لها عند زواجها.. واحساسها بشيء من الذنب تجاه ابيها بالرغم من لومها الموكد له.

لقد قيل لعمرو بن العاص: ماالعقل ؟

فاجاب: الاصابه بالظن.. ومعرفه ماسيكون بما قد كان،

ولان اقترابي من هموم الاخرين في بريد الجمعه قد اتاح لي فرص الاطلاع علي كثير مما قد كان في قصص مشابهه، فاني اكاد اري في الافق ماسيكون في حياتكم العائليه ان لم يترفق زوجك بنفسه اولا ثم بابنته وزوجته واسرته كلها ثانيا فيراجع نفسه في موقفه المعارض لهذا الزواج.

واملي في حكمته الابويه ان يكون ممن يحسنون الاصابه بالظن، فيسلم لابنته بحقها في اختيار شريك حياتها حتي ولو لم ينل هذا الاختيار رضاه الكامل. وان يعينها علي البر به.. وعدم شق عصا الطاعه عليه، ويحمي اسرته كلها من عواقب زواجها بمن اختارته علي غير ارادته.. او زواجها منه بمسانده احد اخوالها رغما عنه..، اذ مااغني الاسره عما سوف يترتب علي هذا او ذاك من عناء وهموم ومتاعب. والعاقل حقا هو من لا يدع زمام

الامور يفلت من بين يديه، فيهب راضيا مباركته لمثل هذا الزواج ويرجو لابنته السعاده مع شريكها.. ويامل في ان تكذب الايام كل هواجسه ومخاوفه منه
==

الفراشة

أنا شاب في السادسة والثلاثين من عمري، تخرجت في إحدى الكليات النظرية منذ ١٥ عاماً، وكان أبي مفتشاً بالتربية والتعليم ويقيم مع أسرتي في إحدى مدن الأقاليم، وحين التحقت بجامعة عين شمس جاء بي إلى القاهرة وطاف شوارعها حتى نجح في العثور لي على شقة صغيرة من غرفتين وصالة بإيجار شهري ٤ جنيهات وبخلو رجل بسيط لم يزد أيامها عن مائة جنيه.. وقال لي عليك الآن أنت أن تعتمد على نفسك وأن تواجه الحياة، وعملت بإرشاداته ، وتحملت اغترابي عن أمي وأبي وأشقائي في هذه السن الصغيرة .. ونظمت حياتي على أن أعيش بمبلغ عشرين جنيهاً يرسلها لي كل شهر أدفع منها الإيجار الشهري وتكاليف الطعام والمواصلات إلى الجامعة ، أما الكتب والملابس فكان يشتريها لي في بداية كل سنة.

ومضت حياتي رغم صعوبتها التي لم يكن يخفف منها سوى زيارتي الشهرية لبيت الأسرة لأنعم بدفء مشاعر أمي وأشقائي وبالطعام الساخن، الذي كنت لا أذوقه تقريباً إلا في هذه الزيارة لأني أعيش معظم أيام الشهر على الأطعمة الجافة والجبن، وفي السنة الثالثة لي بالكلية نجحت في الحصول على عمل في مجال دراستي بإحدى الهيئات بمكافأة شهرية قدرها ١٥ جنيهاً وواصلت دراستي بلا صعوبات وفي العام الأخير من دراستي توفي أبي الحبيب وتركني في سن العشرين مسئولاً عن أشقائي الثلاثة، ولم أكن في وضع يسمح لي سوى بتحمل المسئولية الأدبية والنفسية عن إخوتي .. فأعلنت أمي تنازلي عن نصيبي من المعاش وأصبحت أزور أسرتي كل أسبوعين بدلاً من كل شهر.

وواجهت قسوة الحياة بصبر خلال هذه الفترة إذ لم يعد لي في الدنيا راع يهتم بأمري أو يشتري لي الكتب والملابس.

وأذكر أني جلست في شقتي بعد وفاة أبي بشهرين أحاول أن أدبر أمري وأقسم المبلغ الذي يتبقى لي بعد الإيجار على نفقات المعيشة والمواصلات وأعيد الحسابات فلا أجد وسيلة لكي أكفل لنفسي الوجبات الثلاث كل يوم أبداً حتى ولو اقتصرت على الخبز والجبن. ولأن الحاجة هي أم الاختراع كما يقولون فلقد علمتني الأيام وسيلة جديدة لمقاومة الجوع فكنت أشتري البطاطا بكميات كبيرة وكان ثمنها في ذلك الوقت لا يزيد عن ٥ قروش للكيلو وأخزنها في البيت فتكون طعامي الوحيد حين تنضب النقود من يدي فأطهوها في الماء حتى تنضج ثم آكلها بالملح فتسد حاجتي من الطعام، وكم من أيام يا صديقي عشتها لا يسد رمقي فيها سوى البطاطا وكم من ليال اكتشفت سهرتها لأذاكر وليس في بيتي مما يؤكل سواها بل كم من مرة أكلتها نيئة.. وأجبرت نفسي على ذلك حين في الليل وأنا أذاكر أن وابور الجاز خال من الوقود والوقت متأخر ولا أستطيع اقتراض بعض الجاز من جيراني الطيبين ، ومع ذلك فلقد مضت الحياة بخيرها وشرها فكنت أذهب للكلية صباحاً وللعمل ظهراً ونجحت في الليسانس وعينت في نفس الهيئة التي عملت بها وأنا طالب بعد عام من تخرجي وزاد مرتبي عشرين جنيهاً وأصبحت ظروفي تسمح لي بأن أقتطع مبلغاً بسيطاً أرسله لأسرتي كل شهر وواصل إخوتي التعليم وافتتحت في عاصمة المحافظة جامعة إقليمية فالتحقوا بها تباعاً فلم نواجه صعوبة كبيرة في مواجهة نفقاتهم، خاصة أني تقدمت في عملي واستعنت بقدرتي على الترجمة في زيادة دخلي وزيادة المبلغ الشهري الذي أساهم به في ميزانية الأسرة، وكان لأمي نصف فدان يدر علينا خمسين جنيهاً كل سنة فأراد المزارع الذي يستأجره أن يشتريه ليبني فوقه بيتاً فاشتراه بسعر معقول قسمته بين أمي وشقيقتي وشقيقيّ ووضعت لكل منهم نصيبه في البنك ليستعين به على مستقبله.. ورفضت أن أحصل على مليم منه أديت واجبي تجاه أسرتي ورددت لأبي بعض أفضاله علي، وركزت جهدي في عملي وفي هذه الفترة كنت أذهب إلى إحدى الهيئات لأقوم بعمل إضافي بها وقد بلغت من العمر التاسعة والعشرين بغير أن أرتبط عاطفياً بأحد لظروفي العائلية ، وفي هذه الهيئة التقيت بفتاة تعمل بها لفت نظري إليها شيء ما في جمالها.. فهي فتاة من هذا النوع الملون الذي يجذب الأنظار. رغم أنها ليست صارخة الجمال.. ووجدت نفسي منجذباً إليها ووجدتها تبدي اهتماماً بي ، ورغم تحذير زميلاتي لي منها بأنها فتاة متقلبة ولا تعرف ماذا تريد ، إذ خطبت قبل ذلك مرتين وفسخت في كل مرة الخطبة من جانبها، فلقد وجدت نفسي غارقاً في حبها وراغباً في الارتباط بها.. أما هي فلقد تقبلت مشاعري بترحيب وطلبت مني أن أترك لها فرصة لكي تكتمل معرفتها بي، وخلال هذه الفترة طلبت زيارتها في البيت وقابلتني أسرتها بالترحيب وكانت أسرة متوسطة في مثل ظروفي لكن فتاتي كانت طموحة وتحلم بحياة أفضل، وصارحتها بظروفي وقلت لها إني من أسرة كريمة لكني مكافح ولا سند لي في الحياة سوى عملي، وأن لي شقة من غرفتين ويمكن أن نبدأ بها ويمكن أيضاً أن أبيعها وأدفع ثمنها كمقدم لشقة أوسع كما أني سأحصل على شقة عن طريق نقابتي المهنية التي تشترك هي نفسها فيها خلال عامين. فرحبت بكل ذلك وأعلنت الخطوبة فعلاً وقدمت لها شبكة لائقة.. وواصلت الليل بالنهار في العمل لأوفر متطلبات الزواج وأصبحت أعمل في ٣ جهات في وقت واحد بل وقبلت العمل في وردية الليل بإحدى الهيئات فكنت أخرج منها يومين كل أسبوع إلى عملي الأساسي بلا نوم تقريباً لأواصل العمل حتى المساء ومع ذلك فلقد كنت سعيداً .. ويزداد حبي لها كل يوم، لكن فتاتي بدأت بعد فترة تعاملني بفتور، ثم تتشاغل عني

وصارحتها بذلك فبدأت تحدثني عن صعوبات الحياة، وأني لن أستطيع بعد الزواج أن أعمل في ٣ جهات.. لكي أواصل الحصول على هذا الدخل العالي و.. و.. وبدت لي الحقيقة قاسية.. فقد وقع ما حذرتني منه زميلاتي.. وحاولت مناقشتها فلم أتوصل معها إلى شيء.. وسألتها عن اعتراضاتها على شخصيتي فقالت لي ساهمة إنها لا تجد فيّ ما تشكو منه فأنا كما قالت شاب وسيم وجاد ومخلص ومستقبلي طيب وتتمناني أي فتاة ولكنها لا تشعر بالاطمئنان للمستقبل معي!.

وأحسست بكلماتها كطعنات تنغرس في قلبي.. وتركتها طالباً منها أن تعطي نفسها فرصة أخرى للتفكير.. ولاحظت زميلة متزوجة لي بالهيئة ما جرى وكانت تتعاطف معي وتحترمني فطلبت مني أن تحادثها لتقنعها واختلت بها في أحد المكاتب لمدة ساعتين ثم خرجت فتعلقت عيناي بها ووجف قلبي.. انتظاراً لكلماتها.. فانفجرت ساخطة: إنس هذه الفتاة نهائياً.. إن ظفرك برقبتها.. وأنا على استعداد لأن أزوجك أجمل وأحسن منها بعد أن تتساها.

وسمعت كلماتها صامتاً.. وأحسست بألم شديد وشكرتها وانصرفت ولم أذهب ليلتها إلى العمل الليلي وفضلت أن أختلي بنفسي في شقتي.. وفي الليل طافت بي صور حياتي الماضية وعرفت أن في الدنيا آلاماً أقسى من الوحدة وافتقاد النصير، وأكثر مرارة من ازدراد البطاطا النيئة.. وبعد يومين خرجت من الشقة، وقد استجمعت إرادتي على أن أنساها ولم أفكر في الإساءة لها أو الانتقام منها لكني حاولت بقدر الإمكان ألا أوجد في الهيئة في ساعات عملها ومضت الأحداث سريعة.. فسمعت بعد فسخ خطبتي بشهرين أنها قد خطبت إلى زميل في نفس الهيئة عائد حديثاً من الإعارة لدولة عربية بعد ٥ سنوات ويملك شقة تمليك وسيارة إلخ..

ثم سمعت بعد ستة شهور أخرى أنها قد فسخت خطبتها منه وارتبطت بزميل ثالث في نفس الهيئة جاء دوره للخروج إلى إحدى الدول الأوربية للعمل في وظيفة شبه دبلوماسية تابعة للهيئة لمدة ٤ سنوات وعرفت أنها تخلصت من الخطيب العائد بنفس البساطة ونفس القسوة الباردة التي أنهت بها خطبتي لأن حلم السفر إلى أوربا كان أكثر إغراء لها من الشقة التمليك ومدخرات الإعارة!.

وفي هذه الفترة كنت أقضي بعض أوقاتي في مبنى النقابة المهنية التي ننتمي إليها ألعب الشطرنج في الصالة العلوية التي تطل على حديقة النقابة وهي لا تخلو كل يوم تقريباً من فرح أحد الأعضاء فلاحظت على نفسي شيئاً غريباً في هذه الفترة هو أني أحس بأسى شديد داخلي كلما ترامت إلى أذني نغمات زفة العروسة في أي فرح يقام بالنقابة ونغمات الزفة بالذات ولا شيء آخر.. حتى لقد ذرفت الدموع من عيني ذات مرة وأنا أقف في ظلام الصالة وحدي أطل على فرح في الحديقة وفرقة العوالم تزف عروسين إلى الكوشة.. ليس حسداً والله العظيم.. فأنا أحب كل الناس وأتمنى لهم السعادة.. ولكن حزناً على نفسي ؛ لأني أحببت بكل قوتي من لم يحبني ولم يحفظ عهدي.. وكنت أتمنى أن أقف معه نفس هذا الموقف.

وذات مساء كنت ألعب الشطرنج فترامت نفسي النغمات إلى أذني ووجدت في نفسي رغبة مفاجئة لأن أطل من النافذة على الحديقة لأربى الفرح فاعتذرت لصديقي وأطللت من النافذة ففوجئت بها تجلس في الكوشة إلى جوار من اختارته وهي في غاية الابتهاج والسعادة فلم أحتمل المشهد وأسرعت أغادر مبنى النقابة إلى مسكني.

ولعلك تسألني هل كنت لا أزال أحبها؟! وأجيبك بكل الصدق نعم كنت أحبها حتى وهي في الكوشة مع من فضلته عليّ! لكن ماذا أفعل لقد عشت أياماً بعدها حزيناً أؤدي عملي بلا حماس.. ثم بدأت أستعيد نشاطي وحيويتي وعدت إلى الانتظام في الذهاب للهيئة التي تعمل بها "معذبتي" بعد أن رحلت مع زوجها إلى أوربا.. وبدأت أتعود على الواقع.. ومر عامان على هذه الذكرى الحزينة.. ووجدت نفسي في الواحدة والثلاثين من العمر يجري بي والوحدة أصبحت ثقيلة على فبثثت همي للزميلة المتزوجة التي بذلت مساعيها مع خطيبتي السابقة فنصحتني بالزواج وبدأت استعدادها لتعريفي بجارة لها ترى فيها الصفات التي أطلبها. وطلبت مني بعد أيام زيارتها في بيتها.

وفي الموعد ذهبت إليها فاستقبلتني مع زوجها بالترحيب، ووجدت معهما فتاة توحي ملامحها بالطيبة والألفة والبساطة فاستراح لها قلبي من الوهلة الأولى.. وتبادلنا الأحاديث العادية لمدة ١٥ دقيقة انصرفت بعدها الفتاة، وانتظرت أن تسألني زميلتي عن رأيي فيها.. فلم تفعل وإنما استمرت في الأحاديث العادية فسألتها مداعباً: لماذا لم تسأليني عن رأيي في "العروسة" فقالت لي بدهشة: أية عروسة؟ إن الفتاة التي حدثتك عنها لم تأت بعد لأنها ستتأخر ساعة لأمر طارئ.. أما الفتاة التي كانت هنا فهي ابنة أختي وقد جاءت على غير موعد في أمر عائلي، ولم يخطر في بالي أن أرشحها لك لأنها مازالت طالبة في الليسانس، والأخرى خريجة وتعمل في وظيفة محترمة! فطلبت منها رؤيتها مرة أخرى ورفضت الانتظار إلى أن تصل الجارة الموعودة وانصرفت، وسئلت الفتاة عن رأيها في فأبدت ارتياحها لي فرأيتها ثم خطبتها وبعد عدة شهور تم الزواج واحتفلت به في نفس حديقة النقابة التي شهدت من قبل آلامي وعذابي، وجرى كل شيء بسهولة ويسر لا تفسير لهما إلا أنها إرادة الله سبحانه وتعالى .. فلقد قبلت خطيبتي الزواج في الشقة الصغيرة إلى أن تأتي شقة النقابة، وقبل أن ينتهي العام الأول من الزواج جاءت الشقة الواسعة فانتقلنا إليها، وبعت شقتي الصغيرة، وحجزت لزوجتي في مستشفى لائق للولادة لكي تضع مولودها الأول، وجاءت طفلتي الحبيبة (نهى) لتملأ الدنيا حباً وسعادة، ومعها جاء الخير كله، فترقيت في عملي الأساسي وأصبحت قادراً على الاستغناء عن العمل الليلي، ثم رشحتني الهيئة فجأة وبدون أي سعي

مني، للسفر إلى الخارج في بعثة تدريبية لمدة عامين.. وأين؟ في نفس الدولة الأوربية التي تقيم فيها خطيبتي الأولى والتي من أجلها تركت العائد من الدول العربية وكلما عدت إلى زوجتي حاملاً لها خبراً جديداً من هذه الأخبار أحسست بفرحتها الطاغية تعيد إلي ثقتي في نفسي وأحسست أيضاً أن كل ما أصابني من خير يرجع الفضل فيه بعد الله إليها لأنها لا تطلب شيئاً.. وترضى بالقليل.. وتفرح بالشيء الصغير كأنه معجزة لا يستطيع أحد أن يحققها سواي!.

وفي غمار كل ذلك كان حبها يتسلل إلى قلبي رويداً رويداً من الأيام الأولى للزواج فيزحف كل يوم إلى موقع جديد تنسحب منه الأخرى الملونة حتى أحتل كل قلبي وطرد شبحها من قلبي تماماً بعد شهور قليلة. وسافرنا إلى أوربا.. وأكملت الغربة اكتشافي لكل الجوانب الخيرة في زوجتي.. ووجدت نفسي في ليالي الشتاء هناك أحكي لها كل شيء عني وعن كفاحي وعن أيام الحرمان التي عشتها فتسيل دموعها إشفاقاً ويزداد إعجابها بي.. وحبها لي.. وقد مست قلبي حين قالت لي أنها يتيمة مثلي منذ صغرها ولم تستشعر الأمان والحنان إلا معي، وأنها تحس بأن الدنيا قد عوضتها بي عن كل آلامها.. وهكذا أصبح بيتنا عشاً هادئاً يظلله الحب والعطف والحنان.. وواحة يقصدها الأصدقاء الذين تعرفنا بهم في الغربة ومن هؤلاء الأصدقاء تطايرت إلى سمعي أخبار الأخرى الملونة التي تعيش في نفس المدينة.. ويحكي المصريون عن خلافاتها مع زوجها ومشاجراتها التي وصلت إلى حد إبلاغ ، وكيف تدخل الشرطة ضده في إحدى المرات بتهمة أنه ضربها بالقلم.. وهي مصيبة كبيرة في الدولة الأوربية السفير شخصياً لكي يحول دون حبسه لأن القانون هناك صارماً ولا يرحم في هذه المسألة.. وكيف تطلب السفارة من الهيئة إعادتهما إلى مصر بعد أن كثرت فضائحهما.. إلخ..

ووجدت نفسي أسمع هذه الأخبار بلا أي تأثر كأنها شخص لا أعرفه ولم أسمع به من قبل.. فلا شماتة.. ولا انفعال.. ولا اهتمام بل شكر لله سبحانه وتعالى أن أزال الغشاوة عن عيني واختار لي شريكة حياتي هذه التي لم أسمع صوتها عالياً مرة واحدة خلال أربع سنوات.. ولم نتغاضب على شيء يوماً.. ولا تحتمل أن يقع بيننا أي خلاف صغير مما لا تخلو منه الحياة.. فلا تمضي دقائق حتى تجيئني لتقول لي آسفة فأسارع لأسبقها قبل أن تنطق بها وأقولها أنا لها، أني أقرأ في غربتي رسائل بريد الجمعة التي تروي آلام الناس ومشاكلهم.. وتجاربهم وقد اقترب موعد عودتي فخطر لي أن أكتب لك عن تجربتي لعلها تفيد بعض من يواجهون الموقف الذي واجهته فلا يحزنون على ما فاتهم.. وليعرفوا أن الله سوف يبدلهم بمن خذلوهم من هن أفضل منهن لأن الله لا يضيع أجر المخلصين والسلام عليكم ورحمة الله .

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لا عجب في أن يبدلك الله بمن هي أفضل ممن خانت عهدك ولم تعرف لك قدرك، بل لعل العجب هو ألا يحدث لك ذلك، فأنت شاب مخلص أمين مكافح تحملت مسئولية نفسك في سن الصبا ومسئولية أسرتك في سن الشباب..وكنت نعم الابن والأخ لأسرتك.. فكيف يضيعك الله يا صديقي؟.

لقد كان حقاً على الحياة أن تعوضك عن صبرك وكفاحك ومعاناتك بمن تجد في صحبتها الدفء والحب والأمان، وكان حقاً على الدنيا أن تجزيك خيراً عميماً عن ترفعك عن الإساءة لمن آذتك والانتقام ممن أدمت مشاعرك في جريها وراء طموحها.

إن الحكماء من أمثالك هم من يترفعون عن الإساءة لغيرهم والانتقام منهم لأنهم يعرفون جيداً أن الدنيا سوف تنوب عنهم في الانتقام لهم ممن أذوهم لأن المكر السيئ لا يحيق دائماً إلا بأهله، ولأن الله جل شأنه لا يتسامح مع من يرتكبون جريمة الإضرار بالآخرين بغير تطرف عيونهم.. فلماذا ننتقم نحن ممن ظلمونا.. ولو صبرنا قليلاً لرأينا بأعيننا انتقام العزيز الجبار منهم.. بلا أي جهد من جانبنا!.

وبعيدو النظر يا صديقي هم من لا يحزنون طويلاً على شيء فاتهم.. ومن يتذكرون دائماً كلمة الإمام أحمد بن حنبل لمن سأله النصيحة: إذا كان كل شيء بقضائه وقدره فالحزن لماذا.

نعم فالحزن لماذا واليأس لماذا يا صديقي والحياة تتجدد كل يوم وما فات قد فات والمؤمل غيب كما يقولون؟.

إننا نتصور أحياناً بعقولنا القاصرة أننا نختار لأنفسنا حياتنا وفقاً لحساباتنا وتدبيرنا فقط فيجهد البعض منا نفسه في التحسب.. والتفكير.. لكيلا نشقى بمن اخترناه في المستقبل وننسى أن المستقبل في النهاية بيد الله وحده وأن مبالغتنا في ذلك لن تغير مما كتب لنا اللوح المحفوظ شيئاً.

نحن مطالبون بالتدبر، هذا صحيح لكننا مطالبون أيضاً بالتسليم بإرادة الله.. وبقبول ما تأتينا به الحياة بصدر رحب وتجربتك الفريدة "خير" مثال على ذلك فأنت قد اخترت في البداية من لم تخترها الأقدار لك.. وزميلتك العطوفة قد اختارت لك أيضاً، فكان الاختيار الحقيقي في النهاية هو ما لم تدبر له أنت وما لم تفكر فيه فكان نعم الاختيار .. ونعم الجزاء.

أما فتاتك الملونة.. فهي فراشة فعلاً في ألوانها الزاهية وفي تنقلها بين الزهور ترشف رحيقها.. وتطير من زهرة إلى زهرة بحثاً عن الأفضل والأنفع.

لكن مصير الفراشات دائماً هو أن يصيدها في آخر الأمر صائد مهما طارت وتنقلب فيصنع بها ما قالته مدام بترفلاي في الأوبرا التي تحمل اسمها لزوجها متخوفة مما يحمله لها المستقبل: يقولون إن الرجل في بلادكم إذا صاد فراشة فإنه يقتلها بإبرة ؟ لكي يحفظها!.

والقتل بالإبرة قد يكون أحياناً أهون من العذاب والمعاناة والتعاسة المستمرة فلا تشمت بها يا صديقي.. فهي دروس الحياة التي تعلمنا كل يوم أنه لا يفلح الظالمون، وأنه عسى أن نكره شيئاً وهو خير لنا.. وعسى أن نحب .شيئاً وهو شر لنا. والله يعلم وأنتم لا تعلمون! مع أجمل تمنياتي لك ولزوجتك الوفية
==

الفخر الجميل

قرأت منذ فترة الرسالة التي بعثت إليكم بها إحدي القارئات بعنوان(رسالة إلي أب) فأثارت في نفسي الشجون والذكريات فقد ذكرتني بأبي رحمة الله عليه، فقد كان أبي ممن قال فيهم رسول الله صلي الله عليه وسلم إن لله عبادا اختصهم بقضاء حوائج الناس، وحببهم في الخير وحبب الخير إليهم، هم الآمنون من النار يوم القيامة. فقد تربي والدي رحمه الله عليه في أسرة متوسطة الحال ونشأ يتيم الأبوين، وكافح كفاحا مميتا إلي أن أكمل تعليمه وحصل علي البكالوريوس من إحدي كليات القمة، وتخرج فيها من الأوائل، وكانت له شقيقة تكبره لم تتزوج بعد فتكفل بها بعد تخرجه مباشرة إلي أن تزوجت وانتقلت إلي بيت زوجها، ثم تزوج بعد ذلك وسافر إلي الخارج للحصول علي الدكتوراه وعاد بعد٥ سنوات وتسلم عمله كمدرس بإحدي الجامعات الإقليمية الجديدة آنذاك واستقر هناك حتي حصل علي درجة أستاذ ثم أعير لإحدي الدول العربية وبعد ثلاث سنوات من إعارته توفيت والدتنا رحمة الله عليها هناك أوكان والدي آنذاك في السابعة والأربعين من عمره وكنا نحن خمسة أبناء أكبرنا في السادسة عشرة وأصغرنا في السابعة وعدنا لمصر بعد وفاة أمنا وأصبح والدنا أبا وأما لنا يقوم بدور الأب والأم معا ولم يقصر يوما في أداء أي من الدورين بخلاف مسئوليته تجاه عمله وأبحاثه، فقد كان رحمه الله فذا بمعني الكلمة في كل شيءحتي لقد كان يلقب بأستاذ الأساتذة في كليته علي مدي ثلاثين عاما قضاها منذ عودته من البعثة حتي ختم حياته الوظيفية عميدا للكلية ثم أستاذا متفرغا إلي أن لقي ربه راضيا مرضيا بإذن الله، وكما كان نابغا في عمله كان شديد الإيمان مؤديا للفروض جميعها وحينما أدي فريضة الحج لأول مرة آثر أن يهب تلك الحجة لأمه التي لم يعرفها وماتت وهو طفل وليد لولا أن شيخا من أصدقائه قال له إنه يجب أن يحج لنفسه أولا، ثم لمن يشاء بعد ذلك إن استطاع، فدعا الله أن ييسر له أن يحج بعد ذلك لأمه وأبيه، واستجاب الله سبحانه وتعالي له، وكنت كثيرا ما أسمعه يحمد الله أن أمهله ويسر له ذلك، وكان أبي رحمة الله بشوش الوجه، دمث الخلق كالملائكة، رقيق المشاعر كالنسيم، حلو اللسان، عذب الحديث، لو جلست إليه لا تمل حديثه أبدا، كما كان عليه رحمه الله محلا للخير حبا جما، ويهب لمساعدة كل من حوله غريبا كان أو قريبا، يجد في مساعدة الناس سعادة لا تعدلها سعادة فكنا نري غبطة وجهه حينما يقدم أي مساعدة لأي إنسان، وكم من مرات وم واقف كنت وإخوتي نشفق عليه من إرهاقه وتعبه في سبيل مساعدة الآخرين، ونتشاجر معه علي ذلك، فيقول لنا سيأتي يوم تشكرون لي ما أفعله للناس فما أفعله هذا لكم أنتم وليس لهم،(صدقت والله يا أبي وهاقد جاء اليوم لأجلس وأتفاخر بما كنت تفعله ونعنفك عليه إشفاقا وخوفا).

سيدي إنني لو أردت أن أحكي لك كيف لم يعش أبي يوما واحدا لنفسه فلن تكفيني أوراق العالم، هكذا عاش والدي العظيم حياته من أجلنا ومن أجل كل من حوله من أهل وأصدقاء وأحباء وتلاميذ، إلي أن جاء يوم دخلت عليه غرفته فوجدته راقدا يبكي فهرولت إليه مستفسرا فقال لي بالحرف الواحد(أنا إتشليت يا ابني) فمادت الدنيا بي لم أشعر بنفسي وأرتميت في أحضانه وأنا لا أصدق ماأسمع فهدأ من روعي حين رآني علي تلك الحالة من الهلع وأكد لي أنه شلل مؤقت سرعان ماسيشفي منه فاستلقيت بجانبه وأنا أقبل يديه وجبينه حتي الصباح، ثم حملناه أنا وإخوتي إلي المستشفي، وطمأننا الأطباء إلي أنها حالة نفسية تسببت في ذلك الشلل وسرعان ماستشفي ومكث والدي بالمستشفي عدة أيام تحسن خلالها كثيرا إلي أن تماثل للشفاء، فانتقل إلي المنزل وأصر علي أن أتركه أنا وشقيقي الأصغر ونعود إلي القاهرة، وعدنا بالفعل بعد أن تأكدنا أنه علي مايرام، وفور عودتي إلي عملي جاءني اتصال يخبرني ان والدي قد أسلم الروح إلي بارئه مطمئنا إلي أنه قد أدي رسالته كاملة ولم ينتظر حتي نرد له قطرة من بحر عطائه، وستدهش باسيدي حينما أخبرك أنني كنت أرتعد خوفا من هذا اليوم، ولكني حين سمعت خبر وفاته خررت إلي الله ساجدا متضرعا داعيا له بالرحمة والمغفرة وأن يهون الله سبحانه وتعالي علينا فراقه. والآن وبعد مرور عامين علي فراقه أدعو الله في كل صلاة أن يكون سبحانه وتعالي قد توفاه هو وأمي راضيين عني أنا وإخوتي وأن يتغمدهما بواسع رحمته ومغفرته وأن يجمعنا وإياهم في الجنة بإذنه عز وجل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

بعض اسباب حرقة الأسي علي الآباء والأمهات الراحلين هو الا تتيح لنا الحياة أن نشعرهم قبل الرحيل بكامل امتناننا لهم وصادق عرفاننا بجميلهم وعميق حبنا لهم واعتزازنا بهم ومن أجمل أنواع الفخر المحمود أن يفخر الإنسان بأبيه وأمه لا لمال أورثاه له أو جاه يتقلب في نعمائه وإنما لحسن السيرة وشرف الحياة وميراث الأخلاق الكريمة الذي خلفاه له وهو خير الميراث فهذا هو الفخر الحقيقي، الذي ينبغي أن يعمل كل إنسان علي أن يتيحه لأبنائه ذات يوم بحسن مسيرته هو والتزامه الخلقي والديني خلال رحلة الحياة، ولقد روي عن الشاعر الأموي جرير ان رجلا سأله ذات يوم عن أشعر الشعراء.. فاصطحبه جرير إلي بيته ودعا والده وكان رجلا مسنا

ضعيفا، وليس من ذوي الجاه ولا المال ثم التفت للرجل وقال له: أشعر الشعراء هو من فاخر بهذا الأب أربعين شاعرا وهزمهم جميعا!
وروي أيضا عن أبي الأسود الدؤلي أنه قال ذات يوم لبنيه:
ـ لقد أحسنت إليكم صغارا وكبارا وقبل أن تولدوا، فقالوا وكيف أحسنت إلينا قبل أن نولد ؟ فقال: اخترت لكم من الأمهات من لا تسبون بها! في نفس هذا المعني أنشد الرياشي مخاطبا بنيه:
فأول إحساني إليكم تخيري
لماجدة الأعراق باد عفافها
ولقد أثبت علم النفس الحديث أن الإنسان الذي يعتز بأبويه وسجاياهما الأخلاقية.. ويستشعر الإعجاب الداخلي بهما يكون أقرب الي الاتزان النفسي من غيره وأكثر ميلا إلي اتباع نهجهما الأخلاقي في الحياة.. والاهتداء بقدر الإمكان ولهذا فسوف يكون إعجابك بأبيك وإيمانك بمثله العليا دافعا قويا لك للسير علي دربه.. وتكرار مسيرته الخيرة في الحياة بإذن الله.

==

الفجوة الرهيبة

أنا يا سيدي شاب أبلغ من العمر٣٥ عاما، نشأت في أسرة مترابطة لأب يتفاني في خدمة أولاده وكان كل همه تربيتهم تربية صحيحة، وأم لا تتواني عن عمل أي شيء لإسعاد أولادها وحتي لا أطيل علي سيادتكم فقد نشأت والحمد لله ملتزما ولي بعض الصفات الشخصية التي أعتز بها مثل حب العمل والنجاح والطموح والرغبة في التميز بالمجهود والثقة العالية بالنفس وكنت أثناء فترة الدراسة الجامعية أعمل بجانب الدراسة عملين منفصلين منهما مشروع خاص

برغم اعتراض الأهل علي الأمر إلا أني الحمد لله نجحت في التوفيق ما بين العمل والدراسة، ولم يكن لي أي أهداف أيام الدراسة سوي النجاح في حد ذاته، وكأي شاب في مقتبل العمر اهتممت بالمظهر والصداقات العابرة، ولم أفكر يوما في تمديد حلمي ليشمل المستقبل، إلي أن تعرفت علي زميلة لي أيام الدراسة، أعجبت بشخصيتها القوية وجديتها المبالغ فيها والتزامها في كل شيء، وأحسست أن تلك هي الفتاة التي أبحث عنها، وتلك هي الصفات التي يتمناها أي شخص في شريكته ليكون سعيدا في حياته، وتحدثنا وتفاهمنا وكانت نعم العون والمخطط للمستقبل، وتقدمت لوالدتها وجلست معها وتحادثنا، وتفضلت مشكورة بقبول كل ظروفي برغم أنهم أعلي من مستوانا ماديا واجتماعيا

ولكن السيدة الفاضلة تمنت لنا التوفيق والحمد لله وبمشاركتها لي في كل أموري نجحت في الزواج بدون أي مساعدة خارجية من الأهل وأنا عمري٢٦ سنة بعد أن وفرت جميع الالتزامات المطلوبة مني، وقبل الزواج بأيام قليلة اقترحت علي زوجتي عن طريق إعلان بالجريدة التقدم للالتحاق بعمل في دولة خليجية، ولم يكن واردا في بالي موضوع السفر للخارج، ولكني تلبية لرغبتها تقدمت للوظيفة، وخرجت من المقابلة بعد١٠ دقائق وأنا مقتنع انه تم قبولي حتي قبل أن يبدي لي أي شخص الموافقة، وبالفعل في صباح اليوم التالي قام مدير المكتب بالاتصال بي وحثي علي إنهاء الإجراءات وتم السفر، ولحقت بي زوجتي بعد بضعة أشهر لنبدأ معا حياتنا الزوجية المأمولة

في أول أيام زواجنا في الغربة ومع مرور يومين فقط أحسست إحساسا غريبا يملؤني بأن زوجتي الحبيبة لديها نوع غريب من أنواع البرود، لدرجة أنني وبدون قصد حدثت لي حالة اضطراب استمرت عدة أيام لم أقترب منها، برغم أننا في أيام زواجنا الأولي، ومرت بنا الأيام بحلوها ومرها ورزقنا الله بطفلة آية في الرقة والجمال وكانت نعم الهدية من الله عز وجل، ومع طول فترة الزواج والشعور داخلي يزداد بعدي النفسي عن زوجتي برغم شهادتي بتميزها علي جميع الأصعدة في عملها وعلاقتها بأهلها وابنتها، ولكن لم أجد لنفسي مكانا في حياتها برغم اقتناعي بأنها إنسانة في منتهي الرومانسية، وبعد مدة من ولادة ابنتنا اشتقت مرة أخري للخلفة وطلبت منها أن تسمح بالحمل ولاقيت اعتراضا شديدا لمدة تزيد علي العامين حتي وافقت ورزقنا الله بطفل نعمة من المولي عز وجل

وخلال تلك الفترة كان البعد النفسي داخلي يزداد رغم عدم تلميحي مجرد التلميح لها بما يحدث داخلي وهي مقتنعة بأنها نعم الزوجة ونعم العون لزوجها، وكل من يشاهد أسرتنا يحسدنا علي ما يراه ولا يعلم ما في النفوس وبعد فترة بدأت زوجتي تهتم بعملها ونجاحها فيه وبصديقاتها الموجودات باستمرار في بيتنا في وجودي وعدم وجودي، ووصلنا لمرحلة وجود طفلينا مع الخادمة التي تقوم بعمل كل شيء للطفلين، وأحسست من داخلي بزيادة الفجوة بيننا، إلي أن بدأت تظهر في حياتي بعض الشخصيات التي تعطيني فقط مشاعر لا ألقاها في بيتي، ورغما عني تعلقت بالكلمات وليس بالشخصيات، وأكرر ليس بالشخصيات لكن فكرة الاهتمام في حذ ذاتها ملكتني، إلي أن اكتشفت زوجتي مكالمة تليفونية من احداهن واقامت الدنيا وأصرت علي الانفصال لأن كرامتها لا تتحمل أن تقبل فكرة الخيانة، لأنها لا تقصر في شيء مع العلم أن كل من حولنا، خصوصا أهلها لاحظوا خلال الاجازات أني لا اقترب من زوجتي ولا مرة واحدة خلال الاجازة، وهي لا تهتم بالأمر، وأنا بكل صدق أهرب لاحساسي بالفجوة الرهيبة بيننا في المشاعر.

نزلت مصر إجازتي السنوية وأنا مقرر أن أحسم الموضوع وأصارحها بكل ما لدي، وجلست مع والدتها وتفضلت مشكورة بتصحيح الأمر بيننا بعد أن صارحتها بكل ما يجول داخلي من مشاعر غربة عن زوجتي وبعد نفسي عنها وعن برود العلاقة بيننا، وجلست مع زوجتي ولمحت في عينيها رغبتها في إتمام الصلح ولم اعترض علي أن تبقي في مصر وأرجع أنا لمقر عملي، وبعد عدة أيام وجدتها تطلب مني العودة معي مرة أخري، وعدم رغبتها في البقاء في مصر وبمنتهي الأمانة ساورني الشك في مدي مصداقية رغبتها في العودة؟ أهي عودة لحضن الزوج والبيت والأطفال أم عودة للعمل والأصدقاء والنجاح والمرتب العالي مرة اخري؟

المهم أنها بالفعل عادت مرة أخري وانتقلت من عملي إلي مركز مرموق في عاصمة الدولة التي نحن بها، وفوجئت بتمسك زوجتي بعملها وإصرارها علي الاستمرار فيه لدرجة انني عندما خيرتها ما بيني وبين عملها اختارت عملها، بل واقترحت علي بأن انتقل أنا لمقر عملي الجديد وتبقي هي في مدينة اخري مع أولادي في عملها. كانت تلك هي اللحظة التي انتهي فيها كل شيء داخلي لتلك المرأة، واتسعت الفجوة بيننا بصورة لم أكن أتصورها، وانتقلنا لمقر العمل الجديد تحت إلحاح مني وقبل أن ألتحق بعملي الجديد كانت هي انتقلت بعملها نفسه لفرع المدينة الجديدة حتي لا تجلس في البيت وتربي الأولاد لأنها لا تحتمل الجلوس في البيت، ووجدت زواجنا عبارة عن شخصين منفصلين تماما وكل شخص له حياته المستقلة خارج البيت وداخله، وخلال تلك الفترة كنت أبحث فقط، واكرر فقط.

عن كلمة حنونة ولحظة اهتمام ولو عبر الهاتف مع أي شخص لشعوري بالوحدة الداخلية والفراغ العاطفي، ولا أعفي نفسي من المسئولية والإقرار بالخطأ تجاه الأمر لكن لكل إنسان لحظات ضعف يمر بها خلال حياته، وتحول الموضوع داخلي لأزمة نفسية بعدم مقدرتي علي الاقتراب من تلك السيدة زوجتي لدرجة أنني لم أقترب منها في العام الأخير إلا مرتين واستشرت الاطباء، وأقروا بأنني سليم وأن الموضوع نفسي لا أكثر. وتكرر الموقف مرة أخري وبحثت عمن يشبعني نفسيا، وكان من الطبيعي أن تكتشف رسائل موبايل خاصة بشخصية يبعد بيني وبينها أكثر من ٣٠٠٠ كم وأقامت الدنيا وأصرت علي الانفصال، وفوجئت خلال تلك الفترة بأنني كنت غافلا عن انني متزوج سيدة جميلة بشخصية رجل في منتهي القوة والجبروت الداخلي ـ قامت باتخاذ كل القرارات الخاصة بحياتنا بمفردها، وتقدمت باستقالتها من عملها وحجزت لنفسها للعودة مع الأولاد لمصر بدون موافقتي، وتقدمت للعمل في مصر وتمت الموافقة علي عملها بدون موافقتي وكأنها هي رجل البيت وليس أنا. وخلال مناقشاتنا في تلك الفترة اعترفت لها بما يجول داخلي من مشاعر سيئة لها واني لا استطيع الاقتراب منها، وهي فقط، واعترفت لها لانها بدأت تسيء لي وتتهمني بصبرها علي عيوبي ومرضي، وعندها صدمت بكلامي وتحولت لوحش كاسر أهانني واهان أهلي ومستواي، وأنني المفترض أن أكون أسعد رجال الكون لأنها قبلت الزواج مني.

نزلت الزوجة الكريمة لبلدها معززة مكرمة وطلبت الانفصال قبل النزول وطلبت منها الوصول لبيتها أولا وهي علي ذمتي مثلما خرجت منه علي ذمتي وبعدها يحق لها طلب الطلاق وسوف أقوم بتطليقها بمجرد طلبها الانفصال، ولم تطلب لليوم الانفصال برغم تأكدها بأنني فعلا لا استطيع أن أكمل معها مشوار حياتنا. وتوسط من صديقاتها من توسط في الأمر، وأنا رافض تماما لفكرة الصلح، وهي تعامل أهلي أسوأ معاملة، وحرمت أهلي من رؤية أولادي، وحرمتني منهم، ومع ذلك لم اقم بأي عمل أندم عليه لخوفي علي أولادي، وأقوم بتحويل كل ما تطلبه من مصاريف لأولادي شهريا ويعتبر مبلغا ضخما جدا بشهادة كل من استشرتهم. واليوم اكتب لسيادتكم برسالتي لطلب المشورة في أمر رغبتي الحقيقية في الزواج مرة اخري لأني عانيت الأمرين خلال فترة وجودي بمفردي في الغربة التي قاربت علي العام، وكل مايجول بخاطري اولادي وتقبلهم لفكرة زواج أبيهم وهل انا سأظلمهم باقدامي علي فكرة الزواج؟

أي عروسة سأتقدم للزواج بها ستشترط أولا قيامي بتطليق زوجتي الأولي وانا لا أستطيع إكراما لها إلا بعد طلبها هي، وليس لمجرد طلب العروس الجديدة وأهلها.

خوفي من علاقة اولادي بإخواتهم من أم أخري وخوفي من قيامها بتشويه صورتي أمام أولادي رغم انني لا أقصر في أي شيء تجاههم.

كل ماسبق أثر علي ظروفي الصحية ودخلت المستشفي عدة مرات بأزمات قلبية، وتدهور وضعي في العمل لعدم قدرتي علي التركيز في عملي، وأشعر بأن الدنيا تهرب من تحت قدمي.

* سيدي.. لتسمح لي من البداية أن اعترف لك بأن سطور رسالتك لم تدفعني ـ داخليا ـ لإدانة زوجتك وتحميلها مسئولية فشل علاقتكما الزوجية وإن كان هذا لايعني أيضا ـ حسب ماجاء في رسالتك ـ أنها أخطأت في بعض تصرفاتها.

في نفس الوقت أميل إلي تحميلك المسئولية الكبري فيما وصلت إليه بأسرتك، وأن الحل في يدك أنت لافي يد غيرك، ودعني أبدأ معك منذ البداية، أي منذ بداية الزواج، من تلك اللحظة التي أحسست أنها من مستوي اجتماعي وعائلي أعلي منك، فأي إنسان يتسرب إليه هذا الإحساس وهو مقدم علي الزواج من فتاة عليه أن يستشعر الخطر، ويفهم أن تلك الزيجة مهددة بالانهيار، سواء كان هذا الاحساس نابعا من داخلك، أو نتيجة

لتصرفات وسلوك زوجتك. هذا الشعور ياصديقي يهزم الرجل، يهز ثقته بنفسه يجعله يحس بأنه أقل، لذا فعليه تقديم التنازلات، وقد يفسر هذا احساسك منذ الأيام الأولي للزواج بأن زوجتك باردة
وأنها السبب في الاضطراب الذي ألم بك وأبعدك عنها، هي حالة من الإسقاط للشعور بأنها أقل منك، وأن بها عيبا يبعدك عنها.. فيزداد صراعك الداخلي، تراها مثالية في أشياء عديدة، ثم تبتعد عنها وتتهمها بالإهمال والانشغال بصديقاتها، لتذهب أنت وحيدا بمبرراتك، لتستمتع بمشاعر الأخريات واعجابهن واهتمامهن، عبر الهاتف أو النت أو غيرهما من الوسائل. كل هذا ولم تتوقف للحظة لتسأل نفسك عن مشاعر امرأتك تجاهك، كيف تقترب وكيف تحنو وتهتم، وهي تري نفورا وضعفا من زوجها. المرأة الشرقية في مثل هذه الحالة تنسحب وتصمت، لاتواجه ولاتجرح ولاتطلب، تشعر فقط بالاهانة، وقد تفسر هذا الغياب بأنه مرض ألم بزوجها، فتندفع إلي إشغال نفسها بالعمل والصديقات.
ولكن عندما تكتشف وهي الصابرة الصامتة ـ أن زوجها الغائب المهين يعرف أخريات، ماذا تنتظر منها أن تفعل؟ غضبت وهي المجروحة، ولم تهدم المعبد، عادت إليك بعد تدخل أمها، عادت معك ولكنها لم تقبل أن تقبع وحيدة مع ألمها من غيابك في البيت وتشبثت بعملها لتحقق ذاتها، فماذا فعلت أنت،استسلمت للحظات ضعفك، وواصلت علاقاتك التي تمنحك الرضي النفسي عن ذاتك. لم تسع ياسيدي مرة واحدة لمواجهتها بالأزمة التي تعيشها، لم تأخذ بيدها، وكأنك تريدها أن تبقي هكذا بعيدة مهانة.
الأسوا دائما في مثل هذه العلاقة هوالصمت، فهو خنجر في المشاعر، والعلاج الوحيد هو الحوار، فإذا لم يؤت أكله، فليس هناك مفر من استشارة متخصص في العلاج النفسي أو الأسري.
سيدي.. لم تغلق كل النوافذ بعد، فرضي زوجتك بالوضع الحالي وعدم اصرارها علي الطلاق يشير إلي رغبتها في إنجاح هذه الزيجة، والحفاظ علي أسرتكما الصغيرة، لذا فإني أقترح عليك أن تعود إليها، تصارحها بكل ماتشعر به، تحاول أن تفتش في نفسك عن مواطن جمالها التي تعجبك ولاتتوقف عند عيوبها، قل لها إنك تحبها وتحتاج إليها، قل لها كلاما حلوا، فالمرأة تلين من أذنيها، تعاهدا علي المصارحة والاقتراب.. تحدثا طويلا عن أولادكما ومصلحتهما في استمرار حياتكما، وثق بأن الحياة تذهب بنا حيث نشاء. فليكن ذهابكما إلي السعادة، لأن صفات زوجتك الطيبة أكثر من أخطائها، وأنت ايضا بداخلك حرص علي عدم هدم البيت. إنها خطوة واحدة ياصديقي تفصلك عن الاستقرار، فلماذا تجعلها أميالا من الغضب والبعاد، الفجوة بينكما ليست رهيبة كما تعتقد، بل قد تكون ثقبا في المشاعر تحتاج لرتقه نية خالصة من كليكما، فهل تفعلان؟
==
رسالة (عودة الابتسامة!) دموع زوجتي لا تتوقف وأنا أنظر إلي وجهها الحزين
أنا شاب في منتصف الثلاثينيات حاصل علي مؤهل عال وأعمل بإحدي شركات قطاع الأعمال. ولقد نشأت في أسرة متوسطة. وبعد تخرجي وعملي بدأت أفكر في الزواج ورشحت لي شقيقتي صديقة لها، أثنت علي خلقها وطباعها وجمالها، فرأيتها واعجبت بها وتركتها وصورتها لا تفارقني.. ثم التقيت بها مرة ثانية بصحبة شقيقتي وعاهدتها علي ألا نفترق أبدا حتي آخر العمر. وتقدمت لخطبتها.. وتزوجنا في سلام، وكانت اسعد لحظة هي اللحظة التي خطونا فيها إلي عش الزوجية الذي حلمنا به معا.. وبدأنا حياتنا المشتركة بصلاة شكر ودعاء إلي الله العلي القدير أن يكتب لنا السعادة الدائمة ويرزقنا الذرية الصالحة، ومضي علي زواجنا عام شعرت كأنه يوم واحد.
وفي كل يوم يزداد التفاهم بيننا ولا نسمح لأية مشكلة أن تعكر علينا صفو حياتنا، وبعد عام من الزواج حملت زوجتي وسعدنا بحملها، ولكن الحمل لم يكتمل وأجهضت بعد شهرين فقط. ولم نحزن لذلك بل حمدنا الله علي أننا قادران علي الإنجاب وبعد شهور أخري حملت زوجتي مرة ثانية.. وللأسف لم يكتمل حملها هذه المرة أيضا وأجهضت بعد ثلاثة أشهر لسبب لا نعرفه، كما حدث لها نزيف بعد الإجهاض وعولجت منه بعملية جراحية، وغادرنا عيادة الطبيب وزوجتي في حالة نفسية سيئة.. لكننا حمدنا الله علي سلامتها ودعوناه أن يمن علينا بتثبيت الحمل إلي أن نري طفلا لنا بين أيدينا.
وبعد عام آخر حملت زوجتي من جديد.. وذهبنا للطبيب لكي يتابع حالتها منذ بداية الحمل ومرت شهوره بسلام، وأبلغنا الطبيب بعد إجراء الأشعة أنه ولد وطرنا فرحا بذلك خاصة زوجتي التي أعدت ملابس المولود واختارت له اسمه من قبل أن يأتي من عالم الغيب.
وفاجأت زوجتي آلام الولادة، في منتصف الليل فهرولنا إلي الطبيب الذي يتابع حالتها ودخلت زوجتي غرفة الولادة ومضي الوقت ثقيلا علينا وأنا أسمع صراخ زوجتي يتعالي بلا توقف ونحن نتألم لها خارج الغرفة ونتلهف علي سماع صراخ المولود.. وكل فترة يخرج إلينا الطبيب طالبا شيئا ثم يرجع للغرفة مرتبكا.. وفي احدي هذه المرات قال لنا إن الطفل ليس طبيعيا ويعتبر ميتا وإنه مهتم الآن بإنقاذ حياة الأم، وطلب منا توفير ٤ أكياس من الدم من فصيلة زوجتي لأنها نزفت كثيرا، وهو مضطر لإخراج الجنين بعملية قيصرية علي الفور، ووقع الخبر علي كالصاعقة وكدت أغيب عن الوعي.. فقد فقدت في لحظة واحدة الابن وأبحث الآن عن وسيلة لإنقاذ الزوجة. لأن فصيلة دم زوجتي نادرة.. فقد هرولت إلي أهلي وأهلها ودعوت الجميع للتبرع لها بالدم وتجمع العشرات في معمل الدم لإجراء التحاليل لمعرفة فصيلة الدم الصالحة.. وأخيرا عثرنا علي الفصيلة المطلوبة، وحان وقت أذان

الفجر، فرفع الجميع أيديهم بالدعاء إلي الله أن ينقذ الأم الشابة من الموت.. وتمت العملية وخرج إلينا الطبيب وطمأننا علي سلامة الأم، ودخلت علي زوجتي فوجدتها غائبة عن الوعي وفي سرير مجاور لها الطفل ا لغائب عن الحياة الذي أعدت له أمه ملابسه واختارت له اسمه من قبل. فنظرت إليه من خلال دموعي وقلت: لله ما أعطي ولله ما أخذ وكل شيء عنده بمقدار.. وبكيت الحلم الجميل.. وتساءلت ماذا أقول لأمه حين تفيق وتسألني عنه. وعلي الفور طلبت من أبي أن يأخذ الطفل ويواريه الثري قبل أن تتنبه زوجتي وتراه، وكان مشهدا مبكيا للحاضرين وأبي يحمله علي ذراعه ويمضي به إلي المصير المحتوم.

وأفاقت زوجتي بعد قليل وتساءلت ماذا حدث.. وأين ابني؟ فقلت لها إن الله سبحانه وتعالي قد أراد أن يبتلينا بما حدث وعلينا أن نصبر علي بلائه ولسوف يسقينا ابننا هذا من ماء الجنة إن شاء الله حين يجمعنا الله به في مستقر رحمته، وخرجنا بعد اسبوعين من العيادة عائدين إلي البيت ودموع زوجتي لا تتوقف وأنا أنظر إلي وجهها الحزين وأتساءل: هل تعود إليها ابتسامتها الجميلة ذات يوم وتسعد بحياتها وتسعد من حولها كما كان الحال في الأيام الخوالي؟

ومرت الأيام وأنا أحاول أن أنسيها ما حدث..

ومضي عامان بغير أن يحدث حمل جديد.. وتشككنا في أن يكون قد حدث شيء خلال العملية الأخيرة أثر علي استعدادها للحمل والإنجاب، وذهبنا للطبيب فطلب فحصها بالأشعة التليفزيونية. وأجرينا الأشعة فكانت المفاجأة أنها حامل في شهرين، وتابع الطبيب الجنين بالأشعة خلال فترة الحمل، وأكد لنا أنه طبيعي ولا داعي للخوف من تكرار ما حدث من قبل وحدد لنا يوم الولادة.. وفي الموعد المحدد ذهبنا إلي عيادته، وقد تعمدت زوجتي هذه المرة ألا تأخذ معها أية ملابس للمولود وألا تختار له اسما من قبل مولده.. وتمت الولادة القيصرية بسلام ورزقنا الله بطفلة جميلة سميناها آية.

وكانت عودتنا إلي البيت هذه المرة عودة سعيدة وزوجتي تحمل طفلتها وتبتسم لها طوال الطريق.

ومضت ثلاثة أعوام هانئة وسعيدة ملأت خلالها آية حياتنا بالبهجة والسعادة والهناء، ومنذ أيام قليلة وضعت زوجتي مولودها الثاني وكان ولدا عوضنا به الله سبحانه وتعالي عمن فقدنا.. وأسعد قلوبنا.

ولقد أردت أن أكتب لك قصتي لكي أقول للصابرين المنتظرين ألا ييأسوا من رحمة الله.. وألا يفقدوا الأمل في الحمل والإنجاب إذا تعرضوا في بداية حياتهم لمثل ما تعرضنا له.. فالله سبحانه وتعالي قادر علي أن يعيد البهجة والسعادة والابتسامة إلي حياتهم كما أعادها إلينا.. والحمد لله علي كل شيء.. ودعاؤنا إليه أن يحفظ علينا سعادتنا وابتهاجنا بطفلينا آية وأحمد، وأن يرزق كل المنتظرين رزقهم الموعود ويعيد الابتسامة إلي وجوههم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

أمر المؤمن خير كله.. كما جاء في الحديث الشريف إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن اصابته مصيبة صبر فكان خيرا له.

ولقد صبرت يا صديقي علي ما أصابك أنت وزوجتك في بداية حياتكما الزوجية.. ولم تفقدا الأمل في رحمة الله.. وقلت كما قال خامس الخلفاء الراشدين عمر بن عبد العزيز في دعائه المأثور اللهم رضني بقضائك وبارك لي في قدرك حتي لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت..

فكان أن عجل الله لك الرزق بالأبناء بعد تأخير قصير أو بعد صبر محمود علي الابتلاء، مما يذكرنا بقول أحد الصالحين حين سئل أيهما يفضل: التمكين أي أن يحقق له الله سبحانه وتعالي ما يرغبه ويأمل فيه أم الابتلاء مع ما يعنيه ذلك من أجر عظيم للصابرين عليه فتساءل الرجل الصالح مبتسما، وهل يكون تمكين بغير ابتلاء؟

ولقد مكنك الله مما رجوته لنفسك وزوجتك وحياتك العائلية بعد ابتلاء محدود والحمد لله.. فاحفظ أيها الشاب ما أنعم الله سبحانه وتعالي عليك به من نعمة الإنجاب ونعمة الوفاق الزوجي والسعادة العائلية بالشكر والذكر آناء الليل وأطراف النهار، ذلك أن الشكر هو الحافظ للنعم.

وإن الله ليمتع بالنعمة ما يشاء فإن لم يشكر عليها كما جاء في مضمون الحديث الشريف ـ قلبها عذابا.

فالحمد لله أن كنت من الشاكرين الذين يحفظ عليهم ربهم ما أنعم به عليهم وهنيئا لك سعادتك العائلية وذريتك الصالحة بإذن الله، وشكرا لك علي اهتمامك بأن تروي قصتك لمن ينتظرون أن يحقق الله سبحانه وتعالي لهم آمالهم في الإنجاب وسعادة القلب وراحة البال، وعلي حرصك علي أن تحثهم علي الأمل دائما في رحمة الله.. .وانتظار جوائزه للصابرين المتطلعين إلي نصيبهم العادل في السعادة.. والسلام

==

رسالة (نداء المجهول) لست اشكو اليك فجيعتى فيمن احببت

اكتب اليك بعد مرور حوالى ١٠ شهور كامله على ما شهدته حياتى من تغييرات جوهريه وكانت المناسبه التى اهاجت شجونى ودفعتنى للكتابه اليك هى حلول عيد الفطر المبارك قبل اسابيع وانا فى حال تختلف عنها فى الاعياد السابقه

فانا يا سيدى طبيب شاب ابلغ من العمر ٣٥ عام اعمل اخصائى فى احد فروع الجراحه بإحدى محافظات الجنوب ، وتبدا قصتى التى ارويها لك وانا طالب بالثانويه العامه حين تعرفت على احد زملائى بالمدرسه ... وتوثقت

الصداقه بيننا ، وزرته فى بيته القريب من بيت اسرتى لاول مره لتهنئتته بعيد الفطر فرأيت فى بيته فتاه صغيره تلهو ببالونة اطفال كما يفعل غيرها من الاطفال فى الاعياد ، وعرفت منه انها شقيقته الصغيره والوحيده وهى فى الصف السادس الابتدائى انتهيت الزياره وغادرت بيت صديقى وانا لا افكر فى اى شئ سوى هذه الفتاه الصغيره او الطفله التى رايتها عنده ....

تعجبت من امر نفسى بعد ذلك طويلا حين وجدتنى مشغول الخاطر بهذه الفتاه الصغيره التى لا تدرى من امر الدنيا شيئا وحاولت رد نفسى مرارا عن التفكير فيها لانها مجرد طفله وشقيقة صديقى ، فإذا بى ازداد مع الايام تعلقا بها وانشغالا بأمرها ، اديت امتحان الثانويه العامه والتحقت بكلية الطب ، وحصلت هى ايضا على الابتدائيه وانتقلت الى المرحله الاعداديه ، وتعلقى بها مازال يغلبنى على امرى ، ولا اعبر عنه سوى بالاهتمام البرئ بأمرها وامر دراستها حين ازور صديقى فى بيته ، وازداد اقترابى منها تدريجيا ، فتعلقت هى ايضا بى بشده وبإخلاص شديد البراءه ، واعترفت لنفسى باننى احب هذه الفتاه الصغيره حبا لا يوصف واننى اريد ان تشاركنى رحلة الحياه " فاصطنعتها " لنفسى وحرصت على ان اغرس فيها كل ما احب من قيم وسلوكيات ووجدت لديها استجابه مخلصه لكل ما اطلبه منها ، فاصبحت نموذجا رائعا للانسانه التى اريد ان اقضى معها عمرى كله ، حتى الكليه التى التحقت بها كنت انا الذى اخترتها لها ولقى اختيارى منها كل ترحيب ، تخرجت انا فى كلية الطب وهى لاتزال فى عامها الجامعى الثانى ومضت الايام بنا سعيد وواعده بكل شئ جميل ... وتخرجت فتاتى وبعد تفاصيل لاداعى الى ذكرها تزوجنا وضمنى اخيرا عش الزوجيه بالطفله البريئه لقد كنت اتصور حين بدأنا حياتنا الزوجيه اننى اعرف هذه الفتاه كما اعرف جيدا كف يدى ، فإذا بالعشره تكشف لى من شخصيتها ما لم اكن اعرفه من قبل من الخصال الجميله والروح العطوف النبيله وطهارة النفس والقلب والسجايا التى يندر وجودها فى هذا الزمان ، وفجاه وانا فى قمة سعادتى بها وسلامى النفسى معها خلال شهور الزواج الاولى ، وجدتنى اشعر بالقلق والخوف من شئ مجهول لا استطيع تحديده وحاولت تفسير خوفى الغامض بانه الخوف الطبيعى الذى قد يساور الانسان احيانا اذا اكتملت سعادته فخشى عليها الا تدوم او ان يفسدها عليه الكدر ... لكننى لم استسلم لهذا القلق طويلا وان لم اتخلص منه نهائيا ، ومضت الايام بى وبطفلتى الجميله التى راقبت عن قرب كل مراحل نموها الجسدى والنفسى الى ان جمعنا عش الزوجيه وبعد عام من الزواج بدأت حبيبتى الوديعه تشعر بالقلق لتأخر الحمل ، واجرينا الفحوص اللازمه فثبت خلونا نحن الاثنين من اى موانع للانجاب ، ورحت اطمنائها إلى ذلك وساعدها ايمانها القوى وصلتها الوطيده بربها على التسليم بقدرنا ، وبعد فتره بدأت تشعر بآلام الحمل وتعانى من مغص وتلقصات غريبه حاولت انا وزملائى الاطباء جاهدين ان نعرف اسبابها بلا جدوى ، وبعد ٣ شهور من الحمل والمعاناه الرهيبه تبين حمل خارج الرحم وفى الانبوبه اليسرى التى انفجرت كلها مع المبيض وانتهت هذه المشكله باستئصال الانبوبه اليسرى كلها ومعها المبيض الايسر ، ومر عام بعد ذلك دون حمل وبدأ القلق يعاود زوجتى فاجرينا لها فحصا اخر فتبين ان الانبوبه اليمنى حدث بها التصاقات بسبب جراحه للزائده الدوديه اجريت لها بعد ٣ شهور من الزواج، ولكى يحدث الحمل فلابد ان تكون هذه الانبوبه حره وكان الحل الذى اقترحه زميل لى ان نجرى جراحه لتسليك تلك الانبوبه وانا اعرف جيدا ان اى جراحه سوف تعيد الالتصاقات مره اخرى فضلا عن ان الامل فى الحمل لن يزيد عن ١ % فلماذا اعذبها بالجراحه ، لقد اتخذت قرارى كزوج وطبيب وطلبت من زوجتى ان تدعها من الاطباء ...... وتسلم امرها لخالقها وحده واقسمت لها بربى ودينى ان الله سوف يعطيها ما تتمناه وينعم عليها ، لان ايمانها بربها عميق ومتين ، ولانها ممن ينطبق عليهم قول احد الصالحين رضوان الله عليهم " ان لله عبادا إذا ارادوا أراد " ....

وسلمت زوجتى لارادتى فى هذا الامر عن اقتناع وحب وبعد حوالى ٣ شهور كنت بالبيت معها فى المساء وبدأت استعد للنوم فاذا بها تقول لى ان الدوره الشهريه قد تاخرت عنها يومين واذ بى اجد نفسى اقول لها بكل ثقه : اننى حامل !!

ثم اويت الى فراشى واستيقظت لصلاة الفجر بدون منبه كعادتى فلم اجد زوجتى بجوارى ، ثم وجدتها فى غرفه اخرى تبكى وفزعت عندما رايتها وسالتها عن السبب فقالت انها تظن اننى اسخر منها حينما قلت انها حامل واذا كنت ارغب فى الزواج من اخرى فهى لن تعترض ولن تحرمنى

اقسمت لها ان هذا لم يكن فى بالى واقسمت لها على سلامة نيتى واتفقت معها الا نتحدث فى امر الحمل لمدة ٤ اشهر حتى لو علت بطنها امامى بالحمل فرجعت زوجتى الى صفائها وقمنا وصلينا الفجر معا ، ومضى شهر اخر فإذا هى تشعر باعراض الحمل ولكننا لم نتحدث في هذا الامر كما اتفقنا وبعد مرور ال ٤ اشهر قمنا بعمل الفحوصات وتاكدنا ان الحمل طبيعى ولن اصف لك مقدار سعادتها وكانها تقول لى اننى صدقتها البشر مضت ايام الحمل بسلام ورزقنا الله بطفل جميل اسميناه " احمد " وغردت طيور البهجه اكثر واكثر فى منزلنا ، وبعد مرور ٨ اشهر فقط بدأت تشتكى زوجتى من اعراض حمل مره اخرى ولم اندهش لذلك رغم ضآلة احتمالات الحمل لان من يتوكل على الله فهو حسبه ولانها تعرف حق ربها ، ومضت شهور الحمل الثانى ورزقنا الله بمولوده اسميناها اشرقت ، واصبحت طفلتى الصغيره التى كانت تلهو ببالونه اما لطفلين جميليين ، وتقدم احمد فى العمر حتى اكمل عامه الثالث وتجاوزت اشرقت عامها الاول ببضعة ايام ، ثم رجعت من عملى فى

الظهر ذات يوم منذ حوالى عامين ، فإذا بزوجنى تشتكى من الم عارض فى بطنها فلم اتوقف طويلا امام هذه الشكوى العابره وكنت مرهقا وجائعا فطلبت منها الغداء اولا ، وتناولات الغداء ثم خلدت الى النوم ، ثم نهضت من نومى على عجل لكى الحق بالعياده ، وفى المساء عندما عدت كررت زوجتى نفس الشكوى فما ان القيت اول نظره عليها حتى انقبض صدرى وارتبكت ... شعرت ان هناك شئ غير عادى وإذا اتمتم بكلام غير مسموع " إنا لله وإنا إليه راجعون " وشعرت ان زوجتى تواجه المجهول الذى ساورنى فى يوم من الايام .... لم تسمع زوجتى ما قلت لكننى لم استطع ان اخفى اضطرابى عنها وقلقى عليها وراحت تهدئنى ، وتقول لى ان الامر بسيط ولا يحتاج كل هذا القلق لكن هيهات ان تنجح فى ذلك ، ولن استطرد طويلا فى التفاصيل فلقد اجرينا التحاليل والفحوصات وكل ما يخطر على بالك وجاءت النتائج كلها تؤكد ما شعرت به ....

طرقنا كل الابواب وطلبنا كل الوسائل وحينما تاكد لى فى النهايه ان الامر قد حسم ، جلست الى زوجتى وقلت لها بصوت هادئ وقلب حزين : يا حبيبة القلب ان امرك الان فيه قولان لا ثالث لهما ...فإما ان يمن الله علينا بمعجزه من عنده وليست على الله بكثير ولا على مثلك ايضا بمستبعده ، وإما ان يكون الله قد قضى امرا لن يطول اكثر من ايام قليله وعلينا ان نتقبله بثبات ونسلم به راضيين !.... هل تتهمنى بالقسوه حين فعلت ذلك ؟.... اننى لم اكن قاسيا وحاشيا ان اكون قاسيا معها وهى قرة عينى منذ طفولتها ، لكننى كنت قد عرفت عمق ايمانها وصلابتها ورضاها بكل ما يقدره عليها ولها الحق تبارك وتعالى ، وقد اجابتنى حينما قلت لها ذلك انها قد استراحت الان فقط وانها راضيه بما اراده الله لها لانه سبحانه قد حقق لها كل ما تمنت ولم تعد تريد من الدنيا شئ الا ان ارعى ولديها منها بعد الرحيل ......

وبعد جلسة المصارحه هذه بأيام قليله أسلمت قرة عينى وحبيبتى الروح وهى بين ذراعى ولم تكمل بعد ال ٢٨ عاما من عمرها ومنذ رحلت عنى زوجتى قبل ١٠ شهور وأنا اعيش على ذكراها وأرعى طفلى منها حق الرعايه كما أوصتنى بذلك ، ورضيت بما قدره الله لى ودعوته اناء الليل واطراف النهار ان يجيرنى فى مصيبتى ويخلفنى عنها خيراً

رغم قوة ايمانى الا اننى ادعو الله ان يثبته ويزيدنى منه الا ان منظرا واحدا من صور حياتى مع شريكة عمرى فى الايام الاخيره مازال يلاحقنى ... فأضعف امامه وتنساب دموعى ويتهمنى البعض بعدم الصبر ، وهو منظرها حين ساءت حالتها فى ايامها الاخيره حين كانت تنتقل بين غرفة النوم وغرفة الاولاد لتنام هنا او هناك وكان كل ما يشغلها فى ذلك هو قالب الطول اللبن الطاهر الذى كان تتيم به قبل الصلاه ، ومازال منظرها وهى تحمله بين يديها وتمشى ببطء واعياء من مكان لمكان محفور فى مخيلتى ويلاحقنى فى كل لحظه ويسيل دموعى رحمها الله ...

لست اشكو اليك فجيعتى فيمن احببت وسكنت اليها اجمل سنوات العمر ، او اشكو اليك اقدارى وحاشاى ان افعل ذلك لكننى اكتب اليك لاننى اعتبر نفسى صديقا لك على الورق منذ سنوات طويله ، وكذلك كانت قرة عينى وحبيبة القلب ، وقد كنا نتبادل الحديث عن بابك ونتأمل احوال الدنيا والبشر ونشعر وكأننا نعرفك وتعرفنا ، وانى اشعر الان من حقى عليك ان اترقب منك مشاركتى فى احزانى والآمى ......

فهل هذا كثير على يا سيدى ؟؟؟

ولكاتب هذه الرساله اقول :

من حقك على بكل تأكيد وأكثر يا صديقى ، ومن واجبى أيضاً أن أشاركك بعض أحزانك وأن أخفف عنك قدر جهدى ..

فلاشئ يؤلم كالحب كما يقولون ، وليس هناك ما هو اشد ايلاما منه سوى ان تفقده ! كما فقدت انت شريكة احلامك وصباك وايامك فى هذه الظروف المؤلمه ، غير انه لامفر فى النهايه من ان اكرر عليك ماسبق ان قلته مرارا للمحزونين من امثالك من (ان من نحبهم لا يموتون حقا حين يواريهم الثرى ، وانما يموتون بالفعل حين نناسهم) كما يقول لان الاديب الفرنسى .... ونحن لاننسى من نحبهم حقا ولو غادرونا الى العالم الاخر وهم احياء دائما فى قلوبنا وترافقنا اطيافنا فى مسراتنا من بعدهم واحزاننا ، فنتمنى لو كانوا معنا فشاركونا افراحنا وسعدوا معنا ، او شاركونا احزاننا وتساندنا وهكذا فهم لا ينقطعون عنا ولا ننقطع عنهم وان غابوا عن انظارنا او تفرقت بنا السبل

ومن حق كل انسان ان " يرعى حزنه الخاص " لفتره كافيه على حد تعبير شاعر الهند طاغور ، لكنه من واجبه ايضا تجاه نفسه وتجاه الحياه الا تكون هذه الفتره ابديه ولا اطول مما ينبغى ، لان نهر الحياه لابد ان يجرى رغم كل الاحزان فى طريقه المرسوم ، ولان ما كان حزنا بالامس .... ينبغى له ان يكون سلاما بعد حين وهذا السلام هو جائزة الصابرين والراضيين بقضاء الله وقدره ، والمكافأه السخيه التى يحصل عليها من يظفر بهذا السلام الداخلى هو ألا تقوى على زعزعة سلامه اى عاصفه من عواصف الحياه مهما رافقها من احزان... ومن بعض السلوى ان نتذكر بامتنان للخالق الوهاب لا بالحسره الايام الجميله التى نعمنا فيها بالسعاده والامان وراحة القلب ،وان نعتبرها زادا نفسيا يعيننا على تحمل ايام العناء ، وعمر الانسان فى النهايه انما يقاس حقا بمساحة السعاده الحقيقيه فى حياته وليس بمساحة السنين .

ولقد كان الرسام الايطالى الكبير موديليانى يقول : اتمنى ان احيا حياه قصيره بشرط ان تكون حافله ، وبهذا المفهوم فلربما كانت زوجتك الراحله رحمها الله قد عاشت عمرا من السعاده لم يحظ به بعض من طالت بهم رحلة الايام ... بل ولعل البدايه المبكره لقصتك معها وهى ما زالت طفله صغيره تلهو لهو الاطفال فى العيد ، كانت ارهاصا قدريا بان تبدأ السعاده فى حياتها مبكره ، لان رحلة الايام لن تطول بها او ربما لان الملائكه من مثيلاتها انما تطوف الارض طوافا عابرا ولا تقيم وإلا فكيف تفسر لى ان يقع شاب مثلك فى هوى طفله صغيره ويعيش معها قصة حب برئ طويله قبل ان يحتويهما عش الزوجيه السعيد ٥ او ٦ سنوات هانئه ، إلا كان ذلك إرهاصاً قدريا بتبكير البدايات إيذاناً باقتراب النهايات القدريه ؟؟؟

لهذا فلقد كانت صادقه فى مشاعرها حين قالت لك انها راضيه باقدراها وانها قد نالت من الحياه كل ما تشتهى من سعاده ، ولا بأس يحين وقت الرحيل .

اما اضطرابك وتمتك بالآيه الكريمه لا اراديا حين القيت نظرتك الاولى على بطنها ، فما كان ذلك علم بالطب او خبره بقدر ما كان عن شفافيه قد يخص الله بها بعضا من عباده المتقين ، واحساس باطنى غير مفهموم بان السعاده لن تطول ، ولعل هذه الشفافيه نفسها هتى التى انذرتك للاسف انذرا مبكرا فى شهور الزواج الاولى بأن " لكل شئ اذا ما تم نقصان " كما يقول الشاعر العربى ، ولعلها هى ايضا هى التى هدتك بحس المحب العطوف لان ترفض تعريض زوجتك لالام جراحات متواليه غير مضمونة النتائج جريا وراء امل النجاب ، ثم لان تبشرها بعد ذلك بالحمل قبل ان يلوح فى الافق طيف البشير ، فإذا كنت قد اعتمدت على إيمانها بربها وحسن صلتها به فى مصارحتك المؤلمه لها بما يشق على كل إنسان ان يسمعه فى مثل هذه الظروف ، فلقد كان هذا هو اختيارك الذى اطمأن اليه قلبك وهو اختيار يؤمن به الاطباء فى الغرب ، ونكرهه نحن هنا ونشفق منه على احبائنا وعلى كل انسان من ان يطلعه احد مهما كانت اسبابه على ما حجبه الله سبحانه وتعالى عنه رحمة به ...

لكن ما مضى قد مضى ولم يبق الان إلا التحمل وتضميد الجراح وحصر الخسائر ، وجرح الشباب سريع الالتئام يا صديقى كما يقولون ، على خلاف جراح الشيوخ بطيئة الشفاء ، فلا بأس إذن بدموعك التى ترق لمنظر زوجتك التقيه وهى تحمل قالب الطوب فى ايامها الاخيره ، فمن اجل مثل هذه الفتاه الطيبه ينبغى حقا ان تسيل الدموع .... والدمع لا يكتم غالبا ما قد ينجح اللسان احيانا فى كتمانه ، والشاعر العربى العباس بن الاحنف يقول

لاجزى الله دمع عينى خيرا

وجزى الله كل خير لسانى

نم دمعى فليس يكتم شيئا

ووجدت اللسان ذا كتمان

فلا بأس اذن ان تدمع عيناك لذكرى هذه الفتاه الطيبه وان تترجم وفاءك لها برعاية طفليك منها وبان تحمل لزوجتك الراحله ومهما طال العمر اجمل الذكرى وارق المشاعر

فقر أنت عينا .... بما نالت زوجتك من جوائز الدنيا والاخره ، وامض فى طريقك مشاركا فى مباراة الحياه ... ومتشاغلا بسباقها وشئونها وشئون طفليك عن كل الاحزان ...

رسالة(الشمس المشرقة)..الله لم يقدر لنا الانجاب ووجدنا حلا..

انا سيدة في الثامنة والثلاثين من عمري ومتزوجة منذ ثلاثة عشر عاما وانا وزوجي في قمة السعادة والحمد لله رب العالمين ولكن شاء الله لنا ان يكون هذا الزواج دون انجاب مع العلم بأنني قمت باجراء العديد من العمليات الجراحية وجربت طفل الانابيب لكنه لم يجد شيئا لان الله لم يقدر لنا الانجاب وقد رضينا تمام الرضا لاننا نعلم جيدا انها ارادة الله وبعد ذلك بنحو ثلاث سنوات أشرقت شمس حياتي على بشرى من اهل العلم بأنه يجوز لي كفالة طفلة يتيمة وذلك بإيحاء من بريدكم الموقر ولكن كان علي ان اجد حلا للوضع فيما بعد سواء بين زوجي والطفلة- التي لم تكن ابنته

بالفعل- لكي تكون العلاقة بينهما في وضع حلال لان اهم ما يهمنا في حياتنا هو رضا الله عز وجل عنا وكان لابد ان اضمن لها ان شاء الله ممارسة حياتها بعد البلوغ بحرية كما لو كان ابوها او خالها او اي أحد من محارمها والعكس بالنسبة للذكر فانه بعد البلوغ حيث لايجوز شرعا ان تنكشف عليه الام البديلة التي ربته وكانت الاجابة من قبل السماء بانه يجوز التحريم بطريق الرضاعة بمعنى انها لو كانت الطفلة اليتيمة انثى مثلا فلابد ان ترضع وهي صغيرة من احد محارم الزوج مثل اخته او ابنة اخته او ابنة اخيه او.. الى آخر المحارم، والعكس اذا كأن الطفل الرضيع ذكرا فيكون التحريم برضاعته من احد محارم الزوجة كان يرضع من اختها او ابنة اختها وهكذا ويسأل في ذلك اهل الذكر حتى يكون التحريم موثوقا منه ومعرفة مدى القرابة الجديدة واحب ان اؤكد ان تكتب الابنه باسمها المستعار كما هو والاتنسب لغير ابويها لان التبني محرم على المسلمين لمصلحتهم الشرعية وعند السؤال كيف تحافظ على نفسية الطفلة من الغربة التي قد تحسها لو علمت بانها غريبة عن الاسرة كان الجواب ان نحكي لها قصة وهمية عن ان والديها توفيا في حادث اليم ولم تكن هي معهما كانت عند جدتها مثلا وان اسرتها الجديدة كانوا اما اقارب الوالدين من بعيد او انهم كانوا جيرانا لهم او اصدقاء لأحد الوالدين حتى تألف الطفلة الاسرة الجديدة وعلى ان يكون ذلك قبل دخولها المدرسة بفترة وجيزة حتى لاتجد اختلافا بين اسم والدها الذي في

المنزل ووالدها المكتوب على الكراسة حفاظا عليها من اي صدمة نفسية عندما تكبر لان الموضوع في الصغر بالنسبة لها يختلف تماما عنه في مرحلة الشباب وتغيير الهرمونات الذي قد يضطرها الى اي سلوك غير سوي او اللجوء لاي شخص خارج المنزل لانه قد يستغل الظروف او اي شيء اخر ونحن في غنى عن ذلك اما عن تجربتي الشخصية فلقد تكفلت بنتا عمرها عشرون يوما وهي الان والحمد عمرها عشرة اشهر وانا وزوجي في منتهى السعادة بها ولانتمنى من الله عز وجل سوى ان نزوجها ونفرح بها ولن نفكر بعد ذلك ابدا في مواصلة البحث عن الانجاب مرة اخرى لاننا لانريد سوى ان يدخلنا الله بها الجنة بصحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وبذلك ارجو منكم ان تزفوا هذه البشرى لكل سيدة عاقر تريد ان تنير حياتها وآخراها وتنال رضا الله عز وجل بحسن تربيتها لطفلة يتيمة والا تتردد لحظة حتى لاتحرم نفسها من ان تنعم بحياة سعيدة في ظل ملاك صغير يملأ حياتها نورا.

ولكاتبة هذه الرسالة اقول:

جاء في فتاوى النكاح للامام احمد بن تيمية انه اذا ارتضع الرضيع من المرأة خمس رضعات في الحولين صارت المرأة امه وصار زوجها الذي جاء اللبن بوطئه اباه فصار ابنا لكل منهما بالرضاعة وحينئذ يكون جميع اولاد المرأة من هذا الرجل ومن غيره وجميع اولاد الرجل منها ومن غيرها اخوة له سواء ولدوا قبل الرضاع او بعده باتفاق الائمة.

واذا كان اولادهما قد اصبحوا اخوته كان اولاد اولادهما اولاد اخوته فلا يجوز للمرتضع ان يتزوج احدا منهم ولا اولاد اولادهما واخوة المرأة واخواتها اخواله وخالاته من الرضاع وابوها وامها اجدادها وجداته من الرضاع فلايجوز له ان يتزوج احدا من اخوتها ولا من اخواتها واخوة الرجل اعمامه وعماته ولا باجداده وجداته لكن يتزوج باولاد الاعمام والعمات فان جميع اقارب الرجل حرام عليه الا ابناء الاعمام والعمات واولاد الخال والخالات مصداقا لقوله تعالى يا أيها النبي انا احللنا لك ازواجك اللاتي آتيت اجورهن وما ملكت يمينك مما افاء الله عليك وبنات عمك وبنات عماتك وبنات خالك وبنات خالاتك اللاتي هاجرن معك ٥٠ الاحزاب وهؤلاء الابناء والبنات اربعة اصناف هي المباحات من الاقارب فيبحن من الرضاعة كاستطراد منطقي للقاعدة الشرعية التي حددها الحديث الشريف يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وبالتالي فإنه يباح من الرضاع ما يباح ايضا من النسب.

وهكذا فإن شقيقة زوجك اذا ارضعت هذه الطفلة اليتيمة خمس رضعات مشبعات على الاقل خلال فترة الثدي اي فترة العامين الاولين من عمرها صارت ابنة لها بالرضاع وصار زوجها ابا لها وصار زوجك انت خالا لها بالرضاع.. وبالتالي تصبح من محارمه ويرتفع الحرج عنه في مخالطتها بعد سن البلوغ في حدود الشرع والدين والعرف وكما يخالط الخال او العم ابنة اخيه او اخته.

ولاشك ان ذلك سوف يفتح افاقا جديدة ومشروعة لكثير ممن شاءت لهم اقدارهم الا ينجبوا اطفالا ويتوقون الى ممارسة احساس الابوة والامومة عن هذا الطريق النبيل.

==

الأبـــواب المغلقـــــــة

أنا شابة عمري٢٥ عاما ارتبطت بزوجي بعد قصة حب كبيرة وأنا سعيدة معه والحمد لله وهو يحسن معاملتي ويرعي الله في كل شئوني لكن مشكلتي هي علاقتي مع أهلي حيث أني تزوجت بدون موافقتهم بعد أن أعيتني الحيل معهم لاقناعهم بمن أحببته، وزوجي والحمد لله متدين ومواظب علي الصلاة ومستواه العلمي والاجتماعي جيد ومقارب لمستوي أسرتي إلا أن والدي ووالدتي عاشا في دولة عربية لفترة طويلة فأصبح مستواهما المادي أفضل من مستوي أهل زوجي. وقد تقدم فتاي إلي والدي وأنا في السنة النهائية من دراستي بإحدي كليات القمة، إلا أن والدي طلب تأجيل هذا الموضوع إلي أن أكمل دراستي، وسافر أبي وأمي إلي حيث يعملان في الدولة العربية وتركاني مقيمة في سكن للمغتربات كما اعتدت أن أفعل كل عام. وكنت خلال تلك الفترة التقي بفتاي بعد أن تأكدت من حسن نيته ومن جديته. واكتشفت في هذا الشاب صفات جميلة كثيرا ما حلمت بها. إلا أن الرياح جاءت بما لاتشتهي السفن، فقد علم زوج أختي أنني ألتقي بهذا الشاب عن طريق أحد أقاربه الذي رآنا معا فاستدعاني زوج أختي وطلب مني ألا ألتقي بهذا الشاب مجددا إلي أن يأتي والدي. واستأت كثيرا من تدخل زوج أختي في هذا الموضوع الشخصي ولأني بشهادة الجميع انسانة عاقلة وراشدة كما أن علاقتي بفتاي لم تكن تشوبها أي شائبة فلم أستمع لكلامه واستمرت علاقتنا لكي نتعارف أكثر وتتم الخطبة بعد عودة والدي، إلا أن زوج أختي استمر في فرض وصايته علي بتشجيع أختي حتي أنه منعني من الذهاب إلي الكلية ومنعني من الخروج أو التحدث بالهاتف لأي سبب وراحت أختي تشوه صورة هذا الشاب لدي والدي إلي أن وصل إلي مرحلة الرفض التام له، ولأول مرة في حياتي رسبت في مادتين وأنا في السنة النهائية بسبب غيابي عن الكلية. واعتقد والدي أن فتاي هو السبب في تأخر مستواي الدراسي علي عكس تفوقي السابق وزاده ذلك رفضا له وكانت أمي غير موافقة منذ البداية لأنها كانت تريد أن تزوجني من طبيب وتحلم لي بمستوي معين من الحياة. وزاد الطين بلة أن أخي الأكبر كان مسافرا وعندما عاد أبلغته أختي بما كان من أمري، فكره أخي فتاي قبل أن يراه أو يتعرف عليه وراح أخي يضربني كلما علم أني اتصلت به. وبذلك أصبح الجميع ضدي دون أن يحاولوا معرفة هذا الشاب أو يلتقوا

به، وهو من ناحيته كان يحاول اقناع والدي، وأبي يصده ويسوف في موضوع الارتباط ويؤجله إلي بعد
بل فتاي مع والدي وأن رأيه فيه أنه شاب جيد امتحانات الدور الثاني أو بعد النتيجة إلي أن أخبرني عمي أنه قا
وطلب مني الانتظار حتي ظهور النتيجة وانتظرت والتزمت بوعدي لعمي بعدم مقابلة فتاي إلي أن يسمح لي
بذلك، وسافر أبي مرة أخري لعمله وأحسست أنه يتلاعب بمشاعري وساءت حالتي الصحية وأصبت بارتفاع
ضغط الدم، وهزل جسمي إلي أن رجع أبي وطلب فتاي مقابلته وفوجئت برده الحاسم بأنه يرفض زواجي من
فتاي رفضا قاطعا جامعا وحاولت التحدث معه واقناعه بكل الوسائل بالكلام والصمت والبكاء والامتناع عن
الطعام فلم يجد ذلك شيئا، وكان مبرر أبي للرفض هو أن فتاي أقل من مستوانا وأني أستحق من هو أفضل منه.
واستمر الوضع هكذا لمدة عام ولم يخطر ببالي ذات يوم أنني يمكن أن أتزوج هذا الشاب بغير وجود أهلي
ومباركتهم لزواجي.. لكني لم أجد مفرا في النهاية سوي ذلك وعقدت قراني عليه وتكتمت الأمر عن أهلي وبعد
فترة واجهتهم بزواجي منه فقابلوني بعاصفة من الضرب والسب والاهانة حتي خشيت علي نفسي من تهور أخي
الذي لم يكن قد علم بعد بزواجي فتركت البيت وتوجهت خائفة وحزينة إلي أهل زوجي بعد أن صارحهم زوجي
أننا متزوجان وكانت لديهم خلفية عن رفض أهلي لابنهم فاستقبلوني بكل الحب وأحسست من أول لحظة أنهم أهل
لي. وتخلي والدي ووالدتي عني تماما ولم يتحملا أي شيء من تكاليف الزواج أو تجهيز شقة زوجي التي يمتلكها
وتكفل والد زوجي الحبيب بكل تكاليف الأثاث وحتي أغراضي الشخصية ولم أحصل من أبي وأمي إلا علي
ملابسي، مع العلم أنهما قادران وجهزا شقيقتين لي علي أكمل وجه، وحاولت اصلاح علاقتي بهما بعد انتقالي إلي
منزل زوجي إلا أنني لم أجد منهما إلا الجفاء خاصة والدتي، وبعد محاولاتي المستميتة تحسنت علاقتي بهما إلي
حد ما. إلا أن والدتي لم تأت لزيارتي في بيتي، حتي الآن ورغم مرور٣ سنوات علي زواجي وأنا الآن حامل
ولدي طفل جميل وسعيدة جدا مع زوجي والحمد لله ولم أندم للحظة واحدة علي اختياري له غير أن أهلي وبالرغم
من زيارتي لهم كل فترة لا يسألون عني أبدا وزوجي يشجعني علي زيارتهم دون أن تكون له أي صلة بهم فهل
إنني أعرف أنني أخطأت ولكني لم أكن لأرتكب هذا الخطأ لو كانوا أنا مخطئة لأني اخترت حياتي كما أريدها؟!
وافقوا علي زواجي منذ البداية ولم يحرموني من رضاهم عن اختياري، والسؤال الذي يقض مضجعي هو: إلي
متي سوف يستمر جفاؤهم لي وألا تشفع لي سعادتي مع زوجي لكي يسامحوني علي زواجي بغير علمهم ويعلموا
ولكاتبة هذه الرسالة أقول: بقدر عمق الجراح يتأخر الشفاء ويطول العلاج.. وإذا كانت أني لم أسيء الاختيار.
جراح الجسم قد تبرأ في وقت معلوم، فإن جراح النفس بطبيعتها بطيئة البرء والشفاء، فاصبري علي أبويك إلي
أن يداوي الزمن جراحهما.. ويذيب المرارة التي شابت نفسيهما تجاهك، وواصلي سعيك الدءوب لاسترضائهما
والاعتذار إليهما عن خروجك علي طاعتهما وزواجك بمن اخترت بغير إذنهما وفي غيبتهما، وأشركي زوجك
معك في محاولات الاصلاح ورأب الصدع فالحق أنه مدين مثلك بالاعتذار لأبويك عن زواجه منك بغير إذنهما
ومباركتهما، ومن واجبه تجاهك أن يشاركك الجهد في ترضية النفوس والإقرار لأهلك بخطئكما في حقهم
والاعتذار عنه، ولتكن سعادتكما معا، وحسن عشرة كل منكما للآخر وانجابكما لطفلكما الأول والاستعداد
لاستقبال الطفل الثاني خير شفيع لكما لدي أبويك لكي يتجاوزا عما حدث، ويفتحا لكما أبواب قلبيهما المغلقة الآن
دونكما ويكفيكما عقابا لكما علي ما فعلتما فترة الجفاء والتحفظ السابقة كما يكفيك أن حجب عنك أبواك مساندتهما
لك عند الزواج، فلم يتكفلا بأعبائه كما فعلا مع أختيك،و حتي اضطر زوجك لتحمل كل تكاليفه بغير مشاركة من
أهلك، وفي ذلك ما فيه من حرج لك ونقص في الاعتبار، كما يكفيكما أيضا مرور ثلاث سنوات علي زواجكما
لكي يعيد أبواك النظر في موقفهما منك.. ويعدلا عن التحفظ معك، وتعود العلاقة الطبيعية بينكما، واني لآمل ألا
تحرمك والدتك من مودتها ومشورتها واهتمامها بأمرك كما تفعل مع بقية أبنائها، كما آمل أيضا ألا يغلق والدك
أبواب رحمته دونك وأن يرجع إلي سابق عهده معك راعيا وسندا لك في الحياة، كما ينبغي للأب دائما أن يكون
وأحسب أنه لن يطول الوقت قبل أن تشرق شمس بالنسبة لأبنائه مهما تورطوا في حماقات في بعض الأحيان..
حياتك برضا أبويك عنك وصفحهما عما كان من أمرك، واغداقهما عليك بالعطف والرعاية كما هو قدر الآباء
والأمهات دائما علي طول الزمان

==

إني أختنق

لا أعرف من أين أبدا رسالتي سيدي.. ولكن تأكد انني ترددت كثيرا جدا قبل ان اكتب لك،٤ سنوات وأنا أريد
الكتابة لك ولكن مشيئة الله.. تأكد انني في حياتي لم أراسل جريدة او برنامجا او اي شيء من هذا القبيل، ولكن
صدقني والله أنا في أشد الاحتياج اليك، انت الشخص الوحيد الغريب الذي اردت ان يساعدني بعد ان كلت أمي
انا فتاة أبلغ من العمر ٣٠ عاما علي قدر كبير من الجمال كما يقولون، من عائلة محترمة جامعية مثقفة وأختي.
اعمل باحدي الشركات المرموقة، لي اخت واحدة تكبرني بعام، توفي والدي منذ ان كان عمري٦ سنوات
فأحسست انا واختي اننا حملنا المسئولية التي لم ارد يوما أن احملها(كنت اريد ان اعيش مثل كل الفتيات في كنف
اب يحب ويربي ويحمي ويصون بناته، أتعلم بقدر معين ثم يأتي فارس الأحلام يخطبني منه وأتزوج وأظل أيضا
وهكذا مثل اي فتاة، ولكن شاء القدر ان تسير الحياة عكس ماتمنيت تماما) لا أريد ان آخذك في حماية أبي..
لموضوع فرعي غير الذي اكتب اليك من أجله، أريدك فقط ان تعرف انني انا وامي واختي عشنا حياة ليست

سهلة بالمرة بدون أب ليس ماديا ولكن معنويا وأمي سيدة ضعيفة عانت كثيرا من أجلنا(كل ما تتمناه من الحياة هو ان تزوج بناتها وتسترهن كما يقولون، وتشيل ولو طفلا واحدا من ابنائهن ثم تذهب للحج وتموت وتدفن يكفي فقط وجودها الآن بيننا حماية وسندا من غدر هذا الزمان ـ اردت ان احقق لها السعادة قدر ما (هناك استطعت ولكن اظن ان قدرها منذ زمن بعيد ان تربي بنتين يتيمتين وتترمل عليهما ولاتأخذ هي من الدنيا اي المهم.. وصلت انا لهذه السن٣٠ عاما ولم اتزوج حتي الآن جاءني اشخاص قبل ذلك ولكن لم يكونوا شيء. مناسبين اطلاقا، حيث ان معظمهم يريد الزواج والسفر خارج مصر، وحالة امي الصحية لاتسمح اطلاقا بان نتركها وحدها، وأشخاص آخرون غير مناسبين أخلاقيا إطلاقا، كان هذا يحدث حتي سن الـ٢٨ اما الآن فلم ـ ينظر لي اريدك ان تسمع كلامي الآتي وتشعر بما فيه حتي تعرف ما اعانيه: يطرق بابي احد منذ سنتين.

ـ يبتعد عني كل المجتمع وكأني جرثومة ولست بشرا بمجرد ان يعرفوا ان سني وصلت الي٣٠ عاما ولم اتزوج.

ـ من تتم زميلاتي المتزوجات حتي لا اخطف زوجها او اكون شؤما مصدر تشاؤم لها ـ او حتي احسد ابناءهن.

ـ اذا ذهبت لحضور حفل خطبتها من اقاربي او زميلاتي تتستر علي هذا الخبر العظيم تقوله لكل الناس إلا أنا. خطبة او زفاف تري نوعين من النظرات١ ـ نظرة شفقة ومص شفاه علي حالي.٢ ـ ونظرة شماتة ووشوشة وهمس وكأني عاهرة ارتكبت ذنبا، مع اصرار غير طبيعي من اصحاب الفرح بعد حضوري الفرح او الخطوبة بيوم بانني كنت حزينة وزعلانة جدا ليه....؟ هذا هو سؤالهم... مع انني اكون العكس تماما، ولكنهم يصرون علي

ـ اقتراحات من الجميع بالذهاب للشيخ فلان والشيخ علان والاستحمام بكذا وكذا يوم مايجعل حالتي النفسية صفرا.

ـ طمع غير طبيعي في اعين الرجال المتزوجين الذين يعيشون مراهقة متأخرة،(إما في عملي او الجمعة.. الخ. خارجه) أو يريدون تغيير جو وتغيير حياة مع فتاة جميلة فاتها قطار الزواج وتسول لهم انفسهم انها من الممكن

ـ حزن شديد في عين امي واختي لاينقطع بالرغم من محاولاتهما الكثيرة إخفاء ان تجاريهم حتي تعوض ما فاتها.

ـ بكاء امي طيلة وجودي في عملي ـ وتضرع غير طبيعي بكل جسدها ذلك ـ ممايجعلني اموت في اليوم مائة مرة.

ـ ولا تمر مناسبة او تجمع فيه افراد لم أرهم منذ فترة الي الله خوفا من ان يتوفاها الله وتتركني في الدنيا وحدي.

ـ حكم معظم الناس علي بأنني كنت أتدلع الا ويتكرر السؤال الذي اخاف منه دائما انتي بقي سنك كام دلوقتي..؟ حتي وصلت لما أنا فيه، بالرغم من أنني عكس ذلك تماما فلست من الفتيات المرفهات، هذا الحكم يهزني من داخلي جدا، لا تحكم علي قبل أن تعرف تماما ما مررت به وعانيت منه هؤلاء الافراد أنفسهم لا يساعدونني

ـ أنا أرضي كليا بحكم الله وقدره لكن إطلاقا في حل مشكلتي الحالية.. فقط يوجهون الاتهام ويصدرون الأحكام. تعرف.. كثيرا جدا أتمني من الله أن أكون غير مرئية حتي لا المجتمع لا يرضي ولا يريد أن يتركني في حالي. يراني أحد أو أعاني من نظرات وتعليقات أحد خصوصا أنني أعيش بمدينة تعتبر ريفية، من تصل فيها إلي أكره هذا المجتمع الذي يحكم علي فتاة سن٢٥ عاما بدون زواج تأخذ لقب عانس عن جدارة، ما بالك بـ٣٠ سنة. لم تتزوج ـ حتي وصلت لهذه السن ـ بالاعدام حتي يكون هو والظروف والزمن عليها وكأنها وصمة عار لم أعد أتحدث مع أمي أو أختي في أي شيء يضايقني بالرغم من أنني وجريمة اشتركت هي فيها بكامل ارادتها. ليس لي سواهما أشتكي لهما، لكني أعرف انهما يحملان ما يكفي من أوجاع فلا داعي أن اشتكي أنا الأخري، ولكن تأكد أني أختنق. أريد مساعدتك وأنت تعرف حساسية هذا الموضوع فلا يجوز أن أتكلم مع أي أحد فيه. أو....... يكفي أنك سمعتني

==

الا أمـــي

ترددت كثيرا في كتابة رسالتي هذه، ولكن الذي شجعني هو قرب الاحتفال بعيد الأم لتكون مناسبة لتقديم شهادة تقدير ووفاء لوالدتي وفي الوقت نفسه لتكون بكلماتكم الواعظ والناصح للأبناء الذين تناسوا أمهاتهم وفضلوا إرضاء زوجاتهم علي رضاء الأم. وأتمني أن ترد كل ابن أو زوجة ابن ظالمة لتصحو وتحسن معاملة حماتها، أنا باختصار الابنة الصغري(الثالثة) لأخ أكبر مني بسبع سنوات، وتتذكر أنها في يوم من الأيام ستكون مثلها. وأخت تصغره مباشرة في السن. عمري الآن تخطي الثلاثين بقليل نشأت لأب موظف عادي من عائلة كبيرة استولي شقيقه علي ورثه، وربانا علي الاعتماد علي دخله البسيط. وأم غاية في الحنية والطيبة اجتهدا في تربيتنا حتي تخرج شقيقي من الجامعة وسعي والدي وطرق كل الأبواب لرؤسائه ليوفر عملا لأخي في نفس عمله في شقيقي الكبير نال من التدليل من أمي ما يفوق مركز يتناسب مع مؤهله، وحصل عليه بصعوبة بعد عناء كبير. الوصف، كانت تحرم نفسها من أي شيء لكي توفره له. أما أنا وشقيقتي فطلباتنا بسيطة حتي لا نثقل كاهل والدي الذي كان شديد العصبية بسبب الضغط النفسي، فكان يفرغه في والدتي بالاهانة والسباب وهي صامتة، لم ترد عليه مرة واحدة علي مدي سنوات زواجها الأربعين.. لم تنطق ولم تعلن ألمها وكبتت أحزانها منذ سنوات صباها، فكان طبيعيا أن تصاب بأمراض عدة لم تثنها يوما عن التفاني في خدمة زوجها وأبنائها، راضية بما كتبه الله خرج والدي علي المعاش، وحصل علي مكافأة نهاية الخدمة، وكالعادة عليها، مرددة أن الله سيعوضها خيرا بنا. وبتشجيع من أمي أنفقها بكاملها علي أخي. دفع له المهر والشبكة، وجهز له الشقة التي كنا نحلم بها وننتظرها. تلك الشقة التي حجزتها أمي لتكون لنا سكنا أوسع من تلك الشقة الضيقة التي نعيش فيها. منحوها لأخي بعد أن قالت أمي بكل حب مش خسارة أبدا في أخيكم.. ساهم أبي بما تبقي لديه في زواج شقيقتي، أما أنا وأمي فلم ننل أي

ماذا فعل أخي ـ يا سيدي ـ شيء من تلك المكافأة، حتي السيارة استولي عليها، وكنا راضين، آملين في سعادته. بعد زواجه.. نسانا جميعا، أهمل أمه، لم يعد بينه وبينها إلا تليفون عابر سريع، بينما غرق في تلبية طلبات أهل زوجته. تلك الزوجة التي مارست سطوتها عليه، فكانت تتفنن في إهانته علي الرغم من أنه نقلها إلي مستوي لم تكن تحلم به. كانت والدتي تحزن علي حال ابنها فتتصل بزوجته وتلاطفها وتدعوها إلي طاعته. حتي جاء يوم واشتعلت معركة بين شقيقي وزوجته، فذهبت والدتي إليها في شقتهما التي هي في الأصل شقتنا، وعاتبتها علي ما تفعله بزوجها، وطالبتها بحسن المعاملة، فما كان من زوجة أخي إلا أن طردتها أمام الجميع اطلعي بره من بيتي فيما نكس أخي رأسه، ولم ينطق بكلمة وهو يري أمه مطرودة مهانة من بيتها التي ضحت به من أجل سعادته مع بعد هذه الواقعة كان انتقام الله سريعا من أخي، فقد تعرض للضرب من عائلة زوجته تلك الزوجة التي أهانتها. فأصيب بارتجاج في المخ استدعي دخوله المستشفي، ولم يقف بجواره إلا أنا وأمي التي أصيبت بنزيف في عينها عاد أخي بعد خروجه من المستشفي الي زوجته بعد أن وضعت مولودها الأول وغرق مرة من البكاء عليه. أخري في دوامة زوجته وأسرتها وواصل إهماله لأمي.. تراه من شرفة المنزل، وهو في طريقه إلي زيارة حماته انطفأت أمي وازداد شحوبها وتستجديه أن تراه للحظات فيرد عليها بجفاء شديد وقسوة لا أعرف من أين أتي بها. مع هجر وحيدها وقسوته عليها وازداد حزنها ذات يوم عندما ذهبت لزيارة شقيقتها، وشاهدت أولادها من حولها يقبلون يديها، ويحرصون يوميا علي زيارتها. أصابتها الحسرة، ولأول مرة تكشف عن حجم ألمها من جحود إبنها ذات يوم، عدت أنا ووالدي إلي شقتنا ففوجئنا بأمي ملقاة علي الأرض في غيبوبة كاملة، فسارعنا لشقيقتي. بمعاونة الجيران بنقلها إلي المستشفي لنكتشف اصابتها بجلطة في المخ أدت إلي أن أصبحت مشلولة تجلس علي كرسي متحرك.. لا تنطق بكلمة.. الدموع في عينيها تردد دائما حسبي الله ونعم الوكيل.. سقطت أمي لتعلن حزنها عاش أبي تحت أقدام أمي ـ برغم ويأسها من عودة ابنها إليها. لم تفلح كلماتي أنا وشقيقتي وأبي في التسرية عنها. تستضيفها شقيقتي في كبر سنه ـ يخدمها بعينيه، وأنا قدر استطاعتي، وكذلك شقيقتي مع انشغالها بزوجها وأبنائها. بيتها أياما حتي يضيق زوجها بها، فتعود إلي المنزل، وبعد الحاح لرفع معنوياتها يأخذها شقيقي، فتعاملها زوجته كان هذا في رمضان أسوأ معاملة، تخرج كل صباح ولا تعود إلا مساء، حتي الطعام يحضره شقيقي من المطاعم. الماضي، افتعلت مشاجرة عنيفة مع شقيقي وتركت أمي تغادر الشقة علي كرسي متحرك وقت آذان المغرب، سيدي.. لا أريد أن أحكي تفاصيل محزنة حتي تستقبل شقيقتها الحامل لتعيش معها فترة سفر زوجها خارج البلاد. كثيرة، فالحمد لله أمي تعيش معي ومع أبي، لا أدخر جهدا في خدمتها، وقد أكرمني الله كثيرا بسبب حسن معاملتي لها فتدرجت في وظيفتي إلي أعلي وزاد راتبي.. لم أضعف يوما أمام عريس مناسب يطرق بابي، أرفض لأني لا أخي رزقه الله بولدين أخشي عليه من أن يتذوق من نفس الكأس الذي أذاقه لأمي. وكلي يمكن ترك أمي وحيدة. ثقة في عدل الله أن زوجته ستحصد شوك ما غرسته. كل أملي الآن أن تعيش أمي ما تبقي لها من عمر في راحة نفسية، وأن يهدي الله شقيقي فيعود إلي رشده، ويأتي ليقبل يديها وقدميها، بدلا من أن يأتي يوم تقتله فيه الحسرة والندم، ولا يستطيع التوبة أو طلب العفو من ست الحبايب أمي! } سيدتي.. لا أصدق أن ابنا يمكن أن يفعل بأم وماذا كان سيفعل معها إذا كانت قاسية عليه، أو لم تمنحه ما منحته، مضحية بسعادتها مثل أمك ما يفعله شقيقك.. هل مثل هذا الابن يغفل أو لا يعلم كيف أوصانا الله سبحانه وتعالي بالوالدين خاصة وراحة كل أفراد الأسرة؟! الأم؟.. هل يعلم مثل هذا الابن أن الخالق الواحد أمره حتي لو حاول الوالدان إجباره علي الشرك به ألا يطيعهما وأمره.. وصاحبهما في الدنيا معروفا؟.. ألم يقرأ يوما الآية القرآنية التي قرن فيها الله شكره بشكر الوالدين في سورة لقمان ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا علي وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي سيدتي.. ألا يعرف شقيقك أن رسولنا الكريم هو القائل إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات. المصير؟ إني مشفق علي شقيقك مثلك تماما، فعقوقه لأمه إحدي الكبائر، وغضبها يمنع البركة ويأتي باللعنة، فكيف له أن والله لو يدري نعمة وجود أمه، هذا الوجود الذي قد يكون سببا في رحمة الله وعفوه يختار تلك الحياة البائسة؟!. أقول عنه، لتفرغ لدعوة الله أن يمد في عمرها حتي لا يواجه مصيرا مؤلما وحسرة لا تذهبها زوجة ولا بنون. لأخيك، لن تجد في هذه الحياة من يحبك مثل أمك، ومن يتمني أن تكون خيرا منه سوي أمك.. لن تجد حضنا ولا فعد إلي رشدك والحق قبل فوات الأوان، أمانا ولا دفئا ولا صدقا ولا رحمة ولا سماحا ولا عفوا إلا مع أمك. أما زوجتك اطلب العفو والسماح وقبل يدي أمك وقدميها، عسي أن تمسح دموعك بعض خطاياك في حقها. فتشرب كأسا مريرة وستأتي لها من تذيقها عذابا أمر.. فمن أعمالكم سلط عليكم. أدعو الله أن يهديها ويردها إلي لأن واجبها أن تعينه علي الصواب قبل أن ترحل تلك الأم العظيمة، ويمتليء قلب زوجها غضبا عليها وكرها لها. أما أنت يا عزيزتي، فسيكرمك الله كرما التقوي والبر وصلة الرحم، لا علي الهجر والقسوة وعصيان أمر الله. كبيرا، جزاء ما تقدمينه إلي والدتك، وستجدين الزوج الذي يقدر فيك وفاءك وطاعتك وخدمتك لوالديك، فمثلك يؤتمن علي المال والعرض والولد. أما والداك خاصة والدتك فلهما مني ومن كل أصدقاء بريد الجمعة المحبة والقبلات

==

أخيرا.. أمسكت بقلمي لأكتب عن مشكلتي وهي مشكلة أسرة كاملة، فأنا فتاة في الثالثة والعشرين من عمري

وأشعر بأني في خريف العمر، وليس في أوج الشباب وأما أسرتي فصغيرة ومكونة من أمي وأبي الذي تعدي الخمسين ببضع سنوات وأخي الذي يصغرني بعام واحد.

ومنذ وعيت للحياة أدركت أن العلاقة بين أبي وأمي ليست علي ما يرام ولن أخوض في تفاصيل ذلك فهي مؤلمة.. فأبي كان دائم السفر والبعد عنا، ثم قرر فجأة أن يصطحبنا ليجتمع شملنا معا بإحدي المدن الساحلية البعيدة نسبيا عن القاهرة.. وقبل سفرنا إليه بشهر واحد أي منذ أربعة عشر عاما فوجئنا أنا وأخي الصغير بأمنا تتحدث إلي أشخاص غير موجودين وتتبادل معهم السباب والشتائم وبألفاظ لم نكن نتصور أن تصدر عن أم فاضلة وطيبة مثل أمنا. ولصغر سننا لم نع في ذلك الوقت ما يحدث وكنا ننكمش وننظر إليها بعيون تملؤها الدهشة والذعر والخوف ثم سافرنا الي تلك المدينة البعيدة وهناك زادت حالة أمي سوءا وزادت معها الفضائح ولم يتعامل ابي مع حالتها بما تتطلبه من فهم وصبر، وإنما كان يعتدي عليها بالضرب حتي تسكت.. وظللنا علي هذا الحال طوال خمس سنوات وأمي تذهب إلي عملها وهي مريضة علي هذا النحو ومع ما كانت تتعرض له من إيذاء ومضايقات خلال ذهابها وإيابها وفي أثناء العمل أيضا سواء من الطلبة أو من الزملاء ويوما بعد يوم أصبحنا حديث المدينة الصغيرة وأصبح الصغير قبل الكبير فيها يعرفنا ويشار إلينا بالبنان كالمشاهير، وفرضت علينا هذه الظروف المؤلمة عزلة اجتماعية واصبحنا نخاف أن ندعوا زملاءنا لزيارتنا ونتجنب كذلك زيارتهم.

وكان أكثر ما يضايقني ويخنقني هو نظرات الناس وطريقتهم في التعامل معنا وكأننا بشر مختلفون عن بقية البشر، وبعد مرور خمس سنوات كاملة علي هذا الحال وبعد موقف معين فقط.. تحرك والدي وعرض أمي علي طبيب نفسي في محافظة مجاورة لنا وتلقت العلاج وتحسنت حالة والدتي وحمدنا الله كثيرا علي ذلك وارتفعت معنوياتنا لأننا أخيرا سنعيش حياة طبيعية ولن تنكسر نظراتنا أمام عيون الآخرين، وأصبحنا نشعر بوجود أمي بيننا نحدثها وتحدثنا ونحكي لها عن مشاكلنا في الدراسة والمدرسة نظرا لأننا هنا كنا نتهيب أبي إلي حد ما ولم تكن علاقتنا معه علي درجة كافية من التعود والتلقائية نتيجة لبعده عنا فترة طويلة خلال طفولتنا... وفجأة وبعد هذه الفترة السعيدة القصيرة ساءت حالة أمي مرة أخري نتيجة أنها لم تلتزم بالدواء وكانت تكذب علي أبي بخصوص ذلك.

وظلت حالة أمي علي ماهي يعليه ولا أحد يحرك ساكنا طوال ست سنوات أخري، وضاق أبي في النهاية بهذا الحال فتزوج من أرملة لديها طفلان، وكان معذورا في ذلك فله احتياجات نفسية وعاطفية لايجدها عند أمي وهو كإنسان يحتاج لشريكة حياة تسانده وتعينه علي تحمل تلك الظروف، لهذا فلم نعترض أنا أو أخي علي ما فعل ولم تعلم أمي به حتي الآن لأنها لاتختلط بأحد علي الاطلاق وكنا نبرر لها غيابه الطويل عن البيت بأسباب مقنعة جدا، ثم انقطعت أمي عن العمل وبدأنا نحصل لها علي الاجازات المرضية من حين لآخر إلي أن قرر القومسيون الطبي تحويلها للعلاج بعد سلسلة طويلة لاتنتهي من العذاب، وفعلا أدخلها أبي مستشفي خاصا يتحمل التأمين الصحي جزءا من تكاليفه. واستمر علاجها بالمستشفي نحو الشهر وشخص الأطباء حالتها بأنها فصام عقلي مزمن تحت العلاج وكلمة تحت العلاج هذه كانت سببا في كثير من سلاسل من العذاب والمماطلة وخرجت أمي من المستشفي ونحن لانكاد نعرفها، فلقد تغيرت كثيرا لكنها تتصرف بطريقة طبيعية جدا فتطهو الطعام وتخرج معي للتنزه ونظل نتحادث بالساعات الطوال وتلتزم بالدواء المقرر لها لمدة ستة أشهر علي الرغم من آثاره الجانبية، فلا تتخيل كم سعدنا بذلك ـ وخاصة فأنني الوحيدة التي تبقي معها في البيت لفترات طويلة بعد ان التحق أخي بإحدي الكليات البعيدة واصبح يغيب عنا بالشهور..

فلقد أحسست اخيرا بطعم الحياة ووجدت أمي ووجدت من أحدثها وأفضفض معها وأستشيرها في كل صغيرة وكبيرة تخصني وأحسست بأنني قد ولدت من جديد وزاد وزني وأشرق وجهي بالسعادة ومضت ستة أشهر سعيدة كالحلم..

ثم انتكست حالتها مرة أخري وتزلزل كياني كله وشعرت بأن هناك شيئا بداخلي قد تداعي وتحطم وانكسر وأصبت بنوبات من الاكتئاب والبكاء المتواصل بالساعات دون سبب ولم يخفف من حالتي سوي ذهابي للعمل الذي حمدت الله أنه بعيد لأتجنب لقاء كل من يعرف بقصة أمي ومرضها، ومشكلتي هي انني دون بقية الاسرة من تتأثر اكثر بمرض أمي علي الرغم من أنني لم أكن متعلقة بها في أثناء طفولتي.

ولقد ظلت حالتها سيئة طوال ثمانية أشهر ولم يعد الدواء الذي يجبرها أبي علي تناوله يؤثر فيها، وكأنه قد اكتسبت مناعة ضده وزادت حالتها سوءا فأصبحت تمتد يدها بالكسر لكل شيء وتفسد لنا الطعام والشراب ولاتدعنا ننام الليل ولولا فضل الله علينا في ان جعل لنا جيرانا أفاضل تحملونا والله ومازالوا يتحملوننا، لازدادت صعوبات حياتنا اكثر واكثر فاذا سألتني لماذا لاتدخلوها المستشفي للعلاج مرة أخري، فإني اجيبك بأن أبي قد حصل علي قرار لأمي بالايقاف عن العمل وجرب اللف والدوران بأمي من مكتب إلي مكتب ومن مكان لآخر وكل هذا من أجل الحصول علي موافقة فلان أو إمضاء علان. مع أن حالة أمي واضحة كوضوح الشمس ولايختلف عليها اثنان ولكنه الروتين والمماطلة في تنفيذ الاجراءات..

ولك أن تتخيل ما يحدث لأبي طوال هذا اللف الطويل والدوران بين المحافظات من مضايقات ومع أمي المريضة فهي طوال الطريق لاتسكت ولاتدري بما تقول وتتعرض للناس طوال الطريق بالشتائم والسب وتظل تشتم أبي

نفسه، وأحيانا تقف في الطريق لاتريد أن تتحرك خطوة واحدة، وحين يتذكر ابي كل هذا العناء يتراخي في اتخاذ أي إجراءات لتحويلها للمستشفي مرة أخري لتلقي العلاج المناسب.
أليس من حق أمي هذه التي ظلت في عملها تربي الأجيال سبعة عشر عاما أن تكرم وأن تحفظ لها كرامتها التي تهدر في البهدلة واللف والدوران من مكان لآخر.
إن كل ما استطعت أن أفعله هو أن أكتب إليك فقد يجعلك الله سببا في التخفيف عن أسرتنا.. صحيح أن المشكلة قد تبدو بسيطة ولكنها مأساة نعيشها كل ساعة.
كل ما أملكه أن أدعو الله الذي شق البحر لسيدنا موسي أن يمن علي أمي بالشفاء.. فهو علي كل شيء قدير.
*ولكاتبة هذه الرسالة أقول:
غياب الإنسان بالرغم من وجوده المادي بين أعزائه محنة إنسانية مؤلمة يقاسونها بأشد مما يقاسيها الغائب نفسه، وافتقادك حضور امك في حياتك يزيد بلاشك من إحساسك بالوحدة في غياب الأخ.. وانشغال الأب بعض الوقت بحياته الأخري، ومشكلة الفصام الحقيقية انه مرض مزمن يتراوح من يعانيه غالبا بين نوبات من اشتداد المرض ونوبات من المهادنة، وهو بتعريف مبسط مجموعة من الاضطرابات تنشأ عن اضطراب التفكير والإدراك والوجدان والسلوك، وعدم اتساق العلاقة فيما بينها، وهو يشمل في بعض مراحله ضلالات وهلاوس مختلفة من قبيل الضلالات الاضطهادية كمن يعتقد مثلا ان هناك من يتجسسون عليه أو يستهدفونه للنيل منه وإيذائه، ومن قبيل ضلالات الاشارة كمن يعتقد ان الآخرين يلمحون اليه او يسخرون منه بالقول او بالاشارة، أو من قبيل الاعتقاد بوجود قوة خارجية تتحكم في تصرفاته رغما عنه، ناهيك عن الهلاوس السمعية كالأصوات التي يسمعها المريض تخاطبه بألفاظ مهينة له غالبا مما يستثيره للرد عليها بأفحش منها، والهلاوس اللمسية كالتنميل لغير سبب عضوي، الي جانب اضطراب الوجدان واضطراب الإرادة، حيث تنخفض أو تتدهور قدرة الانسان علي المبادرة باية انشطة مفيدة، واضطراب علاقة المريض بالعالم الخارجي مما يؤدي الي انسحابه منه والتمحور حول ذاته، فضلا عن اضطراب السلوك الذي يتمثل في حالات الهياج والعدوانية.
وفي كل الاحوال فإن المبتلي به يجد نفسه دائما غير قادر علي فهم الآخرين ويجدهم غير قادرين علي فهمه ويشعر بنفسه معزولا وهناك قوي غامضة تحيط به وشرور مجهولة تترصده، ويعجز عادة عن التمييز بين الحقيقة والخيال ويكون سلوكه غالبا غير متوائم مع الموقف وغير متسق مع توقعات المجتمع منه، وإذا لم يشف من المرض فإن قواه الوظيفية تتدهور تدريجيا وتقل قدرته علي التمتع بالحياة وعلي الشعور بالأمل والإبداع.. والأخذ والعطاء ويستولي عليه الإحساس المؤلم بأنه غير مقبول من الغير وغير قادر ايضا علي القبول بهم.
ولهذا فلابد دائما من أن نتفهم طبيعة معاناته ونتحرر من الإحساس بالتحامل ضده ونتعاطف معه لكي نستطيع مساعدته، فالمساندة العائلية والاجتماعية للشخص الفصامي تساعده كثيرا علي التحسن، ومن أوجه هذه المساندة ان نتجنب اية محاولة لإقناعه بأنه مخطيء في تصوراته وان نتجنب كذلك السخرية منه او من طريقة تفكيره الشاذة بأي وجه من الوجوه وأن نستمع باحترام لأفكاره وتصوراته، ثم نقول له كما ينصحنا الاطباء انه لابد ان لديه اسبابا قوية تجعله يري الأمور علي هذا النحو المختلف عما نراه، ولقد يستطيع احد المتخصصين ان يفسر لنا معا هذه الأسباب، فيكون ذلك غالبا هو المدخل لطلب العلاج المنتظم.
وفي حالة والدتك فإن هناك بعض العوامل التي قد تفتح باب الأمل في التحسن او التخفيف علي الاقل من الأعراض المزعجة، منها الظهور المفاجيء للمرض في منتصف العمر وليس مبكرا في مرحلة المراهقة، كما هو الشائع في الحالات الشديدة من المرض، ومنها وجود فترات للتحسن في حالتها مما يبشر بامكانية تكرارها وامتدادها لمساحات زمنية أطول، ومنها انها متزوجة وهناك من يساندونها في محنتها من أفراد أسرتها، وان اداءها الوظيفي قبل المرض كان مناسبا، فإن كانت تعاني الآن من احدي نوبات اشتداد المرض، فإن فترة مناسبة من العلاج في مستشفي متخصص سوف تساعدها علي استعادة حالة الاستقرار الوجداني السابقة، وعلي تقليل الاعراض الموجبة للفصام كالهياج والعدوانية.. إلخ، وعلي انحسار الحالة في حدود الاعراض السالبة كالجمود العاطفي والعزلة الاجتماعية وضعف الإرادة، الي ان يأذن الله سبحانه وتعالي لها ولكل من يتعذبون بهذه المحنة القاسية بالشفاء التام بإذن الله. ولقد فهمت من رسالتك أن والدك يعاني في الحصول علي موافقة التأمين الصحي علي إيداع والدتك أحد المستشفيات المتخصصة لفترة مناسبة. وارجو ان يسهم نشر الرسالة في تذليل العقبات التي تحول دون ذلك.. فإن لم يحدث هذا فلقد يستطيع بريد الأهرام المعاونة في توفير العلاج المطلوب لها بأقرب مستشفي متخصص من مدينتك.. فاتصلي مساء احد ايام الاثنين لترتيب ذلك.. وشكرا
==

الغفـلة

أنا سيدة أبلغ من العمر ٥٩ عاما نشأت في أسرة ريفية بسيطة مكونة من أب وأم وثمانية من الأولاد والبنات، كنت أنا السابعة في ترتيبهم، خمسة من الذكور وثلاث من الاناث، توفي الأب وأنا صغيرة، وقامت أمي بتربيتنا علي القيم والأخلاق واحترام الصغير والكبير، وكيف أكون ربة بيت جيدة، تبدأ مشكلتي عندما نزح اخوتي الكبار إلي القاهرة للعمل والإقامة، وكذلك الزواج، وفي احدي زياراتي لهم تقدم لي أحد جيرانهم الذي اعجب بي، لجمالي وأخلاقي

ولا أخفي عليك ياسيدي انني لم أرتح لهذا الرجل من أول مرة رأيته فيها، لكن اخوتي اصروا علي قبوله لصغر سني وقتها ولأن اخي الأكبر قال إنه سيتحسن بعد الزواج. وبرغم احساسي بأنني سأري معه أسود أيام حياتي وافقت واقتنعت بكلامهم برغبة أمي ونصيحتها القائلة إن الله في السماء وزوجك في الأرض من بعده. وتم الزواج ياسيدي ومن أول ليلة اكتشفت أنه من النوع السادي الذي يرغب دائما في تعذيب الآخرين

فلم يكن يأخذ حقه الشرعي مني إلا بعد أن يقوم بضربي حتي تسيل الدماء مني، ويتلذذ بذلك دائما، وبرغم الشكوي الدائمة خلال رحلة عذابي معه ـ التي استمرت لمدة١٤ سنة، انجبت فيها ولدين وبنتا ـ اجبرت علي العمل في وظيفة حكومية بسيطة جدا، وحاولت ان اتعايش مع واقعي المؤلم، خلالها قمت بتربية ابنائي وتعليمهم في الوقت الذي لم يهتم هو بهم أبدا، ولم يهتم إلا بحياته من مأكل وملبس ونزوات سمع بها القريب والغريب، بعد أن وصلت علاقتنا إلي طريق مسدود تدخل أهل الخير وتم الطلاق بعد عذاب١٤ عاما، وبعد أن فقدت النطق لمدة شهرين كاملين وتم علاجي بمساعدة أمي هذا فقط ما استطيع أن اذكره حرصا علي مشاعر اصدقاء البريد الاعزاء.

المهم أن الطلاق تم برغم أن أولادي جميعا كانوا في سن الحضانة إلا انه قام بعمل غسيل مخ لهم حتي يختاروا العيش معه، وبالفعل اختاروا أن يعيشوا معه لأنه يوما لم يطلب منهم المذاكرة أوالاهتمام بشيء من هذا القبيل، وعذرت الاولاد وقتها لكني اكتشفت انهم سيضيعون بابتعادي عنهم، وبرغم أن أهلي وأهله علي السواء حاولوا اقناعي بابتعادي عنهم حتي يتحملوا مصيرهم باختيارهم العيش معه، إلا أنني لم استطع ذلك وقمت بما يمليه علي ضميري وحبي لهم، وتابعت دراستهم وإمدادهم بالمال دائما حتي احسوا بأنهم خذلوني وظلموني باختيارهم لأبيهم، والحمد لله شق كل منهم طريقه في الحياة بعون الله ومعاونتي وسهلت لهم البدايات حتي تزوج كل منهم.

والآن ياسيدي ماهي المشكلة؟ لقد قرأت تعليق الدكتور صلاح احمد حسن علي رسالة الرحيل وفيها مقولة الإمام الحسين بن علي رضي الله عنهما، وفيها تحذير الأبناء من أن يكونوا سببا في بكاء الأمهات، وانا مادمت بكيت منهم وبسببهم، ومن العذاب الذي عانيته من اجلهم والجفاء الذي رأيته منهم كبارا وصغارا، فابنتي الوحيدة متزوجة في محافظة اخري ولاتأتي لزيارتي الا كل عامين تقريبا، إن لم ازرها، أنا، وابني الأكبر قام بافتتاح مشروع بجانب وظيفته ولم أعد أراه بعد ان اخذ كل وقته، ولم يعد يذكرني الا في المناسبات وكأنه يزور القبور اما ابني الأصغر فأعتبره اطيب اولادي فيقوم بزيارتي مرة كل شهر تقريبا رغم انهما يعيشان معي في نفس الشارع الذي اعيش فيه.

سيدي لماذا تطرح هذه الشجرة التي رويتها بدمي ودموعي للآخرين فقط حبا وحنانا ولاتطرح لي حتي ظلا استظل به في خريف عمري.

أقسم لك ياسيدي أنني لا احتاج لهم ماديا إطلاقا، ولكني احتاج لهم معنويا علي الأقل، وانا علي شفا المعاش، اخاف من الوحدة التي اعانيها حاليا رغم انني مازلت بالعمل الذي بذلت جهدا فيه حتي حصلت من خلاله علي مؤهل متوسط وثقفت نفسي في وحدتي الطويلة، وحججت لبيت الله داعية لهم بالتوفيق في حياتهم. سيدي انا بلا اصدقاء تقريبا لأنني قضيت في عملي اغلب اوقاتي حتي اقوم بالصرف عليهم بدلا من ابيهم القاسي المهتم بشئونة الخاصة، وانا المريضة بالقلب ويؤلمني وانا اقوم بالعلاج عندما اري أما تستند إلي ابنها او ابنتها وانا بمفردي أعاني جحود أبنائي، أحس بقلبي غاضبا عليهما وعلي زوجتيهما اللتين لا اراهما الا قليلا، وانا لااستجدي بهذا عطفهم بل انني وصل بي الحال إلي انني وزعت ارقام تليفوناتهم علي زملاء العمل حتي ان غبت اكثر من يوم عن العمل يبلغونهم حتي يعرفوا ماحدث لي.

سيدي انا أشفق عليهم مما قد يلقيه الله عليهم من عذاب بسبب ماقرأته من مقولة الإمام الحسين، وارجو من كل ابن وابنة ان يقرأوا رسالتي بعيونهم ويستوعبوها بقلوبهم حتي يعرفوا ماتعانيه الامهات من معاناة خوفا علي فلذات قلوبهن.

وأختم رسالتي اليك بالدعاء لك بأن يفتح الله عليك بصيرتك لتنير الطريق للكثير ممن يعشقون هذا الباب، وادعو لنفسي بالصبر علي ما أنا فيه من كرب.

سيدتي وأمي الحبيبة.. كل عام وانت بخير وصحة وعطاء، ولو كنت أعرف عنوانك لأتيت إليك لأهنئك بعيد الأم وأقبل يديك وأتوسل إليك أن تدعي لي.. فلا يعرف قيمة الأم ومعني وجودها في الحياة إلا من فقدها.

لايوجد ألم في الحياة وإحساس بالغربة والبرد والعري مثلما يشعر الانسان عندما يفقد أمه، فيجد نفسه وحيدا مجردا في مواجهة الله سبحانه وتعالي، الذي يكرم الابن إكراما لأمه ودعائها له حتي وهي غاضبة منه.

لا أعرف يا أمي كيف ينام ابن أو ابنة آمنا مستقرا وهو يعرف أن أمه ـ التي أوصانا بها الخالق العزيز ونبيه الكريم وكل الرسل والأنبياء ـ حزينة مريضة وحيدة. ولا أفهم كيف يأمن لأولاده؟ هل يفهم أنه سيتجرع كأسا أكثر مرارة مما أذاقها لوالديه؟ هل يعرف أنه سيفقد البركة في الرزق والصحة اذا رحلت أمه ناقمة عليه، وأن من أكرم والديه سر بأولاده، ومن أهانهما، أهين وذل ولو بعد حين؟!

سيدتي.. لا أعرف من أين أتي أبناؤك بهذه القسوة، هل اغرتهم الحياة بزخارفها؟ هل يعتقدون ان الخير في أحضان زوجاتهم وأزواجهم؟

وهل هناك حضن أقدس وأدفأ وأأمن وأكثر اطمئنانا من صدر الأم؟! وكيف لهم أن يقسوا إلي هذا الحد وهم يرونك تلومين نفسك لغضبك منهم وبكائك علي غيابهم لا لشئ إلا إنك تخافين عليهم من عقاب الله.
أمي.. أدعو الله أن يقرأ أبناؤك كلماتك الصادقة، فأنا أشفق عليهم وأتفهم إشفاقك عليهم مما سيعانونه، وأتمني أن يعودوا إليك ساجدين يقبلون قدميك.. يطلبون منك العفو الرضا، فالعمر أقصر مما يتخيلون وانتقام الله قادم لا محالة، لأن ما يفعلونه من الكبائر ولن ينفعهم الندم إذا لم يأت في وقته. إن أما مثلك تستحق التكريم والتعويض عما عانته وضحت به ودفعت ثمنه من جسدها وأعصابها من أجل أبنائها.. وليت أبناءك يفيقون من غفلتهم.. وإلي لقاء قريب بإذن الله.
==

الغــــــــــــــزو

انا سيدة فى الخامسة والأربعين من عمرى اشغل وظيفة مرموقة وتزوجت منذ ٢٢ سنة من زوج عظيم فى كل شىء بالرغم من ان زواجنا قد تم بطريقة تقليدية فلم تسبقه فترة تعرف كافية.. لكن تطلعنا نحن الاثنين الى السعادة والحياة الهادئة الجميلة قد قرب بيننا فتآلف قلبانا بعد قليل وتحاببنا وتشاركنا فى كل امور الحياة وتعاهدنا منذ اليوم الأول على ان يكون كل منا كتابا مفتوحا بالنسبة للآخر فلا يخفى عنه شيئا ولا يحتفظ بسر واعتدنا دائما ان نتبادل الرأى واخبار الحياة اليومية ونستمتع بالحديث معا فى كل شىء وكان من بين ما عرفته .. بعد زواجى بقليل ان زوجى كان قبل زواجى منه يحب فتاة اخرى ويرغب فى الزواج منها لكن ظروف الحياة حالت بينه وبينها فتزوجت هى من آخر ولم يؤثر علمى بذلك على علاقتنى به فلقد وجدته دائما زوجا رائعا وقد كافحنا معا وبدأنا حياتنا من الصفر فبنينا عشنا بالكفاح والعرق حتى استقرت حياتنا واصبح لنا والحمد لله رصيد مادى وكبر ابناؤنا الثلاثة وبلغوا مرحلة الجامعة ومضت حياتنا هادئة وسعيدة.. ومنذ ثلاثة اعوام عاد زوجى فروى لى منفعلا بحسن نية كعادتنا انه التقى مصادفة بتلك الفتاة التى كان يرغب فى الزواج منها فى سنوات الشباب وانه عرف منها انها مازالت متزوجة بنفس الشخص وتحدثوا كل منهم على حياته الزوجية وابناؤهم والعمل ثم انصرف كل منهما الى حال سبيله وتحدثت مع زوجى عما تصنع الحياة بالشر قليلا ثم انصرفه الى ..غيره من الموضوعات ولم نعد الى ذكره مرة اخرى
لكنى بعدة عدة اسابيع بدأت الاحظ على زوجى تغييرا جديدا فلقد اصبح كثير الشرود و فوجئت به يردد عبارات لم اسمعها منه من قبل من نوع لقد ضقت بحياتى معك.. سأترك البيت ولن اعود اليه.. الخ، فذهلت .. وبكيت طويلا .. وساورنى شك بان اقهر وساوسى .. ففعلت مالم يفعله مرة واحدة من قبل منذ تزوجته .. وبحثت فى اوارقه سرا عسى ان اجد شيئا يفسر لى سر تغييره .. فاذا بى اعثر على كومه رسائل من تلك السيدة القاها زوجى بلا اعتناء اطمئنانا الى انى احترم خصوصياته ولا اقلب فى اوراقه بغير علمه .. واذا بى اكتشف بين هذه الرسائل ان ظهور هذه الفتاة او السيدة لم يكن مجرد سحابة عابرة اثارت الذكرى القديمة .. وانما هى للأسف سحابة مقيمة ومستمرة وتهدد بأمطار وخيمة على حياتى وسعادتى وعشى الذى بنيته بالكفاح والعرق ولم اتمالك نفسى حين عرفت هذه الحقيقة.. فقد احسست بالقهر وعرفت اننى احبه اكثر مما كنت اتصور وكنت اعتقد انه ايضا يحبنى لكل ما بيننا من روابط وحياة مشتركة وكفاح فاذا بهذه الرسائل تصدمنى بأنى لم اكن شيئا فى حياة زوجى وان تلك السيدة التى ارادها زوجة له منذ اكثر من ٢٥ سنة هى حبه الأول والاخير ومن شدة احساسى بالضيق والقهر واجهت زوجى بما عرفت فأحس بالخجل ولم يستطع الانكار، ووعدنى بقطع هذه الصلة ابقاء لما بيننا، لكنى لم اكتف بذلك فقد ارسلت لهذه السيدة رسالة اهددها فيها بما تحت يدى من رسائل ان لم ترتدع وتبتعد عن حياتى وبيتى فخشيت فعلا عواقب الأمور وهدأ الحال قليلا ومضت اسابيع وانا بين الشك واليقين ثم بدأت استرد طمأنينى .. وبدأ قلبى يصفو لزوجى شيئا فشيئا حتى صفحت عنه وعدن لحبه كما كنت طوال سنوات زواجنا وعادت حياتنا لسيرتها الأولى .. نتبادل الاحاديث بصفاء ونتشارك فى الاهتمامات الى ان وقع فى يدى منذ ايام خطاب جديد من نفس السيدة عرفت منه ان الصلة مازالت قائمة وان ما اراه فى حياتى من هدوء وسعادة لم يكن الا سرابا ..فانطويت على شكوكى واحزانى من جديد ولم اصارح زوجى هذه المرة بما عرفت لكنى لم اعد اطيق سماع صوته ولا رؤيته يجلس او يتحرك امامى فى هدوء وبراءة .. وكأنه لم يطعنى فى قلبى مرتين ولم يضيع زهرة العمر التى افنيتها فى حبه ورعايته ورعاية بيته وابنائه فماذا افعل ياسيدى هل اطلب الطلاق واهجر بيتى بعد كل هذا العمر وادعه لنزواته ام هل اهدم بيت من اراادت هدم بيتى الذى بنيته بدمى وشبابى .طوبة طوبة
:ولكاتبة هذه الرسالة اقول
ولماذا تسلمين بالهزيمة وتنسحبين من المعركة من الجولة الثانية تاركة زوجك وبيتك لمن لم تبذل الدمع والعرق فى اقامته وفى اعلاء بنائه بسنوات العمر وزهرة الشباب .. وكل مملكة معرضة للغزو الخارجى فى اى مرحلة من الزمن.. ومن واجب كل ملكة تجاه نفسها وابنائها اول حتى ولو كان القلب ينزف دما من اثر خنجر الغدر - وان ترد الغزة الطامعين عن مملكتها وان تدافع عنها .. وانت قد كسبت اول جولة لكن الضعف البشرى سمح بقدوم موجة اخرى من العدوان عليك .. فواصلى الكفاح وردى هذه الموجة الخائبة كما رددت الاخرى على اعقابها واكسبى زوجك الى صفك فى هذه المعركة .. ولا بأس بأن تغفرى له ضعفه مرة اخرى وان تعينيه على

اجتياز هذه المرحلة الحرجة بالالتصاق به .. ودرء هذه الخطر عنه.. ومحاولة تعويضه عما يتصور انه ينقصه وانه يجده لدى الاخرين.

فكان ما كان وما يجب ان تتصدى له بالحزم والحكمة .. فكررى استراتيجيتك السابقة وواجهى زوجك مرة اخرى مع اشعاره بأنك على استعداد لمساعدته على تخطى هذه الأزمة العابرة التى لا تليق بوضعه ولا بابنائه واعيدى تهديد تلك السيدة لكى ترتدع لكن لا تفكرى فى هدم بيتها رحمة بمن لا ذنب لهم فى نزواتها وايضا حتى لا تتعقد الأمور ويجد زوجك نفسه مطالبا بتعويضها عما اصابها من خراب وابعدى ابناءك تماما عن هذا الأمر ليس رحمة بهم ولا حفاظا على مثال الأب فى اعينهم فقط وانما ايضا حفاظا على زوجك نفسه فتمالكى نفسك ياسيدتى وثقى ان ما بينك وبين زوجك لن ينفصم بمثل هذه السهولة وان الأمر ليس سوى سحابة .. وان كانت سحابة كالحة بطيئة الحركة لكنها مهما خيمت فوق الرءوس فهى سحابة تذهب الى حال سبيلها.. وسوف تستردين سلامك وطمأنينة قلبك ..وسوف يتسع قلبك المحب لنسيانها و الصفح عنها لأنك الاصل ولانك الحقيقة ولست وهم الشباب ولا احلام العودة الخيالية اليه

==

قرأت رسالة الليالي الباردة للسيدة الشابة التي مرض زوجها بمرض السكر وأصبح غير قادر علي إعطائها حقها الشرعي في الحياة الزوجية وهي تحبه ومتمسكة به ولكنها تتعذب يوميا من أجل احتياجها لزوج كامل وقرأت رسالة أحزان المساء للرجل الذي تجاوز الستين عاما وبالمعاش ويعاني من أن زوجته لا تعطيه حقوقه الشرعية بحجة أنهما قد كبرا علي ذلك وهو يتمزق يوميا لحاجته لزوجة وقرأت رسالة السفينة الغارقة التي تزوجت فيها زوجة شابة ثلاث مرات ولم يكتب لها النجاح فيها جميعا فأثارت هذه الرسائل شجوني وشجعتني علي أن اكتب لك عن قصتي التي فكرت كثيرا في أن أكتبها لكي أجد حلا لها خلال خمس سنوات من الزواج حتي الآن فأنا شاب أبلغ من العمر السادسة والثلاثين نشأت في أسرة متوسطة ماديا ولكنها تشغل مناصب مرموقة في المجتمع وتهتم بالتعليم كثيرا فنشأت بين أبوين متحابين وأخوة مترابطين أي في أسرة مثالية في كل شيء في أحد الأحياء بالمناطق الشعبية بالقاهرة الكبري وتدرجت في التعليم حتي حصلت علي شهادتين جامعيتين أحداهما تتيح لخريجيها الحصول علي شقة بأحدي المدن الراقية فحصلت عليها وبمساعدة الأهل استطعت أن أجد الزوجة المناسبة اجتماعيا وتزوجتها منذ خمس سنوات ورزقني الله بطفلين غاية الجمال ووجدت زوجتي هذه حنونا ونظيفة ونشيطة ومرحة أي أنها جميلة في كل شيء إلا شيئا واحدا فقط لا تعيه وإنما ترفضه وهو حقوق الزوج الشرعية فهي دائما وأبدا لا تحب ذلك نتيجة ظروف خاصة بها لا دخل لي فيها وعلي مدي خمس سنوات حاولت أن أفهمها ان الرجل عندما يطلب إمرأته يجب أن يجدها وأنه يراعي ظروفها وفي غير ذلك فمن المفروض أن تطيعه أو حتي لو كانت علي ظهر جمل وبالرغم من أنني أداعبها وألاطفها برقة كما أمرنا الرسول صلي الله عليه وسلم.

ولكن هيهات فهي ترفض أن أقبلها وترفض أن ألمسها إلا بصعوبة بالغة وفي المرات القليلة التي جمعتنا سويا أراد الله لنا أن ننجب طفلين أما فيما عدا ذلك فإنني أتعذب وكثيرا ماقلت لها حرام عليك أنني إنسان طبيعي والمفروض أنك زوجة مثالية في كل شيء فلماذا تفعلين ذلك معي فتبكي وتقول أنها تعرف أنها ظلمتني معها لكنها هكذا لا تحب هذه الأشياء وإنما تكرهها فأقول لها إذن سأتزوج عليك لكي أجد رغبتي التي ليست موجودة لديك فتقول لي أنني إذا أردت أن تتزوج فلابد أن أطلقها أولا فأفكر في نفسي وأقول أنني إذا طلقتها وهي حاضنة فستأخذ الشقة بما فيها وارجع انا كما كنت قبل الزواج واتساءل ما ذنب أطفالي الأبرياء في أن أجعلهم يتمزقون في هذه السن الصغيرة وفي نفس الوقت الي متي سأتحمل هذا الكبت وأنا في هذه السن الصغيرة التي لا يتحملها من هم تعدوا الستين وأجد في نفس الوقت لا فائدة منها لأنني جربت معها جميع الطرق علي مدي السنوات الخمس السابقة لذلك قررت أن أكتب لك عسي أن أجد من بين قارئاتك من ترضي أن تكمل معي مشوار الحياة كزوجة ثانية بغير أن تعلم زوجتي أو أهلها حفاظا علي كيان المنزل وعلي أولادي في هذه المرحلة وبشرط أن يكون لديها شقة لأنني حاليا غير قادر علي توفيرها وأنا أعمل في مركز مرموق وتجعلني علي علاقات وطيدة بأناس كثيرين فهل أجد ذلك عندك وهل لديك حل آخر لمشكلتي وأخيرا أرجو تسمية هذه الرسالة بالغريزة الأساسية حتي استطيع أن اتعرف عليها عند نشرها.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لن يستريح الإنسان إلا في قبره؟ كما يقول أحد الحكماء!

علي أية حال فاني أقول لك باختصار أنه إذا كانت زوجتك تمتنع عنك وانت شاب ولا تصبر علي نفسك ولا تريد في نفس الوقت أن تنفصل عن زوجتك لكيلا تمزق طفليك بينك وبينها فان من حقك شرعا أن تتزوج من أخري مع استمرارها في عصمتك وليس من الانصاف ان تمنعك من ذلك ولا أن تشترط عليك طلاقها قبل أن تتزوج من أخري.. لان اعفاف الزوج لنفسه من مبررات الزواج الآخر إذا كانت زوجته الوحيدة تمتنع عنه وهو في عنفوان شبابه وطاقته ولا يأمن علي نفسه من الفتنة أن طال به الحال علي هذا النحو.. فراجع زوجتك في هذا الأمر من جديد واستعن عليها.. بوالدتها علي وجه التحديد.. ولا بأس بأن تعرض نفسها علي طبيب لأمراض النساء، وأن

تستشير في أمرها الطبيب النفسي عسي أن يكون لما تعانيه منه أسباب قديمة يستطيع الطبيب المتخصص أن يعينها علي تجاوزها.
أما الزواج السري وبدون علمها فليس الحل الملائم لمشكلتك ولكن يكون المخرج الآمن لك من هذه المحنة. فأما أن ينجح الطبيب النفسي في إزالة المعوقات النفسية التي تحول بين زوجتك وبين الحياة الطبيعية.. وأما ان تأذن لك بالزواج من غيرها مع استمرارها في عصمتك.. وليس هناك خيار ثالث!
==

الغرفة المظلمة
أكتب لك يا سيدي وقد تكون قصتي مكررة، وآسفة علي الإطالة، ولكن أرجو منك يا سيدي أن تقرأها حتي النهاية، وأتوسل إليك أن تنشرها حتي تكون عبرة وعظة لكل الزوجات.
أكتب لك يا سيدي بعد أن تراجعت عدة مرات عن الكتابة، ولكن هناك ضيقا شديدا في صدري بسبب ما مر بي من أحداث كثيرة مؤلمة، فأنا امرأة جميلة، تعليمي جامعي، كنت أعمل لفترة بإحدي الشركات الأجنبية، تزوجت منذ عشرين عاما من شاب يعمل في وظيفة مرموقة، بنينا حياتنا معا، حتي أصبح لدينا كل شئ(شقة كبيرة ـ سيارة حديثة ـ حساب في البنك) ورزقنا الله ببنت وولد ربيتهما أنا ووالدهما أحسن تربية، وأنا امرأة عيبي الوحيد أنني عنيدة جدا مع أنني كنت أظهر دائما عكس ذلك، لأنني كنت أكره هذه الصفة في، ويعتبر زوجي مثاليا، فهو رجل يعيش لبيته وأولاده وعمله، ولكن للأسف يا سيدي مر زوجي بأزمة منتصف العمر كما يقولون، وإن كنت سابقا من أشد المعارضين لاستخدام هذا المصطلح، ولكن يا سيدي هي فعلا أزمة يجب علي المرأة الحكيمة الذكية الواعية أن تتعامل مع هذه الأزمة بمنتهي الحكمة والعقل، وعدم تحكيم العواطف مهما تعرضت لآلام أو إهانات، فكرامة الزوجة من كرامة زوجها.
تعرف زوجي علي فتاة جامعية تصغره بكثير، وعلي مدي عدة سنوات حاولت جاهدة إبعاده عنها، ولم أفلح، وبالرغم من وعوده الكثيرة بالابتعاد كان يخلف وعده دائما، وأخيرا قررت رفع الراية البيضاء والاستسلام والانسحاب والانفصال عنه مهما كانت العواقب، وبالرغم من أن زوجي هذه المرة كان صادقا جدا في وعده وأنا أعلم ذلك من داخلي، وبالرغم من قيامه بتوسط الكثير(والده ـ والدته ـ إخوته ـ أقربائه ـ بعض رجال الدين)، ولكن يا سيدي هذه المرة تملكني العند ووجدت لنفسي جميع الأعذار لتنفيذ قراري بطلب الطلاق والانفصال، ولم أرحم توسلات زوجي ودموعه عندما بكي أكثر من مرة أمامي وأمام أولاده، وهو الذي كان يقول دائما عبارة دموع الرجالة غالية
وكنت أشعر بالنشوة وأنا أراه يبكي وبداخلي شئ يقول كم بكيت ولم يشعر بك، وأصررت علي الطلاق بحجة أنني فقدت الثقة به، والإحساس بالأمان والإهانة عندما قام بسبي وضربي مرات لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة، والذي اعتبرته شيئا لا يغتفر بالرغم من استفزازي له خلال هذه المرات، لكل هذه الأسباب قلت له أنت رجل لا تطاق ولا تستحق أن أعيش معك، وطلقني زوجي وهو يبكي أمام المأذون ويتوسل لي للمرة الأخيرة ألا أهدم البيت حتي ولو من أجل الأولاد، وليس من أجله خصوصا أن بنتنا كبرت وعلي وش جواز.
وبعد أن حصلت علي الطلاق كنت أبحث عن رجل يطبطب علي وأشعر معه بالأمان وأثق به، وأدي ذلك الي تعرضي الي كثير من المضايقات من الرجال، متزوجين ومطلقين وأرامل وللأسف الشديد يا سيدي منهم من كان من داخل العائلة، الكل يتعامل معي علي انني امرأة لقيطة بلا هوية مستباحة، وإن أرادوا الزواج ليس إلا الزواج العرفي، وأخيرا يا سيدي جاءتني هدية السماء ــ كما اعتقدت خطأ ــ عندما تعرفت عن طريق ابنة عمتي المطلقة ايضا علي رجل طبطب علي كما تمنيت، وشعرت معه بالأمان والثقة اللذين ابحث عنهما، وهو ايضا يحتاج لي لأنه لم يسبق له الزواج بالرغم من كبر سنه بسبب انشغاله بعمله
فهو رجل اعمال ناجح وهو علي استعداد لتقديم أي شئ حتي أوافق علي الزواج منه زواجا شرعيا، وفعلا تزوجنا، وبسبب زواجي تركني ابناي وعادا للعيش مع والدهما الذي تركهما لي تحقيقا لرغبتي ورغبتهما بعد حصولي علي الطلاق، وتزوجت يا سيدي من الرجل الذي توهمت انه سيعوضني عن كل ما تعرضت له من آلام وإهانات مع زوجي السابق، وبعد ثلاثة أشهر فقط من زواجي عشت خلالها كملكة متوجة علي عرش كل شئ يملكه هذا الرجل بدأ مسلسل الصدمات بعد ان علمت وللأسف عن طريق ابنة عمتي التي كنت اعتقد انها تحب لي الخير ان هذا الرجل لايملك شيئا مما عرفته عنه سوي مظهره الخارجي، فكل شئ يا سيدي مزيف فهو رجل فاشل في كل شئ ونصاب تزوج اكثر من مرة وطلقهم جميعا بعد ان نصب عليهن وسرق اموالهن
وبدأ مسلسل الإهانات.. سب بأفظع الشتائم، ضربني بشكل جنوني حتي انه كان يقذفني بأي شئ أمامه حتي انني جرحت جروحا عميقة أدت إلي التدخل الجراحي في بعض الأحيان وقمت بطلب الطلاق ولكنه قال لي لا يا هانم أنا مش زي جوزك السابق يطلق بسهولة وفعلا حبسني في غرفة بإحدي الشقق المهجورة بمكان ناء، كما قام بتوثيقي بالحبال لمدة طويلة كان خلالها يرسل لي رجلا لا أعرفه لتوصيل الطعام، وهنا كانت الطامة الكبري فقد قام الرجل باغتصابي وأخذ صورا لي وأنا عارية تماما
وللأسف يا سيدي كل هذا كان بعلم زوجي، وأخيرا شعرت ابنة عمتي بالندم علي ما فعلته بي وحصلت علي مفتاح الشقة خلسة وقامت بتهريبي، وفعلا ذهبت إلي أمي وأخوتي(منهم لله) الذين كانوا جميعا ضد زوجي

السابق وشجعوني علي طلب الطلاق، لأني تحملت منه الكثير والكثير، وأنا الآن يا سيدي أعيش كامرأة محطمة في إحدي الغرف المظلمة(لأني لا أطيق النور) بمنزل أحد أفراد أسرتي مصابة بحالة من الاكتئاب الشديد مذعورة من ان يصل زوجي الحالي إلي مكاني فيفتك بي كما توعدني كثيرا، ولقد علمت يا سيدي ان زوجي السابق تزوج من تلك الفتاة الذي تعرف عليها وهي التي تقوم بتربية ابني اللذين حاولت الاتصال بهما ولم يستجيبا وعندما استجابا قالا لي منك لله يا ماما هدمت البيت وأقسم لك يا سيدي أنني شعرت بمرارة فظيعة لم أشعر بها مع كل ما مر بي من عذابات

حتي مرارة الاغتصاب كانت أهون علي من ان يرفض ابناي رؤيتي أو حتي سماع صوتي، والآن يا سيدي أنا أحيا بقايا امرأة بداخلي خليط من الأحاسيس المفزعة(ندم، خوف، ولوم) وأصبحت ثقيلة علي الكل ولا أشتاق لرؤية أي شئ حتي الطعام، والشئ الوحيد الذي اشتاق لرؤيته هو والدي رحمة الله عليه الذي توفي بعد زواجي بعدة سنوات والذي كان سندا لي، ولو أطال الله في عمره ما كان يوافقني علي الانفصال عن زوجي السابق وأبو أولادي، وأخيرا ياسيدي أرجو المشورة، وقل لي ماذا أفعل لأني أثق دائما في رأيك وسوف استرشد به حتي لا أكره الحياة وأتمني الموت.

سيدتي.. مأ أحلي الحكمة عندما تأتينا في وقتها المناسب، فتواجه بقوة وصلابة شياطين العناد، وتنير لنا طرق * التصالح والتسامح، وما أقساها عندما تأتي متأخرة، فتنغرس في ماضينا، كالخنجر المسموم، وبدلا من مداواتها لواقعنا المؤلم، تبكينا علي ما فعلناه بأنفسنا.

تعترفين بخطئك عندما سيطر عليك عنادك، ولم تلتفتي إلي دموع زوجك وتوسلاته وأنت تعلمين من داخلك صدق ندمه وتوبته وحرصه علي عدم هدم البيت، ولكنك كنت تثأرين لنفسك، ودائما نخطئ ـ سيدتي ـ عندما نغضب لأنفسنا ونثأر لها، فيما تقتضي الحكمة في هذه الأحوال أن نغضب لله ولمصلحة الآخرين الذين نحبهم، حتي لو كان معنا الحق، فالتسامح والعفو وردة تتفتح في القلب، بينما يتحول الغضب والانتقام إلي نار تحرقنا، وهي تحرق الآخرين، ما فعلته لم يكن فيه رابح، فكلكم خاسرون.

كلماتي لا تعني تبرئة والد ابنتك وابنك، فهو يتحمل قدرا كبيرا من المسئولية فيما وصلت إليه، فهو الآخر لم تسعفه حكمته في تجاوز أزمة منتصف العمر، فاندفع في علاقة حب، ولم يف بوعده بقطع علاقته بتلك الفتاة، فطعنك في أنوثتك وتركك فريسة لعنادك، واعتذر في وقت لا يجدي فيه الاعتذار، فما أصعب المرأة وأقساها ـ ومغفرة للتعبير ـ وأحمقها عندما تنتقم ممن أهان أنوثتها.

الأعذار وتبررين قبولك لضربه وإهاناته لك بسبب استفزازك المستمر له، وبعد أن ذقت أنت الآن تلتمسين له الهوان والذل والعذاب مع هذ النصاب ـ وما أكثر النصابين الآن ـ الذي كان ينتظر واحدة مثلك، من الهاربات من نزف أنوثتهن، ممن يبحثن عن اهتمام أو كلمات حب أو طبطبة حتي لو كان كل هذا زائفا. كان عليك أن تتمهلي، وتمنحي نفسك فرصة لالتقاط الأنفاس ومداواة أنوثتك، وإعطاء فرصة للم شمل الأسرة التي انهارت، ولكنك أسرعت للارتماء في أحضان هذا النصاب المحترف، وللأسف لم تجدي أحدا من أفراد أسرتك ليردك عن تعنتك، فتلقفتك ابنة عمتك لتسلمك إلي مجرم يجب محاكمته.

سيدتي.. لن يجدي الآن إغلاق نوافذ غرفتك المظلمة، فالأسوأ حدث، وعليك الآن أن تخرجي للحياة، اطلبي لقاء والد ابنيك، أحكي له ما حدث معك، اطلبي مساعدته في استعادة حقك، ذكريه بأنه عليه واجب تجاهك، وأنا بدوري أذكره بمسئوليته الكاملة فيما وصلت إليه، وبأنك قبل وبعد كل شئ أم ابنيه، ولا اعتقد أن رجولته ستقبل أن يتركك فريسة لمثل هذا النصاب، وعليه أيضا أن يصل ما انقطع بينك وبين ابنيك، فليس من العدل أن تدفعي ثمن خطئك طوال عمرك، فإذا لم يستجب زوجك السابق ولم يؤلمه ضميره، فأرجو أن تتصلي بي أو تتفضلي بزيارتي لمساعدتك في اتخاذ الإجراءات القانونية في مواجهة زوجك النصاب، وإلي لقاء بإذن الله.

==

رسالة (القرار السليم) فقدت الحافز للحياه

انا رجل اعمال شاب تعرفني شخصيا لانني قد تعاونت معك من قبل في موضوع قديم من موضوعات بريد الجمعه، لكن ظروفي الان تحول بيني وبين ذكر اسمي، وقد دفعني للكتابه اليك ماقراته في بريدالجمعه من رساله الزوجه الشابه التي انفصلت عن زوجها الذي تحبه ويحبها بسبب عدم قدرته علي الانجاب، واحساسها بالندم علي ذلك، ورغبتها في العوده اليه،وقد كان يحبها باخلاص ويحسن معاملتها، ولقد رددت عليها ونصحتها مادامت ترغب في العوده اليه، بالاعتذار له عما المته به تمهيدا لاستئناف حياتهما معا، ولقداثارت هذه الرساله شجوني. فلقد افاء الله سبحانه وتعالي علي بكل النعم، من مال ونجاح كبير في الحياه العمليه، الا ان حكمته جل شانه قد رات ان تحرمني من نعمه البنين

واكتشفت ذلك اخيرا حين تاخرت زوجتي في الحمل واضطررنا لعمل التحاليل اللازمه فجاءت نتيجتها بهذه , الحقيقه المولمه، وانا رجل مومن بالله وراض بقضائه الا انه تواجهني عده مشكلات لا ادري لها حلا، اولاها انني اشعر بانني اظلم زوجتي باستمرارها معي بالرغم من انها مصره علي الحياه معي وتري انني لم اقصر في حقها وارعي الله فيها وفي كل من هم حولي، وتري كذلك ان هناك املا في الشفاء، وهو من عند الله سبحانه وتعالي دائما، لكني بمنطق رجل الاعمال اري ان النهايه اتيه لاريب فيها وانها لن تستطيع تحمل الحرمان من

الولد الي النهايه خاصه مع انجاب صديقاتها وزميلاتها، ونظرات الاقارب المتسائله عن سر عدم الانجاب، ومن هذه المشكلات ايضا انني لم استطع حتي الان ولا استطيع مواجهه ابي وامي بهذا الابتلاء خاصه انهما في حاله صحيه لا تسمح لهما باحتمال هذه الصدمه، ومنها ماسبق ان اشار اليه بعض المبتلين بمثل هذا الحرمان وهي في رسائلهم اليك وهو نظرات الناس من حولي وتساولاتهم لماذا لم تنجب حتي الان وقد افاء الله علينا باكثر مما نستحق من نعم،وهي تساولات لا جواب لها عندي، اما المشكله الاخيره فتتعلق بي شخصيا، فلقد اصبت بحاله احباط شديده عند علمي بهذه الحقيقه المولمه، واشعر الان انني قد فقدت الحافز للحياه وبانه لا معني للسعي والعمل ولا لهذه المشاريع والاعمال التي اديرها، فهي لم تذهب لاحد من بعدي، وابي وامي لديهما مايكفيهما فلمن اعمل اذن واكدح واسعي الي التوسع والنمو ؟ انني لا اجد داعيا للعمل وبالتالي الي الحياه ولاحتي للخروج من باب البيت، ولقد وجدت سلواي في الصلاه وقراءه كتاب الله، املا ان يلهمني الله سبحانه وتعالي الصبر والقرار السليم بشان حياتي الخاصه، ذلك انني اري اننا يجب ان ننفصل انا وزوجتي الحبيبه حتي لا نصل الي المرحله التي وصلت اليها الزوجه الشابه في الرساله المشار اليها حين طلبت الطلاق من زوجها واصرت عليه بالرغم من دموع زوجها وتوسلاته اليها الا تتركه، ولكي اقطع دابر الاسئله الحائره من حولي، لكني لا اجد في نفسي الشجاعه لان اخبر زوجتي برايي هذا، كما اري انني يجب ان اصارح عائلتي ومن حولي بهذه الحقيقه المولمه لكني ايضا لا اجد الشجاعه الكافيه لذلك، وانا اومن دائما بصواب رايك، لكني لا اتفق معك في نصحك لهذه الزوجه بالاعتذار لزوجها والعوده اليه، لانها لو اعتذرت ورجعت المياه الي مجاريها بينهما فسوف يغلبها الحنين الي الاطفال، ويتكرر ماحدث بينهما مره اخري، واري لها ان تترك زوجها لاقداره لان الياس احدي الراحتين، ولا داعي لنكا الجمار مره اخري،انني انتظر رايك فيما يواجهني من مشكلات، وارجو تجنب الاشاره الي اي شيء تفلح معه الاستنتاجات في التعرف علي شخصيتي راجيا من المولي عز وجل ان يلهمكم الصواب دائما، وان نتعاون مستقبلا في ايه مشاكلات تخص اخواننا من قراءالبريد.

ولكاتب هذه الرساله اقول:

حين يصطدم الانسان باحدي حقائق الحياه المولمه، ويتطلب منه الامر اتخاذ قرار مصيري بشانها، فان افضل مايفعله هو ان يوجل اتخاذ هذا القرار بعض الوقت، الي ان يستعيد توازنه الذي زلزلته هذه الحقيقه نفسها، ويتاح له الوقت الكافي لكي يبرا من اثر الصدمه القاسيه ومما اصابه من احباط وقنوط وياس انفعالا بها. ذلك ان اسوا مانفعله بحياتنا هو ان نتخذ القرارات المصيريه بشانها ونحن في قمه تاثرنا وتشوش افكارنا وانفعالنا بما لا يرضينا من حقائق الحياه المولمه.وانت ياصديقي في بوره تاثرك بما اكتشفت من عدم قدرتك علي الانجاب في الوقت الحالي، وتستوي لديك الان كل الاشياء، وتشعر بعدم جدوي الحياه والحب والعمل والكفاح والعلاقات الانسانيه،وفقدت حتي الرغبه في مجرد مغادره البيت ومواصله الاشتراك في مباراه الحياه، وتقبل هزائمها والانتشاء بانتصاراتها.. فكيف تكون صالحا وانت في هذه الحال من الضعف النفسي والياس والضغط لاتخاذ قرار قد تتاثر به حياتك سلبا او ايجابا الي نهايه العمر، انكم في دنيا الاعمال والاداره تقولون ان القرار الخاطيء الذي تكون له دائما اوخم العواقب هو القرار الذي يتخذه صاحبه انفعالا بموقف طاريء، او تحت ضغوط نفسيه قاسيه لا تتيح لصاحبه صفاء التفكير والتجرد من الموثرات الشخصيه، او بناءعلي معلومات ناقصه او خاطئه.وقرارك الان سوف تجتمع له كل اسباب الخطا لذا اتخذته علي الفور لانك اولا في قمه انفعالك الحزين بما عرفت عن نفسك، وتقع تحت ضغوط نفسيه قاسيه، ولا تتوافر لك كل الحقائق اللازمه لاتخاذ القرار الصحيح،وابسط دليل علي افتقادك لها هو انك لا تضع اختيار الطرف الاخر المعني بهذه المشكله لحياته في الاعتبار وهي زوجتك، وترجم بالغيب فتقرر انها لن تحتمل الحياه بدون انجاب الي مالا نهايه، وسوف تعمل معك الي النقطه التي تشفق علي نفسك منها وتطلب ذات يوم الانفصال عنك، وكل ذلك ليس هناك مايوكده او يجعل منه امرا غير قابل للمناقشه، فشريكه حياتك كما تقول انت نفسك ترغب في استمرار الحياه معك وتري انك ترعي الله فيها ولا تقصر في حقوقها، والزوجه التي كتبت لي الرساله وتتخوف من ان تصل شريكه حياتك ذات يوم الي مثل موقفها حين طلبت الطلاق، هي نفسها الزوجه التي ندمت علي هجرها لزوجها وكتبت الي ترجوني مناشدته ان يعيدها لعصمته بعد ان عرفت عن نفسها انها لا تحتمل الحياه بعيده عنه. فاذا كنت تستشهد بموقفها في طلب الانفصال كدليل موكد علي عدم قدره شريكتك علي احتمال الحياه معك بدون انجاب الي مالانهايه،فكيف غاب عنك موقف هذه الزوجه نفسها حين ندمت علي تسرعها وافتقدت شريك حياتها المحب ورغبت في العوده اليه والحياه معه بغير انجاب لقد اثرت تاملاتي بحديثك عن عدم جدوي العمل والمال وليس هناك من سوف يرثه عنك، لكني اقول لك ياصديقي انه لاييأس من روح الله الا القوم الكافرون، وانت والحمد لله رجل مومن بالله سبحانه وتعالي ورسله وكتبه وبقضائه وقدره خيره وشره، فكيف تقنط من رحمته الي هذا الحد ؟ان في الحياه رجالا ونساء شاءت لهم اقدارهم ان يحرموا من الانجاب فازدادوا عطفاوتمسكا بشركائهم وتعزوا عما افتقدوه بجوانب حياتهم الاخري، وبالحب الصافي الذي يتشاربونه مع شركاء العمر وبالعطف المتبادل بينهم، وعرفوا انه لا يربط بينهم سوي الحب الصادق فحرصوا عليه ورووا اشجاره.. فاثمرت ثمارها الطيبه في حياتهم، وفي الحياه ايضا من اكتشفوا مثل هذه الحقيقه عن انفسهم في بدايه زواجهم فلم ييأسوا من رحمه ربهم، وصبروا علي اقدارهم، وواصلوا السعي وطلب العلاج بلا كلل سنوات بعد سنوات، فمنهم من انجب لاول مره بعد زواجه

ب١٢ او١٥ عاما، ومنهم من شعربالرضا عن اقداره لانه لم يقصر في طلب العلاج، واتسع قلبه لرعايه طفل محروم اوتعوض عن حرمانه بان اعتبر ابناء الاشقاء والشقيقات ابناءه وفاض عليهم قلبه بحبه وحنانه.انني اخشي ان اقول لك انك بما تراه من ضروره الانفصال عن زوجتك بعد اسابيع قليله من اكتشاف عدم قدرتك علي الانجاب وبغيركفاح طويل ومر يتطلب الشفاء، اخشي ان اقول انك انما تخشي علي نفسك انت من اللحظه التي يشتد فيها حنين زوجتك للاطفال فتطلب منك الانفصال، اكثر مما تشفق عليها هي من حياتها معك بغير انجاب وفي ذلك فانك ستكون ظالما لها باقصائها عن حياتك علي غير رغبتها بدعوي انك تطلب لها الافضل علي المدي البعيد حتي ولو تالمت لبعض الوقت لانفصالك عنها، ولن تكون ظالما لها علي العكس من ذلك حين تواصل حياتك معها بناءعلي رغبتها واختيارها الحر، حتي ولو عانت داخليا مما لا مفر من معاناته في مثل هذه الحاله.اننا في بعض الاحيان قد نتخذ من القرارات ماهو اكثرها انانيه.. ونحن نتوهم اننا انما نقدم بها التضحيه لمن يستحقون التضحيه من اجلهم، ونصيحتي لك في النهايه هي ان توجل اتخاذ اي قرار بشان حياتك الشخصيه الي ان تستعيد صفاء الذهن وحماسك للحياه والاشياء من جديد، والا تنفرد باتخاذ هذاالقرار دون شريكتك في الحياه بدعوي التضحيه بسعادتك في سبيل سعادتها. فالسعاده اثمن من ان يضحي بها المرء بمثل هذه السهوله. ومنطق رجال الاعمال الذي تري به ان النهايه اتيه لا ريب فيها، لا يصلح للتعامل مع هذه المشكله، لانه منطق لا قلب له ويعتمد علي الحقائق المجرده والارقام الصماء وحدها، وحياتك وحياه زوجتك وسعادتكما انما تحتاج الي منطق الحب والعطف والتضحيه الحقيقيه وليست الموصومه..للتعامل معها.فاما اشفاقك علي ابويك من ابلاغهما بما تعانيه في مشكله الانجاب، وتساولات الاخرين من حولك، فالحق هو انك لست مطالبا بتفسير اي شيء في حياتك الشخصيه لاخرين فيما عدا والديك اللذين يهتمان بامرك وصهريك اللذين يهتمان بامر زوجتك، وماأسهل ان تتلطف في ابلاغ ابويك بانك تواجه بعض المشكلات الصحيه في الانجاب لكنك تطلب العلاج بجديه وتامل في الشفاء ذات يوم قريب باذن الله، وان تفعل زوجتك نفس الشيء مع ابويها.. ثم تغلقان باب التساول بعد ذلك امام الجميع وتواصلان حياتكما في امل لا ينقطع في رحمهالله..وتخرج انت من قوقعتك وتستعيد حماسك للحياه، وتومن بما امرنا به الهادي البشير صلوات الله عليه وسلامه، من انه اذاقامت الساعه وفي يد احدكم فسيله فليغرسها في الارض طلبا للخير للاخرين ولو كانت الازفه علي الابواب فاذا كنت تتساءل عن جدوي العمل والتوسع والمال وليس هناك من يرثه، فاني اقول لك ان الشجره الوارفه يستفيد الاخرون بظلها ولا تستفيد هي منه شيئا.. ولهذا يفضلها الجميع علي الشجره الجرداء ويخصونها بحبهم واعتزازهم،وكذلك الانسان حين يمتد ظله علي الاخرين ويحميهم من لهيب الشمس ويهييء لهم اسباب السعاده، ويسعد نفسه وشركاء حياته وكل من حوله.

==

(رســــــاله (الانتقام

من رسائل بريد الجمعة

سيدي أكتب إليك من داخل القطار لذا اغفر لي إرتعاشة الكلمات وسوء الخط وأستميح القراء عذرا في قسوة بعض التعبيرات وفجاجتها ، ولكني لم استطع التعبير عن نفسي إلا بما حدث مجردا من أي تنميق أو تجميل .وأناشدك إلا تقسو علينا ، فنحن بنات قسا الزمن علينا طويلا، وأرواحنا – كما أجسادنا- كلها ندبات وجروح. نحن ست بنات، خمس شقيقات، والصغيرة من أم أخرى..عشنا أيام طفولتنا وصبانا في عذاب لا يمكن وصفه أو تخيله بسبب قسوة آب تجرد من كل مشاعر الإنسانية، ولم نهنأ، أو نغمض عيوننا إلا بعد موته الغريب والمفاجئ استمر ٥ سنوات واعتقدنا أن الحياة السعيدة بدأت وأن السماء تعوضنا عما عانيناه ويبدو أنها كانت أضغاث أحلام فها هو الفزع يعود من جديد والنوم يستعد لهجرة عيوننا التي أبكاها البكاء. دعني أسترجع معك ذكرياتنا التي لا تفارقن لحظة فكل ألم عليه شاهد في الروح والبدن استيقظت عيوننا منذ الميلاد علي أم كسيرة باكية دائماً وأب لم نره في البيت إلا في يده سلك كهرباء عار تنهال سياطه علي أجسادنا إذا بدر منا أي صوت .. هل يمكن تخيل طفل لا يبكي؟ .. نعم نحن كنا نعي أن البكاء حتى في الأشهر الأولي يعني ألماً غير مفهوم من يد شبح لم نكن نعرف ماذا يمكننا أن نناديه. أتذكر الآن عندما كان عمري خمس سنوات أمي حامل في شهورها الأولي كانت تستحم سقطت في الحمام فأخذت تستغيث بصوت منخفض حتى لا توقظ أبي النائم ولكنه للأسف مع بكائها هل يمكن أن تتوقع ماذا فعل؟ لا أنسي ملامح وجهه في ذلك اليوم ملامح شيطانية مفزعه لم يثنه دمها المراق علي الأرض لم يفزعه انهال عليها ضرباً ورفساً في بطنها وشدها من شعرها خارج الحمام ونحن نبكي ونصرخ رعباً حتى تجمع الجيران وأخذها أحدهم فاقدة الوعي إلي المستشفي بينما توجه هو إلي غرفة نومه .. يومها أصبت أنا الأخرى بانهيار عصبي وظللت مريضه فترة طويلة. سيدي .. هل لك أن تتخيل ما هو جزاء أي واحدة فينا لو لم تتفوق في المدرسة؟ .. يحلق شعرها ويغرس وجهها في "صفيحة الزبالة" ثم ينهال عليها ضرباً بالسلك العاري حتى تفقد وعيها من شدة الألم. لم يكن أبي ينفق علينا ولا تظن أنه فقيراً بل كان كما يقولون "يلعب بالفلوس لعب" معه أموال كثيرة من تجارة الغلال ولكنه كان يأمرنا بالعمل ونحن أطفال لنشتري ملابس المدرسة وننفق علي أنفسنا .. كنا نمسح سلالم أقاربنا والجيران مقابل أجر .. أما أمي فقد اشتري لها أخوالي ماكينة خياطة حتى تنفق علينا. ذات يوم جاءت أختي متأخرة قليلاً من المدرسة فانهال عليها ضرباً حتى هربت من البيت غابت أسبوعاً ثم

عادت وبعد "العلقة" المعتادة اصطحبها عند طبيبة نساء للتأكد من عذريتها ثم قرر تزويجها من "شيال" في مقلاة لب وأمام قراره لم تجد أختي إلا الانتحار حلاً أحرقت نفسها تركتنا للعذاب ورحلت هل تعرف ماذا فعل هذا الرجل الذي يطلق عليه "أباً" قال بأعلى صوته :"الحمد لله ارتحت من واحدة عقبال الباقي". اقترح أخوالي علي والدتي أن تترك له البنات الكبار وتذهب معهم بالبنات الصغار ولكن أمي رفضت خوفاً علي الكبار والصغار من بطشه وجبروته فقد كانت تري في وجودها بعض الحماية لنا. سيدي .. لا يمكن لأحد تخيل معنى الذل والحرمان مثل الذي يعانيهما .. لن يستوعب أحد معنى استحالة أن تتحرك من موقعك في البيت أو تمشي حافياً لأن والدك نائم .. لن يفهم أحد معني أن ترتدي طوال العام - صيفاً وشتاء- فستاناً ممزقاً وتأكل رغيفاً واحداً وتنام الليل خائفاً وتصحو النهار مذعوراً. لك أن تتخيل كل شئ كل أنواع العذاب والقهر والألم فليست أزمتنا الآن فيما فات ولكن دعني أكمل لك:

منذ ١٤ عاماً أصيبت أمي بنزيف حاد مما أغضب أبي فانهال عليها ضرباً واستنجدنا بأخوالي نقلناها إلي المستشفي ولكن قضاء الله كان أسرع .. ماتت أمي .. كلمة الحنان في الحياة ورفض القاسي تسلم جثتها حتى دفنها أخوالي وفي الأربعين دخل أبي علينا البيت وفي يده مطلقة عمرها ٢٠ عاماً قال إنها زوجته .. وقتها كنت أعيش معه أنا وشقيقتي الصغرى بعد زواج شقيقاتي جمعنا أبي وقال لنا: لو شكت لي منكم كلمة فسأضع سلك الكهرباء في عيونكما وفرغ شقيقتي من عملها في مقلاة اللب لتخدم زوجته الجديدة أما أنا فكنت أسارع بالعودة من عملي حتى أنظف البيت وأطهو لهما الطعام. المهم التفاصيل متعددة ولكن الأهم أن أبي تزوج ثلاث مرات بعد أمي وآخر واحدة حملت رغماً عنه فطلقها وعاش بدون زواج حتى حدث ما حدث! سيدي .. منذ ٨ سنوات ذهب والدي لأداء العمرة ولم يعد .. انقطعت أخباره عن الجميع منذ سفره .. توجه أعمامي عدة مرات إلي السفارة يسألون عنه بلا جدوى .. لا يعرف له أحد طريقاً هل تدري كيف كان إحساسنا مع كل يوم نتأكد من غيابه؟ .. أصابتنا كريزه ضحك صرخنا زمن العذاب انتهي "روحه بلا رجعة" .. ٥ سنوات عشناها علي أعصابنا حتى أقمنا دعوى أمام المحكمة لاعتباره مفقوداً وعملنا إعلام وراثة بعدها فقط بدأنا نشعر أنن آدميون .. انطلقنا في الشقة مزقنا صوره القينا بملابسه في صناديق القمامة حتى الملايه التي كان ينام عليها والبطاطين التي استخدمها "شبشبه" الأكواب التي كان يشرب فيها الكرسي الذي جلس عليه كله حطمناه تخلصنا منه .. أتعرف ما الذي كان يؤلمنا ويعذبنا؟ أنه مات بدون عذاب لم يعش أمامنا ذل المرض. حصلنا علي أمواله التي حرمنا منها واكتنزها في البنك كل واحدة فينا بدأت تتحدث عن أحلامها .. واحدة ستشتري ذهباً والأخرى تشتري محلات ملابس والثالثة تشتري سوق الخضار واللحوم وهكذا بدأنا في تنفيذ أحلامنا لا يعكر صفو حياتنا سوى منازعات أعمامنا فيما هو حق لنا.

سيدي .. كان كل شئ يسير طبيعياً حتى جاء هذا اليوم .. في شهر رمضان الماضي دعتني زميلتي إلي عقد قرانها في أحد المساجد صليت ركعتين تحية للمسجد وفيما أنا خارجة في طريقي إلي القاعة لا أدري ما الذي دفعني للنظر خلفي هل يمكن تصور من كان يجلس علي الأرض؟ .. إنه أبي رجل عجوز ممزق الملابس لا يمكن هل عاد أبي أصابني الفزع واستعدت كل تاريخي اختبأت خشيت أن يراني ثم توجهت إليه وأنا أرتجف نظرت إليه فلم يعرني اهتماماً .. استيقظت علي نداء صديقاتي فحضرت عقد القران ثم توجهت إلي إمام المسجد وسألته : هل تعرف هذا الرجل فقال لي أن أحد أقاربه أتي به منذ فترة من القاهرة وأخبرنا أنه كان يعالج في المستشفي ويخدم في المسجد ويغسل السلالم في العمارات المجاورة. هل يمكن تخيل ذلك .. والدي الذي كان يصحو العصر من نومه ويرتدي أفخر الثياب يمسح السلالم ويجلس علي الأرض طلبت من الأمام أن يدعوه وسألته إيه حكايتك فقال لي إنه كان في مستشفي في السعودية والسفارة هناك أخبرته أنه مجهول الاسم وهو لا يتذكر أي شئ عن شخصيته وعملوا له وثيقة سفر ورحلوه إلي مصر .. وهو يحكي وأنا أستعيد كل المشاهد القديمة تفصيلياً .. بكيت وبكيت لم أعرف لماذا أبكي هل هذا الرجل المنكسر الذي ينظر لي بمحبة وحزن هو أبي الظالم.. يمد يده ليأخذ مني بعض النقود أتذكره وهو يقذف في وجهي صينية الطعام لأني نسيت شيئاً يعيدني صوته وهو يدعو لي "ربنا يطعمك ما يحرمك" سألته: "مش فاكر أنت كنت إيه زمان؟ وأرد في نفسي: كنت شريراً قاسياً بتضرب بسلك الكهرباء والشلوت ومسمينا "الحلاليف" نظر إلي طويلاً وقال: أنا حاسس إن ربنا بيعاقبني علي شئ عملته وغضبان علي لا أعرف من أين أتيت بهذه الدموع هل كنت أبكي عليه أم لأنني تذكرته وهو يجر أمي من شعرها وهي تنزف .. أتذكره وهو يرفض الذهاب إلي المستشفي لدفنها. عدت إلي البيت دعوت شقيقاتي وحكيت لهن ما حدث لم يصدقن ما سمعنه فقررنا استدعاء محامينا واتفقنا علي الذهاب إليه لرؤيته .. اندفعنا نحوه كادت واحدة تناديه "بابا" منعناها .. جلسنا معه وبدأ المحامي يحكي لي حكايتنا مع أبينا – الذي هو جالس أمامنا – تعمدنا ذكر بعض كلماته مثل "الحلاليف" حتى نتأكد من ذاكرته فوجئنا به يبكي ويقول : "كيف لأب يفعل ذلك في بناته أنا كان نفسي يكون لي بنات مثلكم" .. قالت له أختي : "مش جايز ولادك لو عرفوا إنك عايش يتبروا منك" نظر إليها باندهاش قائلاً : "ليه يا بنتي أنت قاسية أوي كده".. المهم سيدي .. عدنا إلي البيت أكثر حيرة جاء خالي إلينا وأخبرناه فقال إنه يجب أن يعود إلي بيته فهذا حقه .. وقال المحامي : إنه لو عاد سيستعيد أمواله منكن أعمامكم سيرفضون وسيقدر عليكن ولو عالجناه قد يعود إلي ما كان عليه وينتقم منكن قلنا مرة ثانية عذاب وذل وبهدلة .. اتفقنا أن نذهب له كل شهر نمنحه صدقة تكفيه وطعاماً وملابس .. فكرنا في

إدخاله مستشفي والإنفاق عليه ولكن خشينا أن يشفي ويفهم ما فعلناه به فينتقم منا. سيدي .. عقولنا ترفض عودته ولكن ضميري يؤلمني صوت في داخلي يقول لي : إرحمي أباك في شيخوخته يكفي ما يراه من عذاب يغسل سلالم العمارات في عز الشتاء ألا يكفي انتقام الله. منذ أيام ذهبنا إليه وجدناه مريضاً في حجرة متواضعة بجوار المسجد وقال لنا إمام المسجد : إن الطبيب أخبرهم بمرضه بالسكر والضغط وماء علي الرئة .. أهل الخير أحضروا له الدواء .. وجدت بجواره كيساً فتحته وجدت به خبزاً عفناً .. أتألم له ومنه .. أتذكر ذات صباح عندما استيقظ من النوم فلم أجد خبزاً طازجاً ففتح رأس أمي بغطاء ماكينة الخياطة .. وها هو اليوم يأكل خبزاً عفناً .. يا الله! سيدي .. نعيش في أزمة بين ضمائرنا وبين ذكرياتنا المؤلمة .. نعجز عن الاتفاق علي قرار .. فقررنا الاحتكام إليك لعلك تساعدنا علي اتخاذ القرار السليم بدون أن تظلمنا!

لكاتبة هذه الرساله اقول :

سيدتي .. ألتمس الأعذار لمن يري الظلم ويعاني منه وتغيب أو تتأخر عدالة الله سبحانه وتعالي – لحكمة يعرفها – عن أنظار العباد .. ولكن عندما يأتي عقاب الله وانتقامه من الظالم أمام عيني المظلوم وفي حياته أتساءل كيف لهذا المظلوم أن ينقلب إلي ظالم غافلاً عن عدالة الخالق العظيم الذي يمهل ولا يهمل. سيدتي .. من يقرأ الجزء الأكبر من رسالتك لا بد أن يغضب ويتألم ويطلب القصاص من هذا الأب ومن يقرأ الجزء الأخير لا بد أن يتمهل ويعيد النظر إلي الصورة مكتملة قبل أن يصدر حكمه بدون قسوة أو اندفاع عاطفي. أعتقد أنك لست في حاجه الآن للتعبير عن الرفض الكامل لسلوكيات والدك قبل فقدانه لذاكرته فمهما كانت الكلمات فلن تعبر عن الألم والمهانة التي تعرضتم لها جميعاً من سلوكيات هذا الأب والذي لولا نهايته لكان الكلام فيها لا ينتهي فما فعله بعيد عن الإنسانية كل البعد وليس فقط بعيداً عن الأبوة. ستقولين أنه الماضي الذي يعيش فيكن حتى الآن ولكن الآن ليس أمامك إلا التعامل مع الحاضر من أجل المستقبل فالعيش مع الماضي لا يزيدكن إلا ألماً. فعندما تصلني رسالة غاضبة من ابن لسوء سلوك أو رعاية والديه تطل أمام عيني الآية الكريمة : "وإن جاهداك علي أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً" .. الخالق الجبار المنتقم عندما يصل الأمر إلي الدعوة للشرك به من أحد الأبوين يأمرنا بعدم طاعتهما في هذا فقط بينما يطالبنا سبحانه وتعالي بمصاحبتهما في الدنيا معروفاً هذا في حقه فما بالنا لو الأمر يتعلق بنا نحن الأبناء البشر ألا ترين أن في هذه المصاحبة والتكريم أمراً إلهياً يجب الامتثال إليه فإذا سلمنا بذلك واستندنا إلي أمر الإحسان - المتكرر في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة – إلي الوالدين وقررنا أن يكون القرار ابتغاء لمرضاة الله فإن قراركن سيكون واحداً ومحدداً. سيدتي .. إن لذة الانتقام لا تدوم سوى لحظة أما الرضا الذي يوفره العفو فيدوم إلي الأبد واستمعي إلي قوله سبحانه وتعالي : "وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم .." ألا تحبون أن يغفر لكم الله كم هو مقابل زهيد مهما تكن قسوة الأيام فالتسامح يا عزيزتي جزء من العدالة. لا أريد أن أدخل معكم في فرضيات لأن إذا قلت أنكن لو عالجتوه وأحسنتم إليه قد يعود إلي سيرته الأولي سأقول لكم ومن أدراكن أن الله قد يعيد إليه ذاكرته الآن ويزداد انتقامه منكن لأنكن تركتموه. إن ما أنتن فيه من حقه إنه ماله حتى ولو كان ظالماً لكن وعودته وهو فاقد الذاكرة – علي قدر ما أعرفه – لا يعطيه الحق القانوني في التصرف فيما يملك لأنه ليس أهلاً لذلك ولكن نصيحتي لك ولشقيقاتك أن تكون قبلة قراركن خالصة لوجه الله سبحانه وتعالي وأن تذهبن إليه فوراً وتعدنه إلي بيته وتحرصن علي علاجه وثقي بأن الهناء والاستقرار والسعادة لن يعرفوا طريقهم إليكن إذا ظل أبوكن ملقى في الطريق إن المنتقم يرتكب نفس الخطيئة التي ينتقم لأجلها فلا تواصلن حياتكن وأنتن ترتكبن نفس الخطيئة والأولي أن يبكي الابن من أن يبكي الأب كما قال المفكر "بترارك". وخذي وعد الله سبحانه وتعالي في كتابه الكريم "عفا الله عما سلف ، ومن عاد فينتقم الله منه ، والله عزيز ذو انتقام " .. وإلي لقاء بإذن الله.

==

العتاب المر

رسالة من بريد الجمعة

أشعر بالخجل الشديد مما سوف أرويه لك في هذه الرسالة.. لكني آليت علي نفسي ألا أتحرج من ذكر شيء من قصتي لكي ألتمس لديك النصيحة المخلصة.. فأنا سيدة في أواخر الثلاثينيات من عمري جميلة وجامعية وأعمل عملا مرموقا، وقد نشأت في أسرة تسيطر علي مقاديرها الأم..ويذعن فيها الأب الطيب لإرادتها طلبا للسلام العائلي، وإيثارا لسعادة الأبناء علي سعادته..ومنذ صغري اعتدت مع إخوتي علي تقبل سيطرة أمي قوية الشخصية علي كل شيء في حياتنا، وحين بلغت سن الشباب استجبت لأول شاب ظهر في طريقي.. وانجذبت إليه وأملت في أن أجد فيه الصديق الذي لم أجده في أمي.. وتقدم هذا الشاب لخطبتي فرحب به أبي، واعترضت عليه أمي لغير سبب سوي أن إمكاناته المادية أقل مما يرضي طموحاتها وتهدد المشروع كله بالفشل بسبب عناد أمي وتمسكها برأيها.. وعشت فترة عصيبة من حياتي استعنت خلالها بكل أقاربي علي أمي لكي تلين وتسمح لنا بإعلان الخطبة مع وعود حارة من هذا الشاب بأن يلبي لها كل مطالبها المادية بالتدريج.. فلم تلن إلا بعد أن قبلت قدميها عدة مرات.. ورضخ الشاب لمطالبها، وكتب علي نفسه شيكات بلا رصيد بكل مطالبها..وزففت إليه بعد أهوال بكيت خلالها كما لم أبك طوال حياتي وكلها بسبب تحكم أمي وإصرارها علي تنفيذ رأيها في كل شيء من تفاصيل الزواج وبدأت حياتي مع زوجي وأنا آمل في أن يعوضني عما عانيته معظم فترات حياتي، فلم تدع لي

أمي فرصة للسعادة ـ ومدت مظلة سيطرتها علي وأنا في بيت الزوجية وعلي زوجي.. وبدأت تضغط عليه لسداد ما اعتبرته ديونا عليه من تكاليف الزواج.. وراح هو يستعطفها أن تمنحه بعض الوقت لكي يدبر أموره ويلتقط أنفاسه خاصة أنه يسدد أقساط ديون أخري لبعض الأصدقاء والأهل، فأصبح همنا الأول في الحياة هو أن يعمل أعمالا إضافية وأعمل أنا أيضا عملا إضافيا لكي نوفر في نهاية الشهر ما نسد به فم أمي التي لا تكف عن تقريعنا وتهديد زوجي وكل ذلك وأبي عاجز عن فعل شيء ألا يملك ولا الحوقلة والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، والمساعدة المادية البسيطة لنا أحيانا في السر لكي نستطيع سداد الأقساط المطلوبة لوالدتي، وتحولت سنوات الزواج الأولي إلي فترة عناء شديد وجفاف أشد، وانتهي الأمر بعد مصادمات عنيفة بين زوجي وأمي إلي أن فقد صبره الطويل وحبه أيضا لي فطلقني وتمت تسوية الأمور المادية بعد عناء كبير و رجعت إلي بيت أمي وفي ذراعي طفل عمره ٣ سنوات وأنا كارهة لكل شيء واعتبر أمي المسئولة الوحيدة عن هدم بيتي وسعادتي، فانطويت علي نفسي وتجنبت الاصطدام بها بقدر الإمكان وركزت اهتمامي في طفلي وعملي.. وتحملت تقريع أمي المستمر لي ونعيها علي رجوعي إلي الأسرة مطلقة في سن الخامسة والعشرين بسبب خروجي علي إرادتها وعدم استماعي لنصيحتها برفض الزواج من هذا الإنسان..

وعشت عامين كئيبين في بيت أسرتي رفضت خلاله أمي أي محاولة للصلح مع زوجي وازدادت معاناتي مع رحيل أبي عن الحياة وقد كان الصدر الحنون الذي أبكي عليه وأشكو له ويجفف دموعي ولم تمض علي وفاته بضعة شهور حتي جاءتني أمي بزوج مناسب لي وفق شروطها.. وهو رجل قادر ماديا ويعمل عملا مهنيا مرموقا ومطلق وله طفلة صغيرة من زواج سابق وأذعنت هذه المرة لإرادة أمي بلا مقاومة والتقيت به.. فوجدته مقبولا شكلا وموضوعا، لكنه صدمني في أول لقاء معه بأنه يشترط علي ان أسلم طفلي إلي أبيه، ويسلم هو طفلته إلي أمها وألا يزورني طفلي ولا تزوره طفلته في بيت الزوجية لكي نبدأ كما قال حياة سعيدة بلا ذيول من الماضي، ورفضت هذا الشرط خاصة أن زوجي السابق كان قد تزوج ولم يمانع في بقاء طفلي معي حتي نهاية سن الحضانة، واعتذرت عن عدم قبول الزواج إذا كان ثمنه حرماني من طفلي الصغير.. فأحالت أمي حياتي إلي جحيم دائم وضغطت علي بكل جبروتها لكي أقبل هذا الشرط، وقالت لي إن الطفل سوف ينشأ في رعايتها هي وأنني سوف أزوره في كل حين.. وضعفت مقاومتي في النهاية وتزوجت وبدأت حياتي مع زوجي الثاني ونشأ ابني بعيدا عني في بيت والدتي، وتصورت أن عشرتي الطيبة لزوجي سوف تغير من موقفه منه.. فيسمح له بقضاء الإجازات معي.. ويدعو طفلته لقضائها معنا ونسعد معا بحياتنا المشتركة ولكن هيهات أن يلين فلقد ظل رافضا بإصراره ان يزورني طفلي او يبيت ليلة واحدة معنا تحت سقف واحد، وكلما عاتبته في ذلك ذكرني بأنه يتخذ الموقف نفسه من طفلته مع أني حاولت مرارا ان اشجعه علي تقريبها مني وفتح بيتنا لها لأنها ابنته وأخت ابني في النهاية.. وعسي ان يحثه ذلك علي تغيير موقفه من ابني. أما أمي فلقد راحت تبتزني ماديا بلا حرج مقابل بقاء طفلي معها بالرغم من عدم احتياجها المادي.. وبالرغم أيضا من ان زوجي السابق قد التزم بدفع مبلغ شهري عادل لنفقات ابنه.. وكلما تذمرت من مطالبها هددتني بإرساله الي وهي تعلم ماذا يعني ذلك بالنسبة لزوجي.

وظلت صلتي بابني مقتصرة علي زياراتي له في بيت أمي من حين لآخر وعلي فترات ليست متقاربة لأن زوجي يضيق بهذه الزيارات الي أن بلغ الرابعة عشرة من عمره، وبدأت المشاحنات بينه وبين امي تتزايد بسبب تمرده علي سيطرتها، وبدأت أعاني مشكلات جديدة لذلك انتهي الأمر بهجر ابني بيت والدتي غاضبا في احدي المرات ولجوئه الي بيت ابيه حيث أقام بضعة شهور شعر خلالها بالغربة .. ورجع بعدها الي بيت أمي ـ واستمرت الحياة هادئة علي السطح لفترة من الوقت الي أن وقعت مشادة جديدة بينه وبين والدتي صفعته خلالها بقوة، فما كان منه إلا أن نظر إليها بغضب صامت، ثم تركها ودخل غرفته واغلق الباب عليه، وجاءت اختي الصغري المتزوجة لزيارة أمها بالمصادفة، وعلمت منها بما حدث وبأنه في غرفته المغلقة منذ اكثر من ساعتين دون ان تقترب منه او تحاول مصالحته، فدخلت عليه لتخفف عنه بكلمة طيبة فإذا بها تجده راقدا علي الفراش مصفر الوجه ويسيل منه العرق ويتقيأ وبجواره عدة أشرطة فارغة من الإسبرين، فصرختواتصلت بالإسعاف ونقلته للمستشفي وكل ذلك وأمي جالسة في مقعدها أمام التليفزيون ترفض التأثر بمثل هذا التهويش الفارغ! وهرولت أنا الي المستشفي فوجدته في حالة إعياء شديدة بعد إجراء غسيل المعدة له وما أن رآني حتي انفجر في البكاء وعاتبني عتابا مرا علي تركي له لرحمة والدتي القاسية.. ومزق قلبي وهو يسألني وهو يبكي عن ذنبه الذي ارتكبه لكي يحرم من أمه.. ومن ابيه.. ويمنع من دخول بيت أمه، ولا يجد الراحة في بيت أبيه وبيت جده مع أنه لا يغضب ربه ويصلي ويصوم ويعامل الجميع بحب واحترام ولا يرتكب اي خطأ ويذاكر وينجح كل سنة ويحبه أساتذته وزملاؤه.. فهطلت دموعي بغزارة وقبلت يده ورأسه وقدمه وغسلتها بدموعي .. واستعطفته أن يسامحني علي تقصيري في حقه فوجدته يقول لي متألما وماذنبك انت يا أمي وأنت غلبانة مثلي ومغلوبة علي أمرك.. وانفجر بركان الغضب في قلبي وأقسمت له أنني لن أدعه لرحمة أحد غيري بعد الآن ولو أدي الأمر لطلاقي من زوجي وأمضيت الليلة معه في المستشفي، وغادره إلي بيت أبيه الذي جاء لرؤيته وأصرعلي ان يصطحبه معه لقضاء فترة النقاهة عنده ووعده بألا يشعر بأي غربة في بيته ورجعت أنا الي بيتي وقد انشرخ شيء داخلي ولم يعد قابلا للإصلاح استعيد صورته وهو يبكي ويسألني عما جناه لكي تقسو عليه أمي ويحرم من دخول بيتي ويعامل كضيف غير مرغوب فيه في بيت أبيه.. فينفجر بركان الغضب في نفسي وأجدني غير قادرة علي النظر في وجه زوجي، الذي حرم

علي ابني دخول بيتي وغير قادرة علي مودة امي او سماع كلمة واحدة منها دفاعا عن نفسها.. إن ابني هذا فتي طيب ومنكسر الخاطر وحنون ويخشي ربه ويمنعه دينه وحياؤه من ان يرد علي امي ايه إساءة لكنه فقط لا يتقبل سيطرة أمي الكاملة علي كل شيء في حياته وأوامرها ونواهيها التي لا تنتهي كما كنا نتقبلها نحن، وهي لا تريد ان تفهم أن لكل جيل طباعه وشخصيته المختلفة وان الاستكانة التامة والخنوع الكامل لسلطة ربة الدار ليسا من طبائع هذا الجيل، وقد حدثت زوجي عن حق ابني في زيارتي وقضاء اي فترة يرغبها معي، وعن حق ابنته كذلك في زيارته في بيته وقضاء بعض الوقت معنا، لكي يتقارب الأبنان ويتبادلا المودة والرحمة.. لكنه مازال علي موقفه ويري استمرار الحال علي ما هو عليه تجنبا كما يقول للمتاعب.. ويحاول إقناعي بأنه فعل ذلك لأنه يحبني وبأن هذه الأزمة سوف تمضي الي حال سبيلها كما مضت غيرها من قبل، ومن الأفضل ألا نغير من نظام حياتنا وأنا يا سيدي لم اعد أطيق هذا المنطق.. وقد افتقدت صفاء المشاعر تجاه زوجي واخشي اذا استمر علي موقفه هذا ان نصل معا الي نقطة اللا عودة والانفصال والعودة الي جحيم بيت أمي مع ابني وطفلي الصغيرين من زوجي الحالي.. ولقد اقترب شهر رمضان من نهايته وسيرجع ابني من بيت أبيه بعد عيد الفطر الي بيت جدته بعد ان سامحها علي ما فعلت به لكي يتفرغ لدراسته.. واريد ان اعرف اين الخطأ في موقفي وموقف زوجي من ابني هذا وكيف يمكن علاج الأخطاء قبل ان تسوء النتائج أكثر مما حدث؟.

ولكاتبة هـذه الرسـالة أقـــول :

الخطأ واضح يا سيدتي ولا يحتاج إلي بيان، ويضاعف من أثره أنه خطأ اشتركت فيه عدة أطراف، وتركزت معظم نتائجه السلبية علي طرف أساسي هو هذا الفتي الحائر.ولست أريد أن أرجع للوراء طويلا لأتقصي بداية الخطأ في حق هذا الفتي الذي بدأ بإرهاق والدتك لأبيه وتعنتها معه حتي انتهي الأمر بانهيار زواجك منه وحرمان هذا الابن من حقه المشروع في حياة آمنة بين أبويه، وإنما سأركز حديثي هنا علي البداية المتأخرة للخطأ الأفدح في حقه، وهو اشتراط زوجك الحالي عليك مباعدة ابنك بعد الزواج منه وحرمانه من زيارتك في بيتك ولو لقضاء عطلة نهاية الأسبوع معك، وقبولك أنت هذا الشرط اللا إنساني بعد مقاومة يسيرة لا تخفف كثيرا من مسئوليتك عن الخطأ حتي ولو وضعنا في الاعتبار ضغوط والدتك عليك وضيقك بجحيم الحياة معها.. فالحق انه شرط بشع ومجاف للرحمة والعدل والدين، ولا يخفف من بشاعته تبرير زوجك له بأنه يشمل كذلك ابنته من زواجه الأول.. بل لعله يضاعف منه ذلك أن الله سبحانه وتعالي قد يسر عليكما فكان من الممكن ان ينشأ هذا الابن الذي لم يعترض أبوه علي استمرار حضانتك له بعد زواجك وتنشأ هذه الابنة كذلك بينكما.. فأعسرتما عليهما معا وبلا ذنب جنياه وباعدتما بينهما وبينكما، وكانت جنايتكما علي هذا الابن أفدح من جنايتكما علي تلك الابنة لأنه كان من حظها ان تنعم بالنشأة بين أحضان امها ورعاية زوج أم رحيم علي حين حرمتما الأبن الآخر من دفء أحضان أمه.. ورعاية الأب الشرعي له.. والأب البديل علي السواء وسلمتماه معا لرعاية الجدة التي قررت انت بحياتك جحيم قسوتها وتسلطها، وكل ذلك بدعوي ان يبدأ زوجك الحالي حياته معك بلا ذيول للماضي طلبا للسعادة والاستقرار! مع أن ذيول الماضي هذه هي نفسها حقيقة من حقائق حياتك وحياته ولا يمكن إنكارها وتجاهلها ولا أمل في السعادة والاستقرار الحقيقيين بغير الاعتراف بها والتعامل معها تعاملا عادلا ومحققا لمصالح الأطراف المختلفة. فإذا كنت قد قبلت بهذا الشرط المؤلم في البداية، وأنت تأملين في أعماقك ان تنجحي بعد حين في إقناع زوجك بالتنازل عنه.. واتصال الصلة بينك وبين ابنك وبينه وبين ابنته، فكيف عجزت طوال السنوات الماضية عن تحقيق هذا الهدف يا سيدتي.. ولماذا استكنت للأمر الواقع بلا مقاومة جادة!. لقد فرض عليك زوجك شرطا مخالفا للشرع والدين والإنسانية وهو ان تباعدي ابنك وتحرميه من زيارتك والاقتراب الوجداني من امه وأخويه وزوج والدته. وبرر لك زوجك ذلك بأنه يطلب السعادة لكما معا ـ فأي سعادة هذه التي لا تتحقق الا بمباعدة ثمرة القلب وإشعارها بالنبذ العاطفي والتجاهل؟ وكيف يمكن تبرير هذه القسوة المعنوي بالحب كما يحاول زوجك إقناعك بأنه مازال يتمسك بموقفه السابق لأنه يحبك ويريد لك السعادة بعد انتهاء هذه العاصفة الأخيرة!. إن الصوفية يقولون لنا إن المحبة هي موافقة المحبوب فيما أمر والانتهاء عما زجر أي موافقته فيما يحب ويرضي وكراهية ما يكره وينهي عنه ولاشك أنك تحبين أن يشعر ابنك بعطف أمه عليه ورعايتها له وحبها له، ولن يتحقق هذا الهدف اذا استمر تمسك زوجك بمباعدتك له .. وحرمانه من حق معايشتك ولو لفترات متقطعة في بيتك وتحت جناحك وبين أخويه، ولا بحرمانك أنت من إشعاره بوجودك في حياته بزيارتك المتكررة له حيث يقيم واتصالك اليومي به إذا تمسك زوجك بهذا الشرط البشع إلي ما لا نهاية، والمشكلة في النهاية ليست مستعصية علي الحل لو صدقت النية واتسع القلب لغير الأنانية والأثرة من جانب زوجك، وإذا كنت قد عجزت في السنوات السابقة عن حمل زوجك علي التنازل عن شرطه فإن ما حدث في الفترة الأخيرة يعد علامة فارقة في علاقتك بابنك هذا وفي حياته أيضا، وهي علامة تتطلب تغيير الاقتناعات المتحجرة لدي زوجك، والتعامل مع هذا الابن بروح جديدة.. فالفتي في أحرج سنوات العمر التي يتعرض فيها الفتية لتغيرات فسيولوجية ونفسية ودورات مزاجية تتراوح بين الانطلاق والانطواء واجترار الأفكار والأحزان فضلا عن تمردهم علي طريق التعامل معهم كأطفال صغار لا ينتظر منهم إلا السمع والطاعة لكل ما يؤمرون به علي طول الخط كما تفعل جدته في التعامل معه الآن متجاهلة طبيعة مرحلة المراهقة التي يمر بها ويتجاهلة أيضا طبيعته كولد التي تختلف عن طبيعة البنت الأقرب للاستكانة والقبول بمثل هذه المعاملة في تلك المرحلة. ولكل هذه الاعتبارات بأن ابنك اشد ما يكون الآن

في حاجة نفسية ومعنوية إلي إشعاره بالجدارة والثقة في النفس والاعتزاز به وبوجوده في حياتكما وليس بالنبذ والمباعدة.. ولا يستطيع أحد أن يقوم بهذا الدور التربوي والمعنوي في حياته الآن أكثر من والدته الطبيعية وأبيه الشرعي، فإذا كان الابن راغبا عن الإقامة الدائمة في بيت أبيه، وكان زوجك راغبا عن انضمامه الي أسرته ولو قبل بذلك لأحسن إليك وإلي ابنيه منك والي هذا الفتي والي نفسه قبل الجميع فليس أقل من ان يسقط زوجك شرط التحريم البشع هذا عنه.. وان يتقبل وجوده في حياتك وحياة ابنيه، ويسمح لك بل يشجعك علي زيارته واستزارته في بيتك كلما استشعر الفتي حاجته إلي الدفء العائلي وحنان الأم وصلة الإخوة. ويكفي هذا الفتي ما تعرض له من قبل من نبذ وإبعاد منكما وسوء معاملة من جدته.. وهو الفتي الطيب الذي يخلو قلبه من المرارة والكراهية ويصفح بسهولة عمن أساء إليه ويلتمس لك العذر في مباعدتك له بأنك مغلوبة علي أمرك مثله!. ومثل هذا الفتي يستجيب سريعا لأي بادرة عطف أو حنان يبديها تجاهه من أبعدوه من قبل مثلك ومثل زوجك أو أساءوا معاملته كما فعلت جدته فقولي لزوجك كل ذلك يا سيدتي وذكرته بأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق الذي أمرنا سبحانه وتعالي أن نصل أرحامنا ونرعي ثمرات قلوبنا ونحسن إليها ونرعي حدود الله فيها..، وذكريه أيضا بحديث رسولنا الكريم صلوات الله وسلامه عليه الذي يهدينا إلي ما فيه صلاح أمرنا فيقول لنا الزموا أولادكم وأحسنوا أدبهم. وليس من حسن الأدب للأبناء أن نشعرهم بالنبذ والإبعاد والتجاهل ولا أن يباعد أب كزوجك بين زوجته وابنته وبين ابنته الكبري من زواج سابق ولا بين زوجته وابنيه وبين ابن معذب لها من تجربة ماضية!.

==

رسالة (الإجـازة السـعيدة).رحمة الله التي وسعت كل شيء

أشعر برغبة شديدة في أن أروي لك تجربتي الشخصية، عسي أن يستفيد بها غيري ممن يواجهون نفس الظروف، التي واجهتها من قبل، فأنا رجل متوسط العمر نشأت في أسرة متحابة ومتراحمة، وأنهيت تعليمي العالي في سلام،

ثم رحل أبي رحمه الله عن الحياة وأورثني عملا تجاريا صغيرا، فآثرت التفرغ له واستقلت من وظيفتي الحكومية، واتفقت مع أختي الوحيدة التي تشاركني ملكية هذا العمل، علي أن أخصص لها مبلغا شهريا عادلا تنفق منه علي نفسها وتدخر بعضه-ته

لجهازها، إلي جانب تكفلي التام بإعالة والدتنا ونفقات البيت الذي يضمنا جميعا، وبالفعل استفادت شقيقتي من ال\كمبلغ الشهري واشترت بمشورة أمي أشياء كثيرة لجهازها، وادخرت الجزء الأكبر للأثاث ومتطلبات الزواج، وفي الوقت المناسب تقدم لها ابن خالتها المهندس الشاب يطلب يدها، فرحبت هي به وسعدت أنا أكثر بتقدمه إليها، لأننا صديقان منذ الطفولة، وتم الاتفاق علي كل شيء، وتعمدت ألا أرهق صديقي بالمطالب المادية الكثيرة، وأكدت له أنني لا أريده أن يبدأ حياته مع أختي بالديون، ولذلك قبلت منه ما معه دون زيادة، وتكفلت مدخرات أختي خلال الأعوام السابقة بتغطية التكاليف، وتم زفافها لابن خالتها في ليلة سعيدة، تذكرت خلالها أبي الراحل وتمنيت لو كان قد امتد به العمر ليسعد معنا بسعادة ابنته، وبعد أقل من عام من زواجهما أنجبت أختي ابنها البكر، وسعدت به سعادة طاغية لولعي القديم بالأطفال، حيث كنت دائما صديقا لأطفال العائلة، وحثتني أمي علي الزواج بعد أن اطمأنت علي أختي واستقرت الأحوال في العمل، وراحت تغريني بالاسراع بالزواج لكي أنجب طفلا أو طفلين يملأن علي حياتي ويشبعان لدي حنيني القديم للأطفال، وفكرت في الأمر طويلا واستقر رأيي علي القبول، وكنت منذ سن المراهقة معجبا بابنة عمتي واستريح إليها، ففكرت في التقدم لها، لكني لم أكن واثقا من مشاعرها تجاهي، وفكرت في جس نبضها فانتهزت فرصة زيارتي مع أمي لأسرتها وأرسلت إليها رسالة بالنظرات المعبرة. للاستفسار عن مدي استعدادها للارتباط بي. فجاءني الرد بالنظرات المعبرة كذلك. عن القبول ففاجأت عمتي وأمي خلال نفس الزيارة بطلب يدها.. ولم تتمالك أمي نفسها حين رحبت عمتي وابنتها بي، واطلقت أول زغرودة لها بعد وفاة أبي، وتمت الخطبة وتمكنت المشاعر العاطفية من قلب كل منا خلال فترة الخطبة، حتي خيل إلي أنني كنت أكتم حبي لها منذ سنوات بعيدة، وخيل إليها نفس الشيء وتزوجنا ورفضت أمي رفضا قاطعا أن تغادر مسكنها أو أن نقيم معها، وأصرت علي أن يكون لي مسكن مستقل للزوجية وأن تحيا هي في شقة الأسرة مع سيدة ترعاها، وأكدت ذلك بقولها إنها تريد أن يبقي بيت العائلة أو البيت الكبير كما نسميه، يجمع بيننا مساء يوم الاثنين ـ وطوال نهار يوم الجمعة كل أسبوع ـ وأصبحت هذه اللقاءات هي أسعد أوقاتي حيث تجتمع زوجتي وأختي وأمي يتبادلن الحكايات والروايات والتقي بزوج أختي لنلعب الطاولة أو نتسامر ونتبادل الأخبار وألاعب ابنه البكر وابنته الوليدة وأسعد بذلك كثيرا.

ومضت بنا الحياة وترقبت أن تفاجئني زوجتي ذات يوم بالخبر السار، الذي انتظره منذ الشهور الأولي للزواج وهو خبر حملها، فتمضي الأيام ولا تبدو في الأفق أي بادرة تشير إليه، وبعد عام من الزواج ازداد قلق أمي، فاصطحبت زوجتي إلي أحد الأطباء وتم إجراء كل الفحوص اللازمة وانتهت إلي أنه ليس لديها ما يحول دون حملها وانجابها، وأنها طبيعية تماما، فاتجهت الظنون إلي، وتحرجت زوجتي من أن تحدثني في الأمر، فحدثتني عنه أمي وطلبت مني إجراء الفحوص الطبية للتأكد من قدرتي علي الانجاب واهتززت بعض الشيء حين سمعت ذلك وتساءلت: هل يمكن حقا أن أكون عقيما وأنا العاشق القديم لكل أطفال العائلة؟ وخفت بالفعل من مواجهة الاختبار وترددت عدة أسابيع ثم حزمت أمري وعرضت نفسي علي الأطباء فإذا بالفحوص تؤكد أنني سليم تماما

وقادر علي الانجاب.. فلماذا إذن لم نسعد بإنجاب الأطفال وقد مر علي الزواج أكثر من عامين وتعلقت بالأمل في أن تحمل زوجتي ذات يوم الخبر السعيد.

وعشت علي هذا الأمل، أؤدي عملي وأرعي أمي وزوجتي وأختي.. وافرغ حنيني للأطفال في طفلي اختي وأطفال الأسرة واهتم بعملي حتي نما واتسع والحمد لله، وأصبحت الحياة جميلة من كل النواحي، ماعدا هذه الناحية المفقودة وهي الإنجاب.

ويوما بعد يوم تعمقت العلاقة بيني وبين زوجتي حتي أصبحت تسري في دمي ولا استطيع الحياة بدونها، وأسعدني كثيرا حب أمي وأختي لها، وتمتعها بمكانة كبيرة لديهما، لطيبة قلبها وكرم أخلاقها وتدينها وحرصها علي مودة أهلي، لكن لعنة الله علي وساوس الشيطان، التي راحت تلح علي كل يوم بأن كل ذلك لا قيمة له بدون إنجاب الأطفال، وأنني مادمت سليما من الناحية الصحية وقادرا علي الإنجاب فلابد أن يكون العيب في زوجتي، ولابد أن تكون الفحوص التي أجرتها خاطئة أو ليست دقيقة، ولم تكن تجارب أطفال الأنابيب قد شاعت في ذلك الوقت، فأوعزت لزوجتي أن تعيد فحص نفسها، واكتأبت هي للطلب.. لإدراكها ما وراءه واستجابت لي وأجرت المزيد من الفحوص وتلقت العلاج بلا جدوي.

ووجدت نفسي قد تقدم بي العمر ولم أنجب بعد فبدأت وبالرغم من حبي الكبير لزوجتي أفكر في الزواج من أخري، بغرض الإنجاب. وسألت أهل العلم فقالوا إن الرغبة في الانجاب مبرر شرعي للزواج مرة أخري وفاتحت أمي في الأمر، فتمزقت بين رغبتها الدفينة في أن تري حفيدا لها من صلبي وبين إشفاقها علي مشاعر زوجتي التي تحبها وتشعر نحوها بالعطف، وفاتحت أختي وزوجها فأيدني ابن خالتي بلا تحفظ، وترددت أختي في الموافقة. حرصا علي مشاعر زوجتي وفضلت ألا تبدي أي رأي في المشكلة.

لكني كنت قد حزمت أمري ولم يعد يجدي التردد، فقد مضي علي زواجي تسع سنوات وليست هناك أي بادرة للحمل، وأصبحت المشكلة الرئيسية التي تواجهني هي كيف أفاتح زوجتي في رغبتي في الزواج من أخري بغير أن يؤثر ذلك علي حياتي معها أو أن يتأثر الحب الكبير الذي يجمعني بها وشغلني هذا الأمر أكثر من أي شيء آخر.

وكنت قد استقر رأيي علي الارتباط بسيدة مطلقة ولديها طفل عمره ثلاث سنوات، جاءت للعمل عندي قبل شهور، وهي سيدة من أسرة بسيطة وقد استشعرت لديها الاستعداد للارتباط بي مع استمرار زواجي الأول دون تأثر، كما أنها قادرة علي الانجاب بدليل انجابها لطفلها خلال زواجها الذي لم يطل أكثر من عام واحد، غير أنني لم أفاتحها في الأمر، انتظارا للحصول أولا علي إذن زوجتي..

وألحت علي الرغبة في الانجاب وحرت كيف أفاتح زوجتي، وكلما هممت بذلك نظرت إليها فوجدتها منكسرة وحزينة فأشفق من إيلامها، واستشرت زوج أختي فنصحني بأن اصطحب زوجتي في اجازة إلي أحد المصايف أو المشاتي وأن أمضي معها وقتا سعيدا وخلال رحلة العودة أفاتحها في الأمر وهي مازالت منتشية بذكريات الاجازة السعيدة، وفعلت ذلك بالفعل واصطحبت زوجتي إلي الفيوم وقضينا ثلاث ليال في منتهي السعادة وزرنا شلالات وادي الريان، وسواقي الفيوم القديمة وعين السيلين وسعدت زوجتي بالاجازة سعادة كبيرة وأنا أرقبها خفية وأشفق عليها مما ينتظرها.. وركبنا السيارة عائدين إلي القاهرة وأنا أتحين الفرصة لكي أفاتحها في الموضوع وأفكر في الكلمات التي أعبر بها عما أريد، وكنا قد قطعنا نصف الطريق حين غالبت ترددي والتفت إليها لأصارحها بما أريد، فإذا بي أراها وعلامات الامتعاض والمرض بادية علي وجهها وسألتها منزعجا عما بها.. فأشارت إلي أن أتوقف بالسيارة فوقفت علي جانب الطريق فإذا بها تفتح باب السيارة وتفرغ معدتها علي الأرض وتبدو في غاية الإرهاق والمعاناة وسألتها هل نرجع إلي الفيوم لعرضها علي أحد الأطباء أم نسرع إلي القاهرة ليراها طبيب الأسرة، فرغبت في العودة للقاهرة، وقدت السيارة مسرعا وقد طارت من رأسي كل الكلمات التي أعددتها لمفاتحتها في الأمر، وتركز خوفي في أن تكون وجبة الأسماك التي تناولناها قبل السفر فاسدة وسممت زوجتي، وأسرعت إلي طبيب العائلة في ميدان الدقي، ورويت له ما حدث. ففحص زوجتي فحصا دقيقا ثم ابتسم في وجهي وقال لي: مبروك، زوجتك حامل في أسابيعها الأولي.. يا سبحان الله العظيم.. حامل؟ وأنا الذي هممت باستئذانها في الزواج من أجل الإنجاب؟

وشكرت الطبيب بحرارة واصطحبت زوجتي إلي طبيب أمراض النساء، فأكد لنا بعد فحصها حملها وقال إن كل شيء طبيعي وإنها لا تحتاج إلي أي أدوية!

وهرولت إلي أمي وأسعدتها بالخبر فنصحتني بشراء عشرين كيلو جراما من اللحم وطهوها وتوزيعها علي الفقراء شكرا لله تعالي، وابلغت أختي في نفس اليوم أن زوجتي حامل وانني لم افاتحها في الأمر، ونفذت وصية أمي وقامت زوجتي وهي في قمة السعادة بطهو اللحم ووضعه مع الأرز في أرغفة الخبز، وحملت الكرتونة الكبيرة التي تحوي أرغفة الخبز واللحم ووزعتها بنفسي علي كل من قابلته في الطريق من البسطاء.. وحمدت الله كثيرا علي أنني لم أتسرع بالحديث إلي زوجتي في أمر زواجي، واستقر رأيي علي الاستغناء عن خدمات السيدة المطلقة التي تعمل معي تجنبا للاحتمالات فدفعت لها تعويضا مناسبا وأوصيت بها أحد المتعاملين معي كي تعمل عنده فوظفها بالفعل لديه.

ورحت أعد الأيام علي موعد الولادة، حتي جاء اليوم السعيد، وجاء إلي الوجود ابني البكر الذي لم أتردد في تسميته باسم ابي رحمة الله عليه وكأنما كانت قدرة زوجتي علي الانجاب مغلولة بالقيود وحين نزل الأمر الإلهي بفكها انطلقت بلا عقبات، فلم يمض عام آخر حتي أنجبت لي ابني الثاني، وشكرت ربي طويلا وقررت الاكتفاء بهاتين الهديتين اللتين هبطتا علي من السماء، لكن زوجتي كان لها شأن آخر، فلم يمض عام ثالث حتي كانت قد أنجبت طفلتي الجميلة الوحيدة وأصبح لدي ثلاثة أطفال خلال ثلاثة اعوام فقط.

وسبحانك ربي تهب الذكور لمن تشاء والاناث لمن تشاء وتجعل من تشاء عقيما.. وأنت القادر علي كل شيء.. تسع سنوات بلا أي بادرة للحمل دون وجود أية موانع.. ثم ثلاثة أطفال خلال ثلاث سنوات فقط لاغير.. فهل هناك دليل علي قدرة الله سبحانه وتعالي أكثر من ذلك؟!

لقد استقرت بي الحياة وأصبح أطفالي الثلاثة ينافسون أطفال أختي في إحداث الصخب والضجيج في بيت أمي في خلال لقاءاتنا المنتظمة، والحمد لله علي نعمته، فقد تفرغت للعمل.. وعشت هانيء البال لايشغلني سوي أسرتي وعملي فتقدم العمل واستقر ورسخت دعائمه والحمد لله ولو انني كنت قد تعجلت أمري وتزوجت من تلك السيدة المطلقة وتمزقت بينها وبين زوجتي لاضطربت حياتي، وتأثر عملي ولربما كنت لم أنجب من الزوجة الجديدة فطلقتها وجربت حظي مع ثالثة وربما رابعة، ومضيت في طريق الزواج والطلاق والمشكلات المترتبة علي ذلك.

وقد مضت سبع سنوات الآن علي تلك الاجازة السعيدة التي رتبتها لابلاغ زوجتي بنيتي في الزواج عليها، وقد صارحت زوجتي بكل شيء عنها بعد انجابها الطفل الثاني فصفحت عما حدث، ولعلك تتساءل عما دفعني بعد هذه السنوات لأن أروي لك قصتي، وأجيبك، بأنه قد حدث ما جعلني استعيد شريط الذكريات كله وأجدد الحمد والشكر لله العظيم أن حماني مما كنت علي وشك التورط فيه، فقد زارني منذ أيام صديقي التاجر الذي أوصيته بالسيدة المطلقة التي كانت تعمل عندي ووظفها لديه، ووجدته في أسوأ حال صحيا ونفسيا وماديا، وروي لي انه تزوج تلك السيدة بعد عملها لديه ببضعة شهور سرا وأنجب منها ولدا، واكتشفت زوجته الأولي الأمر فأصرت علي الطلاق منه وحرمته من ابنائه وشنت عليه حربا شعواء، واقامت ضده عدة قضايا كسبتها كلها وكلفته مبالغ مالية كبيرة أثرت بالسلب علي نشاطه التجاري، ولم ترحمه الزوجة الجديدة في محنته وضاعفت ضغطها عليه لإعلان زواجه بها وتأمين مستقبلها ومستقبل ابنه منها، حتي ضاق بكل شيء وطلقها واراد الرجوع إلي زوجته الأولي، ووسط لديها كثيرين فأبت عودته إلي بيت الزوجية إلا اذا كتب كل ما يملك باسمها واسماء أبنائه منها، لتحرم ابنه من الأخري، وهو حائر ومتخبط ولايدري ماذا يفعل لينقذ عمله من الافلاس وحياته وابناءه من الضياع والاضطراب، وقد نصحته بأن يتوصل مع زوجته الأولي إلي حل وسط فيكتب بعض ما يملك باسماء ابنائه ويتعهد لزوجته في قسيمة الزواج الجديدة بألا يتزوج عليها مرة أخري، وغادرني وأنا أحمد الله سبحانه وتعالي أن حماني من كل ذلك وجنبني المشكلات والاضطرابات العائلية والمادية، وأوجه رسالتي إلي كل شاب تأخر حمل زوجته ألا يتسرع في الحكم عليها وألا يتعجل الانفصال عنها أو الزواج عليها، وأن يصبر علي ظروفه إلي أن يأذن الله له بالانجاب أو يقضي في أمره بما فيه خيره وسعادته بإذن الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:**

من سعادة المرء أن يكون ما اختاره له الله سبحانه وتعالي، أفضل كثيرا مما اختاره هو لنفسه، وأن يرضي بحسن اختيار الله له وإلا يعدل به شيئا.. وقصتك الفريدة هذه خير دليل علي ذلك. فقد كان اختيار الله سبحانه وتعالي لك أفضل مما كنت قد فكرت فيه ودبرت أمره، ولو لم تكن ابنا بارا بأمك وأخا عادلا رحيما لأختك، لربما كانت السماء قد تركتك لما اخترته لنفسك، وشهدت عن قرب آثاره ونتائجه الوخيمة، علي حياة صديقك التاجر العائلية وعلي عمله التجاري.. فكأنما قد أراد الله سبحانه وتعالي أن يطلعك عمليا علي ما كنت تقود نفسك وحياتك إليه، وأنت تسمع شكوي هذا الصديق مما حدث له، أو كأنما أراد الله سبحانه وتعالي أن يقول لك من جديد إنه أرحم بعبده من نفسه التي تقوده أحيانا إلي المهالك بتطلعها إلي المفقود وتعجلها المنشود، وفي هذا الشأن قال لنا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ما معناه، ان كل دعاء المؤمن مستجاب بأمر الله ما لم يعجل.. قيل له وكيف يعجل؟.

قال ما معناه: يقول قد دعوت ودعوت ودعوت ولم يستجب لي، فيكف عن الدعاء.

وأنت صبرت تسع سنوات علي الحرمان من الانجاب، ولم تتعجل الزواج من أخري، ولم تفكر في الانفصال عن زوجتك.. فكان حقا علي الله سبحانه وتعالي أن يجنبك الاضطرابات العائلية، بل انه سبحانه وتعالي، قد ترفق بك أكثر فأرسل إليك إشارة البشري بالحمل قبل أن تتورط في مفاتحة زوجتك في أمر زواجك خلال رحلة العودة، لكيلا تفسد عليها فرحة الحمل الصافية من الأكدار، ولو أنك كنت قد تسرعت في مصارحتها لتكدرت فرحتها بحملها بعد طول الترقب والانتظار بتفكيرك في الزواج من غيرها.. ولتأثرت علاقتك بها ولو لفترة مؤقتة، ولاهتزت ثقتها في حبك الكبير لها، أما نعمته الجليلة عليك فقد تمثلت في أن حماك ربك من المضي علي طريق الزواج والطلاق والاضطراب العائلي الذي كاد يعصف بتجارة صديقك التاجر، وقد كنت حكيما حين أبعدتها عن عملك وحياتك بعد أن تلقيت اشارة السماء بالاستجابة لدعائك لربك بأن ينعم عليك بالانجاب، وكان إبعادها من

مجال البصر والتعامل اليومي معا ضروريا بالفعل، بعد أن فكرت فيها بالفعل كأنثي وأردت الارتباط بها، إذ لم يكن من المستبعد أن تتجدد الرغبة فيها في أية مرحلة.. أو أن تسعي هي بعد أن استشعرت بطريقة أو بأخري رغبتك فيها، لإغرائك بالارتباط بها في السر أو في العلن، كما فعلت مع صديقك، فأخذت بالأحوط واستهديت بالحكمة القديمة التي تقول: خير لك ألا تبدأ ولاتعرف كيف تنتهي، فنجوت من كل ما يكابده الآن صديقك التاجر الذي بدأ ولم يعرف كيف ينتهي..

ولعل ما حدث لك يذكرنا من جديد بالحديث الشريف الذي يقول لنا في مضمونه أن كل أمر المؤمن خير، إن نالته سراء شكر فكان خيرا له، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له.

لقد صبرت علي الحرمان من الانجاب.. وشكرت الله علي نعمته، فكان خيرا لك بإذن الله، وإني لأشاركك الدعوة المخلصة في ألا يتعجل من يواجهون نفس ما واجهته أنت من ظروف في السنوات الأولي من زواجك، التفكير في الانفصال عن زوجاتهم، أو في الزواج من أخري مع ما يترتب علي ذلك من اضطرابات عائلية، لأن رحمة الله التي وسعت كل شيء قد تهبط عليهم في أية لحظة، فتتحقق الآمال ويسعد المحرومون بما كانوا يتلهفون عليه، وهو جل في علاه قادر علي كل شيء ويخلق ما لا تعلمون وفي أي وقت يشاء سبحانه وتعالي.

===

الغـــربـــة

لا أدري ما جعلني أفكر في الكتابة اليك.. عندما أنظر لحالي.. أراني أحيانا أتعس الناس، وأحيانا أراني في نعم لا أحسن شكرها.

إليك سيدي.. أنا شاب في عشرينات العمر.. يقولون إن تلك المرحلة هي أجمل سني الحياة، وقد التمست كل السبل لأفهم ما الذي يجعلها أجمل المراحل فلم أدر.

عشت طفولة سعيدة ملؤها حنان أمي وعطف أبي، واعتدت منذ صغري النزاهة في كل شيء واختيار أدق تفاصيل حياتي، ولأنني من أحد الأقاليم البعيدة عن العاصمة فقد كانت طفولتي هادئة جميلة، وكانت أقصي مشكلة يمكن أن أواجهها عندما أتغيب خارج المنزل فيقلق والدي علي ويوبخني لذلك.

مرت الأيام والسنون وكبرت وصار لي الحق في الخروج والتأخر كيفما شئت دونما مساءلة، وعلي عكس أخي الكبير فقد كنت مرحا بطبيعتي واستطعت أن أكون صداقات ومعارف، وكنت محبوبا من كل من يعرفني وكان الجميع يتنبأ لي بمستقبل باهر.

وهكذا سارت الأيام رتيبة إلي أن جاء ذلك اليوم الذي تعلن فيه نتائج الثانوية العامة، فقد حصلت والحمد لله علي مجموع كبير جدا حتي إنه قارب المائة بالمائة، وهكذا قررت الالتحاق بتلك الكلية العريقة، ومن ثم السفر الي القاهرة وترك بلدي البعيدة الهادئة.

لم يكن عندي شك في أن مستقبلي سيكون باهرا، وكيف لا فأنا لاعب كرة قدم موهوب، كما أنني طالب بإحدي كليات القمة، ومن ثم فلن يخرج مستقبلي عن هذين الاطارين.

انتظرت حتي ذلك اليوم الذي غادرت فيه بلدتي الهادئة وحياتي القديمة وسط دموع أمي التي ودعتني بحنانها المعهود، وجاء أبي ليشيعني الي الحافلة التي ستحملني الي العالم الجديد علي حد اعتقادي.

سيدي لقد كانت تلك هي نهاية حياتي.. بالطبع لا أعني أنني مت وانقلبت بي الحافلة أو شيء من هذا القبيل، ولكن كانت تلك اللحظة هي بالفعل نهاية حياتي الجميلة الهادئة لتبدأ مرحلة أخري، ما أقساها علي.

لقد غادرت الي القاهرة وهناك وجدت حياة مختلفة تماما، وحينها أدركت قيمة النعمة التي كنت فيها، وعرفت ان بلدي التي كنت أمل منها هي أجمل بلاد الدنيا، وأن هؤلاء الناس الذين عرفتهم هم أطيب الناس علي الإطلاق.

عشت في القاهرة طوال سنوات الدراسة، وهناك قدر لي أن أري نوعيات مختلفة من البشر، واعتدت علي التلوث الذي لم أكن أعهده في بلدتي الجميلة، وأنا لا أعني فقط تلوث المكان فقد عرفت كل أنواع التلوث حتي التلوث الأخلاقي، ومع ذلك فقد كنت والحمد لله ثابتا متمسكا بأخلاقي ومبادئي، ولم أتأثر بكل ما يحيطني من انحلال، ولم أدخن كما فعل أغلب زملائي بمجرد أن ابتعدوا عن أعين والديهم.

كونت صداقات كثيرة والحمد لله بفضل طبيعتي الاجتماعية.. ولم يكن قط يشغلني حينها أن أجد فتاة لأشاركها مشاعري كما يفعلون، فقد كنت أعلم تماما أن كل ما أراه حولي من علاقات ما هي إلا مشاعر عابرة سرعان ما تتحطم علي أول صخرة من المواقف الصعبة الحقيقية.

وللحقيقة فأنا أعلم تماما أن لي طبيعة طيبة ـ ولله الحمد ـ سرعان ما تنفذ في قلوب كل من يعرفها لذا فقد كنت علي يقين أن هناك عيونا كثيرة تراقبني وترغب لو شاركتني مشاعري، لكنني لم أعر ذلك أي اهتمام، ولم أفكر قط في أي علاقة من هذا النوع ولو علي سبيل التسلية.

عرفت في تلك المرحلة أشياء كثيرة.. عرفت المعني الحقيقي لأن تكون انسانا متحجرا بلا قلب.. كنت أعيش لا أدري لماذا؟ ولن أخدعك وأقول ان المذاكرة شغلتني.. لا، فقد كانت أيام الدراسة كلها مرحا ولعب كورة الي جانب قليل من المذاكرة، وأيام الإجازات شغلا، وبالطبع فقد كنت أسافر لأماكن بعيدة بحثا عن عمل صيفي أشغل به اجازاتي.. ومع اني والحمد لله من أسرة ميسورة الحال لكن قوانيننا تفرض عدم المكوث بالمنزل أيام الإجازات..

كنت أقضي شهورا طويلة دون أن أري أمي.. وصدقني سيدي لم يتعبني شيء في حياتي أكثر من ذلك.. لقد آلمني ذلك كثيرا، بل انني عندما كنت أعود للبيت أشعر بأنني في غربة.. فقد كبر أخوتي الصغار، وصار لكل منهم مكانه.. فهذا يجلس علي مكتبي الذي طالما لازمني في مذاكرتي.. وتلك احتلت سريري، وكنت لذلك لا أطيل المكوث في المنزل.. حتي الايام التي آتي فيها الي البيت لأنعم بحضن أمي كنت أقضيها خارج المنزل مع أصحابي القدامي.. لا أقصد البيت الا عند النوم فقط.

وهكذا انتهت اجازتي التي لم استمتع بيوم واحد فيها، ولم أشعر أصلا بأنها إجازة.. وعدت الي القاهرة لأنتظم في السنة الأخيرة بالجامعة.. كانت سنة ما أثقلها علي قلبي.. مكثت ليالي أفكر لم أعيش؟ وما هو الهدف من تلك الحياة الجافة... ربي انا علي يقين أن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لك يارب العالمين.. لكني مللت من تلك الحياة الجافة أريد شيئا من الحنان.

لقد سئمت تلك الحياة وأعياني ذلك ولم أعد ذلك الشاب الوسيم المتميز بين أقرانه.. صرت أطلق لحيتي لا أدري هل كان هذا ضربا من الورع، أم لأنني ما كنت آبه لنفسي؟.. فكرت كثيرا أن أترك الجامعة وأعود للمنزل حيث أمتهن أي شيء أعيش منه، وأكون بجوار والدتي، لكني أدركت أن ذلك أمر من الحماقة، كنت أعزي نفسي وأقول ما هو إلا عام وبعدها سأتخرج وأعمل وهناك لن أشعر بتلك الوحدة.. لكن هيهات.

صرت أحسد من حولي من أصدقائي علي تلك العلاقات الطائشة التي يعيشونها، ويخيل اليهم أنها ستكلل بالنهاية السعيدة، ولكني كنت أوقن انها لتمضية الوقت ليس إلا.. لكن كنت أحسدهم فهم علي الأقل يجدون من يشاركهم مشاعرهم.. كان بإمكاني الدخول في علاقات كثيرة لكني لم أخرج عن مبادئي فهذا الأمر مرفوض تماما بالنسبة لي..

كان لدي اعتقاد قوي.. هو أنني عندما أقع في الحب الحقيقي فلن أبحث عنه وإنما هو من سيجد طريقه إلي.. لا أخفيك سرا لقد أخفق قلبي لرؤيتها وبدأت أتابعها من بعيد.. لقد أدركت من الوهلة الأولي أنها من أبحث عنها أو تبحث عني قل ما شئت.

لقد كانت فتاة هادئة.. مهذبة.. جميلة.. متدينة.. ولا أريد أكثر من ذلك.. وأهم من ذلك كله أنها كانت مختلفة تماما عن هؤلاء الفتيات، فقد كانت عاقلة رزينة.. لم تكن خفيفة كمعظم البنات.

لم أكن أعرفها ولم يكن لي من سبيل اليها.. حاولت كثيرا التعرف عليها، ولكن باءت كل المحاولات بالفشل، فقد كنت أتراجع وأخجل بمجرد القرب منها، وقلت لنفسي لا تتعب نفسك فكل شيء مقدر ومكتوب.. أوشكت السنة الأخيرة علي الانتهاء وبقي أقل من اسبوع وهنا أيقنت انني لابد أن أنساها فلن يجدي ذلك، ولو استمررت في تعلقي بها لن أزداد إلا جرحا وهما.

لقد تعرفت اليها سيدي في تلك الأيام القليلة ولا أعرف كيف تم ذلك.. تحدثت اليها وكأني أعرفها من الآف السنين، وحدثتني بنفس الإحساس، فشعرت لو أنها تعرفني منذ زمن بعيد.. لقد كان كلانا يشبه الآخر تماما حتي وجدنا بيننا مفارقات لا متسع لذكرها.

وفي آخر يوم لنا بالجامعة قدر لنا أن نغادر معا، فقد كنا نسلك نفس طريق العودة.ظللت طوال الوقت أفكر في أن أعترف لها بمشاعري لكني لم استطع، وأخيرا جاء مفترق الطرق وعندما تفرقنا بكيت بشكل هيستيري.. لا أعرف ما الذي فعلته، لقد كانت فرصتي الأخيرة للاعتراف لكني لم أفعل.. عندها تذكرت ما كان يطمئنني دائما، تذكرت ان كل شيء مقدر ولو اراد الله لي أن أراها ثانية فلن يمنعني شيء ولو وقفت الدنيا أمامي.

وسبحان الله فقد قدر لنا أن نلتقي مرات عديدة، وكنت في كل مرة أشعر بقلبها يقول لي تكلم.. حتي جاء ذلك اليوم ووجدت نفسي أقول لها.. أنا أحبك.. لقد سكتت طويلا فلابد أن الكلام أخجلها وأربكها.. وبعد دهور من الصمت استطردت قائلة، أعرف اني كنت من الجبن ان اقولها لكن الان لم أعد احتمل كتمانها، ولا أعرف كيف قلتها.. فردت: لا أعرف ما أقوله لك.. فقلت لا تقولي شيئا فقط اصمتي.. فتساءلت: وبعدين؟ قلت لها ان كنت ترينني شخصا مناسبا لك فساعديني حتي أصبح جاهزا ونتزوج بإذن الله.

سيدي لقد كانت طوق النجاة الذي أنقذني من الغرق، صارت الحياة لها معني.. أحببتها بكل ما تحمل الكلمة من معني.. ولأننا أردنا لحبنا أن يخرج الي النور فقد أخبرنا أمهاتنا واتفقنا علي الخطوط العريضة للأمور.

قد تتعجب سيدي إذا أخبرتك أنها علاقة من نوع خاص مختلف تماما، فنحن لا نلتقي الا نادرا ويكون بعلم أهلينا ولا نتحادث هاتفيا كما معظم الشباب اليوم.. إنني أثق فيها تماما كما أثق في نفسي وهي كذلك.

انها تعني الكثير بالنسبة لي خاصة وقد سافر ابي الي الخارج واصطحب معه أمي. فقد اصبحت هي ذلك الجانب الرقيق في حياتي.. انها أمي الأخري.

سيدي لقد تخرجت واصطدمت بالواقع المرير..فلا فرص عمل مناسبة لي، وبالتالي انا عاجز عن اتخاذ أي خطوات في سبيل تحقيق حلمي بالزواج منها.. ونظرا لأن العمل في مجال دراستي يقتصر علي القليلين من أبناء الصفوة ويعتمد بشكل كبير علي الوساطة والمحسوبية فقد مللت البحث وأعياني ذلك.

تنقلت للعمل في عدة أماكن كلها قطاع خاص ولا تمت لمجال دراستي بصلة، وكل مكان يكون أسوأ من الذي يسبقه.. استغلال من اصحاب العمل ولا مقابل مادي معقول.. إنني أتعجب.. أتذكر ذلك اليوم عندما كنت افتخر

بمجموعي في الثانوية العامة والذي يقارب١٠٠% لكن هل هذه هي النهاية؟ لا أجد حتي فرصة للحصول علي منصب محترم أثبت فيه كفاءتي.

لا أدري من ألوم؟ هل ألوم نفسي علي أني اخترت دراسة ذلك المجال الذي أحبه والذي تندر فرص العمل فيه؟.. أم ألوم ذلك الواقع الذي نعيشه.. أم تلك الحياة التي نحياها؟؟

أنا الآن بين نارين.. لو اني فكرت المضي للبحث عن عمل في نفس المجال الذي أحببته ودرسته، فبالطبع لن أهدر من عمري أقل من خمس سنوات علي الأقل لأضع قدمي في الطريق الصحيح، وعندها لا أظن أني سأحظي بذلك القلب الذي أحببته، ووجدت سعادتي معه.. ولو أنني مضيت قدما في اتباع حبي سأركز فقط في الحصول علي المال اللازم لتهيئة نفسي للزواج، وسأمتهن مجالات أراها دونية بالنسبة لي، ومن ثم فقد ذهبت هباء تلك السنون التي قضيتها في دراسة حقل لن أعمل فيه أبدا.

سيدي لو خيرت بين هذين الأمرين.. بالطبع سأختار الحب فسعادتي ومستقبلي مع من أحب.. حتي لو ابتعدت عن ذلك المجال الذي تمنيت العمل فيه.. ولكن للأسف حتي العمل في المجالات الأخري لا يسمن من جوع.

سيدي إن الوضع العام لمجمل الشباب في مصر يرثي له.. انني أري الحسرة والضياع في عيون كل زملائي في تلك المهن التي أتنقل بينها من يوم لآخر.. لا أدري لماذا صارت سنوات الشباب أسوأ سنوات العمر.

علمت الكهول يقولون ليت الشباب يعود يوما.. لكني أقول ليتني شبت الان فلم تعد الحياة تطاق.. كل ما أخشاه أن أفقد ذلك القلب الذي أحببته واطمأننت اليه بسبب سخافات ذلك الزمن المادي الذي نحياه.. فعندها ـ لا قدر الله ـ ستدمر حياتي وسأفضل الموت علي العيش في زمن أعجز فيه عن تحقيق أبسط أحلامي وهو الزواج ممن أحب.

رحم الله عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين.. ملأ الدنيا عدلا حتي جاءوه يوما بالزكاة فقال انفقوها علي الفقراء والمساكين فقالوا ما عاد في أمة الإسلام فقراء ولا مساكين، قال فجهزوا بها الجيوش، قالوا جيش الإسلام يجوب الدنيا، قال فزوجوا بها الشباب، فقالوا من كان يريد الزواج زوج، وبقي مال فقال اقضوا الديون علي المدينين، قضوه وبقي المال، فقال انظروا في أهل الكتاب من كان عليه دين فسددوا عنه ففعلوا وبقي المال، فقال اعطوا أهل العلم فأعطوهم وبقي مال، فقال اشتروا به حبا وانثروه علي رؤوس الجبال، لتأكل الطير من خير المسلمين.

> سيدي.. لا أعرف لماذا زارك الإحباط واليأس مبكرا..

ليس فقط بعد تخرجك، ولكنه بدأ منذ اصطدامك بواقع المدينة الكبيرة، بقيمها وأخلاقياتها المختلفة تماما عما عشته في قريتك الدافئة.

نعم المدن الكبيرة تكون قاسية، بلا قلب، خاصة لمن لم يخبرها، ولكن مثلك ليس أمامه إلا التعامل والتصالح معها مستندا الي ما رسخته القرية وعائلتك الطيبة في سني عمرك الأولي.. وهذا ما حدث عندما صنت نفسك من الانحراف أو الانجراف مثل زملائك، ولكن ما استوقفني هو رفضك لقانون المدينة القاسي وانفصالك ـ في نفس الوقت ـ عن واقعك الذي نشأت فيه وأحببته، ووقعت في دائرة الإحساس الدائم بالغربة.

الحب يغير الانسان ويجعل لحياته هدفا ومعني، لذا عدت إلي نفسك بعد أن تعددت اسئلتك عن جدوي وجودك واهمالك لذاتك دون مبرر واضح، هل لم تكن متفوقا في الجامعة كما كنت في الثانوية العامة؟

ما دفعني الي هذا السؤال أنك ترتكن دائما الي المرحلة الثانوية وتفوقك بها دون أي إشارة الي درجاتك العلمية في الجامعة.

سيدي.. تضع نفسك بين خيارين لا ثالث لهما، وفي الحياة خيارات لا تكون بين شيئين فقط وإلا لفشل الكثيرون وجلسوا في بيوتهم.

لم تقل لي في رسالتك ـ رائعة الاسلوب ـ ما هو مؤهلك، أي ما هي كلية القمة التي تخرجت فيها، فلربما أمكنني مساعدتك في توفير فرصة عمل، وإن كان هذا صعبا الان في ظل الظروف الصعبة التي تعيشها مصر وترتفع فيها نسب البطالة بين الشباب.. هذا الشباب الذي يرثي له منذ زمن وليس الآن فقط. فهل في مثل هذه الظروف القاسية علينا أن نستسلم إذا لم نعمل ما نحب وما نستحق وما نحن مؤهلون له؟

لا ياسيدي.. العالم كله يعاني فيه الشباب الآن من البطالة، والمحب الناجح مثلك عليه ان يحب ما يعمل الان حتي لو كان لا يليق به، فوجود فرصة عمل أيا كانت أفضل من المكوث في البيت، أعمل حتي تحافظ علي من تحب وبوجودها بجوارك ستعمل ما تحب في المستقبل.

النجاح لا يأتي إلا بالإصرار، وسيأتي يوم تتذكر فيه مع زوجتك وأبنائك هذا الكفاح، وثق بأن الله لا يضيع من أحسن عملا، وأن قدرك سيأتي اليك.

استفز في نفسك القوي الايجابية ولا تسلمها للإحباط واليأس، فالقوي السلبية لا تؤدي الا الي الفشل، فتذكر نجاحك في صغرك واستمد منه صلابتك في مواجهة قسوة الحياة التي لا تخصك وحدك بقسوتها، فالإنسان ياصديقي خلق في كبد، وليس لنا خيار الا ان نحياها،وبالإيمان والرضا والاصرار نحياها بسعادة ونجاح بالقدر الذي نسعي اليه وكتبه الله لنا. ولا تجعل انتظارك يطول فلم يكن في التاريخ البعيد والقريب الا عمر بن عبد العزيز واحد!

==

العيون الساهرة

أنا سيدة فى الخامسة والثلاثين من عمرى، اعمل فى مركز مرموق، وعلى درجة عالية من التعليم، بدأت حكايتى عندما تقدم لى شاب طالبا يدى، وقال والدموع تتساقط من عينيه إنه تزوج من فتاة تصور أنه سيحيا معها حياة هادئة ومستقرةفإذا بها تذيقه كل ألوان الجحيم، ولم يجد مفرا من تطليقها، فأخذت الطفلين، واستولت على الشقة، وسعت الى إذلاله لكنه تحمل غدرها، ولم يدخر جهدا لإسعاد ابنيه التوأم برغم أحواله المادية الصعبة، فتأثرت بكلماته ورق له قلبى، وتصورت أنه مرهف الحس، خصوصا عندما لاحظت اهتمامه بأداء الصلوات فى المسجد، فأبديت موافقتى على الارتباط به، ولم أتوقف عند المسائل المادية، وقبلت بتأجير شقة صغيرة ومتواضعة لتكون بيتنا الجديد، وبهدية بسيطة بديلة للشبكة التى لم يستطع شراءها حسب قوله، ولم يقدم لى مهرا مثل كل البنات ورضيت بمساهمته القليلة فى شراء الأثاث، وبعض ما استطاع الحصول عليه من مطلقته حسب زعمه، وبرغم ذلك حاول أن يسجل فى قسيمة الزواج أنه قدم لى مهرا فرفضت لكنى لم أتنبه إلى ما كان يضمره لى فيما بعد، ولا أدرى ما الذى دفعنى إلى الموافقة عليه دون أن أمنح نفسى الفرصة الكافية للسؤال عنه، وعن الأسباب الحقيقية لطلاق زوجته، وما هى إلا أيام بعد انتقالى الى عش الزوجية حتى تكشفت لى جوانب عديدة مما أخفاه عنى، ومنها أن مطلقته هى التى خلعته بعد شهرين من الزواج، وان الأثاث الذى يتحدث عنه لا يخصه، وإنما استولى عليه منها، وأنه يرتبط بأمه ارتباطا مرضيا، إذ تدفعه إلى قضاء معظم الأيام معها، والمبيت عندها، ويتركنى وحدى، وإذا اصطحبنى معه يبيت إلى جوارها على السرير نفسه، بينما أنا فى حجرة أخرى.. حدث هذا ولم يكن قد مضى على زواجنا سوى أسبوعين، وهنا تأكدت من ارتباطه المرضى بأمه، وأنه كان يريد كتابة مهر فى عقد الزواج لكى يسترده إذا خلعته، وادعى الفقر برغم أنه ميسور الحال لتبرير بخله الشديد الذى اتضح بصورة فجة بعد رحيل أبيه، حيث ورث عنه مبلغا كبيرا من المال فاشترى لنفسه سيارة فارهة وأمه لديها سيارة مماثلة، بينما لم يشتر لى شيئا، وهنا فكرت فى الانفصال عنه، ثم تراجعت بعد أن أصبحت حاملا، وللأسف تمادى فى إهمالى، ولم يعبأ بما تعرضت له من آلام ومتاعب صحية لدرجة أنه رفض الذهاب معى إلى الطبيب، وعندما انخرطت فى بكاء مرير ذهب إلى أمه، فاتصلت بها شاكية مما فعله بى فأغلقت الهاتف فى وجهىومرت الأيام ووضعت طفلتى، وطلبت منه شراء ملابس لها، فنظر إلىّ باستغراب ثم اتصل بأمه قائلا لها أمامى «مراتى عايزة منى فلوس علشان البنت..خلصينى يا ماما»، ولم أصدق أن رجلا مسئولا عن أسرة وزوجة وطفلة صغيرة يفعل ذلك ولم أتخيل يوما اننى سأتزوج طفلا كبيرا مدللا لهذه الدرجة، ولا أدرى كيف سمحت هذه السيدة لنفسها باللعب ببنات الناس، وتعتبرهن حقل تجارب لإبنها فتزوجه من تشاء، وتطلقه ممن تشاء، وتدمر أحلامهن فى الاستقرار وتسقيهن كئوس المرارة بالطلاق بلا ذنب ولا جريرة، ومع تماديه فى الأنانية المفرطة والقسوة التى لا حدود لها من عنف وضرب وإهانة ذهبت الى طبيبة نفسية، وشرحت لها حالته، فقالت: ان تصرفاته ناتجة عن اضطراب فى شخصيته وسيطرة أمه عليه، والغريب أنها استاذة وطبيبة بإحدى الجامعات الخاصة، ولكن عملها ووضعها الاجتماعى لم يمنعاها من أن تسلك هذا السلوك الغريب مع زوجة ابنها، وكأنها تريد تطليق كل من ترتبط به لكى تصبح مطلقة مثلها، وهذه حقيقة جديدة أخفاها عنى وقد مرضت وكان يبيت وقتها عند والدته كعادته، ورجوته المجيء لعرضها على الطبيب، فإذا به يقول لى ببرود شديد «اذهبي بها إلى مستشفى الطوارئ» وسوف أتصل بك فى الصباح الباكر للاطمئنان عليها، فحملت الطفلة والدموع تنساب من عينى ورآني أقاربه وحدى على هذه الحال فكان تعليقهم بأن هذا التصرف ليس جديدا عليه، فلقد سبق أن ترك زوجته وتبين أن ابنتي تعانى صعوبة فى الكلام، الأولى، وهى تعانى آلام الإجهاض المبرحة، قبل أن يطلقها وهى حامل فاتخذت والدته هذا السبب ذريعة للانسحاب من حياتى، ولا أدرى ما ذنبى فى أمر قدره الله، وليتهما اقتصرا على ذلك، فلقد تماديا فى إيذائي، والاستيلاء على أشيائي، ورفضا إعطائي مستحقاتى التى كنت فى أشد الحاجة إليها لعلاج ابنتي، وحتى كارنيه العلاج التأمينى الحاصل عليه من عمله لم يعطه لى، ولجأت إلى وسطاء من الأقارب والمعارف للحصول على جزء من مستحقاتى ولو على مؤخر الصداق، فإذا بمطلقى وأمه يلفقان لى تهمة «قذف وسب»، وكادا أن يتسببا فى إيذائى لولا رحمة ربى، فحصلت على البراءة، ولأنه سبحانه وتعالى ليس بظلام للعبيد، فلقد أراد أن تتجرع والدته نفس كأس المرارة الذى أعدته لى، فتم الاستغناء عنها فى عملها، وفقدت راتبها ولم تمنعه هذه الإشارات الإلهية لمثوى الظالمين من الاستمرار فى غيه، الذى يقارب ثلاثين ألف جنيه شهرياً فحاول تلفيق قضية أخرى ضدي لكى يستولى على ابنتى، ولا يدفع المبلغ الزهيد الذى تحصل عليه منه عن طريق المحكمة، وفوق كل ذلك أصبحت فريسة لمن حولى بدءاً من بواب العمارة الذى يسرقنى بالمغالاة فى كل مايشتريه لى، إلى المحامى الذى يستنزفنى ماديا، ويخلى مسئوليته عن أى فشل فى مهمته.. أيضا رغبت فى تعلم قيادة السيارات، ولم أجد مدرسة لتعليم القيادة توافق على اصطحاب إبنتى معى، ولذلك لجأت الى سائق تاكسى، وبعد حصتين وجدته طامعا فىّ شخصياً، فانسحبت مستعوضة ربى فيما حصل عليه من نقود!، وحتى المنجد سرقنى عندما لجأت إليه لإصلاح ماتلف من أثاثى فى تنقلاتى بين شقق الإيجار الجديد، وأيضا المدرسة التى أردت أن ألحق ابنتى بها قاسيت الأمرين لكى تقبلها دون حضور أبيها الذى أغلق هاتفه، ولم يفكر ولو فى تلبية طلب ابنته بأن تراه.. هل تتصور ياسيدى أنه عندما اتصلت به وقالت له «عايزة أشوفك يابابا» رد عليها «لما تحبى تشوفينى خلّى ماما تكلم المحامى»! هل يعقل أن يصل الأمر بأى أب إلى هذا الحد فى معاملته لطفلته التى لم يتعد عمرها خمس سنوات؟!وماحدث معى تكرر مع أختى لسوء اختيارها هى الأخرى بمن ارتبطت به، أو قل

لأنها كانت مطمعا له، فهى طيبة وحسنة النية، ولم تتوقع أن تقع فى الزواج من شخص لا أجد من الكلمات مايصفه، ويكفى أن أقول لك إنها عندما اكتشفت بخله وعنفه وشذوذه طالبته بأن يطلقها بإحسان، وكل ما أرادته منه مسكنا لإبنتهما الرضيعة، فادعى موافقته على طلبها، وانتهز فرصة زيارتها لى، واستولى على جميع ماتملك، واستبدل بابا مصفحا بباب الشقة العادى، ورفض أن يعطيها شيئا، وحتى ملابسها التى اشترتها من الخارج عندما كانت تعمل فى إحدى الدول العربية حرمها منها!.. وتخيل حالة سيدة لم تكمل الثلاثين من عمرها ولا تعمل وبلا أم ولا أب ولديها طفلة وليس لها مأوى، وكل ذنبها أنها ترغب فى بناء أسرة صغيرة، وأن تحمل لقب أم، فالإحساس بالوحدة قاس، وهو نفس الشعور الذى لازمنى بعد وفاة والدتى وكان سببا فى زيجتى الفاشلة، ولقيت أختى المصير نفسهوهكذا تجمعنا ــ أنا وأختى ــ ومعنا الطفلتان، وتحملنا فوق طاقتنا بلا معين، ولا أعرف من أين أتى مطلقها ومطلقى بهذه القسوة، ولا كيف استحلا أموالنا وأعراضنا.. لقد فتشنا عن حلول كثيرة، فلم نجد ملجأ إلا الله، واستعنا بالصبر والصلاة وقلنا لنفسينا «لنتاجر مع الله، ودعوناه أن يؤتينا من فضله، فإذا بالأمور تنقلب تماما، وانفرج كربنا إلى حد كبيرفزاد فرارنا إلى القرآن الكريم، وسألناه عز وجل أن يرزقنا قلبين سليمين، لا يتأثران بالآلام مهما تبلغ قسوتها، فاستجاب لدعائنا وقوانا بسند من عنده، وهانحن نشعر بالسعادة ونحن نستمع الى الدروس الدينية التى تعيننا على استكمال حياتنا والتقدم إلى الأمام، وتكفينا الابتسامة التى ترتسم على شفاه ابنتينا. وهاهى الأزمة توشك أن تنفرج تماما، وأجدنى قد استعدت صحتى، وعاودت هوايتى المفضلة كفنانة تشكيلية، واستأنفت مشروعى الذى طالما حلمت به، فلقد كان مطلقى يكسر لوحاتى. ويمنعنى من إشباع هوايتى، والسعى لإقامة معرض كبير لأعمالىوأقول لكل مكروب «كن على ثقة شديدة بالله، فلا مانع لما أعطى، ولا معطى لما منع، وقل «اللهم دبر لى أمرى، فإنى لا أحسن التدبير» وإذا شعرت بأنك لا تقوى على تحمل الابتلاءات قل «اللهم إنى أعوذ بك من جهد البلاء»»، فما جعلنى اصطبر على حالى، وإحساسى الشديد بالظلم والقهر قول الله تعالى فى سورة الأنبياء «اقترب للناس حسابهم، وهم فى غفلة معرضون» فأقول لنفسى «هانت» فالحساب قريب، وحقوقى محفوظة عند رب العبادوالآن استحضرت ذاكرتى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعظم الدعاء إجابة، دعاء غائب لغائب»»، فأوصيك وقراءك بالدعاء لى ولأختى ولكل من يتعرض للقهر، فالإحساس بالظلم كالنار المتقدة لا يوصف، ومن هنا جاء وعد الله للمظلوم بإجابة دعائه.. وجزاكم الله خيرا

===

العين الزائغة

أنا سيدة في الثلاثين من عمري. جامعية وعلي قدر من الجمال وخفة الظل كما أنني أيضا علي قدر كبير من الاستقلالية في شخصيتي وأسلوبي في معالجة مشكلاتي. وأنا الابنة الوسطي لأسرة تتكون من أب في منصب كبير وأم علي قدر جيد من التعليم وعده أخوة يشغلون كلهم مراكز مرموقة وقد تعرفت خلال عملي علي زوجي وأحببته واعترض عليه كل أفراد أسرتي للفارق الاجتماعي بين الاسرتين. ولكني أصررت علي الارتباط به. وبذل زوجي كل مايستطع ليرفع من مستوي التجهيزات اللازمة للفرح والاثاث، كما لم يبالغ ابي أو أمي في طلباتهما المادية منه بعدما أحسا بإصراري عليه. ولقد عاهدت نفسي أن أعيش حياة أسرية أقرب ماتكون للمثالية وأن أحترم نفسي وألا أدع ايه فرصة لزوجي لكي يهينني أبدا وذلك عن طريق حفظ لساني في الخلافات العائلية ومحاولة ترك الغرفة في أثناء الشجار وعدم التفوه بالتفاهات ومنذ بداية زواجي كنت اعرف أن زوجي طيب، ويحبني بطريقته ويرغب في الاستقرار والسعادة، اما انا فإن كنت عنيدة بعض الشيء فإني حين أحب أخلص للنهاية وأحاول أن أوفر لزوجي كل ما يتمناه من زوجة تنتظره وترتدي أجمل مالديها وتتزين له، وتطهو له مايحبه من طعام، وتكرم أهله.. إلخ.. وقد طبقت كل ماقرأته من معلومات عن السعادة الزوجية وطرق الحصول عليها في حياتي وكثيرا ما اكتشفت أن زوجي يخفي عني موارده المادية بالرغم من اني لا أطلب لي شيئا إلا في حدود أقل القليل، ومع ذلك ثرت ثم هدأت وناقشته وسألته عن السبب فلم يعرف إجابة غير الأسف والندم الشديد، وتكرر هذا السيناريو أكثر من مرة. وأرجعته الي رغبة زوجي في بعض الخصوصية أو في التملك، فبدأت في تخفيف أسئلتي ومحاصرتي له ثم جاء لزوجي الذي يبلغ عمره الآن٣٨ عاما فرصة عن طريق أحد أقاربي للسفر إلي دولة افريقية بثلاثة أضعاف دخله فوافق وأصر علي مرافقتي كما أصررت أنا أيضا علي ذلك وتخليت عن عملي المرموق لحرصي الشديد ان تنشأ ابنتي وابني في ظروف أسرية طبيعية. وتمنيت أن تحسن الغربة طباع زوجي الذي يثيره أتفه التصرفات من ابنتي وكثيرا مايتعامل معنا بعصبية وأقابل ذلك بالهدوء خصوصا أمام طفلي لكي نصبح أنا ووالدهم واجهة واحدة ثم أناقشه بعد ذلك بهدوء. وحرصت طوال السنوات الست الماضية علي أن أواظب علي صلاتي وأدفعه إلي الصلاة باستمرار. مرة بالشجار ومرة بالتودد. وأدينا فريضة الحج ثم ازداد حرصي علي أن يصلي زوجي بانتظام وكنا نرجع في الاجازة السنوية كل عام وقد ازداد يقيني أن طباع زوجي لاتوافقني إلي أن حدثت آخر الخلافات. ففي هذه الدول تكثر الخادمات وطبعا لابد من وجود واحدة نظرا لظروف الجو شديد الحرارة. فدخلت يوما علي زوجي فأحسست بشيء غير طبيعي ولما سألته ارتبك ثم غادر الغرفة ولما ذهبت للخادمة وسألتها بكت وقالت إنها تخاف الله وأن زوجي دائم التحرش بها وهي تأبي وترفض أن تستسلم له لأنها متدينة وتحبني وهي تخاف حين أتركها مع الأولاد واذهب لشراء أي شيء ولا تتخيل كيف كان وقع هذه الكلمات علي لقد طالبتها بالمغفرة لي ولزوجي. ورجوتها ألا تخبر أحدا. ثم خرجت واخذت أولادي

وحاولت أن أحجز تذاكر السفر للعودة إلي بلدي مع أولادي وعند عودة زوجي من العمل أبلغته أن الخادمة قد تركتنا وانني طلبت منها ذلك، لأنني سوف ارجع الي بلدي بعد خيبة أملي فيه وفي إصلاحه. فحاول الانكار في البداية لكنه ونتيجة رفضي حتي مجرد النظر اليه جاء ليقبل يدي ويقبلني فلم اشعر بنفسي إلا وأنا أرتعد وأصرخ ولولا خوفي علي ابنتي التي جاءت علي صوتي لما توقفت دموعي وصراخي. لقد انهمرت دموعي دون توقف لمدة ثلاثة أيام متتالية. ولم يتوقف لساني عن الدعاء عليه وترديد.. عبارة. حسبي الله ونعم الوكيل، وحاولت أن أدعو له بالهداية فلم يطاوعني لساني لأول مرة. وكلما حاول التحدث معي لا أطيق حتي الجلوس بجانبه في نفس الغرفة، وبدأت حالتي النفسية في التدهور وبدأ المرض يهزمني فأيقن زوجي أن محاولاته للاعتذار والندم لا فائدة منها. وخشي أن أمرض فبكي بين يدي وأقسم أن الله قد أراد فضحه في الوقت المناسب حتي يتوقف عن زوغان العين الذي كثيرا ما رجوته أن يقلع عنه، مذكرة إياه بأن لنا أبنة واني أخاف عليها أن يحدث لها مثلما يفعل هو مع الآخريات. وكلما توقف وقاوم قليلا رجع لطبيعته مرة ثانية المهم.. أنه أقسم ان هذه المرة هي الاخيرة ولا رجوع فيها. ولكني للأسف لم أستطع أن أسامحه، ودعوت الله أن يهديني إلي ما يحبه ويرضاه لأني بصراحة أخاف غضب الله وأرجو رحمته وغفرانه ولما هدأت بيننا الأمور واستطعت التحدث معه قررت أن انفصل عنه في الفراش حتي أهدأ وإن كنت لا أعرف إن كنت علي حق في ذلك أم لا؟

وهل يحاسبني الله علي امتناعي عن زوجي أم أن ظروفي النفسية تكفي لتكون عذرا لي.

لقد طلبت منه الطلاق ولكنه رجاني أن أؤجل هذه الفكرة حتي يرجع في الاجازة السنوية في شهر يونيو القادم. والآن أنا في بيت أبي وأمي، ولقد رجاني ألا أخبر أحدا مهما يكن بهذه القصة وأقسمت علي ذلك لكني حزينة إلي أبعد مدي. لقد تمنيت أن أعيش حياة هادئة طبيعية مع رجل أحبه واحترمه ومع زوج يستطيع احتوائي وأنا إنسانة أرضي بالقليل ويسعدني ضحكة زوجي وأولادي. ولا أهمل في احتياجات زوجي العاطفية أو المادية وأسانده في أي أزمة ولا أهمل في مظهري في أي وقت من الليل أو النهار. فلماذا إذن يخون الإنسان من أعطاه الأمان؟ وماذا يريد الرجل اكثر من زوجة تخاف عليه وعلي ماله وعرضه وولده؟ ولماذا لايحمد الله علي مارزقه به من ابناء ورزق ومال؟ أنا لا أعمم تجربتي علي أحد، ولكني أسألك بأمانة هل العين الزائغة داء له شفاء؟! هل لان لكل الرجال أن ينظروا إلي محاسن النساء الأخريات؟ هل هذا طبيعي؟ وإذا كان الله قد أمرنا بغض البصر للمؤمنين والمؤمنات فما المبرر الذي يجده زوجي في النظر الي غير ما أحله الله؟ لو يعلم الرجال مدي المهانة التي تشعر بها الزوجة بعد هذه النزوة العابرة كما يسميها زوجي لتوقفوا عن خيانة زوجاتهم بأي صورة وأي شكل. إن زوجي يطلب مني السماح وأنا في داخلي مازلت أكن له مشاعر العشرة أو لا أعرف كيف أكره أحدا فما بال زوجي الذي عارضت أهلي كلهم وتزوجته.

لكني من ناحية أخري لا أنسي الإساءة سريعا ولا أؤمن بأن الانسان يمكن أن يتغير بمجرد الضغط علي أزرار. فهل ترجع كفة التغاضي عن الموقف البشع الذي وضع زوجي نفسه ووضعني فيه أما ترجح كفة الانفصال الآن مادمت لا استطيع أن أنسي ما فعله بي وبأولاده. خاصة أن ابنته التي تبلغ من العمر أربع سنوات قد رأته مرة يحاول أن يقبل الخادمة وأخبرتني بطريقتها ولم أفهمها في حينها؟

وهل من يعاني هذا الضعف البشري يظل يعانيه طوال العمر؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ليس فيما تروين عن زوجك ما يشير إلي أن له نزوات سابقة لهذه النزوة المخجلة، وبالرغم من بشاعتها وتأثيرها الضار علي مثالياتك ومعنوياتك كزوجة فإنه ليس هناك حتي الآن مايقطع بان هذا الانحراف الأخلاقي قد تمكن من زوجك او انه قد تحول الي انحراف نفسي مستقر ينذر بالمتاعب ويتعذر علاجه.. فالانسان قد يخطيء او يتنكب الطريق القويم مرة فإن لم يجد ما يشجعه علي الاستمرار في الخطأ او وجد من يردعه او خشي من عاقبة الخطأ، فانه قد يندم ولايعود اليه مرة اخري ولا يصبح سلوكا مألوفا لديه..، وهذه هي حكمة التوبة.. ألا ييأس المخطيء من الأمل في رحمه الله في اي مرحلة من مراحل ارتكاب الخطأ وان يرجع عنه بدلا من ان يواصله الي مالانهاية، كما ان هذه هي ايضا الحكمة من إلغاء السابقة الأولي من صحيفة الحالة الجنائية للمواطن في كثير من المجتمعات المتقدمة باعتبارها خطأ قابلا للتقويم او التغاضي عنه إذا لم يعتد مرتكبها الاجرام بعد ذلك وتتعدد جرائمه. ففتره المراقبة التي تلي العقاب علي السابقة الأولي هي دائما الفيصل في الحكم علي سلوك مرتكبها.. وهل وعي الدرس جيدا وسوف يلتزم الطريق القويم فيما بعد أم العكس.

ولأن هناك اطفالا صغارا يجمعون بينك وبين زوجك، ولانك قد اخترته من قبل وتمسكت به بالرغم من فارق المستوي الاجتماعي كما تقولين فليس من الحكمة ان ينهدم المعبد الذي كافحت لبنائه عند اول عاصفة حتي ولو كان الخطأ بشعا علي هذا النحو، ولقد يكون الأقرب للرحمة بالأطفال وبنفسك وزوجك هو أن تعتمدي علي نفس هذا المبدأ الخاص بفترة المراقبة بعد تنفيذ العقوبة علي السابقه الأولي..، وتراقبي سلوكه.. وتتهيئي لاستعادة حياتك معه.. وتحددي موقفك في النهاية علي ضوء نتائج المراقبة، فان صدقت التوبة وصح الندم فإن الله يغفر ولا يعير وإن جاءت النتائج مثيرة للشكوك حول إدمان التطلع الي غير ما أحله له الله.. كان لك ان تختاري لحياتك وفقا لما ترينه محققا لسعادتك مع ضرورة وضع مصلحة الابناء دائما في الاعتبار، فأما الانفصال في الفراش فانه لايعينه علي امره.. ولا علي ماترجينه له من التزام الطريق القويم وغض البصر عما لم يحله له الله.. وفارق

كبير بين العقاب بدافع الانتقام وحده أو الغضب الأعمي وحده وبين العقاب بدافع الرغبة في الإصلاح.. والأمل في استعادة المخطيء إلي حظيرة الأمان.

==

العيب الخطير

أنا صديق لهذا الباب منذ أكثر من خمسة عشر عاما، ولقد كتبت اليك ثلاث أو أربع مرات من قبل دون ان اتلقي منك ردا، مع ان مشكلتي هذه تكاد تهدد بيتي الصغير فانا مهندس شاب تزوجت منذ عشر سنوات من فتاة رأيتها في حفل زفاف أحد الاقارب واعجبني وجهها الهادئ ورزانتها، فتقدمت لطلب يدها، وبدأنا حياتنا معا من تحت الصفر، وتحملت معي زوجتي صعوبات البداية راضية، ولم تشعرني يوما بأي تقصير تجاهها وتجاه بيتي وراحت تدخر كل مليم من دخلنا لكي نحقق لانفسنا ما نتمناه من حياة أفضل، وبفضل تدبيرها أنتقلنا من أول مسكن للزوجية في إحدى الضواحي إلى مسكن أوسع قريبا من وسط المدينة وتحسنت أحوالي المادية كثيرا، ووجدت زوجتي دائما غاية في الرقة معي وغاية في التفاني في رعايتي، فهي لا تصبر علي خصامي لها ولو لساعة واحدة، ولا تطيق أن تراني حزينا أو عابس الوجه، لأني أول وآخر انسان في حياتها وقد ملأ حبي قلبها وسكن في جوانحها واذا غضبت راحت تحوم حولي كالفراشة تسألني ماذا بك. هل أغضبتك هل فعلت شيئا ضايقك؟ هل أغضبك احد في العمل الخ، ولا تدعني حتى تسري عني وتعيدني إلى طبيعتي، ولا ترى أي مانع إذا ما ادركت أنها سبب غضبي في أن تسترضيني بكل وسيلة وتقبل رأسي لكي اصفح عنها بل لقد غضبت منها ذات مرة فقبلت يدي وحاولت تقبيل قدمي ايضا لولا انني منعتها من ذلك رفقا بها.

اما بيتي فنظيف دائما بشهادة الجميع وتفوح منه رائحة الحب التي تنبع من قلب زوجتي، واما أهلي فهي تحبهم أكبر الحب ويبادلونها نفس الشعور، وهي تستحوذ على قلوبهم جميعا، وتستقبلهم في بيتي أحسن استقبال في وجودي وفي غيابي علي السواء، واسرتي تضرب بها المثل في جميع المناسبات، واما اولادي فهم دائما وبفضلها في اجمل صورة.

اذن ما هي المشكلة؟ المشكلة هي انني منذ حوالي عامين وجدت نفسي تعزف لا اراديا عن زوجتي ويقوم سد منيع بيني وبينها، وبدأت اراها نحيفة الجسم بعض الشيء وقصيرة القامة كما وجدتني أفكر في الزواج من أخرى ذات قوام فارع وجسم قوي فاره! اعرف انك لن تترفق لي لكن هذه هي المشكلة التي اعانيها ولم اكن اشعر بها قبل الزواج ولا في سنواته الأولى، ولقد أصبحت الآن تلح علي وزوجتي تحس بذلك وتتألم له وتتمزق واراها تبكي من حين لآخر في صمت ولاتنام كثيرا.

انني لا ادري ماذا حدث لي ولا ما هو سبب تحطيمي لقلب زوجتي المحبة ولو فكرت جديا في الزواج من غيرها فماذا عساي ان اقول لأهلي وكيف ابرر لهم وهم لا يلمسون أية مشكلة في علاقتي بها ويشيدون بها دائما.

إنني أرجوك ألا تهمل رسالتي واعدك بان انفذ ما تنصحني به وان اتحمل كل ما تنتقدني فيه بنفس راضية.

ولكاتب هذه الرسالة أقول

يا سيدي هل كتبت رسالتك هذه ورغبت في نشرها لكي تتثير عليك حنق المبتلين بهموم الحياة الحقيقية؟

لقد عزفت عن نشرها لكي اجنبك ما سوف ينهال عليك من سخط من جانب من يحترمون آلام الآخرين الجادة لكنهم ليسوا على استعداد لأن يتعاطفوا مع من لم يجد ما يشكو منه في حياته فشكا من اكتشافه بعد ثماني سنوات من الزواج مثل هذا العيب الخطير في زوجته وهو قصر قامتها ونحافتها بعض الشيء، وكأنما قد خدعته طوال هذه السنين وتخفت عنه بعيبها الرهيب، ثم سقط الستار عنه فجأة، فبدا جليا واضحا للزوج المخدوع!

وسؤالي البديهي لك هو: كيف خدعتك زوجتك وتخفت بعيوبها عنك حين رأيتها لأول مرة في زفاف احد الأقارب قبل عشر سنوات؟ وكيف نجحت في كتمان هذا السر الرهيب عنك طوال ثماني سنوات من الزواج السعيد كانت خلالها ومازالت حتى الآن نعم الزوجة المحبة والمخلصة لك ونعم الأم الرءوم لأطفالها.. والشريكة العطوف مع أهلك حتي ليشيدوا بها في جميع المناسبات؟

وكيف انقشعت فجأة هذه الغشاوة عن عينيك.. فرأتا ما لم تكن ترياه قبل العامين الأخيرين؟

الحق ان زوجتك لم تتغير منذ رأيتها لأول مرة في حفل الزفاف، لكن عينيك هما اللتان تغيرت زوايا الرؤيا بالنسبة لهما.. فرأتا في زوجتك فجأه.. ما لم تكن ترياه فيها من قبل ولا عجب في ذلك لأن. عين الرضا عن كل عيب كليلة وعين السخط تبدي المساويا

كما يقول الشاعر العربي، والعين التي تري بها زوجتك التي تقوم منها رائحة الحب تجاهك، ليست عين السخط علي وجه التحديد وانما هي عين البطر.. والبطر لغويا هو الاستخفاف بالنعمة والكفران بها.

والانسان حين يكون مشغولا بهموم الحياة الجادة كبناء حياته ومستقبله والسعي لتوفير الحياة الكريمة لنفسه واسرته، يركز انتباهه علي ما يستحق الاهتمام به والسعي اليه، وحين يصل إلى غايته ويلتقط انفاسه.. ويتسع الوقت امامه للتفكير في حياته وتتوافر له القدرة على اختيار الأفضل لها، فان الفضلاء منا يرضون بما حققوه لأنفسهم ـ ويشكرون ربهم علي ماانعم به عليهم، ويعتزمون صادقين ان يعوضوا شركاء حياتهم وابناءهم عما حرمتهم الظروف منذ تقديمه إليهم خلال سنوات الكفاح والصعود، أما الجاحدون منا، فإنهم بدلا من أن يشكروا ربهم على ما سخت به السماء عليهم، فإنهم يتفننون في اختلاق الأسباب للسخط على حياتهم، وادعاء الأسباب

التي يبررون بها لأنفسهم شكواهم منها وعدم رضائهم عليها، وهؤلاء هم غالبا يجحدون ما بين أيديهم ويطلبون ما يتوهمون فيه سعادتهم الموعودة فتلقنهم الحياة غالبا دروسها القاسية، ولا غرابة في ذلك لأن الهادي البشير صلوات الله وسلامه عليه يقول لنا ما معناه: إن التحدث بالنعمة شكر، وتركها كفر ومن لا يشكر القليل لا يشكر الكثير ومن لا يشكر الناس لا يشكر الله.

ويقول لنا الحسن البصري: إن الله ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابا.

والبطر بالنعمة أهم أسباب زوالها وفي التنزيل الحكيم وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها.

وأنت أيها الشاب تتبطر الآن وبعد أن تجاوزت صعوبات البداية علي معيشتك وعلي الزوجة المحبة التي تحوم حولك كالفراشة إذا تكدرت، وتقبل رأسك ويدك إذا غضبت منها وتحسن عشرتك وترعي أبناءك وبيتك وأهلك وتسخط بذلك علي الكثير الموجود طلبا للمجهول المفقود.

وما هو هذا المفقود الذي تتطلع إليه وتتشكي من أجله أهو بضعة كيلو جرامات زائدة في وزن زوجتك وبضع بوصات أكثر في طول قامة زوجتك؟ ومتي كانت السعادة الزوجية بالوزن أو بطول القامة أيها الشاب؟ لو كان الأمر كذلك لكان ذكر الخرتيت أو ذكر الفيل أسعد المخلوقات ولكان ذكر الزرافة أحظي الكائنات بها إذ وماذا عن النفس الرضية والقلب المحب والعشرة الطيبة والإخلاص للشريك والاعتزاز به وحسن معاملة الأهل وحفظ الزوج في عرضه وبيته وماله وأولاده؟

لقد حققت بعض النجاح المادي في حياتك لكنك قد تراجعت كثيرا وكثيرا في فهمك الصحيح للحياة والسعادة والأشياء الأولي باهتمام الإنسان ورعايته، فكأنما قد نجحت عمليا وتخلفت إنسانيا ونصيحتي الوحيدة لك هو أن تراجع مرة أخري ما نشر وينشر في هذا الباب من هموم البشر وعذاباتهم الحقيقية وتتخذ في حياتك ما تشاء بعد ذلك من قرارات علي ضوء فهم أعمق وأرقي للحياة الزوجية.

نشرت سنة ١٩٩٩

==

العمر لحظة

لم أكتب إليك مشكلتى .. لكنى وجدت فى بريدك مشكلات تتشابه مع مشكلتي، فحاولت أن أستفيد بردودك عليها..وأريدك أن تعرف نتائج التجربة..فلقد كتبت إليك زوجة ذات مرة تحكى لك أنها أحبت شاباً وحالت الظروف بينها وبينه، ثم خطبت إلى آخر ولم تكن مقتنعة به ولم تشعر تجاهه بالحب، ومع ذلك فقد مضت فى إجراءات الخطبة ثم الزواج بلا تفكير..ثم شكت لك مما تعانيه من افتقادها المشاعر والحب تجاهه ومن جفاف حياتها العاطفية معه رغم حبه لها وحسن عشرته..وقد رددت عليها منتقدا تصرف بعض الفتيات اللاتي يتأكدن من فتور مشاعرهن تجاه من خُطبن لهم قبل الزواج، ومع ذلك يمضين فى الخطبة والزواج كالسائرين نياما إلى مصير محتوم..ولا يفكرون فى التراجع قبل إتمام الزواج أو فى التكيف مع حياتهن بعد الزواج..وقلت فى نهاية تعليقك أن الحب قد يولد فى لحظة سحرية يكون فاصلا بين ما قبلها من تعاسة وهواجس وما بعدها من سعادة وصفاء، وأن عليها أن تنظر إلى زوجها بعين جديدة وبقلب راغب فى السعادة والحب..فربما تولد فى حياتها هذه اللحظة السحرية وينبض قلبها بالحب له وتتخلص من تعاستها، خاصة وأنها أنجبت منه، ثم قرأت أكثر من تعليق على هذه الرسالة لقارئات عديدات وقرأت ردودك عليها وكلها تؤكد إمكانية مجئ هذه اللحظة السحرية فى أى مرحلة من العمر.

وكنت أنا خلال هذه الفترة أعيش قصة حب طاهر لم تدنسه حتى لمسة يج واحدة مع زميل لى بالكلية..وتعاهدنا على الزواج..وبعد تخرجنا وإتجاهنا للدراسة العليا تقدم لخطبتى..لكن بعض المشاكل حدثت بين أسرتي وأسرته بسبب غطرسة أبيه الذى كان عائدا لتوه من البلاد العربية وحوله المال الذى جمعه هناك إلى تاجر يبيع ويشترى فى بنات الناس..فصمم على مطالب مغالى فيها وأقسم أنه لن يتنازل عنها...وساءت الأمور بينه وبين أبى فاضطررت أنا وزميلي إلى أن نفترق والحزن يدمى قلبينا..وقررنا ألا نلتقي مرة أخرى إلا إذا إتحسنت الأمور وإستطاع كل منا أن يؤثر فى أبيه ليغير من موقفه..ورضينا بهذا الفراق راغمين لكيلا نتجول بحبنا فى الشوارع والكازينوهات، وطوينا قلبينا على أحزانهما وإنشغلت بعملي ودراستي العليا ونجحت فيها وإنشغل هو بعمله، ولم نلتق طوال هذه الفترة سوى مرة واحدة لنعرف ما إذا كان أحد الأبوين قد تنازل عن موقفه أم لا...فلما وجدنا الموقف على ما هو عليه عدنا إلى إفتراقنا...كما كنا نتقصى أخبارنا عن طريق الأصدقاء عن بعد...وخلال هذه الفترة تقدم لى أكثر من خطيب ووجد أبى أحدهم مناسبا لى رغم أنه ليس ميسورا، لكنه على خلق ودين فقبلت الخطبة إرضاء لأبى وأمي ولأستريح من إلحاحهما على..وقررت بيني وبين نفسي أن أنهى هذا الإرتباط الجديد فى أقرب وقت بأن أجعل خطيبي يفر منى ناجيا من سخافاتي..فعاملته_وأعترف لك بذلك_ أوأ معاملة من خطيبة لخطيبها...فلا احترام ولا تقدر ولا استجابة لأى طلب من مطالبه ولا مشاركة له فى مشاعره ولو بكلمة واحدة حتى من باب المجاملة..ولا حرص على انتظاره فى البيت رغم علمي بمواعيد زياراته..وفعلت كل ذلك اقتناعا بأنى ما زلت على عهدي لزميل دراستي .. وانتظر الوقت المناسب لإنهاء هذه الخطبة ..لكن صبر خطيبي على سخافاتى وتحمل كل سخافاتى بصبر وهدوء وحنان لم ينفذ.

وفى هذه الفترة قرأت ردودك عن اللحظة السحرية..والتطلع إلى شريك الحياة بنفس راغبة فى الحب والسعادة..فقررت أن أجرب تنفيذ هذه النصائح، فإما أن تأتى هذه اللحظة التى تتحدث عنها فأستريح،وإما أن أحسم أمري مع خطيبي وأنهى الأمر معه وأستريح أيضاً وأتخلص من تأنيب الضمير الذى أحسه وأنا أراه يقابل إساءاتي بتسامح وإحسان..وكنا قد مر على خطبتي عام طويل من النكد التام لى وله على السواء..فصارحت خطيبي بأن هناك هوة واسعة بيننا...وأننا لم نفهم بعضنا حتى الآن لأن الخطبة تمت على وجه السرعة خلال ٢٠ يوما فقط..ولهذا فإنى أريد أن نعطى لأنفسنا مهلة لإعادة التفكير فى الأمر كله .. وأن نفترق لمدة شهر أحاول خلاله أن أصلح من نفسي وأعيد التفكير فى أمره وأمري .. وتكون له هو خلال هذه المهلة الحرية فى تقدير الموقف..وليرى إذا ما كان يستطيع أن يسامحني بقلب صافٍ عما فعلت معه...وليحاول من ناحية أخرى تغيير بعض العادات الصغيرة التى كانت تضايقني فيه وإتفقنا على ذلك وافترقنا..ومرت الأيام الثلاثة الأولى بسلام ورحت أفكر فيه من منظور جديد تماما...وأحاول أن أعرف هل سأشتاق إليه أم لا...فإذا بى ويا للعجب أجد نفسى فجأة وبعد أسبوع واحد أفتقده بشدة، وأفتقد حنانه ورعايته ورقته التى كان يغمرني بها حتى فى لحظات غضبى وكنت أضيق بها من قبل...وما أن إنتهى الأسبوع حتى تأكد لى أنى لا أتصور حياتي بغير وجوده فيها ومعى وحولي بحبه وحنانه واهتمامه الذى يغرقني به..وبعد ٣ أيام أخرى أصبح شاغلي الشاغل هو هل سينسى لى ما فعلت به أم لا .. وماذا أفعل إذا لم تنس وإذا افترقنا للأبد...وفى اليوم العاشر وجدت يدى تمتد إلى التليفون قبل إنتهاء المهلة بعشرين يوما وإتصل به فإذا به في أشد لهفة منى..وينتظرني على أحر من الجمر .. وإذا بى أعيش فجأة اللحظة السحرية التى قرأت عنها ولم أكن أصدقها...وعدنا إلى اللقاء ووجدته حنونا عطوفا أكثر من ذى قبل..وإذا بطاقة هائلة من النشاط تنفجر داخلي لإعداد عش الزوجية الذى كنت أكره سيرته وأضيق بها...وإذا بأيامي تمضى مشحونة بالتعب اللذيذ وأنا أتنقل من مكان لمكان لنعد معا تجهيزات الزواج...ونلتقى كل يوم ونتحدث فى التفاصيل ونشرف على كل صغيرة وكبيرة فى الاستعدادات..وإنتظرنا نهاية شهر رمضان الماضي بفارغ الصبر .. ثم تزوجنا بعده وأصبحت اللحظة السحرية عمرا من السحر والحب والسعادة...فشكرا لك أنك أرشدتنى لها..وشكرا لقارئاتك اللاتى

.أسهمن برسائلهن إليك فى تعريفي بهذه اللحظة الغالية ! وتمنياتي للجميع بالسعادة والصفاء

:ولكـاتـبة هـذه الـرسـالة أقـول

شتاء أحزاننا إنزاح...تحت شمس حبنا الساطعة" قفز إلى خاطرى فجأة هذا البيت من شعر شاعر الإنجليزية " الأشهر وليم شكسبير فوجدت فيه تحليلا وتفسيرا لقصتك كلها ولم أجد أبلغ منه تعليقا عليها..فهنيئا لك ميلاد ! لحظتك السحرية الجميلة...وعمرا مديدا من الحب والسعادة والثراء الإنسانى لك بإذن الله ..وعقبى لمن ينتظر

==

العمر المسروق

أنا سيدة ابلغ الثالثة والثلاثين من العمر لي طفل يرقد بجواري الان هو لم يتعد السنة الاولي من عمره، ومشكلتي انني تزوجت منذ٥ سنوات ممن لا يرضاه قلب أو عقل اي شخص يؤمن بالله وقد تزوجت غصبا واستحي ان اقولها فأنا انسانة جامعية حاصلة علي مؤهل عال وبدون الخوض في تفاصيل كثيرة من اساليب الضغط النفسي والعصبي والضربي والاتهامات الباطلة حتي تتم الزيجة، واقسم بالله اني كدت ارمي بنفسي من الشرفة حتي تفيض روحي ولا اتزوجه، لكني خفت عذاب الله وعشنا معا كاخوة لمدة٣ سنوات واقول هذا لأبين مدي كرهي له وكيف اني لا اطيقه ولا اعلم والله كيف جعلني اعيش في اكذوبة كبيرة في كل شيء حتي ابسط واتفه الامور.. واسفرت هذه الزيجة عن طفلتي الصغيرة.. وكان راي الاهل جميعا أنه انسان يستحقني واكثر وانه وانة وانة وكان يظهر بهذا المظهر ولم أكن موافقة ليس لعلاقتي بشخص آخر او انشغالي في تعليم أو غيره، ولكنها كلمة واحدة لا ارتاح إليه ولكن هذه الكلمة لم تمنع الك من أن يدفعني لأكون عروسا باكية في مأتم كبير يضحك فيه الناس ويشربون ويأكلون ويزفون الجثة.. والان تكشف لاهلي خطأهم فهو سليط اللسان ضعيف في عمله، كثير السب والمشكلة الاكبر الكذب في كل شيء الا يحق لي أن أعيش مطمئنة ألنفس اليس الزواج طمأنينة.. لا أعلم ماذا أفعل؟؟ الحياة مستمرة والحياة مستحيلة لا أريد ان اظلم طفلة بريئة ولا أريد ان اكتسب اللقب مطلقة وتعلم ما يعنيه ذلك في مجتمع مثل مجتمعنا. ربما تتساءل ماذا تريدين الان، لا اعلم لقد سرق عمري..بضم السين نعم سرق، تكبلت يداي ويشرف عقلي علي ان يكون سجين اليأس والوحدة سجين البيت.. ماذا افعل.. هل لي أن اقف امام ابي الان واقول له لقد ظلمني وهو الذي لم يخطئ في حقي ابدا ولكن سامحه الله اساء الاختيار لأبعد الحدود.. هل لي ان اطالب أمي.. بماذا؟ لا اعلم.. اسألك يا الله الذي لا اله الا هو ان يعود الزمن للوراء وأن القي بنفسي من الشرفة كما كنت اريد ان افعل او افعل اي شيء اخر هل اهرب مثلا؟؟ لا حسنا اعتقد اني أخطأت التقدير ولست في مفترق طرق ولكني سرقت. سرقت نفسي سرق عمري وتفكيري ماذا افعل؟؟

ولكاتبة هذه الرسالة اقول:

يا إلهي.. ولماذا قبلت الزواج منه من البداية ياسيدتي مادمت لا تطيقين طيفه الي هذا الحد؟

وكيف تنجح الضغوط النفسية والعصبية والضربية والاتهامات الظالمة لك في حملك علي الزواج من شخص استشعرت النفور وعدم الارتياح النفسي له من الوهلة الأولي.. وانت الفتاة الجامعية التي حصلت علي دراسات عليا الخ؟

ولماذا اسرعت بالانجاب من زوج لا تتقبلينه ولست مستعدة لتقبله ذات يوم نفسيا علي الاقل ولا اقول عاطفيا! انه نوع من الانتحار المعنوي لا يختلف كثيرا عن الأفكار التي راودتك بالتخلص من حياتك لكيلا تتزوجي ممن ارتبطت به، ولست ادري في الحقيقة بماذا أشير عليك.. لكني اقول لك فقط ان كل انسان يملك حياته.. ومن واجبه ان يتقبل ظروفه اذا كان راضيا عنها، وان يسعي الي تغييرها اذا كان قادرا علي ذلك وبغير ان يظلم غيره او يجور علي حقوقهم ولقد كان الفيلسوف الإغريقي القديم يقول: رب اعني علي تغيير ما ينبغي لي تغييره.. وعلي تقبل مالا استطيع تغييره وهبني الحكمة للتفرقه بينهما.

والحق انك في اشد الحاجة الي كل ذلك.. خاصة الحكمة الضرورية للتفرقة بين ما تملكين ومالا تملكين تغييره من ظروف الحياة!

العمر المسروق

أنا سيدة ابلغ الثالثة والثلاثين من العمر لي طفل يرقد بجواري الان هو لم يتعد السنة الاولي من عمره، ومشكلتي انني تزوجت منذ٥ سنوات ممن لا يرضاه قلب أو عقل اي شخص يؤمن بالله وقد تزوجت غصبا واستحي ان اقولها فأنا انسانة جامعية حاصلة علي مؤهل عال وبدون الخوض في تفاصيل كثيرة من اساليب الضغط النفسي والعصبي والضربي والاتهامات الباطلة حتي تتم الزيجة، واقسم بالله اني كدت ارمي بنفسي من الشرفة حتي تفيض روحي ولا اتزوجه، لكني خفت عذاب الله وعشنا معا كاخوة لمدة٣ سنوات واقول هذا لأبين مدي كرهي له وكيف اني لا اطيقه ولا اعلم والله كيف جعلني اعيش في اكذوبة كبيرة في كل شيء حتي ابسط واتفه الامور.. واسفرت هذه الزيجة عن طفلتي الصغيرة.. وكان راي الاهل جميعا أنه انسان يستحقني واكثر وانه وانة وانة وكان يظهر بهذا المظهر ولم أكن موافقة ليس لعلاقتي بشخص آخر او انشغالي في تعليم أو غيره، ولكنها كلمة واحدة لا ارتاح إليه ولكن هذه الكلمة لم تمنع الك من أن يدفعني لأكون عروسا باكية في مأتم كبير يضحك فيه الناس ويشربون ويأكلون ويزفون الجثة.. والان تكشف لاهلي خطأهم فهو سليط اللسان ضعيف في عمله، كثير السب والمشكلة الاكبر الكذب في كل شيء الا يحق لي أن أعيش مطمئنة ألنفس اليس الزواج طمأنينة.. لا أعلم ماذا أفعل؟؟ الحياة مستمرة والحياة مستحيلة لا أريد ان اظلم طفلة بريئة ولا أريد ان اكتسب اللقب مطلقة وتعلم ما يعنيه ذلك في مجتمع مثل مجتمعنا. ربما تتساءل ماذا تريدين الان، لا اعلم لقد سرق عمري..بضم السين نعم سرق، تكبلت يداي ويشرف عقلي علي ان يكون سجين اليأس والوحدة سجين البيت.. ماذا افعل.. هل لي أن اقف امام ابي الان واقول له لقد ظلمني وهو الذي لم يخطئ في حقي ابدا ولكن سامحه الله اساء الاختيار لأبعد الحدود.. هل لي ان اطالب أمي.. بماذا؟ لا اعلم.. اسألك يا الله الذي لا اله الا هو ان يعود الزمن للوراء وأن القي بنفسي من الشرفة كما كنت اريد ان افعل او افعل اي شيء اخر هل اهرب مثلا؟؟ لا حسنا اعتقد اني أخطأت التقدير ولست في مفترق طرق ولكني سرقت. سرقت نفسي سرق عمري وتفكيري ماذا افعل؟؟

ولكاتبة هذه الرسالة اقول:

يا إلهي.. ولماذا قبلت الزواج منه من البداية ياسيدتي مادمت لا تطيقين طيفه الي هذا الحد؟

وكيف تنجح الضغوط النفسية والعصبية والضربية والاتهامات الظالمة لك في حملك علي الزواج من شخص استشعرت النفور وعدم الارتياح النفسي له من الوهلة الأولي.. وانت الفتاة الجامعية التي حصلت علي دراسات عليا الخ؟

ولماذا اسرعت بالانجاب من زوج لا تتقبلينه ولست مستعدة لتقبله ذات يوم نفسيا علي الاقل ولا اقول عاطفيا! انه نوع من الانتحار المعنوي لا يختلف كثيرا عن الأفكار التي راودتك بالتخلص من حياتك لكيلا تتزوجي ممن ارتبطت به، ولست ادري في الحقيقة بماذا أشير عليك.. لكني اقول لك فقط ان كل انسان يملك حياته.. ومن واجبه ان يتقبل ظروفه اذا كان راضيا عنها، وان يسعي الي تغييرها اذا كان قادرا علي ذلك وبغير ان يظلم غيره او يجور علي حقوقهم ولقد كان الفيلسوف الإغريقي القديم يقول: رب اعني علي تغيير ما ينبغي لي تغييره.. وعلي تقبل مالا استطيع تغييره وهبني الحكمة للتفرقه بينهما.

والحق انك في اشد الحاجة الي كل ذلك.. خاصة الحكمة الضرورية للتفرقة بين ما تملكين ومالا تملكين تغييره من ظروف الحياة!

==

العلاقة النادرة

قرأت رسالة أنا وحماتي عن العلاقة الجميلة التي بين زوجة الابن وحماتها، وكيف أن هذه العلاقة الرائعة النادرة كانت سببا في انتشار الحب والسعادة بين جميع أفراد العائلة، وإذا كان قراء هذا الباب قد شعروا بالاستغراب والدهشة من هذه العلاقة النادرة، فما بالك ياسيدي إذا كانت نفس هذه العلاقة الرائعة توجد بيني وبين أم طليقي، بل وبيني وبين جميع أفراد عائلة طليقي، نعم أم طليقي. فهي أم رائعة غاية في الحنان، تعرف الحق وتنحاز له حتي لو كان علي حساب ابنها الوحيد نور عينيها الذي كان زوجي يوما ما.

أنا اليوم أكتب إليك ليس لأحكي عن تفاصيل طلاقي ومدي ظلم طليقي لي ولأولادي وحرمانهم منه وتركه المسئولية الكاملة لي دون أدني تفكير في مصلحة أولاده ومستقبلهم وبمنتهي الاستهتار، ولكن أردت أن أحكي تفاصيل علاقتي بأهل طليقي، وبالأخص والدته، فهي علاقة نادرة الحدوث، علاقة رائعة مليئة بالحب والمودة والاحترام والذكريات الجميلة. فأنا مدعوة دائما في كل مناسباتهم او الأعياد وأول يوم رمضان، ولا أتذكر يوما أنني تخلفت عن حضور إحدي هذه المناسبات، فأنا أحبهم جميعا من كل قلبي، وأحافظ دائما علي صلة الرحم بيني أنا وأولادي وبينهم. نعم صلة الرحم برغم أنهم ليسوا أقارب لي، ولكني أعتبرهم جميعا أهلي وعائلتي الثانية.

فعندما يحزن والدي من أجلي وتتألم والدتي لوحدتي ويبكي أخي عندما يعلم ما فعله طليقي بي، وكذلك عندما تتأثر أختي بكل ما حدث لي وكأنها هي التي ظلمت، فكل هذا ياسيدي شيئ طبيعي، ولكن أن يحدث كل هذا من عائلة طليقي بالكامل فهذا شيئ أحسد عليه. في الحقيقة نحن جميعا نحافظ علي هذه العلاقة سواء من جانبي أو من جانب أهل طليقي. في البداية وبعد طلاقي مباشرة منذ نحو تسعة أعوام كنت أعاني من انهيار تام وفقد ثقة في كل من حولي ومعاناة شديدة من قسوة الوحدة ورعب في من ضخامة مسئولية أولادي

وقد كنت وقتها في التاسعة والعشرين من عمري، لكن بفضل الله سبحانه وتعالي أولا ثم من بعد ذلك مساندة أهلي وأهل طليقي جميعا لي وبالأخص والدته وأخوته فهم جميعا يحبونني ويرحبون بي في كل وقت، فذلك كان سببا رئيسيا لاستعادتي نفسي وثقتي بالناس، وتقبل الأمر الواقع ومواصلة الحياة. يقولون عني إنني ذات شخصية قوية، ولكني ياسيدي أدعي ذلك، فأنا في الحقيقة شخصية ضعيفة جدا وهشة، وأتأثر من أبسط الأشياء، ودائمة الخوف والقلق من المستقبل، فما حدث لي بسبب طليقي أفقدني توازني وإحساسي بالأمان.

ولكن الله من علي بهذه العائلة الجميلة وحبهم جميعا لي ولأولادي، خصوصا والدة طليقي، فهي أمي الغالية التي أجد راحة كبيرة في التحدث معها، فهي أكثر إنسانة تفهمني وتحس بي لدرجة أنها تقول لي عن شعورها بإنها هي التي ظلمت من ابنها وليس أنا، وأشعر بحزن شديد من أجلها كلما وجدتها تقسو علي ابنها(طليقي) بسبب ما فعله معي ومع أولادي، بل أحيانا أجد نفسي أحاول أن أهدئ العلاقة بينها وبين طليقي، فأنا أعلم جيدا برغم كل ما حدث أنها أمه التي تحبه من كل قلبها، وفي الوقت نفسه دائما مستاءة من أفعاله.

فقط أردت أن أبعث إلي هذه الأم الرائعة عن طريق بريدكم المفضل لدينا جميعا كل الشكر والحب والدعوات بدوام الصحة وطول العمر، وبأن تظلي دائما بيننا بخفة دمك وتعليقاتك الجميلة، وحبك الكبير لأولادك وأحفادك، خصوصا لي ولأولادي.

وأقول: لا تحزني يا أمي علي ما حدث وارحمي نفسك، فصحتك لا تحتمل كل هذا العناء والتفكير، وعسي أن تكرهوا شيئا وهو، خيرا لكم، ولأخوات طليقي أقول لهم جميعا جزاكم الله عني وعن أولادي خير، فأنتم دائما خير عون لي.

ولطليقي الذي كان زوجي وحبيبي يوما ما أقول له: برغم كل ما سببته لي من ظلم وغدر وجرح كبير، فإني أدعو الله أن يهديك ليس رغبة فيك وإنما من أجل والدتك الغالية، ومن أجل أولادك، فهم لا يستحقون منك كل هذه القسوة والاستهتار.

ولك ياسيدي أقول: ربما يوما ما أستطيع أن أكتب لك تفاصيل ما فعله طليقي بي وبأولادي، وما وصل هو إليه الآن من عدم استقرار وتخبط في الحياة عسي أن يتعظ كل من يفكر في أن يظلم زوجته وأولاده ويتركهم جريا وراء متع زائفة لا تدوم.

وإلي لقاء بإذن الله ورمضان كريم.. والسلام.

{ سيدتي.. كم نحن في حاجة إلي كثير من هذه العلاقة النادرة الرائعة.. علاقة تحكمها المودة والتراحم والتواصل بين الناس، علاقة تمنحنا بعض السعادة ونحن غرقي في بحار الألم، فكثير من العائلات تنصر ابنها ـ في مثل حالتك ـ وتقسو علي الطرف الآخر، فتجرح القلوب المظلومة، وتعلم الأبناء أول دروس الكراهية، ولكن جدة أطفالك وأبناءها، كانوا بلسما للروح، وغرسوا في نفوس أبنائك غرسا أخضر قادرا علي مقاومة الأشواك التي زرعها والدهم.

لا أعرف ياسيدتي كيف ينام الإنسان وهو ظالم لأقرب الناس إليه؟ ولا أفهم كيف لمثل زوجك وهو يري إدانته فيما فعل معك في تصرفات ومعاملة أسرته لك؟ ألم يراجع نفسه؟

بعض الرجال تغويهم الدين، فيغترون بما يمتلكون من قدرة مالية أو صحية، ومن حقوق وهبها الله لهم، فيستغلون كل ذلك بصورة خاطئة وهم غافلون عن أن الانتقام ـ بصور مختلفة ـ قادم لا محالة، وأنهم لن يجدوا أقرب الناس إليهم في وقت هم أحوج إلي كلمة أو طبطبة حانية صادقة منهم، سيجدون اللوم والعتاب مثل السكين الحاسم المنغرس في قلب منهك ظالم.

سيدتي.. لا أقصد أن أقول جملا إنشائية، ولكنها الحقيقة التي تضج بها الرسائل في مكتبي من آباء نادمين، أو أبناء غاضبين، وأجد حرجا في نشرها.

رسالتك التي جاءت في تلك الأيام المباركة، دعوة للمراجعة، للمسامحة، للعودة إلي حضن العائلة، للآباء الذين أعمتهم الدنيا، أو ظلموا أبناءهم وهم يظنون أنهم يحسنون صنعا، لعلنا جميعا ننتهزها فرصة للتطهر ولم الشمل.

شكري لهذه الأم العظيمة وأبنائها الذين جعلوك تكتبين هذه الرسائل الجميلة وكل عام وأنتم بخير في خير وسعادة ومحبة ورحمة، وإلي لقاء بإذن الله.

==

رسالة(روحان حللنا بدنا).بأي اللغات أبكي عليها ورحيلها ألغي جميع اللغات

هزتني من الأعماق رسالة منحة المحنة التي تحدث فيها كاتبها الدبلوماسي بالخير كل الخير عن والده رحمه الله، وما خلفته محنة وفاته من منح معنوية،، ومنظومة من القيم الدينية والاخلاقية رباه عليها..

وإذا كان الشجي يبعث الشجي، فإن رسالة منحة المحنة لم تذكرني بالمرحومة زوجتي، لأنها في حياتها ومماتها هي الوجود الحي في كياني، وحاضرة في عقلي ووجداني، لم يغب طيفها عني لحظة واحدة أوطرفة عين، منذ أن تحول البيت ـ بعد رحيلها من مسكن تشعر فيه النفس بالسكينة، إلي منزل ـ من نزل تضم النون ـ أي فندق أنزل فيه، ومتحف يجمع صورها وأشياءها فلا يخلو حائط وجدار أو ركن بالمنزل من صورها الفوتوغرافية صور حفل خطوبتنا، وصور حفل زفافنا، وصور المناسبات والرحلات، وأعياد ميلادها وأعياد زواجنا، عيدا : بعد عيد، وعاما بعد عام، علي مدي نصف قرن من الزمان إلا قليلا، هي عمر زواجنا، تراها ـ بعد وفاتها ـ معلقة علي حوائط وجدران البيت، أو تحتل ركنا من أركانه فوق منضدة والي جوارها باقة ورد. ودولاب تحف تجمع علي رفوفه الزجاجية أشياءها: حليها ومجوهراتها ودبلة الخطوبة تحمل اسمي، وساعة يدها الذهبية الثمينة، وحقيبة يدها، ومناديلها وأدوات مكياجها وأمشاطها، وزجاجة عطرها.

وبطاقة تحقيق شخصيتها، وبطاقة عضويتها بجمعية الهلال الأحمر، وبطاقة عضوية في نادي المحروسة بمدينة الاسكندرية، وعدد جريدة الأهرام الذي جاء فيه نعيها، وما تخلف بعد رحيلها من أدوية علاجها، وكذب موتها حكمة قديمة تقول كل شيء يولد صغيرا ثم يكبر، إلا الحزن يولد كبيرا ثم يصغر.. فحزني علي فراقها الأبدي ولد كبيرا، ويكبر مع الأيام دون أن يشيخ أو يتحلل.

كنا روحان حللنا بدنا كما يقول المتصوفة، وكانت ـ رحمها الله ـ كالشمعة المضيئة في المكان المقدس، والكل الذي يحتويني، ومركز الدائرة ضاقت أو اتسعت، وفيها ومعها يزيد مجموع١+١ علي الاثنين، أجادت الغرس وغنمت أطيب الثمرات علما وخلقا وتدينا واستقامة، وكان منهم الطبيب والطبيبة والمهندس، ولم تسيء إلي أحد، لماحة تفهمك قبل أن تتكلم، وتعرف ماتريد قبل أن تريد، ومتي تتكلم، ومتي ينوب الصمت عن الكلام، وشكها منهجي مؤقت، ويقينها واضح لاريب فيه، جميلة كالوردة بلا أشواك

تضحك دون أن نضحك، وفيها من الجاذبية مافي جزيرة المغناطيس التي تحدثت عنها الف ليلة وليلة إذا اقتربت منها السفن سحبت مساميرها التي تربط بين أجزائها، فتصير ألواحا خشبية مفككة تجالسها وتستمع اليها وتتحدث معها، فيعمل قانون تداعي المعاني عمله ويستدعي إلي الذاكرة أنطونيو وقيصر حين وقعا في هوي كليوباترا قبل عشرين قرنا من الزمان، واختلفا حول حقيقة جمال الملكة وسر جاذبيتها، هل هو جمال الوجه والجسم والقوام، أم جمال العقل وفتنة الأنوثة الطاغية، أم صفاء الروح وحدة الذكاء، أم سحر المنطق وقوة الشخصية، وتعجب كيف استحال ذلك كله إلي رفات وتراب في تراب!!إنها الزوجة والحبيبة والصديقة ورفيقة الدرب، انتقلت إلي رحاب الله قبل أربع سنوات وأخذت معها الشمس والقمر وكل مصادر الاضاءة والحياة، وكل مفاتيح السعادة والهناء، وتركتني في عتمة شاملة، أعاني متاعب الشيخوخة وسجون الوقت.

ضربها مرض القلب قبل وفاتها بخمس سنوات، وطفت بها علي كبار أطباء القلب، وكلما سألتها عن حالها تشير إلي صدرها وتقول الدينامو تعبان وأراها في عامها الأخير كالشمعة تنطفيء بالتدريج، وذات صباح أسود كئيب، وساعة الحائط تدق السابعة تلاشت الشمعة ثم انطفأت، مالت برأسها علي كتفي كسنبلة قمح مليئة تميل علي ساقها، وفي هدوء انتقلت الروح إلي خالقها، وماتت، ماتت كما يموت الأبطال واقفين، وأصبحت طيفا يروح وطيفا يجيء وطيفا في القلب قد وقر، وكانت ملء السمع والبصر علي جبينها يطلع القمر، فبأي قلب أحزن لفراقها والقلب من حزني عليها انفطر وبأي اللغات أبكي عليها ورحيلها ألغي جميع اللغات!

فمن بعدها يؤنس وحدتي، ويرد غربتي، ويفرج كربتي، ومن بعدها يسدد خطواتي، ويغفر لي زلاتي، ويشاركني اهتماماتي، ومن غيرها أقرأ عليها صفحاتي، فتشير علي بالحذف أو الإضافة أو باستبدال كلمة بأخري، وتزهو وتنتشي حين تقرأ اسمي وتري صورتي علي رأس مقال لي في صحيفة أو مجلة، أو تقرأ اسمي مطبوعا علي كتاب مدرس، ومن سواها يدير حالي ويحفظ لي مالي وأموالي، وتعد لي طعامي وفراشي، وترتب أوراقي وخزانة كتبي وادراج مكتبي ودولاب ملابسي، وتعد لي ملابس الخروج وتختار رباط العنق، وتودعني صباح كل يوم علي باب البيت

وتترقب عودتي، ومن غيرها يجمع الأبناء والزوجات والأحفاد مساء الخميس الأول من كل شهر حول مائدة العشاء، وتقدم لهم بيدها السخية مايحبون من طعام وفطائر وحلوي من صنع يديها، وتوزع ابتسامتها الحانية علي جميعهم بالتساوي، والشاطر منهم هو الذي يسبق غيره بقوله تسلم إيدك ياماما أو ياتيته.

أزور قبرها مرة كل شهر حاملا إليها باقة من الورود والزهور التي تحبها، وشمعة أشعلها فوق قبرها، وأدق بيدي باب القبر عسي أن تقوم وينفتح، وحين يدركني اليأس، أحكي لرفاتها أحداث الشهر يوما بيوم، ماذا أكلت وقرأت وكتبت، ومن في البيت استقبلت، وإلي أين خرجت ومتي عدت، وفيما أفكر وفكرت، وأذكرها بأيامنا

الحلوة، واحتفالنا الأسبوعي مساء كل أحد، وأنقل اليها أخبار الأبناء والاحفاد، وحين تصل الشمعة الموقدة فوق قبرها إلي نهايتها وتنطفيء، أحاول أن أخلع نفسي من أمام قبرها فلا أنخلع، فأرفع وجهي إلي السماء معاتبا ربي: لماذا يارب أخدتها مني لماذا أخذتها، ولماذا لم أكن أنا الذي سبقتها إلي هنا؟!

وكل زيارة مني إلي قبرها، تستدعي صورة كانت مرسومة بيد فنان في أحد الأديرة بمدينة أفنيون، تمثل امرأة ميتة ملفوفة باكفانها، وقد صففت شعرها، والدود يقرض أمعاءها وتحت الصورة جاءت هذه السطور:

كنت ذات يوم أجمل النساء
وجعلني الموت علي هذه الحال
وكان جسمي جميلا بالغ النضرة والنعومة
أما الآن فقد تحول إلي رفات
كنت أعيش في قصر منيف
وها أنا هنا أسكن هذا النعش الصغير
وكانت غرفتي محلاة بالستائر الحريرية المطرزة بالورود
والآن تحيط قبري خيوط العنكبوت

حليم فريد تادرس
عضو الجمعية الفلسفية المصرية

: رد الكاتب

من كل حرف بها.. كلماتك الموجوعة أذابت الثلوج سيدي.. لاتتخيل كم أسعدتني رسالتك، رغم الألم النازف* من علي مشاعري، بعد أن استكانت أسفل صراعات الحياة، شكوي البشر، وغياب هذه اللغة الرقيقة الراقية من قاموسنا اليومي.

رسالتك جاءتني ـ سيدي ـ وأنا أسأل نفسي كل أسبوع، ماذا أفعل أمام رسائل الأصدقاء، وخاصة المتزوجين، البعض يشكو البعض، تعطلت لغة الكلام، وعلا صوت النفور والشجار، فغابت تلك العلاقة الإنسانية الرائعة، التي تجعل من١+١=١.

واحد يجمع إثنين عاشقين، تجمعهما المودة والرحمة، فتسمو نفساهما فوق صغائر الحياة، ليستمتعا بما رزقهما الله من خير وسعادة، ويواجها معا ما ابتلاهما به الله بنفس راضية وبتحد لكل صعاب الحياة.

شمعتك المضيئة ـ سيدي ـ لم تنطفيء، فضوؤها مازال مشعا يملأ روحك، فسمت بك وأفاضت علينا بكلماتك المنيرة. زهرة برحت مكانها ولكنها قبل الرحيل روت بذورها بمحبتها، فأنبتت الطبيبة والطبيب والمهندس والزوج العاشق الذي يزور قبرها كل شهر حاملا ورودها التي تحب، حاكيا له تفاصيل أيامكم.. إنه الحضور المكثف في وقت تتلاقي الأجساد والنفوس، وتعيش تحت سقف واحد، في غياب متصل، بلا محبة ولامودة، بلا تواصل أو تناغم.

سيدي.. ينطبق عليك قول الشاعر الفيلسوف أبوالعلاء المعري: ضجعة الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهاد

ولكنك تعرف أيضا ـ أكثر مني ـ أن رب موت كالحياة، وأن أجمل شيء يبقي بعد الرحيل، هي تلك الذكري التي تنير لنا الدرب، والذكري هي ناتج استثمار العمر، بالعمل والمحبة، بالتسامح والمغفرة، بالتفاني لإسعاد الآخرين. لأن الحياة مهما طالت قصيرة:

وما الدنيا بباقية لحي
وما حي علي الدنيا بباق

سيدي.. فارقتك شريكة العمر منذ سنوات، ولكن حزن فراقها ـ علي عكس ماهو شائع ـ يزداد يوما بعد يوم، فمثل تلك الزهرة لايعوض، والفراق صعب ومؤلم، ولو كان للفراق صورة نراها، لراعت القلوب وهدت الجبال، ولكن رحمة الله بعباده أكبر من أي حزن، ولأن الشعر بالشعر يذكر، أعيد عليك ما قاله لبيد بن ربيعة:

فلاجزع إن فرق الدهر بيننا
فكل امريء يوما به الدهر فاجع..

سيدي.. نشرت رسالتك، ليس فقط لما في ذلك من تكريم لزوجة وأم تستحق التكريم، أو تقدير لمشاعر نبيلة مثل مشاعرك، ولكن ـ إضافة لكل ذلك ـ رأيت فيها، دروسا بليغة لكل زوجين، وفيها النموذج والصورة التي يجب أن يكون عليهما الزواج، تجربة حية من تاريخ مازال طازجا، للحب والتفاني والخلود..

فشكرا لك ودعواتنا للسيدة الراحلة زوجتك، وبشكل شخصي أدعوك أن تستمر في كتاباتك للصحف والمجلات، فأنا واحد من الذين كانوا يتابعون ماتكتبه منذ سنوات صباي، وافتقدتها كثيرا، وتأكد أن زوجتك الراحلة ستسعد هي الأخري بما ستكتبه كما كانت تفعل في حياتها.. وإلي لقاء بإذن الله.

==

أغصان الشجرة

أنا طبيب شاب في التاسعة والعشرين من عمري نشأت في أسرة متعاطفة متدينة بين أب رحيم بمعني الكلمة ومثقف وأم حنون متعلمة، وأخ يكبرني ويعمل مديرا بإحدي الشركات الكبري وأخت تصغرني ببضع سنوات، وقد تمنيت منذ صغري أن أكون طبيبا فاهتممت بدراستي وأحببتها، واخترت أن أكون إنسانا خدوما لا أتأخر عن تقديم أي خدمة استطيعها لمن يطلبها مني، وأنهيت دراستي وبدأت سنة التدريب العملي وحصلت علي دبلومين دراسيين بعد التخرج، وكم كانت فرحة أهلي حين عينت معيدا بالكلية وبالقسم الذي أحبه.. فبدأت الاستعداد لدراسة الماجستير واخترت موضوعا يفيد المرضي ووافقني عليه أساتذتي، لكنه كان يتطلب تكاليف باهظة، للبحث العلمي فتم التنسيق بين كليتي وبين مركز البحوث، وأصبحت أعمل في الصباح بمستشفي الجامعة، وأقضي بقية اليوم في أكاديمية البحث العلمي، وكنت قد ارتبطت عاطفيا بزميلة لي وتمت خطبتنا فبدأ أهلي يطلبون مني التعجيل بالزواج.. خاصة وأنه قد تخرجت خطيبتي، وحصلت أنا علي الماجستير.. وعملي في الكلية موضع رضا أساتذتي وكل شيء يدعو للابتهاج والتفاؤل واستجبت لرغبة الأهل وبدأت مع خطيبتي في انهاء عش الزوجية والاستعداد للزفاف فإذا بي اسقط مغشيا علي وأنا أقوم بفحص أحد المرضي وأفقت من غيبوبتي فوجدتني ممددا فوق أحد أسرة المستشفي الذي أعمل به.. وبجواري عدد من زملائي الأطباء.. وفوجئت بأقربهم إلي يبلغني بأن مستوي السكر لدي يبلغ خمسة أضعاف المعدل الطبيعي، وأنه سبب هذه الغيبوبة المفاجئة! وتساءلت متألما سكر في هذه السن؟ ثم سرعان ما استعدت توازني.. واعانني علي ذلك التفاف الأهل والأصدقاء حولي.. لكني فوجئت بعد ذلك بفتور خطيبتي تجاهي وفوجئت بها تكثر من الحديث المتشائم معي عن المشاكل الصحية المتوقعة في المستقبل بالنسبة لمرضي.. والمضاعفات.. والمحاذير الخ.. وكأنني مريض تفحصه ولا تربطها به صلة ولست خطيبها.. وأدركت الموقف المؤلم.. وأحسست بالمرارة.. وخلال فترة قصيرة كانت قد انسحبت من حياتي تاركة وراءها غصة في النفس والقلب، وكمحاولة من جانب أبي لأن يخفف عني بدأ يلح علي في أن ارتبط بابنة أقرب أصدقائه إليه.. ولم أجد ما يمنعني من الاستجابة لرغبته خاصة وأنها فتاة مهذبة وزوجة صالحة لمن يرتبط بها. وبدأنا نتحدث في الأمر مع والدها.. ووجدت من واجبي أن أصارحه بمرضي فأبلغته به.. فانفرد بي جانبا وأبلغني بطريقة مهذبة انني إذا أصدرت علي هذا الارتباط فلن يعارضه لكنه يفضل لو جاء التراجع أو الرفض من جانبي أنا.. وليس من ناحيته حرصا علي صداقته لأبي.. وأبت علي كرامتي أن استغل حرج والد الفتاة من أبي واستمر في مشروع الخطبة فعزفت عنها دون ابداء اية أسباب لأبي.. لكني تساءلت ممرورا وهل ضمنت خطيبتي الأولي أو الثانية ألا يصاب من ترتبط به برباط الزوجية بالمرض في المستقبل؟ وهل الزواج هو مجرد علاقة جسدية أو مادية فقط.. وسلمت أمري لخالقي وعرفت أن الله سبحانه وتعالي سوف يعوضني خيرا وأسدلت الستار علي موضوع الارتباط والزواج في حياتي.. وانخرطت في العمل باهتمام مضاعف.. وكرست كل وقتي له وزاد دخلي كثيرا والحمد لله.. وبدأت في التفكير في انشاء مركز صغير متخصص في مجالي.. وشجعني أبي أكرمه الله علي هذا المشروع وساعدني عليه ماديا.. واشركت معي أخلص أصدقائي.. وحصلنا علي المكان.. وتعاقدنا علي الأجهزة.. واحتاج الأمر إلي بعض عمليات الهدم والبناء الداخلية ورشح لنا الأصدقاء احدي الشركات المتخصصة في هذا المجال وطلبنا موعدا مع مسئول هذه الشركة وذهبنا إليه فإذا به مهندسة شابة جميلة ومريحة.. وتم الاتفاق وبدأ تنفيذ الأعمال.. ووجدتني أتردد علي المكان كثيرا.. واختلق الاعذار والأسباب لأتصل بالمهندسة المشرفة واتحدث إليها.. وسلمت داخليا أن ينبوع الحب المحبوس داخلي قد تفجر منذ رأيت هذه المهندسة وتعاملت معها.. وانتهت الأعمال.. وشعرت بأن الفرصة تضيع من بين يدي فتجرأت وسلمتها ورقة صغيرة أعبر لها فيها عن مشاعري الصادقة وأسألها عن رأيها في. وفي المساء اتصلت بها متوجسا وحدثتها فبكت وصارحتني بأنها تبادلني مشاعري لكني استحق من هي أفضل منها لأنها مطلقة ولديها طفلة صغيرة، وانهت المكالمة دون أن تدع لي أي مجال للمحاولة معها واتصلت بوالدها فوجدته يعرف بما حدث وروي لي عن سوء حظها في زواجها السابق وكيف تزوجت من اختاره هو لها وهو ابن أحد أصدقائه ولم يكن يعرف الكثير عن هذا الابن، وكيف تبين بعد الزواج بثلاثة أسابيع فقط ولسوء الحظ أنه مدمن وكيف انتابته حالة هياج مدمرة ضربها خلالها بعنف شديد فكسر يدها واصابها اصابات متعددة فرجعت إلي بيت أبيها وطلبت الطلاق وحصلت عليه، وبعد شهرين فقط من الطلاق مات زوجها السابق بجرعة زائدة لكنها كانت قد اكتشفت انها حامل، ورفض هو أي محاولة لاجهاض ابنته.. واعتبر مولودتها حين جاءت إلي الحياة أختا صغري لها.. وتقدم لها بعد الطلاق كثيرون لكنها عزفت عن الزواج تأثرا بمرارة تجربتها الوحيدة معه. وشعرت أنا بأن تمسكي بها قد ازداد عمقا بعد أن عرفت كل ذلك عنها وطلبت من والدها أن التقي بها في بيته وقابلتها عدة مرات واحببت طفلتها الصغيرة وتعلقت بها، وعرضت الأمر كله علي شقيقي الأكبر فباركه وتعرف علي تلك السيدة الشابة واحبها واحترمها.. وعرفتها بأبي وأمي وأختي فأحبوها ورحبوا بها وتنبهت إلي انني لم اخبرها بعد بمرضي.. وربما لانني خشيت أن تتركني إذا عرفت؟ واستخرت الله سبحانه وتعالي وصارحتها فبكت وتساءلت.. وماذا لو كانت هي التي مرضت بهذا المرض.. أكنت سأتركها وأنصرف إلي غيرها؟.. ثم شاركتني الاهتمام بأسلوب الغذاء والرعاية والمتابعة لدي الطبيب المعالج بحب ومودة.. وأحسست بطعم السعادة الحقيقية معها وبمجرد رؤيتها وسماع صوتها، وحانت اللحظة الحاسمة لابلاغ أبي وأمي وأختي بظروفها الاجتماعية كمطلقة وأم لطفلة صغيرة، فلم تغير والدتي وأختي رأيهما فيها.. أما والدي الحبيب فلقد رفض ارتباطي بها بعنف شديد

قائلا لي، انني قد خنت الثقة ولم أصارحهم بظروفها منذ بداية التعارف وها هو ما أعترف به بالفعل لانني لو كنت قد صارحتهم بالتفاصيل في البداية لما سمحوا لي بتقديمها إليهم ولضيقوا علي الخناق حتي لا أعرفها، وحاولت مع أبي مرارا وتكرارا أن يعدل عن موقفه ويبارك رغبتي في الارتباط بهذه السيدة وحاول أخوتي وأمي فأصر علي رفضه وهددني بمقاطعتي وقطع صلة رحمي إذا تزوجتها.. فأبلغته انني لا أستطيع الاقدام علي شيء دون موافقته ومباركته ودعائه لي كما أن والد فتاتي كذلك يأبي لها ذلك لأنها لا ينقصها أي اعتبار ولم تخطئ في شيء وليس بها عيب وإذا كان ثمة خطأ في الأمر كله فهو خطؤه هو في سوء اختيار ابن صديقه لها دون أن يتحري حقيقة شخصيته وظروفه ولقد كررت المحاولة مع أبي من جديد وسألته عما سيكون عليه الوضع لو كانت اختي هي التي واجهت نفس هذه الظروف، فنهرني قائلا: إنه سوف يحسن لها الاختيار بحيث لا تتعرض لمثل هذه الظروف إن شاء الله، انني ارجوك أن تساعدني في اقناع أبي الحبيب بأن يدخل البهجة والسرور إلي قلبي وأن يبارك هذا الزواج لكي ننعم جميعا بالحب والرحمة والمودة التي زرعها الله في قلوبنا.. وهو من قرائك الدائمين ويحترم آراءك فهل تفعل ذلك من أجل شاب محب وسيدة شابة أمينة يرغبان في أن يقضيا أيام العمر معا؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول: لا خلاف علي أنك قد أخطأت بتعمدك إخفاء حقائق الظروف الاجتماعية للسيدة الشابة التي ترغب في الارتباط بها عن أبيك منذ بداية تعرفه عليها. ولا يشفع لك في ذلك تخوفك من أن يرفضها علي التو إذا عرف بظروفها في تبرير هذا الخطأ، لهذا فهو محق تماما في احساسه بأنك قد حاولت استدراجه للقبول بارتباطك بها بغير أن تضع أمامه كل الحقائق الصحيحة عنها.. ومحق كذلك في استنكاره لهذا التصرف من جانبك لأنه يتعارض مع الثقة التي يمنحها الأب لابنه.. ومع أمانة هذا الابن في عرض الأمور عليه فالحقيقة خير دائما من أي زيف.. وفارق كبير بين أن يختلف الأب مع ابنه في تقديره لبعض الأمور اعتمادا علي الحقائق الصحيحة.. وبين أن يستدرجه هذا الابن لتأييد بعض المواقف أو الاختيارات بالتعمية علي بعض الحقائق أو اخفائها. ففي الحالة الأولي يكون الأمر خلافا مشروعا في الرأي والرؤي بين الأب وولده أما في الحالة الثانية فإنه يكون خطأ أخلاقيا مؤسفا من جانب الابن في حق أبيه ولهذا كله فأنت مطالب أولا وقبل كل شيء بالاعتراف لأبيك بهذا الخطأ والاعتذار عنه.. ومن ثم يبدأ الحوار حول رؤية كل منكما لمن ترغب في الارتباط بها. وفي كل الظروف والأحوال فلابد أن نسلم بأن دوافع أبيك للاعتراض علي هذا الاختيار هي في الأصل دوافع تتعلق بحدب هذا الأب عليك.. وحرصه علي سعادتك الشخصية من وجهة نظره ورغبته في سعادتك وفقا لمفاهيمه واستطرادا لأمنية كل أب لأن ينال ابنه دائما أفضل عطايا الحياة والحد الأقصي من الأشياء ومن زاوية الرؤية هذه فإنه يري أن هذا الزواج ليس الاختيار الأمثل لك لأنه يتضمن تنازلا عن الحد الاقصي للأشياء وقبولا بعبء لا يغيب عائلي لا يري أن ظروفك كشاب لم يسبق له الزواج تضطرك للقبول به وهو طفلتها الصغيرة غير أنه عن حكمة أبيك في الوقت نفسه أن السعادة مطلب عزيز المنال، وأنه إذا استشعر الإنسان صدق الحب والرغبة في السعادة مع طرف آخر تتوافر فيه كل المزايا والفضائل الأخري ولم يكن هناك ما ينكره البعض عليه سوي مثل هذه الظروف الاجتماعية التي قد تتعرض لها أي فتاة كريمة رغما عنها.. فإن الحكمة تطالبه بالنزول عن بعض هذا الحد الاقصي من المطالب من الحياة وبالقبول بما يحقق له الأمل في الهناء بغير أن يتوقف كثيرا أمام هذا الاعتبار.. كما أن الانصاف أيضا يقتضي من أبيك الرحيم كذلك ألا يركز بصره فقط علي ما تنازل عنه ابنه في سبيل الفوز بالسعادة في هذا الارتباط، وأن يمد بصيرته أيضا الي الطرف الآخر في هذه القصة ليعترف لهذه السيدة الشابة أنها هي الأخري لم تكن أقل استعدادا لتقديم القرابين في سبيل نيل الحب والسعادة والأمان.. فهي لم تتوقف علي سبيل المثال أمام ما سبق أن توقفت أمامه خطيبتك السابقة وحطمت من أجله مشروع الارتباط القديم.. وتوقف أمامه أيضا صديق والدك الحميم وأشفق علي ابنته منه وإذا كان والدك يشفق عليك من عبء الطفلة الصغيرة.. فإن حكمته لابد وأنها تدرك كذلك أن ما قد يراه من يحكم علي الأمور بالمنطق المجرد عبئا وهو هذه الطفلة الصغيرة قد يكون في رؤية المحب الراغب بشدة في السعادة مع أمها امتدادا لحبه لها وليست عبئا انسانيا كما يتصور، والمفكر الفرنسي الكبير فولتير يقول إن من أحب الشجرة أحب أغصانها! وهذه الطفلة الصغيرة هي الغصن الذهبي لشجرة هذه السيدة الشابة فإذا صدق حبك لها صدق بالضرورة حبك لابنتها.. وامتد إليها. وبحسن المعاشرة تدوم المحبة كما يقول لنا المفكر الامريكي ايمرسون وليس بمثالية ظروف الطرفين ولا بخلوها من اية أعباء انسانية ولا بتوافقها مع الحدود القصوي للأشياء، فإذا لم يكن لدي أبيك من الاعتبارات الأخري ما يعترض عليه سوي ظروف هذه السيدة الشابة كمطلقة وأم لطفلة.. وتوافرت فيها كل الشروط والمزايا الأخري وكان الحب متبادلا وصادقا.. والرغبة في أن يعوض كل منكما الآخر عما ينقصه ويشد أزره في الحياة ويعينه علي أمره، حقيقية ومخلصة فلابد أن تنجح عشرتكما وتثمر ثمارها الطيبة بإذن الله.. غير أن كل ذلك لن يتحقق لك إلا إذا استكملت أسباب الأمل في السعادة الشخصية بنيل رضاء أبيك ومباركته لاختيارك وحياتك وثق من أنه لن يضن عليك بتأييده لك إذا كانت كل الاعتبارات الأخري متوافرة في شخصية فتاتك وإذا استشعر كذلك انك مستمسك بهذا الاختيار إلي النهاية.. ستظل صابرا ومتصبرا إلي أن يشفق عليك من أن يحرمك إلي ما لا نهاية في سعادتك ولاشك في أن والدك ممن يقدرون جيدا نعم ربهم الجليلة عليهم ويعرفون تماما أن من أجل هذه النعم أن يكون للمرء أبناء راشدون، زمام أمورهم بأيديهم ويستطيعوا أن يفعلوا بحياتهم ما يشاءون لكنهم يقبضون

علي قيمهم الدينية كما يقبض المرء علي الجمر ولا يجرؤون ـ حبا وكرامة ـ علي الخروج علي طاعة آبائهم وأمهاتهم ولا تهنأ لهم حياتهم إلا إذا استشعروا رضاء الأهل الأقربين عليهم.. ومباركتهم لاختياراتهم
==

أم البنات

نا زوجة وأم لفتاتين تدرسان في الجامعة، نحن أسرة راقية اجتماعيا وماديا، فأنا ووالدهما نشغل مناصب منذ مرموقة، والفتاتان تدرسان في كليتين من كليات القمة وهما علي درجة عالية من الجمال والأناقة والرقي. بضع سنوات فقط بدأ الخاطبون يأتون إلينا عن طريق المعارف والأقارب وبدأت أنغمس في هذه المشاكل التي جدت علي حياتنا من دراسة العريس وظروفه ومدي ملاءمته لإبنتي من النواحي الإنسانية والأخلاقية ومن حيث الأهل الطيبون الذين أتمني أن يحتضنوا ابنتي لتتسع أسرتنا ويعمها , والاجتماعية والمادية والدينية الحب والراحة علما بأنني ربيتهما علي الاخلاق والدين والأدب مع قوة الشخصية بحيث تكون تصرفاتهما الملتزمة مبنية علي اقتناع لا عن تقليد أو خوف، وفي نفس الفترة الزمنية بدأت صديقاتي يتعرضن لنفس مشاكل العرسان والخطوبة مع بناتهن، فصرنا نتبادل الخبرات والتجارب التي أردت أن أشارك بها معك ومن خلال بابك الرائع لإلقاء الضوء علي الأسباب التي كنت شاهدة بنفسي عليها والتي اعتقد أنها وراء العديد من حالات العنوسة أولا: نحن كأهل للبنات نفاجأ بمن يريد أن يخطب لمدة٤ أو٥ سنوات حتي تتهيأ ظروفه لدي الشباب والشابات. ويكون نفسه، بمعني أنه يحجز البنت ويدخل ويخرج ويحب حتي تسمح الظروف علما بأن هذا يؤدي لتجاوزات وأحيانا نفاجأ باشتراطات غريبة من أم الخاطب كأن تأتي الموبيليا من أخلاقية ودينية فبالطبع نضطر للرفض. مكان معين والسجاد من نوعية محددة أو بأنها تريد العروس أن تؤجل دراستها لتسافر مع ابنها فنرفض لأن هذه والشيء الغريب الذي تكرر معي ومع صديقاتي الشروط تدل علي عيوب أعمق في شخصية العريس وأسرته. ولاحظناه أن الشبان لا يتحمسون إلا لخطبة من تفوقهم اجتماعيا وعلميا وماديا وربما تفوقهم كثيرا في الوقت الذي يتمني أهل الفتيات من تتوافر فيه شروط الكفاءة أو التقارب، وإذا وجد الشاب من تناسبه وتفرح به تعالي عليها وانصرف عنها حتي لو كانت في جمال هيفاء، ومهما كانت أخلاقها وصفاتها، كما لاحظنا أيضا أن كل شاب يظن نفسه(لقطة) فالعروس وأهلها موافقون عليه مبدئيا فيطلب أن يقابلها عدة مرات ليتأكد من نفسه أو من أنه سيحبها أو ليعرف كل التفاصيل عنها وأحيانا يطلب الشاب ذلك حتي قبل أن يشرح كل ظروفه وكأن أهل أريد أن أعرف، هل بناتنا جوار نعرضهن لكل من الفتاة يكفي ان يجلسوا معه ليقبلوا به دون أن يعرفوا عنه شيئا. يقول إنه يريد أن يخطب، وبهذه الذريعة نتركهن مع كل شاب ليدرسهن ويختبرهن ثم يعتذر لنا أو يتفضل بالموافقة، أليس هذا شيئا غريبا خاصة إذا تكرر مرات عديدة. أقسم لك أن بعض الشباب الذي أعرفهم شخصيا وشاب آخر أعجب بفتاة قابل عشرات الفتيات الممتازات وبرغم ذلك لم يخطب بعد ولم يعد أحد يعرف ماذا يريد. رائعة شكلا ومضمونا وألح علي خطبتها وبمجرد موافقتها قرر أنه غير رأيه لأنه اكتشف أنهما متفقان في كل ورأيت أيضا من يعتقد أنه سيقع في حب الفتاة التي يتقدم شيء فخاف من الملل وأعلن أنه يريد من تخالفه. لخطبتها من أول نظرة وأنها ستبادله الحب بمجرد رؤيته، وطبعا هذا لا يحدث من ناحية الفتاة بالذات لأنها تكون كل أم متحفظة برغم فرحتها به فلا تندلق عليه من أول مرة كما يتوقع حتي تتأكد أنها تعطي حبها لمن يستحقه. وأب يريدان أن يفرحا بابنتهما ويزوجاها ولا مانع حتي إن يساعدا زوجها، ولكننا نريد شبانا لبناتنا فيهم رجولة وأخلاق وجدية وتفكير سليم لا شبانا تافهين لا يعرفون ماذا يريدون ـ نريد شبابا يعرفون أن الزواج يبني أولا علي الاختيار الصحيح فيختارون الانسانة الجميلة روحا وخلقا وطبعا، فالجمال الخارجي وحده لا يكفي. ثانيا: ثالثا: أن لابد للشباب أن يعرفوا أن القبول ليس معناه الانبهار وإنما الاعجاب والاقتناع القابلان للنمو والزيادة. يحدد كل شاب الخطوط العريضة التي يبحث عنها بوضوح ويحدد أيضا العيوب التي لا يريدها كما يتأكد من عدم وجود عيوب خطيرة، أما التفاصيل الصغيرة فلا يوجد في الكون اثنان يتطابقان في كل شيء أو يتفقان علي كل رأي.. ونجاح الزواج هو في المرونة من كلا الطرفين والرغبة المخلصة من كليهما لإسعاد النفس وشريك الحياة، وعادة تنجح الخطبة وتكلل بالزواج إذا كان كذلك نجاح الزواج في معرفة أن كلا منهما بشر فيه المزايا والعيوب. الاختيار في البداية المبكرة صحيحا من كلا الطرفين والأسرتين. وللعلم لا توجد الآن بنات خانعات مستكينات، فسكوتهن ليس دليلا علي ذلك بل ربما لدراسة هذا الشخص الذي يتكلم وعندما تطمئن البنت الي أن هذا الشخص جاد محترم ناضج تتكلم وتعبر عن نفسها. * اخترت هذه الرسالة من بين عشرات الرسائل لأمهات، يشخصن لأزمة الزواج في المجتمع، ويعكسن الأزمة التي تعانيها الأسر المصرية بسبب تأخر الزواج، ليس لأسباب اقتصادية، ولكن لعدم نضج الشباب المقبل علي الزواج، مابين السطور معان عميقة وكاشفة لا تحتاج مني الي أي تعليق
==

ورود لاتذبل

سيدي.. قال الكاتب الكبير أندريه مالرو في مذكراته: سألت القس الذي أمضي حياته يتلقي الاعترافات. ماذا تعلمت من اعترافات البشر فأجاب: تعلمت أن الناس أتعس كثيرا مما نظن.. وأنه ليس هناك اشخاص كبار.

نعم ياسيدي.. ليس هناك اشخاص كبار لأننا جميعا صغار أمام همومنا وأحزاننا، ولا يري أنفسهم كبارا سوي الحمقي والمغروروين.

تأملت كثيرا في رسالة السيدة التي تسرب إليها شعور بالفتور والجمود تجاه زوجها الذي لاتعيب عليه شيئا سوي انسحابه وانخراطه دون أن يدري إلي روتينية الحياة والطاحونة اليومية التي تطحننا جميعا رغما عنا وقدرت شكواها، لكن أود أن تتأمل هي وكل قرائك الاعزاء قصة أخري قصتي عسي أن تنظر إلي الأمور نظرةأخري. وان تري نصف الكوب المملوء.

تزوجت منذ أكثر من خمسة عشر عاما. بإنسان رائع أقل ما يوصف به أنه رجل كريم الخلق عزيز النفس، راقي المعاملة، وأعتبر نفسي محظوظة بفوزي بقلب هذا الرجل، الذي هو حبيبي وصديقي وزوجي وأحب الناس إلي قلبي.

وكانت بدايتنا بسيطة عادية تميل أكثر إلي أن تكون متواضعة من الناحية المادية، لكنها كانت راقية جدا من حيث المشاعر والتفاهم بيننا، وكان هذا كفيلا وحده بأن يذلل ويهون كل العقبات، أتذكر جيدا اننا يوما فاجأنا أهله بالزيارة علي موعد غداء، ولم يكن لدينا ما نقدمه، ولم يكن معنا سوي جنيهات قليلة لكن استطعت ببركة الله أن أعد عزومة فاخرة بتلك الجنيهات، فكنت أشعر دائما بأن الله معنا يسترنا ويهدينا وأصبح بيتنا الصغير هذا قبلة لكل من أهله وأهلي يلتمس فيه الجميع الود والراحة والهدوء والحل لجميع المشكلات التي كانت ولاتزال تواجه العائلتين. فأنا الإبنة الكبري لعائلتي، وهو كذلك الإبن الأكبر لعائلته. واستقبلت طفلتي الأولي وشعرت بعدها ان نعمة كبيرة من الله حلت علي وتفرغت تماما لتربيتها والاهتمام بزوجي راضية قانعة، وضحيت بطموحي الشخصي في ان أكون يوما ما صحفية أو كاتبة يشار إليها بالبنان، وجاءتني فرص كبيرة للعمل، وكنت لا أتصور أن أبتعد عن ابنتي أو اعهد بذلك إلي حضانة أو خادمة، ففضلت التفرغ لها تماما وسط ترحاب كبير من زوجي،

ولا استطيع أن اصف لك كم المشكلات التي واجهتها انا وهو في البداية من مشكلات عائلية إلي مادية، لكن كنت أعلم دائما ان التوكل علي الله مع السعي، والأخذ بالأسباب هو المعين الوحيد، فشجعت زوجي علي اتمام دراسته العليا. برغم طبيعة عمله المرهقة وانشغاله الدائم بأمورنا وأمور عائلته الكبري وعائلتي ايضا، وبعد سنوات كبرت ابنتي الجميلة، وحصل زوجي علي أكبر الشهادات العلمية بتفوق نادر في تخصصه، وقد أهداني نجاحه هذا، وقال لي إني صاحبة الفضل الأولي فيه ولا أخفي عليك أن مظاهر الحب قد تغيرت من فترة الخطوبة إلي السنوات الأولي من الزواج إلي الآن. فليس معني تغير مظاهر الحب انه اختفي أو جفت جذوته، فهذا مفهوم خاطئ جدا لدي كثير من النساء، فالحب في نظري يولد كالطفل الصغير البريء يولد علي سجيته وعفويته، فتكون البداية دائما قوية الافصاح، واضحة تماما كالطفل الصغير حين يضحك بعفوية، ويبكي بعفوية حين يسعد أو يغضب فيلفت الانظار إليه في الحالتين بالهدايا والورود والمكالمات المتلهفة، والرسائل الحارة، ثم ما يلبث ان يكبر الطفل أو الحب شيئا فشيئا مع الأيام وزيادة المسئولية علي كاهله فيبدأ يعبر عن نفسه بمظاهر أخري أكثر رشدا من ذي قبل، وان كانت لا تخلو من رقة وعذوبة فأنا اعتبر تشطيب المطبخ من قبل زوجي في أيام تعبي أو ارهاقي هي كلمة أحبك لكن دون البوح، واعتبر لهفته علي حين يضايقني أمر ما أو مشكلة ولايهدأ له بال إلا بعد أن يأتيني كعادته بحل عبقري من حلوله، خاصة انني تحملت عبء رعاية اخواتي البنات بعد وفاة والدتي ـ رحمها الله ـ وكان ذلك بعد زواجنا مباشرة ـ فكان نعم المعين لي في مشكلاتي هذه حتي إنه وافق أن تأتي أختي الصغري للعيش معنا بصفة دائمة للالتحاق بالجامعة هنا بالقاهرة من مدينتنا الإقليمية، حتي تخرجت وتزوجت برعايتنا هي وكل اخواتي اللاتي كنت معهن في كل مشكلاتهن الشخصية والمادية بصفتي أنا الكبيرة، والكل يلجأ إلي في ساعة الضيق والشدة، وسارت بنا الحياة هكذا، وكل يوم أكتشف في زوجي خصلة حميدة جديدة، وأحمد الله علي هذا برغم اختفاء الورود.. وإذا جاءت مناسبة عيد ميلادي فهو يفعل كما يفعل زوج السيدة صاحبة الرسالة.. يكتب لي كلمات رقيقة داخل كارت وبداخله المبلغ الذي سوف انتقي به هديتي لأنه لا يعلم حقيقة ما أحتاج إليه فعلا..أما انا بصفتي مديرة البيت وأعلم كل صغيرة وكبيرة فيه وبحكم علمي بكل ما يحتاجه هو والطفلة أبحث عما ينقصه وأشتريه، سواء أكان ذلك في عيد ميلاده أو بدون مناسبة، ولم أشعر يوما أن هذا انتقاص لمقدار الحب بيننا بل حبنا يكبر ويكبر بمرور الأيام ودوام العشرة الجميلة بيننا.

وجاءت طفلتي الثانية وملأت حياتي بهجة ومرحا واصبحت أكثر لحظات عمري سعادة هي الساعات التي أقضيها مع طفلتي الجميلتين وزوجي الغالي وأنا في المطبخ أعد لهما الطعام وهم حولي كل يأتي بما عنده من أحداث اليوم، واصبح بيتنا المتواضع الصغير هو محط الاحتفال بكل المناسبات، وبما أنني طباخة ماهرة، فدائما ماكان يلتئم شمل العائلتين عندنا، ونقضي الأمسيات في المرح والضحك وتحسنت أحوالنا المادية بعد حصول زوجي علي عمل اضافي خاص.. ودائما ما كنت أدعو الله ان يرزقنا ويوسع علينا.

حتي جاءت صاعقة من السماء أو هو ابتلاء من الله ـ فقد علمت انا وزوجي بطريق المصادفة أنني أحمل الجين الوراثي المسبب للمرض الذي ماتت به أمي، وهو مرض مزمن ليس له علاج ولا يرجي منه شفاء وأنه آت لا محالة، ولكن الأطباء لا يستطيعون الجزم بموعد مهاجمته لي فقد يكون بعد سنة أو أكثر قد يكون بعد عشر

سنوات أو أكثر لا يعرفون، وكتمنا الخبر عن الجميع: أهله وأهلي ولا أستطيع أن اصف لك كيف نزل علي هذا الخبر الصاعق. فقد كنت أرفل في سعادة ورضا ونعيم مقيم.

قضيت أياما وليالي وشهورا طويلة ارتعش في فراشي وفي حضن زوجي في عز الحر خائفة مرعوبة لقد كنت انا ياسيدي الشاهدة القريبة من تجربة أمي المريرة مع هذا المرض الذي استمر لست سنوات أو أكثر، حتي أسلمت الروح بين يدي، وتغيرت حياتي ونظرتي للأشياء والناس.. ودخلت دائرة اكتئاب وبكيت شهورا طويلة، وقل نومي وفقدت تركيزي، وأصبحت في وسط التجمعات والناس أري نفسي وحيدة وحدة قاتلة، وأنا انظر وأستمع إلي مشكلاتهم الصغيرة التي هي في أعينهم كبيرة وليس لها حل، واكثر ما أفكر فيه انني سوف اعيش هذه التجربة المريرة وأذيق ويلاتها لزوجي الحبيب وإبنتي اللتين مازالتا في طور المراهقة الأولي مازالتا طفلتين يحتاجانني ويحتاجان لعطائي وجهدي.. وهنا نظرت إلي حياتي وما مررت به، وأعدت حساباتي ووجدت نقطة نور تشع وسط هذه السحابات القاتمة، لقد عشت حياة مليئة بالحب، سواء مع أهلي أو أخواتي أو زوجي وبنتي، حتي صديقاتي وجيراني وأهل زوجي لقد كسبت حب واحترام الجميع، وكسبت قلب زوجي واحترامه لسنوات عشرتي به، وأديت واجبي نحوهم جميعا لم أقصر في حق احد يوما، ولم أقم بإيذاء أحد يوما حتي بكلمة، ودائما ما كنت أحاسب نفسي علي كل أفعالي وتصرفاتي، ولا أذكر انني اشتكيت من زوجي لأحد، ولا هو اشتكي مني لأحد ودائما ماكانت خلافاتنا بيننا لايعرف عنها أحد شيئا تبدأ وتنتهي بيني وبينه فقط، حتي ان اهلنا يتندرون علينا أننا لا نتشاجر ابدا!

والآن أري ذلك البنيان الذي بنيته بكل الحب والتفاني والاخلاص ينهار امام عيني، وتتلاحق الاسئلة امامي ماذا لو مرضت الآن؟ ومن أين سأنفق علي علاجي ونحن امكاناتنا لا تسمح وهو علاج مكلف وأكثر ما أفكر فيه هو تأثير هذه التجربة علي نفسية بنتي بعد ذلك، ولا أريد لهما أن يعانيا مثلما عانيت أثناء مرض أمي وبعد وفاتها ثم زواج أبي من اخري وتوالت مشكلاتي ومشكلات أخواتي.

وأقول هنا لكل امرأة تفتقد في زوجها بعض الأشياء اللافتة كالورود والكلمات الطنانة ان هناك كثيرا من النساء تأتيهن الورود والهدايا الثمينة ولكنهن يعلمن من داخلهن انهاورود بلا رائحة ومجاملات قد تفتقد إلي الصدق والعمق العاطفي، العبرة في ذلك بالصدق وقد قال الشاعر الهندي طاغور ابحث في الناس عن مزاياهم وابحث في نفسك عن عيوبك تكن احكم الناس، وانظر دائما إلي الجانب المبهج من الحياة وتعامي عن الجانب المؤلم منها تكن أسعد الناس.

سيدي.. مرت فترة طويلة وانا بخير والحمد لله وتحاليلي وفحوصاتي الطبية تنبئ بالخير الي الآن، وليس لي أمل الا في رحمة الله التي وسعت كل شئ ان يدرأ عني هذا الشبح أو أن يؤخره الي آخر العمر حتي أكون اشتممت ورودي الصغيرة وحصدت مازرعت علي مدي سنوات واطمأننت عليهما، وأكون قد اديت رسالتي نحو زوجي وبنتي واهلي الي آخررمق في.

فأرجو ان تدعو لي بذلك انت وقراؤك الأعزاء. واخيرا اقول ان الحياة علمتنا أن أسرع طريق للأخذ هو العطاء المتفاني، فانتبهوا للسعادة التي بين أيديكم وانتم لاتشعرون بها ولاتقدرونها حق التقدير ولاتشكروا لها حق الشكر، وابحثوا عن الورود التي لاتذبل ابدا بفعل الزمن، الورود التي يظل أريجها يتهاوي في عبق الايام وفي نفوس من نحب.. حتي لو فارقناهم الي الابد..

رد الكاتب

سيدتي.. كلما قررت اغلاق الحوار حول أزمة العلاقات الزوجية مؤقتا لإفساح المساحة لقضايا اجتماعية وانسانية أخري اجدني امام فيض انساني برسائل القراء رجالا ونساء محبة او ناقدة فأجدني مضطرا وراضيا الي الدخول الي هذا العالم.. علاقة الرجل والمرأة، الزوج والزوجة، لأن منه تبدأ السعادة وتنتهي.. منه يستقر المجتمع السعيد فتسود الأخلاق الحميدة، ويزيد الأمن كما يزيد الانتاج والعطاء، ومنه ايضا يبدأ الألم والحزن بالتفكك الأسري وانتشار العنف والمخدرات والخيانة والفشل الدراسي وانحراف الأبناء.

من البيت يبدأ المجتمع نموه وازدهاره أو انتكاسه وفساده.

لذا فعندما نتحدث عن زوجين عن علاقتهما عن حبهما لانتحدث عن حالات فردية بل نتحدث عن مجتمعنا الذي نعيش فيه.

سيدتي.. كم كنت رائعة عندما فتحت تلك النافذة المضيئة التي أطللت منها علي علاقتك بزوجك وفهمك العميق لمعاني الحب بين الزوجين ورصدك لتغير مظاهر الحب، والتي لاتعني بأي حال ضياع الحب أو خفوته، فالحب له الف ذراع للتعبير عن نفسه غير الكلمات الجميلة او تقديم الورود وان كانت هي وغيرها من هذه الاذرع التي ترقق القلوب وترطب المشاعر الجافة فتصبح مثل الندي الذي يبلل الزهور التي يمكنها الحياة بدونه ولكنها تمنحها حيوية وجمالا.

قليلون هم الذين يعرفون ان الأعمار مهما طالت قصيرة، وان الحياة مهما ابتسمت قاسية وان العمر سيمر بك سواء كنت سعيدا أو حزينا، والبشر الطبيعيين هم الذين يختارون السعادة، ويعرفون ان السعادة الحقيقية في العطاء وفي ان تجعل غيرك سعيدا بك.

يستعصي علي الفهم أحيانا كيف يري الرجل أو المرأة سعادة الطرف الآخر في بعض الاهتمام وبعض اللمسات الحانية البسيطة وفي كلمة طيبة ولايفعل؟

سيدتي.. ان أسلوب تعاملك وزوجك هو الطريق السحري السهل للسعادة الزوجية فقد اتسع بيتكما الصغير لأسرتيكما الصغيرة والكبيرة، تعاونتما علي مواجهة الصعاب بكثير من الإيمان والحب فلانت لكما الايام وقدمت لكما حلوها.. ولانه لامعني للحياة بدون مراراتها وابتلاءات الله سبحانه وتعالي اطل عليكم الجين الوراثي المفزع فجسد لك صورة أمك الراحلة ـ رحمها الله وغفرلها ـ بآلامها ومعاناتها فاستسلمت لحزنك ومخاوفك علي الرغم من ايمانك الكبير بالله وبرحمته الواسعة، وهذا ما اعاتبك عليه لأن اصعب من الالم انتظاره والعيش في احزانه، لماذا ياسيدتي تريدين ان تعيشي الحزن مرتين قبل مجيئه واذا ـ لاقدر الله ـ اتاك؟.

مشاعرك الرقيقة المرهفة معذبة خوفا علي زوجك وأبنائك من مصير اخواتك اللاتي عانين بعد رحيل والدتك متناسية أو غافلة ان الخالق الرحمن الرحيم اللطيف هيأ لهن اما اخري رحيمة، وابا كريما انت وزوجك الفاضل. ياسيدتي لاتستكيني الي مخاوفك وثقي في لطف الله وفي قدره، وكوني مطمئنة ان الخير الذي بذرته سيثمر حتما في حياتك وبعد رحيلك ـ اطال الله في عمرك وبارك فيه ـ المحدد والمعلوم والذي لاينتظر مرضا او عرضا، فلكل أجل كتاب، فلا تفسدي سعادتك وسعادة أسرتك ولاتضعفي مناعتك بحزنك وواصلي رسالتك وابذري حكمتك ومحبتك في نفوس من حولك، ودعينا نستفيد جميعا من تجربتك الإنسانية الرائعة ونسترشد بروشتتك السهلة حتي تزدهر الورود ولاتذبل أبدا في حياتك وحياة كل الأزواج.. وإلي لقاء بإذن الله

==

العلاج الحاسم

أنا وزوجتي من قرائك القدامي.. وهذه ثالث أو رابع رسالة لي بغير أن أتلقي منك أي رد.. أما عن مشكلتي.. فأنا أبلغ من العمر أربعين عاما وقد تزوجت منذ عشر سنوات حين رأيت زوجتي في إحدي المناسبات التي حضرتها بالمصادفة وأعجبني وجهها البريء، والذي يدل علي طفولة بريئة.. فاستخرت الله وتزوجتها.. ومضت ظروف الزواج بيسر مما أشعرني أن الله قد يسر لي ذلك.. وأنه سيكون زواجا موفقا..

دعني أتحدث عن زوجتي فأقول، إنها تحمل قلبا فيه الكثير والكثير من المعاني الطيبة.. قلبا يسع العالم بأسره كأنه قلب ملاك يحب الجميع ولا يحمل أي ضغينة لأحد مهما يكن إذ هو صاف ناصع البياض.. ليس به أي بقع سوداء..

لذا فقد أحبت الجميع.. وأحبها الجميع وخصوصا أسرتي، فأمي تحبها كما لو كانت إحدي بناتها، حتي أنني حينما أخذت أمي للعمرة.. أقسمت أمي أن أول دعاء لها عندما لمست الكعبة كان لزوجتي قبل أن تدعو لبناتها.. وكذلك أخوتي الذين يحترمونها ويحبونها. وهي كالفراشة لا تهدأ.. ولا تنام إلا بعد أن تطمئن علي.. ولا تأكل مهما تأخرت عنها، وإنما تنتظرني، وتقابلني بابتسامة وقبلة علي وجهي، وحينما تأكل تقدم الي الطعام أولا.. وإذا صحوت من نومي.. تسرع الي وجهي لتطبع عليه قبلة الصباح.. وتحضر لي الإفطار، ثم تودعني بقبلة أخري وابتسامة متمنية لي يوما سعيدا.. وتنتظر رجوعي بفارغ الصبر لكي نتحاكي.. ونتكلم ونتحدث عما قابلني في يومي وعملي..

وإذا حدث أي شيء ولو تافه يعكر صفو حياتنا تكون دائمة السبق للصلح.. ولا تحتمل أن تمر لحظة ونحن متخاصمان، لدرجة أن تحاول تقبيل يدي بل وتقبيل قدمي للعفو والصلح حتي لو كان السبب مني أنا.. وتقول لي دائما، إنها ماأحبت أحدا سواي.. ولم تتمني أحدا طوال عمرها أكثر مني.. وتحمد الله دائما أن رزقنها إياي.. وتقول لي دائما اننا حب الأقدار.. لأنها ذهبت إلي ذلك الحفل الذي التقينا فيه رغما عنها ودون قصد.. حتي يجمع الله بيننا دون سابق إنذار..

وقد رزقنا الله سبحانه وتعالي بطفلين يحسدنا عليهما الجميع.. ومضت الحياة هادئة هانئة، ومر علي زواجنا الآن عشر سنوات.. ولعلك تقول وتسأل عن سبب مشكلتي.. فأقول.. إنني منذ حوالي٤ سنوات وجدت مشاعري فجأة تتحرك بعيدا عنها تماما.. ووجدتني أنفر منها بشدة وأراني أنظر إليها فأراها قد نقص وزنها وأصبحت نحيفة وأجدها أقصر مني، ومظهرها أصبح غير مناسب لي.

وبدأت كل مشاعري تتحول عنها، وانقلبت حياتنا رأسا علي عقب.. وبإحساس المرأة ناقشتني زوجتي ذات ليلة عن سر تحول مشاعري عنها.. وألحت علي بالسؤال.. فقلت لها الحقيقة.. وهي أنها أصبحت نحيفة وشكلها أصبح يسبب لي حرجا ولم تعد كما كانت ذات الجسم المتناسق.. وأقسم لك ياسيدي أنني لا أعرف أي فتاة، لأنني أخاف من ربي وقد قمت بالحج والعمرة مع زوجتي ومع أمي، ولكني أجد جدارا أو سدا منيعين يحولان بيني وبين زوجتي ومنذ أن صارحتها بهذا الأمر وأنا أراها تتعذب عذابا مبرحا...

والآن.. أجدها تشكو آلاما مبرحة وصداعا دائما برأسها.. وساءت حالتها.. لأنها كانت قد عانت في بداية حياتنا الكثير وصبرت علي المأكل والملبس وتحملت الجوع، والآن وبعد أن تحسنت أحوالي كثيرا.. كانت تنتظر مني تعويضها عن تلك الأيام والسنين الجرداء ؟ فإذا بها تجد مني هذا النفور

إنني أنظر للفتيات في مثل سنها فأجدهن ذوات أجسام ممشوقة وأطوال مناسبة.. فتتوق نفسي إليهن وأسأل نفسي.. لماذا لم أتزوج بزوجة شديدة الجمال.. متناسقة الجسم بدلا من زوجتي هذه التي أصبحت هزيلة..

ومنذ أيام وجدت زوجتي توقظني من النوم وهي في حالة إعياء شديد.. وتبكي بحرقة وتسألني: لماذا تكرهني.. لماذا تتباعد عني هكذا.. هل منظري أصبح غير ملائم.. هل أصبحت تنفر مني بهذا الشكل.. هل تحب فتاة أخري.. هل ستتزوج غيري.. هل.. هل.. مئات الأسئلة..؟! وهي تقسم لي أنها تحب التراب الذي أسير عليه وماأحبت في حياتها شخصا غيري.. ولا تستطيع البعد عني.. كما تقسم أنها لا تعيش لنفسها.. بل تعيش من أجل خدمتي وخدمة أولادي.. وإنني أبوها وأمها وأخوها وأختها.. والحياة بأسرها..

وتقول لي إن الشيطان يحاورها كل لحظة حين أذهب لعملي، ويذهب أولادنا للمدارس.. فيوسوس لها ويطالبها بإنهاء حياتها بأي شكل.. عن طريق الحرق أو ابتلاع البرشام.. أو أي طريقة أخري للخلاص.. فما معني الحياة بدون حب..؟!

لقد أصبحت.. زوجتي في حالة سيئة وأنا أشعر بالذنب الشديد تجاهها إذ انها لم تنطق بكلمة تجرح كرامتي ورجولتي طوال السنوات العشر.. وكانت طوال هذه السنين الزوجة المحبة.. المتوهجة بالأحاسيس والعطف والشوق الدائم لي.. ومع كل هذا الحب من جانبها.. فإني ما أتمني غير فراقها، لأنني غير قادر علي التقرب منها مرة أخري.

لقد حاولت مرات ومرات.. ولكنني بعد أن أتقرب إليها أعود إلي ماكنت عليه من النفور والعبوس في وجهها.. ولا أنطق بكلمة حب تجاهها.. وهي علي العكس من ذلك تحاول وتحاول ولا تناديني إلا بكلمات الحب والشوق والهيام.. إنها صابرة.. تحتسب الأجر عند الله.. وتقول لي.. إذا وصلت معي إلي هذا الطريق المسدود الذي لا رجعة فيه. فحاول التماسك من أجل الأولاد.. وأنا أعرف أنني إذا تركت زوجتي فسيضيع أولادي لأنهم يحبونني حبا شديدا.. فلمن أتركهم هل لأب غيري يذيقهم العذاب.. أم للوحدة ؟ وأسأل نفسي دائما: ماذنب أولادي.. وكيف أترك زوجتي.. وهي التي كانت كريمة معي ومحبة.

لذا أسألك.. ماذا أفعل.. ماسر تحولي عن زوجتي.. وقد كنت المحب.. المشتاق.. هل هذا مرض نفسي.. هل من حقي الزواج بأخري مع احتفاظي بزوجتي وأولادي؟. إنني أشكو أقداري.. وأتمني لو أنني ماكنت ذهبت لهذا الحفل الذي جمعني بزوجتي.. وماكنت تزوجتها.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

ليس ما تعاني منه مرضا نفسيا، لكنه في أغلب الظن سمات الشخصية التي حدد معالمها عالم النفس فان فوجت.. فقال عنها: أنها شخصية يوقن صاحبها أنه علي صواب مطلق في كل مايفعل ومايفكر فيه، وتزداد ثقته بنفسه حين يري المرأة التي اختارها خاضعة له ومعجبة به وقد يزهدها أو يهجرها في بعض الأحيان ليثبت لنفسه أنه قوي ولا يبالي بالعواطف التي يهتم بها البشر العاديون، لكنه ينهار فجأة إن بدأته المرأة نفسها بالهجر وقد يتضرع إليها أن تعود إليه ليمارس عليها إحساس السيادة والتملك من جديد!

لهذا فإن علاجك الحاسم هو ان تزهدك زوجتك المحبة المتفانية التي تستجدي عطفك ومشاعرك ورضاءك وتطلب الانفصال عنك. لتعرف وقتها قوتك الحقيقية وهل ستسعد بهجرها لك أم ستنهار كالبنيان المتداعي دفعة واحدة..؟!

ونصيحتي لك هي ألا تختبر نفسك في ذلك لأن النتيجة محسومة من قبل البداية ولسوف تندم أشد الندم علي التبطر علي هبة السماء الغالية لك وهي شريكة الحياة المحبة المخلصة التي تغالي في تقديرها لك وتغبط نفسها عليك وتحفظ كرامتك ورجولتك ولا تسيء إليك بكلمة واحدة تمس رجولتك بالرغم مما تجرح به أنت مشاعرها كأنثي وكرامتها كزوجة.

إن الناس لا يتعاشرون بأجسادهم الممشوقة وأطوالهم الفارعة ومواصفاتهم الجسمية، وإنما بقلوبهم وأرواحهم وطباعهم السمحة ومثالياتهم الأخلاقية والدينية، فاعرف لزوجتك قدرها وانعم بحسن عشرتها لك ورغبتها فيك قبل أن تفقدها وتعرف بالثمن المرير قيمة ماكنت ترفل فيه من سعادة وهناء.. ماعرضت عنه بحمق وجهالة الي من لن تجد عندها غالبا سوي التعاسة والهوان.

==

العطف الأبوي

أرجو أن يتسع صدرك لسماع قصتي المؤلمة.. فأنا سيدة في الخمسين من عمري، وزوجي في الثانية والستين من العمر، وقد تزوجنا منذ ثلاثين عاما وأنجبنا أبناء كبروا وتزوجوا وانشغل كل منهم ببيته وحياته.

والمشكلة هي أنني طوال حياتنا الزوجية وأنا أشعر بالغيرة من مغالاة زوجي في الحديث مع السيدات والفتيات، بالرغم من أنه لايتمادي في علاقاته بهن ويفخر بأنه لم يرتكب الخطيئة طوال حياته، وبالرغم أيضا من أنه يندب حظه لأنني هادئة الطباع وليست زوجة لعوبا كما يشتهي. وظللنا علي هذا الحال إلي أن تعرف علي فتاة عمرها١٩ عاما ووالدها متوفي وتعيش مع أمها وأختها، فبدأت المحادثات التليفونية التي تستمر حتي منتصف الليل بينهما، وعندما اعترضت علي ذلك كان جوابه كما يقول كل مرة هوأنه يعطف عليها ويفعل الخير بمساعدة الأيتام، ويقوم كما كان يفعل في كل مرة حين يتعرف علي السيدات بقضاء مطالبهن، وهو يقوم الآن بزيارة هذه الفتاة وأهلها في بيتهن ويخرج معها ومع شقيقتها، بالرغم من اعتراض أهلهما علي ذلك.

وأنا أري أن ما يدور في المحادثات التليفونية الليلية لايمت بصلة للعطف الأبوي.. بل أنه قد اعترف لي بأن هذه الفتاة تغار من وجوده الدائم معي، كما اعترف لي بأنها تحبه.
وأنا لست الهادئة المملة كما يتهمني، لكن تربيتي كانت صارمة وقد تزوجت وأنا في التاسعة عشرة من عمري.
وما يفعله زوجي الآن يثير ضيقي إلي أقصي حد ويسبب لي الاضطراب النفسي وضيق التنفس وتسارع ضربات القلب، لأني لست عصبية ولا أعرف كيف أنفس عما تضيق به نفسي، في حين يخرج علي هو عصبيته بطريقة نظيفة، بالرغم من انه هو المخطئ.
وهذه الفتاة تري زوجي كثيرا وتحدثه كثيرا.
وهو سعيد بطعم هذا الحب لأنه يشعره أنه شباب ومرغوب وأنا أضيق به جدا جدا، فهل أنا مخطئة؟
ولكاتبة هذه الرسالة أقول:
أنت سيدة حسنة النية وطيبة القلب إلي أقصي حد يا سيدتي وهدوئك واتزانك وعجزك عن التنفيس عما يضيق به صدرك بالانفعالات الصاخبة والغضب الضاري والمعارك القتالية ينبغي أن يضاف إلي فضائلك ومميزاتك، لا أن يحسب عليك كما يفعل زوجك المتبطر هذا.
كما أنك محقة تماما في استنكارك لهذا العبث الذي ينغمس فيه زوجك ويسعد به، فهو عبث بالفعل لا هدف له إلا طلب المتعة والمغامرة العاطفية واستشعار القدرة علي مغازلة الفتيات والسيدات واكتساب مودتهن والشعور بالذات والجدارة وشباب القلب! ولا صلة له بالفعل بأي عطف أبوي مزعوم.. وإلا فلماذا لايتوجه هذا العطف أبدت ولو من باب الخطأ ذات يوم إلي الأيتام من البنين وليس من الفتيات!.. ولماذا لاترين زوجك هذا ساعيا أبدا في خدمة شاب يتيم فقير أو مريض ضعيف ذا يقتصر عطفه دائما علي جنس الفتيات والأرامل والمطلقات، إن قول زوجك بلسانه أنه لم يرتكب الخطيئة طوال حياته لايكفي لأن يكون ضمانا له ألا يخطئ مع مثل هذه الفتاة الطائشة أو غيرها، كمازنه لايمنحه حصانة تتيح له أن يحدثها في مكالمات ليلية بالساعات كل يوم، فمن حام حول الحمي أوشك أن يخالطه كمتا يقول لنا الرسول الكريم في مضمون الحديث الشريف وماذا تكون العلاقة العاطفية بين رجل وفتاة سوي مثل هذه الاتصالات الليلية الطويلة وتبادل الكلمات الحارة.
حتي ولو التزم ـ كما يقول ـ بعدم ارتكاب الخطيئة معها؟.
ولماذا يعكر عليك زوجك صفو حياتكما بمثل هذا العبث الذي لايليق به. والذي لايرعي فيه مشاعرك وكرامتك كأنثي مهما تعلل بالأسباب أو بالتزام بعض الحدود في صلته بمثل هذه الفتاة؟
ياسيدتي لاتسمحي له بالاتصال بهذه الفتاة من منزلك والاستغراق في الأحاديث الطويلة معها.. وطالبيه باحترام مشاعرك وحقوقك عليه كزوجة وشريكة عمر وأم لأبناء كبار، والمحي له بأن مثل هذا العبث لايليق به وهو في مرحلة الجلال والاحترام، وأن أبناءه سينزعجون كثيرا وسيسقط اعتباره لديهم إذا ذاع أمره بينهم، وإذا كان صادق الرغبة حقا في مساعدة الأيتام فإني علي استعداد لأن أرشده إلي عشرات من الفتية الأيتام الذين يحتاجون بالفعل إلي عطفه الأبوي هذا، لكي يفرغ فيهم كل مخزونه من العطف والحنان.. وشكرا
==

العطر الفواح

أنا طبيب اعمل مدرسا مساعدا بقسم الجراحة في احدي الوحدات التخصصية بواحدة من أقدم جامعات مصر، وقد دفعني للكتابة إليك بطل هذه القصة، الذي لم ار مثيلا له في إخلاصه لعمله ورعايته لحدود ربه في التعامل مع مرضاه ومع مرءوسيه وتلاميذه ومع الجميع.
فلقد عين هذا الاستاذ معيدا ثم مدرسا مساعدا في نفس القسم، ويذكر من زاملوه في هذه الفترة أنه كان شعلة من النشاط والاخلاص الي جانب الالتزام الديني والأخلاقي الكاملين فاذا به يكتشف انه قد أصيب بالمرض الخطير في تجويف البلعوم الأنفي وفي الغدد الليمفاوية، ولقد جاء اكتشاف المرض بمحض الصدفة.. فبدأ رحلة العلاج الكيماوي والإشعاعي وتحمل صابرا تأثيرات العلاج علي الصحة العامة والتركيز والحالة النفسية مع إدراكه جيدا كطبيب ان النتائج في مثل حالته ليست مطمئنة، ولم ييأس الاستاذ لحظة واحدة من أمل الشفاء واعتمد في مقاومته للمرض علي شيئين: العلاج الذي يصفه المتخصصون، والدعاء والابتهال الي الله ومناجاته طلبا للشفاء، فكان يناجي ربه قائلا: رب ان كنت قد وقفت يوما الي جانب مريض فقير وساعدته فاعف عني برحمتك وساعدني ولقد كانت حياته حافلة بمساعدة المرضي البسطاء ورعايتهم وحسن معاملتهم حتي يلهجوا بالدعاء له كلما رأوه.. وتغمره السعادة وينشرح صدره ويبش في وجوههم كلما رآهم.
وفي شدة معاناته للمرض والألم أكمل دراسته للدكتوراه، ونوقشت رسالته في يوم مشهود ونال درجته العلمية متفوقا علي كل الأقران وقاهرا اليأس والقنوط.. ثم استجاب الله لدعائه ودعاء مرضاه ومحبيه واسرته، فشفي بإذن الله من مرضه تماما ولم يؤكد له الأطباء المعالجون ذلك إلا بعد ان كرروا الفحوص والاشعات واثبتت كلها شفاءه.. فزفوا اليه البشري وقالوا له إنه قد أصبح انسانا طبيعيا ويستطيع ان يعمل اي ساعات عمل يريدها وان يسافر الي اي مكان لانه قد اصبح صحيح الجسم باذن الله، فسافر الي مكة للعمل كاستشاري باحد المستشفيات وواصل اجتهاده حتي اصبح رئيسا لقسمه في هذا المستشفي، وحرص خلاله علي السفر دوريا الي الخارج لإجراء مسح لحالته المرضية فيتأكد له كل مرة شفاؤه التام فيرجع من الخارج الي الكعبة ليؤدي العمرة ويطيل

الصلاة شكرا لربه وعرفانا، ويقضي الرجل في غربته عشر سنوات ادي خلالها فريضة الحج عشر مرات وقام بعدد كبير من العمرات شكرا لربه علي ان من عليه بالشفاء والصحة ويرجع في النهاية الي قسمه في مصر، فيقدم لمن يتعاملون معه من المرضي او الأطباء الصغار او اعضاء هيئة التمريض مثالا نادرا للعمل الذي يرعي صاحبه حدود الله في حياته ومثالا اكثر ندرة للتواضع الجم والرحمة بالمرضي ومن هم أقل منه.. ويجمع الممرضين والممرضات العاملين بالقسم ويقول لهم إن من يحافظ منهم علي المال العام، ويرعي حق المريض ويعتبره وديعة لديه يحاسبه الله عنها سبحانه وتعالي.. فإنه يضع التراب الذي يدوس عليه فوق رأسه وينحني له شكرا وتقديرا، ومازال هذا الاستاذ ينشر حوله الخير والعطف والخوف من الله سبحانه وتعالي ويهتم بكل شئون المرضي بنفسه.. ويحرص علي تدفئة غرفتهم في الشتاء القارس، ويراقب بنفسه نظافتها وحالة الأسرة فيها واعمال الكهرباء والسباكة، بغير ان يكلف احدا من صغار الأطباء بالقيام بذلك نيابة عنه ـ كما انه يشجع الأطباء الشبان ويساعدهم بجدية علي تقديم رسائلهم العلمية ويعتبر طلبة الكلية ابناءه.
وكلما عاتبه بعض زملائه الكبار علي إرهاقه لنفسه بالعمل وقيامه بما يستطيع غيره من صغار الأطباء القيام به نيابة عنه.. أجابه بالاجابة الدائمة التي تكشف عمق تدينه فيقول: أفلا اكون عبدا شكورا ذلك انه يعتبر كل مايقوم به من عمل ومايقدمه للمرضي والطلبة وصغار الأطباء قربي الي الله وشكرا له علي ان انعم عليه بالشفاء من مرضه الخطير.
هذا هو استاذي الذي اردت ان اكتب لك قصته مع الشفاء والأمل وصالح الأعمال.. عسي ان يستفيد بها قراء بريد الجمعة.. فهل تراني محقا في ذلك؟
ولكاتب هذه الرسالة أقول:
كان الكاتب المسرحي تيرانس راتيجان يقول: في العالم ظلام كثير، لهذا فإنه يرحب بأية شمعة ولو كانت صغيرة!
والشمعة التي رويت لنا قصة صاحبها ليست صغيرة بكل التأكيد، لأنها تبدد مساحة كبيرة من ظلام اليأس والقنوط، وتنشر الخير والرحمة والعطف حولها، وتؤكد خيرية الحياة، وقدرة كل إنسان لو أراد علي ان يجود ـ كما يقول الشاعر أمادو نرفو ـ بشيء ما مهما كان صغيرا قد تكون ابتسامة وقد تكون يدا تربت علي آلام الآخرين، وقد تكون كلمة تقوي عزمهم.
واستاذك الذي رويت لنا قصته مع المرض والأمل والشفاء ورعاية حدود ربه في عمله، تقدم لنا مثالا يرفع المعنويات، ويذكرنا بألا نيأس أبدا من رحمة الله، مهما تكثف الظلام حولنا،وان نؤمن دائما بأن في الغد دائما متسعا لكل شيء.. وان التعلق الأبدي بالأمل في رحمة الله لابد ان يكشف الضر ذات يوم عن المهمومين كما كشفه سبحانه وتعالي عن عبده أيوب عليه السلام، وحين تلقي البشري في امره الإلهي له: اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فضرب أيوب الأرض برجله فنبعت له عينان، شرب من إحداهما واغتسل من الأخري، فذهب بلاؤه بإذن الله، وماكل وسائل العلاج برغم ضرورتها سوي أسباب علينا اتخاذها ترقبا لهذا الأمر الإلهي ومادعاء المبتلين وابتهالهم لربهم ومناجاتهم له إلا استنزال أو استعجال لهذا الأمر.
ولقد من الله سبحانه وتعالي علي استاذك بالشفاء استجابة لدعائه ودعاء محبيه ومرضاه البسطاء، فأحسن شكر نعمة ربه عليه بالاستمرار في نهجه العادل في العمل وفي رحمته بالمرضي ورفقه بتلاميذه، وحرصه علي رعاية حدود ربه في عمله، فهنيئا له كشف الضر عنه.. وعقبي لمن ينتظر.
وسلاما وأمانا علي من يرعون حدود الله في حياتهم.
فيكونون كالعطر الفواح.. ينفث الجمال.. ويطرد العطن من اي مكان يوجدون فيه.

==

العسل المر

فأنا سيدة في الثلاثين من عمري ـ ولدت لأب أسود وجهه وركبه الحزن وبكي بالدمع، بل وهجر ـ كما قيل لي ـ البيت لفترة حين عرف أنني بنت! لأن البنت في عرفه مصيبة تحل فوق رأس الأب ومسئولية تطارده إلي نهاية العمر، أما الولد فإنه سند للأب ويقوم بنفسه وربما بأبيه بعد حين! ومع أن الله سبحانه وتعالي لم يحرم أبي من البنين ووهبه ولدين بعد مجيئي للحياة إلا أنه ظل يردد علي أسماعي دائما رأيه في البنات ومسئوليتهن، ولم يكن يخفف عني ما أشعر به من ضيق من كثرة تكرار هذا الحديث الممل إلا أمي الطيبة الحنون.. التي كانت تحتويني وتحتوي الولدين كلما بطش الأب بنا أو انفجر في أحدنا..، ولم تكن أمي تستطيع معارضة أبي في شيء لعلمها بشراسة طباعه.. وبأنه لا يطيق أي معارضة، فكانت تكتفي بتعويضنا عن قسوة أبينا علينا بفيض حنانها الغامر.. وتداعب كلا منا بوجهها المشرق وابتسامتها العذبة حتي يخرج من حالة الضيق والغضب ويواصل الصبر علي قسوة الأب..
وبالرغم من طاعتي الكاملة له في كل ما يقول أو يطلب مني، فلن أستطيع أن أحصي عدد المشكلات التي أثارها معي علي مر السنين من سن الطفولة البريئة إلي سن الصبا والشباب.. ولقد كافحت كفاح الأبطال لكي أستمر في التعليم علي غير إرادته، إلي أن وصلت إلي المرحلة الثانوية، ونجح أبي في إرغامي علي التوقف عن الدراسة وحرماني من التعليم، بدعوي أنني قد صرت فتاة كبيرة ولا يصح أن أخرج كل يوم لأتعرض للفتنة وعبث

الشباب، ومن واجبي أن أقر في البيت لأساعد أمي وأخدم أخوتي وأبي وأنتظر ابن الحلال حين يجيء في الموعد المقدور، ولقد امتثلت في النهاية لإرادة أبي وصبرت علي أقداري.. وتقدم لي أكثر من خاطب رفضهم أبي ولا معقب علي ارادته لأنه يريد عريسا ميسورا ماديا ومن أسرة كبيرة.. ثم تقدم لي قريب من العائلة فرفضته علي الفور لما أعلمه عنه من حدة الطبع وقسوة التعامل مع الآخرين وقطعه لصلة رحمه.. لكن أبي رحب به ربما لأنه قد رأي فيه صورة أخري منه، وطالبني بقبوله بإصرار.. ورفض دموعي وتوسلاتي له أن يرحمني ويعفيني من الارتباط بمن أشعر بالنفور منه، ولم يأبه لاعتراضي، ولم تفلح أمي المسالمة الحنون في زحزحته عن رأيه، وحدد موعد الخطبة فقبلت كارهة وأنا أمني نفسي بأن تنتهي الخطبة بالفشل بعد فترة، وراهنت في ذلك علي حدة طبع خطيبي وحدة طبع أبي وتوقعت أن يصطدما بعد قليل وينتهي الأمر بفسخ الارتباط.. لكن خطيبي فاجأنا قبل موعد الخطبة بأيام بإصراره علي تحويلها إلي عقد قران.. وصرخت وبكيت فلم يستمع لي أحد وانتهي الأمر بعقد قراني عليه.. فاستسلمت لقدري ورضيت بالأمر الواقع، وبدأت أتأقلم مع ظروفي فعاملت خطيبي بما يرضي الله بل ووقفت إلي جانبه في بعض أزماته المادية، لكن الأيام مضت وفي كل يوم يتكشف لنا المزيد من عيوبه.. إلي أن ضقت بها وبه فطلبت منه الطلاق وأيدتني أمي وأخوتي وكل أهلي في ذلك، في حين وقف أبي من الأمر موقفا سلبيا بالرغم من أنه المسئول الأول عن ارتباطي بهذا الشاب. ورفض خطيبي طلاقي بإصرار ونازعني لإرغامي علي إتمام الزواج ورفض كل الوساطات.. وأعلن أنه لن يطلقني وسيتركني معلقة كالبيت الموقوف إلي ما شاء الله.. وكلما توجهت إلي أبي بالرجاء باكية أن يساعدني في التخلص من الارتباط الذي أرغمني عليه لم يفعل شيئا ولم يقدم علي أي خطوة.. وبعد عذاب استمر ٤ سنوات كاملة طلقني خطيبي وتنفست الصعداء..

وشعرت بعدها بشعور غريب ضد كل الرجال و

علي رأسهم أبي، وكرهت الارتباط بأي إنسان آخر، وبعد أكثر من سنة تقدم لي شاب كان قد رآني عند بعض أقاربي وأعجب بي، فرفضته في البداية تأثرا بحالتي النفسية ضد الرجال بعد ما عانيته من أبي وخطيبي السابق.. ثم هدأت نفسي قليلا بعد أن سمعت ثناء طويلا علي خلقه وتدينه ولين طباعه ووافقت علي أن أراه قبل أن أعلن رأيي النهائي في مشروع الخطبة.. وشجعني علي اتخاذ هذه الخطوة أنه لم يأت إلي عن طريق أبي، وبالتالي فربما يكون إنسانا مختلفا عنه!، وقابلته وأنا متحفزة للرفض أكثر مني للقبول.. فإذا بي أشعر ومنذ اللحظة الأولي التي وقع عليه فيها بصري بارتياح غريب له.. وإذا بالسكينة تحل علي نفسي، فأعلنت موافقتي عليه بعد هذا اللقاء بالرغم من قلة إمكانياته.. وتمت الخطبة وأنا سعيدة هذه المرة باختياري لمن سوف أشاركه حياته.. ولم يسعد ذلك بالطبع أبي الذي استاء من فرحتي خلال الخطبة وتبادلي الأحاديث الباسمة مع خطيبي ومداعبتي له واستجابتي لمداعباته.. فعقد العزم علي أن يحول حياة هذا الخطيب السعيد إلي جحيم! وبالفعل بدأ والدي في مطالبته كل يوم بمطلب جديد يتعذر عليه تحقيقه.. وبدأ يسيء معاملته.. ويضيق عليه ويتجهم في وجهه، وخطيبي صابر ومتمسك بي إلي النهاية..، وكان من نتيجة تعنت أبي معه وكثرة مطالبه منه أن عجزنا عن إتمام الزفاف بعد عامين من الخطبة كما كنا نخطط لذلك.. وطالت خطبتي له أكثر من ثلاث سنوات بغير أن يلوح أي أمل في قرب الوصال.. وكانت لخطيبي شقة في احدي المدن الجديدة القريبة من القاهرة شقي طويلا لإعدادها للزواج بما يليق بحبه لي.. فإذا بأبي يطالبه بالتخلص من هذه الشقة وتوفير شقة أخري قريبة من مسكنه..

وكاد خطيبي ينهار أمام هذه المعضلة الجديدة التي وضعها أبي في طريقه لكنه تماسك.. وسعي لبيع شقته التي تعب كثيرا في تجهيزها، والحصول علي مسكن آخر قريب، وبعد عناء مرير تمكن من بيع الشقة بخسارة كبيرة، وإحضار المسكن المطلوب ولم تبق هناك حجة جديدة لتأجيل الزواج.. وقبل تحديد موعد الزفاف بفترة قصيرة توفيت أمي رحمها الله فجأة وبغير مرض سابق.. فتزلزل كياني وغرقت في الحزن والكآبة، وخفف عني وجود خطيبي إلي جواري الكثير من أحزاني وشجوني، وساعدني بحنانه الذي لم أجده لدي أبي علي الخروج من دائرة الأحزان، وأخيرا تم تحديد موعد الزواج وآن لخطيبي الذي ظل يموت كل يوم طوال٤ سنوات ليلبي طلبات أبي ويسعدني ويرضيني أن يهدأ ويستريح، وتم عقد القران والزفاف.. وانتقلنا إلي عش الزوجية وانفردنا ببعضنا البعض فيه لأول مرة، وتنفست بعمق شديد وأنا أقول لنفسي إن سنوات الشقاء والعذاب قد انتهت إلي الأبد وبدأت الآن سنوات السعادة والحب الخالص والعطف المتبادل..

وخيل إلي أيضا أن زوجي يفكر في نفس الشيء ويقول لنفسه إنه أخيرا قد آن له أن يهدأ ويستريح ويجني العسل إلي جوار من أحبها وأحبته وتحمل من أجلها الكثير.

لكني فوجئت وبعد ثلاث ساعات فقط من السعادة الزوجية، بزوجي وحبيبي يشكو من ألم شديد في صدره وذراعه اليسري.. ففزعت بشدة وحاولت أن أدلك له صدره وذراعه.. فلم يخف الألم.. وأحضرت له قرص أسبرين ابتلعها فلم يتغير الحال، وظل حبيبي يتأوه ويتألم طوال الليل وما أن طلع النهار حتي ارتديت ملابسي وساعدت زوجي علي ارتداء ملابسه واصطحبته إلي الطبيب، بالرغم من معارضته وإشفاقه علي من الخروج من منزل الزوجية وأنا عروس جديدة، وفحصه الطبيب وكتب له العلاج وعدنا إلي البيت، وتناول الدواء فلم تتحسن حالته وظل يعاني من الألم الشديد في صدره وذراعه، فذهبنا إلي طبيب ثان.. ثم ثالث.. ثم رابع.. وحبيبي لا يتحسن وإنما تسوء حالته يوما بعد يوم وتشتد آلامه إلي حد البكاء فينظر إلي من بين دموعه ويقول بصوت ضعيف: مالحقتيش تفرحي.. يا غلبانة!

فتنفجر دموعي وأقبل يديه ورأسه، وأقول له إنه سيشفي وستطول أفراحنا حتي نهاية العمر إن شاء الله.
إلي أن شخص الأطباء الحالة التشخيص السليم وبدأوا العلاج الصحيح لكن قضاء الله كان قد سبق كل شيء ولفظ حبيبي أنفاسه الأخيرة بين يدي بعد عشرة أيام فقط من زفافنا. وصعدت روحه الطاهرة إلي السماء وتركني وحيدة أرتدي السواد في شهر عسلي المر، وأشعر بوحشة شديدة حتي وأنا بين أخوتي وأهلي.. فلقد ملأ حبيبي كل كياني بالحب ثم هجرني فجأة وتركني للأحزان..
لقد ظننت أن الله سبحانه وتعالي قد عوضني عن شقائي وحرماني وتعاستي الطويلة بهذا الزوج الطيب الحنون المحب.. فإذا بكل شيء يتبدد فجأة في الهواء بعد١٠ أيام من الزواج.. إنني لا أدري ماذا أقول.. ولا أريد أن أقول ما يغضب الله سبحانه وتعالي، لكني أتساءل فقط أليست للأحزان نهاية في حياتي، أنني أدعو الله لزوجي الحبيب كل لحظة بالرحمة والمغفرة وأرجو منك ومن قرائك الأعزاء أن يدعوا الله له أن يبدله دارا خيرا من داره وأهلا خيرا من أهله وزوجا خيرا من زوجه وأن يعوضه عن كل ما حرم منه من سعادة وأمان في جنة الخلد إن شاء الله.. كما أرجو منك ومنهم أيضا أن يدعوا لي الله أن يعينني علي تحمل بلائي والصبر عليه وأن يعوضني عن زوجي الحبيب خيرا في الدار الآخرة بإذن الله.. وعفوا إذا كنت قد أثقلت عليك بأحزاني، خفف الله عنا وعنكم جميعا كل الأحزان. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
ولكاتبة هذه الرسالة أقول:
لابد للأحزان من نهاية يا سيدتي مهما أشتد الظلام وتكثفت الغيوم. بل إننا لنتعلق بالأمل كلما ثقلت علينا الأحزان في أن يكون اشتداد المحنة بشيرا بقرب انفراجها.. تماما كما تحلك ظلمة الليل قبيل انبلاج الفجر. وكلما ضاقت صدورنا بما تكابده من شقاء سرينا عن أنفسنا بالتفكر في جوائز السماء التي تنتظر الممتثلين لأقدارهم، وفي التعويض الإلهي الذي يترقبه الصابرون علي بلائهم..، وفي السعادة المؤجلة التي يدخرها لنا الله سبحانه وتعالي بعد أن استوفينا ضريبة الشقاء كاملة وحان دورنا لأن نتطلع في صبر وأمل إلي رحمة الله. بل إن المرء ليتمادي أكثر من ذلك فيرجو ربه أن يكون ما قد ألم به من عناء واختبارات نوعا من الألطاف الإلهية التي يقول عنها أهل الحق إنها ذلك التدبير الإلهي الذي قد يأتينا أحيانا بما نكره ليحقق لنا فيما بعد أعظم ما نحب.. ويقولون أيضا إن في حياة كل منا لمحات ونفحات من مثل هذه المواقف التي بكينا أمامها، ثم لم نلبث أن سعدنا بما أمطرته علينا السماء بعدها من عطايا وانزاحت عنا الأحزان السابقة إلي الأبد..
لقد كان الأديب الفرنسي فيكتور هوجو من كبار المبتلين في حياته الشخصية حيث فقد بعض بنيه وقال عن نفسه إنه نبي الألم. وبالرغم من ذلك لم يفقد حماسه للحياة وقال: ما الحزن إلا مقدمة للسرور!
وقال أيضا: تسلح بالشجاعة لأحزان الحياة الكبيرة، وبالصبر لأحزانها الصغيرة وأد عملك علي خير ما يرام ثم اذهب لتنام واثقا من أن الله لا ينام.
أما الإمام أبو حامد الغزالي فقد قال في كتابه الشهير إحياء علوم الدين: اعلم أن أجر الصابرين فيما يصابون به أكبر من النعمة عليهم فيما يعافون منه
ولاشك في أنك تحتاجين إلي كل من الشجاعة والصبر لمواجهة هذه المحنة المؤلمة التي اقتحمت عليك حياتك علي غير توقع، وزاد من إيلامها لك أنها جاءتك وأنت تتهيئين لجني ثمار الصبر الطويل علي التعاسة والشقاء..، وتستعدين لارتشاف رحيق الحب والسعادة والأمان مع من جاهد جهاد الأبطال ليبني بك ويطمئن إلي جوارك، فإذا بأقداره الحزينة تفاجئه وهو في غمرة السرور، فتحيل رحيق العسل الحلو إلي عسل شديد المرارة.. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.
لقد قال امام المتقين علي بي أبي طالب: ما من مصيبة إلا وأري فيها ثلاث فوائد، أولاها أنها لم تكن في ديني، وثانيتها أنها لم تكن أكبر من ذلك، وثالثتها أنني أصبر عليها فأؤجر.
فأما الأجر فمضمون لك بإذن الله.. جزاء وفاقا لإيمانك بربك ورضائك بقضائه وقدره واحتسابك شريك السعادة الخاطفة، عند خالقه، وأما الدعاء له بخير الجزاء وحسن القبول عند ربه فمن أعماق القلب والوجدان مع صادق الأمنيات لك بأن يعينك ربك علي تجاوز المحنة.. والصمود لأحزانها.. والتطلع بحق إلي تعويض السماء العادل لك عن كل ما عانيت من شقاء وابتلاء وأحزان إن شاء الله.

==

العربة الطائشة
أنا سيدة تجاوزت الأربعين من العمر بقليل، علي قدر من الجمال، ومن أسرة ذات عراقة وإن لم تكن علي نفس القدر من الغني الذي يناسب عراقتها، تعلمت في إحدي أرقي المدارس في القاهرة وكنت دائما من الأوائل وتربيت في أحد الأندية الكبري فكنت أمضي اليوم بكامله فيه خلال أجازة الصيف، وبالرغم من ذلك فقد نشأت نشأة دينية وكنت دائما أتقي الله ولا أتذكر أنني ذات يوم لم أصل فروضي جميعها، كما كنت دائما أفضل غيري عن نفسي وأري نفسي دائما الملومة عند أي خلاف مع أي طرف ولا أطيق أن يخاصمني أحد فأسارع بالصلح لأني لا أري إلا أخطائي وحدي.
ولست أكتب لك هذه الرسالة لأتغزل في نفسي واستعرض فضائلي.. إنما أقدم هذه المقدمة لأعرض لك الوجه الآخر من اللهب. تعليقا علي الرسالة التي نشرت من قبل في هذا الباب بعنوان غليان اللهب للزوج الذي يشكو من

عصبية زوجته الزائدة علي الحد. فأنا هذا الوجه الآخر، فلست زوجة صاحب الرسالة ـ إنما أنا نسخة تشبهها كثيرا ـ وأظنك تود أن تعرف أنت والقراء مشاعري الحقيقية أنا وأمثالي من المبتلين لتحمدوا الله جميعا علي ماأعفاكم منه!

فأنا من هؤلاء الأشخاص الذين لا يستطيعون التحكم في أنفسهم عند أي استثارة أو استفزاز، وبالرغم من طيبتي وحبي لمساعدة الآخرين فإنني أفقد كل الصفات الطيبة في لحظات إذا اصطدمت بإنسان أو سيدة أو أي طرف آخر وتندلع الحرائق داخلي.. وأشعر كأنني سيارة قد تلفت فراملها، وتسير بأقصي سرعة للاصطدام بالحائط الذي ينتصب أمامها، ومهما حاولت لإيقاف هذه السيارة الطائشة فإنها سوف تندفع إلي غايتها وتصطدم بالحائط فتدمر.. وتتدمر وتكون النتيجة جراحا غائرة في نفسي ولوما شديدا لها ووهنا في جسدي وآلاما في رأسي، وبكاء بالساعات بعد ماحدث وأحاول بعد ذلك أن أنسي.. أو أتناسي وأعاهد نفسي ألا أكرر ذلك ثانية، ولكن هيهات فهي نفس السيارة ونفس الفرامل التالفة، وقد تكون الشرارة التي تشعل الحريق حركة بسيطة من الآخرين قد لا يستشعرها غيري أو كلمة إشارة أو ردا لم يعجبني، فأبدأ بالاعتراض فلا يتقبله من هو أمامي.. فيحدث الاشتباك ويتطاير اللهب. وهذا هو مايحدث في معظم الأحوال.. وقليلون جدا هم من يوقفون اندفاع سيارتي بكلمة حانية أو ابتسامة مودة، أما الأغلبية العظمي، وهم عادة من الرجال، فإنهم لا يتقبلون أن تخاطبهم سيدة علي هذا النحو فيكون الانفجار، مع أني إذا ذهبت لقضاء مصلحة تعمدت الأدب التام فلا أجد إلا العجرفة.

لقد قيل لي إن شكلي وأسلوبي الارستقراطي مستفزان وان هذا السبب في أن الطرف الآخر لا يتحملني ويتعامل معي بحدة فحاولت تغيير أسلوبي قدر الإمكان فنجحت أحيانا وفشلت في معظم الأحيان، ولاشك أنك قد عرفت أنني قد دفعت ثمن هذا اللهب الذي يغلي داخلي من سعادتي ومن حياتي الخاصة.. ففشل زواجي الأول.. وانتهي بالطلاق، ثم تزوجت مرة أخري.. وتم الطلاق المعنوي وعشت وحيدة لا يؤنس وحدتي شيء، تتأجج داخلي نيران الغضب الداخلي ويتضخم عندي الإحساس بالظلم.. وقد حاولت أن أجد علاجا لنفسي وترددت علي بعض الأطباء بلا فائدة.. فهل عندك حل آخر..؟!

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أحسب أن جوهر مشكلتك يكمن في هاتين العبارتين اللتين جاءتا في ختام رسالتك وهما نيران الغضب الداخلي وتضخم الإحساس بالظلم، فهذا الغضب الذي يتأجج داخلك دائما وهذا الإحساس المتضخم بظلم الغير أو الحياة لك من سمات الشخصية البارانوية التي تسيطر عليها عادة أفكار ضلالية تشعرها بأنها هدف لاضطهاد الآخرين وظلمهم علي الدوام..

ولأن الأمر كذلك فان صاحب مثل هذه الشخصية يتعامل مع الآخرين غالبا من موقع التحفز الدائم للدفاع عن النفس والكرامة ضد مايتصوره عدوانا عليهما فيكون كمن يضع يده باستمرار فوق زناد البندقية مترقبا أية حركة من العدو لكي يبادره بإطلاق النار، ولشدة الترقب وتوتر الأعصاب فإنه قد يعتبر أي لفحة هواء عابرة نذيرا بخطر داهم فتضغط أصابعه تلقائيا علي الزناد.. وتتوالي الطلقات ويمضي وقت ثمين قبل أن يكتشف أنه يسدد طلقاته في الهواء! وهذا هو غالبا حال من يعانون مثل هذا العجز عن ضبط النفس وكبح جماحها في الوقت المناسب، ولأن من يعانون هذه الأفكار الضلالية يتسمون دائما بالاعتداد المغالي فيه بالنفس وبالإحساس الزائد بالتميز والتفرد والعظمة، فإن مايبدو للآخرين سلوكا عاديا قد يبدو لهم وحدهم إهانة بالغة، ومايعتبره الغير أسلوبا طبيعيا في الحديث قد يبدو لهم دون غيرهم وقاحة واجتراء علي الحرمات والأقدار، فيأتي الرد عليه عنيفا.. وتشتعل النيران.. ويغلي اللهب!

لهذا يقول لنا علماء النفس إن أصحاب الضلالات الاضطهادية غالبا عدوانيون وسريعو الغضب، ولهذا أيضا لا تفلح أية كوابح في كبح جماح سيارتك الطائشة حين تتلقي أية إشارة تشعرك بالإهانة أو الجفاء أو الاضطهاد.. ثم يكون الندم دائما بعد الانفجار.. والبكاء.. والعزم الصادق علي تجنب تكرار مثل هذه الاندفاعات المهلكة.. فلا يمضي وقت طويل حتي تتكرر المأساة من جديد.

ولأن ضبط النفس وكبح القلب من أتم وأكمل مايبلغه الإنسان كما يقول لنا الأديب الراحل إبراهيم عبد القادر المازني، كما أن من يسيطر علي نفسه يصبح حرا كملك الغابة كما يقول حكيم الهند المهاتما غاندي، فإني أدرك عمق معاناتك.. وحجم مشكلتك وماتخلفه لك من عناء دائم في التعامل مع الآخرين وفي حياتك العائلية..

ونصيحتي الختامية لك هو أنك تستطيعين إعانة نفسك علي تجنب كل هذا العذاب بالاقتناع بأهمية العلاج النفسي المنتظم لفترة كافية.. ثم بالاستبصار الذاتي لأسباب المشكلة وتحليلها وفهمها ومحاولة تدريب النفس علي كبح جماح الغضب وعدم الاستسلام لوساوس الاضطهاد والشعور بالظلم ومع التدرب أيضا علي افتراض حسن النية في الآخرين إلي أن يثبت العكس وليس افتراض سوء النية فيهم إلي أن تقع الواقعة! فضلا عن التسامح بل والتجاهل المتعمد أحيانا لبعض الإساءات العابرة أو غير المقصودة من الآخرين طلبا للسلام معهم أو مع النفس، لأن الحياة لا تحتمل حين يكون المرء في حالة تحفز دائم للآخرين كأنه محارب يضع كل دروعه فوق جسمه ليل نهار.. ويتوثب لصد ضربة مفاجئة أو طعنة غادرة..

وقديما كان أحد الصالحين يقول كلما غادر بيته في الصباح: اللهم إني قد تصدقت بعرضي علي عبادك، بمعني أنه يغفر مقدما لكل من سوف يسيء إليه في عرضه أو كرامته أو يغتابه أو يتقول عليه..، فيكون كل مافتروا به

عليه زورا في ميزان حسناته.. فكأنما قد تصدق بعرضه علي هؤلاء الخطاء فحاولي من جديد.. وابدئي صفحة جديدة من حياتك بإعلان السلام العام مع الحياة والآخرين.. ولسوف تتغير أشياء كثيرة في حياتك إلي الأفضل بإذن الله.

==

العجلة الدوارة

قررت بعد تردد طويل أن أروي لك ولقرائك قصتي، فأنا سيدة في منتصف العمر نشأت في أسرة متوسطة، وكنا خمسة من الأبناء يكافح والدنا لتوفير سبل الحياة لنا بمرتبه من عمله كموظف كبير، وبرغم اجتهاده فلقد كنا كثيرا ما نشعر بجفاف الحياة، وحين شببنا عن الطوق زادت مطالبنا، وازداد شعوري أنا بالذات بما ينقصني فلقد كنت الابنة الكبرى، وكنت أنظر حولي بالكلية فأجد من ترتدي كل يوم فستانا جديدا، ومن تأتي بسيارة والدها أو بسيارتها .. ومن تتحدث عن رحلات الصيف والشتاء .. وأنا أعيش حياة متقشفة، ولا تسمح إمكانات أبي المادية لي إلا بشراء فستان كل حين، كما أننا لا نعرف المصايف ولا المشاتي، وأقصى رحلة لنا كانت إلى بلد أبي بالأقاليم في المناسبات الاجتماعية كالأفراح أو التعازي، ونتيجة لذلك، وأشياء أخرى في حياتي، ولأنني جميلة وكنت شديدة الاعتزاز بجمالي تعلقت روحي بحلم الزواج من رجل ثري يوفر لي كل إمكانيات الحياة المادية.. ويغنيني عن التفكير في النقود باستمرار. وهكذا وضعت لنفسي مقاييس متشددة بالنسبة لمن سوف أرتبط به.. وعزفت عن الاستجابة لمحاولات أي شاب من زملاء الكلية أو الجيران للارتباط العاطفي بي.. واعتبرتها كلها عبث أطفال لا يبشر سوى بالعناء والحمل والإنجاب وتدبير شئون البيت بجلباب ممزق قديم، ومرتب أو دخل لا يكفي إلا للأساسيات، ولا يتيح أي فرصة للترفيه والرخاء، ومضيت في طريقي بإصرار، فصددت أكثر من شاب حاول التودد إلي ولم أجد في ظروفهم ما يغريني بالتفكير في أمرهم، وقسوت بشدة على شاب منهم كان يعاني بوضوح من حبه لي، وحاول بكل الطرق استمالتي نحوه.. ووسط لدي كثيرين ومنهم أخته.. التي حاولت استعطافي وإقناعي بقبوله لكي يتقدم لأسرتي طالبا يدي، فلم أتزحزح عن موقفي وقلت لها بصراحة إن شقيقها لا يرضي طموحي، ولن يعدني الارتباط به سوي بالفقر والعناء إلى ما لا نهاية، وصدمت الفتاة صدمة كبيرة فانصرفت عني، وكف شقيقها بعد ذلك عن التودد إلي.. وابتعد عني تماما.

وهكذا أنهيت دراستي دون أن ارتبط بأحد، وعملت، ومضت بضع سنوات رفضت خلالها أكثر من عريس لنفس السبب حتى غضب أبي.. وثارت أمي علي، وقالت إن الأغنياء لا يتزوجون إلا من هم في مستواهم المادي، وأنني سأحكم على نفسي بالوحدة إذا استمررت في رفضي لفرص الزواج المعقولة، وساء موقفي أكثر حين خطبت أختي التي تصغرني لشاب عادي أحبته وأحبها.. وبدآ يستعدان للزواج وبسبب نظرات الأهل لي في حفل زواج أختي رضخت كارهة لأمي حين عرضت علي شابا من أسرة طيبة وظروفه أفضل من ظروف عريس أختي، لكنه ليس الفارس الثري الذي كنت أنتظره وتزوجنا بعد عام من الخطبة، وأقمنا في شقة لا بأس بها في مدينة نصر، في حين أقامت أختي في شقة بحي شعبي.. وبدأت حياتي الزوجية وأنا بين الرضا عن أن ظروفي أفضل كثيرا من ظروف أختي، وبين السخط لأن زوجي في النهاية ليس ثريا ولا يملك إلا سيارة صغيرة متهالكة لا تساوي شروي نقير..

ومضت بنا الأيام وأنجبت ولدا وبنتا.. وتقدمت في عملي وتقدم زوجي في عمله، وبالرغم من ذلك فلقد ضاقت حولي ظروف الحياة مع نفقات الطفلين ومدرستهما وتكاليف الحياة.. ولم أقصر في إشعار زوجي منذ البداية بأنه لم يكن طموحي الذي تطلعت إليه وأنا طالبة بالكلية.. وبأنه لم يحقق لي ما كنت أتمناه لنفسي من حياة رغدة ومريحة لا أحمل فيها هما للنقود، ولا أمسك فيها ورقة وقلما لأحسب لكل شيء حسابه قبل الإقدام عليه، وكان زوجي يحزن في صمت حين أشعره بذلك ولا يخطيء في حقي أبدا، وإنما يفاجئني بعد بضعة أيام بأن يضع في يدي مبلغا إضافيا من النقود حصل عليه من عمل إضافي أو من الحوافز في عمله، وفي بعض المرات اكتشفت أنه اقترضه من شقيقه! وكل ذلك لكي أرضي.. وأكف عن التذمر والشكوى من ضيق الحال.

واستمرارا لمحاولاته لإرضائي حصل لنا علي عضوية ناد اجتماعي راق ليس بعيدا عن مسكني، ودبر مصاريف الالتحاق به من أعمال خارجية، وبدأنا نتردد عليه ونقضي فيه يوم الجمعة من كل أسبوع، وبدأت أشعر بأن جزءا بسيطا من الحلم القديم قد تحقق، وإن كان هناك الكثير الذي مازال بعيدا، وفي هذا النادي أصبحت لنا صداقات جديدة، وكانت أهمها صداقتي لسيدة تعرفت عليها في حديقة النادي واستراحت كل منا للأخرى، وأصبحنا نقضي معظم وقتنا في النادي معا في غياب الزوجين. وبالطبع فقد تعرفت على زوجها وتعرف زوجي عليه، وحدث شيء من التقارب بينهما ولاحظت من البداية على صديقتي الجديدة أناقتها وملابسها الغالية.. وحسن اختيارها لها، وسألتها ذات مرة بطريقة عابرة عن ثمن تايير جميل ترتديه، فعرفت أنه يساوي مرتب زوجي في شهر.. فبلعت ريقي بصعوبة.. وفي المساء حكيت لزوجي القصة وأسمعته بضع كلمات ساخرة.. فاكتأب وقال حانقا إنه لا يعرف ماذا يفعل لكي يرضيني..

وتعمقت الصداقة بيني وبين صديقتي الجديدة وتبادلنا الزيارات، وانبهرت بمسكنها الفاخر في شقة من دورين بعمارة فاخرة.. وبأثاثه الثمين والتحف الغالية الموزعة على جوانبه، وترددت في دعوتها وزوجها إلى مسكني

المتواضع، لكنه لم يكن هناك مفر من رد الدعوة، فدعوتهما واجتهدت قدر طاقتي في تجميل البيت وتزيينه وتنظيفه.. عند زيارتهما لنا.

وشيئا فشيئا وجدتني أتساءل: أليس ما تعيشه صديقتي هذه هو ما كنت أحلم به لنفسي وأنا فتاة؟، وماذا تمتاز به عني لكي تفوز به دوني..؟ إنني أجمل منها كثيرا بشهادة الجميع.. بل وبشهادة نظرات زوجها المنبهرة لي منذ أول لقاء، كما أن ظروفها العائلية مماثلة لظروفي، ولم يكن والدها ثريا ولا هي وارثة لمال.. وكل ما تنعم به من عز بفضل زوجها رجل الأعمال، ناهيك عن سيارتها الحديثة الخاصة ومدرسة الأولاد باهظة الرسوم.. والشغالة التي تتقاضى ما يزيد علي نصف مرتب زوجي، والمجوهرات والملابس الفاخرة التي ترتديها... الخ.

وبدأت أشعر بالغيرة الشديدة منها وبالسخط الأشد على زوجي برغم أنه يشقي في العمل وفي الحياة لتلبية مطالبي.. وكثرت الاحتكاكات بيني وبينه، وكثرت شكواي منه لصديقتي، وازدادت نظرات زوجها إلي عمقا وجرأة..

وفي لحظة ضيق بكل شيء أعطيته الإشارة لكي يخطو الخطوة الأولى، فلم يتردد وبدأت الاتصالات الهاتفية بيننا بطلب خدمة منه أداها بحماس على الفور، ثم بالشكوى من زوجي وخلافاتي معه، إلي آخر المعزوفة إياها، التي تعرفها كل امرأة تريد أن تفتح الباب لطارق جديد، وانتهى الأمر باعترافه بحبه الشديد لي ومجاراتي له في الاعتراف، مع تحفظ واحد من جانبي هو رفضي النهائي لأي تلامس بيننا إلا في الحلال! واستمر الحال بيننا على هذا النحو طيلة عام كامل أغدق علي خلاله بالهدايا الذهبية التي أخفيتها عن الأنظار، وكثرت خلاله الخلافات بين صديقتي وزوجها وانتهي الأمر بينهما بالطلاق الودي وبقاء الطفلين مع أمهما في نفس المسكن الفاخر مع منحها نفقة شهرية سخية، وطالبني الرجل بالطلاق من زوجي لكي يتزوجني وفاء لوعدي له إذا طلق زوجته.. وبدأت معركتي مع زوجي للحصول على الطلاق.. وخضت أهوالا كثيرة معه.. ومع أهلي وصلت إلى حد محاولة الانتحار بقطع شرايين يدي وإنقاذي في اللحظة الأخيرة..

واستسلم زوجي في النهاية فطلقني..

وبعد انقضاء شهور العدة تزوجت زوج صديقتي، وأقمنا في شقة أخرى اشتراها لي في نفس الحي، وإن لم تكن بنفس مستوى شقته الأولي.. وبدأت أعيش الحياة التي طالما تمنيتها فاستقلت من عملي.. واشترى لي زوجي سيارة جديدة، وملابس كثيرة ومجوهرات.. وعرفت لأول مرة الإقامة في فنادق الخمس نجوم، والسفر إلى الغردقة والساحل الشمالي، بل وإلى أوروبا ذات مرة، وغرقت في العز والنقود والحب الذي يغمرني به زوجي، فلم ينغص علي حياتي سوي شيئين: بعدي عن الطفلين واشتياقي لهما، وقد كنت أعالج ذلك برؤيتهما في بيت أمي من حين لآخر، ثم فراغة عين زوجي وغيرتي الشديدة عليه وخوفي من أن تسرقه مني امرأة أخري، كما أخذته أنا من زوجته، فهو ضعيف أمام النساء الجميلات، وكثيرا ما احترقت بنار الغيرة كلما سمعت عن اهتمامه بامرأة من المتعاملات معه، وأصبحت حياتي مطاردة مستمرة له بالتليفون والسيارة.. وكبسات مفاجئة له في مكتبه أو النادي أو مطاعم الفنادق الكبرى، ثم صراخا وعويلا وضربا متبادلا ودما ينزف مني ومنه ويلوث ملابسنا، وفي كل مرة أصرخ فيه: تخونني وأنا التي تركت زوجي وأولادي من أجلك؟ فيجيبني في حمأة الغضب بأنني تركتهم من أجل الفلوس قبل أن يكون من أجلي!.. وبعد تبادل الاتهامات والإهانات والشتائم.. نهدأ أو أهدأ أنا علي الأصح وأبدأ بمصالحته.. وأتذكر بمرارة أنني عشت مع زوجي الأول تسع سنوات لم يرفع خلالها صوته مرة واحدة علي ولم يجرحني بكلمة.

وتواصل الحياة طريقها، وأعوض قهري بشراء المزيد من المصوغات الذهبية والألماسية والملابس، وزيارة ابنتي وابني اللذين ألاحظ في كل مرة أنهما يزدادان بعدا عني وجفاء صامتا لي، وأتهم والدهما بأنه وراء ذلك، فيقسم لي صادقا بأنه لم يقل لهما كلمة سوء واحدة عني، وتوالت الأحداث فتزوج زوجي السابق من فتاة لم يسبق لها الزواج من أقاربه، وانتقلت ابنتي وابني للحياة مع جدتهما لأبيهما.. وازدادا نفورا مني ولوما صريحا لي، لأنني كما قالت ابنتي ـ سامحها الله ـ جريت وراء الفلوس على حساب سعادتهما واستقرارهما بين أبويهما! وبرغم حزني لجفاء مشاعرهما تجاهي، فقد كنت أمني نفسي بأنني سأستطيع أن أكسب مودتهما بما أعطيه لهما من نقود خاصة حين يكبران وتزداد أهمية النقود في حياتهما، ولكن حياتي ازدادت تعقيدا بزواج زوجة زوجي الأولى من رجل ممتاز وسفرها معه إلى مقر عمله بإحدي الدول العربية، فأصبح لزاما علي كما طالبني زوجي أن أضم ابنه وابنته إلى حضانتي لينشآ مع أخيهما الذي أنجبته منه. وبدأت مرحلة جديدة من المتاعب والمشاكل، فالولد والبنت وخاصة البنت ـ يكنان لي كراهية صامتة شديدة.. وزوجي لا يتحمل أية شكوى منهما ويتهمني علي طول الخط بضيقي بهما وإساءة معاملتهما، ويهددني بهدم البيت إذا شكا أحدهما مني. وزاد الطين بلة أن تعثرت فجأة في هذه الفترة أعمال زوجي فنقصت السيولة بين يديه.. وأخذ مني سيارتي وباعها، وأخذ مني معظم مجوهراتي وباعها، وباع كذلك الشقة الفاخرة الأولى التي كنت أتطلع للانتقال إليها لكي تتسع للأولاد الثلاثة، ووجدتني بعد قليل أكاد أعيش في ظروف مشابهة لظروفي مع زوجي الأول مع اختلاف مهم هو أنني كنت معه موضع الإعزاز والحب والتكريم والاسترضاء باستمرار، في حين أنني مع زوجي الثاني موضع السخط واللوم والغضب في معظم الأحوال.

وتعلقت بالأمل في تحسن أحوال زوجي وتجاوزه لأزمته بعد قليل كما يحدث مرارا في حياة رجال الأعمال، وصبرت على ظروفي الجديدة كارهة، فإذا بالصواعق تنقض فوق رأسي واحدة بعد أخري..

فلقد فوجئت ذات يوم بعشرة رجال يطرقون الباب ويسألون عن زوجي، ولم يكن موجودا فلم يتورعوا عن تفتيش الشقة بحثا عنه.. وسألت عن السبب فقيل لي إنهم ضباط ومخبرون بوحدة تنفيذ الأحكام وأن زوجي قد صدرت ضده عدة أحكام نهائية بالسجن في قضايا شيكات بدون رصيد! وانهرت مغمى علي فأمسك بي الضابط قبل سقوطي على الأرض.

وتكررت زيارات ضباط الوحدة للبيت وللعمل وللنادي، بحثا عنه وأصبح زوجي يختفي بالأيام، ثم يأتي فجأة بعد منتصف الليل ويقضي معنا ساعات وينصرف مع الفجر.. فلا أراه إلا بعد أيام أخرى، وظل الحال هكذا لما يقرب من سنة تصالح خلالها مع بعض أصحاب الشيكات وعجز عن التصالح مع البعض الآخر، ثم ضبطته وحدة التنفيذ في أحد الفنادق فساقته إلى السجن! وهو الآن يقضي فترة العقوبة.. ومجموع الأحكام الصادرة عليه سبع سنوات وأتردد عليه في مواعيد الزيارة.. وأدوخ بين ضباط السجون والعساكر للحصول علي تصريح بزيارته زيارة خاصة في مكتب المأمور وليس من وراء الأسوار، وأحمل له الطعام والحلوى.. وأعيش أنا وابني منه بمبلغ بسيط كنت أنفقه أيام العز في٣ أيام ويعطيه لي شقيق زوجي أول كل شهر، وهو يكاد يرميه في وجهي ولسان حاله يقول بغير كلام: إنني قدم الشؤم على شقيقه، أما ابنة زوجي وابنه فقد رفضا العيش معي بعد سجن والدهما وضمهما عمهما إليه إلى حين خروج أبيهما، وفي هذه الظروف الكئيبة كنت أقف مع طفلي الصغير أمام النادي أنتظر سيارة ميكروباص لكي نرجع إلي البيت حين لمحت عن بعد صديقتي السابقة زوجة زوجي الأولي تنزل من سيارة مرسيدس فاخرة أمام النادي ورجل الأمن والبواب يقفان احتراما لها ولزوجها ويتبادلان معهما الابتسام والتحية، فأسرعت بإدارة وجهي للناحية الأخرى حتى لا تلمحني.. وانتظرت حتى دخلت النادي قبل أن أشير لسيارة ميكروباص قادمة، وقلت لنفسي أنه يبدو أن للعز أناسا يجدونه تحت أقدامهم دائما حينما يمشون، وان للفقر والعناء أناسا آخرين لا يجدون سوا هما كلما سعوا في الأرض!

وعدت إلى البيت مكتئبة وساخطة.. وأنا أفكر في أنني كنت أحيا حياة مستقرة وهادئة مع زوجي الأول فلماذا لم أرض عنها ولم أسعد بها..؟ وماذا جنيت من الجري، على حد تعبير ابنتي وراء الفلوس سوى بعد ابني وابنتي عني وجفائهما لي وفقدي لهما ولزوجي الأول ولحياة الكرامة والإعزاز والأمان معه؟

إنني وبعد ثماني سنوات من زواجي الجديد تمرغت خلالها في العز لمدة ستة أعوام وقلبت لي الدنيا ظهر المجن خلال عامين، أقول لنفسي ولكل النساء والفتيات إنني قد خسرت زوجا كان يحبني ويحترمني ويقبل الأرض تحت أقدامي، ويبذل كل ما في وسعه لإرضائي، وخسرت ابنتي وابني وهما لا يقدران بمال وخسرت الكرامة والأمان والاستقرار وراحة البال وكل ذلك لأنني لم أكن قانعة بحياتي مع زوجي الأول ولم أرض عنها بالرغم من أن كثيرات غيري كن يتمنين حياة مثلها.. ولأنني تطلعت إلى ما لم يكن من حقي الحصول عليه واغتصبت زوج صديقتي السابقة ونفست عليها حياتها معه وثراءه، ورأيت أنني أحق به منها، ولم يردني ضميري ولم يمنعني قلبي كأم من الإقدام على ما أردت ولم أتوقف لحظة أمام حق زوجي وأبنائي علي، ولا أمام حق صديقتي وحق أبنائها.. فدبرت خطف زوجها.. وانبهرت لفترة قصيرة بالثراء ثم توالت الكوارث. إنني أعرف أن رأيك في سيكون قاسيا.. وأنك ستنهال علي باللوم، لكني أردت بالرغم من ذلك أن أروي لك قصتي لكي أتطهر من بعض جريرتي.. ولكي أسألك ألا يغفر لي الله ذات يوم طمعي وسخطي علي حياتي السابقة.. وسرقتي لسعادة امرأة أخرى كانت ذات يوم صديقة لي.. وماذا أفعل لكي يرفع الله عني مقته الذي يحيط بحياتي من كل الجوانب الآن؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

كان القطب الصوفي ابو بكر الشبلي يقول: إن الزهد هو خلو القلب مما خلت منه اليد!.

وبذلك يكون الطمع بالمفهوم العكسي هو انشغال القلب بما في أيدي الغير مما تخلو منه اليد!

وأحسب يا سيدتي أن هذا كان حالك حين نفست على صديقتك السابقة زوجها الثري وحياتها المرفهة وعيشتها الراضية.. فلم تفعلي كما يفعل الصالحون، وهو أن تتمني لنفسك مثل حياتها وتدعي الله سبحانه وتعالي أن يوسع على زوجك رزقه، بحيث يكفل لك ما تشتهي نفسك من حلال، وإنما تطلعت إلي انتزاع ما في يد صديقتك والاستئثار به دونها.. فكان ما كان من أمرك.. وظننت أنك قد فزت بما تستحقين من حياة ناعمة ومال وفير.. وحققت ما كنت دوما ترين نفسك جديرة به.. والحق أنك كنت الخاسرة منذ البداية، وليس فقط بعد تغير أحوال زوجك المادية في العامين الأخيرين، فلقد خسرت ما لا يعوض بمال إذا فقده الإنسان، وهو حب ابنيك لك وارتباطهما بك.. وخسرت زوجا محبا عطوفا لم يكن يكل عن استجداء مودتك واسترضائك بكل الحيل.. ويحسن عشرتك ويحترمك، وخسرت بكل تأكيد تأييد أهلك الأقربين لك بطلاقك منه وتمزيق ابنيك بينكما وثقة أهل زوجك الثاني الذين لن يغفروا لك تمزيق ابنيه بين أبويهما وبين بيوتهم.. ناهيك عن احترام الآخرين واحترامك أنت شخصيا لنفسك، خاصة حين تكشفت القصة في النهاية عن عناء لا يقل وطأة إن لم يزد عن الحياة التي تمردت عليها في ظلال زوجك الأول وطفليك.

لقد تجددت مراراتك حين رأيت صديقتك السابقة تنزل من سيارة مرسيدس فاخرة مع زوجها الجديد.. وأنت تقفين في الطريق في انتظار سيارة ميكروباص، فتساءلت أحقا أن هناك من البشر أناسا يسعى الخير إليهم أينما يحلوا،

وبشرا.. يفر منهم الخير أينما يسعوا؟ وجوابي هو أن الله سبحانه وتعالي هو الرزاق الكريم، وأننا لو جرينا في الدنيا جري الوحوش فلن ننال في النهاية إلا ما كتبه الله لنا، فإذا كنت تتعجبين كيف انتقلت صديقتك السابقة من حياة رغدة مع زوجها الأول إلى حياة أكثر رفاهية مع زوجها الثاني، مع أنها أقل منك جمالا وأقصر باعا، فلعلي أذكرك بأن الله سبحانه وتعالي قد أقسم في الحديث القدسي المرفوع بعزته وجلاله لأرزقن من لا حيلة له حتى يتعجب أصحاب الحيل أي حتى يعرف الجميع أنه وحده الرزاق المنعم.. وأن ثراء أي إنسان أو نجاحه أو توفيقه في عمله برغم اجتهاده ليس راجعا إلى حيلته وحدها وإنما إلي أن الله سبحانه وتعالي قد أذن له أيضا بنجاح مسعاه ونيل ثمرته، وبارك له في رزقه وفي حياته، وتأكيدا لذلك فقد يغمر الله سبحانه وتعالي برزقه من لا ترشحه قدراته للمنافسة في أي سباق، وقد يقدر علي بعض ذوي الحيل والذكاء رزقهم فيعيشون في كبد حتى يأذن الله بتغير الحال. لقد ذكرتني قصتك وعودتك إلى الحرمان بعد الرخاء كما يرجع مؤشر عجلة الحظ الدوارة إلى نقطة البداية بعد طول الدوران، بالخرافة التي كتبها الحكيم الإغريقي ايسوب عن الأسد الجائع، الذي رأى أرنبا نائما فهم بالتهامه ليسد به جوعه، وقبل أن يفعل رأى غزالا قريبا، فقال لنفسه إن لحم الغزال أطيب وأوفر، ويكفي لسد غائلة جوعي ويفيض، فانصرف عن الأرنب وطارد الغزال لينقض عليه.. وصرخ الغزال حين رأى الأسد صرخة مدوية واندفع جاريا بسرعته الشديدة، والأسد يلاحقه إلى أن طالت المطاردة، وابتعد الغزال كثيرا وأدرك الأسد أنه لن يلحق به فعاد أدراجه وقد قرر أن يكتفي بالأرنب.. فإذا به لا يجده في مكانه ويتلفت حوله باحثا عنه دون جدوى فيدرك في النهاية أن صرخة الغزال والأسد يطارده قد أيقظته من نومه فأسرع بالفرار! وهكذا خسر الغزال.. والأرنب معا.. وظل الأسد يكابد جوعه!

فإذا كنت تتساءلين في ختام رسالتك وبنص كلماتك: ألا يغفر الله لك، طمعك وسخطك على حياتك السابقة وسرقتك لسعادة امرأة أخرى .. وماذا تفعلين لكي يرفع الله عنك مقته وغضبه اللذين تشعرين بهما في حياتك الخاصة الآن؟ فاني قبل أن أجيبك على هذه التساؤلات أضيف إليها سؤالا آخر يبدو أنك قد نسيته في غمرة ضيقك بظروفك الحالية وهو: وألا يغفر الله لي أيضا خيانتي لزوجي وأنا أحمل اسمه ومؤتمنة على شرفه مع رجل آخر متزوج وله أبناء، وتدبيري معه طلاقي من زوجي وطلاقه من زوجته وهدم أسرتين وتمزيق٤ أبناء لكي يجتمع شملنا تحت راية أطماع الدنيا الزائلة: هو في جمالي وأنا في ماله؟

هذا هو السؤال الناقص وجوابي عليه وعلى غيره من التساؤلات أن الندم الصادق من القلب ونتيجة لتغير الفكر وليس تغير الظروف يفتح دائما باب التوبة والمغفرة.. مع كثرة الاستغفار ومع النية الصادقة علي التطهر من الآثام، وعدم العودة إليها مرة أخرى، ومحاولة تصحيح الأخطاء، وأداء الحقوق، ومن يعمل سوءا أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما

وبهذه المناسبة فانك تعيشين وحدك الآن مع طفلك الصغير، فلماذا لا تفكرين في ضم ابنيك من زوجك السابق إليك ولو في فترة غياب زوجك عنك وبعد استئذانه في ذلك، لكي تعويضهما عن بعض ما حرمتهما منه ولكي يقتربا من أخيهما الصغير.. فيكون ذلك بداية تعويض تقصيرك في حقهما؟ نعم ـ لماذا لا تحاولين ذلك حتى ولو رفض الابنان أو أهلهما في البداية، ذلك أن مجرد إبداء هذه الرغبة يحمل نوعا من الاعتذار لهما والرغبة في تعويضهما

==

الورقة المطوية !

أنا سيدة في الخامسة والأربعين من عمري، متزوجة من رجل ميسور الحال، وقد عشنا حياتنا الزوجية في سعادة وهدوء، وأنجبنا ولدا وبنتا، وننتمي لأسرة مترابطة تحرص على القيم والتقاليد، وتربى أبنائها التربية الحديثة ونعيش معا حياة هادئة سعيدة،وما من مشكلة تعترضنا وتهددنا بتعكير صفو الحياة إلا وجدنا لها الحل بيني وبين زوجي بالإقناع والتفاهم ، وفى بعض الأحيان نشرك أبناءنا فى حل هذه المشاكل ونتفق على الحل المناسب ، ويشعر كل منا بمشاركته واتفاق آراءنا فيه وقد تخرج ابني الأكبر فى الجامعة ومازالت ابنتي تواصل دراستها الجامعية . وقد ربيناهما كما ذكرت لك فى البداية التربية الحديثة ، فتعلما في مدارس مختلطة ، ويذهبان إلى النادي ويصادقان فيه أصدقاء من الجنسين ..وكل شئ واضح وصريح أمامنا ، فنحن نعرف أصدقاءهما ويحضرون معهما إلى البيت ويخرجون معا .

ومنذ عامين تعرفت ابنتي على شاب من أصدقاء "الشلة" فى النادي وأحبته وكان عمرها حينذاك ١٦ عاما وصارحتني بذلك ونصحتها كما تنصح كل أم ابنتها فى مثل هذا الموقف وفى هذه المرحلة من العمر فقلت لها أنها مازالت صغيرة وأن المستقبل عريض أمامها وسوف تلتقي بأشخاص كثيرين ستجد فى أحدهم فتى أحلامها المناسب لها ، فكانت تسمع لما أقول وتصر على أنها تحب هذا الشاب وتريد أن تكمل باقي مشوار حياتها معه ، وأمام إصرارها اتفقنا على أن تظل العلاقة فى حدود النادي وفى وجود باقي الأصدقاء وعلى أن نكون على علم بكل شئ وبصراحة تامة . وبعد ذلك فلا بأس من رؤيته أو مكالمته فى حدود الأدب.

واستمر الحال على ذلك عامين وأنا ووالدها نعلم ونسكت على مضض ، أما ابني فهو في قمة الاستياء لأنه لا يرى فى هذا الشاب شخصاً مناسبا لأخته عائليا واجتماعيا وماديا ، فضلا عن أنه لم يكمل تعليمه بعد.

وعشنا على أمل أن تدرك هي هذه الحقائق حين تكبر وتنضج وتعرف أنه عبث أطفال وليس حبا حقيقيا وأنها كانت مخطئة فى اختيارها ومشاعرها ، إلى أن فوجئت بها ذات يوم فى موعد رجوعها من الجامعة تدخل البيت مسرعة ، وورائها أخوها الذي راح يضربها ويلعنها وهى تبكى وتصرخ وانزعجت بشدة وتساءلت عن الأمر.. فعلمت من شقيقها أنه رآها مع هذا الشخص فى مكان عام ويشربان الشاي ! وكان ذلك صدمة بالنسبة لى ، فقد تركت لها الحرية بشرط ألا تكذب وألا تخفى عنى شيئا وأن تكون العلاقة في حدود النادي ولم نمنعها من شئ ولم نتشدد معها ، لكن يبدو أن هذه كانت غلطتنا الكبرى التى أعترف لك بها وأعترف أيضا بأننا قد أخطأنا فى هذه التربية الحديثة التى يتبعها معظم أبناء جيلنا اذ لو كنا قد تشددنا معها من بادئ الأمر ومنعناها من رؤيته لما حدث ما حدث ، إذ بعد أن ضربها أخوها غادر البيت غاضبا ، ودخلت هى غرفتها وراحت بكى بحرقة ، ودخلت وراءها وطالبتها بقطع علاقتها بهذا الشاب ، لأنها قد كذبت على ولم تلتزم بوعدها لى بألا تخرج معه ، فانهارت فى بكاء أشد وقال لى أنها لا تستطيع ذلك.
ثم نهضت وأخرجت لى ورقة مطوية وقدمتها لى فأخذتها مندهشة وفتحتها ، فما أن فعلت ذلك حتى مادت بى الأرض ولم أدر بما حولي ، ولم أفق من غشيتي إلا بعد ساعتين ، فوجدت ابنتي تبكى وتقبل يدي وقدمي وترجوني الصفح عنها ..فقد كانت الورقة المطوية قسيمة زواج شرعي بهذا الشاب الملعون ! ولا أستطيع أن أصف لك مشاعري حين استوعبت ما قرأته فى هذه الورقة ، فقد وجدتني أشعر بكراهية شديدة لابنتي التى داست على كل شئ ، وداست على نفسها وأشعر فى الوقت نفسه بالعطف عليها وهى تتوسل لي وتعترف بخطئها وتطلب مني الوقوف بجوارها وألا أتخلى عنها فى محنتها .
أما مشاعري تجاه هذا الشاب فقد كانت كراهية طاغية ومقتا طاغيا لا يخالطهما أى إحساس أخر! ولا أعرف كيف تحرك مؤشر الساعة فحل الظلام وأنا وابنتي فى هذا الموقف العصيب ..ولا أذكر إلا إنني كنت أشعر فى بعض اللحظات كأنني فى كابوس مزعج سأصحو منه بعد قليل ، ثم أعيد قراءة هذه الورقة اللعينة فأجده واقعا وليس حلما مزعجا ، وبعد أن هدأت بعض الشئ عاودت قراءة هذه الورقة فإذا بى أكتشف أيضا بأن تاريخ الزواج قد مضت عليه سنة طويلة ، كانت ابنتي تخرج وتدخل علينا خلالها فى براءة وهى تخدعنا وتخفى عنا أنها قد تزوجت هذا الشاب اللعين وعمرها ١٧ عاما فقط . فيا لها من مصيبة ويا لها من مصيبة كبرى ! وتكتمت الأمر عن زوجي وعجزت عجزا تاما عن مصارحته به ، وفوجئنا بعد ذلك باتصال من أسرة هذا الشاب يطلبون فيه زيارتنا بهدف التعارف والتمهيد للخطبة وجاءوا بالفعل لزيارتنا ، ولا أعرف كيف تحكمت فى مشاعري وأنا أرى هذا الشاب أمامي ، وبعد خروجهم وجدت زوجي غاضبا ورافضا الخطبة رفضا قاطعا لأن ابنتنا مازالت صغيرة ، ولأن هذا الشاب غير مناسب لها كما أنه لم ينته من تعليمه ولا يرى أى مبرر للاستعجال فى هذا الأمر! ولم أدرى ماذا أقول له عن هذا "الأمر" الذي أطار النوم من عيني وأفقدني سلامي وسعادتي .. ولم أجد ما أفعله سوى تشديد الرقابة على ابنتي فمنعتها من الذهاب إلى النادي ، وراقبت التليفون بصفة دائمة ، حتى بدأت تكرهني ، ومازلت فى حيرة من أمري وأحاول أن أتماسك أمام زوجي ، وأبحث عن حل بلا جدوى لقد كانت غلطتنا الكبرى هى أننا أمنا بالتربية الحديثة ، وقلنا لأنفسنا وما الضرر وكثيرات من البنات يصادقن الشباب ويخرجن مع زملائهن فى أعياد الميلاد والى دور السينما والمطاعم ، وقلنا ان كل الشباب يفعلون هذا، وأن أبناءنا أفضل من غيرهم والحمد لله أنهم لم يدمنوا المخدرات ولم ينزلقوا ولم نتصور أنهم يمكن أيضا أن يخطئوا وأن نشقى نحن بأخطائهم ونفقد السعادة والأمان .
ولهذا، فإني أستحلفك بالله أن تنصح كل الآباء والأمهات بأن يضعوا أبناءهم تحت الميكروسكوب ، وألا يعتمدوا كما فعلنا نحن على أنهم أحسنوا تربية أبناءهم والباقي بعد ذلك على الله ، اذ يشهد الله والناس أننا قد ربينا أولادنا أحسن تربية ولم نتركهم وحدهم ونذهب للعمل فى بلد أخر كما يفعل غيرنا ولم نكن نخرج للسهر أو للسفر وندعهم وحدهم لا نعلم عنهم شيئا ، وابنتي هذه يشهد لها الجميع فهى متفوقة وذكية فى دراستها ومهذبة جدا ، وفى البيت مطيعة ومحبوبة وتشارك فى أعمال البيت وتصلى وتصوم وتقرأ القرآن ، ولا أدرى ما أصابها حتى فعلت بنا وبنفسها ما فعلت كما لا أدرى هل حدث ما حدث نتيجة تقصير فى التربية ، أم لأن ابنتي ساذجة إلى هذا الحد حتى يخدعها هذا النذل ، أم أنه عقاب لنا من السماء ؟! .. ولكن أى ذنب جنيناه يا رب لنعاقب عليه هذا العقاب الشديد ، وأنا لا أذكر أنني آذيت أحدا أو فعلت ما يغضب الله ؟!
اننى فى حالة ذهول ، ولا أدرى ماذا أفعل ليقف بجواري ونستدعى هذا الشاب الملعون ونجبره على طلاقها حيث انه تزوجها وهى فى السابعة عشرة من عمرها ، وما أعلمه هو أن الفتاة لا تستطيع أن تزوج نفسها وهى دون الثامنة عشرة ، وإذا حدث ذلك وطلقها فماذا سيكون مصيرها بعد هذه الفضيحة وكيف ستتزوج مرة أخرى بغير أن يفتضح أمرها ؟! أم ترى هل أنتظر حتى يتخرج هذا "الجبان" وأضغط على زوجي حتى يزوجها له وان كنت أشك كثيرا فى موافقته على ذلك ، وإذا فعلت هذا فكيف سأتحمل هذه السنوات التالية حتى يتخرجا فى الجامعة ويتزوجا ؟! وكيف أستطيع أن أتقبل هذا الإنسان وأتعامل معه وأنا أمقته مقتا شديدا وأعرف أنه سبب تعاسة هذه الأسرة بكاملها ؟! وكيف أتعامل أيضا مع ابنتي وأنا أشك فى كل تصرفاتها؟! أرجو أن ترشدني إلى الحل مع العلم بأن هذا الشاب لا يعلم حتى الآن أنني أعرف بزواجه من ابنتي.
ولكاتبة هـذه الرسـالة أقـــول (رد الكاتب عبد الوهاب مطاوع) :

من أشد أحزان الحياة إيلاما للنفس ، أن يصدمنا الأحباء فيهم فنصحو ذات يوم من اطمئناننا الغافل إلى ثقتنا فيهم معهم ..وكيف قست قلوبهم علينا إلى هذا الحد على طعنة دامية من جانبهم ،ونتوقف ذاهلين ونتساءل : فيم أخطأنا ..ولماذا باعونا بهذا الثمن الرخيص ..ونحن الذين أفنينا العمر فى محبتهم ورعايتهم وكانوا دائما منا ذوب القلب !وأمل النفس الحزينة ؟؟

إنها لحظة مريرة يا سيدتي ، لا يدرك بعض الأبناء للأسف عمق قسوتها على القلب الطعين..ولا يستشعرون أبدا غصتها فى نفوس الآباء والأمهات ..ولن يستشعروها إلا حين يكرر أبناؤهم معهم هذه الطعنة الدامية في قادم الأيام، فتمتزج عندها حسرتهم من أبنائهم..بحسرتهم على إباءهم وأمهاتهم الذين أدموهم من قبل بهذا الخنجر .المسموم ، والحياة ديون يسددها الإنسان كاملة ولا مهرب له من فواتير السداد

لكن ماذا نملك لأبنائنا إذا هم طعنونا وألقوا بأنفسهم فى اليم، ثم ولوا صارخين طالبين منا النجدة ؟..هل نستطيع !حقا أن ننكص عن مد أيدينا إليهم بطوق النجاة؟.. ولو تجرعنا نحن غصص الألم كارهين؟

إننا لا نملك يا سيدتي ، ولا نستطيع أن ندعهم لأقدارهم تتلاعب بهم رياح الحياة كريشة تتطاير فى الهواء ، ولا . مفر أمامنا من أداء مسؤولياتنا تجاههم حتى النهاية ، ثم فليكن بعد ذلك من أمرهم ما يكون

وفى قصتك هذه لا مفر من التسليم بالأمر الواقع الذي أراد هذان الفتيان أن يضعاكم أمامه . وفى بعض مواقف الحياة المؤلمة يكون التسليم بالهزيمة والقبول بها شجاعة أدبية ويكون التعامل مع معطياتها ، هو التصرف الأمثل والأفضل من المقاومة اليائسة التي لا تثمر فى النهاية إلا تكريس الأمر الواقع مع مضاعفة الجراح والخسائر . النفسية ، واتساع دائرة الذيوع والعلانية لما ينبغي أن نتستر به عن الآخرين

لهذا فلست أرى مصارحة عم ابنتك بالأمر واستدعاء هذا الشاب وإجباره على طلاق ابنتك ، إذ لن تسفر المحاولة غالبا إلا عن الفشل وتشبث الفتى بموقفه الخاطئ من البداية ولجوئه إلى أسرته وربما إلى السلطات المختصة أيضا لمنعكم من محاولة إجباره على ما لا يريد خاصة أن ابنتك لا تريد هذا الطلاق ولا تطلبه ، وقد تخذلكم مرة . أخرى أمام الغرباء ، فيتعمق الجرح ويزداد الألم

وإنما أرى ألا تصارح بهذا الأمر سوى زوجك ..ليس فقط لأنه شريك حياتك وصاحب الحق الأكبر في أن يعلم بما كان من أمر ابنته ، وإنما أيضا لأنه الولي الشرعي الذى ما كان لها أن تتزوج بغير إذنه ، وهي الفتاة غير الرشيدة ، ولا أعرف كيف سمح ضمير هذا المأذون الذي عقد قرانها له بأن يعقد لها على فتاها بغير وليها وهى .فى السابعة عشرة من عمرها

نعم يا سيدتي لا مفر من أن يشاركك زوجك ما تعانين من ألم وحيرة وشعور موجع بالهوان على ابنته إلى الحد الذي تضعه معه أمام هذا الموقف العصيب ، ثم لا مفر بعد ذلك من التعامل مع الموقف بواقعية تفرضها الظروف المحيطة بالقصة وكلها ، فتسلمان معا بما حدث ، وتستكملان شكليات الخطبة أمام الجميع كأنما لم تخرج ابنتكما عن طوعكما ولم تتزوج فتاها فى السر ، ابتداء من قراءة الفاتحة في حضور الأهل ..إلى الخطبة العلنية ..إلى تقديم الشبكة والاتفاق على "عقد القران" بعد تخرج الخطيبين في الجامعة ،على أن تتعامل ابنتك مع فتاها خلال . هذه الفترة كما تتعامل الخطيبة مع خطيبها في حدود ما تسمح به علاقة الخطبة

ولسوف تكون السنوات الباقية على تخرجهما معا هي الاختبار الحقيقي لإمكانية استمرار هذا الارتباط واستكماله بالزواج والمساكنة ، أو تعثره فى الطريق وانكشاف التجربة عما كشفت عنه من قبل معظم تجارب زواج المراهقين من فشل مرجح خلال سنوات وبعد نضج الشخصية وتغير المشاعر واختلاف المزاج النفسي من مرحلة المراهقة إلى بداية مرحلة النضج.. فإذا فشلت التجربة وانتهت نهايتها المحتملة ، فليتم الطلاق سرا ، .ولتواجه ابنتك المجتمع كفتاة سبقت لها تجربة الارتباط دون زفاف

وإذا تمسك كل منهما بالأخر ، ورغبا فى استكمال المشوار ، فلقد سلمتما من البداية بما لم يكن منه بد. .وهو التنازل عن اعتباراتكما العائلية فى الشخص الملائم لها لأنها اختارت بمعاييرها هى ، ولا مهرب لها من أن . تتحمل تبعية اختيارها

أما كيف تتعاملين مع هذا الفتى خلال فترة الخطبة وأنت تمقتينه مقتا شديدا وتعتبرينه المسؤول الأول عن هدم سعادة أسرة بأكملها ، فما أكثر ما تضطرنا ظروف الحياة الى أن نتعامل مع من لا نطيق ، رعاية لاعتبارات الأعزاء ، والاعتبارات العائلية والاجتماعية الأخرى ، والمهم هو ألا يحملنا كرهنا لأحد على أن نبخسه حقا من حقوقه ، وألا يحملنا حبنا لأحد على أن نأثم فيه فنعطيه ما ليس من العدل والحق أن يناله منا ، كما ينصحنا بذلك إمام المتقين على بن أبي طالب رضي الله عنه . إذ لو انسقنا وراء مشاعر الحب والكراهية وحدهما في تعاملنا مع . الآخرين لحدنا عن العدل والحق ، ولعجزنا عن أن نتعامل مع الكثيرين

وأما ابنتك فلسوف تعاملينها بما علمتك التجربة أن تعامليها به ، فلا تركني إلى ثقتك الكاملة السابقة فيها بعد أن كشفت لك التجربة أنها لم تكن أهلا لها ، ولا تستسلمي تماما إلى شكوكك وهواجسك تجاهها ، فتتوتر علاقتكما أكثر وتنقطع الخيوط بينكما وإنما قربيها منك أكثر وامنحيها بعض الثقة وليس كلها ولا تعفيها بعد ذلك من رقابتك وإشرافك ومتابعتك لكل خطواتها ، لكيلا تتحول فترة "الخطبة " إلى زواج فعلى قبل الموعد الملائم وتتضاعف .المشاكل

والمثل الفنلندي القديم يقول : إن الإنسان لا يخدع إلا من يثق به ، وهذا صحيح لأن من يتشكك فينا يصعب علينا عادة أن نخدعه أما من يثق فينا فهو للأسف من ننجح عادة فى خداعه اعتمادا على هذه الثقة ، وليس من حق ابنتك على أى حال أن تضيق بعدم ثقتك فيها ، لأن من يخون ثقة الأهل به على هذا النحو الفادح لا يحق له أن يلومهم إذا تشككوا فيه ، ولا أن يشكو من عدم ثقتهم به ..بعد أن وضع نفسه موضع الريبة والتهم .
وقد تسألين بعد ذلك ، وماذا يكون الحال حين تجدون أنفسكم مضطرين إلى عقد قران ابنتكم على فتاها بعد سنوات لاستكمال الشكل العائلي والاجتماعي للزواج ، وفى هذه الحالة فلسوف تجدون أنفسكم أمام خيارين ..الأول :هو أن تستغنوا عن هذه الشكلية اعتمادا على العقد الموجود ، مع تدارك المظهر العائلي بأي طريقة ترونها مناسبة لذلك بالاتفاق مع أسرة الشاب. والثاني : هو أن تتمسكوا باستكمال الشكل أمام الآخرين وعقد قران جديد ، ولقد استفتيت أحد شيوخنا الأجلاء فى حالة مماثلة منذ سنوات فأفتى بجواز ذلك للضرورة الاجتماعية القصوى واعتبار العقد الجديد بمثابة تأكيد للعقد السابق مادام بين نفس الطرفين مع اعتبار الزوجية قائمة منذ تاريخ العقد القديم.
ونأتي لتساؤلاتك المريرة فى النهاية عن "التربية الحديثة" ونصيحتك للآباء والأمهات بألا يدعوا الأبناء يغيبون عن أنظارهم مهما أخذوا بمظاهر أو دعاوى هذه "التربية الحديثة " وأقول لك انه فى أعماق الجحيم يتعلم الإنسان الحكمة ولكن غالبا بعد فوات الأوان ، لكن المؤلم حقا هو أنني ألحظ في تعاملي مع هموم الآخرين اتجاها مزعجا جديدا لدى قلة من الأبناء لحل مشاكلهم مع أبائهم وأمهاتهم ، بتفضيل وضعهم أمام الأمر الواقع الذى يرفضونه ، ثم تحمل ثورتهم والتفاوض معهم بعد ذلك على أساس الأمر الواقع الذى فرضوه عليهم عنوة ، وبالألم المضني المزلزل ، وهو اتجاه شرير وغير أمين فى نفس الوقت ، ليس فقط لأنه يكشف عن جحود للآباء وتنكر لهم واستسهال لإيلامهم وإنما أيضا لأنه يكشف وهو الخطر عن بعد فادح عن حدود الله فى تعامل الأبناء مع الآباء والأمهات ، وعم عجز أفدح لدى هؤلاء الأبناء عن مواجهة مشاكلهم بشجاعة وأمانة كما يليق بالشرفاء والأمناء مع أنفسهم ومع الحياة .
ومن عجب أن بعض هؤلاء الأبناء قد يبدءون بسلاح العجز هذا قبل أن يخوضوا المعركة ويبدءوا البداية الصحيحة وهى مواجهة الأهل باختيارهم " والجهاد" معهم لنيل رضاهم عنها مهما طال المدى ، وتفسير بعض العجزة لما فعلوا لا يقبله الدين أو العقل ويتركز دائما فى أنهم كانوا "واثقين" من رفض الأهل لاختياراتهم من الوهلة الأولى ففضلوا وضعهم أمام الأمر الواقع وفرضه عليهم !.. أما من أين أتتهم هذه الثقة المتناهية ؟! فمن استشعارهم لحدة الفوارق الاجتماعية أو للتحفظات الأخلاقية الشديدة على هذه الاختيارات ، وكلها أعذار أقبح من ذنب وأشد نكرا ، ولا تبرر أن تخذل فتاة أو فتى أبويهما ويطعناهما فى سويداء القلب مثل هذه الطعنة الدامية.
أما "التربية الحديثة" التى أدركت أنت يا سيدتي بالثمن الباهظ مسئوليتها عن محنتكم ، فالاتجاهات التربوية الأكثر حداثة منها فى الغرب الذى بالغ البعض منا فى نقل مظاهر هذه التربية عنه بلا اعتدال قد بدأت تنادى الآن بالعودة للقيم المحافظة في التربية ، والاعتدال فى الحرية الممنوحة للصغار فى فترة المراهقة ، وتتحدث عن أهمية غرس القيم الدينية والالتزام الخلقي فى نفوسهم ليحميهم من مهالك الإدمان والجريمة والايدز والإباحية ، وتؤكد أهمية دور الأسرة والرقابة العائلية فى تقويم سلوك النشء وحمايتهم من الأخطار.
وفى الالتزام بحدود الله ونواهيه ما فوق الكفاية دائما يا سيدتي لتجنب هذه المهالك ، وفى الاعتدال والتوسط فى كل شئ بلا افراط ولا تفريط ما يهدينا إلى سواء السبيل ...والسلام

رسالة (ربة البيت)..طفلة فى مهب الريح ..

لا أعرف من اين ابدأ قصتى لكنى سأقول لك انى كنت كبرى اخواتى البنات السبع نعم فلقد كنا ثمانى بنات نعيش فى شقة من حجرتين.. حجرة من داخل حجرة فى بئر السلم فى بيت بالسيدة زينب، وكان أبى ترزى سيدات يعمل طول النهار على ماكينة الحياطة وتساعده امى فى تشطيب الفساتين، وكان دخله من هذا المضنى يكفى بالكاد لنفقاتنا اليومية بحكمة امى التى تدبر حياتنا بحرص شديد وتحرم على أبى ان ينفق مليما فى غير موضعه.. فحتى السيجار كانت حرمها عليه واذا دخن سيجارة خلسة انتزعتها امى من فمه بحجة الا تحرق فساتين الناس، لكن امى التى كانت تدير شئون هذه الأسرة الكبيرة لم تكتف بثمانى بنات لأن نفسها كانت تنازعها الى ولد ! فأنجبت للمرة التاسعة وجاء الولد فعلا.. لكنها لم تفرح به لأنها توفيت بعد ٥ أيام فقط من مولده بحمى النفاس وتركت وراءها ٩ اطفال اكبرهم انا فى الثانية عشرة من عمرى وأصغرهم شقيقى وعمره ٥ ايام.. وكنت فى أخر سنة فى المدرسة الابتدائية فتركتها وجلست فى البيت لأقوم بكل اعمال امى رحمها الله فكنت اطبخ وأغسل وأمسح وأرعى شقيقى الرشيع واساعد ابى فى تشطيب الفساتين لكى يأخذ اجره ويعطينا ما نشترى به الطعام كما كنت احمل شقيقى الرضيع على كتفى مرتين كل يوم واذهب به الى بيت خالتى فى حى عابدين لكى ترضعه لأنها كانت قد انجبت حديثا، ولم اكن اشكو من شيء الا من ان ابى قد تغير بعد وفاة امى. فكان يأخذ معظم ما يكسبه بعد ان يترك القليل ويخرج فى المغرب ولا يعود الى فى آخر الليل مخمورا ومغميا عليه ولم يتحمل المأساة طويلا فخرج ذات يوم ولم يعد وتركنا سامحه الله للآقدار نواجه الحياة وحدنا .. وشقيقى الصغير عمره ٣٥ يوما فقط.. ووجدنا انفسنا ياسيدى ٩ اطفال بلا اب ولا ام وليس معنا مليم واحد فكان الجيران الطيبون يرسلون لنا الطعام كل

يوم الى ان يعود ابى الهارب وكنت اواصل الذهاب مرتين الى خالتى لترضع أخى لكن"بنى ادم ثقيل" ياسيدى كما تعرف ويبدو اننى كنت قد اثقلت على خالتى دون ان ادرى فلم أشعر يوما وانا ذاهبة اليها حاملة اخى الذى يبكى الا وحماتها تخرج لى من باب الشقة وتطردنى أنا واخى وتحرم على ان اعود به مرة اخرى فحملته وهو يبكى ونزلت السلم وأنا ابكى فركبت الترام وانا اتهرب من الكمسارى ونزلت السيدة زينب وأخى "يرفر" من الجوع وهدانى تفكيرى كطفلة الى ان ادخل مسجد السيدة زينب وكلما رأيت سيدة أسألها: هل ترضعين ياست؟ فتقول لى واحدة:لا يا ابنتى والأخرى تقول لى: ياريت يابنتى الى ان رأتنى سيدة عظيمة اخذت منى اخى وجلست على الأرض وأرضعته حتى شبع ونام ثم سألتنى عن حكايتى فقلت لها كل شىء.. فاذا بها تبكى بصوت عال ثم اخذتنى معها الى بيتها وقدمت لى الطعام وعرضت على ان اعمل عندها، فوافقت بدون تردد لأننا لا نستطيع ان نعيش الى الأبد على طعام الجيران، وهذه السيدة العظيمة التى كان لها اكبر الأثر فى حياتى وحياة اخوتى فيما بعد كانت تعمل دلالة تشترى الأقمشة والمفروشات وتبيعها بالتقسيط المريح للعائلات.. وكانت لها سمعة طيبة فى الحى كله.. وتتساهل مع "المعذورين" وتؤجل لهم الأقساط وكان صاحب البيت الذى نسكن به بارك الله فيه لا يطالبنا بالايجار منذ ان اختفى ابى وظل كذلك لسنوات طويلة وبدأت العمل مع هذه السيدة العظيمة فكنت اذهب اليها كل صباح فتأخذ منى أخى بلهفة وترضعه وتهتم به واقوم بمساعدتها فى شغل البيت وأحيانا اذهب الى الزبائن وأحضر لها القسط الشهرى، وكانت تعطينا عشرين جنيها كل شهر، كنت اصرفها "بالحكمة" وببركة من عند الله كانت تكفينا شر الحاجة وكنت اعود من بيتها فى المغرب مع اخى الرضيع فأرعى شئون اخوتى مع اختى التى تصغرنى بعام واحد وبتوفيق من الله سبحانه وتعالى وبمساعدة اهل الخير مضت الحياة بنا فتعلمت الخياطة وجلست على الماكينة فى بئر السلم مكان ابى الغائب الذى لا نعرف هل هو على قيد الحياة ام طواه التراب سامحه الله؟ وبفضل الله قامت هذه السيدة العظيمة التى اعتبرت نفسها مسئولة عنا بتزويج اثنتين من شقيقاتى لاثنين من اقاربها زواجا موفقا وسعيدا.. وقد سعت لتزويجهما لكى تخفف عنى الاعباء التى زادت على بعد ان تقدمت شقيقاتى فى مراحل التعليم فالتحقت احداهن بكلية الطب والأخرى بكلية الأثار والثالثة بمعهد الخدمة الاجتماعية اما الباقيات ففى مراحل التعليم المختلفة واما شقيقى الأصغر الوليد الذى حملت مسئوليته وعمره ٥ أيام فقد بلغ السنة الأولى من التعليم الثانوى اما شقيقتاى اللتان تزوجتا فهما مثلى لم تكملا التعليم الابتدائى بسبب الظروف التى واجهتنا فى البداية وقد احسست بالفراغ الذى تركاه بعد زواجهما لأنهما كانتا تساعدنى فى عمل البيت وفى الخياطة فأرهقتنى مسئولية البيت وتقوس ظهرى من الجلوس على ماكينة الخياطة فى بئر السلم وضعف بصرى من كثرة العمل وأرهقتنى مطالب المدارس والكليات من الملابس والكتب والأحذية وبالذات من الأحذية التى ارتفع ثمنها وقلت جودتها فساعدتنى ابنة الجيران التى تعمل ممرضة فى احدى الدول العربية والتى تعرف ظروفنا جيدا على العمل فى الخارج فتركت اخوتى فى رعاية ربنا والناس الطيبين وسافرت للعمل فى مشغل كبير للتفصيل يشغل الدور الأول من المبنى ويقع سكن المغتربات فى الدور الثانى منه وكانت صاحبة المشغل كريمة معى وكنت على اتصال دائم مع اخوتى ولم احتمل فراقهم اكثر من سنة ونصف السنة وطلبت اجازة وعدت اليهم ومعى اغلى الهدايا من فضل الله ونقود كثيرة فأشتريت لهم تلفزيونا ملونا من السوق الحرة وقمت بترميم الشقة ودهنت الجدران بالزيت وهدمت الحمام وعملته بالقيشانى! واشتريت ثلاجة وعوضت اخوتى كل سنوات الحرمان وفرحوا بى وفرحت بهم.. وخلال اجازتى فى القاهرة قالت لى السيدة العظيمة أنه قد لآن الأوان لأن اتزوج بعد ان بلغت التاسعة والعشرين والحق انى كنت فى التاسعة والعشرين لكنى كنت احس ان عمرى ٩٠ سنة.. فقلت لها انى لم افكر فى الزواج فأصرت وأحضرت لى عريسا مناسبا يملك ورشة نجارة ويعمل فيها وصممت على ان اقابله فقابلته ورأيته انسانا طيبا متدينا وتمت الخطبة وعقد القران وكان طلبه الوحيد منى ان ارتدى الحجاب، وكان طلبى الوحيد منه ان يتركنى اعود للعمل فى الخارج لمدة عامين آخرين لأدخر مصاريف تعليم اخوتى لكيلا اتركهم فى منتصف الطريق بعد ان صارحته بأنى لا استطيع المشاركة معه فى اعداد اثاث الزوجية ووافق زوجى على ذلك وارتديت الحجاب وسافرت وبدأت رسائله تصل الى وتسعدنى حتى لاحظت زميلاتى فى المشغل انى تغيرت وأصبحت مرحة وأحب الحياة والأمل.. لكنه ياسيدى بعد ٤ شهور فقط من سفرى كتب الى يطلب منى العودة الى مصر فورا للزواج قائلا انه رجل "كسيب" ولا يوافق على ان تعمل زوجته فى الخارج ويطالبنى بأن اختار بينه وبين عملى فواجهت الحيرة.. انه ينتظر منى ردا عاجلا.. وأنا اريد منك أن تشير على بأقصى سرعة.. ماذا افعل هل اترك عملى واعود الى زوجى الذى لم يحترم عهده لى بالسماح بالعمل لمدة سنتين ويضيع مستقبل اخوتى وهم فى منتصف الطريق ام أرفض وأضحى به واواجه المجهول فى هذه السن؟ اننى اريد ردا عاجلا قبل ان اكتب اليه .. فماذا تقول لى؟

ولكاتبة هذه "الملحمة" البطولية أقول ●

انى اهدى رسالتك هذه لكل من يتملكه العجز والاحباط اذا واجه أية عقبة فى طريق حياته فيقعد ملوما محسورا! فها هى أسرة من ٩ افراد عائلها "ومرشدها" طفلة فى الثانية عشرة من عمرها .. تجد نفسها فجأة فى مهب الريح بلا اب ولا ام ولا معين ولا مورد.. فتقدم بتلقائية وباحساس غريب بالمسئولية يفتقده احيانا الرجال وتحمل الأمانة التى تنوء بالمسئولية يفتقده احيانا الرجال وتحمل الأمانة التى تنوء بحملها الجبال وتقود سفينة الأسرة وسط الصخور/ فلا تنهار الأسرة ولا تنحرف ولا ينفرط عقدها.. وانما تتراحم وتترابط وتتكاتف كما تفعل افراخ الطير

حين تتداخل فى بعضها البعض التماسا للدفْ فى ليالى الشتاء! لقد ألقت على رسالتك ياصديقتى درسا لن أنساه فى قيمة الكفاح وتحدى الصعاب وحمل الأمانة والتضحية من اجل الآخرين وقدمت لى رسالتك نماذج من البشر لا يملك المرء الا ان يحترمها وان يحبها على غير معرفة ولقد احببت كثيرا هذه السيدة العظيمة فعلا وعملا التى بكت بصوت عال عندما سمعت منك قصتك ثم اعتبرت نفسها مسئولة عنك وعن اخوتك أدبيا وما زالت تمارس مسئوليتها بنفس الأمانة التى الآن حتى لتسعى الى تزويج شقيقتيك من بعض أقارها وتسعى الى زواجك والى تذكيرك بنصيبك من الدنيا! ربما بأرحم مما تفعل بعض الأمهات والشقيقات..،احببت معك ايضا هؤلاء الجيران البسطاء الطيبين الذين كانو يرسلون لكم الطعام عقب اختفاء ابيك الهارب لا سامحه الله! وأحببت معك صاحب البيت النبيل الذى لم يطالبكم بايجار بعد فرار ابيك ولمدة سنوات طويلة ولمك يفرك لحظة فى انتهاز الفرصة وطردكم من الشقة.. كما قد يفعل بعض من قدت قلوبهم من حجر قلوبهم من حجر، وأمثاله كثيرون وأمثال هؤلاء الجيران الطيبين أكثر فى كل مكان وزمان مهما بدا لنا عكس ذلك احيانا!

وأحببتك كثيرا واحترمتك أكثر وانا اقرأ تفاصيل كفاحك وأحببت فيك روح التضحية التى تبدو عميقة ومتأصلة فى شخصيتك كما احببت فيه نفسك الراضية التى لا تحمل حقدا لأحد ولا مرارة ضد الدنيا رغم الأهوال لتى واجهتها وانما تتذكر لكل انسان فضله فتتحدثين عن السيدة "العظيمة" والجيران الطيبين وصاحب البيت النبيل وصاحبة المشغل الكريمة، وهكذا كل الناس من حولك لأن من يحب الناس يحبه الناس عادة ولأن شخصيتك المضحية الأمينة تفتح لك القلوب بيسر وسهولة لذلك فان زوجك محق بالتأكيد فى ان يتمسك بك وفى ان يتعجل عودتك وأنصح ياصديقتى بالاستجابة الى طلبه.. وبعدم التفشريط فيه فليس من العدل ان تطالبك الحياة بالمزيد من التضحيات بعد كل هذه الملاحم والأهوال ولا يعنى ذلك ابدا أن تتخلى عن اخوتك. فمن بنى هرما كالذى بنيته يسعده ان يكمله ولابد من استكماله وسوف تستمرين فى اداء واجبك فى حدود قدرتك وفترة العام ونصف العام الباقية لن تغير كثيرا من واقع الحال لكن تمسك بها قد يفقدك فرصتك فى الزواج والاستقرار وهو ما لا اريده لك فعودى يا صديقتى الى زوجك ودبرى امر مساعدة اخوتك بما تبقى معك من مدخرات وبما يتسطعيون الحصول عليه من عائد العمل فى شهور الصيف وعلى الماكينة فى اوقات الفراغ طول العام وسوف تواصلين لهم العطاء بعد استقرار حياتك الى ان ينتهوا من تعليمهم وثقى ان الحياة لن تتخلى عنكم كبارا .. كما لم تتخل عنكم فى اقسى الظروف صغارا .. وفى هذا الصدد كدت ان الومك انك وافقت على اختيار شقيقتك لنوع من الدارسة باهظة التكلفة وطويل الأجل كدراسة الطب مع هذه الظروف القاسية النى واجهتكم كما كدت ان الومك على الموافقة على اختيار التعليم النظرى الطويل الذى لا يؤهل لعمل سريع بالنسبة لبعض الشقيقات الأخريات او لاختيار التعليم الثانوى لشقيك بدلا من تعليم متوسط يختصر الطريق ويخفف عنك الاعباء كدت ان اقول لك كل ذلك لولا انى تذكرت فجأة صورتك وانت فى الثانية عشرة من عمرك تحملين شقيقك على ذراعك وهويبكى من الجوع وانت تبكين من القهر ثم تذهبين به الى مسج السيدة زينب تسألين له الرضاعة من كل من تقابلينه ووراءك فى البيت ٧ شقيقات صغيرات محرومات ينتظرن رعايتك فافت نفسى ان اوجه اليك اى لوم مهما كان رقيقا فمثلك يلتمس له العذر ولا يلام ومثلك ليس له عندى سوى الحب والاحترام....ملحوظة: زارتنى كاتبة هذه الرسالة بعد شهور من نشر رسالتها وابلغتنى ان زوجها كتب اليها بعد ان قرأ الرسالة يؤكد لها تنازله عن مطالبتها بالعودة السريعة ويترك لها ان تحدد الفترة التى تراها مناسبة لتحقيق هدفها ويؤكد لها تمسكه لها فى كل الأحوال وأن صاحبة المشغل الذى كانت تعمل به قد قرأت رسالتها وعرفت قصتها وطالبتها بالاستمرار معها لمدة شهرين فقط وبعد انتهائهما اعطتها مكافاة كبيرة تزيد عن مستحقاتها لديها من مكافأة نهاية الخدمة اضعافا مضاعفة، فعادت الى مصر سعيدة وزفت الى زوجها ثم جاءت الى تستشيرنى فى امر شاب تقدم للزواج من شقيقتها الصغرى مواصلة بذلك اداء مسئوليتها "كربة بيت" عن امور اسرتها!

==

رسالة (جمال الاشياء).وأصبت بنفس المرض

أكتب إليك من بلاد بعيدة سافرت إليها مضطرا منذ أكثر من شهرين، وآمل أن تنتهي مهمتي فيها علي خير وأرجع إلي بلدي وأصدقائي وأهلي وكل حياتي السابقةفي أقرب وقت إن شاء الله، فأما أنا فإنني لست بغريب عليك لأنك تعرفني عن قرب فاذا كنت في حاجة إلي أن أقدم نفسي لأحد فلقرائك الذين يتابعون هذا الباب ولهم اقول إنني طبيب وأستاذ بإحدي كليات الطب العريقة في بلادنا. بدأت حياتي العملية حين تخرجت في نفس الكلية وعمري٢١ عاما، ثم واصلت دراساتي العليا فحصلت علي دبلوم الجراحة وبدأت أستعد للحصول علي الماجستير ثم الدكتوراه، وفي هذه الفترة تعرفت علي الإنسانة التي سيقدر لي أن ترتبط بها حياتي إلي النهاية وتبادلنا أعمق المشاعر والأحاسيس..

وبدأت أخطط للارتباط بها، وقضاء بقيةالعمر إلي جوارها وكأي طبيب شاب في مقتبل حياته بدأت الرحلة من نقطة الصفر.. وكان مرتبي وقتها لايزيد علي٢٧ جنيها.. فأثثنا عشا صغيرا بسيطا احتوانا وعوضنا بدفئه وصدق المشاعر داخله عن بساطة حياتنا وبعد حصولي علي الماجستير.. تمكنت من استئجار شقة متواضعة في أعماق حي القلعة الشعبي لم يكن إيجارها يزيد علي ثلاثة جنيهات في الشهر، وبدأ الرزق القليل يأتي إلي، كالقطرات ومع ذلك فلقد كان له قيمة كبيرة وكنت أسعد به كثيرا.. وكذلك زوجتي.. !! وحصلت علي الدكتوراه وترقيت

مدرسا ثم أستاذا مساعدا ثم أستاذا ورئيس قسم وأنا امارس عملي في هذه العيادة الشعبية المتواضعة وأعالج المرضي مقابل رسم زهيد لايتجاوز بضعة جنيهات وبالمجان في كثير من الأحيان لمن يقدرون حتي علي دفعها، إلي جانب عملي بالكلية ولقد كان من الممكن أن تمضي مسيرتي العملية والعلمية كطبيب وجراح، إلي النهاية لولا أن شهدت حياتي الشخصية منعطفا مهما هيج أحزاني وأثار تأملاتي ودفعني للتحول إلي طريق آخر.

فلقد كان لزوجتي الحبيبة شقيقة صغري كنت اعتبرها بمثابة ابنة لي إلي جوار بناتي من زوجتي.. ثم مضت السنون وكبرت الشقيقة الصغري وتزوجت وحملت فلم تمض شهور علي حملها حتي أصيبت بالمرض اللعين في الصدر، وفزعنا جميعا لما أصابها.. وهرعت بها الي زملائي الأطباء الذين تخصصوا في هذا المرض..، وأشاروا علينا بضرورة أن تتخلص شقيقة زوجتي من حملها لكي تزداد فرص نجاتها وشفائها من المرض، وعرضنا عليها ذلك فرفضته بإصرار عنيد وتمسكت بحملها مهما كانت العواقب، وتشاورت مع زوجتي في الأمر طويلا وكنت بمثابة ولي أمر لهذه الشقيقة وانتهينا إلي موافقتها علي رغبتها بالرغم من المخاطر عسي الله أن يكشف عنها الضر ويسعدها برؤية أول وليد لها، ووضعت الشقيقة الصغري مولودها بسلام وسعدت به سعادة وأملت في أن تترفق بها الأيام وتتيح لها فسحة من العمر تقوم خلالها بتربيته غير أن المرض اللعين كان قد تمكن منها فلم تمض شهور حتي رحلت عن الحياة مبكيا عليها من كل من عرفها.. وكان اول قرار لنا أنا وزوجتي بعد رحيلها المحزن هو أن نضم الوليد الذي خلفته وراءها إلي حضانتنا لينشأ بين بناتنا كابن آخر لنا.

وأثار مرض شقيقة زوجتي أحزاني وتأملاتي في نفس الوقت.. فتساءلت ما هذا المرض اللعين الذي لايمهل ضحيته وقتا طويلا ولايكاد يفلح معه علاج شاف في ذلك الوقت من أين يأتي. وكيف يمكن اكتشافه مبكرا ومقاومته، وانتهيت من تساؤلاتي وتأملاتي إلي قرار مصيري بالنسبة لي وهو أن أتخصص في الكشف عن هذا المرض وفي تشخيصه في وقت مبكر لكي يسهل علاجه والانتصار عليه،وبدأت أقرأ كل شيء عن هذا المرض اللعين.. وأحضر كل مايعقد عنه من ندوات ومؤتمرات في مصر..، واسافر كل سنة لحضور عدد من المؤتمرات التي تركز علي اكتشافات الأدوية وسبل علاج هذا المرض..

وخلال ذلك فوجئت باصابة زوجتي الحبيبة بنفس المرض في الثدي..، لكنه كان من حسن حظنا أن اكتشفناه في وقت مبكر بعد أن تعلمنا الدرس الأليم من مرض شقيقتها.. وبعد أن تعمقت أنا في دراسة المرض وكيفية الكشف عنه فكان أن من الله عليها بالشفاء منه تماما..وفي ذلك الوقت خطرت لي فكرة إنشاء وحدة تتخصص في تشخيص الأورام والكشف عن دلالاتها، لتساعد المرضي علي اكتشاف المرض في بدايته وبما يسمح بنجاح العلاج معه. وتقدمت بفكرتي إلي الكلية التي أعمل بها.. ونلت الموافقة علي إنشائها. وبدأت جهودي لإنشائها وجمع التبرعات لها حتي وفقني الله وبمعاونة عدد كبير من الفضلاء من أهل الخير في إنشاء الوحدة.. وخلال سنوات أصبحت هذه الوحدة هي الوحدة الأم لعدد كبير من الوحدات المماثلة ساعدت في انشائها في كليات الطب الأخري ولم أفكر طوال ذلك في أن أحول هذا الجهد إلي نشاط خاص لي أو أن أنشيء وحدة مماثلة لحسابي لتدر علي عائدا ماليا كبيرا، وإنما صرفت كل جهدي لتدعيم وحدة كلية الطب وتقديم العون للزملاء الذين يرغبون في إنشاء وحدات مماثلة في كلياتهم.. وفي حضور المؤتمرات العلمية المحلية والعالمية حول هذا المرض

أما علي المستوي الشخصي فلقد كانت حياتي العائلية سعيدة وبهيجة.. فشريكة عمري هي الحنان كله والرقة كلها والبسمة التي لاتغيب عن الوجه والواحة التي أهجع إليها وأجد لديها كل الحب والعطاء والوفاء.. وبناتي يتقدمن في التعليم وينثرن حولي أريج حبهن ودفء مشاعرهن وإيناس صحبتهن.. وتفوقهن الدراسي.. والتزامهن الأخلاقي وعوادي الأيام التي لاتخلو منها حياة تمر بنا كغيرنا من البشر لكنها لاتنال من سعادتنا ورضائنا وابتهاجنا بدنيانا الخاصة.. فلقد أديت انا وزوجتي مثلا فريضة الحج منذ سنوات وبعد عودتنا من الأراضي المباركة.. فوجئنا باصابة زوجتي بانفجار في القولون لم نعرف سببه حتي الآن، وقضت بالمستشفي شهورا طويلة تم خلالها نقل عشرة أكياس من الدم لها.. ثم من الله عليها بالشفاء وعادت إلي بيتنا باسمة راضية عهدها دائما وبعد سنوات من هذه المحنة اكتشفنا اصابتها بفيروس سي اللعين وعرفنا انه قد أنتقل إليها من أحد أكياس الدم الملوثة، ومع ذلك فلقد ظلت زوجتي تحيا حياتها راضية وسعيدة وتنشر السعادة والبهجة، في حياتنا وكانت سعادتها طاغية بزواج الابنة الكبري.. ثم الوسطي.. ثم بمجيء الأحفاد.. كما كانت سعادتها عارمة أيضا بتقدم الابن الوحيد لنا في مراحل العمر والدراسة وبلوغه مرحلة الدراسة الجامعية،وهو بالطبع الوليد الذي احتضنته زوجتي وحدبت عليه بعد رحيل أمه شقيقتها الصغري ومضت بنا الأيام وبعد أكثر من٣٠ عاما من ممارستي للطب في العيادة الشعبية وفقني الله منذ ست سنوات فقط في افتتاح عيادة ملائمة بوسط المدينة مازلت أسدد اقساطها حتي الآن ولم تغير العيادة الجديدة من أوضاعي المالية كثيرا.. فلقد عشت حياتي دائما مستورا بفضل من الله وأجد دائما ما احتاج اليه لمتطلبات حياتي وحياة أسرتي وزواج البنات وأسفاري الخ، ولكن بلا فائض مادي كبير وثروة خاصة سوي ثروة حب الأسرة والأهل والأصدقاء والزملاء.. وهي التي لاتقدر بمال.

ثم شهدت حالة زوجتي الصحية تطورا جديدا اضطرنا للسفر الي أوربا لبضعة أسابيع طلبا للعلاج فقد هاجمها المرض اللعين مرة أخري في مكان آخر. ورجعنا وقد استقرت حالتها وعادت هي لممارسة أمومتها مع الجميع ابتداء من زوجها الي بناتها إلي أزواجهن إلي الأهل والأقارب..ومنذ حوالي٦ شهور كنت في البيت عقب سهرة عائلية ممتعة مع البنات.. امتدت حتي اقترب الفجر.. ودخلت فراشي استعدادا للنوم.. لكن زوجتي أصرت علي

انتظار أذان الفجر لتؤدي الفريضة قبل النوم وفرشت السجادة بجوار الفراش وجلست عليها تنتظر الأذان.. وتحدثني لتصرف عني النوم وتقول لي من حين لآخر ألن تصلي الفجر؟

فأطمئنها إلي أني أريح جسدي فقط وأغمض عيني للاسترخاء لكني مستيقظ وسوف اصلي الفجر معها حين يحين وقته إن شاء الله وأغمضت عيني من جديد.. فإذا بي أسمع صوتها فجأة يستغيث بي.. ونهضت مفزوعا إليها فإذا بها يرحمها الله ويحسن مثوبتها تحتضر وتودع الحياة في لحظات بلا الم ولا أية معاناة بالرغم مما كانت تعانيه من امراض وغابت ابتسامة هذه السيدة الطيبة المؤمنة الصبور من حياتنا للأبد وشعرت بان حياتي قد انتهت برحيلها عن الحياة.. لكن الله سبحانه وتعالي ألهمني الصبر والسكينة، وأعانني علي ان أواصل حياتي من بعدها لكي أستكمل رسالتي مع الابنة الصغري التي خطبت قبل رحيل الأم وتستعد للزواج.. ومع تلاميذي واحبائي الذين ارتبطت بهم خلال رحلة العمر..

واحاطني الأحباء والزملاء بعطفهم وحاولوا التخفيف عني، وبدأت أتكيف بعض الشيء مع حياة غابت عنها شريكة العمر الوفيهة للأبد ومضت شهور ثم شعرت ذات يوم بصداع رهيب ومتصل فطلبت من أحد زملائي قياس ضغط الدم فوجدة مرتفعا بشدة، ودخلت المستشفي لبضعة أيام لضبط ضغط دمي واجراء بعض التحاليل في المستشفي وصاحبني في المستشفي بالطبع اقرب الأصدقاء إلي روحي وأقدمهم وهو زميل لي في نشاط الجمعية الدوليةالتي أنشأناها لأطباء تشخيص الأورام فإذا به يفاجئني بعد بضعة أيام بما رأي إنه لايجوز كتمانه عني فلقد شك هذا الصديق في بعض أعراض حالتي.. فطلب سرا إجراء بعض الفحوص الاضافية لي.. واطلع علي نتائجها بعيدا عني.. فإذا بها تكشف له عن إصابتي بنفس المرض الذي كرست حياتي للكشف المبكر عنه ومساعدة المرضي علي الشفاء منه!

وصارحني صديقي بذلك وهو مشفق علي ففوجيء باتسامتي العريضة تزداد اتساعا وفوجيء بي أتقبل الخبر بكل هدوء ورضا وأقول له ضاحكا إن طباخ السم لابد ان يذوقهثم اناقشه في طرق العلاج واختيار أفضلها!

ولاعجب في ذلك فلقد ظللت حوالي العشرين عاما اطالب مرضاي بالثبات ورباطة الجأش أمام المرض.. واقول لهم ان الإيمان بالله سبحانه وتعالي والثقه به والتفاؤل والروح المعنوية العالية والأمل هو الطريق الأمثل للشفاء من هذا المرض إلي جانب العلاج والأخذ بالأسباب، فلا غرابة اذن ان اعتمد أنا أيضا علي سلاح الإيمان والتفاؤل والأمل في مقاومة هذا المرض..وأنا الآن أتلقي العلاج في أحد المراكز المتخصصة في أقصي الجنوب بالولايات المتحدة... وقد جئت إليه علي نفقة الجامعة. التي أنتمي إليها لأن النوع الذي اصبت به من المرض لايتوافر علاجه حاليا إلا في أمريكا واوربا بسبب ندرته وصعوبة الجراحة التي يتطلبها بعد العلاج ولست حزينا لمرضي الذي امتحنت به لانني اعرف الكثير والكثير عن الابتلاء واختبارات الحياة لكني مشفق علي ابنتي الصغري التي اصطحبتها معي.. والتي اعترض مرضي وسفري للعلاج، مشروعها للزواج وأجله بعض الوقت. كما أنني مشفق عليها كذلك من عناء خدمتي.. والسهر علي في الغربة ولقد كتبت هذه الرسالة لكي أؤكد لك أن روحي المعنوية عالية وفي السماء بفضل إيماني بالله سبحانه وتعالي وثقتي في رحمته وتمسكي بروح التفاؤل والأمل دائما، ولأقول لك إن علاجي يتقدم باطراد وأنه قد تجمع حولي عدد من الأطباء المصريين الشبان الذين يدرسون بكلية الطب التي اعالج في مستشفاها حاليا ومعظمهم من تلاميذي، وهم يحيطونني بحبهم واهتمامهم.. وأرجو الله سبحانه وتعالي أن يجمع بيننا ذات يوم قريب وكلانا في صحة وعافية لأكشف لك عن شخصيتي ان لم . تكن قد عرفتها والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

أكاد أن أكون قد عرفتك أيها الصديق الغالي فإذا صح ظني فيك فأنت ذلك الإنسان الفاضل الذي عرفت فيه سماحة النفس والقلب والضمير والذي وهبه الله سبحانه وتعالي القدرة علي العطاء للآخرين بلا حدود ومنحه نعمة القبول لديهم فما يكاد يعرفه أحد أويقترب منه حتي يصبح وكأنه من خاصة أصدقائه الحميمين..

فإذا كنت هذا الانسان الكريم وأنت غالبا كذلك ـ فلعلي أقول لك إنني مارأيتك مرة إلا وتذكرت أبيات الشعر الجميلة التي عارض بها الإمام أحمد بن حنبل أستاذه الأمام الشافعي رضي الله عنهما..حين قال الإمام الشافعي ذات يوم في تواضع الأتقياء:

أحب الصالحين ولست منهم
لعلي أن أنال بهم شفاعة
وأكره من تجارته المعاصي
ولو كنا سويا في البضاعة

فما أن سمع الإمام ابن حنبل هذه الأبيات حتي أنشد يخاطبه علي البعد:

تحب الصالحين وأنت منهم.
عساهم ان ينالوا بك شفاعة
وتكره من تجارته المعاصي
حماك الله من تلك البضاعة

ولاغرابة في ذلك لانك بالفعل من الصالحين الذين يكرهون من تجارته المعاصي، ولأن الأمر كذلك ومثلك ياسيدي لايخزيه الله أبدا ولا يتخلي عنه ان شاء الله ولست في حاجة ياصديقي لأن أحدثك عن اختبارات الحياة التي ينبغي لنا أن نقبل بها راضين راجين من الله سبحانه وتعالي ان يعيننا علي الصمود لها واجتيازها بسلام.. ولا أنت في حاجة لأن أحدثك عن حكمة الابتلاء.. أو عن الأجر الموفور الذي يثيب به الله سبحانه وتعالي المبتلين عن بلائهم فيرفع بوخزة الشوك التي تصيبهم من درجاتهم عنده.. او يمحو بها من سيئاتهم كما انبأنا بذلك الهادي الأمين صلوات الله وسلامه عليه..

فإذا كان ثمة مايقال في هذا الشأن فهو أن محنة المرض إنما ثعين الإنسان غالبا علي أن يراجع حياته واولوياته واهدافه وعلي ان يتبصر حقائق الأمور ويدرك قيمة الأشياء إدراكا أعمق يفرق معه بين مايستحق منه ان يحرص عليه ويتمسك به وبين مالايستحق أن يأسي عليه أو يبدد العمر الثمين في السعي اليه، حتي ولو كان قد بدا له من قبل شديد الأهمية، أو كانت له قيمة كبري لدي الغير. وهذا هو الجانب الآخر للمرض الذي يعيننا علي الفهم الأفضل للحياة والمؤسف حقا هو أننا لاندرك قيمة الأشياء جيدا في أغلب الأحيان إلا حين تعترضنا المحن وتهاجمنا الآلام، فنتلفت حولنا حينذاك مندهشين ونكتشف روعة الحياة التي غفلنا عنها سنوات طوالا من قبل، علي حد تعبير الجدة العجوز في الرواية النرويجية الشهيرة عالم صوفيا، او نكتشف مع الأديب البرازيلي باولو كويلو ان الحياة مكونة من عجائب صغيرة وكبيرة وانه لاشيء ممل فيها علي الاطلاق لأن كل شيء في الحياة يتغير ولأن الملل ليس جزءا منها وإنما يجيء من نظرتنا نحن للأمور فنتمني مع الأديب الكولومبي جاريك جارسيا ماركيز كما قال في رسالته التي بثها علي الإنترنت بعد أن اشتد عليه المرض، لو أن الله قد وهبنا قطعة أخري من الحياة علي حد تعبيره الفريد، اذن لاستمتعنا خلالها بكل الأشياء الصغيرة والجليلة التي شغلنا سباق الفئران اللاهث وراء اهدافنا من قبل عن الالتفات اليها أو إدراك قيمتها..

ومع انني اتصور أنك لم تحرم نفسك من متع الحياة البريئة من قبل وأنك قد نعمت بالحب الصادق والجو العائلي الدافيء.. ونعمة الصداقة وعطر المودة للآخرين ومودتهم لك بفضل روحك السمحة وحبك الفطري للغير، إلا أنني اتصور كذلك أنك سوف تحتاج بالضرورة لأن تعيد صياغة حياتك من جديد بعد عودتك السالمه وتمام شفائك من مرضك بإذن الله بحيث تزيد من مساحة المتع الروحية والإنسانية البريئة ومساحة التأمل.. واستجلاء جمال الأشياء والاماكن والبشر فيها وتقلل بعض الشيء من مساحة اللهاث الدائم وراء الأهداف.. والانشغال المستمر بما يبدد طاقة المرء ويكاد يفسد عليه روحه ولك في ذكرياتك الجميلة عن شريكة العمر الوفية ما سوف يعوضك لبعض الشيء عن غيابها عنك وعن حياتك.

ولك ايضا في زهراتك الثلاث واحفادك منهن وابنك الوحيد الذي نهل من حبك وعطفك وحنانك طوال رحلة السنين ما سوف يملأ حياتك بالحب والدفء والجمال، ناهيك عن عشرات الاصدقاء والمحبين والمريدين الذين يحفظون لك الود ويسعدون بصحبتك والاقتراب منك.

فاستعن بإيمانك العميق بالله سبحانه وتعالي وبحسن ظنك به وبروح التفاؤل التي طالما بثثتها في نفوس مرضاك علي الصمود لهذا الاختبار الجديد واجتيازه بسلام.. ولسوف يكون النصر حليفك في هذه المعركة بإذن الله ولسوف ترجع الي بلدك وأهلك ومحبيك صحيحا معافي بإذن من إذا اراد شيئا قال له كن فيكون.. لتثري الحياة من حولك بكل ما هو نبيل وجميل وتواصل عطاءك المخلص دوما للآخرين

===

❤️❤️ رائحة الحب

رسالة من بريد الجمعة

دفعتني للكتابة إليك رسالة رائحة الورد للأم الأستاذة الجامعية التي تتحسر علي ابنتها التي بلغت السادسة والعشرين وأصبحت كالزهرة الفواحة جمالاً ورونقًا وثقافة ومركزًا .. وتتساءل هل زكمت الأنوف فلم تعد تشم رائحة الورود ، فلقد أردت أن أروي لهذه الأم الطيبة الحنون قصتي مع تمنياتي لها بأن يقر الله عينيها بسعادة ابنتها قريبًا بإذن الله، فأنا طبيبة في التاسعة والعشرين ولدت ونشأت في احدى دول الخليج حيث كان أبواي يعملان ودرجت بين ثلاثة أشقاء اثنان منهم توأم ويكبرانني وشقيقة تصغرني ، وبين والدين هما في نظرنا كل الحب والحنان ، وقد التحق شقيقاي التوأم بالجامعة في مصر، وبعد عامين لحقت بهما أنا للدراسة بكلية الطب وبعد عامين آخرين عاد أبي وأمي لمصر والتحقت شقيقتي الصغرى بالجامعة ، ومرت بنا السنون وتخرج الشقيقان وارتبطا بمن اختارهما قلباهما وسافر أحدهما وهو طبيب مع زوجته إلى لندن لاستكمال دراسته هناك ، وتخرجت أنا وعملت طبيبة امتياز ، ووجدتني شابة في الرابعة والعشرين من العمر .. جميلة ومثقفة ومن أسرة طيبة واجتماعية ومرحة لكني لم أرتبط بأي إنسان بعد لأن ظروف دراستي شغلتني عن التفكير في الزواج .. ثم جاءتني زميلة لي لتخبرني بأنها تريد أن تخطبني لابن خالتها وحدثتني عنه طويلاً .. وكان رأيي أنه من الضروري أن أراه ويراني هو أولاً في لقاء عابر في مجال العمل حتى إذا تحقق القبول الشكلي ، يقوم بزيارتنا في البيت وإذا حدث العكس لم يتعرض أحد للحرج لكنه لظروف عمله في محافظة أخرى لم يتم هذا اللقاء ، وجاء هو لزيارتنا في البيت بعد فترة مع أخته وزميلتي للتعارف ، ووجدته شابًا وسيمًا أنيقًا وتحدثنا في أمور عامة دون التطرق إلي موضوع الخطبة ، وفي اليوم التالي فجرت زميلتي في وجهي قنبلة مفاجئة حين أبلغتني أنه قد أعجب

بشقيقتي ويرغب في خطبتها هي وليس في خطبتي ، وكانت شقيقتي في ذلك الحين في العشرين من عمرها وطالبة في السنة الثالثة بالجامعة ، ولك أن تتخيل ما شعرت به في تلك اللحظة ..فلقد شعرت أنني كمن كان يسير في طريقه آمنًا وفجأة تلقي صفعة قوية دون سابق إنذار ! وعدت إلي البيت باكية .. ووقفت أمام المرآة وسألت نفسي لماذا لم أعجبه ؟ ولماذا استحققت منه هذه الصفعة لأنوثتي ، وبعد أن تمالكت نفسي وهدأت صارحت أبي وأمي وأختي بما حدث فوجم أبواي ، وثارت شقيقتي وانهالت عليه بالسخرية .. واحتضنتني وهي تقول لي لعن الله من يفرق بيننا وأصرت علي الرفض وأيدها والداي في ذلك وانتهت أولي صدماتي في هذا الموضوع. وبعد أقل من عام تقدم شاب ممتاز لشقيقتي فرفضته بحجة أنه مازال أمامها عام دراسي آخر قبل أن تتخرج ، وكاد أبي وأمي يوافقانها علي ذلك ، لكني كنت علي يقين من أنها لا ترفضه بسبب الدراسة وإنما مراعاة منها لظروفي لأنني أكبرها بأربع سنوات ولم أتزوج ، فبذلت كل جهدي لإقناعها بقبول هذا الشاب الممتاز حتى نجحت في ذلك وتمت الخطبة بالفعل وبعد ٨ شهور فقط تم الزفاف وكنت أسعد الجميع به ،

وأنهيت أنا عام الامتياز بعد أن تجاوزت الخامسة والعشرين بعدة شهور ولاحظت أن الحزن يخيم على أبي وأمي لبقائي معهما وحدي في البيت بعد أن تزوج من يكبرانني ومن تصغرني .. لكني واصلت حياتي وجاء الأحفاد ليملأوا البيت صخبًا وضجيجاً وضحكاً وحباً ، وأصبحت عمة لثلاثة أطفال وخالة لطفلة واحدة كما أصبحت أيضاً أتجاهل نظرات الإشفاق في عيون أبي وأمي وأخوتي حين أستغرق في مداعبة الصغار ، ولم يكن ذلك يعني أنه لم يتقدم لي أحد ..وإنما فقط أنه لم يتقدم لي الشخص المناسب حتى ذلك الوقت ، وشغلت نفسي بعملي .. فعملت في عيادة طبيب أطفال كبير ودرست للماجستير ورشحني الطبيب الكبير بعد فترة للعمل في مستشفي خاص ، وهناك تعرفت بزميل لي وتقاربنا كثيراً وتقدم لخطبتي وسعد الجميع به وبي ودامت الخطبة عامًا كاملاً وبدأنا الاستعداد للزفاف ..وعقدنا القران .. وفي الأسبوع التالي مباشرة للقران تعرض خطيبي لحادث سيارة أودي بحياته رحمه الله .. وانهرت انهيارًا كاملاً ودخلت المستشفي وأمضيت فيه شهرين حتى استعدت قواي ولملمت نفسي واستعنت بربي علي أمري وخرجت من المستشفي إلي منزل أصهاري فاستقبلني والد خطيبي الراحل بكل الحب الحزين والمواساة وقبل رأسي ودعا لي ربه .. ثم جاءت والدته فاستقبلتني بكل النفور ولم تتردد في أن تقول لي أنها لا تريد أن تراني بعد ذلك أبداً لأنني كنت شؤمًا علي ابنها الذي مات بعد عقد قراني عليه بأسبوع.. وقدرت أحزانها وغادرت بيتها مكتئبة وحزينة وعدت إلي بيتي فدخلت حجرتي واعتكفت فيها أسبوعاً لم أنقطع خلاله عن التفكير في أمري ولا عن صلاة الاستخارة لأحاول الاهتداء إلي طريقي في الحياة ، وبعد هذا الأسبوع غادرت الحجرة بقرار أبلغت به أبي وأمي وهو أنني أريد أن أسافر إلي بريطانيا لألحق بأخي الطبيب المقيم هناك وأستكمل دراستي بعيدًا عن ذكرياتي الحزينة وآلامي القديمة ، وأيدني أخي بحرارة في ذلك واحتجت إلي جهد كبير لإقناع أبي وأمي بما أردت ، حتي تركاني أسافر وأبتعد عنهما وهما في شدة الجزع والإشفاق عليّ فسافرت وأنا في السابعة والعشرين واستقبلني أخي ورعاني كأنني طفلته ورعتني زوجته كما لو كنت طفلها الثالث وقررت أن أبدأ من جديد وأن أعتمد علي الله الذي لا يغفل ولا ينام فبدأت الدراسة والعمل علي الفور والتحقت بحلقة لتحفيظ القرآن الكريم بالمركز الإسلامي في لندن ، والتحقت بدورة لتعليم العزف علي البيانو وشغلت نفسي بكل ذلك واستغرقت فيه ورجعت إلي طبيعتي السابقة وفي أحد أيام العمل بالمستشفي البريطاني اختلفت مع إحدى الممرضات حول أسلوب علاج أحد الأطفال المرضي فأشارت إلى الطبيب الإنجليزي الذي يرأس مجموعتنا وقالت لي أنه الذي أمر بذلك .. وجاء هو علي الصوت ووجدت نفسي في مواجهة معه وحين ثرت عليه رد عليّ بهدوء أو علي الأصح بالبرود الإنجليزي المعروف قائلاً في حسم أنه ينتظرني في مكتبه بعد قليل ، وانصرف، وتوجهت إليه في مكتبه فقال لي أنني أخطأت بانفعالي انفعالاً زائداً في هذا الأمر كما أنني قد تدخلت في تخصصه وأخطأت بأن ناقشت أسلوب العلاج أمام الطفل وأبويه مما قد يضعف ثقتهم بنا أو بالعلاج ، وبعد أن أوضح لي أوجه خطئي اعتذر لي عما ضايقني به خلال الحديث وأنهي اللقاء وهممت بالانصراف من مكتبه فإذا به يقول لي بالعربية : مع السلامة ! فعرفت في هذه اللحظة فقط أنه مصري وأنني قد خدعت بملامحه الأوروبية فظننته إنجليزيًا وعلمت أنه مصري من أب مصري وأم بريطانية وأن شقيقته الوحيدة متزوجة كذلك من مصري ، واقترب كل منا من الآخر منذ هذه اللحظة ، وازددنا تقاربًا واقترابًا يومًا بعد يوم حتى عرفت كل شئ عنه وعن والدته الإنجليزية المسلمة وعن تربيته هو وشقيقته ، وانفجر ينبوع الحب في قلبي وفي قلبه في وقت واحد ففاض علي الآخر وأغرقه وعدنا لمصر معاً لكي يخطبني ويتزوجني بعد أن تجاوزت الثامنة والعشرين من العمر ، ولكي يذيقني كؤوس السعادة والهناء ويغرقني في بحر حبه وحنانه ، ويعوضني عن كل آلامي السابقة إنني أكتب لك هذه الرسالة من الإسكندرية حيث نقضي أنا وزوجي الحبيب إجازة سعيدة علي أرض مصر لكي أقول له شكراً علي كل ما أعطيتني من حب وحنان وعطاء .. وأدعو الله سبحانه وتعالي أن يبقيه لي شريكًا وحبيبًا وسندًا في الحياة. .ولكي أخاطب الأم الطيبة كاتبة رسالة رائحة الورد وأطالبها بألا تشعر بالقلق علي ابنتها لأنها قد تجاوزت السادسة والعشرين دون أن يتقدم لها الشخص المناسب ، لأن الزواج رزق ونصيب وقد كتب لها عند مولدها الزوج الذي سيشاركها حياتها فإني لم أكن لأتخيل ذات يوم أنني سوف أسافر إلي بريطانيا لكي ألتقي بمن يكمل معي مشوار الحياة كما أنه ليس المهم هو أن تتزوج الفتاة وإنما أن يكون من تتزوجه هو الاختيار السليم لها والذي يسعدها .. فلا داعي للقلق بشأن التوقيت .. والسلام عليكم ورحمة الله

(ولكاتبة هذه الرسالة أقول (رد الأستاذ عبد الوهاب مطاوع :
البداية الحقيقية لاتجاه المشاعر العاطفية لأي إنسان هي استثارة الاهتمام به ، ولقد يتولد هذا الاهتمام بالطريقة الطبيعية أي بالتراكم الكمي للمشاعر من خلال التعامل الطويل معه كما تتجمع ذرات السكر المذاب في الماء ببطء حول الخيط المدلي في الكوب فتصنع جسما بلورياً صلبًا يصعب تفتيته ، وقد ينشأ هذا الاهتمام في حالات أخري نادرة عن طريق الغمر الانفعالي أو الطوفان المفاجئ الذي يضع شخصًا بعينه في بؤرة اهتمامنا فنرغب في التواصل معه ومن عجب أن بعض أجمل قصص الحب والزواج السعيد في الحياة قد بدأت بهذه الطريقة غير الطبيعية وليس عن طريق الإعجاب أو الانبهار اللحظي بالطرف الآخر وإنما عن طريق الضيق به .. أو الحنق عليه والرغبة في رد الإساءة إليه ! وفي مثل هذه الحالات النادرة ينشغل المرء لفترة بالتفكير في رد الإساءة إلي من اقتحم بؤرة اهتمامه بالطريقة العكسية ثم لا يلبث بعد قليل أن يراجع نفسه ويبين أنه ليس بالسوء الذي ظنه به في البداية بل أنه لا يخلو كذلك من بعض ما يستحق الإعجاب به من أجله فيبدأ في التماس الأعذار له ثم التدبير نيابة عنه . ثم ينتهي به الأمر إلي الاقتراب منه والارتباط به ! وهذا هو ما حدث بينك وبين زوجك الطبيب الشاب الذي وجدت نفسك في مواجهة حادة معه وانتهي الصدام بينكما باكتشاف كل منكما لمزايا الآخر والاقتراب منه والوقوع في غرامه . وهي أيضاً نفس البداية لإحدى أجمل قصص الحب العذري التي خلدتها لنا كتب الأدب وهي قصة جميل وبثينة ! فلقد كانت بداية تعرفه بها صداما كهذا الصدام مع اختلاف الظروف والأزمان ولغة الحوار، وكان ميدان الموقعة في واد اسمه وادي بغيض جلس فيه جميل ذات يوم يستريح وأطلق أبله ترعي فجاءت فتاتان إحداهما طويلة وجميلة، ومرت الفتاة الطويلة بجوار ناقة لجميل فأفزعتها وكان به ميل للاندفاع والكبرياء فسب الفتاة سبابا مقذعا.. وفوجئ بها لا تهرول من أمامه خجلي كما تفعل غيرها من الفتيات وإنما تقف في ثبات وترد عليه سبابه مضاعفا! وبدلا من أن يغضب جميل ويزداد حدة وعنفاً وجد نفسه يستطيب سباب هذه الفتاة ويعجب بجرأتها وشخصيتها وجمالها! وبعد أيام أخري رآها في يوم عيد سافرة الوجه كعادة الفتيات في الأعياد حين كن يخرجن سافرات الوجوه عسي أن يلتقين بأزواج المستقبل فهام بها حبا وأنشد فيها أعذب الشعر وبدأت قصة الحب التي ذاعت في البادية وحتي قرنت بين اسمي الفتي والفتاة حتي صار يعرف باسم جميل بثينة وتعرف هي باسم بثينة جميل، ولولا ان تقاليد العرب في ذلك الوقت كانت تجري علي رفض أهل الفتاة مصاهرة من يشبب بابنتهم لتزوجا وسعدا بحياتهما إلي اليوم الأخير منها ولقد استرجع جميل ذات يوم بداية قصته معها فأنشد:

وأول ما قاد المودة بيننا ... بوادي بغيض يا بثين سباب
وقلنا لها قولاً فجاءت بمثله ... لكل كلام يا بثين جواب!

والخلاصة هي أن الإنسان لا يعرف بالفعل أين ولا متي سوف يلتقي بأقداره في الحياة.. وهل سيكون ذلك في وادي بغيض أم في المستشفي البريطاني في عاصمة الضباب؟ وهل ستكون البداية إعجابا متبادلاً أم صدامًا ونفورًا كما حدث معك .. وكما حدث في قصص أخري من قصص الحياة وهل الخير في تأخر أقدارنا عنا أم تعجلها المجئ إلينا ؟ وكل ما نملكه هو أن نحيا حياتنا علي نحو سليم .. وأن نشغل أنفسنا دائمًا بالشواغل المفيدة .. وبالسعي إلي تحقيق أهداف صغيرة نستطيع بالجد والكفاح نيلها كما فعلت أنت بعد محنتك الأليمة وسفرك إلي لندن وانشغالك بالدراسة والعمل وحفظ القرآن وتعلم البيانو لأن العقل البشري إذا خلا مما يشغله استسلم لأفكاره الحزينة وهواجسه ومخاوفه واجتر آلامه وإحباطاته واستغرق فيها والمهم دائما هو ألا نيأس من روح الله وألا نستسلم للقنوط.. وألا نسمح للمرارة بأن تفسد علينا أرواحنا وأوقاتنا ، وألا ننشغل بحظوظ الآخرين في الحياة ونعقد المقارنات بيننا وبينهم لأن لكل إنسان من حظه ما يسعد به ومن همه ما يشقيه.. وألا نقول مع الشاعر العربي متحسرين:

تقدمتني أناس كان شوطهمُ ... وراء خطوي إذا أمشي علي مهل

لأننا لا نعلم عن يقين هل الخير في مشينا الوئيد هذا أم في عدوهم هم علي الطريق ؟ وهل سعدوا بما حققوه أم شقوا به؟ وهل تأخر حظوظنا هذا حرمان أبدي لنا أم هو ادخار لسعادة مؤجلة سوف تجئ في الموعد المقدور فتمحو كل الآلام وتغمرنا بكل ما نتطلع إليه من هناء فنهتف مع أديب الفرنسية الأشهر فيكتور هوجو : ما الحزن إلا مقدمة للسرور! والإيمان بالله والثقة في رحمته .. وسلام النفس والرضا بما أتاحته لنا الحياة هو بداية الطريق دائمًا يا سيدتي إلي السعادة والأمان فشكراً لك علي رسالتك الجميلة هذه وعلي اهتمامك النبيل بمخاطبة الأم المهمومة بمستقبل ابنتها .. وأرجو لك ولزوجك الحبيب كل السعادة والأمان والتوفيق في الحياة بإذن الله.

==

رسالة (السر البغيض) من رسائل بريد الجمعة

أرجو ألا تندهش لما سوف تقرأه فى رسالتي فالدنيا كما تقول أنت دائماً فى ردودك مليئة بالعجائب ولقد سبقتك إلى الاندهاش لما سوف أرويه لك فدفعت الثمن غالياً من صحتي ومازلت..فأنا يا سيدي شاب أقترب من الثلاثين من عمري جمعتني الصداقة منذ حوالي عشر سنوات بعدد من طلبة الكلية التى كنت أدرس بها فربط بيننا الاستهتار بالدراسة والمبالغة فى الاهتمام بالمظهر .. والحياة التافهة التى نحياها جميعاً اعتمادا على أبائنا الذين يكافحون لإسعادنا،فهذا والده مهندس وذاك والده طبيب يعمل خارج مصر وهذا والده رجل أعمال عصامي، وكل منا يرتدى أغلى الملابس الشبابية ويملك سيارته الخاصة التى يجئ بها إلى الكلية فلا يكون لنا حديث إلا عن

المغامرات العاطفية .. والتنزهات المبتكرة وأخبار النادي وما فى ذلك من الشئون التافهة، فكان منا من حالفه الحظ رغم ذلك واستطاع مواصلة الدراسة بالكلية والتخرج فيها بتقدير مقبول، وكان منا من بالغ فى استهتاره ولا مبالاته بكل شئ فرسب واستنفد مرات الرسوب وأضطر إلى تحويل أوراقه إلى أحد المعاهد فوق المتوسطة وكنت للأسف أنا وصديق مقرب لى من هذه الفئة الثانية الأشد خيبة فالتحقنا معاً بمعهد فوق المتوسط وتوطدت صداقتنا وعقدنا العزم على أن ننجح فى دراستنا الجديدة بما يسمح لنا بعد ذلك بالانتساب لكلية جامعية لكى نحسن من صورتنا أمام أسرتينا، وكان مما شجع صديقي على التعلق بهذا الأمل فتاه جامعية من أسرة طيبة تعرف عليها وراحت تحثه على نبذ حياته المستهترة واستكمال دراسته الجامعية لكى تستطيع إقناع أبيها بقبوله كخطيب لها.وتحققت المعجزة بالفعل وأنهينا دراستنا بالمعهد والتحقنا بالكلية الجامعية معاً.ونجحنا أيضاً فى عامنا الأول بها، ثم نجحت وحدي فى عامي الثاني وانتقلت للصف الثالث فى حين تعثر صديقي فجأة ورسب لأنه أهمل ذلك العام دراسته مرة أخرى وعرفت منه أنه قد تعرف بسيدة متزوجة وانشغل بها عن كل شئ .. وتعجبت لذلك وسألته وماذا عن الفتاة الطيبة التى وقفت بجواره وشجعته على النجاح لكى يتحقق لهما أمل الارتباط .. فلم أجد لديه جواباً سوى أن هذه السيدة المتزوجة تمنحه ما لا تستطيع فتاته أن تمنحه له! أعترف لك يا سيدي أن موقفي منه فى هذا الأمر كله كان سلبياً للأسف وأنني لم ألح عليه فى قطع علاقته بها وإنما اكتفيت بتحذيره فقط من أن يكتشف زوجها هذه العلاقة المشينة فيتعرض لمتاعب لا قبل له بها، وعرفت منه أنه تعرف عليها خلال معاكسه تليفونية من جانبها وفوجئ بأنها تعرف عنه كل شئ .. ثم تواصلت الاتصالات بينهما إلى أن التقيا وعرف كل منهما الآخر. وتكررت اللقاءات بينهما وتطورت تطوراً خطيراً حين بدأ يلتقيان فى شقة خالية مغلقة اشتراها زوج هذه السيدة لابنته الوحيدة لتكون سنداً لها عند زواجها، وسألت صديقي ذات يوم عن مصير هذه العلاقة ومستقبلها فأجابني بأن كلا منهما يستيقظ ضميره من حين لآخر فيقرر قطعها فلا يلبثان طويلاً حتى يرجعا للقاء من جديد، خاصة أن هذه السيدة تصغر زوجها بعشرين سنه.وأن صديقي هذا وسيم وخفيف الظل ويملك سيارة ! وقد بلغ بهما الحب مبلغه حتى روى لى صديقي بأن هذه السيدة قد عرضت عليه جدياً أن يتقدم لخطبة ابنتها الوحيدة طالبة المرحلة الثانوية، لكى يكون أمامها وتحت أنظارها فى كل وقت وبلا حرج ! ومن خلال أحاديث صديقي عن هذه السيدة المتزوجة وما يَزل به لسانه أحياناً من معلومات عنها وعن زوجها وابنتها بدأ الشك يساورني فى أن تكون هذه السيدة إحدى قريباتي ومن دائرة المحارم على وجه التحديد، وأفزعني هذا الخاطر المزعج فبدأت أحاول استدراجه لمعرفه اسمها فرفض أن يبوح لى وسألته عن رقم تليفونها فغضب منى واتهمني بالرغبة فى اختطافها منه فزاد ذلك من شكوكي وبدأت أترقب مواعيد لقاءات صديقي بهذه السيدة لأتأكد مما أصبحت أشك فيه ويؤرقني، فإذا عرفت أو فهمت دون تصريح من جانبه أنه على موعد معها فى ساعة معينه تعمدت أن أزور بيت قريبتي هذه فى نفس الموعد لأرى إذا كانت موجودة فى بيتها فى موعد اللقاء ..وتحولت شكوكي إلى ما يشبه اليقين وضاعف من ظنوني ومعاناتي ما سمعته فجأة من أسرتي من أن ابنة هذه السيدة على وشك أن تخطب إلى شاب وسيم يملك سيارة ومازال طالباً بالجامعة .. وجن جنوني حين قال لى أحد أقاربي ألم تكن أنت الأولى بهذه الفتاة الجميلة ابنة هذه السيدة الفاضلة والرجل الطيب .. ولم يعد لدى أى شك فى أن قريبتي هذه هى الطرف الآخر فى هذه العلاقة الشائنة، ولم يعد لى أيضاً أى شك فى أنه يعرف بقرابتها لى وإلا فكيف سيتقدم لخطبة ابنتها بغير أن يعرف تكوينها الأسرى وأقاربها الأقربين؟..وحرت ماذا أفعل .. وفكرت فى البداية فى أن أواجه صديقي بكل ما عرفت وأهدده بالقتل إن لم يبتعد عن هذه الأسرة كلها وقريبتي على رأسها .لأنه قد خان صداقتي ولم يرع حرمتها، وفكرت جدياً أيضاً فى أن احذر زوج هذه السيدة مما يجرئ وراء ظهره ولو باتصال تليفوني من مجهول .. وزاد من سوء حالتي أن صديقي هذا نفسه قد غاب عنى فجأة واختفى من كل أمكانه فلم أعد أعرف أن يقيم ولا ماذا يفعل، وعلمت أن والده قد ضاق باستهتاره ولا مبالاته بدراسته فطرده من بيته قبل أيام وخطر لى فجأة وأنا أبحث عنه ذات يوم أنه ربما يكون مع صديقته فى هذه اللحظة فى الشقة الخالية البعيدة خاصة وأنني لم أجد قريبتي فى بيتها وكان زوجها على سفر، فركبت سيارتي واتجهت مسرعاً إلى هذه الشقة التى أعرف عنوانها بحكم الصلة العائلية، والأفكار تتضارب فى رأسي وأفكر فيم سوف أفعل إذا لمحتهما يغادرانها أو يدخلانها .. ولحسن الحظ فأنى لم أجدهما ووقفت بسيارتي فترة طويلة أمام العمارة دون أن يدخل أو يخرج منها أحد ورجعت مضطرباً إلى بيت قريبتي عسى أن أراها عائدة .. فإذا بى أراها تهم بركوب سيارة فى شارع جانبي قريب من بيتها، ثم تنطلق السيارة وهما يتحادثان ويتضاحكان وبلا إرادة وجدتني أتابعهما فتوقفا فى ميدان كبير بضاحية مصر الجديدة وركن صديقي السيارة .. ثم دخل مع السيدة المتزوجة إلى كافيتريا تقع بالدور الأول من عمارة حديثة بالميدان .. فتوقفت بسيارتي على الرصيف المقابل .. ونزلت منها ووقفت أرقب الموقف والدم يتصاعد إلى وجهي وأنا أفكر هل أدخل عليهما الكافيتريا الآن وأواجههما بما يفعلان .. وأضرب صديقي الخائن وأهدد هذه السيدة بفضحها أمام زوجها والأسرة كلها .. أم أنتظر خروجهما إلى الطريق وأفاجئهما باعتراضي لطريقهما وأنظر إلى كل منهما باحتقار وأهدده وأتوعده ثم أنصرف تاركا أياهما يرتجفان من الرعب والخوف من الفضيحة .. وبينما أنا غارق فى هذه الأفكار المتضاربة إذا بى أشعر فجأة بدوار شديد فظننت أننى سأتعرض للإغماء بسبب شدة ضيقي وانفعالاتي .. فوجدت الجميع من حولى يصرخون ويفزعون والأرض تهتز بشدة بى وبهم.وإذا بى أرى العمارة التى دخلها صديقي وقريبتي منذ دقائق تنهار فجأة فى لحظات كما يحدث فى

الأفلام وتتحول فى لمح البرق إلى كومة عالية من التراب .. وسحابات الغبار تملأ الجو والصرخات تتردد فى أذنى، وأصوات الصياح والاستغاثة فى كل مكان .. فلم أشعر بشئ بعد ذلك مما يجرى أمامي أو حولى ولم أدر بنفسي إلا حين أفقت لا أدرى بعد كم من الوقت فإذا بي راقد فى فراش بأحد المستشفيات ومن حولي أسرتي وأنا فى حالة ذهول صامت ولساني عاجز عن الكلام .. لا أجيب عن أى سؤال ولا أكاد أميز وجوه أفراد عائلتي.. فهل عرفت الآن يا سيدى ماذا كان تاريخ ذلك اليوم اللعين .. وماذا كانت تلك الكافيتريا التى دخلها صديقي وقريبتي فى هذا اليوم المشئوم ؟ .. لقد كان اليوم يوم١٢أكتوبر عام٩٢والوقت فى الثالثة والنصف تقريباً بعد الظهر وكانت الكافيتريا التى دخلاها هى كافيتريا "الأرنب الضاحك" بعمارة الموت التى إنهارت من أساسها فوق عشرات الضحايا بميدان سانت فاتيما بمصر الجديدة. وقد ظللت على ذهولي وغياب ذهني وعجزي عن الكلام بعد هذا الحادث الأليم لأيام طويلة وخرجت من حاله الذهول .. إلى حالة من الاكتئاب النفسي الزمنتي الفراش أكثر من عام .. وما زلت حتى الآن ورغم مرور ثلاث سنوات على هذه الكارثة أتلقى علاجاً نفسياً أرى أحد الأطباء النفسيين أما لماذا أكتب لك الآن وبعد أكثر من ثلاث سنوات عما جرى فلكى أستعين برأيك فيما يواجهني من حيرة تزيد من اكتئابي .. إذ لعلك تذكر أن قوات الإنقاذ لم تتمكن وقتها من استخراج جثث كل من كانوا بالدورين الأرضي والأول بعمارة الموت .. والمشكلة التي تؤرقني هى أن أسرة قريبتي هذه مازالت تعتقد أن الأم المفقودة قد تكون فى مكان ما فاقدة للعقل ولا تستطيع الاهتداء لهويتها وبيتها وأسرتها، وإنما يمكن أن ترجع إليها فى أيه لحظة، أما والد صديقي فما زال يتعذب ويلوم نفسه على أنه قد تسبب فى مغادرة ابنه للبيت قبل الكارثة بأيام ويعتبر نفسه مسئولاً عن فقد هذا الابن ويتعلق بالأمل فى عودته ولا أحد يعرف مصيرهما على وجه اليقين سوى الله سبحانه وتعالى وأنا والطبيب النفسي الذى طلب منى أن أفضى بكل أسرار حياتي وبما لا أستطيع أن أحكيه لأحد غيره لكى أتخفف من ضغط الكتمان على نفسي .. ورؤيتي لابنة قريبتي التى ما زالت تتعلق بالأمل الضعيف فى عودة أمها تؤرقني وتثقل ضميري ... وما اسمعه عن معاناة والد صديقي يزيد من معاناتي نظراً لمرضه وشيخوخته ، فهل أبوح لزوج قريبتي بما أكتمه فى صدري من سر يقين .. وأصارح والد صديقي بما حدث ليرحم نفسه من تأنيب الضمير ..أم أكتم شيئاً لم يشأ له الله أن ينفضح وأظل طاوياً صدري عليه إلى النهاية .. ومن ناحية أخرى فإنى أسألك هل سألقى مصير زوج قريبتي هذه ذات يوم إذا فكرت فى الارتباط بابنته التى أشعر برغبة شديدة فى الارتباط بها؟

:ولــكــاتــب هــذه الـرسالة أقــول

أما عن الدهشة يا صديقي فبعد تعاملي لأكثر من ثلاثة عشر عاماً مع هموم البشر فى رسائلهم ولقاءاتى بهم، فلم أعد أندهش لشئ ولا أتعجب لشئ تكشف لى عنه خطرات النفس البشرية عن غرائب وعجائب، حتى ولو بدا للآخرين من قبيل المغالاة..أو مقتضيات الحبكة الدرامية، فلقد سلمت منذ زمن طويل مع الفيلسوف الإنجليزى فرنسيس بيكوت بأن الزمن هو أعظم المؤلفين حقاً .. ولهذا فلست مندهشاً لما قرأت فى رسالتك من فواجع لكنى " أتأمل " فقط وأرجو الله ألا أفقد مع الزمن وكثرة عجائبه حتى هذه الفترة على تأمل الغرائب ومحاولة استخلاص حكمتها ودروسها..وحكمة هذه القصة المؤلمة التى تحكيها لى هى نفسها الحكمة الصينية القديمة التى تقول إن الفضلاء قليلاً ما يدخلون التاريخ! بمعنى أنهم يعيشون فى الأغلب الأعم حياة فاضلة هادئة..ملتزمين فيها بالقيم الأخلاقية والدينية فلا يكاد يشعر بوجودهم أحد ولا يرتكبون من الرذائل ما تدور به الألسنة وتتناقلها الأجيال ،فى حين يدخل الآخرون التاريخ من أوسع أبوابه ويتحدث غيرهم بما فعلوا وما ارتكبوا من أخطاء وخطايا..وتشهد حياتهم غالباً أحداثاً "دراماتيكية" فاجعة تجعل منهم مادة إخبارية دائمة على ألسنة الرواة والمنتقدين... ولو طبقنا هذه الحكمة الصينية القديمة على قريبتك المقربة وصديقك الشاب، وتذكرنا أيضاً كلمة القطب الصوفي بن عطاء الله السكندري: إذا أشرقت البدايات..أشرقت النهايات. لأدركنا أن أحد أهم أسباب هذه النهاية المفجعة لهما هو أنهما لم يعيشا حياة فاضلة يلتزم فيها كل منهما بالقيم الدينية والأخلاقية "فدخلا التاريخ" للأسف..وخلفا وراءهما هذه الآلام وهذه الحيرة التى مازالت تعانى عنها أسرتاهما..وهذه المعاناة النفسية التى مازلت أنت تدفع ثمنها حتى الآن، ولو كان كل منهما مستقيماً فى حياته الشخصية ثم قادته أقداره إلى هذه الكافيتريا يوم الهول العظيم..ولشأن عادى من شئون الحياة..لما غمض مصيره عن أهله حتى الآن ولعرف ذووه فى حينه أنه كان من بين ضحايا هذه العمارة المشئومة، لأنها من مظانة المعروفة لدى أهله ، ولأن كلا منهما لا يحتاج إلى الغموض والتخفي والذهاب إلى مكان غير مطروق ولا معروف بالنسبة لأهله ومعارفه وأصدقائه ليختبئ داخله عن الأنظار ولدفع ذلك ذووه للبحث عنه بين الأنقاض كما فعل غيرهم من أسر الضحايا وعرفوا بمصيره الأليم منذ الأيام الأولى وإذا كنت تقول أن قوات الإنقاذ لم تستطع إخراج كل الضحايا وقتها فليس من المعقول أن يكون هناك الآن وبعد أكثر من ثلاث سنوات من الفاجعة من لم يتم إخراجه بعد من تحت الأنقاض، وإنما الأقرب للعقل هو أن قوات الإنقاذ قد أخرجت الجميع ،فكان من بينهم من تعرف عليه ذووه وتسلموه وكان من بينهم من لم يتقدم أحد للتعرف عليه .فانتهى مثواه إلى مقابر الصدقة ومجهولي الهوية، ولابد أن بطلي هذه القصة المؤسفة من بين هؤلاء

ولقد كنت تستطيع يا صديقي أن تتخفف من كثير مما عانيته طوال الفترة الماضية لو كانت حالتك النفسية عقب الكارثة قد سمحت لك بشئ من صفاء التفكير الذى أعانك على تنبيه الأسرتين إلى المصير المؤلم لكل من الطرفين المفقودين بغير أن تضاعف من الجراح والآلام وتهتك السر المستور ، فلقد كنت تستطيع أن تبرر لذويك

ما أصابك وما عانيته من اكتئاب نفسي مضى ،بأنك قد شاهدت "مصادفه" وقبيل لحظات من انهيار العمارة قريبتك وصديقك هذا دخل كل منهما منفرداً هذه العمارة لشأن من شئونه العادية ،فلم يسعفك الوقت للحديث إليه .فإذا بالعمارة تنهار أمامك فى لحظات..وينعقد لسانك هولا وتأثراً بالكارثتين العامة والخاصة معاً
لكنى ألتمس لك كل هذا العذر فى عجزك عن التفكير فى مثل هذا التصرف الملائم وقتها مع ما عانيت منه من ذهول واضطراب واكتئاب نفسي، ولقد عرفت شخصية زميلاً فاضلاً شاءت له أقداره أن يكون فى محطة الوقود المقابلة لهذه العمارة لحظة الزلزال وشاهد انهيار العمارة الشاهقة فوق رؤوس سكانها وتحولها فى لحظات إلى كومة من الأنقاض فشلت قدرته على الحركة والكلام وانفجر باكياً وعانى لفترة طويلة بعدها من نوبات البكاء اللاإرادي تأثراً بهذه المأساة، فلك عذرك إذن فى عجزك عن التصرف السليم فى هذا الموقف العصيب لكنى لا أرى لك الآن أن تكشف لأسرة قريبتك ووالد صديقك حقيقة هذا السر البغيض الذى عانيت من كتمانه حتى الآن الكثير ،إذ لا مبرر لأن تزيد من أحزان المحزونين ونضيف إلى معاناتهم السابقة ما هو أشد إيلاماً. وديننا الحنيف ينهانا على أية حال عن التهلل لهتك ما ستره الله من أسرار عباده ولو كانوا من الخاطئين..ولقد جاء إلى العظيم عمر بن الخطاب أب يقول له أن إبنته قد أخطأت ثم ندمت على خطئها ندماً شديداً وتابت إلى ربها وصدقت توبتها حتى سمع بتقواها وصلاحها رجل من أشراف العرب فجاء يخطبها ..فهل يصارحه بما كان من أمرها قبل التوبة أم يكتمه عنهَ! فتوعده عمر إن أفشى سرها ليضربنه بدرته هذه وزار فى وجهه مغضباً: أتريد أن تفضح ما ستره الله عليها .. بل زوجها كما تتزوج الحرة ..وأكرم وفادتها. وفى تقدير أن هذا أيضاً هو الموقف الكريم الذى ينبغي أن تلتزم به أنت الآن إزاء هذا السر البغيض لا لأن كل منهما ندم وصدق ندمه على ما فعل، وإنما لأن الله سبحانه وتعالى قد طوى معهما سرهما ولا يفيد أحداً الآن هتكه، ولا عائد لذلك إلا إيلام مشاعر زوج ضحية وابنه بريئة وأب مكلوم. ولست أصدق فى الحقيقة أن كلتا الأسرتين مازالت تتعلق بالأمل فى عودة كل منهما لكنهما فقط لم تعرفا على وجه اليقين ما انتهى إليه مصير كل منهما، فلقد توافق غياب كل منهما مع أحداث الزلزال المروعة..ولابد أن الأسرتين قد سلمتا منذ وقت طويل بأنهما كانا من ضحاياه ..وأن كان مثوى كل منهما مازال مجهولاً لأسرته فلا تُحمل ضميرك إذن ما لإ طاقة له به..وتستطيع بالإضافة إلى ذلك أن تتدارك بعض ما غابك بأن تصرح لأسرة قريبتك ولوالدك صديقك بأنه قد تصادف لك يوم الفزع الأكبر أنك قد شككت فى أنك قد رأيت مفقود كل أسرة يدخل هذه العمارة المشئومة لشأن من شئونه قبيل الزلزال بلحظات، لكنك لم تشأ أن تقطع بذلك وقتها على أمل أن تخيب الأيام الظنون ،أما وقد مضت كل هذه الفترة ولم يظهر لأحدهما أثر فلم يعد لديك بعد ذلك أدنى شك فى أن من رأيت كانا هما بكل تأكيد،قريبتك بعينها..وصديقك بعينه.وقد زاد ذلك من شدة تأثرك النفسي بما رأيت وأسلمك للاكتئاب فترة طويلة. أما مخاوفك من الارتباط بابنة هذه السيدة استنادا إلى"تاريخ"أمها الذى عرفته فالفيصل فى ذلك يا سيدى هو أخلاقيات هذه الفتاه نفسها ومدى التزامها الديني والأخلاقي ومدى معرفتك الشخصية بها وحكمك عليها من خلال سلوكيات ورؤيتها للحياة وليس من خلال أى شئ آخر،فإذا كان لهواجسك تجاهها بعض ما يبرر استنادا إلى سيرة أمها فى الحياة فالحق أنه على الناحية الأخرى أيضاً كثيراً ما قد ينشأ أبناء فاسقون من بيئة عائلية فاضلة لم تكن لترشحهم أبداً لسوء المصير وكثيراً أيضاً ما يحمى الله سبحانه وتعالى أبناء لم تتوافر لحياتهم العائلية من الظروف ما يرشحهم للنجاح والفلاح والاستقامة الشخصية،وقيمنا الدينية تنهانا على أية حال على أن تزر وازرة وزر أخرى وإذا كانت الحكمة تطالبنا بتوخي المنبت الحسن فذلك مرهون كذلك بأن تتأكد من القيم الأخلاقية السائدة فى الوسط العائلي لمن ترغب فى الارتباط بهم..وبمدى حكمنا على صلابة القيم..وبدراستنا لشخصية من نرغب فى الارتباط به نستطيع الحكم له أو عليه،أما أن نأخذه منذ البداية بجريرة أحد أبويه دون إعتبار لأية عوامل أخرى ولا دراسة للشخصية أو اختبار للقيم الأخلاقية فليس من العدل ولا من الرحمة .والإنسان عموما تتشكل شخصيته وقيمه وأفكاره بعوامل كثيرة إلى جانب النشأة العائلية والقيم السائدة فيها، والفيلسوف الفرنسى هنرى بيرجسون يقول لنا أنه ليس المستقبل نتيجة آلية للماضي فى كل الظروف والأحوال ويفسر ذلك بقوله أن الواعظ حين يؤبن راحلاً فإنه يعدد مناقبه ومزاياه وخطاياه، فيقول أن هذا الأمر أو ذاك من سماته قد انتقل اليه من أثر البيئة الاجتماعية التى أحاطت به، وذاك قد اكتسبه عن أبيه أو أمه وذاك قد اكتسبه بالتعليم وذاك من خبرة الحياة والتجارب الشخصية..إلخ لهذا فإنه لا يحق لأحد لم يدرس أخلاقيات هذه الفتاة عن قرب أن يحكم عليها بأنها ستكرر صورة أمها فى الحياة لمجرد ما سلف من أمرها وإنما يحق له ذلك فقط إذا بنى حكمه هذا على دراسة متأنية لأخلاقياتها وقيمتها الدينية وسلوكها النفسي والاجتماعي إزاء الحياة. فادرس شخصية فتاتك جيداً قبل أن تحكم لها أو عليها ولا تظلمها فى كل الأحوال،يدمغها بما فعلت أمها ..التى إن كنت قد عجبت حقاً لشئ فى قصتها فليس لخطيئتها فى حد ذاتها وإنما لما تمتعت به أيضاً من أنانية بغيضة وتجرد رهيب من مشاعر الأمومة إلى الحد الذى ترتب فيه مع فتاها أن يتقدم لخطبة ابنتها لكى تجده !أمامها وتحت أنظارها كل حين بلا حرجَ

فأي أم كانت هذه التى بلغ بها عمى القلب إلى هذا الحد الذى همت معه بأن تؤذى ابنتها وثمرة قلبها بعد ما أذت !من قبل كرامة زوجها وشرفه..وشرفها

وماذا عن مشاعر ابنتها التى رضيت لها بأن يخدعها هذا الشاب ويتوسل بخطبته لها للاستمرار فى علاقته الآثمة بأمهاَ! وماذا عنها أيضا لو كانت قد أحبت هذا الشاب ببراءة ثم انفرط عقد هذه الخطبة وكان لابد أن تنفرط بعد

حين..بل ماذا لو كان هذا الشاب نفسه قد تاب إلى رشده ووقع فى هوى هذه الفتاه البرئية وأراد إتمام زواجه منها؟ وإلى أين يمكن أن تقودنا نوازع النفس البشرية حين نسلم قيادنا طائعين لجواد الهوى والنزوة والرغبة الجامحة؟ ألا تشاركني الرأي إذن بأن الفضلاء فعلا كما تقول ذلك الحكمة الصينية القديمة "قليلاً ما يدخلون التاريخ"..لأن حياتهم تخلو من مثل هذه الفواجع التى تدير الرأس ..وتضيق بها الصدور حين تتأملها؟ وهل يكون غريباً أن تدفع أنت مثل هذا الثمن الباهظ من صحتك النفسية ومن معاناتك لكتمان هذا السر البغيض وهواجسك المؤرقة تجاه هذه الفتاة وذلك كله من ثمرة صحبتك لشاب لم يكن من الملتزمين أخلاقياً ودينياً ولم ترده عن الخطأ فى البداية ولم تنقطع عنه بعده؟ نعم إننا لا نستطيع حقاً أن نجبر أحداً على أن يرجع عن خطأ أو خطيئة..لكننا نستطيع على الناحية الأخرى أن نتخير أصدقاءنا من بين من يسمعون القول فيتبعون أحسنه، ويلتزمون بالاستقامة الشخصية والفضائل فى حياتهم،فلا ينالنا من آثار حياتهم المستهترة رذاذ يشوه سمعتنا أو يورطنا فيما لا تحتمله ضمائرنا وإذا كنا لا نملك للآخرين أكثر من النصيحة .. فإننا نملك أنفسنا ونقدر عليها ونستطيع إذا أردنا أن ننزه أنفسنا وضمائرنا وأسماعنا عن صحبة من لا يتقيدون فى حياتهم الخاصة بأية قيود دينية أو خلقية..وهذا هو الدرس القديم الذى فاتك فى حينه فدفعت ثمنه غالياً من صحتك النفسية وأعصابك وهذا أيضاً هو الدرس الذى ينبغي ألا يغيب عنك بعد ذلك في قادم الأيام بإذن الله.

==

بدله السهره ! من رسائل بريد الجمعة

كنت اود ان اكتب اليك قبل ذلك، لكن شاءت الظروف ان تاتي رسالتي اليك في هذا الوقت بالذات.. فانا شاب نشات في اسره مكونه من ابي الموظف الصغير بمصلحه الميكانيكا والكهرباء، وامي ربه البيت الطيبه، وخمسه اخوه واخوات انا اصغرهم.. ونقيم كلنا في شقه من اربع غرف بالدور الارضي باحدي عمارات حي العباسيه القديمه، ولقد تمتعت في طفولتي المبكره بعطف ابي وامي واخوتي خاصه اكبرهم، ثم رحل ابي عن الحياه، وانا في السابعه من عمري واكبر اخوتي في بدايه عامه الثاني بكليه الهندسه، حيث كان امله وامل ابي ان يصبح مهندسا، فواجهت الاسره مشكله نفقات الحياه والدراسه لكل الابناء. فقد كان معاش ابي ضئيلا ولا يكاد يكفي لاطعامنا فضلا عن نفقات التعليم، وذات يوم وجدت امي تبكي بحراره واخوتي يطيبون خاطرها.. وعرفت من اختي والتي تكبرني مباشره انها حزينه من اجل ابنها الاكبر لانه اضطر لكي يساعد اخوته وامه الي ان يتوقف عن الدراسه ليعمل موظفا صغيرا بالمصلحه التي كان يعمل بها ابي، وبالفعل عمل اخي موظفا صغيرا بمساعده زملاء ابي بالمصلحه، ولم يشك من اقداره ولم يتوجع.. وانما تقبل الامر الواقع باستسلام ورضا واصبح همه الاول هو اعاله اخوته وامه، والحق ان اخي هذا كان منذ صغره انسانا جادا يتحمل المسئوليه، وكان ابي يقول عنه انه ولد رجلا كبيرا وليس طفلا منذ البدايه.. ومضت بنا الحياه واصبح مرتب اخي ومعاش ابي الضئيل هما موردنا الوحيد، واصبحنا نحن الاخوه نتوجه بمطالبنا الي اخي هذا الذي اصبح ابا لنا ونحصل منه علي مصروفنا الشخصي، وكان دائما واسع الصدر ويتحمل حتي دلعنا ومغالاتنا في مطالبنا، ويحرم نفسه لكي يلبي طلباتنا، فكان يحرص علي ان نرتدي الملابس التي تحفظ علينا مظهرنا في حدود الممكن، ويقضي هو الاعوام بقميصين وبنطلونين يبدلهما في الصيف ويضيف اليهما بلوفرا قديما في الشتاء، ولا يشتري لنفسه قميصا جديدا الا بعد الحاح شديد منا ومن امنا عليه، وحين ثقلت عليه مطالبنا ونفقتنا بحث عن عمل اضافي وتنقل بين عده اعمال حتي استقر به المقام في مكتب هندسي عمل فيه ساعيا بعد الظهر، وقبل ذلك بلا غضاضه، ثم حدث ذات يوم ان بحث صاحب المكتب عن احد مساعديه ليتولي تحبير رسم هندسي اعده فلم يجده، وغضب صاحب المكتب، فعرض عليه اخي ان يقوم هو بهذا العمل لانقاذ الموقف، وساله صاحب المكتب في عصبيه: وما شانك انت بالرسوم الهندسيه؟ فاجابه اخي في استحياء، انه كان طالبا بكليه الهندسه واضطرته ظروفه العائليه منذ سنوات للتوقف عن الدراسه، فاعتذر له صاحب المكتب عن حدته معه وكلفه بالرسم المطلوب ونفذه علي وجه مقبول. فرقاه من ساع الي رسام هندسي واستعان بغيره للقيام بعمل الساعي وعامل البوفيه، واستقر الحال باخي في هذا المكتب عده سنوات كان دخله منه خير معين له علي مواجهه نفقاتنا، وتحسن مظهره بعض الشيء فاشتري لنفسه قميصين وبنطلونا بعد الحاح شديد منا.وخلال هذه السنوات تقدم اخوتي في مراحل التعليم اختي الكبري المرحله الجامعيه.. وبلغ الاخ الذي يليها الثانويه العامه ووصلت اختي الوسطي الي نهايه المرحله الاعداديه، ووضعت انا قدمي علي بدايه المرحله الاعداديه، وكانت اجمل اوقاتنا حين نجتمع حول شقيقنا العطوف يوم الجمعه ونتسامر معه ونتبادل الاحاديث والامنيات الطيبه.. ونتحدث عن المستقبل حين نتغلب علي ظروفنا، وكان اخي هذا مهموما علي الدوام بامرنا ومشاكلنا، فهو يذهب معي للمدرسه ليقابل احد المدرسين ويحل معه مشكله لي، ويذهب مع اخي طالب الثانويه العامه ليقابل الناظر ويحل مشكله غيابه عنها لاسباب قهريه، وحتي المشاكل العاطفيه كان يستمع اليها في صبر وفهم ويشير علينا بالراي السديد، ولا يثور علينا ولا يتهمنا باننا نعبث وهو يكافح لاعالتنا، بل يدافع عنا لدي امي حين تغضب منا وتقرعنا وتذكرنا بتضحيات اخي من اجلنا وكيف اننا ينبغي ان نقابلها بالجد للانتهاء من دراستنا وتخفيف العبء عنه، وكان يقول لها دائما كلما شكت من سلوك احدنا: انهم شباب يا امي ولابد ان يعبثوا بعض الوقت او يخطئوا ثم يعودون للصواب في النهايهوالحق انني لا ادري حتي الان من اين جاء اخي الكبير بكل هذه الحكمه والصبر، ربما لانه تحمل المسئوليه في سن مبكره، وربما لتدينه وخشيته

لربه، فلقد كان حريصا علي الفروض الدينيه ولا يغضب من احدنا الا اذا استشعر تقصيره في ادائها..وبرغم شبابه المتفجر فقد صرف اخي تفكيره عن الفتيات تماما طوال تلك السنوات، ولم يفكر في الحب ولا في الزواج لان لديه كما كان يقول مسئوليه كبيره لابد ان يوديها قبل ان يفكر في ذلك، الي ان احب بعد ان تجاوز الثلاثين فتاه تعمل معه في المكتب الهندسي وكتم هواه عنها لثقته من ان ظروفه لا ترشحه للارتباط بها، وظل علي هذا الحال عامين ادرك خلالها زملاوه في المكتب انه متيم بها في صمت وشجعوه علي مفاتحتها، واكدوا له انها تنتظر منه ذلك.. فتشجع اخيرا وفاتحها ورحبت به.. واراد ان يخطبها لكن المشاكل الماديه ومشكله السكن حالت للاسف بينه وبين تحقيق امنيته، فلقد قبلت زميلته بكل ظروفه لكن ابويها رفضا ان تتزوج وتقيم معه في شقه الاسره، واشترطا عليه ان يستقل بمسكنه عن اخوته وامه اولا قبل الزواج، ووافقنا جميعا علي ذلك لكنه لم يستطع تدبير شقه مستقله ولم يتحمس للاستقلال بحياته عنا ونحن مازلنا نحتاج اليه ونعتمد عليه، ولم تستطع فتاته اقناع ابويها باستعدادها للعيش مع اسرته او لم تتحمس جديا لذلك فتنازل من جديد عن حلمه بالسعاده ولم يكمل مشروع الخطبه وترك العمل في المكتب الهندسي لكيلا يعذب نفسه برويه من احبها بصدق ولم يستطع الارتباط بها، وبدا يعطي دروسا خاصه في الرياضيات لطلبه المدارس الاعداديه في البيت ورايته في هذه الفتره حزينا.. تطول فترات صمته وسرحانه، ويقضي اوقات فراغه في القراءه او الصلاه او الجلوس صامتا الي جانب ثم جاء خاطب لاختنا الكبري وكانت قد تخرجت وبدات العمل كمدرسه بعقد منذ شهور فرحب به <p>امي. اخي.. وتفاهم معه علي كل شيء ولم يرهقه ماديا.. وانشغل عن احزانه باعداد جهازها وتدبير التكاليف بشق الانفس، واشرف علي كل شيء حتي تم زفافها وانتقلت الي بيت زوجها بسلام. ورحلت امي عن الحياه وبكيناها جميعا ودعونا لها بالرحمه والمغفره، وانهي اخي الاوسط تعليمه واحتاج الي مبلغ من المال لكي يسافر الي اسوان، ويبدا عمله بالشركه التي عين بها ويواجه نفقات حياته الي ان يقبض اول مرتب له، فدبر له اخي المبلغ المطلوب بالرغم من انه كان مثقلا باقساط ديون زواج اختنا، واستقر الاخ الاوسط في اسوان واقام في شقه تابعه للشركه فارسل لاخي يطلب منه ان يرسل اليه اختنا الصغري لتلتحق بالمدرسه الثانويه هناك ويتحمل هو مسئوليتها فيخفف بذلك عنه بعض اعبائه، لكن اخي اشفق علي اختنا من البعد عنا فرفض عرض اخينا شاكرا، وعرضت انا ان انضم اليه بدلا منها لنفس الغرض فرفض ايضا، وقال انه لا يتحمل فراقنا خاصه بعد رحيل امنا وزواج اختنا. ومضت السنوات وتخرجت اختنا الصغري.. وعملت وجاءها خاطب من اقاربنا يعرف كل ظروفنا ويقبل بها، فجهزها اخي للزواج وكبل نفسه من جديد بالاقساط والديون وهو لم يكد يفرغ من ديون زواج الاخت الاولي، وساعده شقيقي الاوسط الكيميائي باحدي شركات اسوان بعض الشيء في نفقات الزواج، وساعدت اختي الكبري اختها بجزء من مرتبها واشترت لها بعض احتياجاتها وزفت الاخت لزوجها.. وخلا البيت الكبير علي وعلي اخي، وازددت اقترابا منه ولاحظت عليه انه لا يكاد يخرج من البيت بعد عودته من المصلحه، وسالته لماذا لايخرج ويتنزه ويلتقي بالاصدقاء، فاجابني بانه سيفعل كل ذلك ان شاء الله حين يتخفف من اقساط زواج الاخت الصغري.. وحصلت علي الثانويه العامه بمجموع كبير، وترددت في اختيار كليه الهندسه اشفاقا علي اخي من نفقات دراستها، خاصه اننا كنا قد فقدنا نصيب الاختين والاخ الكيميائي في المعاش. لكن اخي الح علي باختيار الهندسه، واكد لي انه سيسعد كثيرا بان احقق الحلم الذي حالت الظروف القاسيه دون ان يحققه هو لنفسه، فالتحقت بالكليه ونجحت في السنه الاعداديه، وفي اجازه الصيف سيطرت علي فكره السفر الي امريكا للعمل خلال شهور الصيف كما فعل بعض اصدقائي الذين هاجروا قبل عام.. وعرضت الفكره علي اخي والححت عليه بان يساعدني في ذلك عسي ان استطيع جمع بعض المال للانفاق علي دراستي، وواصلت الالحاح عليه حتي استسلم في النهايه، ووافق علي مساعدتي بالرغم من رفض بقيه اخوتي لذلك ولومهم لي لعدم استكمال دراستي، وبعد عناء شديد حصلت علي التاشيره واقترض اخي من جهه عمله مبلغا من المال ليساعدني في شراء تذكره السفر، وسافرت الي اصدقائي وخضت التجربه وعانيت الكثير والكثير، وعملت غاسل صحون في البدايه لمده١٢ ساعه كل يوم، فما ان استقرت اوضاعي بعض الشيء حتي كان العام الدراسي الجديد قد اقبل وحان موعد العوده، فعز علي ان اقطع التجربه في بدايتها، واتصلت باخي استاذنه في البقاء بامريكا لمده عام اخر واطلب منه ان يقدم لي اعتذارا للكليه وارجوه ان يوافق علي ذلك، وبعد الحاح شديد وافق لكنه حملني امانه ان استكمل دراستي ايا كانت الفتره التي اقضيها في امريكا، والا فانه سوف يشعر بانه قد اجرم في حقي حين وافق علي سفري، ووعدته بذلك صادقا.، وبكيت حين قال لي انه يفتقدني ويفتقد صحبتي وضجيجي وحتي مشاكلي.. وانه قد اصبح وحيدا تماما بعد سفري، وسالته لماذا لاتتزوج يا اخي وقد جاوزت الاربعين، وتحسنت الظروف واصبحت الشقه خالصه لك.. فوعدني بان يفكر في ذلك وانشغلت بحياتي الجديده واستطعت بعد جهد جهيد الحصول علي الاقامه واستقررت في عمل افضل.. وانتهي العام الثاني وحان موعد العوده لكني اشفقت علي نفسي من ان افقد اقامتي بامريكا اذا عدت، فكتبت لاخي اشرح له ظروفي وارجوه الا يغضب مني واطلب منه ان يبعث الي اوراقي الدراسيه مترجمه ومعتمده من وزاره الخارجيه لكي التحق باحدي الكليات في امريكا وجددت عهدي له بان استكمل دراستي مهما كانت الصعوبات، وغضب مني اخوتي جميعا لذلك ما عدا اخي الاكبر الذي تسامح معي كالعاده وارسل الي اوراقي وجدد طلبه لي بانهاء دراستي مهما حدث. وواصل هو حياته كاعزب وحيد وارسلت اليه بعض النقود كرد لديونه علي.. وطلبت منه ان يسدد بها الاقساط المتراكمه عليه ويوسع علي

نفسه ببقيتها وسدد اخي ديونه، وتنفس الصعداء.. وتحسنت احواله، واسترحت حين علمت ان اخوتي لا يتركونه وحيدا لفترات طويله وانهم يزورونه باستمرار ويدعونه لزيارتهم، حبا له وعرفانا بفضله، كما ارتبط اخي الكيميائي بزميله له في اسوان وتزوجها هناك واقام معها واجتمع اخوتي كلهم في ضيافته باسوان، وشهدوا زواجه وسعدوا به ما عداي للاسف، لاني واجهت مشكله التجنيد وخشيت اذا عدت لمصر الا استطيع السفر مره اخري، وتوالت السنون واخي يعيش وحيدا ولا شاغل له سوي متابعه احوالنا والاهتمام بامرنا.. والجلوس في المقهي في المساء بعض الوقت، والقراءه، واداء الفروض الدينيه، وقد وفيت بوعدي له وحصلت بعد عناء علي شهاده في الكمبيوتر وعملت بعمل جيد واصبحت لي شقه جيده وسياره، وجددت رجائي اليه ان يتزوج قبل ان يفوته القطار.. واشركت اخوتي في الالحاح عليه بذلك بعد ان شعرنا بانه قد زهد الزواج بعد قصته الاولي التي حرم من استكمالها بسبب الظروف القاسيه، ولكم كانت سعادتي حين تلقيت منه ذات يوم رساله يقول لي فيها انه التقي بسيده مطلقه في الخامسه والثلاثين من العمر ولها طفله عمرها٧ سنوات، وشعر لاول مره منذ سنوات طويله بمشاعره تتحرك تجاهها وانه يفكر في ان يتقدم اليها بعد ان استشعر ميلها اليه، واتصلت به هاتفيا وزغردت في الهاتف تعبيرا عن فرحي وسعادتي بذلك واقسمت عليه برحمه ابينا وامنا الا يدع هذه الفرصه تفلت منه، والا يحرم نفسه من السعاده التي يستحقها، واكدت له انني سارجع الي مصر لحضور زفافه بعد غياب نحو عشر سنوات، وسارسل اليه مبلغا كبيرا لاعداد الشقه للزواج وتجديدها وشراء كل ما يلزمه، وارسلت اليه رغم رفضه، ومحاولته الاعتذار لي مبلغا مناسبا وقدم له اخي الاوسط هديه ماليه مناسبه قبلها منه بعد الحاح. وتم عقد القران في غيابي ووصف لي اخي الاوسط فرحته وفرحه اختينا بسعاده اخينا الاكبر وخجله خلال عقد القران وسئل اخي عن </p><p>حتي فاض قلبي له بالحب والوفاء وتمنيت لو كنت موجودا معه لاشاركه فرحته.. موعد الزفاف فاجاب بانه سيتم حين استطيع انا العوده لمصر والخروج منها دون مشاكل مع التجنيد، وكانت قد بقيت ثلاثه اشهر لاغير علي السن التي استطيع فيها تسويه موقفي التجنيدي والسفر لامريكا دون مشاكل، فتاجل الزفاف حتي ذلك الحين ورحت انا اعد الايام علي الموعد المنتظر واستعد له.. واشتريت بدله سهره سوداء لاخي الاكبر.. ليرتديها يوم الزفاف وابلغته بذلك واشتريت لنفسي بدله مماثله لي وثالثه لاخي الاوسط بناء علي طلبه..وحجزت تذكره السفر بعد ١٠ ايام فاذا باخي الاوسط يتصل بي هاتفيا ويقول لي بصوت غريب ان زفاف اخي قد تم تقديم موعده ويرجوني الحضور علي الفور لادراكه ولو تركت كل شيء. ولم استرح لنبره صوت اخي في هذه المكالمه، وسالته عما اذا كان قد حدث شيء فاجاب بالنفي والح علي بالحضور لكيلا يفوتني حضور الزفاف ومشاركه اخي مناسبته،و وضعت السماعه واعددت حقيبتي وابلغت العمل باضطراري للسفر وركبت الطائره عائدا لمصر. وفي المطار استقبلني اخي الاوسط واجما، فتاكدت ظنوني وسالته عما حدث، فاذا به يقول لي ان شقيقنا الاكبر قد فاجاه وهو يستعد لزفافه نزيف في المخ ونقل للمستشفي وهو الان في غيبوبه منذ يومين، وقد راي من واجبه ان يدعوني للحضور لاراه حتي لا الومه فيما بعد، وانفجرت باكيا في سياره الاجره، التي تحملنا من المطار وهرولنا الي المستشفي واطللت عليه وهو غائب عن الوعي في فراشه والي جواره زوجته التي لم يدخل بها بعد وشقيقتانا وزوجاهما.. وانفجرت مره ثانيه في البكاء وانا اقبل وجه اخي وراسه ويديه وقدميه وشقيقتاي تبكيان، وتجذبانني الي خارج الحجره وانا اقاومهما واقول له اشتريت لك بدله الفرح يا اخي واريد ان اراك ترتديها. وبعد جهد جهيد استسلمت لاخوتي وخرجت الي قاعه الانتظار، ورفضت العوده للبيت لاستريح من عناء السفر واصررت علي قضاء الليل في القاعه، وفي الفجر انتهي كل شيء، ورحل اخي الحنون المضحي الصبور المعطاء عن الحياه بغير ان يسعد نفسه ويتزوج وينجب طفلا كما كان يتمني طوال عمره وقبل ان يحقق لنفسه حلم السعاده الذي تمناه طويلا بعد ان حرم من قبل من تحقيق حلمه في ان يصبح مهندسا، وضحي به ليعول اخوته ويحميهم من الضياع، مات ولما يبلغ بعد السابعه والاربعين من عمره، وكانما قد انهكه الكفاح والحرمان، وطوي صفحه عمره القصير انني اكتب اليك هذه الرساله الان من مسكننا القديم بالعباسيه.. بعد عشره ايام من رحيل اخي عن هذه الدنيا الفانية، واكتب لك وانا اراه في كل مكان من الشقه.. واراه في جلسته علي الكنبه البلديه التي احتفظ بها من الاثاث القديم، وكان يمضي وقت الاصيل جالسا فوقها خاصه في السنوات الصعبه يسبح ربه علي مسبحته ويفكر كيف يطعم هولاء الايتام وكيف يكسوهم وكيف يدبر نفقات تعليمهم، فاذا طلب منه احدنا طلبا ابتسم في وجهه واشار صامتا الي عينه اليمني ثم الي عينه اليسري اشاره الي ان الطلب مجاب ان شاء الله.. ولعله يكون في ذلك الوقت خاوي الوفاض تماما، لكنه سيقترض من زملائه الي ان يقبض مرتبه.</p><p> انني اشعر بحسره شديده.. واشعر بالذنب تجاهه لانني قد كلفته دائما فوق طاقته.. واحزنته بهجرتي وقطعي لدراسه الهندسه برغم سعادته وتفاخره بحصولي علي الشهاده العاليه من امريكا، واتمني لو رجعت الايام لكي اواصل دراسه الهندسه من اجله واحقق له امله في، ولا اتركه لوحدته وعزوبيته حتي تلك السن المتاخره.. وانظر الي بدله السهره السوداء المعلقه في غرفته وابكي واستغفر الله العظيم وانا اتساءل عن الحكمه في ان يعيش انسان طيب ومضح مثله في حرمان وعناء وكفاح معظم سنوات عمره حتي اذا ابتسمت له الايام اخيرا ووعدته بالسعاده.. تنطوي صفحته علي هذا النحو فجاه، انني حزين من اجله ياسيدي وحزين من اجل نفسي لاني اتجرع برحيله اليتم مرتين، ولا ادري ماذا افعل لكي اودي له حقه علي وارد له الجميل، واتخلص من احساسي بالذنب تجاهه.. فهل لديك ماتشير به علي او تنصحني به. ولكاتب هذه الرساله اقول هناك

اشخاص يضيفون الي الحياه الكثير ولا ياخذون منها للاسف الا القليل.. ويضئ وجودهم حياه من حولهم، ويخصم غيابهم الابدي من جمال الحياه وخيريتها، ولقد كان شقيقك الاكبر واحدا من هذا النوع من البشر الذين وصفهم الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه في معرض حديثه عن الابرار والصالحين بقوله: هم القوم لا يشقي بهم جليسهم نعم لا يشقي بهم جليسهم، انما يسعد، ويشعر بالثراء الروحي الذي تفيض به جوانحهم.. ويتمني المرء لو استطاع ان يحذو حذوهم وينهج نهجهم في الحياه.. لتزداد خيريتها وتنحسر مساحه الشر والقبح والانانيه فيها.. ذلك ان اهم ما يتسم به هولاء الابرار هو السماحه والعفه والايثار وانكار الذات والعطاء واحترام مشاعر الغير ورعايه حرماتهم.. الم تر كيف كان شقيقك المضحي الصبور يتقبل كل مطالبكم ولو ناء بها كاهله دون ان يفقد صبره معكم او يشعر احدكم بثقل عبئه او يمتن عليه بما يقدمه له؟ او لم تر كيف كانت تعني الاشاره الصامته الي عينيه حين يطلب احدكم منه مطلبا من مطالب الحياه خلال السنوات الصعبه، انه علي الرحب والسعه سوف يلبي له مطلبه ولو ارهق نفسه بذلك او اضطر للاستدانه للوفاء به، وبغير ان يضيق صدره او ينطق لسانه بما يزفر به غيره حين ينوء بمطالب الابناء وتكاليف الحياه؟ لقد كان يرحمه الله ابا بالفطره والعاطفه.. والمسئوليه اكثر منه اخا او شقيقا لكم، وبعض الاشخاص لهم طبيعه ابويه تغلب عليهم وتتحكم فيهم، فيتصرفون مع اشقائهم الضعفاء كما يفعل الاب الرحيم مع ابنائه، ولقد يفسر ذلك قول ابيكم عنه انه يبدو كما لو كان قد ولد رجلا منذ طفولته وليس طفلا.. فكانما كان يعد نفسه منذ الصغر لتحمل المسئوليه عن اخوته.. او لكانما كان يدرك بطريقه غامضه انه مرشح لان يقود سفينه الاسره بعد ابيه الي شاطئ الامان..ولقد تحمل امانه المسئوليه بشرف وقاد السفينه باقتدار، وقدم بتضحياته وصبره وحكمته المثل والعزاء، فحتي عبث الصغار كان يتسامح معه بفهم وحكمه وصبر ويتجاوز عنه، ولايري في الظروف القاسيه المحيطه بالاسره مبررا كافيا لكيلا يكون الاطفال اطفالا لهم نزقهم واخطاوهم ولا لكيلا يكون المراهقون مراهقين لهم عثراتهم وحماقاتهم وكانهم ليسوا بشرا كالبشر.. او كان الحرمان سبب كاف لتغيير الطبيعه البشريه وتطويعها لما يتوافق مع الظروف. لقد كان شقيقك الاكبر قمه في الحكمه والتراحم، وهو يتفهم طبيعه الصغار ويتجاوز عن هناتهم ويدعو امه للتجاوز عنها..تذكرت وانا اقرا عن ذلك في رسالتك ما كتبه الروائي الروسي العظيم دستويفسكي في روايته المساكين علي لسان مقار ديوفشكين حين لاحظ ان اطفال جاره المعدم الذي يقيم مع ابنائه الثلاثه وزوجته في احدي غرف البيت، لا يسمع لهم صوت ولا ضجيج كضجيج الاطفال، وانه كلما عبر بباب غرفتهم المفتوح راي الاطفال جالسين في صمت حزين وكانهم يفكرون في امور مهمه فكتب في اوراقه: لاشد ما اكره ان يصمت الاطفال وان يستغرقوا في التفكير فما الطفوله الا لعب وانطلاق، وانه لمن المولم حقا ان يصاب الاطفال بالكابه وان يكفوا عن نزقهم.. واخطائهم، ويتعقلوا!نعم.. من المولم حقا ان يصمت الاطفال وان يكفوا عن الضجيج وان يستغرقوا في التفكير ويتصرفوا كالكبار بدعوي تقدير الظروف القاسيه المحيطه.. فاي فهم راق للطبيعه البشريه.. كان شقيقكم الاكبر هذا يتعامل معكم به واي حكمه واي صبر؟ ان امثاله ممن يتحملون مسئوليات اخوتهم قد يضيقون باي هفوه لاخوتهم بدعوي ان الظروف لا تسمح بترف الاخطاء والهنات، ولقد يقسون عليهم من اجل ذلك ويجارون بالشكوي من الصغار الذين لايقدرون التضحيات المقدمه لهم.. وكانما يطالبونهم بان يخالفوا فطرتهم التي فطرها عليهم الله سبحانه وتعالي مراعاه لظروفهم القاسيه..كما ان البعض قد يرون ان العطاء لمن يستحقونه لا عائد له في الدنيا، والحق هو ان عائده موكد في الدنيا والاخره، وانه ليس هناك عطاء يذهب سدي حتي ولو بدا لنا غير ذلك او حتي لو تشكينا من الجحود والانكار. واي عائد لعطاء شقيقك لكم اعظم من هذا الحب العميق والاحترام الكبير والوفاء الجميل الذي حملتموه دائما له، بل واي عائد اجل من حزنكم الصادق عليه واساكم الشديد لرحيله عن الحياه قبل ان يسعد فيها بحياته مع من اختارها لصحبه السنين..لقد كان الاديب البرازيلي باولو كويللو يقول: كلما ازداد استعدادك للعطاء ازداد بالضروره ما تحصل عليه. ولقد غنم شقيقك بعطائه لكم راحه القلب والضمير ورضا امه عنه، ناهيك عن محبتكم له واعتزازكم به وعرفانكم له في حياته.. وحزنكم النبيل عليه بعد رحيله.. فاما جائزته الكبري فهي وفي السماء رزقكم وما توعدون ان شاء الله.انك تسالني كيف تودي اليه بعض حقه عليك وماذا تفعل لكي تتخلص من احساسك بالذنب تجاهه، واني لانصحك باكرام صاحبته التي لم يمهله العمر لكي يبني بها وبعدم منازعتها في اي حق من حقوقها.. بل وبالسخاء معها في ذلك اكراما لمن اختارها لرفقه الحياه ورعايه لظروفها المولمه، وحبذا لو استطعت ان تجري علي روح شقيقك الراحل صدقه جاريه في حدود قدرتك وامكاناتك، وحبذا ايضا لو اقتديت به في تدينه وتراحمه وايثاره لغيره وسماحته وصبره، وسرت علي نهجه في الحياه.. مع الدعاء الدائم له، والاستغفار من اجله، واتباع مثله العليا وقيمه الدينيه والاخلاقيه، وفي ذلك بعض الوفاء.. يرحمه الله.

==

العبارة الحكيمة

أنا رجل في الأربعينيات، متدين، وأعمل مديرا بإحدي الهيئات المميزة، لا أدخن ولا أعرف سوي بيتي وعملي، وقد تزوجت وعمري٣٥ عاما وكان عمر زوجتي السابقة وقتها٢٦ عاما، وقد اخترتها وكل المؤشرات كانت تدل علي نجاح الزواج من مظاهر تدين الزوجة وأسرتها، والتكافؤ الأسري، ولكن لأسباب متعددة معظمها أسباب دنيوية زائلة مثل تأمين مستقبلها بكتابة الشقة باسمها ووضع مبلغ في البنك باسمها، وأعذرني فلن أستطيع أن

أسرد كل الأسباب، فقد أنفصلنا ولم يدم زواجنا سوي٣ أعوام فقط وكانت ثمرته ابنة جميلة كانت كل حياتي حتي سن الثانية عندما حدث الانفصال، ومنذ ذلك الحين أخذت عهدا علي نفسي ألا أسيء إلي زوجتي السابقة، وألا أفشي لها سرا، أو أحاول الافتراء عليها، ونسيت كل العيوب لها، فما من مشكلة إلا ولها طرفان ولا يمكن أن يكون أحدهما مخطئا والآخر بريئا علي طول الخط، فهناك مشاكل أخطأت فيها ومشاكل أخطأت هي فيها، وهي أم طفلتي وأي اساءة لها هي إساءة لطفلتي وبالتالي اساءة لي، ولكن بإختصار تحطم البيت بسبب عدم القناعة والرضا وبعد فشل مساعي الصلح بيننا، وأحب أن أخبرك فقط بأنني لست بخيلا وذلك بإعترافها لمن كان يسعي بالصلح بيننا بأنني كنت أترك لها كل دخلي تحت يدها بالمنزل ولا آخذ منه إلا مصروفي الشخصي فقط، وقد كانت زوجتي السابقة لا تعمل ولا دخل لها(وهي حاصلة علي بكالوريوس التجارة).

وقد استمرت زوجتي السابقة بمنزل أسرتها ما يقرب من عامين منعتني خلالهما من رؤيتها أو رؤية طفلتي، وحاولت مرارا وتكرارا رؤية أبنتي فحيل بيني وبينها وأحترقت في ذلك الوقت بالحرمان منها، وعلي الرغم من ذلك لم أتخل عن ألتزاماتي المادية عنها ولا عن ابنتي ولبيت كل ما يلزمهما من مصاريف وملابس وهدايا.

ولغياب الناصح الأمين فقد تطورت الأمور وتم رفع العديد من القضايا ضدي واستمرت القضايا وحكمت لها المحاكم بنفقة لها وللبنت(علي الرغم من أنني لم أقصر في أي شيء تجاههما) واستمر هذا الوضع أكثر من عام آخر، ثم طلبت الطلاق، وقد كنت حتي هذه اللحظة آمل أن تعود لرشدها وتحكم العقل ولكن عندما وصلت الأمور إلي هذه النقطة التي يحاول فيها كل طرف الإدعاء والإفتراء علي الآخر لتحقيق مكاسب مادية، قمت أنا برفع قضية وحيدة وهو رد الفعل الوحيد لي في هذا الاتجاه وهي قضية رؤية لأبنتي عن طريق المحكمة بعد تعذر رؤيتها بأي طريق آخر، وأرسلت لزوجتي السابقة خطابا قلت لها فيه أنني لن أستمر في طريق المحاكم، ولن يأتي اليوم الذي أسيء فيه إليها مهما تحملت من خسائر، وأنني فقط أريد رؤية أبنتي، وسوف أعطيها كل شيء، وبالفعل طلقتها، وأعطيتها أكثر مما كانت تتخيل بالإضافة إلي حقوقها الشرعية. وأنا الآن أري أبنتي مرة كل أسبوع بحكم المحكمة وفي ظروف ليست في صالحي أو في صالح البنت بأحد مقار الحزب وهو مكان للرؤية غير صحي من الناحية النفسية والاجتماعية للطفلة ولكني أحاول تحمل ذلك وأدعو الله أن يخفف من تأثير ذلك علي ابنتي، وأحاول تعويض ابنتي عن حقها العادل في الاستقرار بين أبوين متراحمين، عن طريق الكثير من الهدايا والملابس وكل ما تستلزمه تربيتها بالإضافة إلي النفقة الشهرية الخاصة بها، وأدعو الله أن يعينني علي الاستمرار في ذلك حتي لو تزوجت وأنجبت أطفالا غيرها فهي جزء مني. ولقد مضي ما يقرب من أربع سنوات الآن لم أر خلالها زوجتي السابقة ولا أعلم أي شيء عنها ولا أحاول معرفة أي أخبار عنها ولا أحاول الحديث مع ابنتي عن أي شيء في هذا الموضوع، حتي لا أفسد عليها نفسيتها فالبنت لاتعي شيئا حتي الآن علي الرغم من أنها تبلغ الآن ست سنوات ونصف السنة.

وقد طويت هذه الصفحة من حياتي، ولن أسيء إليها أبدا فهي أم ابنتي وأي شيء تريده سوف ألبيه لها مراعاة للعشرة السابقة، كما أنها هي التي تربي ابنتي.

إذن ما هي المشكلة؟ المشكلة أنني منذ سنوات وأنا أبحث عمن تشاركني حياتي ولم أجدها حتي الآن وأنا أعلم أن بابك مفتوح لحل مشاكل المهمومين فإذا أردت أن تساعدني في حل مشكلتي، علي الرغم من علمي بأن حل هذا النوع من المشكلات ليس هو الغرض من بابكم فإنني سأكون لك من الشاكرين، وأحب أن أذكرك بما قاله رسول الله صلي الله عليه وسلم من مشي في تزويج رجل بإمرأة كان له بكل خطوة خطاها، وكلمة قالها عبادة سنة قام ليلها وصام نهارها.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

حسنا فعلت يا سيدي بتعففك عن الإساءة إلي زوجتك السابقة وعن التفنن في ذكر عيوبها ومثالبها كما قد يفعل البعض بعد الانفصال، وكذلك بترفعك عن اتهامها وحدها بكامل المسئولية عن انهيار الحياة الزوجية معترفا كغيرك من المنصفين وأصحاب النفوس الطيبة بأن المسئولية لابد أن تكون مشتركة ولابد أن يكون لكل طرف أخطاؤه، حتي ولو تفاوتت هذه الأخطاء والمسئوليات ولقد ذكرني ذلك بما قاله الإمام أبو حامد الغزالي في معرض الحديث عن آداب الطلاق حيث قال إن منها ألا يفشي الرجل سر امرأته لا في الطلاق ولا في النكاح فقد ورد في إفشاء سر النساء في الخبر الصحيح وعيد عظيم وأما الوعيد الذي أشار إليه الغزالي فهو ما رواه مسلم من حديث أبي سعيد حين قال: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم إن أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلي امرأته وتفضي إليه ثم يفشي سرها

وروي الغزالي عن بعض الصالحين أنه أراد طلاق امرأة فقيل له ما الذي يريبك فيها فقال: العاقل لا يهتك ستر امرأته فلما طلقها قيل له: لم طلقتها فقال: ما لي ولإمرأة غيري؟

ولقد اختصرت أنت كل هذه المعاني النبيلة في هذه العبارة الحكيمة، أنها في النهاية أم طفلتك وأن أي اساءة إليها إنما تلحق بالضرورة بابنتها التي هي في نفس الوقت فلذة كبدك وقرة عينك.. فكأنما قد حفظت ابنتك قبل أن تحفظ زوجتك السابقة، وكأنما قد رعيت الله فيها قبل أن ترعي حدوده مع أمها.

ولاشك أن الألتزام بهذا التعفف يخفف المرارة في نفس الزوجة السابقة، ويهديء الخصومة.. ويدفعها أو ينبغي له أن يدفعها إلي اعفاء ابنتها بالمقابل من أي اساءة لأبيها أمامها أو أي أثر سلبي لانفصال أمها عنه.. فلا تنفث فيها

فحيح الرغبة في الانتقام من الأب.. ولا تعرضها للتمزق بين مشاعرها الفطرية تجاه أبيها وبين ما تسمعه من سموم ضده في بيئتها العائلية.

والمؤكد هو أنك تستحق السعادة في حياة زوجية جديدة.. فترقب حظك العادل منها.. وانتظر.. ولن يطول انتظارك بإذن الله..

===

العاب الحب

ترجع بداية قصتي لأكثر من ثلاث سنوات، عندما كنت في السنة الأخيرة بالجامعة، وكانت هي طالبة في كلية أخري، وبدأت أذهب لمنزلهم، المجاور لمنزلنا بصفة مستمرة، لكي أسهر معها وأخواتها، فمعظمنا متقارب السن والأفكار، كنا نتسلي بلعب الدومينو أو ألعاب الكمبيوتر، وساعتها شعرت بأنني أنجذب إليها شيئا فشيئا، وأتعلق بها يوما بعد يوم، علي الرغم من أن هذه العلاقة كانت بمثابة أول تعامل رسمي بيني وبينها، مع أنها ـ كما سبق وقلت لكم ـ قريبة جدا لي، وجارة أيضا.

المهم، بعد فترة، لاحظت أنها هي الأخري تبادلني نفس المشاعر، ويوما بعد يوم تزايدت زياراتي لمنزلهم، ووجدت أن هناك ترحيبا كبيرا بي من أهلها، وأصبحت شخصا مرغوبا لديهم، تفتح أمامي الأبواب علي مصاريعها، وبدأت علاقتنا ـ بل حبنا ـ يزداد، حتي إنني لم أعد أكتفي بزياراتي لهم شبه اليومية، فبمجرد انصرافي من منزلهم، كنت أتبادل أنا وهي الحديث علي الانترنت بالساعات، حتي الصباح تقريبا، إلي أن وصلت إلي درجة الحب الأعمي لهذه الفتاة، ونسيت حياتي كلها، وصارح كل منا الآخر بحبه، وتوطدت علاقتنا كثيرا، وأصبحت في انتظار الخطوة الرسمية.

في هذه الأثناء، كنت قد أنهيت دراستي، والتحقت للعمل بشركة يتمني الكثيرون العمل بها، ولكن كانت المشكلة أن هناك أطرافا في عائلتي يرفضون هذا الارتباط، ولا يباركونه، علي الرغم من تمسكي بفتاتي لأبعد الحدود، حيث كنت أنا وهي نغرق يوميا في عسل الحب دون أي منغصات، أو موانع، نتبادل الحب في التليفون طوال الليل، ونجلس معا ـ في بيتها ـ لساعات طويلة، بمفردنا، بل كان الجميع حين أذهب اليهم يخلون لنا الجولنكون علي راحتنا، فكنت أجلس معها في حجرة الكمبيوتر، وكان الشيطان ـ دائما ـ هو ثالثنا، حيث حققت حلمي ـ لأول مرة ـ وأمسكت يدها، ثم قبلتها، بل إنها في بعض حواراتنا علي الإنترنت كانت تقوم بتشغيل الكاميرا وهي تغير ملابسها، حتي وصل حبي لها إلي درجة الجنون، وأصبحت هي بالنسبة لي أقرب من نفسي، كنت أحكي لها كل أسراري الشخصية، وكنا في حواراتنا نتطرق لما سنفعله في حياتنا الزوجية، وكيف نرسم مستقبلنا معا.

استمررنا في هذه العلاقة لفترة طويلة، فكنت أخرج معها باستمرار، وكان كل زملائها ومن يسكنون معنا في المنطقة يعلمون بحبنا، وفي هذه الأثناء تقدم لخطبتها شخص من بلد بجوارنا، وعند هذه اللحظة انتابني القلق، وعلي العكس، وجدت منها لا مبالاة غريبة، فبدأت أضغط بكل قوتي علي أهلي للموافقة علي الارتباط بها، وفي الوقت نفسه كانت إجراءات خطبتها تسبقني بأقصي سرعة، لأن المتقدم لها كان يريد السفر للخارج، وأخيرا، وافق أهلي علي الارتباط بها، وكانت لحظة حاسمة بالنسبة لي، ولم تسعني الفرحة ساعتها، واتصلت بها لأبلغها بأننا سوف نأتي لخطبتها، فصدمتني بقولها إن والدها اتفق مع خطيبها علي كل شئ، فسألتها: وما الحل؟.. فقالت: انت لسه فاكر، كل شيء نصيب، فأخبرتها بأنني فعلت المستحيل لإقناع أهلي، ولكنني وجدتها وكأن الأمر لا يعنيها، وهنا أحسست بطعنة كبيرة في قلبي، تأكدت بعدما جاء والدها لأهلي، وأخبرهم أنه كان يتمني زواجنا، فلماذا تأخرنا، وبعد ضغط علي والدها من والدتي وافق الرجل، ولكن علق موافقته برأي ابنته، وكانت الصدمة الكبري أن جاء الرفض منها هي، علي الرغم من تعهدها مسبقا لي بأنها لن تكون لأحد سواي، وأصبحت في حالة ذهول، ودهشة، أسأل نفسي: ماذا حدث؟!

أيام قليلة يا سيدي، وتمت قراءة فاتحتها، وحضر أهلي، ثم جاءوا ليحكوا لي عن فرحتها بعريسها، وأنها لم تكن تحبني مطلقا، فأكل الغيظ قلبي، وشعرت بأنها كانت تستغلني، بل إن والدها زاد الطين بلة، عندما حكي لوالدتي ضغطه عليها لتقبل بخطبتي، وتترك العريس الآخر، ولكنها رفضت، لأن العريس المتقدم هو حلم حياتها، فلديه شقة معقولة، ويمتلك سيارة، بل وأبلغت والدها أنها لم تكن تحبني، وكانت تعاملني كأحد أقاربها فقط، وأنني صعبان عليها، وساعتها انفجر رأسي غيظا، كيف لم تكن تحبني، ولماذا سمحت بهذه العلاقة بيننا لفترة طويلة، إن لم تكن تحبني؟!..

وحدثتني نفسي بالانتقام منها، وهو ما حدث بالفعل، فكتبت رسالة ووضعتها علي سيارة خطيبها، حكيت له فيها كل ما كان بيني وبين خطيبته، بل وأخبرته إن كان يريد معرفة المزيد ان يحادثني علي إيميل خاص وضعته بالرسالة، وفعل، وأخبرته بكل شئ بالتفصيل، دون أن أفصح عن هويتي، بل وأرسلت له صورا لها في أوضاع لا تليق، ثم نصحته بأنها ليست الزوجة المناسبة له، وعليه أن يتركها، وعلي الفور ذهب خطيبها إلي والدها، وأخبره بكل شئ، وعلمت الفتاة أنني من أخبرته بكل هذا، وكذبت كل شئ حكيته له، وكبر الموضوع، وجاء والدها إلي والدتي، وضغطت عائلتي علي حتي اعترفت لخطيبها بكذب ما حكيته له، وأنا أبكي، حتي لا تحدث خصومة بين العائلات.

كنت آمل سيدي أن يتفهم خطيبها حبي لها، وارتباطنا ببعضنا البعض، ويتركها لمن أحبها، ولكنه ـ للأسف ـ صدقها، ووقع تحت تأثير جمالها، وأسلوبها الرقيق، وجاذبيتها التي لا يستطيع أحد مقاومتها، وتم بالفعل شبكتها، ومن يومها وأنا حزين في غرفتي علي ما ضاع!.

سافر خطيبها إلي عمله بالخارج، وانتهت الفرحة، وبدأ والدها في التفكير مرة أخري، هل ما فعله صواب؟.. وبدأ يجري مقارنة بيني وبين خطيب ابنته، فعلي الرغم من وضعه الذي يبدو أفضل مني، فإن كفتي ترجح في كل شئ، فأنا مؤهل عال، وهو مؤهل متوسط، وبالنسبة للوضع الاجتماعي أنا أفضل منه بمراحل، ولكن طلب العريس إجراء الخطبة بسرعة، لم يجعل هناك فرصة للتفكير، وبدأ الندم يظهر علي الرجل، بل ـ وكما علمت ـ علي ابنته أيضا، التي شعرت ـ متأخرا ـ أنها تحبني، وأنها تسرعت في هذه الخطبة، نظرا لأنها وجدت كل زميلاتها تمت خطبتهن، وهي لم تكن خطبت بعد، ثم بدأت المناوشات لكي ترجع المياه إلي مجاريها، ويصفو ما تعكر بيننا، ولكني ـ حتي الآن ـ أرفض ذلك تماما، عملا أولا بقول رسول الله(ص) لا يخطب أحدكم علي خطبة أخيه، ولأنني لا أريد أن أخطئ في حق نفسي ثانية، بعد الدرس الذي تعلمته، وكل ما يدور في ذهني حاليا هو وضع خطيبها وهو يتعرض لما يشبه الخيانة، مثلما تعرضت له سابقا، فهل أستمر سيدي في موقفي هذا، أم أنه القدر أراد أن يصلح ما انكسر؟!

< سيدي.. عندما تتراكم أخطاؤنا ونقرر البحث عن نافذة للهروب حتي نستريح، نلقي بالمسئولية علي القدر، وكأننا لم نختر ونقرر ونعصي ونحوم حول الحمي، ثم نقول إننا مسيرون والقدر هو الذي دفعنا إلي ذلك وحدد خطانا.

ما بني علي خطأ سيدي لن يقود إلا إلي خطأ أكبر، ولحظات السعادة المسروقة حتما ستفضي إلي لحظات أطول من الحزن والألم.

دخلت بيت أقربائك، رحبوا بك وائتمنوك علي شرفهم، فخنتهم.. فإذا كنت صغيرا وهي الأخري كذلك، فلا أعرف كيف كانت تفكر أسرتها، يخلون لكما الجو بالساعات، ويفتحون للشيطان كل الأبواب كي يكون ثالثكما، فهل كانوا يعتقدون أن هذا هو أفضل أسلوب للزواج؟.. وكيف يكون البحث عن الحلال علي يد الشيطان، وبألعاب الحب والدومينو؟ أين مروءة الأب أو حرص الأم؟ وهل يمكن أن يمنحا الثقة لشابين جاهلين يتحسسان الرغبة والاحتياج والغموض في مهدهما؟!.

لم تكتف أنت وحبيبتك بذلك، بل واصلتما معصيتكما عبر النت، تجردتما من الأخلاق مع الملابس أيضا، ولأن الشيطان تمكن منكما، ارتكبت جرما أكبر وسجلت لها، والأهل غافلون، لم يلتفتوا إلي كل التحذيرات من ترك جهاز الكمبيوتر آمنا في أحضان الصغار، ولا إلي كل الجرائم التي ترتكب باسمه ثم يفيقون متأخرا علي فضيحة أو جريمة يصعب درؤها.

والخطأ يجلب خطأ، فها أنت تستغل لحظات الحب لتصبح وسيلة لإرهاب حبيبتك وابتزازها بعد أن اختارت غيرك عندما تباطأت أسرتك في التقدم إليها. حتما لم تكن مشاعرها تجاهك حبا صادقا، كانت نزوة وخطيئة وعندما وجدت العريس الجاهز ذهبت إليه وطوت صفحتك، وما فعلته أنت لم يكن حبا لها، بل ثأرا لكرامتك لم تكن رجلا ولا أمينا ولا شريفا معها، مثلما هي لم تكن كذلك مع أسرتها ومعك أو حتي مع .وإنتقاما منها خطيبها الحالي.

سيدي.. تسألني رأيي الذي أعتقد أنه يوافق هواك، ابتعد عن تلك الفتاة، اتركها لخطيبها، حتي لو لم تكن له، فهي لن تكون لك، وستظل جراح الماضي تطارد مستقبلكما وستسئ حتما إلي صلة القرابة بين العائلتين.. فما حدث بينكما من الصعب أن يلتئم.. عليك أن تتخلص من كل ما بين يديك من رسائل وتسجيلات، وتب إلي الله واطلب عفوه ومغفرته حتي يرزقك بزوجة صالحة طيبة، ودع هذه الفتاة لاختيارها لعل الله يهديها به. أقصد كن رجلا بمعني الكلمة، وكن طيبا حتي تكون جديرا بفتاة طيبة فلا نصيب للخبثاء في الطيبات. وإلي لقاء قريب بإذن الله.

===

الظلم المركب

أنا زوجة وأم لابناء وبنات كبار اتموا تعليمهم، وعملوا، وتزوجوا، واستقلوا بحياتهم، وخلت الشقة علي أنا وزوجي، وكلانا بالمعاش.

ولأن الرحلة قد أنقضت بخيرها وشرها، فإنني لاأكتب لك شكوي من بخل زوجي، وإنما فقط لأمهد بما أرويه لك عن طبائعه، لما أريد مناقشته في نهاية الرسالة فزوجي قد حرمني طوال سنوات زواجنا من التمتع بمرتبي، وأجبرني علي انفاقه كله تقريبا علي البيت والأبناء وكانت مساهمته في نفقات الأسرة ضئيلة للغاية، وينفق معظم مرتبه علي ملذاته الشخصية من سجائر وأشياء أخري محرمة، وينفق بكرم علي أصدقائه وزميلاته ومعارفه، ويحرمني من أي مصروف، ولا يشتري لي شيئا علي الإطلاق، ولا يعرف كيف يجاملني في أي مناسبة، فإذا دعونا أحدا علي العشاء أصر علي أن تكون تكاليف العزومة مناصفة بيني وبينه، وأدفع النصف المفروض علي، ويظهر أمام الضيوف وكأنه حاتم الطائي، وكذلك فإننا إذا خرجنا معا لزيارة ابنتنا تكون المواصلات مناصفة بيننا، والمجاملات مناصفة كذلك حتي ولو كانت لشقيقته.

فهل يكون من العدل أن يحصل مثل هذا الزوج علي معاشي بالكامل بعد وفاتي، كما ينص علي ذلك القانون الجديد الذي يتحدثون عنه!.

أنني أتصور أن يحصل الزوج علي معاش زوجته بعد وفاتها بشروط واضحة وعادلة.

* أن يكون عائلا لأطفال أو أبناء لم يبلغوا سن العمل.

* أن يكون عاجزا عن الحركة أو مريضا.

* أن يكون معاشه ضئيلا لا يفي بالاحتياجات الأساسية له.. أما وأن يكون كزوجي يعيش بمفرده بعد زواج الأولاد، وفي صحة مقبولة، ومعاشه يساوي معاش زوجته تقريبا، ويحصل علي معاش زوجته بالكامل، فاعتقد أن هذا هو الظلم المركب، لأنه يكون قد ظلم زوجته في حياتها، وسوف يظلمها أيضا بعد وفاتها.

فلماذا لا يعاد النظر في هذا الموضوع، ولماذا لايعطي الزوج جزءا من المعاش حسب ظروفه التي أوضحتها والباقي يعود للدولة وذلك حتي لا نساعد مثل هذا الزوج، الذي يحصل علي معاش كبير، ولا يعول أحدا، وفي صحة جيدة. علي التصرف في هذا الدخل الكبير تصرفا ضارا به في هذه السن.

أنني لا أخشي الموت، بل أرحب به في أي لحظة حتي ألقي وجه ربي الكريم، لكني الآن أشعر بالأسف والظلم، ولن أكون راضية إذا حصل هذا الزوج علي أي مليم من معاشي.

ألست معي في أن هذا القانون سوف يظلم الكثيرات من الزوجات المضحيات مثلي، واللآتي لم يحصلن علي كلمة شكر واحدة في حياتهن من أزواجهن؟.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ومن أدراك يا سيدتي أنك ستسبقين زوجك إلي لقاء ربك، وأنه سوف يستمتع بمعاشك، وقد ينفقه فيما يضره في هذه المرحلة من العمر؟، ومن يضمن ألا يسبقك هو إلي العالم الآخر، وتحظين أنت بمعاشه وتعوضين به بعض بخله، وتقتيره عليك في حياته؟.

وهل بلغ بك السخط علي زوجك أن أصبحت تفضلين أن يذهب كل أو معظم معاشك إلي خزانة الدولة، علي أن يستمتع به زوجك البخيل من بعدك؟، وكيف يمكن تطبيق القواعد التي تقترحينها لصرف معاش الزوجة الراحلة للزوج، وبعضها يمكن التحايل عليه، ويفتح الباب للحيل والألاعيب والفساد؟.

لقد ظل الأزواج علي مدي أكثر من٥٠ عاما يطالبون بحقهم في معاش الزوجة الراحلة أسوة بما تحصل عليه الزوجة إذا رحل عنها زوجها، وكانوا يرون أن حرمانهم من نصيب الزوج في معاش زوجته الراحلة ظلم بين له، حتي استجابت الدولة أخيرا، وأعدت القانون الذي يسمح للزوج بنصيبه من معاش زوجته، والمؤكد هو أن المشرعين الذين أعدوا مواد هذا القانون لم يخطر لهم في بال أن تجئ المعارضة له من جانب بعض الزوجات اللاتي شقين بأزواجهن وحياتهن الزوجية، ويطلبن وضع ضوابط علي صرف معاش الزوجة الراحلة لزوجها لحرمان بعض الأزواج من أن يعيشوا في سعة بعد رحيل زوجاتهم. أن الفكرة رغم غرابتها تثير التأمل، وتدعونا لإحسان عشرة شريكات الحياة حتي لا ينتقمن منا بعد رحيلهن بحرماننا من معاشاتهن، كما تطالب كاتبة هذه الرسالة؟.. وشكرا لها!.

==

الظـــــالمون

بحكم عمل زوجي ننتقل بين المحافظات كل بضعة أعوام، ومنذ نحو ثلاث سنوات انتقلنا إلي إحدي محافظات شمال الصعيد لأتعرف علي بطلة هذه القصة، ولأكون إحدي المشتركات فيها ـ رغما عني ـ في بعض الأحيان.

فهي يا سيدي في أوائل الأربعينيات من العمر، جميلة، متدينة ومغلوبة علي أمرها في معظم حياتها. ولدت لأب يكره البنات، وأم قاسية في أحيان كثيرة، وحنونة في حالة مرض أطفالها فقط.. واستمرت حياتها هكذا حتي بلغت الثانوية العامة فأصر والدها علي عدم إتمام تعليمها ليزوجها بأي عريس يطرق بابها، ولكن مع توسط الأقارب والمعارف وافق علي إكمال تعليمها العالي علي مضض وبشرط أنها إن تعثرت في أي عام ولأي سبب فلن تكمل. المهم أنها أكملت تعليمها ورفضت كل من تقدم لها خلال هذه الفترة لأنه لم يحدث قبول أو لعدم التوافق الاجتماعي. لكن بعد انتهائها من التعليم طرق بابها رجل يكبرها بـ١٦ عاما ووافق والدها ـ ورفضته هي بشدة وإصرار ـ فما كان من نصيبها سوي علقة ساخنة ـ فهذه الزيجة لن تكلف والدها سوي حقيبة ملابسها وتم عقد القران واكتشفوا بعدها في العريس أخلاقيات لا يرضي عنها شرع أو مجتمع، فهو زير نساء يتعاطي المخدرات وجددت المسكينة رفضها فما كان من والدها إلا أن قال ما عندناش طلاق فأصرت علي الرفض ـ وكانت العلقة الثانية ـ وتزوجت المسكينة زواجا مشكوكا في صحته تزوجت من رجل لا يتذكر الله أبدا ـ ويعلم جيدا أنها ترفضه، فما كان منه إ

لا الانتقام لكرامته بحرمانها من حقها الشرعي ـ نعم فهو يحصل علي ما يحتاج بطريقته الخاصة طوال عشرين عاما لم يلتق بها سوي مرات معدودة ولسوء حظها فإن خصوبتها عالية جدا، ومن هذه المرات القليلة رزقت بخمسة من الأولاد والبنات ـ وقد أصابه الله بعجز جنسي كامل منذ١١ عاما يا سيدي وهي صائمة صابرة تحتسب جزءاها عند الله تعالي وتدعوه ليل نهار أن يلهمها الصبر وتعوذ به من الزلل، نسيت أن أذكر لك أنها ضبطته أكثر من مرة مع نساء في حجرة نومها وعندما تستنجد بأبيها يرسل لها أمها لتبلغها أنه لن يقبلها أو يقبل أبناءها

وعندما تطلب الطلاق يهددها زوجها المتبجح بأنه سيطلقها بفضيحة ويدعي أنه وجد معها رجلا في حجرة نومها فتخاف المسكينة وتنزوي وتخشي مما سيفعله هذا المفتري بها خاصة أنه دائما يعايرها بأنها لا أهل لها ولا سند ولا مدافعين عنها.
والآن يا سيدي وبعد عشرين عاما من الصبر فاض الكيل وطفح من سوء خلقه وفظاظته، فمنذ بضعة أشهر كانت القشة التي قصمت ظهر البعير حين سبها بأفذع الألفاظ وضربها واتهمها في شرفها وسمعتها، فنزلت إلي الشارع تبحث كالمجنونة عن محام ورفعت قضية خلع خرج المارد من محبسه يا سيدي وتزلزلت العائلة كلها لهذه الخطوة التي اتخذتها إنها لم تجد مساندا من عائلتها فلتبحث عنه إذن في الشرع والقانون ولكن أبي أهلها سوي أن يستمروا في غيهم وظلمهم فاتصلوا برئيسها في العمل ليتوسط لديها وذكروا له أن زوجها له كل الحق فيما فعل بها وهم يشهدون له بالصدق كما ذكروا له أنني أنا كاتبة الرسالة من حرضها علي خراب بيتها وأقسم بالله إنني بريئة من هذا الاتهام ـ فأنا يا سيدي أخشي الله ولا أجرؤ علي القيام بعمل هو من أعمال الشياطين ـ وساءت سمعة المسكينة في كل مكان ـ مثل صاحبة رسالة دخان بلا نار وقامت الدنيا حولها ولم تقعد حتي الآن وأصابتها أمراض الدنيا بسبب الضغط الفظيع عليها كل يوم لتتنازل عن القضية وهي رافضة ومتمسكة بهذه القشة التي تظن أنها ستصل بها لبر الأمان وتقول لي انها لا تتصور أن تعيش مع شخص يطعمها من حرام ويلوث شرفها .بادعاءاته كل يوم ولا تطيق رائحته

ـ سيدي أكتب لك هذه الرسالة بعد أن تحدث معها أحد عقلاء عائلتها ـ وحذرها من أن استمرارها في القضية سوف يضر بسمعة بناتها في المستقبل ـ لأننا في مجتمع ـ للأسف ـ لايقيم لأمر الله ولسنة رسوله وزنا ـ وقال لها هذا الرجل إن كلامه وضغطه عليها للتنازل ليس من الشرع في شئ ولكنه يحثها لينبهها للخطر المحدق ببناتها في المستقبل.. وهي الآن ياسيدي في موقف لا تحسد عليه. فهي متمسكة بالقضية لأنها ملاذها الوحيد بعد الله ـ ولكنها في الوقت نفسه تخشي الفضيحة علي طفلتها، فنحن في مجتمع ظالم ـ نسي فيه الناس أن الله لا يرضي الظلم ـ إن رئيسها في العمل يقول لها اما أن تتنازل عن القضية أو فلتتقدم بطلب نقل من إدارته ـ وزملاؤها الذين عاشروها ويعرفونها جيدا لم يدافعوا عنها وإنما تخلوا عنها ولاكو سيرتها علي ألسنتهم، بل الأسوأ أن بعض زملائها يعرض عليها خدماته غير الشريفة والآخرون يريدون محادثتها تليفونيا ـ والمسكينة لا تستطيع البوح بكل هذا ـ فلن يصدقها أحد ـ بل ستزيد الطين بلة إن هي تكلمت ـ وحسبنا الله ونعم الوكيل.
سيدي أكتب إليك رسالتي وأنا أعلم أن والدها من قراء بريدكم الدائمين ـ فذكره بأنه لم يطبق سنة رسول الله في أن يختار لابنته من يرضي دينه وخلقه ـ كما أنه أجبرها علي زواج لا ترضاه وتخلي عنها فذكره بأن عقاب الله شديد وليتصل برئيس ابنته في العمل ويصحح صورتها عنده لأن ابنته ليل نهار تدعو الله أن يريحها بالموت ـ وعندما أقول لها أن تدعو الله أن يبلغها رمضان تقول أنا عايزة أموت ـ كما أرجوك أن تذكر أخواتها أنها أختهم الوحيدة التي تخلوا عنها منذ البداية ـ فليحسنوا إليها الآن وليقفوا بجوارها في محنتها يا سيدي الظلم شيء بشع وأنا متأكدة أنها مظلومة ولولا هذا ما صادقتها لأن سمعتي من سمعتها وأنا أعلم أنه لا غبار عليها وأن البقعة السوداء الوحيدة في حياتها هي هذا الزوج الذي أجبرت عليه ولم يراع الله فيها أو في أبنائه ـ بالطبع فإنه عندما يتعمد الإساءة إلي الأم فهو يسيء إليهم أيضا لكن للأسف فإن المخدرات قد دمرت عقله ولم يعد يقيم للأمور وزنا، وإن كانت هذه هي أخلاقه من الأساس.
أما عن حقي أنا والاتهامات والإهانات التي وجهت لي ظلما وعدوانا ـ فأنا لا أقول إلا ـ حقي عندك يا ربي. وحسبنا الله ونعم الوكيل
أريد منك أخيرا يا سيدي أن تفكر معنا هل تستمر في قضيتها أم تتنازل عنها رغم كل ما قلته لك؟ مع العلم أني لم أذكر كل فظائعه وفضائحه.
مع ملاحظة أن أبناءها الثلاثة الكبار يضغطون عليها بشدة لتتنازل عن دعوي الخلع ولا يقدرون مدي معاناة أمهم ـ علي الرغم من أنهم سمعوا ورأوا بأعينهم الكثير من فضائح أبيهم ـ فقل لهم أن يتقوا الله في أمهم ويخففوا الضغط عنها.

سيدتي.. لو كانت صاحبة تلك المشكلة هي التي كتبتها، لتوقفت كثيرا أمامها، ولاعتقدت أنها من أولئك الذين }} يعانون من الإحساس بالاضطهاد. ففي سيرة حياتها كل الابتلاءات، وكل عيوب مجتمعاتنا مجتمعة. فهي ابنة لأب يكره إنجاب البنات، وأم قاسية في أحيان كثيرة. أكملت تعليمها بصعوبة، وتزوجت من رجل فيه كل الصفات السيئة، وأنجبت بالمصادفة خمسة أبناء، وعندما أرادت الطلاق، وقف الجميع في وجهها، أسرتها وأبناؤها، ورئيسها في العمل، وزملاؤها لم يخجلوا من مطاردتها.
ما كل هذا البلاء والابتلاء؟.. هل هذه هي الصورة الحقيقية، أم أن هناك وجها آخر للحكاية؟!.. علي كل ليس أمامي إلا التسليم بما أتيت به ومناقشته، وإن كنت أشك في أن أي طرف في هذه المأساة، يمكن أن يتحمل عذاب ضميره، وأن يواجه ربه في هذه الأيام المباركة، بعد أن يري آثار جريمته علي تلك السيدة المسكينة.

سيدتي.. دعيني أبدأ من النهاية وأرد علي أسئلتك وأسئلتها بكل الحسم، واصلي رحلتك مهما كانت الصعاب للحصول علي حريتك، فالذين يدفعونك للاستمرار، لم يعيشوا معك قليلا من عذابك الكثير.. والحياة مع مثل هذا الرجل، بكل مشاعر الكراهية والغضب التي تكنينها له قد تقودك في النهاية إلي قتله، أو إلي حافة الجنون. فلا تتراجعي عن موقفك، وإذا احتجت إلي محام لمساعدتك في القضية أرجو الاتصال بي، وليتك فعلت ذلك مبكرا، فطالما لم يكن وفاق ففراق. والحق كله ــ كما جاء في الرسالة ــ معك، وكما قال الإمام علي بن أبي طالب: قليل الحق يدفع كثيرا من الباطل، كما أن قليل النار يحرق كثير الحطب.

سيدتي.. لن أوجه كلماتي لهذا الزوج، لأنه لم يراع الله في تصرفاته منذ زواجه بك، ولم يفهم أمره سبحانه وتعالي وتوجيهه في الإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان. فهل يمكن له أن يفيق الآن وهو في قلب الشيخوخة، لعل الله يقبل توبته، ويتذكر نصيحة النبي محمد صلي الله عليه وسلم: اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب. لا أعرف سيدتي، ماذا أقول لهؤلاء الظالمين، هل أذكرهم بقوله سبحانه وتعالي: ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، وقوله في كتابه الحكيم: إنه لايحب الظالمين هل يرتدع والدك ويندم علي ما ارتكبه في حقك، ولا ينكر خطيئته، فيمد إليك يده قبل أن تسقطي، وهل يسارع اخوتك بنجدتك فـ

ليس أخي من ودني بلسانه

ولكن أخي من ودني في النوائب

وهل يتذكر جيرانك ومجتمعك أن كل المسلم علي المسلم حرام: دمه وماله وعرضه فيتوقفون عن الإساءة إليك.. وهل يكف رئيسك عن اضطهادك لو تخيل ان ابنته قد تتعرض لما تعانينه؟.. أما زملاؤك الذين تدنت نفوسهم فأرادوا أن ينهشوك في لحظات ضعف واحتياج، ماذا يمكن أن يفعلوا إذا عرفوا أن زملاء لزوجاتهم أو لبناتهم أو لشقيقاتهم يفعلون معهن نفس الشيء، فمن أعمالهم يسلط الله عليهم.

أما أنت أيتها الصديقة، الكنز الحقيقي في تلك المأساة.. أنت طاقة النور والأمل، المكافأة والسند الذي جاء بهما الله علي تلك السيدة، فلا تخذليها وكوني عونا لها علي من ظلمها، وشاركيها الدعاء حتي يذهب البلاء بإذنه، الكريم الغفار، المنتقم الجبار.. وإلي لقاء بإذن الله

==

...... رسالة(الشعيرات البيضاء)..الرسالة دي لازم هتهزك

قرأت رسالة رحلة القطار تساقط دمعى على صفحة الجريدةوتمزق قلبى الما وعطفا على هذا الشاب الصابر المؤمن والذى ظلمه شقيقه واذاه ودفعتنى هذه الرسالة المؤلمة الى ان اروى لك وله قصتى مع الحياة ليعرف منها كاتب الرسالة ما اردت ان اقوله ، فانا ياسيدى رجل نشأت فى اسرة بسيطة مكونة من اب عامل باحدى الشركات وام طيبة و٣ فتيات وولدين انا اكبرهم وكان بيتنا الذى نشأنا فيه حجرة فى شقة من ٤ حجرات تقيم فى كل منها اسرة بأكملها وكان عدد اطفال الشقة ١٨ طفلا يلهو صغارهم فى صالتها ويذاكر كبارهم دروسهم ورغم ذلك فقد حصلت على الاعدادية بمجموع كبير

يؤهلنى للدراسة الثانوية وكانت امنيتى ان التحق بالجامعة لكن جيراننا الطيبين دعونى الى غرفتهم وحدثونى بعطف عن ظروف ابى وضرروة ان اختصر تعليمى لاعاونه فى حمل المسؤولية فشكرتهم وعدت الى حجرتى فوجدت ابى يتجنب النظر الى وهو خجلان وتقلبت ظروفى وقدمت اوراقى الى المدرسة الصناعية وكانت مدرسة عسكرية فحمانى زيها الموحد من العرى ورثاثة المنظر وبعد عام نجحت شقيقتى فى الاعدادية وتكررت معها نفس القصة لكنها كانت اقوى منى فتمسكت بالتعليم الثانوى واستعانت بى فاندفعت اؤيدها واقول انى سأساهم فى نفقات تعليمها .. وكنت قد بدأت وقتها اعمل فى احدى الورش بعد المدرسة ثم تكررت نفس القصة بحذافيرها مع شقيقتى الاخريين فى دوريهما اما شقيقى الوحيد هو اصغرنا جميعا وآخر العنقود فقد كان مشاغبا متبرما سريع الشكوى ولا يعرف التنازل عن مطالبه فجاءنى بعد الاعدادية وقال لى ساتعلم فى الجامعة واتخرج !مهندسا فتصرف

فضحكت وتصرفت فعلا وقدمت اوراقه للثانوى وكنت قد تخرجت فى المدرسة الصناعية وعملت باحدى شركات حلوان فأعمل حتى المساء ومضت عدة سنوات واحيل ابى الى المعاش فانخفض مورده واصبح ما يكسبه هو المورد الاساسى للاسرة وفى هذه الفترة كان رفاق الصالة قد كبروا وتفرقوا بين المدارس والمعاهد ومن بينهم كانت نفسى تهفو الى فتاة هادئة الطباع حلوة المعاشرة فنشأت بينى وبينها قصة حب شريف لا يعبر عن نفسه غالبا الا بالعيون وتبادل الاهتمام وكانت تواصل دراستها الجامعية فلم تتغير ولم تحلم بالارتباط باحد غيرى . فأستقر حبها فى اعماقى

وكنت فى سن الرابعة والعشرين حين جاء من يخطبها ففزعت الى تسألنى ما العمل فحدثت امى وابى فى هذا الموضوع .. فوافقانى على خطبتها لكنى احسست انهما يوافقان بلا حماس ليكلا يظلمانى وانهما فى اعماقهما يتمنيان لو آخرت هذا الارتباط حتى يخف العبء ولم يقل لى احد لكنى احسست وكانت فتاتى تعرف الحال فلم تقس على كثيرا وخطبت وشاركت فى فرحها ولم يخف ذلك على امى فبكت وقالت لى : ظلمناك فى الاول . والاخر

ومضت الايام بطيئة وصعبة وكانت شقيقاتى اكثر تقديرا لظروفى فلا يطلبن منى شيئا الا اذا لم يكن منه بد، واسارع بتلبيته مهما كان وقد حفرت الحياة بينى وبينهن حبا عميقا فكنت اخاهن وصديقهن ومستشارهن فى كل امور الحياة .. اما شقيقى المتنمر .. فكان لا يعرف الصبر فاذا اراد حذاء جاءنى وقال لى بكبرياء وبلهجة لا تعرف فيها المزاح من الجد وكنت اضحك واجد نفسى مضطرا للاعتذار له عن تأخيرى فى اى طلب يطلبه منى.
وهكذا مضت حياتنا صعبة ولكن يظللها الحب والتسامح وكانت جلساتنا معا امتع من اى شى اخر الى ان مات ابى رحمه الله راضيا وداعيا لنا جميعا وبعدها بشهور تخرجت اولى شقيقاتى واشتغلت عن طريق احد زبائنى فى الورشة وارادت ان تساهم فى مصروف البيت فقلت لها يكفيها ان تلبى مطالبها الشخصية وتدخر من راتبها للزواج ثم تخرجت الثانية والثالثة وعملتا فى بعض الاعمال المؤقته وتوفى صاحب الورشة الذى عملت معه ١٦ عاما ولم يكن له ولد فقررت ارملته بيعها بسبب بعض المشاكل مع الضرائب وعرضت على شرائها بمبلغ معقول لكنه لم يكن متوافرا فعرضت على دفع اى مبلغ وكتابة شيكات مقسطة بالباقى لكى تضمن دخلا مستمر لعدد من السنين وحصلت على اجازة بدون مرتب وتفرغت للورشة ومع ذلك فلم تتحسنت احوالى المادية لان قسط الورشة كان يلتهم معظم الدخل ومع ذلك فواصلت كفاحى..
وبعد عامين حققت حلم اسرتى بنقلها من الشقة المشتركة الى شقة مستقلة لاول مرة فى تاريخها استعدادا لمن يأتى طلبا لايدى شقيقاتى الثلاث واحتفظت بالغرفة التى شهدت كفاحنا ولم يمض كثير حتى جاء من يخطب كبرى البنات ثم التى تليها وتم زواجهما والحمد لله خلال عام واحد وقمت بواجبى .. ولم اخف على زوجيهما شيئا عن حياتنا وبلغت السادسة والثلاثين من عمرى واكتشفت ان شعيرات بيضاء تسللت الى شعرى ففكرت فى الزواج وكان قلبى مازال يهفو الى رفيقة الكفاح القديمة وكنت استقصى اخبارها دائما من اسرتها واسعد بما يسعدها واشقى بما وكانت معظم اخبارها حزينة لان زوجها مرض بمرض مستعص فتقبلت اقدارها وراحت امى تلح على فى الزواج.. وكان اخر من عمل شقيقى المشاغب الذى وفقه الله فى العمل فى هيئة مهمة لا اعرف كيف استطاع العمل بها واستشرت اختى الصغرى فى موضوع زواجى وعرضت على شقيقتى احدى صديقاتها وكان شقيقى الاصغر فى الخارج وقلت له انى اريد رأيه فى شىء هام فاذا به هو ايضا يريدنى فى شىء هام .. وانطلق يروى بطريقته المباشرة انه يحب زميلة له فى العمل وان خطابها كثيرون ولا تستطيع الانتظار حتى يدخر ما يحتاجه لتوفير شقة..لهذا فهو يريد الزواج والاقامة معنا فى الشقة حتى يتسلم شقة النقابة بعد عدة سنوات. وطلبت منه ان يعطينى مهلة للتفكير وبعد انصرافه اصرت امى على الرفض .. وعدت فى المساء فقلت له مبروك ياخنزير! فانفجر ضاحكا وهجم على يقبلنى وتزوج اخى فى شقتنا وجاءت العروس فاستقبلناها احسن استقبال وعدت انا وامى واختى فى غرفة واحدة لتخلو الشقة لجهاز العروسة واسرتها وضيوفها..
ولم تخل الحياة بالطبع من بعض المشاكل التقليدية والبسيطة بين الام وزوجة الابن والشقيقة.. لكنى وضعت الامور فى حجمها الطبيعى مذكرا امى واختى بأننا قد احتلمنا من قبل عشرة الاغراب فعلى الاقل نحتمل عشرة من اصبحت من اسرتنا .. وتزوجت اختى الاخيرة وانتهى بزواجها اخر مسؤولياتى العائلية واصبحت لى ٣ بيوت اذهب لزيارتها فاستقبل فيها بالحب والاحترام فاذا بأمى تطلب وتصر على ان تعود للاقامة فى غرفتنا القديمة الى ان يتسلم شقيقى شقته ويرحل بزوجته بسلام واحترت ماذا افعل وكيف اتركها وحدها فى الشقة المشتركة وحاولت اثناءها فاصرت وادركت انا الموقف فقررت ان اقيم معها وابلغت اخى بذلك فجاء مسرعا وحاول استرضاء امى ولكنى قلت له من باب الوفاء ان يصطحب زوجته معه فى الزيارة القادمة لتسترضيها بكلمتين وينهى الموضوع فهز كتفه وسكت ومرت ايام ولم تأت زوجته فسألته عن السبب ففوجئتبه يقول انه لا يريد احضار زوجته الى الشقة المشتركة فتتعال عليه او تعيره بهم واحسست بألم شديد يشق صدرى ولم اشعر بنفسى الا ويدى ترتفع وتصفع شقيقى الوحيد لأول مرة فى حياتى .. ففوجىء مفاجأة قاسية ووجدت نفسى انفجر نعم اضربك من تظن نفسك الخ وانتهى الموقف الغريب فهدأت واحسست بالندم لانى صفعت شقيقى وهو رجل متزوج فبكيت طويلا بعد انصرافه ونمت ليلة من اتعس الليالى وفى اليوم التالى كنت معكر المزاج فى الورشة وام اطق صبرا على ذلك فغيرت ملابسى وتوجهت الى الشقة الجديدة واستقبلتنى زوجته بترحاب رغم علمها بما حدث وكانت دائما تعاملنا معاملة طيبة وانتظرته الى ان جاء وهممت بان اقبله واعتذر له لكنه تجافى عنى ودخل غرفة النوم واغلق بابها وشعرت بالخجل فانصرفت وعشت اياما مكتئبا وشكوت لشقيقاتى فلمنه لكنه رفض ان يزورنى فى الورشة او فى الغرفة وعز على ان اكرر التجربة واذهب اليه فيعرضى للمهانة مرة اخرى.
وبدأت الومه بينى وبين نفسى .. اليس لى عنده اى رصيد من المودة والرحمه يجعله يصفح عن خطا واحد ارتكبته فى حقه وكيف نتخاصم ونحن شقيقان.
ومرت اسابيع واقترب موعد ولادة زوجته فترقبت الاخبار حتى جاء يوم كنت اعمل فى اصلاح سيارة ومشغولا بها حين رفعت رأسى فجأة فوجدت شقيقى قادما يقترب ن الورشة وهو متجهم فانلخع قلبى ووقف صامتا دقيقة مرت كأنها سنة ثم قال فجأة فلانة اى زوجته انجبت ولدا وسميته باسمك ثم استدار وانصرف! واستوعبت المفاجأة بعد لحظات فصرخت بأعلى صوتى : استنى ثم هرولت اليه بكل شوق العمر واحتضنته وقبلته وعدت به للورشة وانا اقفز فوق الارض من الفرح واحضرت صندوقا من المياة الغازية احتفالا بأول ولد سيجعل منى عما واصطحبت امى واشتريت هدية كبيرة وذهبنا الى المستشفى وقبلت ابنه ونهضت فاصطحبته معى الى البيت

سعيدا وهو يقول لى هاقد انجبت لك ولدا لتصربه بدلا منى فقلت له توبة مع الان معك او مع غيرك وعاد الوئام بيننا وسعدت اسرتنا المكافحة وجاء شهر رمضان هذا العام ونحن على اسعد حال وقد افطرنا جميعا اول لياليه. وجاءت زوجته فى غرفتنا المتواضعة.

وقد بلغت سن الثلاثين ولم اتزوج بعد ومازلت اسدد اقساط الورشة التى ستنتهى خلال عام ومازلت اقيم فى الغرفة القديمة فى انتظار شقيقى ان يحصل على شقته.

الا ان القطار لم يفتنى كما تقول امى وهى تمسك بالشعيرات البيضاء فى جانب رأسى فلقد عقد قرانى على مديحة التى حال الفقر دون الجمع بيننا منذ ١٤ سنة بعد ان عادت الى قواعدها سالمة عقب وفاة زوجها رحمه الله منذ ٣ سنوات وهكذا تقسم الحياة الانصبة بين الناس فيأخذ هذا شيئا ويحرم هذا من شىء اخر .. لكن لا شىء فى الدنيا اكبر من ان تعيش وتتحرك وسط من تحبهم ويحبونك الحب الصادق.

ولكاتب هذه الرسالة اقول:

سئل اديب كبير عن تعريفه للأدب العظيم فقال ان الادب الذى تخرج من قراءته وانت اكثر طيبة واكثر نبلا وانه الادب الذى تحس به بعج ان تنتهى منه بأنك قد صرت انسانا افضل وبأن رغبتك فى ان تكون اكثر عطفا وانسانية وتفهما فى علاقاتك مع الآخرين وقد ازدادت كثيرا عنها قبل ان تقرأه!

ان بعض الناس قادرون على العطاء وعلى التماس الاعذار للآخرين والتعامل معالجانب الطيب فيهم وانت منهم لهذا فانى اقول لك ان شعيراتك اليضاء ليست انعاكسا لمر السنين وانما هى انعكاس لبياض سريرتك الناصعة البياض.. ومن كان كذلم قد يبيض شعره احيانا لكنه يطالع الدنيا دائما شابا محبا للحياة والخير والبشر حتى نهاية العمر .. فهنيا لك سرمك النفسى وحكمتك الفطرية وقدرتك على العطاء .. والتضحية والايثار ولك كل احترامى ومودتى

==

الجـــوائز

هل تذكرني ؟ .. لقد كتبت إليك منذ عام ونصف العام رسالة طويلة أروي لك فيها قصتي مع زوجي الذي ظلمني .. واستجاب لتحريض إخوته ضدي وطلقني .. رغم دموعي وتوسلاتي له ألا يستجيب لهم .. إلى حد أني قبَّلت يده أمامهم في مجلس الطلاق .. وقلت له أنت زوجي أنت رجلي لا تسمع لمن لا يريدون لك الخير .. فكانوا كلما لاح لهم أنه سوف يلين أو يتذكر العشرة يتطاير الشرر في عيونهم كأنما مسهم الشيطان وينتحون به جانبًا ويطالبونه بألا يضعف .. وأنا أبكي – وأؤكد له أن كل ما بيننا يمكن التفاهم عليه وأنه لا شيء يستحق الهدم والطلاق الذي هو أبغض الحلال إلى الله .. وهم يتقافزون حوله كالمُردة والشياطين ويشحنونه ويحذرونه إلى أن ضعف لهم وأجرى الطلاق . ورأيت الفرحة الآثمة في وجوههم جميعًا .. والشماتة في القلوب السوداء مع أني لم أسئ إلى أحد منهم .. وإنما ظلموني واتهموني بالعقم وسكتُّ على ظلمهم وترددت على الأطباء للعلاج الذين كانوا يؤكدون لي أني سليمة وأن العيب ليس من جانبي وعزَّ عليهم أن يصدقوا ذلك وجاراهم هو في هذا الظلم ، حتى أفسدوا الحياة بيننا .. وجاءوا معه يوم الطلاق سعداء كأنهم في عيد وأنا لا أصدق أننا قد وصلنا إلى هذا الحد .. حتى فوجئت بالأحقاد وتهللهم لهدم البيوت .. فسلمت أمري لله .. وتكاثروا عليَّ وأنا وحيدة وليس لي أب ولا أخ يدافعان عن حقوقي .. فأخذ زوجي كل حقوقي وراح يقول هنا وهناك أنني تنازلت بمحض إرادتي عنها .. ولقد تنازلت عنها فعلاً بعد أن يئست من رجوعه عن الطلاق ولكن ليس بمحض إرادتي وإنما تنازلت يأسًا وكمدًا .. وضعفًا .. وقد قرأت لك في ردك على إحدى الرسائل حديثًا شريفًا يقول "أن ما أُخذ بسيف الحياء فهو حرام" فهزتني هذه العبارة .. لأن ما حرمني منه زوجي .. قد ناله بسيف الحياء والضعف وقلة الحيلة .. فأخذوا كل شيء حتى ملاءات السرير والفوط التي دخلت بها وغادرت بيتي مرغمة وهو يتفرج عليَّ مع إخوته المحرضين الذين وقفت بجوراهم جميعًا ولم أقصِّر تجاه أخ منهم .. وخرجت وأنا كسيرة وذليلة ولا أصدق أن العشرة قد هانت على شريك حياتي بهذه السهولة وانحفر هذا اليوم الأسود في ذاكرتي فلم أنسه أبدًا .. وما زلت كلما تذكرته أردد حسبي الله ونعم الوكيل ، وبعد شهور من الطلاق كتبت إليك تلك الرسالة ورويت لك ما حدث .. وقلت لك فيها أني منذ طلاقي أشعر أنني بلا وطن .. لأن زوجي هو وطني ، واخترت أنت هذه العبارة ونشرتها بعد عدة شهور بعنوان "كلمات في البريد" وعشت أنا "أجتر أحزاني" وأحرص على قراءة بريد الجمعة .. وأتعزَّى بكلامك الجميل عن المظلومين .. ودعوتك لهم ألا ينتقموا من خصومهم .. لأن عدالة السماء لا تغفل وسوف يرون بعد قليل جثث ظالميهم طافية فوق الماء وكم أعجبت بالكلمة التي استشهدت بها لكاتب إنجليزي – أو فرنسي لا أذكر تقول "ما الحزن إلا مقدمة للسرور" ، وبالكلمة التي قلت فيها أن الحرص على استمرار الحياة الزوجية لابد أن يكون متكافئًا بين الطرفين لأنه إذا تمسك به طرف إلى النهاية بغير أن يبادله الطرف الآخر الحرص يصبح مذلة وهوانًا .. كما أعجبت بباقي ردودك المؤمنة بالله وبالعدل الإلهي .

ولقد انتظرت السرور الذي يجئ بعد الحزن .. وانتظرت عدالة السماء وطال الانتظار لكني لم أفقد إيماني بالله أبدًا .. ثم بدأت أرى انتقام العزيز الجبار من كل من ظلمني وافترى على امرأة ضعيفة لا حول لها ولا قوة مثلي .. فأما زوجي الذي قبَّلت يده وذرفت دموعي فوقها لكيلا يخذلني أمام إخوته .. فلقد أراد أن يتزوج من امرأة ثرية متبرجة .. متحررة .. منطلقة فلعبت به فترة ثم رفضته أمام كل زملائه وأهانته قائلة له كيف تتصور أني أتزوج

من موظف شحاذ مثلك ؟ .. ثم حاول بعد ذلك الزواج من أخرى .. وأخرى ، لكن ربك كان له بالمرصاد وفشلت كل مشاريعه ، الواحد تلو الآخر .. وأما الأخ الذي كان أكثر المحرضين تحمسًا وتحريضًا .. وكلما رأى أية بادرة صلح يوم الطلاق .. جرى هنا وهناك .. وأمسك أذن أخيه يضخ فيها السم ويحذره بأنه لو تراجع في نيته فلن يكون رجلاً .. وسوف .. وسوف .. هذا الأخ الذي كان متهللاً وسعيدًا بعد الطلاق كأنه يوم عيد ، فقد عرف الجميع في مناسبة أخيرة أنه لا حول له ولا قوة مع زوجته التي تملك كل شيء .. وأنه مغلوب على أمره معها ولا يستطيع أن يرفع صوته عليها مهما قالت أو فعلت وإلا كان مصيره الطرد وعرفوا الآن فقط أنه إنما كان ينفس عن القهر الذي كان يحسه تجاه زوجته في تحريض شقيقه عليَّ .. وأن سر تكراره لعبارة كن رجلاً في حديثه لأخيه لكي يطلقني هو أنه محروم من أن يكون رجلاً مع زوجته الحاكمة بأمرها في حياته والتي تملك كل شيء .. ولا يملك هو شيئًا .. وسبحان من يكشف الأسرار أما أنا .. فلقد مضت أيامي .. ودعائي في صحوي ومنامي هو حسبي الله ونعم الوكيل .. إلى أن هدأت نفسي قليلاً وتصبرت .. وسلمت بما حدث .. ورحت أتطلع إلى رحمة الله .. فإذا بجائزة السماء التي تتحدث عنها كثيرًا في ردودك تهبط عليَّ بغير انتظار في شخص إنسان كريم حنون محترم ، استراحت نفسي إليه ووجدت عنده شفاء لكل جروحي فتزوجته ولست أحلم بشيء سوى بأن أعيش مع إنسان يرعى الله في معاملتي ويعطيني من الحب والحنان والرعاية نصف أو ربع ما أعطيه .. فإذا بزوجي الحبيب يغدق عليَّ من حبه وعطفه وحنانه . ويعطيني كل شيء .. ما حلمت به وما لم أحلم .. وإذا بناصر المظلومين يغير من حالي إلى الأفضل في كل شيء .. في كل شيء ، فبدلاً من الشقة المتواضعة التي كنت راضية بها وبكيت حين طردت منها .. أعطاني الله شقة تعد قصرًا بالقياس للشقة الصغيرة المتواضعة البائسة التي بكيت عليها .. وبدلاً من الأثاث البسيط الذي كنت سعيدة به أعطاني الله أثاثًا جميلاً فاخرًا تتيه به أية امرأة وبدلاً من أشيائي التي اغتصبها مني زوجي السابق وجدت في شقة زوجي الحبيب كل الكماليات .. وكل ما أريد .. ومن كل شيء اثنين .. اثنين .. حتى التليفون ، ووجدت أهم من كل ذلك الحب والحنان .. والعطف والكرامة أما جائزة ربك للمظلوم الذي يقول في الحديث القدسي .. "وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين" فهي أني يا سيدي حامل في شهري الرابع والحمد لله والشكر له والحمل طبيعي وبلا أية متاعب ولم يطلب مني الطبيب أية احتياطات غير عادية .. وهكذا جاء نصر الله على من اتهموني بالعقم وأساءوا إليَّ وتحملت اتهاماتهم لي ٨ سنوات رغم أن هذا الجنين كان أمنية لي منذ أول يوم لزواجي .. وأنا الآن أسعد إنسانة في الوجود مع زوجي الحبيب .. وقد وعدني – أكرمه الله – بأن نؤدي معًا فريضة الحج بعد أن أضع مولودي بإذن الله . وقد كتبت لك هذه الرسالة لتسعد معي .. كما كتبت لك من قبل عن تعاستي ولكي تقول لقرائك أن رحمة الله واسعة فلا تيأسوا من رحمة الله ولكي تحذرهم من أن يظلموا غيرهم لأن من يظلم آخر هو إنسان غبي في الحقيقة لأن الله سبحانه وتعالى سوف يقف بجانب المظلوم ويدافع عنه ويقتص له خير القصاص والسلام عليك وعلى قرائك ورحمة الله وبركاته

===

الجوانب المضيئة

قرأت لك في ردودك علي رسائل قرائك أن الإنسان لديه ميل غريزي للرثاء لنفسه،ولقد كانت هذه هي المرة الأولي التي أقرأ فيها عنه، فتوقفت أفكر في أمري واتساءل هل يكون ما أشعر به وشعرت به معظم فترات حياتي، هو من أثر هذا الميل الغريزي؟

ولكي تعنيني علي الاجابة علي هذا السؤال أريد أن أروي لك قصتي مع الحياة، فاقول لك إني شاب أبلغ من العمر الآن٣٣ عاما، حرمت من حنان الأم وأنا طفل صغير عمره٤ سنوات، وكان والدي وقتها مازال طالبا ويقيم معظم السنة في المدينة البعيدة حيث يدرس ولا يرجع إلي زوجته وطفله إلا في شهور الاجازة الصيفية فلا يبقي لي حضن طوال العام سوي حضن أمي، ووجدتني وأنا في هذه السن الصغيرة قد حرمت منه، وعجز عقلي الصغير عن فهم سبب غيابها عني غير أن الاطفال الذين لايحترسون لكلماتهم تولوا مصارحتي بالحقيقة المريرة وهي أنها قد ماتت ولن ترجع مرةأخري أبدا ولست أذكر الآن كيف تقبل عقلي وقتها هذه الحقيقة المؤلمة، لكني أذكر أن مسئوليتي قد انتقلت بعدغياب أمي، إلي جدتي وأنها قدعوضتني بعطفها عن حنان أمي المفقود فتعلقت بها بشدة وتمتعت في كنفها بالحب والرعاية والحنان، إلي أن رجعت من مدرستي ذات يوم وأنا تلميذ في السنة الخامسة الابتدائية فشهدت حركة مريبة في البيت وسمعت نواحا وصراخا.. ورأيت شقيقتي تبكي فادركت بحاستي أن أسرتنا قد شهدت حادث غياب جديد وصرخت هلعا حين عرفت أن جدتي قد تركتني هي الأخري.

وتلفت حولي ابحث عن أم أخري لي.. فوجدت شقيقتي الكبري التي لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها وتزوجت بالرغم من صغر سنها قبل شهور، تحتضنني وتقوم عني مقام الأم بالرغم من اعتلال صحتها بسبب الحمل المبكر، فأحببتها كما أحببت كما أصيبت من قبل أمي وجدتي، ودعوت ربي أن يهبها الصحة وطول العمر لكي أنعم برعايتها للنهاية ثم حانت ساعة ولادتها وذهبت إليها في العيادة لأزورها واترقب مجئ مولودها إلي الحياة، فاذا بولادتها تتعسر وإذا بها تلفظ انفاسها الأخيرة خلالها، وإذا بي ابتلي بفقد الام من جديد وانتقلت رعايتي بعد ذلك إلي السيدة التي تزوجها أبي وكانت لم تنجب منه بعد فكانت علي خلاف الشائع في اوساطنا عن زوجة الأب، أما رحيمة لي وتقدم نفسها للآخرين علي أنها أم فلان أي أمي ثم انجبت طفلا فاصرت علي التمسك

بتسميتها الأولي، مؤكدة للجميع انني ابنها البكري، وفي كنف هذه السيدة الطيبة تمتعت بالحنان والعطف الصادقين غير ان عمر السعادة لايطول كثيرا في حياتي ياسيدي فلقد فقدتها هي الأخري بعد بضع سنوات، ورحلت عن الحياة صغيرة وبكيتها بدموع سخينة وتمنيت لو كانت زوجة اب قاسية لكيلا يوجعني فراقها كما اوجعني.

وبالرغم من كل شيء فقد واصلت الحياة واجتهدت بقدر الامكان في دراستي وتحملت ظروفي الخاصة من عيب في النطق كان يعرضني كثيرا لسخرية زملاء الدراسة ورفاق الصبا إلي ضعف السمع الذي كثيرا ماعرضني للمواقف المحرجة إلي مرض في العينين لاشفاء له إلي اعتلال طفيف ظهر أخيرا في الكبد ولاأعرف إلي أين ستقودني مضاعفاته إلي مشاكل لاحصر لها مع والدي لا أريد الاشارة إليها احتراما وحياء مني إلي صدماتي العاطفية أكثر من مرة كشاب بسبب ظروفي الاجتماعية والمادية.

وبالرغم من كل ذلك فالحياة تسير وهناك جوانبها المضيئة ايضا فلقد تخرجت وعملت بوظيفة لابأس بها واتمتع باحترام من هم حولي في المسكن والعمل ولست اكتب لك رسالتي هذه طلبا لحل مشاكلي لان حلها ليس في مقدور أحد وانما اكتبها لك لكي يقرأها بعض اللاهين؟ والساخطين علي حياتهم بلا سبب جدي يدعوهم لذلك ليعرفوا قيمة مابين ايديهم من اسباب السعادة فأهمها الأسرة المستقرة والبيت الدافئ بعطف الابوين وحبهما ورعايتهما لابنائهما اما أنا فانه تحيرني عدة اسئلة آمل ان اجد لديك الاجابة عليها الأول هو هل تراني محقا في الشعور ببعض الرثاء للنفس من واقع ظروف حياتي ام هل تري ذلك من اثر هذا الميل الغريزي لدي الانسان والثاني هو إذا كان الانسان مؤمنا ويؤدي فرائض دينه علي أكمل وجه فلماذا يبتلي بمثل هذا العذاب وألا يحتمل ان يهز ذلك من ايمانه؟

اما السؤال الأخير فهو لو قدر لي الزواج ذات يوم تري هل ستدور الدائرة من جديد علي ابنائي فيعانون مما عانيت منه.. أم أن اقدارهم ستكون ارحم بهم من اقداري؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

الحياة تسير دائما سواء رضينا عن اقدارنا فيها أم سخطنا عليها، ولا خيار أمامنا سوي اللحاق بركبها ومداواة جراحنا ومحاولة التواؤم مع ظروفنا واقدارنا، لأن القافلة لا تنتظر ـ المتخلفين عنها، ولا عائد لنا من التجمد امام الاكدار سوي مضاعفة الخسائر، واتساع الشقة بيننا وبين الركب المتجه دوما الي غايته.

ولا عزاء لنا سوي ان نتمسك دائما بالايمان بالله والرضا بقضائه وقدره خيره وشره، وبالامل الدائم في ان يكون الغد الآتي افضل من الامس المنقضي، وسوي ان نردد دوما مع الامام الشافعي رضي الله عنه:

دع الايام تفعل ما تشاء

وطب نفسا اذا حكم القضاء

ولقد كان من دعاء خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز:

اللهم رضني بقضائك، وبارك في قدرك، حتي لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت!

وقد ضرب لنا المثل الاعظم في الرضا بقضاء ربه وقدره، حين ثكل ابنه التقي الورع عبد الملك وفاضت روحه وهو بين ذراعية، فبكاه عمر حتي ابتلت لحيته، ولم ير في ذلك بأسا لعلمه بأن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قد بكي لموت ولده ابراهيم ولم يقل ما يغضب ربه، فما أن غادر عمر حجرة ابنه مطأطئ الرأس كسير القلب وجاءه الناس يعزونه حتي كان قد تمالك نفسه من جديد فقال لمن يعزونه.

ـ امر قد رضيه الله لي فلا أكرهه.

ومن بعد الرضا، بالأقدار يجئ الامل دوما، في الغد الافضل وتعويض السماء، فإذا كنت تسألني بعد ذلك عن مشروعية... احساسك ببعض الرثاء لنفسك بعد كل ما عانيت من حرمان من حنان الأم، وفقد متكرر للأمهات البديلات، وبصمات العناء علي سمعك وبصرك ولسانك وكبدك، فأني اجيبك بأن الرثاء للنفس عن حق، كما في مثل ظروفك المؤلمة، لا يتعارض مع الرضاء باقدار الانسان في الحياة، والقبول بها، وانما هي لحظات عابرة يستسلم فيها المرء لاحساسه بالاشفاق علي نفسه مما يكدره ويتوجه فيها بالأمل في رحمة الله ان تعوضه السماء عما عاناه آلام وأحزان جزاء وفاقا لما صبر عليه من احزان الحياة، ولا بأس بذلك من حين لآخر كلما اشتدت معاناة الانسان، وكلما كانت احزانه وآلامه حقيقية.

وليست، موصومة ولا مبالغا فيها، فمن حق المحزون ان تدمع عيناه يا صديقي رثاء لنفسه وترويحا عما يختزنه صدره من هموم واملا في رحمة ارحم الراحمين سبحانه، بغير ان ينقص ذلك من رضاه وايمانه بربه وتسليمه باقداره فللنفس طاقتها في النهاية علي الاحتمال وما إختبارات الحياة/ سوي ممن يمتحن بها السماء صبر المؤمنين وتقبلهم لما تجني به اليهم اقدارهم، وقد اعيا سؤالك عن حكمة الابتلاء ذوي الالباب منذ قديم الزمان، ولم ينقذهم من حيرتهم ازاءها سوي التسليم المطلق بقضاء الله وقدره، واسلام الوجه لله، والرضا بكل ما تحمله اليهم امواج الحياة، والتعزي في ذلك بمضمون الحديث الشريف الذي يقول عنها انه ما من شوكة تصيب المؤمن إلا ويمحو بها الله من سيئاته أو يرفع بها من درجاته.

وبقوله سبحانه وتعالي في الآية٢١٤ من سورة البقرة:

أم حسبتم ان تدخلوا الجنة، ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم الباساء والضراء وزلزلوا.

وبقول النبي داود عليه السلام: لله الحكمة.. ولنا الألم.
اي ان له جل شأنه حكمته التي تخفي عن الافهام فيما يقدره علينا من اقدار ولنا نحن ظاهرها البادي من الالم - وهو خير لنا في الاخرة إن كنا من الصابرين.
فما يزداد المؤمنون باختبارات الحياة ومحنها إلا إيمانا، وطمعا في حسن جزاء الصابرين عند ربهم.
فأما سؤالك هل اذا تزوجت فسوف تدور الدائرة علي ابنائك فيعانون مثل ما عانيت انت فعلم ذلك عند ربك سبحانه وتعالي وحده.. غير ان الرجاء في رحمة الله لا ينقطع ابدا والله جل شأنه عند حسن ظن عبده به، كما جاء في مضمون الحديث القدسي:
ولقد وجدت أنت من إيمانك بربك ورضاءه باقدار كما لم يحجب عنك بعض الجوانب المضيئة في حياتك فتحدثت عن توفيقك في الدراسة والعمل، فلم لا تتوقع ان تتسع مساحة هذه الجوانب المضيئة في حياتك وأن يعوضك ربك عن معاناتك بالتوفيق في الزواج.. والسعادة بالأبناء الاصحاء الناجحين في الحياة بإذن الله؟ إننا ندعو الله دائما ان تكون حظوظ ابنائنا في الحياة افضل من حظوظنا نحن فيها، وان تجنبهم عناية السماء أشواك الطريق التي ادمت اقدامنا، خلال رحلة الحياة فلماذا لا تأمل انتأيضا في ذلك!.. وتستبشر به ان شاء الله؟
==

الجوانب المضيئة

قرأت لك في ردودك علي رسائل قرائك أن الإنسان لديه ميل غريزي للرثاء لنفسه، ولقد كانت هذه هي المرة الأولي التي أقرأ فيها عنه، فتوقفت أفكر في أمري واتساءل هل يكون ما أشعر به وشعرت به معظم فترات حياتي، هو من أثر هذا الميل الغريزي؟
ولكي تعنيني على الإجابة علي هذا السؤال أريد أن أروي لك قصتي مع الحياة، فاقول لك إني شاب أبلغ من العمر الآن٣٣ عاما، حرمت من حنان الأم وأنا طفل صغير عمره٤ سنوات، وكان والدي وقتها مازال طالبا ويقيم معظم السنة في المدينة البعيدة حيث يدرس ولا يرجع إلي زوجته وطفله إلا في شهور الاجازة الصيفية فلا يبقي لي حضن طوال العام سوى حضن أمي، ووجدتني وأنا في هذه السن الصغيرة قد حرمت منه، وعجز عقلي الصغير عن فهم سبب غيابها عني غير أن الاطفال الذين لا يحترسون لكلماتهم تولوا مصارحتي بالحقيقة المريرة وهي أنها قد ماتت ولن ترجع مرة أخري أبدا ولست أذكر الآن كيف تقبل عقلي وقتها هذه الحقيقة المؤلمة، لكني أذكر أن مسئوليتي قد انتقلت بعدغياب أمي، إلي جدتي وأنها قد عوضتني بعطفها عن حنان أمي المفقود فتعلقت بها بشدة وتمتعت في كنفها بالحب والرعاية والحنان، إلي أن رجعت من مدرستي ذات يوم وأنا تلميذ في السنة الخامسة الابتدائية فشهدت حركة مريبة في البيت وسمعت نواحا وصراخا .. ورأيت شقيقتي تبكي فادركت بحاستي أن أسرتنا قد شهدت حادث غياب جديد وصرخت هلعا حين عرفت أن جدتي قد تركتني هي الأخري.
وتلفت حولي ابحث عن أم أخري لي .. فوجدت شقيقتي الكبري التي لم تتجاوز السابعة عشرة من عمرها وتزوجت بالرغم من صغر سنها قبل شهور، تحتضني وتقوم عني مقام الأم بالرغم من اعتلال صحتها بسبب الحمل المبكر، فأحببتها كما أحببت كما أصيبت من قبل أمي وجدتي، ودعوت ربي أن يهبها الصحة وطول العمر لكي أنعم برعايتها للنهاية ثم حانت ساعة ولادتها وذهبت إليها في العيادة لأزورها واترقب مجئ مولودها إلي الحياة، فاذا بولادتها تتعسر وإذا بها تلفظ انفاسها الأخيرة خلالها، وإذا بي ابتلي بفقد الام من جديد وانتقلت رعايتي بعد ذلك إلى السيدة التي تزوجها أبي وكانت لم تنجب منه بعد فكانت على خلاف الشائع في اوساطنا عن زوجة الأب، أما رحيمة لي وتقدم نفسها للآخرين علي أنها أم فلان أي أمي ثم انجبت طفلا فاصرت على التمسك بتسميتها الأولى، مؤكدة للجميع انني ابنها البكري، وفي كنف هذه السيدة الطيبة تمتعت بالحنان والعطف الصادقين غير ان عمر السعادة لا يطول كثيرا في حياتي يا سيدي فلقد فقدتها هي الأخرى بعد بضع سنوات، ورحلت عن الحياة صغيرة وبكيتها بدموع سخينة وتمنيت لو كانت زوجة اب قاسية لكيلا يوجعني فراقها كما اوجعني.
وبالرغم من كل شيء فقد واصلت الحياة واجتهدت بقدر الامكان في دراستي وتحملت ظروفي الخاصة من عيب في النطق كان يعرضني كثيرا لسخرية زملاء الدراسة ورفاق الصبا إلي ضعف السمع الذي كثيرا ماعرضني للمواقف المحرجة إلى مرض في العينين لا شفاء له إلى اعتلال طفيف ظهر أخيرا في الكبد ولا أعرف إلي أين ستقودني مضاعفاته إلى مشاكل لا حصر لها مع والدي لا أريد الاشارة إليها احتراما وحياء مني إلى صدماتي العاطفية أكثر من مرة كشاب بسبب ظروفي الاجتماعية والمادية.
وبالرغم من كل ذلك فالحياة تسير وهناك جوانبها المضيئة ايضا فلقد تخرجت وعملت بوظيفة لا بأس بها وأتمتع باحترام من هم حولي في المسكن والعمل ولست اكتب لك رسالتي هذه طلبا لحل مشاكلي لان حلها ليس في مقدور أحد وانما اكتبها لك لكي يقرأها بعض اللاهين؟ والساخطين على حياتهم بلا سبب جدي يدعوهم لذلك ليعرفوا قيمة ما بين أيديهم من أسباب السعادة فأهمها الأسرة المستقرة والبيت الدافئ بعطف الابوين وحبهما ورعايتهما لابنائهما اما أنا فانه تحيرني عدة اسئلة آمل ان اجد لديك الاجابة عليها الأول هو هل تراني محقا في الشعور ببعض الرثاء للنفس من واقع ظروف حياتي ام هل تري ذلك من اثر هذا الميل الغريزي لدي الانسان

والثاني هو إذا كان الانسان مؤمنا ويؤدي فرائض دينه على أكمل وجه فلماذا يبتلي بمثل هذا العذاب وألا يحتمل ان يهز ذلك من ايمانه؟

اما السؤال الأخير فهو لو قدر لي الزواج ذات يوم تري هل ستدور الدائرة من جديد علي ابنائي فيعانون مما عانيت منه.. أم أن اقدرارهم ستكون ارحم بهم من اقداري؟ولكاتب هذه الرسالة أقول :

الحياة تسير دائما سواء رضينا عن اقدارنا فيها أم سخطنا عليها، ولا خيار أمامنا سوى اللحاق بركبها ومداواة جراحنا ومحاولة التواؤم مع ظروفنا واقدارنا، لأن القافلة لا تنتظر ـ المتخلفين عنها، ولا عائد لنا من التجمد امام الاكدار سوى مضاعفة الخسائر، واتساع الشقة بيننا وبين الركب المتجه دوما الي غايته.

ولا عزاء لنا سوي ان نتمسك دائما بالايمان بالله والرضا بقضائه وقدره خيره وشره، وبالامل الدائم في ان يكون الغد الآتي افضل من الامس المنقضي، وسوي ان نردد دوما مع الامام الشافعي رضي الله عنه:

دع الايام تفعل ما تشاء

وطب نفسا اذا حكم القضاء

ولقد كان من دعاء خامس الراشدين عمر بن عبد العزيز:

اللهم رضني بقضائك، وبارك في قدرك، حتي لا أحب تعجيل ما أخرت ولا تأخير ما عجلت!

وقد ضرب لنا المثل الاعظم في الرضا بقضاء ربه وقدره، حين ثكل ابنه التقي الورع عبد الملك وفاضت روحه وهو بين ذراعية، فبكاه عمر حتي ابتلت لحيته، ولم ير في ذلك بأسا لعلمه بأن الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه قد بكي لموت ولده ابراهيم ولم يقل ما يغضب ربه، فما أن غادر عمر حجرة ابنه مطأطئ الرأس كسير القلب وجاءه الناس يعزونه حتي كان قد تمالك نفسه من جديد فقال لمن يعزونه.

ـ امر قد رضيه الله لي فلا أكرهه.

ومن بعد الرضا، بالأقدار يجئ الامل دوما، في الغد الافضل وتعويض السماء، فإذا كنت تسألني بعد ذلك عن مشروعية .. إحساسك ببعض الرثاء لنفسك بعد كل ما عانيت من حرمان من حنان الأم، وفقد متكرر للأمهات البديلات، وبصمات العناء علي سمعك وبصرك ولسانك وكبدك، فأني اجيبك بأن الرثاء للنفس عن حق، كما في مثل ظروفك المؤلمة، لا يتعارض مع الرضاء باقدار الانسان في الحياة، والقبول بها، وانما هي لحظات عابرة يستسلم فيها المرء لاحساسه بالاشفاق علي نفسه مما يكدره ويتوجه فيها بالأمل في رحمة الله ان تعوضه السماء عما عاناه آلام وأحزان جزاء وفاقا لما صبر عليه من احزان الحياة، ولا بأس بذلك من حين لآخر كلما اشتدت معاناة الانسان، وكلما كانت احزانه وآلامه حقيقية.

وليست، موصومة ولا مبالغا فيها، فمن حق المحزون ان تدمع عيناه يا صديقي رثاء لنفسه وترويحا عما يختزنه صدره من هموم واملا في رحمة ارحم الراحمين سبحانه، بغير ان ينقص ذلك من رضاه وايمانه بربه وتسليمه باقداره فللنفس طاقتها في النهاية علي الاحتمال وما إختبارات الحياة سوي ممن يمتحن بها السماء صبر المؤمنين وتقبلهم لما تجني به اليهم اقدارهم، وقد اعيا سؤالك عن حكمة الابتلاء ذوي الالباب منذ قديم الزمان، ولم ينقذهم من حيرتهم ازاءها سوي التسليم المطلق بقضاء الله وقدره، واسلام الوجه لله، والرضا بكل ما تحمله اليهم امواج الحياة، والتعزي في ذلك بمضمون الحديث الشريف الذي يقول عنها انه ما من شوكة تصيب المؤمن إلا ويمحو بها الله من سيئاته أو يرفع بها من درجاته.

وبقوله سبحانه وتعالي في الآية٢١٤ من سورة البقرة:

أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ

وبقول النبي داود عليه السلام: لله الحكمة.. ولنا الألم.

اي ان له جل شأنه حكمته التي تخفي عن الافهام فيما يقدره علينا من اقدار ولنا نحن ظاهرها البادي من الالم ـ وهو خير لنا في الاخرة إن كنا من الصابرين.

.فما يزداد المؤمنون باختبارات الحياة ومحنها إلا إيمانا، وطمعا في حسن جزاء الصابرين عند ربهم

فأما سؤالك هل اذا تزوجت فسوف تدور الدائرة علي ابنائك فيعانون مثل ما عانيت انت فعلم ذلك عند ربك سبحانه وتعالي وحده.. غير ان الرجاء في رحمة الله لا ينقطع ابدا والله جل شأنه عند حسن ظن عبده به، كما جاء في مضمون الحديث القدسي:

ولقد وجدت أنت من إيمانك بربك ورضاءه باقدار كما لم يحجب عنك بعض الجوانب المضيئة في حياتك فتحدثت عن توفيقك في الدراسة والعمل، فلم لا تتوقع ان تتسع مساحة هذه الجوانب المضيئة في حياتك وأن يعوضك ربك عن معاناتك بالتوفيق في الزواج.. والسعادة بالأبناء الاصحاء الناجحين في الحياة بإذن الله؟ إننا ندعو الله دائما ان تكون حظوظ ابنائنا في الحياة افضل من حظوظنا نحن فيها، وان تجنبهم عناية السماء أشواك الطريق التي ادمت اقدامنا، خلال رحلة الحياة فلماذا لا تأمل انتأيضا في ذلك!.. وتستبشر به ان شاء الله؟

==

الجــو المســـموم

أنا شاب في الرابعة والثلاثين من عمري، نشأت في أسرة مفككة قضت عليها الأقدار بأن تنهار وأنا في مرحلة الطفولة، وطلق أبي أمي وأنا ـ أكبر الأبناء ـ في الثامنة، وأختي الصغري لا يتجاوز عمرها بضعة شهور، وكان أبي من الأجيال الأولي التي تخرجت في جامعة فاروق وحازما في عمله، لكنه كان حاد الطباع وليست له علاقات اجتماعية وشديد الغيرة علي أمي وكثير الاعتداء عليها بالضرب في أحيان كثيرة إذا فتحت نافذة المسكن أو إذا تحدثت مجرد حديث مع إحدي جاراتها، ونشأنا نحن الأبناء في هذا الجو المسموم.. وشهدنا المنازعات القضائية حول النفقة وغيرها من الأسباب بين الطرفين. وفشلت كل مساعي الإصلاح بينهما بسبب العناد الشديد من الجانبين.. وعشنا أيامنا في بيت جدي لأمي في إحدي القري، وبعد بضع سنوات تزوجت أمي من رجل قاهري ميسور الحال يقيم في العاصمة، وغادرتنا لكي تحيا معه وتركتنا وراءها في بيت جدي.. وانتابتني حالات نفسية عديدة وبدأت أهمل دروسي بعد أن كنت من المتفوقين، ثم حصل أبي علي حكم قضائي بضمنا إليه وانتقلت للحياة معه في إحدي المدن، ووجدتني أواجه أزماته النفسية وتقلباته المزاجية وحدي وأنا في التاسعة من عمري وقاسيت معه الكثير حتي استقر الخوف منه في أعماقي بسبب حدة طباعه وكثرة خصامه لي بالشهور.. وكنت أنام كل ليلة في السابعة مساء باكيا، لوحدتي وقسوة أبي وفراغ حياتي، حيث لا أجد من أتحدث معه وليس هناك أطفال في سني يخففون عني، كما كان أبي يرفض دائما السماح لي بالذهاب لرؤية أمي أو أخوتي، وأخشي مجرد ذكر اسم والدتي أو أحد من أخوتي أمامه لكيلا يخاصمني من جديد.. ومع ذلك فقد كنت أقوم بمعظم أعمال البيت وأمسح البلاط وأخرج للوقوف في طابور الخبز أمام الفرن.. وأحاول دائما تجنب كل مايثير غضبه أو يدفعه إلي مخاصمتي.. وبلغت مرحلة الثانوية العامة فكان كل همي أن أستذكر دروسي بجد لكي أخرج من السجن الذي أعيش فيه، وأبتعد عن أبي الذي لم يظهر لي أية رحمة أو شفقة. وتمكنت بقوة الألم، الحصول علي الثانوية العامة بمجموع كبير والتحقت بكلية الطب في نفس المدينة، وسعد أبي لذلك بعض الوقت.. لكن سعادته هذه لم تلبث أن تبخرت حين عرف أنني أذهب سرا من حين لآخر إلي أخوتي لكي أراهم. وخاصمني من جديد وامتنع عن إعطائي رسوم الكلية وثمن الكتب، فكنت أدبر حالي.. وأتحايل علي استعارة الكتب من زملائي وأذهب للمذاكرة معهم.. وأغبطهم علي حياتهم العائلية الدافئة.. وأركز كل جهدي في المحاضرات لأسجلها واستوعبها وأنجح كل سنة.. ولم أرسب أبدا، وخلال ذلك كان أبي قد حصل علي شقة أخري تعلو شقتنا الصغيرة التي أقيم فيها معه.. وتركها خالية لفترة، وحين بلغت السنة الرابعة في دراستي بدأ أبي ينقل بعض الأثاث من مسكننا المكون من حجرتين إلي الشقة العلوية، ثم رجعت من الكلية ذات مساء فسمعت أصوات الزغاريد تنطلق من البيت الذي نقيم فيه.. وسألت عن الخبر فقيل لي إن أبي قد تزوج من فتاة من أهل قريته يعمل والدها في الأرض الزراعية التي يملكها وأنه سيقيم معها في المسكن الجديد، وتعجبت ليس لزواجه لأنه حق له وإنما فقط للفارق الكبير في السن بينه وبين زوجته، فهي فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها وهو في الستين من عمره وقتها، وكذلك للفارق الاجتماعي الذي يشي بأن هدف الزواج مادي لأنه ميسور الحال ويملك أرضا زراعية.

وأقام أبي في شقته الجديدة ولم يمض وقت طويل حتي بدأت المشاكل المتوقعة في مثل هذه الظروف، فقامت الزوجة الشابة بالوقيعة بيني وبينه.. واختفي الذهب الذي أحضره لها والدي كشبكة لها من شقته. وبدلا من أن يتجه شك أبي إلي الاتجاه الطبيعي في هذه الظروف.. اتهمني أنا ـ سامحه الله ـ بأنني المسئول عن ذلك، ودفعني خارج مسكنه بعنف معلنا أنني لن أعيش معه في منزل واحد بعد الآن، وانتابتني ثورة عصبية شديدة لم أعرفها من قبل ونزلت إلي الشقة الصغيرة فحطمت كل مافيها حتي زجاج النوافذ بيدي حتي قطعت بعض أوتار أصابعي وأخذت ملابسي وخرجت من البيت وليس معي سوي٢٥ قرشا، وركبت القطار إلي بلدة جدي لأمي.. وعشت معه ومع جدتي وأخوالي الذين تعهدوني بالرعاية حتي أنهيت دراسة الطب بتفوق.

وقبيل انتهاء دراستي كنت قد تعرفت علي زميلة لي بالكلية ابنة طبيب كبير مطلقة ولديها طفلان وأعجبت بشخصيتها وأخلاقياتها.. وعرفت منها ظروف زواجها السابق وكيف اختارت لها الأقدار رجلا له نفس ملامح شخصية أبي، فتعاطفت معها وأحببتها ورغبت في الزواج منها بالرغم من معارضة والدتي وأهلي نظرا لظروفها كمطلقة.. وصممت علي أن أرتبط بها بعد أن نتخرج وننهي سنة الامتياز.. ووجدت فيها الشخصية الحانية.. ووجدت في أسرتها نعم المعين والراعي لي ولها.. وأعطانا والدها شقة في عمارته لنتزوج فيها.. وواجهنا الحياة معا بدخلنا الصغير، حيث لم يكن مرتبانا معا يتجاوزان١٩٠ جنيها.. وصممنا علي أن نعتمد علي أنفسنا ونتحمل ظروفنا إلي أن نحقق نجاحنا. وتحملنا صعوبات البداية وجاءني التكليف من وزارة الصحة بالعمل في الصعيد، وتركت زوجتي وهي حامل لتقيم مع أهلها وسافرت إلي مقر عملي وسجلت لدرجة الماجستير، وعانيت كثيرا حتي حصلت عليه. وافتتحت عيادة صغيرة في بلدة والدتي لتعينني علي مواجهة نفقات الحياة بمساعدة والد زوجتي صاحب القلب الكبير الذي حنا علي وأعانني علي أمري وأعطاني سيارة صغيرة يملكها لكي أذهب بها إلي عملي، وتوفيت مولودتي الأولي بعد مجيئها للحياة بسبعة أيام، وكانت صدمة كبيرة لنا ونحن في مستهل حياتنا الزوجية، لكننا احتسبناها عند ربها وأنجبنا بعدها بعام طفلة أخري حفظها الله سبحانه وتعالي.. وأصبحت قرة أعين لنا.. ومارست معها لأول مرة إحساس الأبوة الغامر.. وتعجبت حين ضممتها إلي صدري ومازلت أتعجب كلما فعلت ذلك كيف يستطيع أب أن يقسو علي بضعة منه.. أو علي فلذة كبده كما قسا أبي علي وعلي أخوتي.. إن قلبي يخفق لرؤيتها.. وصدري يجيش بالحب والانفعال كلما نظرت في عينيها أو سمعت بكاءها.. أو

لامست يدها الصغيرة.. أو قبلتها فكيف يارب تتحجر بعض القلوب علي أبنائها علي هذا النحو ومن أين قدت مثل هذه القلوب.. من لحم ودم مثلنا أم من الحجر الصلد ؟

إنني أكتب لك قصتي لأقول لك إن أبي، غفر الله له وبعد كل هذه السنين وماشهدته حياتي من تطورات حتي لقد سافرت منذ عام للعمل بالخارج، مازال يرفض أن نزوره أو يرانا أو يري أبناءنا.. بل ويرفض أيضا أن نتعرف علي اخوتنا الذين أنجبهم من زوجته.. وقد حاولنا مرارا أن نسترضيه ونتقرب منه ونقوم بزيارته وأرسلنا إليه وسطاء كثيرين من أجل ذلك، لكنه يرفض حتي مجرد سماع أصواتنا ويقول لهؤلاء الوسطاء إننا لسنا أبناءه! مع أن أحوالنا جميعا الآن والحمد لله طيبة ولا نبتغي من وراء الصلة به أي شيء ولا نطمع في ماله.. ونعرف جيدا أنه لم ينفعنا ونحن صغار ضعفاء محرومون.. فكيف ينفعنا وقد أكرمنا ربنا جميعا بانصلاح الأحوال وأعطانا من الخير مايغنينا عنه، وإني أسألك في ختام رسالتي عن حكم الشرع فيه.. وماذا ينبغي علينا أن نفعل معه ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

رأي الشرع فيمن يقسو علي أبنائه ويباعدهم ويقطع رحمه بهم ويحرمهم من رعايته وعطفه وحدبه عليهم لا يحتاج إلي تفصيل، فلقد أوصي الله سبحانه وتعالي الأبناء بالبر بآبائهم وأمهاتهم وشدد عليهم إلي حد أن قرن بينه وبين تخصيصه سبحانه بالعبادة وحده، كما جاء في الآية الكريمة التي تقول: وقضي ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا وقال المفسرون في شرحهم لهذه الآية إن الله سبحانه وتعالي لم يوص الآباء والأمهات بالبر بأبنائهم لأن عاطفة الأبوة والأمومة التي تصل في تمكنها من النفس إلي حد الغريزة تغني عن الحاجة الي مثل هذا التشديد، مما يعني ان حقوق الآباء والأمهات علي أبنائهم تقابلها بالضرورة واجبات لهم تجاه أبنائهم لاتحتاج إلي تبيان..

وهذا مايؤكده الحديث الشريف الذي يقول رحم الله امرأ أعان ولده علي بره أي أعانه بحدبه عليه وحسن رعايته له وأدائه لكل حقوقه إليه علي أن يكون ابنا صالحا وإنسانا سويا..

وهذا المعني الذي نبهنا إليه الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه منذ أكثر من ألف وأربعمائة سنة.. هو مايقول به الآن علماء التربية المحدثون، الذين يقولون إن حقوق الأبوة والأمومة لا تترتب علي الأبناء بمجرد الميلاد وحده.. وإنما تترتب وتتأكد بحسن تنشئتهم ورعايتهم ,الميلاد وحده.. أي بمجرد أن يجيء بهم الآباء والأمهات إلي الحياة وتحمل مسئولياتهم الإنسانية والمادية، فإذا افتقد الأبناء كل ذلك لم تتفجر في قلوبهم عاطفة البنوة تجاه الآباء والأمهات ولم تتعمق ولقد تتحول علاقتهم بذويهم إلي مايسميه البعض بعلاقة صغار الضفادع بأمهاتها.. فالضفادع حين تضع بيضها في المستنقع تهجر صغارها وتتركها تواجه أقدارها وحدها.. وتنقطع كل صلة بينها وبين هؤلاء الأمهات..

ومن المؤسف حقا أن ينحو البعض في علاقتهم بأبنائهم مثل هذا المنحي المخالف للطبيعة البشرية ولكل شرع ودين. فيتخلون عنهم أو يقسون عليهم قسوة ظالمة، أو يباعدونهم وينفضون أيديهم منهم كأن لم يأتوا بهم من عالم الغيب والشهادة، ويرشحونهم بذلك للعقوق وكل الآثار التربوية والنفسية السيئة لافتقاد الصلة الطبيعية السليمة بين الآباء والأبناء، وقصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع الرجل الذي جاءه يشكو إليه عقوق ابنه تؤكد هذا المعني التربوي العظيم.. فلقد شكا إليه من عقوق ابنه وعصيانه له فاستدعاه عمر وعنفه علي ذلك.. فقال له الابن: أليست للولد حقوق علي أبيه فأجاب نعم. قال: ماهي. قال:

أن يحسن اختيار أمه ويحسن اسمه ويعلمه الكتاب. فقال الولد: ياأمير المؤمنين إن أبي لم يفعل شيئا من ذلك، فالتفت عمر إلي الرجل وقال له: جئت تشكو عقوق ابنك وقد عققته قبل أن يعقك وأسأت إليه قبل أن يسيء إليك، ثم صرف الابن دون عقاب.

والمغزي هو أن للأبناء علي آبائهم حقوقا لا مراء فيها، فإذا قصر فيها الآباء كان عليهم بعض إثم عقوق أبنائهم عليهم.

ولست أريد الإطالة في هذا الحديث لأنه شائع ومعروف، لكني أتوقف فقط أمام اللحظة التي توقفت أنت أمامها متأملا حين تفجر ينبوع عاطفة الأبوة في قلبك تجاه طفلتك الوليدة.. وأنت تضمها إلي صدرك فتعجبت كيف لبعض القلوب أن تقسو علي فلذات أكبادها كما قسا والدك عليك وعلي أخوتك.

وأنت محق بغير شك في تأملك لهذه اللحظة وتألمك لها وأنت تجتر مخزون الذكريات الأليمة عن قسوة أبيك عليك ومقاطعته لك. فالأبوة هبة جليلة يهبها الخالق العظيم لمن يشاء ويجعل من يشاء عقيما كما أنها تاج علي رؤوس الآباء لا يعرف قدره إلا أصحاب القلوب الحكيمة والمحرومون منه.. فماذا نقول لمن يأبي علي نفسه ماكرمه به ربه وأنعم عليه، لقد وجدت لنفسك أبا بديلا في شخص والد زوجتك الذي حدب عليك وأعانك علي أمرك.. فأي خسران لأب ان يضطر ابنه لأن يتلمس لنفسه أبا وسندا وعونا في الحياة غيره وهو حي يرزق ؟

إنك تسألني ماذا تفعل معه.. وجوابي هو أن من تمام سعادة المرء أن ينفي عن نفسه أية شبهة عقوق لأحد أبويه.. وأية شبهة قطع لرحم أمر الله بها أن توصل، إن لم يكن حرصا علي الرحم المقطوعة في حد ذاتها فليكن إبراء للذمة وطلبا لراحة القلب والضمير.. وتوسلا إلي الله رب العالمين أن يحفظ عليه سعادته.. ويحميه من غوائل الأيام.

وبهذا المفهوم فإن من واجبك أن تبذل كل ماتستطيع من جهد لاستعادة صلتك بأبيك أنت وأخوتك ومحو كل ماتراكم في نفسه من مرارات سابقة تجاهك وتجاه اخوتك حتي ولو لم يكن محقا فيها، ليس فقط عن طريق الوسطاء وإنما أيضا بالاتصال المباشر به.. وزيارته.. والصبر علي جفائه لك في البداية وبالكتابة إليه من مهجرك مادا إليه يدك ومؤكدا له أنك لا تطلب من سعيك إليه إلا أن ترعي حدود ربك معه.. ولا تأمل في خير من جانبه.. ولا في أي تعويض عن سابق تخليه عنك ومجافاته لك..

ولا بأس بأن تكتب إليه وتتصل به في المناسبات الدينية مهنئا ومؤكدا أصالتك وصدوعك بأمر ربك بأن تحسن إلي أبيك ولو أساء إليك.. فإن تجاوز عن موقفه السابق منك ومن اخوتك وأسقط حاجز الرفض والقطيعة ولو شكليا بينه وبينكم فلقد تحقق الأمل.. وتخلصت أنت من كل إحساس بالذنب أو الإثم لاستمرار هذه القطيعة معه.. وإن ظل علي تحجره وقسوته ورفضه المطلق لك ولاخوتك وإصراره علي الإثم وقطع أبنائه.. فلقد أبرأت ذمتك من أي تقصير وقدمت كتابك بيمينك خاليا من شبهة الإثم والعقوق.. ولا لوم عليك إن سلمت باليأس منه وتركت أمره لخالقه يوم يكون الحساب.

==

الجائزة الذهبية!

لا أعرف ما اذا كنت سوف تتذكرني أم لا؟.. لكني علي أية حال واحد ممن كتبوا إليك بهمومهم ذات يوم ونشرت رسالتي ورددت عليها بما مازلت أذكره حتي الآن وبعد٩ سنوات من نشرها.. فأما رسالتي الأولي لك فلقد اخترت أنت لها عنوانا معبرا هو لهيب التجربة وقد كتبتها لك وأنا طريح الفراش لما يقرب من العامين بعد تعرضي لحادث ترام أليم في مدينتي الاسكندرية، وكنت وقتها في الثامنة عشرة من عمري، وطالبا بالمرحلة الثانوية، وقد أجريت لي عدة عمليات جراحية خرجت منها وساقي اليمني أقصر من ساقي اليسري، وبدا لي وقتها أن الدنيا قد أظلمت في وجهي، وأصبحت واحدا من المعاقين بعد أن كنت شابا ممتلئا بالصحة والحيوية وحب الحياة، وشكوت لك في رسالتي من خوفي من المستقبل.. بعدما تعرضت له من أحداث.. ورددت علي بما يدعوني إلي التفاؤل والتمسك بالأمل في الغد.. وقلت لي انني شاب والحياة ممتدة أمامي، وسوف تتسع لتحقيق كل آمالي فيها، واننا كبشر لا نملك أن نعترض علي حكم القضاء فينا، لكننا نملك ألانسمح لما حكمت علينا به المقادير بأن يحطم ارادة الحياة فينا.. أو يحرمنا مما نستطيع تحقيقه لأنفسنا اذا نحن غالبنا ظروفنا، وتحملنا أقدارنا بشجاعة، وتواءمنا مع المتغيرات الجديدة في حياتنا.

ومع انني لن أفقد إيماني بربي أبدا حتي في أتون المحنة نفسها، إلاأن كلماتك الحانية قد زادتني إيمانا وشجعتني علي التمسك بالأمل أكثر وأكثر.. ونظرت فوجدت أمي وشقيقاتي الثلاث يلتففن حولي ويحيطنني بحبهن وحنانهن ورعايتهن ووجدت أهلي وأصدقائي يحيطون بي من كل جانب، ويتطوعون لتلبية رغباتي واحتياجاتي، فسألت نفسي: وماذا ينقصني لكي أستكمل مشوار الحياة وأتجاوز هذه المحنة؟.. ووجدت الجواب حاضرا فقررت التقدم لامتحان الثانوية العامة من المستشفي وأقبلت علي مذاكرة دروسي بكل همة وعاونني أصدقائي في ذلك بكل شهامة وتقدمت للامتحان، فوفقني الله سبحانه وتعالي في الحصول علي الشهادة، وسعدت أسرتي بنجاحي سعادة طاغية وبكت أمي وشقيقاتي بدموع الفرح.. وشاركهن الأهل والأحباء الفرحة الطاغية.. وكأنني الطالب الوحيد الذي حصل علي الشهادة ذلك العام.. وغادرت المستشفي الذي دخلته حطاما من الناحية الجسدية والنفسية، وأنا حاصل علي الثانوية العامة والتحقت بكلية التجارة، واجتزت سنوات الدراسة كلها بنجاح.. ولم يشعرني أحد بأنني إنسان مختلف عن غيري من الطلبة رغم أن مشيتي غير طبيعية، وتخرجت في كليتي.. وبدأت رحلة البحث عن عمل ملائم لي.. وبسبب اصابتي التي ظننت حين وقعت أنها قد أنهت كل آمالي، حصلت علي فرصة عمل بشركة النيل للكبريت ضمن نسبة الـ٥% من المعاقين التي تعينهم الشركات العامة في وظائفها..

وسعدت بعملي وحياتي ورضيت عنهما، غير أنني منذ فترة قصيرة وجدت أمامي فرصة متاحة للهجرة إلي أمريكا، وترددت في الاقدام علي التجربة في البداية خوفا من أن يحزن ذلك أمي الغالية وشقيقاتي الحبيبات.. لكني وجدت تشجيعا منهن علي عدم التردد وسافرت لأمريكا وعانيت صعوبات البداية الكثيرة.. وتحملت عناء كبيرا حتي كدت بعد بضعة شهور أسلم باليأس من النجاح وأرجع لبلادي، فاذا بالاصابة التي اعتبرت يوم تعرضي لها أسود الأيام في حياتي، تتدخل لانقاذي من ظلام اليأس والفشل، وأتاحت لي هذه الاصابة الالتحاق باحدي مدارس تأهيل المعاقين هناك، حيث قمت بدراسة الكمبيوتر فيها لمدة ستة أشهر، وبعدها تمكنت بفضل الله وتوفيقه من العمل كموظف حسابات بالشركة التي مازلت أعمل بها حتي الآن.

ولم يكن كل ذلك سوي جزء ضئيل من جوائز السماء التي بشرتني بها اذا أنا صمدت لمحنتي وتمسكت بايماني بربي ونفسي وحقي في الحياة، فلقد كانت أمي تلح علي دائما في رسائلها إلي واتصالاتي بها بأن أتزوج لكي أجد من ترافقني في رحلة الحياة.. وكانت رغبتي دائما هي أن أتزوج من مصرية مثلي، لكن المشكلة هي أنني اذا أردت أن أفعل ذلك فلن يكون أمامي خيار سوي الزواج العائلي الذي لايسبقه حب يعمق الروابط بين الطرفين، ولم أكن أفضل هذا النوع من الزواج.. لكني قبلت بما لم يكن متاحا لي غيره.. ورشحت لي أسرتي زميلة لزوج شقيقتي كان والدها أستاذا بجامعة الاسكندرية، ورجعت إلي مصر في زيارة قصيرة لكي أري أمي وشقيقاتي وأهلي وأري العروس المرشحة لي منهم، وذهبت إلي اللقاء الأول معها في مكان عملها.. وأنا أتساءل كيف يمكن

أن يؤدي مثل هذا اللقاء العابر إلي بدء علاقة ارتباط عاطفي بين شخصين لم يتعارفا من قبل لكي يتشاركا في رحلة الحياة.. وتم اللقاء فاذا بي أشعر من اللحظة الأولي بانجذاب شديد لهذه الفتاة التي أراها لأول مرة وبغير أن أعرف سببا واضحا لهذا الانجذاب، ووجدتني أبلغ أسرتي بموافقتي عليها وابتهاجي باختيارها لي وذهبت مع أمي وزوج شقيقتي وصديق للأسرتين لمقابلة والدتها وشقيقها، والاتفاق علي الأمور المادية، فلم نختلف علي شيء وتم الاتفاق سريعا علي اتمام الخطبة خلال أيام، وشعرت بالارتياح الشديد لذلك ورجعت إلي أمريكا، وقضيت بها احد عشر شهرا ثم عدت للاسكندرية لاتمام الزواج والزفاف، وتم الزواج وقضيت فترة العسل القصيرة ثم ودعت عروسي ورجعت لأمريكا لكي أبدأ محاولاتي لاستقدامها إلي هناك فلم تمض عشرة شهور أخري حتي كنت قد حصلت علي الجنسية الأمريكية وأصبح ميسورا لي أن أستقدم زوجتي للاقامة معي وقمت بالاجراءات وبعد شهرين لحقت بي زوجتي في أمريكا وبدأنا الحياة الفعلية المشتركة بيننا، وفهمت حينذاك فقط سر هذا الانجذاب الغامض الذي شعرت به تجاهها في اللقاء الأول، نعم ياسيدي.. صحيح أن الأرواح جنود مجندة ماتعارف منها ائتلف وما تنافر منها اختلف، لكنه صحيح أيضا أن لهذا الائتلاف أسبابه في شخصية كل طرف.. ولقد عرفت بالعشرة والسكن أسباب ائتلاف روحي مع روح هذه الفتاة التي رأيتها لأول مرة في مكان عملها منذ ثلاث سنوات، فهي إنسانة مخلصة بكل معني الكلمة وحيية ومنبسطة الأسارير علي الدوام، ولم أرها منذ جمعتنا الحياة المشتركة يوما متبرمة من شيء أو ساخطة علي شيء وتخاف علي وتتقي الله في وفي بيتي وتصبر علي عصبية مزاجي التي لاحيلة لي فيها في بعض الأحيان حتي لتشعرني بالخجل من نفسي.. وأحس أحيانا انني لا أستحقها، أما أنا فاني أحبها وسوف أظل أحبها إلي النهاية بإذن ربي، وأسعي لاسعادها بشتي الطرق، وأرجو من الله أن تكون عشرتي لها طيبة بحيث تظل تحمل لي مشاعر المودة والرحمة حتي نهاية العمر وما بعدها أيضا! فالمودة والرحمة لاتنتهيان بنهاية العمر وانما تتواصلان بعده.. وأمي مازالت حتي الآن وبعد١٦ عاما من رحيل أبي عن الحياة رحمه الله، تدمع عيناها كلما تذكرته أو استعادت بعض ذكرياتها معه، ولقد تابعت رسائل الأزواج والزوجات الذين تراشقوا بالاتهامات في «««بريد الجمعة»»» خلال الفترة الماضية، ووددت لو أقول لهم جميعا: اتقوا الله في أزواجكن وزوجاتكم لكي يجعل الله لكم مخرجا ويرزقكم من حيث لاتحتسبون.

ولقد انهمرت علي جوائز السماء بعد ما تعرضت له من محنة حادث الترام كما رويت لك لكن أجمل هذه النعم وأكثرها استحقاقا لشكر ربي عليها، كان نعمة التوفيق في الزواج والارتباط بهذه الإنسانة الطيبة التي تعتبرها أمي بنتا من بناتها الثلاث وتعتبرني أمها ابنا لها.

ولقد حرصت علي أن أكتب لك بما شهدته حياتي من تطورات بعد المحنة القديمة لكي تسعد معي بما بشرتني به من جوائز ولكي أرجو منك ومن قرائك الطيبين الذين يتعاطفون مع آلام الآخرين وآمالهم في الحياة.. أن تتوجهوا معي بدعائكم إلي المولي القدير أن يمن علي وعلي زوجتي بنعمة الذرية الصالحة التي يتوق إليها كلانا وما ذلك علي الله بعزيز.. وأشكرك علي كلماتك السابقة واللاحقة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

الإنسان المؤمن بربه.. لاتحطمه النوازل والمحن.. وانما يتقبلها بصبر واحتساب ويتطلع إلي تعويض السماء له عما فقده خلال معركة الحياة.. ويعين نفسه علي تقبل حياته بعد ماشهدته من متغيرات.. ويعيد تثمين ما أتيح له من عطايا الحياة ويتعزي بها عما فقد خلال الطريق ولا يسمح لحزنه علي ما فقد بأن يسلبه القدرة علي الاحساس بما أتيح له من نعم وعطايا.. وانما يلتمس العزاء والسلوي في هذه الجوانب الأخري المضيئة في حياته.. ويسعد بها رغم أحزانه الصادقة ويستمد منها القدرة علي مواصلة الحياة والتغلب علي الصعوبات والأحزان، وتحقيق آماله وآمال من يسعدون بسعادته ويشقون بشقائه من الاعزاء.. وهذا هو مغزي الرضا بالأقدار والقبول بها وهو السلبي العاجز لهذه الأقدار فالرضا بالأقدار حالة إيمانية ومعنوية لاتعوق تواصل أمر يختلف عن الاستسلام الإنسان مع الحياة، ولا تحرمه من الأمل فيها والسعي لتحقيق أهدافه فيها.. والابتهاج بما يحققه من نجاحات علي الطريق الطويل إليها.. أما الاستسلام العاجز للأقدار فهو حالة سلبية ومرضية ولا تعني سوي الحزن حتي الموت وعجز الإنسان عن اجتياز المحن والشدائد التي تعترض طريقه، والهزيمة المطلقة أمامها، والموت المعنوي لكل الآمال والأمنيات في الحياة.

ولهذا فأنا من المعجبين بكلمة الموسيقار العبقري بيتهوفن التي أطلقها حين أصيب بالصمم وهو في أوج مجده فقال:

ـ انني أتقبل أقداري.. لكني لا أحني هامتي لها!!

أي أنه يتقبل راضيا حكم القضاء عليه بفقد السمع، مع مايعنيه ذلك من حسرة بالغة لمن كانت الموسيقي كل حياته، لكنه لن يقف عاجزا أمامه، ولن يستسلم للعجز واليأس والأسي.. وانما سيواصل العمل والابداع مستعيضا عن السمع، بالبصر وبقراءة النوتة الموسيقية.. ونحن كما قلت لك في ردي علي رسالتك السابقة، لانملك حق الاعتراض علي حكم القضاء فينا، لكننا في المقابل نملك أنفسنا وارادتنا وقدرتنا علي الصمود لما ترتب علي هذا الحكم من آثار في حياتنا، كما نملك أيضا أن نستعين بحكمتنا علي التواؤم مع ظروفنا غير المواتية وأن نتمسك بحقنا في الحياة، ونيل ماتصبو إليه نفوسنا، ثم نتعلق بعد ذلك بالأمل في التعويض الالهي لنا عما حرمنا منه أو فقدناه خلال الطريق، ونثق في حسن اختيار الله لنا، ونرجو أن يكون ماشهدته حياتنا من أحزان، من قبيل

الألطاف الالهية التي تأتينا في بعض الأحيان بما لا نحب، لكي تغمرنا فيما بعد بأجمل مانحب لأنفسنا.. وبأكثر أحيانا مما قد رجوناه لنا ونحن في أشد لحظات المحنة ظلاما.
وهذه هي جوائز السماء الثمينة التي هطلت عليك ياصديقي الشاب بعد صمودك للمحنة الأولي وأنت في مقتبل الحياة، وتمسكك بايمانك بربك وأملك فيه في عدالة السماء، بل لعل ما حدث لك قد شحذ فيك ارادتك وهمتك فغالبت ظروفك وحققت من النجاح الدراسي ما لم تكن لتحققه بنفس اليسر لو لم تكن هذه المحنة قد اعترضت طريق حياتك، فكأنما قد رضيت بأقدارك لكنك لم تستسلم لها استسلام العاجزين واليائسين من كل نجاة ولم تحن لها هامتك، كما ينبغي لإنسان مؤمن بربه وبنفسه وبحقه العادل في الحياة مثلك، فلا عجب اذن أن تمطرك السماء بجوائزها الثمينة.. ولا عجب في أن تتوجها بالجائزة الذهبية وهي التوفيق الالهي في اختيار شريكة الحياة والسعادة معها..
فاشكر ربك كثيرا.. وقل مع الفائزين برضوان ربهم: وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن.. إن ربنا لغفور شكور(٣٤ سورة فاطر)..
وعسي الله العلي القدير أن يتم عليك نعمته ويرزقك بالجائزة الماسية كذلك وهي الذرية الصالحة التي تهفو إليها نفسك ونفس زوجتك الشابة الطيبة.. وشكرا لك علي اشراكك لي في هذه التطورات السعيدة الموفقة في حياتك..
والسلام.
==

الجانب السييء
أنا فتاة في الثالثة والعشرين من عمري.. نشأت بين أبوين يسود بينهما الحب والتفاهم ومع أخوة أحباء من الجنسين لكل منهم حياته الخاصة الموفقة، وقد بدأت قصتي التي دفعتني للكتابة إليك منذ٣ سنوات وأنا في بداية دراستي الجامعية فلقد تعرفت علي شاب يتقاربني في العمر ويدرس بإحدي كليات القمة وشعرت تجاهه بالاحترام والتقدير ثم لم ألبث أن شعرت بعد فترة قصيرة من تعارفنا بقلبي يخفق تجاهه وكانت المرة الأولي التي يخفق فيها لأحد.. ولم يمض وقت طويل حتي صارحني بمشاعره وارتبط كل منا بالآخر وازداد عمق العلاقة بيننا ومضي عام علي هذا الارتباط، ثم حدث أن حضرنا معا احتفالا صغيرا لزواج أحد الأصدقاء عرفيا من زميلة لنا..
فطرأت الفكرة علي ذهن كل منا في وقت واحد تقريبا.. لماذا لا نفعل ما فعلاه وبالطريقة نفسها؟
وخلال أيام أبدي كل منا رغبته في أن نتزوج زواجا عرفيا لا يعلم به أحد من الأهل.. ولكن بشرط أن أحتفظ بعذريتي وكان دافعي إلي ذلك هو أن يطمئن قلبي إلي أن ارتباطنا سيصبح بذلك أبديا وحتي نهاية العمر، وبالطريقة نفسها التي تم بها زواج الصديقين أتممنا زواجنا عند أحد المحامين وأعطاني فتاي مهرا وشهد علي العقد شاهدان من أصدقائه، وعلم به بالفعل بعض الأصدقاء المحدودين علي سبيل الإشهار وعشنا بضعة أشهر تملأ السعادة والحب والاحترام حياتنا إلي أن جاء يوم والتقيت به في شقته الخاصة تلبية لرغبته ولكي أري عش الزوجية الذي سأصبح ملكته المتوجة بعد التخرج كما قال لي، وباختصار فلقد خرجت من مسكنه تلك الليلة وأنا سيدة ومشاعري متضاربة بين الخوف والقلق والترقب، وتوقفت عن الاتصال به لمدة يومين كنت خلالهما أراجع نفسي فيما انتهي إليه أمري وأحاول تبين موضع قدمي، فاتصل بي هو معبرا لي عن سعادته بأنني قد أصبحت زوجته بالفعل.. ومؤكدا لي أن علينا أن نستمتع بحياتنا الزوجية الكاملة خلال فترة الانتظار إلي أن نتخرج ويتمكن من تحويل الزواج العرفي إلي زواج رسمي.. ولم أكن أملك سوي إطاعته في كل شيء وعشنا عاما آخر كاملا علي هذا النحو لمست خلاله في زوجي كل معاني الرجولة والإخلاص وكان الجانب السييء الوحيد في ذلك هو أنني كنت أشعر في داخلي بأنني لصة أسرق الوقت الذي أذهب فيه لزوجي لتلبية احتياجاته.. وأسرق من أبي وأمي عمرهما الذي أضاعاه في تربيتي ورعايتي وتوفير كل مطالبي وأحترف الكذب عليهما وأخون ثقتهما التي أعطياها لي بلا حدود، وشق علي تحمل هذا الوضع لفترة أخري فصارحت زوجي بأفكاري وطالبته بأن يتقدم لخطبتي خاصة أنني قد رفضت أكثر من خاطب مناسب دون إبداء أي أسباب.. فكانت الصاعقة التي أصابتني في مقتل حين رفض التقدم لطلب يدي وتخلي عني متعللا بأنه لن يتمكن من إقامة بيت وتكوين أسرة قبل عشر سنوات.. ولأنه سوف يظلمني بزواجه مني لأن حبي له أكبر من حبه لي!
وتجلت الحقيقة المؤلمة أمامي.. وانهرت نفسيا وصحيا وذبل جمالي وماتت الضحكة في وجهي.. وتساءلت لماذا فعل بي ذلك؟ أليس لأنني قد تساهلت معه علي طول الخط؟
وأليس معني هذا أنه وبعد أن أخذ مني كل شيء يريد لنفسه الآن فتاة أكثر حرصا علي نفسها لكي يعطيها اسمه؟
ومرت بي أيام عصيبة إلي أن تمالكت نفسي وطلبت منهالانفصال علي أمل أن يرجع عن رأيه السابق.. فإذا به بعد قليل من التردد يوقع الطلاق.. وإذا بي أري الدنيا كلها أمامي سوداء وأكره نفسي وكل الرجال.
وعشت فترة من أسوأ فترات عمري.. أشعر بخوف قاتل من مواجهة كل من هم حولي وأحس بنظرات الناس جميعا لي وأنا في الطريق وكأنها تتهمني في شرفي وتلومني علي ما فعلت بنفسي وحياتي وأسرتي.. وظللت هكذا إلي أن تقدم لي شاب لم أستطع رفضه وهتف بي هاتف في قلبي أن أقبل به خاصة أن بعض صديقاتي قد طمأنني علي إمكان إصلاح الخطأ الذي تورطت فيه!

وتمت الخطبة وفوجئت خلال تعاملي مع خطيبي بنوع لم آلفه من البشر فهو شاب ممتاز وأخلاقه كريمة وقلبه طيب للغاية ويزداد حبا لي يوما بعد يوم.. فبدأت أسائل نفسي ما ذنب هذا الشاب الطيب في أن ينخدع في؟ ولماذا لم ألتق به قبل خطيئتي الفاجعة؟.. وبعد تفكير غير قصير قررتألا أتحمل وزر خديعة هذا الشاب المخلص ويكفيني ما تحملته من أوزار في الفترة السابقة، وصارحته بعجزي عن إتمام الزواج وقدمت له وثيقة الزواج العرفي.. فقرأها وغرق في صمت عميق لعدة دقائق ثم غادر بيتنا بلا سلام.

ومضي يومان شعرت خلالهما ـعلي الرغم من ألأسي بأنني قد تحررت من بعض الذنب الذي يثقل علي صدري.. ثم اتصل بي قائلا لي إن لكل إنسان خطأ مخجلا في حياته وإنه، علي الرغم من فداحة خطئي الذي لا يغتفر، فإنني كنت أستطيع خداعه وإتمام الزواج منه دون أن يكتشف الحقيقة، وأن عذري الوحيد فيما فعلت أنه كان زواجا حتي ولو كان عرفيا.. ولم أكن قد التقيت به بعد. وبالتالي فهو يصفح عما جري ويرغب في إتمام الارتباط. فشعرت بالخجل من نفسي أكثر وأكثر، ومزقنا معا ورقة الزواج الملعون.. واتفقنا علي أن نبدأ صفحة جديدة في حياتي خالية من الأخطاء.. وخلال ذلك إذا ببركان من الحنق والغيظ والغضب ينفجر في قلبي تجاه فتاي الأول.. وإذا بي أتمني أن يأتي اليوم الذي يشعر فيه بخطئه الفادح ويأتي لكي يطلب مني الصفح والعفو عنه.. أو أن يتزوج وينجب بنات يخدعهن شباب مثله بالكلام المعسول المخادع ويتخلون عنهن كما تخلي عني..

إنني أكتب لك هذه الرسالة لكي أحذر كل فتاة في مثل عمري ألا تنخدع بوهم الحب الزائف وخديعة الزواج العرفي التي يتحايل بها بعض الشباب علي الفتيات لكي ينالوا منهن ما يريدون، ثم يلقون بهن وراء ظهورهم كما حدث معي.. أرجو أن تؤكد هذا المعني كما تفعل كثيرا وأن تكتب كلمة لفتاي السابق تذكره فيها بأن في السماء ربا يمهل ولا يهمل، ولن ينجو من عقابه عما فعل بي.. أما أنا فإن الإحساس المرير بالذنب يقتلني وأستغفر ربي ليلا ونهارا.. وأتساءل هل أتمم زواجي من خطيبي الحالي بعد كل ما جري.. خوفا من أن يعيرني به في المستقبل بعد الزواج.. أم أتركه لمن هي أفضل مني.. وأنتظر شخصا آخر لا يعلم شيئا عما حدث وأخدعه بالطهر والعفاف المزيفين كما تفعل بعض الفتيات!

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

الجوانب السيئة في قصتك هذه كثيرة وليست جانبا واحدا كما تقولين في رسالتك.. ولن أحدثك فقط عن خيانتك لثقة أبويك فيك وهما اللذان أفنيا عمريهما في رعايتك وتلبية احتياجاتك ومنحاك ثقتهما المطلقة بلا حدود.. وإنما سأحدثك أيضا عن الاندفاع والتهور والاجتراء علي كل الأعراف والتقاليد بإقدامك علي الزواج العرفي السري من شاب يقاربك في العمر ويدرس معك بالجامعة نفسها، وأنت في الثالثة والعشرين من عمرك ودون التوقف لحظة واحدة للتساؤل عن مدي مشروعية هذا الزواج.. وجديته وحله أو حرمته في غياب الأهل وأولياء الأمر.. وهل هو الطريق الصحيح إلي الزواج المشروع العلني فيما بعد أم أنه مجرد حيلة قانونية لإضفاء مشروعية كاذبة علي علاقة خاصة.. والتعلل بها لاستباحة الأعراض والاغتراف من اللذة المؤقتة، إلي أن يزهد فيها أحد الطرفين أو يصحو من غفلته؟.

ودون التوقف للتساؤل عن أثر مثل هذا الزواج المزعوم ـ حتي ولو كان قد تم في مكتب محام ووقع عليه شاهدان وعلم به بعض الأصدقاء علي سبيل الإشهار كما تقولين ـ علي حياة الفتاة التي تتورط فيه في المستقبل أو إذا تراجع الزوج عن الوفاء بعهده لمن أوقعها في حبائل هذا الشرك الخداعي ولم يتقدم لأسرة فتاته ويدخل البيوت من أبوابها لطلب يدها من أبويها كما فعل معك فتاك الأول؟

ولو أنكما حين انبهرتما بتجربة زواج عرفي مماثل تم بين بعض الأصدقاء، وأغراكما ذلك كما تفعل القدوة السيئة غالبا بتقليد التجربة بدعوي تأبيد العلاقة وضمان استمرارها، لو أنك قد حاولت حينذاك استقصاء أو تتبع مصير بعض حالات الزواج العرفي التي تمت بين طلبة وطالبات جامعيين أو فتية صغار خارج دائرة الأهل وبهذا المبرر المزعوم نفسه.. لتعرفي كم منها قد حقق الغرض المنشود من ورائها.. وتخرج الطرفان وتوجا قصتهما بالزواج الرسمي، وكم منها قد انتهي بالخذلان والخيبة والغدر بالعهود، لأدركت عمق الهاوية التي تنجرفين إليها من البداية، وعرفت أن معظم هذه الزيجات قد انتهي تقريبا بالنهاية المفجعة نفسها، إما لأن الشاب ومهما تظاهر بعكس ذلك لم يعف فتاته ـعلي الرغم من دوره الكبير في إغوائهاـ من الاتهام الباطني لها بالتفريط والاستهتار بالأعراف والتقاليد، فتخوف من الارتباط الرسمي بها بعد أن قضي منها وطره، وإما لأن الفتاة قد اكتمل نموها النفسي والعاطفي والعقلي، وفتر جموحها العاطفي فرأت في شريكها في المغامرة شخصا غير أهل للزواج العلني منها ورغبت في طي صفحته من حياتها والارتباط بمن يكون لائقا بها اجتماعيا وعائليا وماديا.

وعزوف الشاب عن استكمال مثل هذه القصة هو الأغلب والأعم في الحالات المماثلة، لكن آفة الكثيرين منا أنهم لا يتعلمون من تجارب الآخرين ولا يصابون بالظن علي نحو ما قاله عمرو بن العاص حين سئل عن العقل فقال إنه الإصابة بالظن ومعرفة ما سيكون بما قد كان!

وأبلغ دليل علي ذلك هو تبرير فتاك الأول لتخليه عنك بأنه لن يستطيع تكوين أسرة قبل عشر سنوات، فهو عذر أقبح من الذنب، إذ يتضمن اعترافا واضحا منهبانه لم يقصد بزواجه الوهمي منك تأبيد العلاقة وضمان استمرارها إلي حين إضفاء المشروعية عليها كما بررت أنت لنفسك إقدامك عليه.. وإنما قصد به التمتع مؤقتا بفتاة ملبية ومخدوعة بوهم هذا الزواج المزيف.. أما خشيته عليك من أن يظلمك إذا تزوجك لأن حبك له أكبر من حبه لك

فهو مبرر لا يقل بشاعة عن سابقه.. لأنه قد ظلمك بالفعل حين استدرجك لهذا الشرك.. وكان من واجبه أن يرفع عنك هذا الظلم بوفائه لك بالعهد لا أن يضاعف منه بالغدر والخذلان وبركان الغضب والحنق الذي يتفجر في أعماقك له مبرراته المفهومة، أما ما هو ليس مفهوما حقا فهو ما يراودك من أمنيات مكتومة في أن يجيء ذات يوم ليطلب منك صفحك عنه.. وكذلك مناشدتك لي أن أذكره برب السماء الذي يمهل ولا يهمل ولا يبدل القول لديه، إذ ماذا يهمك من أمره وقد انطوت صفحته الكريهة من حياتك إلي غير رجعة؟ ولماذا تنشغلين بعقاب من السماء ومستقبل بناته والانشغال نوع من الاهتمام لا يستحقه.

إن من يستحق الانشغال به حقا هو هذا الشاب الأمين الذي قدر لك مصارحتك له بحقيقة أمرك بدلا من خديعته، ولم يتخل عنك ورغب في إتمام الزواج منك.. وتفكيرك في التخلي عنهلمن هي أفضل منك قد يكون نوعا من عقاب النفس وازدرائها وجلدها بأخطائها، وقد يكون أيضا نوعا من الندم علي مصارحته بالحقيقة والتخوف من أثرها السلبي عليه حين يجمعكما عش الزوجية.. أو تعلقا بالأمل الغامض في عودة مياه النهر إلي منابعها بدلا من تدفقها في مسارها الطبيعي إلي مصبها وهو أمل مستحيل كما ترين!

فإذا كان الأمر كذلك فإني أقول لك إن من يرغب فينا ويحرص علينا ويتمسك بنا علي الرغم من كل شيء هو أفضل لنا من كل من عداه، فتفكيرك في خداع شاب ثالث وبناء حياتك معه علي مثل هذا الأساس الخادع ليس مما ترضاه فتاة كريمة لنفسها ولمن تختاره الأقدار لمشاركتها حياتها.

والمهم دائما هو أن يكون صفح خطيبك عما جري قبل أن ترتبطي به صفحا عقلانيا ناتجا عن تفكير عميق وناضج، وليس فقط بتأثير الفوران العاطفي الذي يحسه تجاهك الآن، وفترة الخطبة والاستعداد للزواج يمكن أن تكون مفيدة بالفعل في امتحان هذا الصفح والتأكد من عمقه وجديته.

==

الثمن القاسي

سيدي قد لا تهتم لرسالتي لكني أرجو أن تنشرها لعلها تكون عظة لغيري من السيدات اللاتي يسرن في غيهن مع أزواجهن فأنا سيدة في الخامسة والأربعين من عمري منحني الله جمالا ملحوظا وترعرعت في أسرة مصرية محافظة، والدي يعمل في مجال التجارة ومتيسر ماديا ووالدتي ربة منزل من الطراز الأول، لكني كنت أعاني من مشكلة ألا وهي أن والدي رجل محافظ ووالدتي كذلك، فلم يكونا يسمحان لي بالخروج مع صديقاتي أو زملائي في الدراسة، مع العلم أنني كنت في إحدي أرقي مدارس القاهرة وهي مدرسة مختلطة.

ومرت بي الأيام وأنا بداخلي تمرد علي تلك القيود حتي ساقتني الصدفة في إحدي المناسبات العائلية إلي التعرف بشاب يكبرني بخمسة أعوام وكنت حينها في السنة الثانية بالجامعة ووجدته يعمل بوظيفة مرموقة ووضعه المالي جيد.

الغريب في الأمر أن هذا الشاب وقع في غرامي وأحبني حبا غير عادي، وأنا لا أدري ما السبب، فكنت أقنع نفسي بأنه يحبني بسبب جمالي أو روحي المرحة أو لأنني لقطة لا يمكن أن يجد مثلي في الدنيا بأسرها. ومرت الأيام واحسست أني أحبه أو ربما وجدت فيه الخلاص من القيود المفروضة علي في وسط أسرتي.

المهم تقدم هذا الشاب للزواج مني وعاني الأمرين من أسرتي لكنه صمد حتي تزوجنا ومرت بنا الأيام سعيدة وهانئة فهو لم يقصر معي في شيء ورزقنا الله بولدين وبنت حتي تكتمل سعادتنا.

إلا أن الظروف الاقتصادية كانت أقوي من إمكانياته المادية وهو راض بتلك الحياة لكن تطلعاتي كانت أكبر من ذلك، فعرضت عليه أن أعمل فوافق وتمكنت من العمل في إحدي شركات البترول الأجنبية وصار دخلي أضعاف دخله وكنت انفق معظمه علي المنزل والباقي علي ملابسي واكسسواراتي، حتي الآن لا توجد مشكلة.

توالت الأيام فوجدتني أقارن بين زملائي وبينه، فهذا يهدي زوجته الماس، وهذا الذهب، أما زوجي فلم يهدني سوي الحب والحنان فتمردت عليه وحولت حياته إلي جحيم وضغطت عليه حتي يطلقني بكافة الصور علي مدي سبعة أعوام وهو صابر ومحتسب عند الله فكنت أخطئ في حقه وهو يرجوني أن اسامحه ودائما يدعو لي بالهداية، ويقول لي حرام أن ننفصل حتي علشان خاطر الولاد ولم يدخر جهدا لإسعادي وأنا لا أبالي.

وتمر الأيام وأنا في غيي القديم وهو في الجحيم، حتي أتي يوم كنت حينها في السابعة والثلاثين فدخل المنزل وهو مرهق من عمله وكالعادة قابلته بوجهي المتجهم وبالتحفز المعتاد لإختلاق المشاكل، فنظر في وجهي وقال لي أنا غير مستعد للمجادلة اليوم فقد تعبت من حالي وما أنا فيه، لقد صبرت عل الله يهديك، لكنك لا تريدين الهداية، ويكفيني ما فعلته حتي الآن، لقد نجحت في جعلي لا أحبك ودعا لي بالهداية وأضاف أنه سوف يتركني وهو مضطر لذلك وألقي علي يمين الطلاق وجمع ملابسه وغادر المنزل.

لا اخفي عليك سيدي لقد شعرت بالسعادة فأنا الآن حرة من قيود والدي، وقيود الزوج، فصرت أخرج، أذهب وأعود، دون رقيب وأمثل دور الشهيدة أمام الناس حتي لا تسوء صورتي، وتكشفت الحقائق فبدأت صديقاتي في الخوف علي أزواجهن مني وبدأ زملائي في التودد لي حتي إن أحدهم عرض علي الزواج العرفي وأنا مصدومة مما يجري حولي.

نسيت أن أخبرك أن أولادي بقوا معي فهم في أرقي المدارس وثلاثتهم متفوقون جدا فقد ورثوا ذكاء والدهم وكنت أقنع نفسي أن تفوقهم بسبب تلك المدارس اما هو فلم يقصر في واجباته نحوهم، فكان يحدثهم هاتفيا بالساعات،

ويحضر لهم الهدايا، ويزورهم في المنزل في حالة عدم وجودي ويأخذهم عنده في عطلته حتي يخرجوا وأحيانا يسافرون معا، والحق يقال إنه لم يذكرني بسوء أمامهم في يوم من الأيام حتي إن الولد الأكبر سأله لماذا لا يعيش معنا، فقال له إنه أخطأ في حقي وبالتالي فهو يدفع الثمن.

وعندما أفقت من غيي وعرفت أني ظلمت هذا الرجل نادر الوجود حاولت أن أعود إليه وقابلته وحاولت استمالته بشتي الطرق، فكان رده علي أنه لم يحب أحدا مثلي ولن يحب أحدا مثلي، لكنه لن يعود لي مرة أخري فقد تحمل ظلمي له كثيرا حتي بات لا يستطيع أن يتحمل المزيد وكالعادة دعا لي بالهداية وتركني.

حاولت أن أجعل اشقاءه وهو يحبهم ويحترمهم أن يقنعوه بالعدول عما في رأسه ورفض تماما.

ومنذ عامين اكتشفت أني مصابة بالمرض العضال ولم لا فأنا ادخن وأسهر واتناول المهدئات ولا اتحكم في انفعالاتي.

ولم أجد أحدا بجواري، فزملائي زاروني في المستشفي وتركوني وكانوا يكلمونني في الهاتف ووالدي توفيا حزنا علي زوجي وليس علي، فهو لم يقصر في حقهما وكان احن عليهما مني أنا وشقيقتي المهاجرة مع زوجها وشقيقي المشغول علي طول فلم أجد بجواري أحدا غيره.

لقد عاد إلي المنزل وأخذ اجازة من عمله فكان يراعي الأولاد ويراعيني حتي خرجت من المستشفي، فترك المنزل وكان يأتي ليصطحبني للعلاج الكيميائي ويساعدني لكنه رفض أن يعود لي وأنا لم أطلبها منه، فقد أضعته مني ويجب أن اتحمل النتائج.

إنني لا أناشدك أن تقنعه بالعودة لي، لكني أناشدك أن تنشر رسالتي علها تكون عظة لغيري فلا تقع فيما وقعت فيه وأناشد كل سيدة لها زوج يحبها أن تتمسك به قبل فوات الأوان.

ارجوك أن تحقق لي رغبتي أنا في مرضي وتنشر رسالتي علها تمنع خراب بيت فيثيبني الله عليها ويغفر لي ما كان مني.

سيدتي.. أحيانا أجدني عاجزا عن الرد أو التعليق علي رسالة من قارئ، تفيض صدقا وحكمة، مثل رسالتك، * فأري أن نشرها كاف، وأن أي كلمات مني لن تضيف لتلك المعاني التلقائية التي تمنح أصدقاءنا عن بعد، النصيحة المخلصة، أو تنير دروبا أظلمت أو أوشكت علي الاظلام.

انها البدايات الخاطئة سيدتي، هي التي تقود حتما إلي مثل تلك النهايات، وأقصد بالبداية تلك العلاقة بين الأبوين والأبناء، فتحول الحرص إلي قيود، والحب الكبير منهما إلي رغبة مراهقة في الهروب من حصار هذا الحب وطرق التعبير عنه، إنها القيود التي تحدثت كثيرا عنها، وأدمنت التمرد عليها بكل الطرق، فاخترت الزوج لتهربي من قيود والديك، ووجدت في نفسك عروس لقطة لن يجد في الدنيا مثلي، فعشت معه ولديك احساس بالتفضل عليه، وسقطت في دائرة المقارنات، الماس والذهب في مواجهة الحب والحنان، أيهما أربح؟ خرجت إلي الحياة العملية

براتب أعلي من زوجك الطبيب، فزاد إحساسك بالتميز عليه، ولم ينجح وجود أطفال ثلاثة بينكما، ولا حسن عشرته ومحبته لك في هزيمة تمردك الذي نما في داخلك منذ سني مراهقتك، فأشعلت في بيتك حريقا، وقررت أن تفري مما سميته قيودا، فاخترت تعذيب زوجك الذي لم يستجب الله لدعائه المتكرر ربنا يهديك، لأن الله سبحانه وتعالي يهدي من يشاء، وأنت لم تكوني راغبة في تلك الهداية، فكان ما كان، وخرجت من وهم القيود، من الحب والحنان، إلي زوجات خائفات منك علي أزواجهن، ورجال طامعون، وبعد أن أفقت وعرفت وفهمت أن الحب والحنان لا يقارنان بأموال الدنيا، لأنها لا تشتري لحظة سعادة أو أمان.. بالمال والماس، يمكنك أن تجمعي حولك الكثيرين، ولكنك لا تستطيعين دفع ثمن قلب محب مهما امتلكت من ثروة. فالمال يشتري المال، أما الحب فلا يأتي إلا بالحب.

إنها المعادلة الصعبة، التي لا يفهمها كثيرون، والبعض يفهمها بعد فوات الأوان، واعتقد أن تجربتك القاسية مع المرض العضال ـ شفاك الله ورفع عنك ـ كشفت لك هذه الحقيقة وجسدتها.

سيدتي.. علي الرغم من محاولاتك استعادة زوجك السابق، قبل مرضك، ورفضه المبرر، خشية أن يتعذب مرة أخري، ومع ذلك لم تجدي معك وحولك سواه.. وعلي الرغم من أنك لم تطلبي مني مناشدته العودة إليك، إلا أني استشعر هذه الرغبة الصادقة منك، وأجد في نفسي رغبة أشد، اعتقد أنها ستكون لدي أصدقائنا علي الورق في بريد الجمعة وهي مناشدة زوجك السابق، أن يعود إليك، محتفظا بمحبته وسماحته، موقنا أنك تعلمت الدرس، وقدرت قيمة حبه، خاصة أن عودته إليك ستساهم إلي حد كبير في إسعادك وزيادة مناعتك لتعينك علي مواجهة هذا المرض القاسي، فهل يفعل ويدخل الفرحة إلي قلوبنا مع قلبك وقلب أبنائه الثلاثة؟!.

==

التــوازن الصــعب

انا فتاه عمري٣٣ سنة، جامعية وعلي مستوي اجتماعي وثقافي ومادي فوق المتوسط، والدي طبيب ووالدتي موجهة لغة انجليزية وأخي وأختي جامعيان وانا اصغر اخوتي،وقد ولدت بإحدي الدول العربية حيث كان يعمل

والدي ووالدتي وعشت هناك أجمل سنوات عمري حتي حصولي علي الثانوية العامة بمجموع كبير وعدت الي مصر والتحقت بجامعة القاهرة وتخرجت فيها.
ومنذ٣ سنوات جاءت لي فرصة للعمل كسكرتيرة تنفيذية لمدير مشروع بشركة أجنبية باحدي المدن البعيدة، وبعد معارضة واختلاف في وجهات النظر مع الأسرة كلها استطعت السفر والعمل هناك لكي أثبت لنفسي قدرتي علي العمل في أحلك الظروف ولكي اعتمد علي نفسي وأكون شخصية مستقلة، وبعد فترة أحببت زميلي في العمل هناك بعد أن التقت نظراتنا منذ أول يوم التقينا فيه وصارحني بحبه وطلب مني الزواج، واعترفت له بحبي ولكني خشيت رفض والدي له نظرا لضعف إمكاناته المالية وعلينا تأجيل مشروع الزواج حتي يستطيع تحسين ظروفه المالية، وتعمق حبنا مع الأيام، وأصبحنا لا نستطيع أن نفترق عن بعضنا، ولعدم قدرتي علي فعل الحرام وخشيتي من أن أفعل أي شيء يغضب الله ونتيجة لحظة اندفاع غير محسوبة العواقب فقد تزوجنا عرفيا، ولم أكن أعلم في ذلك الوقت أن زواج البكر حتي ولو كانت كبيرة السن لا يجوز بغير ولي، وعشنا أنا وزوجي اياما غير محسوبة من الزمن وكانت أجمل أيام عمرنا وأقمنا معا بعد أن أخبرنا٨٠% من زملائنا بالعمل بحقيقة زواجنا كما علم أهله جميعا بالخبر وكذلك أصدقائي ولكن لم نحجب حقيقة زواجنا سوي عن أهلي. وبعد انتهاء المشروع هناك وعودتنا الي القاهرة بفترة أخبرتني صديقتي أنها شاهدت أحد الدعاة يقول في التليفزيون ان الزواج بدون معرفة الولي يعتبر باطلا وبالتالي وبناء علي اتفاق مع زوجي توقفت تماما العلاقة الزوجية بيننا ولكن ظللنا علي حبنا وتعاهدنا علي أن نكون لبعضنا الي النهاية وعلي أننا سنتزوج عندما تتحسن الظروف ويجد فرصة عمل مناسبة، ولم يكن حتي ذلك الوقت قد وجدها، وحين وجد العمل واستطاع تحسين ظروفه وبدأنا الاستعداد ليتقدم لأهلي ويطلب الزواج مني علم والدي بأمر زواجنا نتيجة لتفاصيل كثيرة لا أستطيع ذكرها الآن، وكانت كارثة الكوارث بجميع المقاييس إذ لا تتخيل مدي ما نالني من كل أفراد العائلة كما أقسم والدي بأنه لن يزوجني شرعيا من زوجي وحبيبي ما حييت حتي ولو كان آخر رجل في الدنيا، وبأنني لو أردت الزواج منه فيجب أن أترك المنزل وسيغضب علي الي يوم الدين، وأنه حتي يستطيع أن يسامحني بمرور الزمن فعلي أن ألازم المنزل وأنسي هذا الشخص تماما حتي أكفر عن ذنبي وحتي يقضي الله في أمرا كان مفعولا.
وأنا الآن لا أستطيع الاختيار فكلا الاختيارين مر كالعلقم، لأنه يخيرني بين أن أبتر يدي اليمني أو أن أبتر يدي اليسري، فأنا وزوجي نحب بعضنا ونريد الزواج شرعيا أمام كل الناس وان نواصل حياتنا معا، ووالدي يرفض ويتوعدني بالويل والثبور وعظائم الأمور لو فعلت ذلك وخرجت علي طاعته. وحتي بعد أن اتصلنا بدار الإفتاء أنا وابنة عمتي وأخبرنا الشيخ بأن الشرع يحتم علينا الزواج وبعد أن التجأت لكل افراد العائلة وحاولوا إقناعه بلا جدوي مازال والدي مصرا علي موقفه ولا يتراجع عنه، وبعد فترة قرر أنه من الممكن أن يزوجني من حبيب عمري علي أن يطلقني منه في اليوم نفسه، ولكنني رفضت ورجوته أن يسمح لي بالزواج منه وألا يغضب علي، وألا يدعو علي بالشر كما يفعل، ولكن بلا فائدة فهو لا يريد أن يتزحزح عن موقفه.
إنني أرجوك أن تتحدث الي والدي وتحاول إقناعه بأن يسامحني ويغفر لي خطيئتي في حقه وحق أخي وحق الجميع، وأخبره بأنني نادمة أشد الندم علي ما فعلت في حقه وأنني أدعو الله في كل صلاة أن يسامحني ربي ويسامحني والدي، وأرجوك أن تناشده بأن يكرمني ويرضي بزواجي ويدعو لي بالخير وألا يغضب علي لعل الأيام تثبت له أن زوجي انسان أمين وسأكون سعيدة معه، فهل تفعل؟.. إنه يقرأ لك ويقتنع بآرائك فهل تكتب له كلمة؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

أسأت الي نفسك والي إأبيك وأهلك باقدامك علي هذه الخطوة المصيرية بعيدا عن الأهل وبغير اذن وليك الشرعي أو قبوله، فلماذا اقدمت عليها وانت تدركين جيدا ماسوف يترتب عليها من تبعات ومشكلات؟

ولماذا لم تصبري علي نفسك الي ان يتقدم اليك فتاك بالسبل المألوفة وينجح في تذليل الصعاب التي تعترض طريق ارتباطه بك؟

إنك لست فتاة غرة في الثامنة عشرة من عمرها وإنما فتاة ناضجة تخطت الثلاثين، وكان من واجبك ان تسلكي الطريق المألوف للزواج والارتباط، وليس طريق الزواج العرفي السري بالنسبة للأهل، ووالدك محق بكل تأكيد في غضبه منك واستشعاره لجرح الكرامة والخروج علي طاعته، لكني بالرغم من ذلك سوف احاول ان اخاطب فيه الأب العادل الذي قد يغضب علي بعض ابنائه، وقد يرضي عنهم، لكنه في الحالين هو دائما من أهل الفضل الذين قال عنهم الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه انهم اذا رضوا لم يدخلهم الرضا في باطل، واذا غضبوا لم يخرجهم الغضب عن حق، واذا قدروا عفوا.. نعم ياسيدي واذا قدروا عفوا فهذا هو قدر الآباء الرحماء دائما قد يغضبون لكنهم ابدا لايسمحون لغضبهم ان يصل الي حد الانتقام، وقد يألمون لكنهم ابدا لايسمحون لآلامهم أن تحرم أبناءهم مما يرون فيه سعادتهم وهناءهم حتي ولو لم يرضوا عن بعض اختياراتهم في الحياة، ولا يستجيبون لانفعالات الغضب وجرح الكرامة إلي النهاية، وإنما يتعالون بعد قليل علي جراحهم ويضحون ببعض اعتباراتهم، ويواصلون العطاء لابنائهم، وهم يحتسبون عطاءهم هذا عند ربهم، ولأنه من أهل الفضل هؤلاء، فإنني أناشد أباك أن يكتفي من العقاب لك علي فعلتك هذه بما مضي من الرفض والاستنكار، وأن يعيد النظر في موقفه من ارتباطك بهذا الشاب، ويحقق التوازن الصعب بين الاعتبارات العائلية والاجتماعية التي يحرص عليها، وبين

رغبتك فيمن تريدين مشاركته رحلة الحياة، وليس ذلك بالأمر السهل لكنه أيضا ليس بالمستحيل علي أهل الفضل من الآباء، وإني لأرجو ألا يرد رجائي وألا يطول الانتظار حتي يقرر الاكتفاء بما حدث حتي الآن، ويمنحك مباركته لاختيارك مهما تكن تحفظاته عليه.. ويدع لك الفرصة لخوض التجربة في العلن وفي ظلال مباركة الأهل وتحت أنظارهم وليس بعيدا عنهم.. أو وأنت مقطوعة الصلة بهم.
==

التساؤلات القاسية

أنا سيدة أبلغ من العمر٣٨ سنة، أعمل في أحد البنوك الأجنبية ومن أسرة ميسورة، وقد تزوجت منذ١٢ عاما من رجل أحببته بكل إخلاص وتفان، وتحديت معه صعابا كثيرة حتي أصبح يشغل الآن مركزا مرموقا بأحد البنوك.. وقد أنجبنا خلال رحلة زواجنا ابنا عمره الآن عشر سنوات وابنة في الثامنة من عمرها، وقد بدأت مشكلتي مع زوجي بعد الزواج بفترة ليست طويلة. وكانت مشكلتي الحقيقية هي أنني باعتباري الابنة الوحيدة المدللة لأبي وأمي لم أكن قادرة علي تحمل اية مسئولية، فبدأت بالشكوي عند أول صعوبات تواجهني ثم صادفت زوجي بعض المشاكل المادية، وكنت في ذلك الوقت في اجازة بدون مرتب من عملي ونعتمد في معيشتنا علي مرتبه وحده، فلم أحتمل ضيق الحياة وأكثرت من الشكوي وهجرت البيت أكثر من مرة. ورجعت استجابة لطلبه وإلحاح الأهل. وفي أحد الخلافات بيننا منذ ثلاث سنوات طلقني زوجي وترك لي البيت وشعرت أنا بالمهانة الشديدة، وبعد فترة أخري تحول الطلاق الشفهي إلي طلاق رسمي، ومنذ ذلك الحين وأنا أعيش في وحدة قاسية بالرغم من عودتي إلي عملي مرة أخري، وأعاني الكثير في تربية أبنائي وحدي ومن سؤالهم الدائم عن أبيهم وحبهم له.. ومن تساؤلاتهم القاسية لي كل حين لماذا طلقك بابا.. ولماذا لا يقيم معنا؟ ولماذا لم يعد ينام كل مساء إلي جوارك في غرفة النوم؟ فأشعر بالعجز والشلل أمام هذه التساؤلات المؤلمة ولا أستطيع فعل شيء.. ولقد حاولت استرداد زوجي أكثر من مرة وحدثته في أمر الرجوع مرة أخري، واعترفت له بأن أي خطأ ارتكبته من قبل لن يتكرر مرة أخري في المستقبل، وأن ما أعانيه في الحياة من بعده قد ساعدني علي أن أعرف له قدره الحقيقي، وإنني مازلت أكن له مشاعر المحبة.. والود، لكنه يرفض تماما العودة إلي ويقول لي إن ما فعلته من شكواي منه لأهلي قد أهانه إهانة لا يستطيع التسامح معها.. فهل ما فعلته معه يستحق هذا الموقف القاسي منه؟ إنه يحب أولاده جدا ويعاملهم معاملة حسنة.. انني أرجوك أن تناشده العودة إليهم لأنهم يحتاجون إليه.. كما أحتاج أنا إليه خاصة أنه لم يتزوج بعد انفصالنا ولم يرتبط بإنسانة أخري، وأن تؤكد له أنني لن أجد أبدا من هو أفضل منه لنفسي وأولادي ولا يمكن أن أفكر في الزواج من رجل آخر سواه لكيلا أؤذي أبنائي أو أجرح مشاعرهم، كما أرجو أن توضح له أن ما فعلته خطأ قد يقع فيه أي شخص عادي، وقد رجعت عنه وخير الخطائين التوابون. إنني أكتب لك هذه الرسالة بكل صدق وإحساس بالندم وبكل الإصرار علي عدم الرجوع لاخطائي السابقة، وأتمني عودة زوجي ووالد أبنائي إلينا لأنني لا أريد لهم أبدا أن يحيوا مشتتين بين الأب والأم، وأريده أن يكون معنا وأن يعرف حجم الضرر الذي ينتج عن الوضع الحالي بالنسبة لأولادنا. وأن يعرف كذلك أنني أريد أن أعوضه عن أي فعل أو تصرف جرحته به.. فهل نسيني فعلا ولم أعد أمثل له شيئا! إن ما يعطيني الأمل في عكس ذلك هو معاملته الحسنة لي بعد الانفصال.. واعتمادي علي حبنا القديم وعمق ارتباطنا السابق.. فهل هناك أمل حقا يا سيدي؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

بصدق الندم يفوز المرء بالغفران! فإذا كنت قد استشعرت بالفعل الندم الصادق علي ما كان من أمرك مع زوجك السابق واستوعبت درس التجربة الماضية وأدركت أخطاءها وصح عزمك علي الاستفادة منها في تجنب عثرات الطريق في المستقبل، فلابد أن يرشحك ذلك للسعادة والأمان في الحياة.. ولاشك في أن أكبر ما يبعث الأمل في ذلك هو إدراكك لأسباب انهيار حياتك الزوجية السابقة وتسليمك بمسئوليتك عنه.. واعترافك بأن مشكلتك الحقيقية كانت في أن أبويك قد أسرفا في تدليلك كابنة وحيدة لهما فنشأت غير مؤهلة لتحمل المسئولية.. وسارعت بالشكوي والأنين وهجر منزل الزوجية عند أول اختبار لصلابتك وإدراكك لواجبك كزوجة يتوقع منها زوجها أن تقف إلي جانبه في المحن والخطوب، لا أن تتخلي عنه أو تبادر بالشكوي منه والإساءة إليه، وليس ذلك بغريب علي سمات الشخصية المدللة التي تتسم عادة بالأنانية وقلة الصبر.. وخور الإرادة.. وسوء الفهم لأولويات الحياة الأساسية وتعجز عن التضحية ببعض متطلباتها الذاتية في سبيل الأهداف الأولي بالرعاية كسعادة الأبناء وحماية الحياة الزوجية من الانهيار، فهي شخصية منطقية مع نفسها تتمحور اهتماماتها حول الذات، وتعلي كل ما يتعلق بها من اعتبارات علي ما عداها من أهداف الحياة وغاياتها.. ولهذا فكثيرا ما تواجه الفشل في الحياة الزوجية التي تتطلب دائما الغيرية.. والتضحية.. والعطاء.. وإعادة ترتيب الأولويات بما يخدم هدف الاستمرار والنجاح، وليس فقط هدف ارضاء أحد الطرفين علي حساب بقية الاعتبارات ولأن الحياة الزوجية ليست دائما نزهة شاعرية خالية من الأعباء والأكدار، فلقد كان من عادات اليابانيين في الزواج أن تشعل العروس في ليلة الزفاف مشعلا تقدمه لزوجها لكي يحرق به ألعاب الطفولة والصبا التي تحتفظ بها الفتاة حتي الزواج، إشارة إلي انقضاء عهد اللهو واللعب في حياتها وبدء مرحلة الجدية والكفاح والعطاء، وفي تقديري أنك قد صرت الآن مؤهلة لإيقاد هذا المشعل وتقديمه إلي زوجك قربانا لاستئناف حياتكما المشتركة مرة أخري وإيذانا بانقضاء عهد الخفة والاستهتار.. وبخس حق العشير، ومن واجبه تجاه أبنائه قبل أي طرف آخر أن يمنحك هذه الفرصة العادلة

لإثبات هذا التطور الايجابي في شخصيتك وأفكارك عن الحياة الزوجية والحياة بوجه عام، فلقد صهرتك تجربة الوحدة والانفصال وفقدان الرفيق وتساؤلات الأبناء المؤلمة وتطلعهم المحروم للحياة الآمنة بين أبويهم فهما أعمق للحياة ال
زوجية واستعدادا أفضل للتعامل مع شريكك فيها وتقديرا أكبر لمسئولياتك كزوجة وأم..
فإذا كان زوجك مازال يستشعر الإهانة الشخصية ويعجز عن الغفران بعد ثلاث سنوات من الانفصال فليس هناك في الوجود كله من هم أحق بأن نتغاضي من أجلهم طائعين عن بعض اعتبارات الكرامة الشخصية مثل الأبناء. ولست أتصور أن يرضي عن نفسه إذا هو حرمهم من حقهم في الحياة الطبيعية بين أبوين متراحمين يتعاونان علي رعايتهم وإسعادهم.. من أجل بعض الاساءات القديمة التي يكفي الاعتذار الحار عنها والندم الصادق عليها.. للتجاوز عنها ثم ألا يحب زوجك أن يكون من الأخيار والفضلاء الذين جاء وصفهم في الأثر فقيل عنهم إنهم إذا رضوا لم يدخلهم الرضا في باطل.. وإذا غضبوا لم يخرجهم الغضب عن حق، وإذا قدروا عفوا؟
==

التجربة الفاسدة

قرأت رسالة الجانب السييء للفتاة أو السيدة الصغيرة بمعني أصح التي تزوجت زميلا لها في الكلية زواجا عرفيا سريا لمدة ثلاثة أعوام.. وبعد أن تخرج كل منهما ابتعد عنها زميلها.. ووجدت نفسها في مأزق وهي تعيش بين أهلها كفتاة بريئة لم تسبق لها أية تجربة.. ويتقدم إليها الخطاب..
ولن أعلق علي الجانب الأخلاقي في هذه القصة، وإنما سوف أقول إنني وقعت مثل هذه الفتاة في مشكلة مماثلة تماما مع اختلاف بسيط هو أنني كنت الطرف الآخر في القصة أي الشاب وليس الفتاة. فأنا شاب عمري٢٦ عاما مات أبي وأمي وأنا في سن صغيرة وكافحت كفاح الأبطال حتي أنهيت تعليمي وتخرجت في كلية عملية، وخلال دراستي بالثانوية العامة تعرفت علي فتاة عوضتني عن حنان الأم، ومشورة الأب ووقفت بجانبي ولن تبخل علي بشيء.. خاصة أن ظروفها كانت ميسرة ماديا في حين أن ظروفي أنا قاسية.. وبمرور الأيام تعمق الارتباط بيننا حتي وجدنا نفسينا نتساءل بعد ثلاث سنوات من العلاقة ماذا يمنعنا من أن نتزوج سرا، لكي يصبح ارتباطنا أبديا، خاصة أن ظروفي المادية لن تسمح لي بالإقدام علي الزواج العلني قبل سنوات عديدة.. وهكذا تزوجنا عرفيا وسريا وعشنا فترة سعيدة لاهية من العمر.. وبعد عامين من الزواج تخرجت فتاتي في كليتها وأنا مازلت في السنة النهائية بكليتي.. وبدأ الخطاب يتقدمون إليها.. لأنها جميلة ومحترمة ويتمناها أي إنسان! وتقدم لها شخص مناسب تماما عائليا واجتماعيا وماديا رحبت به الأسرة.. وجاءت هي إلي تبكي وتسألني المشورة.. ولم أجد بدا من التقدم إلي أهلها لكي أوقف ضغطهم عليها لتتزوج.. فتقدمت إلي والدها أطلب يدها.. وسألني الأسئلة التقليدية عن عملي فأجبته بأنني مازلت طالبا بالبكالوريوس.. فسألني عن إمكاناتي المادية فأجبته بأنها صفر! فسألني عما إذا كنت أملك سكنا أو لدي أية خطة للحصول علي سكن في المستقبل القريب، فأجبته بأنني لا أملك سكنا ولا خطة للحصول عليه في القريب العاجل.. فنظر إلي متعجبا وانتهي الأمر بالرفض طبعا. وبعد ضغوط شديدة مارستها فتاتي علي أهلها قبلوا كارهين بالخطبة بشرط إنهاء دراستي والالتحاق بعمل مناسب وتقديم شبكة لائقة، والبدء في مشروع للحصول علي شقة ولو بالإيجار، وأنهيت دراستي بالفعل.. وقبل أن أجد عملا كنت قد التحقت بالخدمة العسكرية.. وبعد أن أنهيتها بدأت أبحث عن عمل مناسب.. والتحقت بأكثر من عمل لفترات قصيرة. ولم أستقر في واحد منها إلي أن ارتبطت بعمل مناسب في النهاية.. وبدأت ألتقط أنفاسي.. وتصورت أن أمامي مهلة كافية لكي أستطيع تنفيذ الالتزامات المطلوبة مني خطوة بعد أخري.. لكني فوجئت بأن أسرة فتاتي قد ضاقت بطول الانتظار.. وبأنها تخيرني بين تقديم الشبكة وإيجاد المسكن أو فسخ الخطبة، خاصة أنه قد تقدم للفتاة شاب ملائم من كل الوجوه وجاهز ماديا ولديه شقة.. واستنجدت بفتاتي مرة أخري لكي تضغط علي أهلها ليترفقوا بي..
وعرضت عليها أن تصارحهم بالحقيقة وهي أننا متزوجان عرفيا، لكن فتاتي خشيت علي سمعة أهلها وسمعة شقيقاتها البنات إذا شاعت حكاية زواجها السري ورفضت ذلك الحل.. فعرضت عليها أن نتزوج رسميا ونضعهم أمام الأمر الواقع فرفضت ذلك أيضا للاعتبارات السابقة نفسها، وطلبت مني أن أطلقها لأن أهلها سوف يعقدون قرانها علي الشخص الذي تقدم إليها ولن يكلف أسرتها شيئا وطلقتها استجابة لرغبتها وأكدت لها أنني سوف أقف إلي جوارها إلي أن تتجاوز المحنة التي تواجهها، وصاحبتها إلي طبيب أجري لها جراحة أزالت آثار زواجنا العرفي، وتزوجت الآخر بسلام وانتهت قصتي معها وقصتها معي وأنا الآن أراها علي البعد تحيا حياتها مع زوجها في سعادة وأماني، أما أنا فإني أعيش في ضياع بعد أن فقدتها.. ولهذا فقد عاهدت نفسي ألا أجرب الحب مرة أخري.. وألا أثق في أي فتاة أيا كانت لكيلا تخدعني كما خدعت فتاتي زوجها الجديد ولم تصارحه بزواجها السابق مني!
وأريد في ختام رسالتي أن توجه كلمة إلي الآباء والأمهات ألا يغالوا في مطالبهم من الشباب.. فنحن نريد أن نتزوج لكيلا ننحرف لكن الأهل يغالون في المطالب غالبا فتكون النتيجة هي الوقوع في مثل هذه المشكلة خاصة بعد أن أصبحت إزالة آثار الزواج العرفي لا تتكلف كثيرا.. ولا تقارن بالتكاليف الباهظة للزواج الرسمي!
والسلام!
ولكاتب هذه الرسالة أقول:

أسوأ التجارب هي التي يخوضها المرء ويدفع ضريبتها كاملة من عمره ثم لا تكسبه زادا يحسن من قدرته علي التعامل السليم مع الحياة وتجنب الأخطاء والأشواك في قادم الأيام.

فإذا كان تمام العقل طول التجارب كما يقول لنا الشاعر العربي، فإن المقصود بطول التجارب هنا هو الاستفادة بدروسها في التمييز بين الخطأ والصواب وفي تفادي العثرات والبعد عن الشبهات.. وأنت أيها الشاب تتحدث عن تجربتك مع ما تسميه بالزواج العرفي السري من فتاة صغيرة بعيدا عن أهلها وخروجا علي إرادتهم وطاعتهم، وكأن الخطأ الجوهري في هذه القصة المخجلة كلها هو موقف الأهل الذين تمسكوا بشرط العمل والشبكة ووضع القدم علي بداية الطريق للحصول علي سكن، ثم حين لم يجدوا أية بادرة أمل في تحقق ذلك رحبوا بمن طرق بابهم في العلن طالبا يد ابنتهم.

والحق أننا إذا كنا نطالب الأهل دائما بتقدير ظروف الشباب والتيسير عليهم إذا جاءهم من يرضون دينه وخلقه وإلا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير كما جاء في مضمون الحديث الشريف فإن ذلك لا يعني أيضا أن يرحب هؤلاء الأهل بلا تحفظ بمن لم ينه دراسته بعد ولم يعمل ولم يبدأ أية خطوة علي طريق الحياة العملية دون شروط ولو حتي من باب حثه علي الكفاح الجاد في الحياة من أجل تحقيق الأهداف.. كما أن ذلك ينبغي ألا يصرفنا أبدا عن الأخطاء الجوهرية الحقيقية التي صنعت هذه المشكلة بغض النظر عن تساهل الأهل أو تشددهم ابتداء من إغرائك لفتاة صغيرة بالمرحلة الثانوية بالارتباط بك، أي إغواءك لها بأن تسلم لك نفسها وهي طالبة جامعية بزعم الزواج العرفي السري الئي لا يختلف في مثل هذه الظروف عن مضمون العلاقة غير المشروعة في شيء مرورا ببقية الأخطاء التي تشمل اقتراحاتك النيرة.. لإحراج الأهل وإرغامهم علي قبولك زوجا لابنتهم عن طريق مصارحتهم بهذه العلاقة وما ترددت إليه، أو الزواج رغما عنهم ووضعهم أمام الأمر الواقع، ختاما بالتحايل لإزالة آثار هذه العلاقة غير المشروعة، فهذه هي الأخطاء الجسيمة حقا التي ينبغي لك أن تتوقف أمامها طويلا في هذه القصة وتشعر بالأسف لها وبالندم عليها.. وهذا هو الدرس الذي ينبغي لك أن تستوعبه جيدا وتطلب من الآخرين أن يستفيدوا منه.. وملخصه في عبارة واحدة هي أن خداع النفس بغرض تحري الحلال والعفاف بالزواج العرفي بين الفتية والفتيات الصغار في مثل هذه الظروف ليس سوي ممارسة للعلاقات السرية غير المشروعة تحت طلاء زائف لا يصمد للحقيقة.. ولا يعفي أطرافه من الإدانة والنبذ ولو لم يكن الأمر كذلك لما تكتمت فتاتك هذا الزواج المزعوم عن أهلها وزوجها الحالي ولما خشيت من أثر ذيوع أمره علي سمعتها.. وسمعة شقيقاتها وأسرتها. إما أن يكون درس التجربة كلها بالنسبة إليك هو لوم الأهل علي تشددهم من وجهة نظرك في مطالبهم ممن تقدم لابنتهم، وعدم الثقة في كل الفتيات خوفا من أن تخدعك فتاة كما خدعت فتاتك السابقة زوجها الحالي وتكتمت عنه زواجها المزعوم، فهذا هو حقا أكثر الدروس فسادا وأبعدها عن الحق والعدل والمنطق، ولقد قلنا مراراوتكرارا إن حب المراهقة لا يصمد لعوامل الزمن أو حقائق الحياة في معظم الأحيان وإن مرور السنين عليه واكتمال نضج طرفي القصة كثيرا ما يغير من شخصية كل منهما وسماته النفسية والمزاجية.. فيكتشف غالبا أن ما كان يظنه حب العمر ليس سوي مشاع

ر ساذجة غير حقيقية، وأن من يحسبه قرين الروح والقلب إلي نهاية المطاف، يكاد يكون شخصا آخر لا يحمل تجاهه أكثر من المشاعر الحيادية وبعض الذكريات الخاصة.. فينصرف عنه.. ويتجه وجهة أخري في حياته، وهذا هو ما حدث معك في تقديري، حين نضجت مشاعر فتاتك السابقة واكتسبت بعض القدرة علي التفكير الواقعي، وتقدير العواقب فرغبت في طي هذه الصفحة المخزية من حياتها، وبدء صفحة جديدة نظيفة لا تحتاج خلالها إلي التخفي عن الآخرين بشيء.. فاستوعب مغزي تجربتك الخاطئة جيدا أيها الشاب ولا تعمم درسها الفاسد علي بقية الفتيات، فليست كل الفتيات سواء في استجابتهن للغواية أو في خداع النفس بوهم مثل هذا الزواج العرفي المزعوم، كما أن كل الشبان أيضا ليسوا علي هذه الشاكلة حتي ولو بدا للمتشائمين غير ذلك.. ما أكثر من يرعون حدود الله في حياتهم الشخصية من الفتيات والفتيان، وما أكثر من لا يقبلون علي أنفسهم ولا علي ذويهم ولا دينهم مثل هذا الخنا.. لكن صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار كما يقول لنا القطب الصوفي أبو بكر الشبلي، تماما كما أن صحبة المتساهلين أخلاقيا تورث سوء الظن بغيرهم كما تقول لنا تجربتك المدمرة هذه.. فإذا رغبت حقا في الاستفادة من هذه التجربة، فاقتنع أولا بخطئها منذ البداية إلي النهاية.. واستشعر الندم عليها واعقد العزم علي التكفير عنها بصدق الندم والاستغفار وعدم العودة إلي مثلها أبدا، ولن يمضي وقت طويل حتي يتفتح قلبك لأخري وترحب بك أسرة كريمة تيسر لك طريق العفاف بالطريق المشروع وتعينك علي أمرك بإذن الله.

==

التجربة العارضة

أنا رجل أبلغ من العمر ٧١ عاما ومتزوج منذ٤٧ عاما من ابنة عمتي وهي في مثل عمري ولم تكن حياتنا الزوجية مستقرة إلا أننا رزقنا بثلاث بنات، عكفت علي تربيتهن وتهذيبهن خلقيا ودينيا وتحملت الكثير من مضايقات هذه الزوجة وشتائمها لي ولوالدتي حتي بعد وفاتها، إلي أن أديت رسالتي نحو بناتي بإتمام تعليمهن الجامعي وزواجهن من رجال أكفاء وإنجابهن لحفدة أعزاء وصل بعضهم إلي نهاية التعليم الجامعي بعون من الله وفضله.

ومنذ نحو ثلاث سنوات ونظرا لما كابدته من نفور من زوجتي وجدت نفسي عاجزا عن الاتصال الحميم بها، مما دعاني للابتعاد عن مخدعها والنوم في حجرة أخري، وبمرور الأيام وجدتني أفقد توازني العاطفي والشخصي وأتغير في تعاملي مع الناس عموما، فحاولت العلاج بالأدوية المقوية ولكنها لم تأت بنتيجة مما زاد من همومي وانطوائي، وفي هذه الأثناء وضعت الأقدار في طريقي آنسة في نحو الثلاثين من عمرها رأيت فيها ماقد يعيد لي مافقدته، فعرضت عليها الزواج وقبلت بعد تريث وتفكير، وأتممنا الزواج عند المأذون ودخلت بها في أمان الله وكانت إرادة الله أن تحمل ولكن لم يدم الحمل طويلا، فتألمت كثيرا ثم صبرت واحتسبت. ومرت تسعة أشهر ونحن نتقابل مرة واحدة في الأسبوع حفاظا علي شعور الزوجة الأولي، ومدعيا علي غير الحقيقة وجودي في أماكن أخري، وفي مساء أحد الأيام منذ أسبوعين إذا بزوجتي الأولي تباغتني بعد عودتي من لقائي بزوجتي الثانية بسؤالها أين كنت؟ وتصر إصرارا عجيبا علي معرفة الاجابة مما اضطرني لأن أصرح لها بالحقيقة المرة التي لم تتوقعها، فهاجت وماجت واستدعت إخوتي واكبرهم يصغرني بنحو ١٤ سنة لتعرض عليهم الأمر واعتبرتهم أهلها، مما أساء لمشاعري بصفتي الأخ الأكبر لهم وعميد أسرتهم. وطلبت الطلاق مع إحتفاظها بالشقة والإقامة فيها وعدم وجودي فيها أيضا إلا إذا طلقت الثانية..وإنني الآن اسألك ؟

هل أنا مخطئ بزواجي الثاني مع وضع الظروف التي ألجأتني لذلك الزواج في الاعتبار؟ وهل من حقها الاحتفاظ بالشقة وأخذ حقوقها المادية كاملة أيضا؟ وهل من العدل تطليق زوجتي الثانية إرضاء للزوجة الأولي وبناتها الثلاث المتزوجات؟

وهل إذا تم طلاق الزوجة الثانية ستستقيم الأمور وتنصلح حالتي النفسية وكأن شيئا لم يكن؟ أم سأعود للهموم والإنطواء مرة أخري؟..

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

الزواج للمرة الثانية في هذه المرحلة من العمر وممن تصغرك بأكثر من٤٠ عاما ليس مما يتفق مع طبيعة المرحلة.. ولا مع المكانة التي يحرص أب مثلك علي أن تكون له بين بناته وأزواجهن وأصهارهن، ناهيك عن الأهل والإخوة الذين يصغره أكبرهم بـ١٤ عاما.. لهذا فلقد كان الأجدر بك وقد صبرت ـ كما تقول ـ علي حياتك الزوجية٤٧ عاما أن تحتمل مابقي من العمر المقدور للإنسان، بغير الإقدام علي مثل هذه المغامرة التي تهدد الحياة العائلية بالاضطراب والقلاقل في سن الجلال والاحترام. إن لم يكن رعاية للزوجة والأم التي رافقتك مايقرب من نصف قرن، فرعاية علي الاقل للبنات المتزوجات وحرصا علي تجنيبهن الحرج مع أزواجهن وأصهارهن، وتفاديا لتكدير حياتهن بمشكلة تتعلق بأمهن وتفرض عليهن كل الظروف أن يتعاطفن معها فيها وينحزن إلي جانبها ضدك مع مايترتب علي ذلك من حرج معك، أو كدر في العلاقة بينك وبينهن، ولقد كن في غني عن كل ذلك لو كان أبوهن قد وضعهن في اعتباره بعض الشئ وهو يقدم علي هذه الزيجة الثانية، كما أن الانسان لايكتسب مايستحقه من مكانة لدي أبنائه وأخوته وأهله بضعفه أمام رغائبه وانحصار تفكيره فيما يحقق له وحده المتعة دون النظر إلي أي شئ آخر.. وإنما بترفعه عما لايليق به ولا بالمرحلة التي يجتازها من العمر وبصبره علي بعض النواقص في حياته، بغير أن ينزلق إلي مايخدش جلاله واحترامه لدي من يهمهم أمره، وقديما قالت الحكمة البوذية إن العظمة الحقيقية هي في الصبر علي المكاره، وليس العكس، ولهذا فلن اناقش معك قانونية حق زوجتك الأولي في الانفراد بمسكن الزوجية دونك إذا رفضت أنت إنهاء هذه التجربة العارضة في حياتك، لأن الأمر هنا لايتعلق بالحقوق ولابنصوص القانون، وإنما يتعلق بما يليق بالفضلاء أن يفعلوه وما لايليق.. ومايليق بالفضلاء هو أنه إذا استجاب أحدهم لأهوائه وأقدم علي ما أقدمت عليه أنت وأصرت زوجته علي أن يطلق الأخري أو تنفصل عنه بعد عشرة٤٧ عاما، فإنه لايجد مفرا أمامه من أنهاء هذه التجربة العارضة.. وتعويض بطلتها ماديا عن ذلك إرضاء لنفسها ولأن الإغراءات المادية كانت بالضرورة أحد أسباب قبولها لها، ثم العودة إلي الزوجة الأولي ومحاولة بعث الحياة في علاقته بها أو الرضا بحياته معها دون تطلع إلي ماينقصه فيها، فإن لم يفعل ذلك وأصر علي الاستمرار في التجربة العارضة إلي آخر مدي، فلا مفر أمامه في هذه الحالة من الاستجابة لمطلب زوجته الاولي بالانفصال.. وترك مسكن الزوجية لها رعاية لعشرة نصف قرن من الزمان أيا كانت تحفظاته عليها.. وإكراما لأبنائه الذين يشقون باضطراب حياة أمهم في مثل هذه المرحلة من العمر..، ويزعجهم كثيرا أن تفقد أمهم استقرار حياتها وأمانها في أواخر العمر، وذلك كله بغض النظر عن حق الزوجة في الشقة أو عدم أحقيتها فيها، فهل تفعل مايفعله الفضلاء في مثل هذه الظروف؟!

==

التجربة الخاسرة

قرأت رسالة البيت الجديد للسيدة التي أعطت زوجها كل الحب والحنان، وتفانت في إسعاده، فقابل الزوج كل هذا العطاء بالقسوة وطلقها بعد تسع سنوات لأنها محرومة من الإنجاب والأمومة، وبرغم قبولها بزواجه من أخري بهدف الإنجاب ومساعدتها له علي تحقيق ذلك، ولقد أثارت هذه القصة تأملاتي وشجوني ليس لأن قصتي شبيهة بها، وإنما لأنها الوجه الآخر لها، فأنا سيدة في السابعة والعشرين من عمري ومن أسرة بسيطة ولي اختان أصغر مني، خطبت لشاب قبل عدة أعوام ولم يكتب لنا الله التوفيق فافترقنا، ثم تعرفت منذ عامين برجل يملك شركة للمواد الغذائية يكبرني بـ٢٨ عاما، شعرت بأنه سيكون لي الأب والزوج والحبيب، وساعدتني علي ذلك معاملته

الرقيقة لي، وتدينه، فأحببته وتعلقت آمالي به.. وصدقت كل كلمة نطق بها أمامي، وتأثرت بشدة حين روي لي باكيا قصته مع مطلقته أم ابنته الوحيدة البالغة من العمر١٢ عاما، وكيف كان مظلوما معها، وحين سألته كيف احتمل الوحدة عشر سنوات كاملة بعد طلاقه لزوجته الأولي، بكي مرة أخري واعترف لي بأنه تزوج من سكرتيرته خلال هذه الفترة، لكنها خانت العشرة بعد تسع سنوات وسرقت منه أوراقا مهمة ونقودا وسافرت إلي دولة أوروبية وتركته. فازداد تعاطفي معه وعقدت العزم علي أن أعوضه عن تجربتي الزواج الفاشلتين هاتين، وخطبت له بدبلتين فقط، لأنه قال لي إنه يمر بأزمة مادية عارضة، ولم يقتنع أهلي بحكاية الدبلتين فقط وهو الذي لايبدو عليه أنه معسر، فاشتريت ببعض مدخراتي بعض المشغولات الذهبية وزعمت لأهلي أنه اشتراها لي..

وخطبت له وتم عقد القران دون دخول.. واستمرت الخطبة عاما دون أن يحدد موعدا للزفاف بسبب أزماته المادية المتتالية،واستاء أهلي لطول فترة الخطبة، وضغطوا عليه لتحديد موعد الزفاف، فاستجاب كارها..وتم الزفاف عائليا وفي أضيق الحدود بناء علي طلبه، وبعده بيومين فوجئت به يأمرني بعدم الرد علي التليفون نهائيا سواء كان موجودا بالبيت أم غائبا عنه، وبعدم الاتصال بمكتبه أبدا مهما تكن الظروف، ويضع لي جدولا لتنظيف الشقة وتلميع كل قطعة من قطع الأثاث فيها وهي شقة كبيرة مساحتها٣٢٠ مترا ومن طابقين، ولم أتوقف كثيرا أمام كل ذلك، لكني توقفت أمام إصراره علي ألا يصطحبني معه إلي أي مكان أو إلي أي دعوة للعشاء أو الغداء أو أي زيارة، وتعمده أن يصطحب ابنته ـ التي تقيم بيننا ـ معه وتركي وحيدة في البيت، وكلما حاولت مناقشته في ذلك انفجر في قائلا: إن ظهوري معه سيسبب له كوارث هو في غني عنها.. كما لاحظت أنه يتكلم كثيرا في التليفون مع أم ابنته، ويرفض الاجابة علي أسئلتي الحائرة عن أسباب هذه المكالمات.

وقضيت ليالي كثيرة أتضرع إلي الله أن يرجع زوجي إلي صورته القديمة في فترة الخطبة الأولي،وأن يعود إلي حبه واحترامه لي، ولكن بلا جدوي فلقد سقط القناع وانتهي الأمر.. وتحملت معاملة ابنته السيئة لي.. وصدمت صدمة العمر حين اعترف لي فجأة بأنه قد تزوج قبلي٥ مرات.

وفي وسط كل هذه الأحزان اكتشفت انني حامل.. وابلغته بذلك.. فإذا به ينفجر في ويقذفني بأبشع الكلمات، ويقسم علي بالطلاق إذا لم أتخلص من الجنين الذي لو جاء إلي الحياة فسوف يخسر هو ـ كما ـ قال الملايين، ولو تحديته واحتفظت به فسيطلقني ولن ينفق علي مولوده مني مليما واحدا طوال العمر.. ولن ينظر في وجهي أبدا... الخ.

وحاول زوجي إجهاضي بيديه ولم يتوقف إلا حين صرخت من الهلع والألم، فراح يبحث عن طبيب منعدم الضمير لكي يقوم بإجهاضي وظل شهرا كاملا دون أن يجد مثل هذا الطبيب، ويسيء معاملتي إلي أقصي حد، إلي أن عثر علي طبيب هو في الحقيقة جزار وليس طبيبا، وافق علي إجهاضي مقابل مبلغ كبير من المال، ووافق زوجي علي الفور، وتمت العملية وأجهضت دون ضرر عضوي.. أما الضرر النفسي فكبير وكبير إذ شعرت بأنني مقهورة ومغلوبة علي أمري، وضحيت بأول جنين تحرك في احشائي بناء علي رغبة زوج متحجر القلب، ودون أن أعرف سببا واحدا مقنعا للتضحية بجنيني، واشتد انكساري وحزني فخيرت زوجي بين أن يسمح لي بالإنجاب وممارسة إحساس الأمومة وأن أكون زوجة وأما ككل الزوجات خلال فترة لاتتعدي السنة.. أو أن يطلقني فاختار الطلاق، وطلقت وعدت إلي بيت أهلي وأنا لا أعرف ماهي الجريمة التي ارتكبتها واستحققت عنها هذه التعاسة، إذ هل يعيبني أنني زوجة ولود ولست عاقرا؟

وهل لأنني أحببت وضحيت بكل الحقوق المادية ووقفت إلي جواره، يكون جزائي هو إذلالي وقهري وإجهاضي وطلاقي وحرماني حتي من حقوقي المادية بعد الطلاق بدعوي انني التي طلبت الطلاق.

أو ليس شيئا يستحق التأمل.. أن تكون كاتبة رسالة البيت الجديد قد طلقت لأنها لاتنجب.. وانني قد طلقت لأنني قادرة علي الانجاب، وأريد أن أنجب وألا يحرمني أحد من أمومتي؟

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

المفارقة بين سبب طلاق كاتبة رسالة البيت الجديد وسبب طلاقك تستحق التأمل بالفعل، لكن السؤال الأهم هو: هل كان زواجك من هذا الرجل الذي يكبرك بـ٢٨ سنة وتزوج قبلك٥ مرات، ويتخفي بزواجه بك عن الآخرين ويرفض الإنجاب منك.. هو الزواج الذي ينبغي أن تتطلع اليه فتاة في مقتبل العمر مثلك ومهما تكن ظروفها الاجتماعية والانسانية؟

إن أهم أسباب نجاح الزواج واستمراره هو اتحاد أهداف طرفيه منه، والواضح هو أن هدف كل منكما من هذا الزواج المحكوم عليه بالفشل كان مختلفا اختلافا جذريا عن هدف الطرف الآخر منه، فكان هدفك منه هو الاستقرار والإنجاب والأمومة والتخفف من جفاف الحياة واستمرار العلاقة إلي أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، وكان هدفه منه هو الارتواء الحسي والتمتع المؤقت بمباهج الزواج المشروع إلي حين، وبغير تحمل اية اعباء انسانية تنجم عن الإنجاب.. وتؤبد العلاقة بينكما، لهذا فقد تعامل مع زواجه منك وكأنه علاقة سرية لايجرؤ علي مواجهة الآخرين بها، ووقع الصدام سريعا بينكما حين أنذرت النذر باحتمال تحول الزواج العابر بالإنجاب إلي زواج دائم وعلني.. وانتهي الصدام بتحطم العلاقة علي صخرة الطلاق قبل أن يتم الزواج عامه الأول.

ولاعجب في ذلك ولا غرابة.. فلقد كان زواجا مرشحا للانهيار من قبل البداية لفارق السن الكبير بينك وبين زوجك السابق، ولاختلاف الأهداف ولعدم جدية الطرف المؤثر في العلاقة وهو الرجل.. فتضافرت كل عوامل الفشل وأثمرت هذه التجربة الخاسرة من كل الجوانب. فحتي الهدف المادي من زواج فتاة صغيرة السن من رجل

يكبرها بـ٢٨ عاما قد باء بالخسران المبين، ولم يسهم زواجك منه في تحقيق حلم السعادة ولا حلم الإنجاب ولاحتي الأمل في تخفيف عناء الحياة عنك وعن أسرتك، وبدد بدلا من ذلك كله عامين ثمينين من حياتك في تجربة محزنة بلا طائل.. وأصابك بجروح نفسية وانسانية عميقة. واللوم كل اللوم في كل ذلك عليك أنت قبل أي طرف آخر، لأنك قد خالفت قوانين الحياة الأولي بالاتباع، وتطلعت إلي الزواج من رجل مزواج يكبرك بما يقرب من ثلاثين سنة، بدلا من أن تتطلعي، كما ينبغي لفتاة شابة مثلك للزواج ممن يقاربك في السن والظروف العائلية والاجتماعية.. ولأنك قد أردت تجاوز الكثير والكثير من الفوارق التي تفصل بينك وبين مثل هذا الرجل الذي حرص علي أن يخرج من مغامرته معك بأقل الخسائر المادية، وهو ماحدث بالفعل حيث لم يظهر معك أي درجة من الكرم تغري شابة مثلك بالتمسك بزواجها منه.. ولم يعوضك ماديا عن طلاقه لك.. ولم يسمح لك حتي بالإنجاب وممارسة احساس الأمومة.. تنصلا من احتمال استمرار العلاقة الزوجية.. وتهربا من أعباء الإنجاب الانسانية والمادية، فلماذا فعلت كل ذلك بنفسك أيتها السيدة الشابة؟

وعلي من نلقي اللوم في هذا الاختيار الخاطئ منذ البداية، سواك؟

إنني ارجو أن تكوني قد استوعبت درس التجربة.. واستفدت بدروسها وأدركت أن الحياة الطبيعية ولو كانت أقل بريقا من الحياة الناعمة مع رجل كزوجك السابق.. فهي الأبقي والأدوم والأقرب إلي معني الزواج المشروع.. فلا تكرري هذه التجربة الخاسرة مرة أخري في حياتك، ولاتتطلعي إلا إلي من يتكافأ معك في السن والمستوي العائلي والاجتماعي والمادي، ويحرص علي تأبيد العلاقة الزوجية بينكما.. ويتلهف علي الانجاب منك ليستمتع بالحياة العائلية الطبيعية وممارسة احساس الأبوة، ويتيح لك التمتع بإحساس الأمومة واطمئنان القلب والثقة الآمنة .في الغد

==

البيت المهجور

قرأت رسالة النداء الحكيم للقارئة الفاضلة التي تنصح الزوجات بأن يعاملن حمواتهن كأمهات لهن ويتذكرن أنه لولا هؤلاء الحموات اللاتي أنجبن أزواجهن لما نعمن بالحياة الزوجية، ولربما كن قد عشن وحيدات طيلة العمر..، وأنا أتفق معها في أن هناك من الحموات من هن أمهات فضليات بالفعل لزوجات أبنائهن.. ومنهن من ينصفن زوجات أبنائهن منهم إذا ظلموهن، لكن هناك بالضرورة من هن غير ذلك، وأنا زوجة منذ خمسة عشر عاما لزوج عطوف وحنون، وقد عشنا معا حياة سعيدة هادئة يظللها الحب والتفاهم ولا يتخللها سوي بعض الخلافات العادية التي قد تنشأ بين أي زوجين، ثم سرعان ما كنا نتصافي ويتغلب حبنا علي كل شيء..، وهكذا مضت حياتنا جميلة وسعيدة ولا يكدر صفوها شيء إلي أن جاءت حماتي للاقامة في شقة مستقلة بنفس المنزل الذي نقيم فيه.. فكان ذلك حدا فاصلا بين السعادة والشقاء في حياتنا،إذ لم نهنأ أنا وزوجي منذ ذلك الحين بلحظة سعادة أو راحة بال واحدة فهي سليطة اللسان وحقود وكارهة لنفسها ولابنها أي لزوجي، وتري كل الناس مخطئين وتملأهم العيوب ما عداها هي وحدها من بين كل البشر، كما أنها تدعي المرض بصفة يومية لكي أقوم بخدمتها، وأنا الزوجة والأم ا

لمثقلة بأعباء البيت ومن أبنائي من هو صغير ويحتاج للرعاية، ومريض ويتطلب الخدمة، ولابد لي أن أترك كل شيء وأكون رهن اشارتها.. ولابد لي أن أجلس إليها والجلوس إليها في حد ذاته مشقة لأنها لا تكف عن افتعال المشاكل أو الولولة علي ما فاتها أو علي سوء حظها.. أو علي حياتها التي شهدت ظلم كل من حولها وسوء معاملتهم لها، كما لا تكف عن انتقاص كل من يرد ذكره علي لسانها.. وتعداد معايبه وسوءاته طوال الوقت. ولقد حاولت معها الكثير فمرة أخفض لها جناح الذل من الرحمة كما قالت كاتبة رسالة النداء الحكيم. ومرة أحاول أن أكون ابنتها وصديقتها ولافائدة.

أما الغريب حقا فهو علاقتها بابنها أي زوجي، فهما ليسا علي وفاق في أي شيء.

وطباعهما متنافرة وتفكيرهما كذلك، وهي ليست حنونا معه ولا هو كذلك نظرا لطباعها الصعبة وتباعدهما معظم رحلة الحياة.

وهي غنية وتعطيه من مالها لكنها تمن عليه دائما أمام أولاده وأمامي وأمام معارفنا إن أمكن، ولا تتقي الله فيه ولا تكف عن افتعال المشاكل معه وتجريح كرامته وإهانته أمام أي إنسان حتي أولاده، وهو الرجل الذي شارف الأربعين من العمر، أما زوجي فإنه يرعي حدود ربه فيها بقدر ما يستطيع لكي يضع له الله ذلك في ميزان حسناته إن شاء الله، وأما أنا فقد أهملت أولادي ووهنت صحتي من أثر محاولاتي للتوفيق بينهما. واضطراري للتعامل معها والاحتكاك بها أكثر الوقت.

وأنا أقول لزوجي دائما إنها أمه وعليه ألا يغضبها مهما حدث منها وأذهب إليها وأتودد لها، وأحاول تحريك مشاعرها وقلبها علي ابنها واضطر لأن أسمع أسوأ الكلام وأتحمل جفاء طباعها أملا في رضاء ربي فقط لا غير.. وكل ذلك بلا طائل فلقد أصبحت حياتنا جحيما لأنها كالبركان لا يسلم من أذاه كل من يقترب منه.

ولقد أصبح زوجي الحنون مكتئبا وحزينا علي الدوام، ولا يدري كيف يرضيها أو يتجنب اهانتها له. وقد اختار أن ينتقل في عمله إلي موقع بعيد عنا يبقي فيه معظم الشهر ويرجع إلينا أياما قليلة تجنبا للمشاكل مع والدته ولم نعد نري زوجي الحبيب كما كان أنا وأولادي فهل هذا عدل.

إنني مضطرة للتعامل معها طلبا لرضاء الله سبحانه وتعالي قبل كل شيء ولأن كل من حولها قد انفضوا عنها بسبب لسانها ومعاملتها السيئة للناس،.. وأتجرع وحدي حديثها بالسوء عن الناس جميعا بلا استثناء، ولست أجاريها في حديثها بالسوء عنهم لكني أخشي بالرغم من ذلك أن أكون مذنبة بسماعي منها هذا الكلام السيىء، ولا أريد أن أغضب الله سبحانه وتعالي، ولا أريد في نفس الوقت أن أخسر حياتي وما كان فيها من راحة بال وهدوء نفس وطمأنينة، فهل هذا كثير؟.. أنني أريد منك أن تقول لزوجي الحبيب كلمة تهديء فيها من نفسه وتعينه علي حاله وتنصحه حتي يهدأ باله، ونستطيع أن نلملم شتات أسرتنا من جديد. كما أريد أن أستوضح منك هل أقترف الذنوب بسماعي لما تقوله حماتي طوال الوقت عن الناس وعدم اعتراضي عليه.. ذلك أنني أسمع صامتة وأخشي مراجعتها فيما تقول لكيلا تنقلب علي وتعاديني بشدة فهل أرتكب إثما بذلك؟ علما بأن كل الأهل والأصدقاء قد توقفوا عن زيارتنا بسبب سوء معاملة هذه السيدة لهم حتي أصبح بيتنا مهجورا تماما.
ولكاتبة هذه الرسالة أقول:
كان الامام الشافعي يقول لأصحابه: نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا أي الفحش كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به فإن المستمع شريك القائل، وأن السفيه لينظر إلي أخبث شيء في إنائه ويحرص علي أن يفرغه في أوعيتكم! والأصل هو أن ينزه الإنسان سمعه عن مثل ذلك وأن ينكره علي قائله ويتجنب صحبة من عرف عنهم أنهم لا يذكرون أحد إلا بسوء لكيلا يصيبه رذاذ من إثم فحشه واغتيابه للآخرين، غير أن تعقيدات الحياة وما تقتضيه أحيانا من اعتبارات المواءمة الاجتماعية تفرض علينا ألا نشتبك علي الدوام مع كل من يذكرون الغير بسوء ولقد تضطرنا الظروف أحيانا إلي الاكتفاء بالإنكار بالقلب والتزام الصمت المتحفظ حتي يستشعر القائل حرجنا مما يقول ويكف عنه.. ولقد نغادره إذا واصل حديث السوء لنحرمه من أن يصب أخبث ما في انائه في أوعيتنا وفي مثل ظروفك هذه فإنك لا تملكين حيال والدة زوجك إلا التزام الصمت وعدم مشاركتها في الاساءة للغير.. ومحاولة تغيير مجري الحديث كلما أوغلت في اجتراح الكرامات.. لأن اعتبارات المواءمة العائلية تفرض عليك ألا تجابهيها بالانكار العلني وألا تقاطعيها مراعاة لشيخوختها.. ووحدتها.. ونفور الجميع منها. ولا إثم عليك إن شاء الله في ذلك لأنك ترعينها وتصبرين علي ما يصدر عنها ولا تجارينها فيما تقول، ولا تشجعينها علي مواصلته وهذا ما أنصح به زوجك.. وهو أن يراعي شيخوختها ويتحمل أذاها ويعتصم بالصبر ازاءها معتبرا صبره عليها قربي إلي ال
له سبحانه وتعالي واحسانا إلي والدته يرجو به وجه ربه قبل أي شيء آخر، ولابد أن يؤدي ذلك إذا التزم به إلي تجنب الكثير من أسباب الاصطدام بها.. وإلي تضييق مساحات الخلاف معها بقدر الامكان.
وفي النهاية فإننا لا نملك استبدال آبائنا أو أمهاتنا بمن هم أكثر توافقا معنا أو مع طباعنا ورؤانا للحياة، كما لا نملك كذلك القدرة علي تغيير سلوكهم أو طباعهم أو شخصياتهم.. وإنما علينا أن نقبلهم كما هم عليه وأن نتواءم معهم بقدر الامكان ونتجنب كل ما يؤدي إلي الشقاق معهم أو اغضابهم أو يثير نقمتهم علينا حتي ولو آذونا بالقول أو الفعل.. وفي أبنائكم الذين يرونكم تشربون علي القذي لكيلا تقصروا في حقوق آبائكم وأمهاتكم..خير الجزاء بإذن
الله.===-
الأسئلة القاسية
أكتب إليك بعد أن ضاقت بي الدنيا وأغلقت في وجهي كل الأبواب، فأنا سيدة في الثلاثين من عمي، شاءت لي أقداري أن أتزوج وأنا في التاسعة عشرة من عمري، من قريب لي مهاجر إلي كندا ويعمل هناك. وقد تزوجته في مصر وسافرت معه إلي مهجره، فوجدتني وأنا فتاة صغيرة قليلة التجربة في مجتمع غريب أعاني من ضغوط الغربة وافتقادي لأهلي وبلدي، فلم تطل عشرتي له أكثر من شهرين رجعت بعدهما الي مصر وأنا أحمل في أحشائي ثمرة هذه العشرة القصيرة، وبعد أشهر من عودتي وضعت جنيني فكان طفلي جميلي ولد في غيبة أبيه ولم أر زوجي منذ عودتي من المهجر إلا مرة واحدة بعد تسعة شهور من مولد طفلي..، وفشلت محاولات التوفيق بيني وبين زوجي أسهم أهله في ذلك بالقدر الأكبر، وظللت زوجة معلقة نحو خمس سنوات ثم حصلت علي الطلاق.. وطويت هذه الصفحة من حياتي بخيرها وشرها، واحتضنت طفلي، وحاولت تعويضه عما ينقصه من رعاية الأب، وبعد فترة أخري تزوجت من انسان طيب ظروفه مشابهة لظروفي وله ابن من زواج سابق يعيش مع والدته، وبدأت حياتي الزوجية الحقيقية معه، وأقام ابني من زواجي السابق معي، يتمتع بحناني ورعاية زوجي الذي يعطف عليه ويري فيه صورة ابنه.
ولقد مضت السنوات هادئة وسعيدة حتي ظننت أنني قد نسيت أحزان الماضي، لولا شيء واحد هو طفلي من هذا الزواج الأول القصير..! فلقد علم ابني عن طريق أهل أبيه ان له أبا علي قيد الحياة لكنه لا يتصل به ولا يسأل عنه ولا يحاول رؤيته، فراح يسألني كثيرا عنه.. ويلح علي بالأسئلة القاسية من نوع: لماذا لا يهتم بأمره؟.. ولماذا لا يتصل به تليفونيا ولو مرة واحدة في عيد ميلاده كل سنة..؟ وهل هو يكرهه ولهذا فلا يهتم به ولا يسأل عنه؟.. واذا كان يكرهه فكيف كرهه وهو لم يره إلا وهو وليد صغير ولم يعرف اذا كان ولدا طيبا أم سيئا، ولماذا يسأل كل الآباء علي أبنائهم من أصدقائه حتي وهم علي سفر ولا يسأل عنه أبوه أبدا، الي غير ذلك من الأسئلة القاسية التي لا أعرف كيف أجيب عنها ولا كيف اطمئن خواطره باجاباتي المفتعلة عليها.

وبعد أن كان هذا الطفل كالزهرة المتفتحة ويتفجر بالصحة والعافية، بدأ يذبل ويشحب حتي طفت به علي الأطباء والاخصائيين النفسيين لعلاجه دون جدوي، ولسوف تسألني بالضرورة ولماذا لم تلجئي الي أهل زوجك السابق وتطلبي منهم مساعدة طفلك في الاتصال بأبيه لكي تنشأ بينهما العلاقة الطبيعية بين الأب وابنه؟. وأجيبك علي هذا السؤال بأن صفحات الرسائل كلها لا تكفي لكي أروي لك ماذا فعل هؤلاء الأهل، وهم كما قلت لك سابقا من الأقارب لكي يقطعوا كل صلة بين طفلي وأبيه، علي الرغم من تأكيدي للجميع أنني لا أريد من وراء هذه الصلة أن يتحمل الأب أية مسئولية مادية عن ابنه، ولا أريد شيئا سوي أن يشعر طفلي الذي يبلغ من العمر الآن تسع سنوات بأنه انسان طبيعي له أب يهتم بأمره ويسأل عنه كغيره من الأبناء.

ولقد فشلت كل المحاولات للاتصال بهذا الأب، فلقد غير محل اقامته وعنوانه بعد أن تزوج من أجنبية وأهله في مصر يعتبرون عنوانه سرا حربيا لا يبوحون به لأحد مهما ضغط عليهم وناشدهم.

ولقد كتبت منذ شهور الي السفارة المصرية في كندا والي القنصلية المصرية هناك، بل والي مالك العمارة التي كنت أقيم بها مع زوجي الأول، علي أمل التوصل الي عنوان هذا الأب.. بلا جدوي.

فهل تستطيع مساعدتي في التوصل الي هذا الأب ومخاطبة أبوته وحثه علي انقاذ ابنه مما يعانيه بالاتصال تليفونيا به ولو مرة كل بضعة شهور أو ارسال بطاقة بريد له تشعره بأهميته لدي أبيه؟

انني أرجو أن تجد لي حلا لهذه المشكلة حتي لا يضيع ابني من يدي، ومستعدة لتقديم كل الضمانات الكافية لعدم مطالبة زوجي السابق بأية أعباء مادية عن طفلي.. ولا عن الماضي ولا في المستقبل.. لان كل ما يهمني هو سلامة ابني النفسية وليس أي شيء آخر.. فهل هناك أمل في ذلك.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

مازلت رغم خبرة السنين وكثرة ماشهدته وتعاملت معه من مشاكلات البشر وأحوالهم العجيبة، عاجزا حتي الآن عن تصور كيف يمكن أن تهنأ الحياة لانسان يعلم ان له في مكان ما من الأرض طفلا لايعرفه ولا يراه ولا يحاول الاتصال به والاطمئنان عليه، ناهيك عن تحمل مسئوليته المادية والتربوية والانسانية عنه!

فاذا كانت قلوب بعض الآباء علي هذه الشاكلة.. فكيف يحق لنا أن نقول عن الانسان انه أرقي الكائنات الحية..، وفي دنيا الأعاجم من الحيوانات من تمرض حتي الموت اذا انتزعت صغارها منها، أو حيل بينها وبين هؤلاء الصغار؟

وكيف تكون الوسيلة المقبولة لإغراء مثل هذا الأب اللاه عن ابنه، بالاتصال به بتقديم الضمانات له بأن احدا لن يطالبه بتحمل مسئوليته المادية عنه في الماضي أو المستقبل، وبعض الآباء الأسوياء يشعرون في أعماقهم بشيء من الحزن الغامض غير المفهوم، كلما كبر أبناؤهم وازداد اعتمادهم علي أنفسهم وقلت حاجتهم المادية والمعنوية الي آبائهم؟ ان تبعات الأبوة مسئولية دينية أخلاقية لا يستحق من يتقاعس عن تحملها أدني درجة من الاحترام الانساني فما بالنا حين تتضاءل هذه التبعات في حالة زوجك السابق الي أدني حدودها، فتصبح مجرد اشعار طفله البريء بأن له أبا كغيره من الأطفال يهتم بأمره ولو عن بعد.. ويقتطع من وقته الثمين بضع دقائق كل شهور ليتصل به تليفونيا أو يكتب له بطاقة بريدية؟

لقد قرأت ذات يوم قصة روسية قصيرة تركت في نفسي أثرا لم يمحي منذ أكثر من ثلاثين عاما، وكانت عن طفل مات أبوه ويعيش مع أمه.. ويؤرقه هذا السؤال القاسي لماذا لا يكون له أب كغيره من الأطفال ينتظره أمام المدرسة، ويأمره بالمحافظة علي نظافة ملابسه، ويشتري له الهدايا الصغيرة ويتأكد من دخوله فراشه في الموعد المحدد للنوم، كما يفعل آباء الأصدقاء، واشتد حنينه الي وجود مثل هذا الأب في حياته، فرأي في واجهة أحد المحال التجارية ذات يوم مانيكان علي هيئة رجل يعرض بدلة للرجال، فدخل الي المحل وسأل البائع هذا السؤال القاسي: كم يتكلف شراء رجل كهذا الرجل الوسيم المعروض في واجهة المحل؟

لقد قلت مرارا ان في أعماق الأطفال الصغار بوصلة غامضة يتجه مؤشرها تلقائيا الي الآباء والأمهات الذين تحول ظروف الأيام بينهم وبين الحياة مع الأبناء تحت سقف واحد، وان كل ما قد يتوافر لهم من حنان الآباء البدلاء والأمهات البديلات قد لا يحول في بعض الأحيان بين مؤشر هذه البوصلة وبين الاتجاه الي الآباء والأمهات الحقيقيين تتلمس دفء التواصل الانساني معهم ولو علي البعد، فكيف يتعامي بعض الآباء والأمهات عن مثل هذا النداء المحروم؟ وكيف تطيب لهم الحياة وأبناؤهم البعيدون عنهم ينطوون لهم علي مثل هذه المرارة التي يستشعرها طفلك تجاه أبيه؟ انني سأبذل كل جهدي ياسيدتي لمحاولة التوصل الي مقر اقامة والد طفلك في كندا، وحثه علي تحمل تبعات أبوته الانسانية تجاه ابنه، ولسوف أؤكد له اذا وفقني الله سبحانه وتعالي في ذلك أن أول من سوف ينكر عليه هذا التجاهل اللاانساني لطفله في مصر، هو زوجته الأجنبية التي تشاركه الآن حياته، وأبناؤه منها.. ولسوف استعين علي ذلك بقراء بريد الجمعة من المصريين المقيمين في كندا.. وأرجو أن تنجح جهودهم التطوعية في الاهتداء الي هذا الأب وتذكيره بواجبه الانساني تجاه طفله.. والله المستعان علي كل أمر عسير==

الأسباب الحقيقية

أكتب إليك وقلبي ينزف ألما ودماء ليس رثاء لنفسي ولكن لأبنائي الذين سيتمزقون بين الأب والأم بعد أن تقدمت زوجتي سامحها الله بخلعي وفقا للقانون الجديد

وقصتي باختصار هي أنني مهني متزوج من مهنية وقد سافرنا للعمل عقب الزواج مباشرة إلي إحدي الدول العربية فعملت بها أكثر من عشر سنوات حتي الآن ورزقنا الله خلالها بولد وبنت، وزوجتي حامل الآن في المولود الثالث، وقبل فترة قصيرة رفضت الجهة التي تعمل بها زوجتي في مصر مد إجازاتها لعام آخر. فاضطررت للعودة مع الأبناء علي أن ألحق أنا بها بعد انتهاء المشروع الذي أعمل به. ورأت زوجتي أن تقيم مع أبويها وليس في مسكن الزوجية الذي بنيناه بشقاء الغربة ولم نتمتع به بعد، ووافقتها علي ذلك، لكي تتولي خدمة أبويها إلي حين عودتي من السفر، إلا أن والدتها ـ سامحها الله ـ راحت تحرض ابنتها علي ألا تستجيب لما أطلبه منها بدعوي أنه يجب أن تكون لها شخصية مستقلة وألا تسمح لي بفرض رأيي عليها، وحين لمست من زوجتي أثر هذه التوجيهات الحكيمة عليها في عدم استجابتها لما أريد، طلبت منها الانتقال للاقامة في مسكن الزوجية علي أن تزور أبويها من حين لآخر إلا أنني فوجئت بها ترفض تنفيذ هذا المطلب.. وتقول لي متحدية: أفعل كل مايحلو لك!

وقررت العودة النهائية لبلدي لكي أنقذ أسرتي من الانهيار ففوجئت بزوجتي ـ وبناء علي تعليمات والدتها لها ـ تطلب مني الطلاق وحين ناقشتها في ذلك كان مبررها هو أنها لم تعد تطيق أن يتحكم فيها أحد!

وحاولت إثناءها عن طلب الطلاق لكيلا.. يتمزق طفلانا بيننا فلم يغير ذلك من موقفها شيئا وحاولت مع والدتها كذلك فلم تستجب ولم تغير موقفها وإنما سردت علي بعض الأشياء ومنها والله العظيم أنني رفضت ذات مرة أن أشتري لها سندوتش هامبرجر! واختتمت حديثها بأن قالت لي إن ابنتها قد جربت الزواج ولم يعد يهمها أو يهم أسرتها وقوع الطلاق! كأن الزواج كان تجربة تخوضها لتتعرف عليها ولا بأس بعد ذلك بأن تنهيها أو تنسحب منها، ولا يهم كذلك ماذا سيتعرض له الأطفال بسبب ذلك، وماذا سيعانون بعد الانفصال. لقد رفضت الاستجابة لطلب الطلاق عسي أن تراجع زوجتي نفسها من أجل مصلحة الأسرة.. فلم تزد والدتها عن أن قالت لي إنها سوف تطلب الخلع مني وستحصل عليه وسوف تضحي بكل شيء من الناحية المادية في سبيل ذلك. والمأساة هي أنها حامل وستضع حملها خلال أيام، فهل من العدل أن يأتي هذا المولود إلي الدنيا فلا يجد أبويه تحت سقف واحد ؟ إنني أدعو الله أن يزيح الغشاوة عن عيني زوجتي، وأن تسد أذنيها عن الاستجابة لما تحثها عليه والدتها وتستمع لصوت العقل لصالح أبنائها.. فهل تستجيب ؟ وبهذه المناسبة هل من المعقول أن يكون من حق المرأة أن تخلع زوجها حين تشاء، والمعروف أنه قد تمر بها فترات لا تفكر فيها بعقلها ولا يهمها خلالها سوي نفسها دون النظر لأية اعتبارات أسرية ؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

ليس من مصلحة أي أم سوية أن تحرض ابنتها علي الانفصال عن زوجها وتمزيق أطفالها بينها وبينه، فإذا كانت زوجتك تطالبك الآن بالطلاق وتهددك باللجوء إلي المحكمة للحصول عليه عن طريق الخلع، فلابد إذن أن هناك أسبابا أخري لذلك أعمق من وسوسة الأم وتحريضها لها ضدك.. فالزوجة إذا كانت راضية عن حياتها لا يستطيع أحد أن يزهدها فيها، ولو كان أقرب الناس إليها، ولهذا فإن موقف والدة زوجتك ليس هو العامل الجوهري فيما تتعرض له حياتك الزوجية الآن من شبح الانهيار. وإنما المؤكد هو أن لدي زوجتك أسبابها الذاتية التي تدفعها لاختيار الانفصال والتضحية باستقرار الطفلين وحياتهما العائلية من أجله، ومن واجبك أنت إذا كنت حريصا حقا علي الدفاع عن أسرتك وسعادة طفليك حتي آخر المدي، هو أن تتحري هذه الأسباب الحقيقية.. وتعترف بها لنفسك وللطرف الآخر، ثم تخصصها للمناقشة الصريحة وتعالج منها ماتستطيع معالجته.، أما التركيز علي موقف الأم منك كسبب رئيسي مما تتعرض له حياتك الزوجية الآن، أو الإشارة إلي واقعة الهامبرجر كدليل علي تفاهة الأسباب وعدم موضوعيتها. فليس ذلك مما يخدم هدف الإصلاح وإنقاذ الأسرة من الدمار في شيء لأن التعرف علي الأسباب الحقيقية للخلل هو الخطوة الأولي لعلاجه وإصلاحه وليس الدوران حولها أو التعامي معها. ولا يعني ذلك بأنني أصدر حكما عليك بالإدانة والمسئولية عن هذه الأسباب وإنما يعني فقط أنني أطالبك بالاعتراف بها ومحاولة علاجها سواء أكانت مسئوليتها تقع عليك أو علي الطرف الآخر، أو هي موزعة بينكما بالعدل.

كما أطالب زوجتك كذلك بمراجعة نفسها وإعادة تقييم حياتها وحاضرها ومستقبلها في ضوء حق طفليها عليها في النشأة الآمنة بين أبوين متراحمين، وفي ضوء حق هذا الوليد الجديد أيضا في ألا يجييء إلي عالم محكوم عليه فيه مقدما بالتمزق فيه بين أبويين متنازعين.

أما قانون الخلع فلا شأن له بهذه القصة ونصيحتي لك هي ألا تقبل علي كرامتك في النهاية لجوء زوجتك إلي هذا السبيل للحصول علي الانفصال إذا ذهبت الحيلة وفشلت كل محاولات الإصلاح. وإنما بأن تبادر أنت في هذه الحالة بالاستجابة لرغبتها بلا منازعة ولو كرهت ذلك حفاظا علي الحد الأدني من العلاقة الإنسانية بينكما.. وعسي أن يسهم ذلك في عودة الرشد مرة أخري قبل فوات الأوان.

==

.الأرض المحترقة

منذ ثلاث سنوات كتبت إليك رسالة من سلسلة رسائل النكد الزوجي التي كنت تنشرها في ذلك الوقت وشكوت لك من تصرفات زوجتي النكيدية التي تجعل حياتي معها غير محتملة وكيف أنها تهوي البكاء في كل مناسبة سواء

لمرض أحد أفراد أسرتها أو لأني انتقدتها في شيء عابر من شئون الحياة اليومية، فإذا لم تبك تعمدت استفزازي بإجبار طفلتنا علي الصراخ والبكاء بإرغامها علي تناول الطعام قسرا أو بحرمانها من اللعب عقابا لها علي أي خطأ إلي جانب اعتبارها لكل تصرف من تصرفات أهلي تجاهها إهانة لها، وبعد كل زيارة منهم لنا تلقني محاضرة في حقوق الزوجة وكيف أن واجب الزوج هو التربص لكل بادرة تشتم منها رائحة الإسادة لزوجته، فيهب ممتطيا حصانه وشاهرا سيفه في وجوه أهله إلي آخر ما ذكرته لك في حينه، وقد قرأت ردك علي رسالتي ورسائل غيري من الأزواج الذين شاركوا في مسلسل النكد الزوجي، فوجدتك بالرغم مما ذكرته في ردودك عن تأثير هذا السحر اللعين للنكد علي الحياة الزوجية تدعوني وغيري من ضحايا النكد الزوجي إلي الصبر والتضحية من أجل أطفال لا ذنب لهم في شيء، ومحاولة التكيف مع الأمر الواقع والتقليل بقدر الامكان من أثر هذا السحر اللعين علي الحياة الزوجية.. الخ

لكني رغم اقتناعي بما قلت لم استطع مواصلة الاحتمال وحسمت أمري علي الانفصال عن زوجتي وطلب مني والدها التروي قبل اتخاذ تحملت هذا القرار من أجل طفلتي التي أحبها وتحبني كثيرا لكني سددت أذني عن النصيحة وتم الانفصال وبدأت أبحث عن عروس أخري وأحلم بالسعادة والهناء معها وبعد ستة شهور من الانفصال كنت قد ارتبطت بفتاة أخري رشحتها لي أسرتي وتزوجتها، وأملت أن أجد سعادتي وهدء بالي معها، وبعد شهرين من الزواج علمت أن مطلقتي قد وضعت طفلي الثاني وأنها كانت قد أخفت عني حملها عند الانفصال لكيلا ترغمني علي العودة إليها مضطرا وأصارحك القول بأن مشاعري لم تتحرك في ذلك الوقت لرؤية وليدي الجديد، ربما لأن أمه كانت قد أقامت ضدي دعوي نفقة للطفلين بالرغم من أن والدها ميسور الحال وتصورت، كما أقنعني بذلك الجميع أنها تصر علي ملاحقتي بالنكد حتي بعد انفصالنا، وتمنيت أن أنسي كل ما جري في حياتي السابقة، وأن تعوضني عنه زوجتي الجديدة، لكني وجدتها بعد شهور قليلة من الزواج تضيق بمشاكلي وأحزاني، ولا تحتمل ظروفي المادية الجديدة التي فرضتها علي الظروف مؤقتا بسبب تكاليف الزواج الجديد، ودفع مستحقات الزوجة السابقة، بل وجدتها كذلك لا تحتمل أي نقد ولو كان رقيقا لأي تصرف من تصرفاتها، وإنما تثور علي ثورة هائلة وتفقد سيطرتها علي لسانها فتوجه لي أفظع السباب ولربما قذفتني كذلك خلال انفعالها بأي شيء تجده أمامها من الأدوات المنزلية.

وخلال ذلك توفي أبي إلي رحمة الله وأصبحت أمي وحيدة في مسكنها وقبل أن أفكر في فعل أي شيء للتخفيف عنها، وجدت زوجتي ترفض باصرار إقامتها معنا ولو لفترة مؤقتة عقب الوفاة وتضعني في حرج شديد أمام اخوتي وأهلي، في الوقت الذي جعلت فيه من بيتي أرضا مشاعا لكل أقاربها حتي الدرجة الثالثة يأتون إليه في أي وقت، وترحب بهم في كل حين، وحرمت بيتي في المقابل علي أهلي، ومن يغامر بزيارتنا وتفلت منه ولو علي سبيل المزاح كلمة تعتبرها أساءة لها يكون مصيره الطرد بلا رحمة.

وتساءلت أين السعادة التي بحثت عنها وهجرت من أجلها زوجتي الأولي وأطفالي؟ وتراكم الإحساس بالمرارة في أعماقي لكني تحملت كل شيء خوفا من الفشل الثاني في الزواج ومن شماتة زوجتي السابقة، وفي أحد أيام شهر مضان الماضي توجهت لأحد المساجد الكبري لأداء صلاة التراويح وبكيت في صلاتي وأنا اتذكر طفلتي الحبيبة وطفلي، الذي قارب علي العام الأول من عمره ثم هممت بمغادرة المسجد بعد الصلاة فوجدت والد مطلقتي أمامي واتجهت إليه لأحييه فأشاح الرجل بوجهه عني لكني لاحقته وتوسلت إليه بالمكان الطاهر الذي يجمعنا وأيام الشهر الفضيل الذي نعيشه أن يسمح لي برؤية أطفالي وتحملت صابرا جرحه لكرامتي وهو يذكرني بأن الأبناء ليسوا فقط زينة الحياة الدنيا، وإنما هم أيضا مسئولية كبري لا يصح التنصل منها أو التخلي عنها ليتحملها عني الآخرون، ووافق في النهاية علي أن أراهما وتوجهت معه إلي البيت وشعرت حين رأيتهما بالسعادة والحزن في نفس الوقت السعادة لرؤيتهما والحزن لحرمان نفسي من الاستمتاع بقربهما وملاحظة مراحل نموهما عن قرب وغلب الحزن علي السعادة في قلبي حين رأيت طفلي الجديد وهو يخطو خطواته الأولي وينظر إلي في ترقب وشك ولا يعرفني للأسف.

ورجعت إلي وكر النكد الحقيقي وحمدت الله حين وجدت زوجتي نائمة، وتهيأت للنوم فإذا بالعاصفة تهب علي غير انتظار وإذا بزوجتي تصحون من نومها وتنفجر في بسيل من الكلمات البذيئة لأنني لم استأذنها في التأخر عن العودة للبيت وإذا بها أيضا بها تقذفني بوسادة تطير كالقذيفة وترتطم بوجهي فلم أشعر بنفسي إلا وأنا أنها عليها ضربا بعد أن نفد صبري، وطلقتها.. ووضعت النهاية المخزية لهم السعادة والابتعاد عن النكد الزوجي..

ووافقت علي تسليمها أثاثها وديا علي ان تبقي في البيت الي حين انتهاء عدتها، وتسلم والدها أثاث ابنته ومزق امامي قائمة المنقولات، وتركت لها البيت وانفردت بنفسي ورجعت أتساءل عما فعلت بنفسي وحياتي، فلم يمض أسبوعان حتي فوجئت بالزوجة الثانية وقد أقامت ضدي دعوي تبديد لأثاث الزوجية.. واكتشفت بعد فوات الأوان أن القائمة التي مزقها الأب لم تكن القائمة الأصلية، وحاولت بالرغم من ذلك التفاهم معها وديا لتجنب الوقوف امام المحاكم فكان ثمن تنازلها عن هذه الدعوي هو ان ادفع لها مرة اخري ثمن الأثاث الذي تسلمته بالفعل تأديبا لي علي ما فعلت وراحت اسرتي تلح علي في اعادتها الي عصمتي لكي تتنازل عن دعوي التبديد بلا شرط لكني رفضت ذلك وآثرت ان افترض المال لأسدد ليها المبلغ المطلوب، ولم تكتف سامحها الله بذلك وانما اصرت عند انتهاء عدتها دون ان اعيدها لعصمتي علي الا تترك البيت الا بعد الحاق كل ما تستطيع من ضرر بالشقة قبل

مغادرتها من اتلاف للجدران الي تكسير النوافذ وأطقم الحمامات إلخ.. ورجعت الي البيت فوجدته خرابا.. وفي غمار ذلك تلقيت من عملي انذارا بالاستغناء عني اذا لم ارجع الي سابق انضباطي والتزامي بمواعيد العمل، بعد ان كثرت ايام غيابي بسبب هذه الظروف، وبعد انتهاء العاصفة وجدتني افكر في زوجتي السابقة وعيو بها التي دفعتني لإنهاء حياتي معها، وبنظرة عادلة هذ المرة للعيوب المزايا، وجدت انها اذا كانت تبكي كثيرا لأي شئ او لمرض احد ذويها، فقد كانت علي الناحية الأخري تجلس علي الأرض الي جواري اذا اصابني بعد عابر وان كنت اراه قسوة من جانبها علي طفلتنا كان سببه الخوف عليها ورغبتها في توجيهها الي الصواب وما كنت اسمعه من شكوها من اهلي وثورتها علي تصرفاتهم معها لم يكن يتجاوز في النهاية حدود الكلام والغضب المؤقت، ثم ما كان اسهل ارضائها بعد ذلك بأقل كلمة اعتذار مني ولو كانت ساخرة، فضلا عن انها لم تحرجني امامهم مرة احدة ولم تتعمد اهانتهم في بيتي او طردهم منه كما فعلت زوجتي الثانية بل كانت بالرغم من كل خلافاتها معهم توصيني بالبر بهم وصلة رحمهم، حتي توقفها مني بعد انفصالنا لم يتجاوز الرغبة المشروعة في ا لحصول علي حق اطفالي مني واشعاري بمسئوليتي عنهم لكنها لم تتعمد ابدا ايذائي او الافتراء علي ظلما كما فعلت الزوجة الثانية وبعد تفكير طويل رغبت في إصرار في استعادتها والاعتذار لها، عن كل ما جري وسعيت اليها آملا في ان تكون الأيام قد علمتنا نحن الاثنين درسها القاسي، لكنها رفضت مقابلتي وذكرني والدها حين فاتحته برغبتي في استعادة ام اطفالي برسالتي التي ارسلتها اليك ونشرتها في حينها وما ذكرته فيها عن ابنته فقررت ان ا كتب اليك مرة اخري ليس فقط لكي تقنعها بالعودة الي وانما ايضا لكي ارفع عنها الظلم الذي ظلمته لها في رسالتي السابقة اليك وارجو الا تبخل علي بمساعيك الحميدة هذه المرة ايضا لإقناعها بالعودة الي بدء صفحة جديدة من حياتنا لأنني في اشد الحاجة اليها الآن لكي اتجاوز محنتي.. وارجو ان تصفح هي عني ويكفيها انني قد عرفت بالتجربة القاسية النكد الحقيقي المدمر خلال زواجي الثاني والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

«««ولكاتب هذه الرسالة اقول»»»

ليس لدي الكثير مما اقوله لك تعقيبا علي رسالتك هذه سوي انها تقدم لنا مثلا جديد الآفة الانسان لأن القديمة في كلمة الصبر علي ما يشكو منه ولو كان هينا بسيطا، ولميلة العريزي للرثاء لنفسه واعتبارها ضحية للآخرين عن طريق تضخم عيوبهم وابراء النفس من كل شبهة عيب او خطأ من جانبه في حقهم.

لقد تعجلت يا سيدي هدم اسرتك الأولي وحرمان طفلتك الصغيرة منك ومن حقها عليك في ان تحيا حياه عائلية مستقرة، لغير اسباب جدية تجعل من الانفصال عن زوجتك الخيار الصعب الذي لا بديل له، ولا مفر منه.

فكيف كان جزاء؟

لقد اثبتت لك التجربة العملية ان كل ما شكوت منه مما اعتبرته من عيوب زوجتك الأولي كان من الممكن احتماله والتجاوز عنه او علاجه وفهم دوافعه واسبابه واستجلاء النيات الطيبة وراءه، وكما اثبتت لك التجربة ايضا والأشياء تعرف بأضدادها، انه لا وجه للمقارنة بين مانسبته الي زوجتك الأولي من عيوب وأخطاء وما تجرعت آلامه ومرارته الحقيقية مع زوجتك الثانية، فحتي ما اعتبرته ملاحقة لك بالنكد من جانب زوجتك الأولي بعد انفصالك عنها لم يكن اكثر من سعي مشروع للحصول علي حق عادل لطفليك عليك، ولا يغير من مشروعية هذا الحق شيئا أن يكون والدها ميسور الحال أو غير ميسور، لأن الحق لا يتقرر بمدي احتياج الإنسان إليه وإنما بمشروعيه هذا الحق من الأصل أو عدم مشروعيته. ولو كانت زوجتك الأولي قد رغبت حقا في ملاحقتك بالنكد بعد انفصالك عنها لما تعففت عن إبلاغك بحملها الثاني لكيلا تكون عودتك إليها إذا رغبت فيها اضطرارية وليست إرادية.

بل إني لأري أن شرف خصومتها لك بعد الانفصال وعدم ادعائها عليك بباطل قد كشف عن معدنها الأصيل، وحقيقة القيم الأخلاقية السائدة في محيطها العائلي، ذلك أن الفضلاء حقا هم من لا يخرجهم الخلاف والغضب عن التزامهم بالعدل والفضل مع الآخرين ولو آذاهم هؤلاء الآخرون وافتروا عليهم السوء. فالخلاف هو محك الأخلاقيات الحقيقية للإنسان وليس الرضا والوفاق.

وفي ذلك يقول الشاعر:

من يدعي الحلم أغضبه فتعرفه .... لا يعرف الحلم إلا ساعة الغضب

ويقول الإمام ابن حزم الأندلسي:

أفعال كل امرئ تنبني بعنصره .... والعين تغنيك عن أن تطلب الأثر

فقارن إذن نبل خصومة زوجتك الأولي لك بعد الانفصال.. بفحش خصومة زوجتك الثانية لك عند الخلاف خلال الحياة الزوجية بينكما.. وبعد انتهائها، حيث لم تكتف باسترداد أثاثها وإنما استأدتك ثمنه أيضا بالباطل وتحت سيف التهديد بالسجن قضية التبديد.. ولم يشف ذلك وحده غليلها فاتبعت معك سياسة الأرض المحترقة التي كانت تتبعها جحافل التتار حين تحرق القري برمتها قبل الجلاء عنها لكيلا يجد الخصوم فيها الأخضر ولا اليابس عند دخولها..

فإذا كان الأفضل دائما هو ألا يحتاج الإنسان لأن تطحنه التجربة القاسية لكي يعرف اقدار الآخرين ويعترف لهم بفضائلهم، فإن ما يتعلمه المرء من جحيم التجربة قد يكون في كثير من الأحيان أعمق أثرا في حياته وأفكاره.. لأنه قد دفع ثمنا غاليا لما اكتسبه من حكمة وفهم للحياة، ويبقي بعد ذلك أن أناشد زوجتك الأولي وأم طفليك

الصغيرين ألا تغلق أبواب الرجاء في وجهك.. وألا تسمح لغضبها المشروع لكرامتها بأن يحجب عنها رحمتها بطفليها وعدلها معهما الذي يفرض عليها ألا تعاقبهما بخطأ أبيهما وتحرمهما من حقهما في الحياة الطبيعية بين أبويهما.. وكم من ازواج وزوجات اعترضت حياتهم مثل هذه المحنة.. فلم تمنع إعادة اجتماع شملهم مرة أخري ومواصلة رحلة الحياة بينهم إلي النهاية المقدورة لها..

فإذا كانت في حاجة إلي ترضية واعتذار كافيين.. فلا تتردد في تقديمهما إليه.. واصبر علي رفضها للعودة إليك بعض صبرك علي أذي زوجتك الثانية لك، لأن لكل إنسان كرامته في النهاية ومن حق المظلوم أن يسترضيه ظالمه ويصبر عليه حتي تشتفي نفسه من مرارتها ويصبح مستعدا للصفح والنسيان فا ذهب إليها ياسيدي مرة ثانية وثالثة.. ولا تتوهم أن مجرد إبداء رغبتك في عودتها إليك بعد كل ما جري كاف لأن يذيب المرارة التي ترسبت في أعماقها.. وإنما واصل السعي لاستردادها بلا كلل.. وتمثل بقول الشاعر:

إذا كان ذنبي كل ذنب فإنه .... محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

وما أحسب إلا أنها سوف تصفح وتنسي بعد حين.. لأن المعدن الأصيل الذي تبدي في الخلاف فلم يسمح لها الافتراء عليك بباطل، سوف يتجلي أكثر وأكثر حين تلمس صدق ندمك علي إساءتك السابقة لها وحين تغلبها أمومتها الحانية لطفليها علي مشاعرها فترجح لديها سعادتهما وأمانهما علي كل شيء بإذن الله.

==

الإجـــــازة الســـــعيدة

أشعر برغبة شديدة في أن أروي لك تجربتي الشخصية، عسي أن يستفيد بها غيري ممن يواجهون نفس الظروف، التي واجهتها من قبل، فأنا رجل متوسط العمر نشأت في أسرة متحابة ومتراحمة، وأنهيت تعليمي العالي في سلام، ثم رحل أبي رحمه الله عن الحياة وأورثني عملا تجاريا صغيرا، فآثرت التفرغ له واستقلت من وظيفتي الحكومية، واتفقت مع أختي الوحيدة التي تشاركني ملكية هذا العمل، علي أن أخصص لها مبلغا شهريا عادلا تنفق منه علي نفسها وتدخر بعضه لجهازها، الي جانب تكفلي التام بإعالة والدتنا ونفقات البيت الذي يضمنا جميعا، وبالفعل استفادت شقيقتي من المبلغ الشهري واشترت بمشورة أمي أشياء كثيرة لجهازها، وادخرت الجزء الأكبر للأثاث ومتطلبات الزواج، وفي الوقت المناسب تقدم لها ابن خالتها المهندس الشاب يطلب يدها، فرحبت هي به وسعدت أنا أكثر بتقدمه إليها، لأننا صديقان منذ الطفولة، وتم الاتفاق علي كل شيء، وتعمدت ألا أرهق صديقي بالمطالب المادية الكثيرة، وأكدت له أنني لا أريده أن يبدأ حياته مع أختي بالديون، ولذلك قبلت منه ما معه دون زيادة، وتكفلت مدخرات أختي خلال الأعوام السابقة بتغطية التكاليف، وتم زفافها لابن خالتها في ليلة سعيدة، تذكرت خلالها ابي الراحل وتمنيت لو كان قد امتد به العمر ليسعد معنا بسعادة ابنته، وبعد أقل من عام من زواجهما انجبت اختي ابنها البكر، وسعدت به سعادة طاغية لولعي القديم بالأطفال، حيث كنت دائما صديقا لأطفال العائلة، وحثتني أمي علي الزواج بعد أن اطمأنت علي أختي واستقرت الأحوال في العمل، وراحت تغريني بالاسراع بالزواج لكي أنجب طفلا أو طفلين يملآن علي حياتي ويشبعان لدي حنيني القديم للأطفال، وفكرت في الأمر طويلا واستقر رأيي علي القبول، وكنت منذ سن المراهقة معجبا بابنة عمتي وأستريح إليها، ففكرت في التقدم لها، لكني لم أكن واثقا من مشاعرها تجاهي، وفكرت في جس نبضها فانتهزت فرصة زيارتي مع أمي لأسرتها وارسلت إليها رسالة بالنظرات المعبرة، للاستفسار عن مدي استعدادها للارتباط بي، فجاءني الرد بالنظرات المعبرة كذلك، عن القبول ففاجأت عمتي وأمي خلال نفس الزيارة بطلب يدها.. ولم تتمالك أمي نفسها حين رحبت عمتي وابنتها بي، واطلقت أول زغرودة لها بعد وفاة أبي، وتمت الخطبة وتمكنت المشاعر العاطفية من قلب كل منا خلال فترة الخطبة، حتي خيل إلي إنني كنت أكتم حبي لها منذ سنوات بعيدة، وخيل إليها نفس الشيء، وتزوجنا ورفضت أمي رفضا قاطعا أن تغادر مسكنها أو أن نقيم معها، وأصرت علي أن يكون لي مسكن مستقل للزوجية وأن تحيا هي في شقة الأسرة مع سيدة ترعاها، وأكدت ذلك بقولها إنها تريد أن يبقي بيت العائلة مفتوحا لترجع إليه ابنتها حين تشاء وأزورها فيه كلما سمحت ظروفي، وبالفعل أصبح بيت العائلة أو البيت الكبير كما نسميه، يجمع بيننا مساء يوم الاثنين ـ وطوال نهار يوم الجمعة كل أسبوع ـ واصبحت هذه اللقاءات هي أسعد أوقاتي حيث تجتمع زوجتي وأختي وأمي يتبادلن الحكايات والروايات، والتقي بزوج أختي لنلعب الطاولة أو نتسامر ونتبادل الأخبار وألاعب ابنه البكر وابنته الوليدة وأسعد بذلك كثيرا.

ومضت بنا الحياة وترقبت أن تفاجئني زوجتي ذات يوم بالخبر السار، الذي انتظره منذ الشهور الأولي للزواج وهو خبر حملها، فتمضي الأيام ولاتبدو في الأفق أية بادرة تشير إليه، وبعد عام من الزواج ازداد قلق أمي، فاصطحبت زوجتي الي أحد الأطباء وتم اجراء كل الفحوص اللازمة وانتهت الي أنه ليس لديها ما يحول دون حملها وانجابها، وانها طبيعية تماما، فاتجهت الظنون إلي، وتحرجت زوجتي من أن تحدثني في الأمر، فحدثتني عنه أمي وطلبت مني اجراء الفحوص الطبية للتأكد من قدرتي علي الانجاب.. واهتززت بعض الشيء حين سمعت ذلك وتساءلت: هل يمكن حقا أن أكون عقيما وأنا العاشق القديم لكل اطفال العائلة؟ وخفت بالفعل من مواجهة الاختبار وترددت عدة أسابيع، ثم حزمت أمري وعرضت نفسي علي الأطباء، فإذا بالفحوص تؤكد أنني سليم تماما وقادر علي الانجاب، فلماذا إذن لم نسعد بإنجاب الأطفال وقد مر علي الزواج أكثر من عامين، وتعلقت بالأمل في أن تحمل زوجتي ذات يوم الخبر السعيد.

وعشت علي هذا الأمل، أؤدي عملي وأرعي أمي وزوجتي وأختي، وافرغ حنيني للأطفال في طفلي أختي وأطفال الأسرة، واهتم بعملي حتي نما واتسع والحمد لله، وأصبحت الحياة جميلة من كل النواحي، ماعدا هذه الناحية المفقودة وهي الإنجاب.

ويوما بعد يوم تعمقت العلاقة بيني وبين زوجتي حتي أصبحت تسري في دمي ولا أستطيع الحياة بدونها، وأسعدني كثيرا حب أمي وأختي لها، وتمتعها بمكانة كبيرة لديهما، لطيبة قلبها وكرم أخلاقها وتدينها وحرصها علي مودة أهلي، لكن لعنة الله علي وساوس الشيطان، التي راحت تلح علي كل يوم بأن كل ذلك لا قيمة له بدون إنجاب الاطفال، وانني مادمت سليما من الناحية الصحية وقادرا علي الانجاب، فلابد أن يكون العيب في زوجتي، ولابد أن تكون الفحوص التي أجرتها خاطئة أو ليست دقيقة، ولم تكن تجارب أطفال الأنابيب قد شاعت في ذلك الوقت، فأوعزت لزوجتي أن تعيد فحص نفسها، واكتأبت هي للطلب، لإدراكها ما وراءه واستجابت لي واجرت المزيد من الفحوص، وتلقت العلاج بلا جدوي.

ووجدت نفسي قد تقدم بي العمر ولم أنجب بعد فبدأت وبالرغم من حبي الكبير لزوجتي أفكر في الزواج من أخري، بغرض الانجاب، وسألت أهل العلم فقالوا ان الرغبة في الانجاب مبرر شرعي للزواج مرة أخري، وفاتحت أمي في الأمر، فتمزقت بين رغبتها الدفينة في أن تري حفيدا لها من صلبي وبين اشفاقها علي مشاعر زوجتي التي تحبها وتشعر نحوها بالعطف، وفاتحت أختي وزوجها فأيدني ابن خالتي بلا تحفظ، وترددت أختي في الموافقة، حرصا علي مشاعر زوجتي وفضلت ألا تبدي أي رأي في المشكلة.

لكني كنت قد حزمت أمري ولم يعد يجدي التردد، فقد مضي علي زواجي تسع سنوات وليست هناك أي بادرة للحمل، واصبحت المشكلة الرئيسية التي تواجهني هي كيف أفاتح زوجتي في رغبتي في الزواج من أخري بغير أن يؤثر ذلك علي حياتي معها، أو أن يتأثر الحب الكبير الذي يجمعني بها وشغلني هذا الأمر أكثر من أي شي آخر.

وكنت قد استقر رأيي علي الارتباط بسيدة مطلقة ولديها طفل عمره ثلاث سنوات، جاءت للعمل عندي قبل شهور، وهي سيدة من أسرة بسيطة وقد استشعرت لديها الاستعداد للارتباط بي مع استمرار زواجي الأول دون تأثر، كما أنها قادرة علي الانجاب بدليل انجابها لطفلها خلال زواجها الذي لم يطل أكثر من عام واحد، غير أنني لم أفاتحها في الأمر، انتظارا للحصول أولا علي إذن زوجتي..

وألحت علي الرغبة في الانجاب وحرت كيف أفاتح زوجتي، وكلما هممت بذلك نظرت إليها فوجدتها منكسرة وحزينة فأشفق من إيلامها، واستشرت زوج أختي فنصحني بأن أصطحب زوجتي في اجازة إلي أحد المصايف أو المشاتي وأن أمضي معها وقتا سعيدا وخلال رحلة العودة أفاتحها في الأمر وهي مازالت منتشية بذكريات الاجازة السعيدة، وفعلت ذلك بالفعل واصطحبت زوجتي الي الفيوم وقضينا ثلاث ليال في منتهي السعادة، وزرنا شلالات وادي الريان، وسواقي الفيوم القديمة وعين السيلين، وسعدت زوجتي بالاجازة سعادة كبيرة وأنا أرقبها خفية وأشفق عليها مما ينتظرها، وركبنا السيارة عائدين الي القاهرة، وأنا أتحين الفرصة لكي أفاتحها في الموضوع وأفكر في الكلمات التي أعبر بها عما أريد، وكنا قد قطعنا نصف الطريق حين غالبت ترددي والتفت إليها لأصارحها بما أريد، فإذا بي أراها وعلامات الامتعاض والمرض بادية علي وجهها وسألتها منزعجا عما بها.. فأشارت الي أن أتوقف بالسيارة فوقفت علي جانب الطريق، فإذا بها تفتح باب السيارة وتفرغ معدتها علي الأرض وتبدو في غاية الارهاق والمعاناة وسألتها هل نرجع الي الفيوم لعرضها علي أحد الأطباء أم نسرع الي القاهرة ليراها طبيب الأسرة، فرغبت في العودة للقاهرة، وقدت السيارة مسرعا وقد طارت من رأسي كل الكلمات التي أعددتها لمفاتحتها في الأمر، وتركز خوفي في أن تكون وجبة الاسماك التي تناولناها قبل السفر فاسدة وسممت زوجتي، واسرعت الي طبيب العائلة في ميدان الدقي، ورويت له ما حدث، ففحص زوجتي فحصا دقيقا ثم ابتسم في وجهي وقال لي: مبروك زوجتك حامل في أسابيعها الأولي.. ياسبحان الله العظيم.. حامل؟ وأنا باستئذانها في الزواج من أجل الإنجاب؟.. وشكرت الطبيب بحرارة واصطحبت زوجتي الي طبيب الذي هممت أمراض النساء، فأكد لنا بعد فحصها حملها وقال إن كل شيء طبيعي وإنها لا تحتاج الي أية أدوية!

وهرولت الي أمي وأسعدتها بالخبر فنصحتني بشراء عشرين كيلوجراما من اللحم وطهوها وتوزيعها علي الفقراء شكرا لله تعالي، وابلغت أختي في نفس اليوم أن زوجتي حامل وانني لم أفاتحها في الأمر، ونفذت وصية أمي وقامت زوجتي وهي في قمة السعادة بطهو اللحم ووضعه مع الأرز في أرغفة الخبز، وحملت الكرتونة الكبيرة التي تحوي أرغفة الخبز واللحم ووزعتها بنفسي علي كل من قابلته في الطريق من البسطاء.. وحمدت الله كثيرا علي أنني لم أتسرع بالحديث الي زوجتي في أمر زواجي، واستقر رأيي علي الاستغناء عن خدمات السيدة المطلقة التي تعمل معي تجنبا للاحتمالات فدفعت لها تعويضا مناسبا وأوصيت بها أحد المتعاملين معي كي تعمل عنده فوظفها بالفعل لديه.

ورحت أعد الأيام علي موعد الولادة، حتي جاء اليوم السعيد، وجاء الي الوجود ابني البكر الذي لم أتردد في تسميته باسم ابي رحمة الله عليه.. وكأنما كانت قدرة زوجتي علي الانجاب مغلولة بالقيود وحين نزل الأمر الإلهي بفكها انطلقت بلا عقبات، فلم يمض عام آخر حتي أنجبت لي ابني الثاني، وشكرت ربي طويلا وقررت الاكتفاء

بهاتين الهديتين اللتين هبطتا علي من السماء، لكن زوجتي كان لها شأن آخر، فلم يمض عام ثالث حتي كانت قد أنجبت طفلتي الجميلة الوحيدة وأصبح لدي ثلاثة أطفال خلال ثلاثة اعوام فقط.
وسبحانك ربي تهب الذكور لمن تشاء والاناث لمن تشاء وتجعل من تشاء عقيما.. وأنت القادر علي كل شيء.. تسع سنوات بلا أي بادرة للحمل دون وجود أية موانع.. ثم ثلاثة أطفال خلال ثلاث سنوات فقط لاغير.. فهل هناك دليل علي قدرة الله سبحانه وتعالي أكثر من ذلك؟!
لقد استقرت بي الحياة وأصبح أطفالي الثلاثة ينافسون أطفال أختي في إحداث الصخب والضجيج في بيت أمي في خلال لقاءاتنا المنتظمة، والحمد لله علي نعمته، فقد تفرغت للعمل.. وعشت هانيء البال لا يشغلني سوي أسرتي وعملي.. فتقدم العمل واستقر ورسخت دعائمه والحمد لله.. ولو انني كنت قد تعجلت أمري وتزوجت من تلك السيدة المطلقة وتمزقت بينها وبين زوجتي لاضطربت حياتي، وتأثر عملي ولربما كنت لم أنجب من الزوجة الجديدة فطلقتها وجربت حظي مع ثالثة وربما رابعة، ومضيت في طريق الزواج والطلاق والمشكلات المترتبة علي ذلك.
وقد مضت سبع سنوات الآن علي تلك الاجازة السعيدة التي رتبتها لابلاغ زوجتي بنيتي في الزواج عليها، وقد صارحت زوجتي بكل شيء عنها بعد انجابها الطفل الثاني فصفحت عما حدث، ولعلك تتساءل عما دفعني بعد هذه السنوات لأن أروي لك قصتي، وأجيبك، بأنه قد حدث ما جعلني استعيد شريط الذكريات كله وأجدد الحمد والشكر لله العظيم أن حماني مما كنت علي وشك التورط فيه، فقد زارني منذ أيام صديقي التاجر الذي أوصيته بالسيدة المطلقة التي كانت تعمل عندي ووظفها لديه، ووجدته في أسوأ حال صحيا ونفسيا وماديا، وروي لي أنه تزوج تلك السيدة بعد عملها لديه ببضعة شهور سرا وأنجب منها ولدا، واكتشفت زوجته الأولي الأمر فأصرت علي الطلاق منه وحرمته من ابنائه وشنت عليه حربا شعواء، وأقامت ضده عدة قضايا كسبتها كلها وكلفته مبالغ مالية كبيرة أثرت بالسلب علي نشاطه التجاري، ولم ترحمه الزوجة الجديدة في محنته وضاعفت ضغطها عليه لإعلان زواجه بها وتأمين مستقبلها ومستقبل ابنه منها، حتي ضاق بكل شيء وطلقها وأراد الرجوع الي زوجته الأولي، ووسط لديها كثيرين فأبت عودته الي بيت الزوجية إلا اذا كتب كل ما يملك باسمها واسماء أبنائه منها، لتحرم ابنه من الأخري، وهو حائر ومتخبط ولا يدري ماذا يفعل لينقذ عمله من الافلاس وحياته وابناءه من الضياع والاضطراب، وقد نصحته بأن يتوصل مع زوجته الأولي الي حل وسط فيكتب بعض ما يملك باسماء ابنائه ويتعهد لزوجته في قسيمة الزواج الجديدة بألا يتزوج عليها مرة أخري، وغادرني وأنا أحمد الله سبحانه وتعالي أن حماني من كل ذلك وجنبني المشكلات والاضطرابات العائلية والمادية، وأوجه رسالتي الي كل شاب تأخر حمل زوجته ألا يتسرع في الحكم عليها وألا يتعجل الانفصال عنها أو الزواج عليها، وأن يصبر علي ظروفه الي أن يأذن الله له بالانجاب أو يقضي في أمره بما فيه خيره وسعادته بإذن الله، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
ولكاتب هذه الرسالة أقول:
من سعادة المرء أن يكون ما اختاره له الله سبحانه وتعالي، أفضل كثيرا مما اختاره هو لنفسه، وأن يرضي بحسن اختيار الله له وألا يعدل به شيئا.. وقصتك الفريدة هذه خير دليل علي ذلك.. فقد كان اختيار الله سبحانه وتعالي لك أفضل مما كنت قد فكرت فيه ودبرت أمره، ولو لم تكن ابنا بارا بأمك وأخا عادلا رحيما لأختك، لربما كانت السماء قد تركتك لما اخترته لنفسك، وشهدت عن قرب آثاره ونتائجه الوخيمة، علي حياة صديقك التاجر العائلية وعلي عمله التجاري..، فكأنما قد أراد الله سبحانه وتعالي أن يطلعك عمليا علي ما كنت تقود نفسك وحياتك إليه، وأنت تسمع شكوي هذا الصديق مما حدث له، أو كأنما أراد الله سبحانه وتعالي أن يقول لك من جديد إنه أرحم بعبده من نفسه التي تقوده أحيانا الي المهالك بتطلعها الي المفقود وتعجلها المنشود، وفي هذا الشأن قال لنا الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه ما معناه، ان كل دعاء المؤمن مستجاب بأمر الله ما لم يعجل.. قيل له وكيف يعجل؟.. قال ما معناه: يقول قد دعوت ودعوت ولم يستجب لي، فيكف عن الدعاء.
وأنت صبرت تسع سنوات علي الحرمان من الإنجاب، ولم تتعجل الزواج من أخري، ولم تفكر في الانفصال عن زوجتك.. فكان حقا علي الله سبحانه وتعالي أن يجنبك الاضطرابات العائلية، بل انه سبحانه وتعالي، قد ترفق بك أكثر فأرسل إليك إشارة البشري بالحمل قبل أن تتورط في مفاتحة زوجتك في أمر زواجك خلال رحلة العودة، لكيلا تفسد عليها فرحة الحمل الصافية من الأكدار، ولو أنك كنت قد تسرعت في مصارحتها لتكدرت فرحتها بحملها بعد طول الترقب والانتظار بتفكيرك في الزواج من غيرها.. ولتأثرت علاقتك بها ولو لفترة مؤقتة، ولاهتزت ثقتها في حبك الكبير لها، أما نعمته الجليلة عليك فقد تمثلت في أن حماك ربك من المضي علي طريق الزواج والطلاق والاضطراب العائلي الذي كاد يعصف بتجارة صديقك التاجر، وقد كنت حكيما حين أبعدتها عن عملك وحياتك بعد أن تلقيت اشارة السماء بالاستجابة لدعائك لربك بأن ينعم عليك بالانجاب، وكان ابعادها من مجال البصر والتعامل اليومي معا ضروريا بالفعل، بعد أن فكرت فيها بالفعل كأنثي وأردت الارتباط بها، إذ لم يكن من المستبعد أن تتجدد الرغبة فيها في أية مرحلة.. أو أن تسعي هي بعد أن استشعرت بطريقة أو بأخري رغبتك فيها،

لإغرائك بالارتباط بها في السر أو في العلن، كما فعلت مع صديقك، فأخذت بالأحوط واستهديت بالحكمة القديمة التي تقول: خير لك ألا تبدأ من أن تبدأ ولا تعرف كيف تنتهي، فنجوت من كل ما يكابده الآن صديقك التاجر الذي بدأ ولم يعرف كيف ينتهي.
ولعل ما حدث لك يذكرنا من جديد بالحديث الشريف الذي يقول لنا في مضمونه أن كل أمر المؤمن خير، إن نالته سراء شكر فكان خيرا له، وان اصابته ضراء صبر فكان خيرا له.
لقد صبرت علي الحرمان من الانجاب.. وشكرت علي نعمته، فكان خيرا لك بإذن الله، وإني لأشاركك الدعوة المخلصة الي ألا يتعجل من يواجهون نفس ما واجهته أنت من ظروف في السنوات الأولي من زواجك، التفكير في الانفصال عن زوجاتهم، أو في الزواج من أخري مع ما يترتب علي ذلك من اضطرابات عائلية، لأن رحمة الله التي وسعت كل شيء قد تهبط عليهم في أية لحظة، فتتحقق الآمال ويسعد المحرومون بما كانوا يتلهفون عليه، وهو جل في علاه قادر علي كل شيء، ويخلق ما لا تعلمون وفي أي وقت يشاء سبحانه وتعالي.
===

الأبواب المغلقة ٢

أنا فتاة في السابعة والعشرين من عمري، نشأت بلا أب بالرغم من أنه علي قيد الحياة، ويقيم في نفس الحي الذي أقيم فيه.. فقد انفصل عن أمي عقب ولادتي لأنه لايريد إناثا.. فخرجت أمي من بيته بعد سبعة أيام من الولادة مريضة وأقامت مع جدتي.. وبعد عام تم الطلاق بينهما.. وتزوج هو سريعا.. فشاءت إرادة الله له ألا ينجب من زوجته الجديدة لا إناثا ولا ذكورا.. بينما تزوجت أمي بعد طلاقها منه من قريب لها فرزقت بولدين، فأثار ذلك حفيظة أبي وراح يختلق المشكلات معها ومع جدتي عقب كل ولادة لها.. وكل ذلك دون أن يراني أو يهتم بأمري أو ينفق علي مليما واحدا.. إلي أن وصلت في تعليمي إلي الصف الثالث الإعدادي، وفوجئت به يقيم دعوي قضائية لضمي إليه. وبغيرالدخول في تفاصيل محزنة كثيرة فقد رفضت الدعوي واستمررت في رعاية جدتي لأمي، وذلك بعد أن ذهبت إلي المحكمة وقلت للقاضي إنني لا أعرف هذا الرجل الذي يطالب بضمي إليه ولم أكن أعرف حتي تاريخ رفع الدعوي شكله إلا من صورة قديمة له رأيتها لدي خالي، كما انه لم يتحمل مسئوليتي كابنة له ولم ينفق علي قرشا واحدا، ولو تم إجباري علي الانتقال إلي حضانته فسوف أخرج إلي الشارع وأسير فيه بلا هدف وأذهب إلي أي مكان آخر، وتفهم القاضي موقفي.. وأصدر حكمه برفض دعوي الضم.
وخلال نظر هذه الدعوي ومن باب العناد فقد أقنع المحامي والدتي بإقامة دعوي ضده لمطالبته بنفقتي خلال السنوات السابقة.. فأقامت الدعوي بالفعل وفوجئنا بقبولها علي غير المتوقع، وبالحكم فيها لصالحنا.. واستمرت الاجراءات القضائية طوال المرحلتين الثانوية والجامعية من حياتي وهو يستأنف الحكم ويقدم الاستشكالات ويماطل في الدفع ويتذلل للقاضي ويزعم له أنه فقير ومريض ولايملك شيئا، ولا يدفع ما يتراكم عليه من نقود كل مرة إلا بعد أن يهدده القاضي بالسجن.
وتخرجت في الجامعة.. وعملت عقب تخرجي مباشرة فسارع هو بالحصول علي ما يفيد التحاقي بالعمل وقدمه للمحكمة لكيلا أطالبه بأية نقود من جديد..
وبعد أن اطمأن إلي ذلك، بدأ يقول إنه نادم علي ما حدث ومظلوم ويريد أن تنشأ بيننا علاقة الأب بابنته. وبالرغم من أنني كنت قد أغلقت قلبي دونه ولم أكن مستعدة أبدا لتصديقه فلقد أردت أن أبرئ ذمتي أمام الله وتناقشت معه في هذا الأمر فلم استشعر حرصه الصادق علي.. وإنما رجحت أن تكون محاولة اقترابه مني راجعة إلي أسباب تتعلق بنظرة الناس إليه كأب لايعرف شيئا عن ابنته إلي جانب إحساسه بأنني سأضطر للاحتياج إليه في هذه المرحلة من عمري... وهي مرحلة الزواج.. وأكد هو نفسه لي هذا الظن حين قال لي إنه ليس هناك شاب كريم يقبل بي دون أب، وإذا قبل بي الشاب هكذا فسيكون ذلك نقطة ضعف لي أمامه.
وقد شاءت الظروف أن أخطب مرتين وتفشل الخطبة كل مرة لأسباب لا مجال لذكرها.
والمشكلة هي أنه وبعد كل ما جري يريد أن يوجد في حياتي وأن أعامله كأب وأرسل إليه من يريد خطبتي لكي يطلب يدي منه، فيقابله هو كوالد للعروس... ويفحص ظروفه.. ويفكر في أمره طويلا.. ثم يتخذ قراره بعد استطلاع رأيي كما يفعل كل أب حنون مع ابنته!، وأنا من ناحيتي لا أشعر تجاهه بإحساس الابنة تجاه أبيها ولا أريده أن يشارك في زواجي، ولن أدعه يحضره ولو أدي الأمر إلي عدم زواجي نهائيا لأنني لا أستطيع أن أسوي بينه وبين أمي في ذلك.. ولا أراه يستحق أن يمارس إحساس الأب تجاهي في مثل هذا الموقف.. فلقد كنت في مرحلة التقاضي معه من أجل النفقة أكرهه من أعماق قلبي.. ثم أقنعت نفسي بعد ذلك بأنه لايستحق مني حتي مشاعر الكراهية هذه، لأنها تؤثر بالسلب علي قدرتي علي التكيف مع حياتي. واعتبرته قدري وعلي أن أقبل بمشكلته في حياتي، لكني من ناحية أخري لا أطيق رؤيته، ولا أتحمل سماع صوته ولا أتصور أن يجبرني شيء علي الاقتراب منه والالتقاء به، وأتناساه حين يغيب عني، ولكنه لايدعني أنعم بحياتي وما أن أستريح منه لفترة حتي يظهر في الأفق من جديد وهو يجيد الكلام المعسول، ويريد أن يأخذ وضعه كأب ولايريد أن يتحمل مسئوليتي المادية مع
أني لا أريد منه شيئا.. وقد أبلغت بعض أهله الذين حدثوني عن الميراث المتوقع منه أنني لا أقبل منه شيئا.

وأنا أخاف ربي كثيرا لكني علي اقتناع تام بأنه لم يقدم لي أي أحساس بالأبوة، وبالتالي فلا يحق له أن يحاسبني أو يحاسبني أحد علي كراهيتي له، وكل ما أريده هو أن أحيا حياتي بدونه، وكم تمنيت من قبل موته.. لكني لم أعد الآن أتمني ذلك له.. وإنما فقط لاأصدقه ولست علي استعداد لتصديقه في المستقبل، فأرجو أن تبلغه أنني لا أريده وأنه يحصد الآن ما زرعه من إهماله لي ولا مبالاته بأمري وتخليه عن تحمل مسئوليتي، وأرجو أن يسامحني الله علي ذلك.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

ولماذا تفترضين في أبيك أنه لايصدر في قول أو فعل إلا عن مصلحة ذاتية بحتة، ولايسعي إليك بعد أن كبرت وبلغت سن الزواج إلا لكي يأخذ وضعه بين الناس كما تقولين وليس لكي يكفر عن جنايته عليك ويعوض غيابه السابق عنك وتقصيره البالغ في حقك؟

وماهو هذا الوضع الذي سيبلغ به سدرة المنتهي حين يناله.. وتسمحين له بأن يظهر بمظهر الأب المهتم بأمر ابنته عندما يرغب شاب في الارتباط بك؟

إن ظهور أب لك في أفق حياتك بعد طول غياب هو إضافة إنسانية واجتماعية وعائلية جليلة الشأن لك مهما يكن من سابق تخليه عنك وإهماله لك، وأنت المستفيدة نفسيا وإجتماعيا وعائليا بل وماديا أيضا من هذه العودة إذا أتحتها له، ولا تقاس استفادتك منها.. بما سوف يحققه هو من فائدة تظنينها أنت مظهرية وليست نابعة عن إحساسه بالذنب تجاهك ورغبته في التكفير عن سابق إهماله لك.

إذ لابد أنه سيتحمل تبعات مسئوليته كأب عنك ولو بعد فوات الأوان، لأن تحمله لهذه التبعات الإنسانية والمادية هو الذي يرشحه للتكفير عن جنايته السابقة عليك..

فلماذا تغلقين كل أبواب الرحمة في وجهه؟

إنه يسعي إليك ويستجدي مشاعرك ولا يطلب منك إلا المودة الشكلية التي لاتكلف صاحبها شيئا.. فلماذا تصرين علي مجافاته ومباعدته.. وحرمانه حتي من الأمل في التكفير عن سابق إهماله لك.. نعم لقد أجرم في حقك.. وتخلي عنك.. ولم ينهض بمسئوليته ـ كأب معك ـ ولا أحد يملك أن يجبرك علي محبته.. أو التسوية بينه وبين والدتك في المنزلة لديك.

لكنه من غير المقبول دينيا وأخلاقيا ونفسيا في نفس الوقت أن ينطوي له قلبك علي كل هذا القدر من الحقد والضغينة والكراهية.. مهما تكن جنايته السابقة عليك... ذلك أن الإنسان مأمور بأن يبر أبويه وإن جارا عليه وإن ظلماه... وإن جفواه بل وإن جاهداه علي أن يشرك بالله ما ليس له به علم.. ومأمور بمصاحبتهما في الدنيا معروفا أيا كان من أمرهما معه.. فكيف ترضين لنفسك باثم قطع رحمك بأبيك ومجافاته ومباعدته.. وسد كل أبواب المغفرة أمامه؟

وكيف يغيب عنك أن كل هذا القدر الهائل من مشاعر الكراهية التي تحملينها لأبيك يحول بينك وبين السلام النفسي والتواصل السليم مع الحياة، وينقص من قدرك واعتبارك في أعين الآخرين! بل وكيف يأمن لك من سوف يرتبط بك في حياة مشتركة وقلبك يتأجج بكل هذا البغض لأبيك ويرفض أن يمنحه أية فرصة للتكفير عن خطئه.. وتأكيد حسن نيته؟

إن هذه الكراهية المريرة لأبيك تعطي مؤشرا مخيفا لقيمك الدينية والأخلاقية ولعجزك عن التسامح مع أحق الناس بالتسامح معهم.. وكل ذلك مما لايغري بك الراغبون في فتاة ترعي حدود ربها مع الجميع وخاصة أبويها.. وتصدع بأمر ربها في البر بالوالدين ولو ظلماها.. فسارعي بتطهير قلبك منها لكيلا تسمحي لتقصير أبيك في حقك في الماضي بأن يفسد عليك معنوياتك وصفاء نفسك وقدرتك علي التسامح والسعادة والتواصل مع الغير، واقبلي من أبيك محاولاته للاقتراب منك.. وتودده إليك ورغبته المتأخرة في ممارسة إحساس الأبوة معك.. ولن يكلفك ذلك شيئا كثيرا وإنما علي العكس من ذلك سوف يفيدك ويعيد إليك توازنك النفسي والعاطفي.. ويرسخ فضيلة التسامح لديك، وبقدر عطاء أبيك لك واستعداده للبذل والتضحية من أجلك.. ستتفتح له مسامك من جديد وتزداد فرصك في السعادة والاستقرار والأمان بإذن الله.

==

الأبـــواب المغلقـــــة

أنا شابة عمري٢٥ عاما ارتبطت بزوجي بعد قصة حب كبيرة وأنا سعيدة معه والحمد لله وهو يحسن معاملتي ويرعي الله في كل شئوني لكن مشكلتي هي علاقتي مع أهلي حيث أني تزوجت بدون موافقتهم بعد أن أعيتني الحيل معهم لاقناعهم بمن أحببته، وزوجي والحمد لله متدين ومواظب علي الصلاة ومستواه العلمي والاجتماعي جيد ومقارب لمستوي أسرتي إلا أن والدي ووالدتي عاشا في دولة عربية لفترة طويلة فأصبح مستواهما المادي أفضل من مستوي أهل زوجي. وقد تقدم فتاي إلي والدي وأنا في السنة النهائية من دراستي بإحدي كليات القمة، إلا أن والدي طلب تأجيل هذا الموضوع إلي أن أكمل دراستي، وسافر أبي وأمي إلي حيث يعملان في الدولة العربية وتركاني مقيمة في سكن للمغتربات كما اعتدت أن أفعل كل عام. وكنت خلال تلك الفترة التقي بفتاي بعد أن تأكدت من حسن نيته ومن جديته. واكتشفت في هذا الشاب صفات جميلة كثيرا ما حلمت بها. إلا أن الرياح جاءت بما لاتشتهي السفن، فقد علم زوج أختي أنني ألتقي بهذا الشاب عن طريق أحد أقاربه الذي رآنا معا

فاستدعاني زوج أختي وطلب مني ألا ألتقي بهذا الشاب مجددا إلي أن يأتي والدي. واستأت كثيرا من تدخل زوج أختي في هذا الموضوع الشخصي ولأني بشهادة الجميع انسانة عاقلة وراشدة كما أن علاقتي بفتاي لم تكن تشوبها أي شائبة فلم أستمع لكلامه واستمرت علاقتنا لكي نتعارف أكثر وتتم الخطبة بعد عودة والدي، إلا أن زوج أختي استمر في فرض وصايته علي بتشجيع أختي حتي أنه منعني من الذهاب إلي الكلية ومنعني من الخروج أو التحدث بالهاتف لأي سبب وراحت أختي تشوه صورة هذا الشاب لدي والدي إلي أن وصل إلي مرحلة الرفض التام له، ولأول مرة في حياتي رسبت في مادتين وأنا في السنة النهائية بسبب غيابي عن الكلية. واعتقد والدي أن فتاي هو السبب في تأخر مستواي الدراسي علي عكس تفوقي السابق وزاده ذلك رفضا له وكانت أمي غير موافقة منذ البداية لأنها كانت تريد أن تزوجني من طبيب وتحلم لي بمستوي معين من الحياة. وزاد الطين بلة أن أخي الأكبر كان مسافرا وعندما عاد أبلغته أختي بما كان من أمري، فكره أخي فتاي قبل أن يراه أو يتعرف عليه وراح أخي يضربني كلما علم أني اتصلت به. وبذلك أصبح الجميع ضدي دون أن يحاولوا معرفة هذا الشاب أو يلتقوا به، وهو من ناحيته كان يحاول اقناع والدي، وأبي يصده ويسوف في موضوع الارتباط ويؤجله إلي بعد امتحانات الدور الثاني أو بعد النتيجة إلي أن أخبرني عمي أنه قا

بل فتاي مع والدي وأن رأيه فيه أنه شاب جيد وطلب مني الانتظار حتي ظهور النتيجة وانتظرت والتزمت بوعدي لعمي بعدم مقابلة فتاي إلي أن يسمح لي بذلك، وسافر أبي مرة أخري لعمله وأحسست أنه يتلاعب بمشاعري وساءت حالتي الصحية وأصبت بارتفاع ضغط الدم، وهزل جسمي إلي أن رجع أبي وطلب فتاي مقابلته وفوجئت برده الحاسم بأنه يرفض زواجي من فتاي رفضا قاطعا جامعا وحاولت التحدث معه واقناعه بكل الوسائل بالكلام والصمت والبكاء والامتناع عن الطعام فلم يجد ذلك شيئا، وكان مبرر أبي للرفض هو أن فتاي أقل من مستوانا وأني أستحق من هو أفضل منه. واستمر الوضع هكذا لمدة عام ولم يخطر ببالي ذات يوم أنني يمكن أن أتزوج هذا الشاب بغير وجود أهلي ومباركتهم لزواجي.. لكني لم أجد مفرا في النهاية سوي ذلك وعقدت قراني عليه وتكتمت الأمر عن أهلي وبعد فترة واجهتهم بزواجي منه فقابلوني بعاصفة من الضرب والسب والاهانة حتي خشيت علي نفسي من تهور أخي الذي لم يكن قد علم بعد بزواجي فتركت البيت وتوجهت خائفة وحزينة إلي أهل زوجي بعد أن صارحهم زوجي أننا متزوجان وكانت لديهم خلفية عن رفض أهلي لابنهم فاستقبلوني بكل الحب وأحسست من أول لحظة أنهم أهل لي. وتخلي والدي ووالدتي عني تماما ولم يتحملا أي شيء من تكاليف الزواج أو تجهيز شقة زوجي التي يمتلكها وتكفل والد زوجي الحبيب بكل تكاليف الأثاث وحتي أغراضي الشخصية ولم أحصل من أبي وأمي إلا علي ملابسي، مع العلم أنهما قادران وجهزا شقيقتين لي علي أكمل وجه، وحاولت اصلاح علاقتي بهما بعد انتقالي إلي منزل زوجي إلا أنني لم أجد منهما إلا الجفاء خاصة والدتي، وبعد محاولاتي المستميتة تحسنت علاقتي بهما إلي حد ما. إلا أن والدتي لم تأت لزيارتي في بيتي، حتي الآن ورغم مرور٣ سنوات علي زواجي وأنا الآن حامل ولدي طفل جميل وسعيدة جدا مع زوجي والحمد لله ولم أندم للحظة واحدة علي اختياري له غير أن أهلي وبالرغم من زيارتي لهم كل فترة لا يسألون عني أبدا وزوجي يشجعني علي زيارتهم دون أن تكون له أي صلة بهم فهل أنا مخطئة لأني اخترت حياتي كما أريدها؟!

إنني أعرف أنني أخطأت ولكني لم أكن لأرتكب هذا الخطأ لو كانوا وافقوا علي زواجي منذ البداية ولم يحرموني من رضاهم عن اختياري، والسؤال الذي يقض مضجعي هو: إلي متي سوف يستمر جفاؤهم لي وألا تشفع لي سعادتي مع زوجي لكي يسامحوني علي زواجي بغير علمهم ويعلموا أني لم أسيء الاختيار.

ولكاتبة هذه الرسالة أقول:

بقدر عمق الجراح يتأخر الشفاء ويطول العلاج.. وإذا كانت جراح الجسم قد تبرأ في وقت معلوم، فإن جراح النفس بطبيعتها بطيئة البرء والشفاء، فاصبري علي أبويك إلي أن يداوي الزمن جراحهما.. ويذيب المرارة التي شابت نفسيهما تجاهك، وواصلي سعيك الدءوب لاسترضائهما والاعتذار إليهما عن خروجك علي طاعتهما وزواجك بمن اخترت بغير إذنهما وفي غيبتهما، وأشركي زوجك معك في محاولات الاصلاح ورأب الصدع فالحق أنه مدين مثلك بالاعتذار لأبويك عن زواجه منك بغير إذنهما ومباركتهما، ومن واجبه تجاهك أن يشاركك الجهد في ترضية النفوس والإقرار لأهلك بخطئكما في حقهم والاعتذار عنه، ولتكن سعادتكما معا، وحسن عشرة كل منكما للآخر وانجابكما لطفلكما الأول والاستعداد لاستقبال الطفل الثاني خير شفيع لكما لدي أبويك لكي يتجاوزا عما حدث، ويفتحا لكما أبواب قلبيهما المغلقة الآن دونكما ويكفيكما عقابا لكما علي ما فعلتما فترة الجفاء والتحفظ السابقة كما يكفيك أن حجب عنك أبواك مساندتهما لك عند الزواج، فلم يتكفلا بأعبائه كما فعلا مع أختيك،و حتي اضطر زوجك لتحمل كل تكاليفه بغير مشاركة من أهلك، وفي ذلك ما فيه من حرج لك ونقص في الاعتبار، كما يكفيكما أيضا مرور ثلاث سنوات علي زواجكما لكي يعيد أبواك النظر في موقفهما منك.. ويعدلا عن التحفظ معك، وتعود العلاقة الطبيعية بينكما، واني لآمل ألا تحرمك والدتك من مودتها ومشورتها واهتمامها بأمرك كما تفعل مع بقية أبنائها، كما آمل أيضا ألا يغلق والدك أبواب رحمته دونك وأن يرجع إلي سابق عهده معك راعيا وسندا لك في الحياة، كما ينبغي للأب دائما أن يكون بالنسبة لأبنائه مهما تورطوا في حماقات في بعض الأحيان..

وأحسب أنه لن يطول الوقت قبل أن تشرق شمس حياتك برضا أبويك عنك وصفحهما عما كان من أمرك، واغداقهما عليك بالعطف والرعاية كما هو قدر الآباء والأمهات دائما علي طول الزمان.

==

إلا أمــي

ترددت كثيرا في كتابة رسالتي هذه، ولكن الذي شجعني هو قرب الاحتفال بعيد الأم لتكون مناسبة لتقديم شهادة تقدير ووفاء لوالدتي وفي الوقت نفسه لتكون بكلماتكم الواعظ والناصح للأبناء الذين تناسوا أمهاتهم وفضلوا إرضاء زوجاتهم علي رضاء الأم. وأتمني أن ترد كل ابن أو زوجة ابن ظالمة لتصحو وتحسن معاملة حماتها، وتتذكر أنها في يوم من الأيام ستكون مثلها.

أنا باختصار الابنة الصغري(الثالثة) لأخ أكبر مني بسبع سنوات، وأخت تصغره مباشرة في السن. عمري الآن تخطي الثلاثين بقليل نشأت لأب موظف عادي من عائلة كبيرة استولي شقيقه علي ورثه، وربانا علي الاعتماد علي دخله البسيط. وأم غاية في الحنية والطيبة اجتهدا في تربيتنا حتي تخرج شقيقي من الجامعة وسعي والدي وطرق كل الأبواب لرؤسائه ليوفر عملا لأخي في نفس عمله في مركز يتناسب مع مؤهله، وحصل عليه بصعوبة بعد عناء كبير.

شقيقي الكبير نال من التدليل من أمي ما يفوق الوصف، كانت تحرم نفسها من أي شيء لكي توفره له. أما أنا وشقيقتي فطلباتنا بسيطة حتي لا نثقل كاهل والدي الذي كان شديد العصبية بسبب الضغط النفسي، فكان يفرغه في والدتي بالاهانة والسباب وهي صامتة، لم ترد عليه مرة واحدة علي مدي سنوات زواجها الأربعين.. لم تنطق ولم تعلن ألمها وكبتت أحزانها منذ سنوات صباها، فكان طبيعيا أن تصاب بأمراض عدة لم تثنها يوما عن التفاني في خدمة زوجها وأبنائها، راضية بما كتبه الله عليها، مرددة أن الله سيعوضها خيرا بنا.

خرج والدي علي المعاش، وحصل علي مكافأة نهاية الخدمة، وكالعادة وبتشجيع من أمي أنفقها بكاملها علي أخي. دفع له المهر والشبكة، وجهز له الشقة التي كنا نحلم بها وننتظرها. تلك الشقة التي حجزتها أمي لتكون لنا سكنا أوسع من تلك الشقة الضيقة التي نعيش فيها. منحوها لأخي بعد أن قالت أمي بكل حب مش خسارة أبدا في أخيكم.. ساهم أبي بما تبقي لديه في زواج شقيقتي، أما أنا وأمي فلم ننل أي شيء من تلك المكافأة، حتي السيارة استولي عليها، وكنا راضين، آملين في سعادته.

ماذا فعل أخي ـ يا سيدي ـ بعد زواجه.. نسانا جميعا، أهمل أمه، لم يعد بينه وبينها إلا تليفون عابر سريع، بينما غرق في تلبية طلبات أهل زوجته. تلك الزوجة التي مارست سطوتها عليه، فكانت تتفنن في إهانته علي الرغم من أنه نقلها إلي مستوي لم تكن تحلم به. كانت والدتي تحزن علي حال ابنها فتتصل بزوجته وتلاطفها وتدعوها إلي طاعته. حتي جاء يوم واشتعلت معركة بين شقيقي وزوجته، فذهبت والدتي إليها في شقتهما التي هي في الأصل شقتنا، وعاتبتها علي ما تفعله بزوجها، وطالبتها بحسن المعاملة، فما كان من زوجة أخي إلا أن طردتها أمام الجميع اطلعي بره من بيتي فيما نكس أخي رأسه، ولم ينطق بكلمة وهو يري أمه مطرودة مهانة من بيتها التي ضحت به من أجل سعادته مع تلك الزوجة التي أهانتها.

بعد هذه الواقعة كان انتقام الله سريعا من أخي، فقد تعرض للضرب من عائلة زوجته فأصيب بارتجاج في المخ استدعي دخوله المستشفي، ولم يقف بجواره إلا أنا وأمي التي أصيبت بنزيف في عينها من البكاء عليه.

عاد أخي بعد خروجه من المستشفي الي زوجته بعد أن وضعت مولودها الأول وغرق مرة أخري في دوامة زوجته وأسرتها وواصل إهماله لأمي.. تراه من شرفة المنزل، وهو في طريقه إلي زيارة حماته وتستجديه أن تراه للحظات فيرد عليها بجفاء شديد وقسوة لا أعرف من أين أتي بها.

انطفأت أمي وازداد شحوبها مع هجر وحيدها وقسوته عليها وازداد حزنها ذات يوم عندما ذهبت لزيارة شقيقتها، وشاهدت أولادها من حولها يقبلون يديها، ويحرصون يوميا علي زيارتها. أصابتها الحسرة، ولأول مرة تكشف عن حجم ألمها من جحود إبنها لشقيقتي.

ذات يوم، عدت أنا ووالدي إلي شقتنا ففوجئنا بأمي ملقاة علي الأرض في غيبوبة كاملة، فسارعنا بمعاونة الجيران بنقلها إلي المستشفي لنكتشف اصابتها بجلطة في المخ أدت إلي أن أصبحت مشلولة تجلس علي كرسي متحرك.. لا تنطق بكلمة.. الدموع في عينيها تردد دائما حسبي الله ونعم الوكيل.. سقطت أمي لتعلن حزنها ويأسها من عودة ابنها إليها. لم تفلح كلماتي أنا وشقيقتي وأبي في التسرية عنها.

عاش أبي تحت أقدام أمي ـ برغم كبر سنه ـ يخدمها بعينيه، وأنا قدر استطاعتي، وكذلك شقيقتي مع انشغالها بزوجها وأبنائها.

تستضيفها شقيقتي في بيتها أياما حتي يضيق زوجها بها، فتعود إلي المنزل، وبعد الحاح لرفع معنوياتها يأخذها شقيقي، فتعاملها زوجته أسوأ معاملة، تخرج كل صباح ولا تعود إلا مساء، حتي الطعام يحضره شقيقي من المطاعم.

كان هذا في رمضان الماضي، افتعلت مشاجرة عنيفة مع شقيقي وتركت أمي تغادر الشقة علي كرسي متحرك وقت آذان المغرب، حتي تستقبل شقيقتها الحامل لتعيش معها فترة سفر زوجها خارج البلاد.

سيدي.. لا أريد أن أحكي تفاصيل محزنة كثيرة، فالحمد لله أمي تعيش معي ومع أبي، لا أدخر جهدا في خدمتها، وقد أكرمني الله كثيرا بسبب حسن معاملتي لها فتدرجت في وظيفتي إلي أعلي وزاد راتبي.. لم أضعف يوما أمام عريس مناسب يطرق بابي، أرفض لأني لا يمكن ترك أمي وحيدة.
أخي رزقه الله بولدين أخشي عليه من أن يتذوق من نفس الكأس الذي أذاقه لأمي. وكلي ثقة في عدل الله أن زوجته ستحصد شوك ما غرسته. كل أملي الآن أن تعيش أمي ما تبقي لها من عمر في راحة نفسية، وأن يهدي الله شقيقي فيعود إلي رشده، ويأتي ليقبل يديها وقدميها، بدلا من أن يأتي يوم تقتله فيه الحسرة والندم، ولا يستطيع التوبة أو طلب العفو من ست الحبايب أمي!

سيدتي.. لا أصدق أن ابنا يمكن أن يفعل بأم مثل أمك ما يفعله شقيقك..{
وماذا كان سيفعل معها إذا كانت قاسية عليه، أو لم تمنحه ما منحته، مضحية بسعادتها وراحة كل أفراد الأسرة؟!
هل مثل هذا الابن يغفل أو لا يعلم كيف أوصانا الله سبحانه وتعالي بالوالدين خاصة الأم؟.. هل يعلم مثل هذا الابن أن الخالق الواحد أمره حتي لو حاول الوالدان إجباره علي الشرك به ألا يطيعهما وأمره.. وصاحبهما في الدنيا معروفا؟.. ألم يقرأ يوما الآية القرآنية التي قرن فيها الله شكره بشكر الوالدين في سورة لقمان ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا علي وهن وفصاله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلي المصير؟
ألا يعرف شقيقك أن رسولنا الكريم هو القائل إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات.
سيدتي.. إني مشفق علي شقيقك مثلك تماما، فعقوقه لأمه إحدي الكبائر، وغضبها يمنع البركة ويأتي باللعنة، فكيف له أن يختار تلك الحياة البائسة؟!.
والله لو يدري نعمة وجود أمه، هذا الوجود الذي قد يكون سببا في رحمة الله وعفوه عنه، لتفرغ لدعوة الله أن يمد في عمرها حتي لا يواجه مصيرا مؤلما وحسرة لا تذهبها زوجة ولا بنون.
أقول لأخيك، لن تجد في هذه الحياة من يحبك مثل أمك، ومن يتمني أن تكون خيرا منه سوي أمك.. لن تجد حضنا ولا أمانا ولا دفئا ولا صدقا ولا رحمة ولا سماحا ولا عفوا إلا مع أمك.
فعد إلي رشدك والحق قبل فوات الأوان، اطلب العفو والسماح وقبل يدي أمك وقدميها، عسي أن تمسح دموعك بعض خطاياك في حقها.
أما زوجتك فتشرب كأسا مريرة وستأتي لها من تذيقها عذابا أمر.. فمن أعمالكم سلط عليكم. أدعو الله أن يهديها ويردها إلي الصواب قبل أن ترحل تلك الأم العظيمة، ويمتليء قلب زوجها غضبا عليها وكرها لها.
لأن واجبها أن تعينه علي التقوي والبر وصلة الرحم، لا علي الهجر والقسوة وعصيان أمر الله.
أما أنت يا عزيزتي، فسيكرمك الله كرما كبيرا، جزاء ما تقدمينه إلي والدتك، وستجدين الزوج الذي يقدر فيك وفاءك وطاعتك وخدمتك لوالديك، فمثلك يؤتمن علي المال والعرض والولد. أما والداك خاصة والدتك فلهما مني ومن كل أصدقاء بريد الجمعة المحبة والقبلات، ونسألهما دوما الدعاء بالستر والصحة، أدامهما الله علي الجميع.
===

أغصان الشجرة

أنا طبيب شاب في التاسعة والعشرين من عمري نشأت في أسرة متعاطفة متدينة بين أب رحيم بمعني الكلمة ومثقف وأم حنون متعلمة، وأخ يكبرني ويعمل مديرا بإحدي الشركات الكبري وأخت تصغرني ببضع سنوات، وقد تمنيت منذ صغري أن أكون طبيبا فاهتممت بدراستي وأحببتها، واخترت أن أكون إنسانا خدوما لا أتأخر عن تقديم أي خدمة استطيعها لمن يطلبها مني، وأنهيت دراستي وبدأت سنة التدريب العملي وحصلت علي دبلومين دراسيين بعد التخرج، وكم كانت فرحة أهلي حين عينت معيدا بالكلية وبالقسم الذي أحبه.. فبدأت الاستعداد لدراسة الماجستير واخترت موضوعا يفيد المرضي ووافقني عليه أساتذتي، لكنه كان يتطلب تكاليف باهظة، للبحث العلمي فتم التنسيق بين كليتي وبين مركز البحوث، وأصبحت أعمل في الصباح بمستشفي الجامعة، وأقضي بقية اليوم في أكاديمية البحث العلمي، وكنت قد ارتبطت عاطفيا بزميلة لي وتمت خطبتنا فبدأ أهلي يطلبون مني التعجيل بالزواج.. خاصة وأنه قد تخرجت خطيبتي، وحصلت أنا علي الماجستير.. وعملي في الكلية موضع رضا أساتذتي وكل شيء يدعو للابتهاج والتفاؤل واستجبت لرغبة الأهل وبدأت مع خطيبتي في انهاء عش الزوجية والاستعداد للزفاف فإذا بي اسقط مغشيا علي وأنا أقوم بفحص أحد المرضي وأفقت من غيبوبتي فوجدتني ممددا فوق أحد أسرة المستشفي الذي أعمل به.. وبجواري عدد من زملائي الأطباء.. وفوجئت بأقربهم إلي يبلغني بأن مستوي السكر لدي يبلغ خمسة أضعاف المعدل الطبيعي، وأنه سبب هذه الغيبوبة المفاجئة!
وتساءلت متألما سكر في هذه السن؟ ثم سرعان ما استعدت توازني.. واعانني علي ذلك التفاف الأهل والأصدقاء حولي.. لكني فوجئت بعد ذلك بفتور خطيبتي تجاهي وفوجئت بها تكثر من الحديث المتشائم معي عن المشاكل الصحية المتوقعة في المستقبل بالنسبة لمرضي.. والمضاعفات.. والمحاذير الخ.. وكأنني مريض تفحصه ولا تربطها به صلة ولست خطيبها.. وأدركت الموقف المؤلم.. وأحسست بالمرارة.. وخلال فترة قصيرة كانت قد انسحبت من حياتي تاركة وراءها غصة في النفس والقلب، وكمحاولة من جانب أبي لأن يخفف عني بدأ يلح علي في أن ارتبط بابنة أقرب أصدقائه إليه.. ولم أجد ما يمنعني من الاستجابة لرغبته خاصة وأنها فتاة مهذبة وزوجة

صالحة لمن يرتبط بها. وبدأنا نتحدث في الأمر مع والدها.. ووجدت من واجبي أن أصارحه بمرضي فأبلغته به.. فانفرد بي جانبا وأبلغني بطريقة مهذبة انني إذا أصدرت علي هذا الارتباط فلن يعارضه لكنه يفضل لو جاء التراجع أو الرفض من جانبي أنا.. وليس من ناحيته حرصا علي صداقته لأبي.. وأبت علي كرامتي أن استغل حرج والد الفتاة من أبي واستمر في مشروع الخطبة فعزفت عنها دون ابداء اية أسباب لأبي.. لكني تساءلت ممرورا وهل ضمنت خطيبتي الأولي أو الثانية ألا يصاب من ترتبط به برباط الزوجية بالمرض في المستقبل؟ وهل الزواج هو مجرد علاقة جسدية أو مادية فقط.. وسلمت أمري لخالقي وعرفت أن الله سبحانه وتعالي سوف يعوضني خيرا وأسدلت الستار علي موضوع الارتباط والزواج في حياتي.. وانخرطت في العمل باهتمام مضاعف.. وكرست كل وقتي له وزاد دخلي كثيرا والحمد لله.. وبدأت في التفكير في انشاء مركز صغير متخصص في مجالي.. وشجعني أبي أكرمه الله علي هذا المشروع وساعدني عليه ماديا.. واشركت معي أخلص أصدقائي.. وحصلنا علي المكان.. وتعاقدنا علي الأجهزة.. واحتاج الأمر إلي بعض عمليات الهدم والبناء الداخلية ورشح لنا الأصدقاء احدي الشركات المتخصصة في هذا المجال وطلبنا موعدا مع مسئول هذه الشركة وذهبنا إليه فإذا به مهندسة شابة جميلة ومريحة.. وتم الاتفاق وبدأ تنفيذ الأعمال.. ووجدتني أتردد علي المكان كثيرا.. واختلق الاعذار والأسباب لأتصل بالمهندسة المشرفة واتحدث إليها.. وسلمت داخليا أن ينبوع الحب المحبوس داخلي قد تفجر منذ رأيت هذه المهندسة وتعاملت معها.. وانتهت الأعمال.. وشعرت بأن الفرصة تضيع من بين يدي فتجرأت وسلمتها ورقة صغيرة أعبر لها فيها عن مشاعري الصادقة وأسألها عن رأيها في. وفي المساء اتصلت بها متوجسا وحدثتها فبكت وصارحتني بأنها تبادلني مشاعري لكني استحق من هي أفضل منها لأنها مطلقة ولديها طفلة صغيرة، وانهت المكالمة دون أن تدع لي أي مجال للمحاولة معها واتصلت بوالدها فوجدته يعرف بما حدث وروي لي عن سوء حظها في زواجها السابق وكيف تزوجت من اختاره هو لها وهو ابن أحد أصدقائه ولم يكن يعرف الكثير عن هذا الابن، وكيف تبين بعد الزواج بثلاثة أسابيع فقط ولسوء الحظ أنه مدمن وكيف انتابته حالة هياج مدمرة ضربها خلالها بعنف شديد فكسر يدها واصابها اصابات متعددة فرجعت إلي بيت أبيها وطلبت الطلاق وحصلت عليه، وبعد شهرين فقط من الطلاق مات زوجها السابق بجرعة زائدة لكنها كانت قد اكتشفت انها حامل، ورفض هو أي محاولة لاجهاض ابنته.. واعتبر مولودتها حين جاءت إلي الحياة أختا صغري لها.. وتقدم لها بعد الطلاق كثيرون لكنها عزفت عن الزواج تأثرا بمرارة تجربتها الوحيدة معه. وشعرت أنا بأن تمسكي بها قد ازداد عمقا بعد أن عرفت كل ذلك عنها وطلبت من والدها أن التقي بها في بيته وقابلتها عدة مرات واحببت طفلتها الصغيرة وتعلقت بها، وعرضت الأمر كله علي شقيقي الأكبر فباركه وتعرف علي تلك السيدة الشابة واحبها واحترمها.. وعرفتها بأبي وأمي وأختي فأحبوها ورحبوا بها وتنبهت إلي انني لم اخبرها بعد بمرضي.. وربما لانني خشيت أن تتركني إذا عرفت؟ واستخرت الله سبحانه وتعالي وصارحتها فبكت وتساءلت.. وماذا لو كانت هي التي مرضت بهذا المرض.. أكنت سأتركها وأنصرف إلي غيرها؟.. ثم شاركتني الاهتمام بأسلوب الغذاء والرعاية والمتابعة لدي الطبيب المعالج بحب ومودة.. وأحسست بطعم السعادة الحقيقية معها وبمجرد رؤيتها وسماع صوتها، وحانت اللحظة الحاسمة لابلاغ أبي وأمي وأختي بظروفها الاجتماعية كمطلقة وأم لطفلة صغيرة، فلم تغير والدتي وأختي رأيهما فيها.. أما والدي الحبيب فلقد رفض ارتباطي بها بعنف شديد قائلا لي، انني قد خنت الثقة ولم أصارحهم بظروفها منذ بداية التعارف وها هو ما أعترف به بالفعل لانني لو كنت قد صارحتهم بالتفاصيل في البداية لما سمحوا لي بتقديمها إليهم ولضيقوا علي الخناق حتي لا أعرفها، وحاولت مع أبي مرارا وتكرارا أن يعدل عن موقفه ويبارك رغبتي في الارتباط بهذه السيدة وحاول أخوتي وأمي فأصر علي رفضه وهددني بمقاطعتي وقطع صلة رحمي إذا تزوجتها.. فأبلغته انني لا أستطيع الاقدام علي شيء دون موافقته ومباركته ودعائه لي كما أن والد فتاتي كذلك يأبي لها ذلك لأنها لا ينقصها أي اعتبار ولم تخطئ في شيء وليس بها عيب وإذا كان ثمة خطأ في الأمر كله فهو خطؤه هو في سوء اختيار ابن صديقه لها دون أن يتحري حقيقة شخصيته وظروفه ولقد كررت المحاولة مع أبي من جديد وسألته عما سيكون عليه الوضع لو كانت اختي هي التي واجهت نفس هذه الظروف، فنهرني قائلا: إنه سوف يحسن لها الاختيار بحيث لا تتعرض لمثل هذه الظروف إن شاء الله، انني ارجوك أن تساعدني في اقناع أبي الحبيب بأن يدخل البهجة والسرور إلي قلبي وأن يبارك هذا الزواج لكي ننعم جميعا بالحب والرحمة والمودة التي زرعها الله في قلوبنا.. وهو من قرائك الدائمين ويحترم آراءك فهل تفعل ذلك من أجل شاب محب وسيدة شابة أمينة يرغبان في أن يقضيا أيام العمر معا؟

ولكاتب هذه الرسالة أقول:

لا خلاف علي أنك قد أخطأت بتعمدك إخفاء حقائق الظروف الاجتماعية للسيدة الشابة التي ترغب في الارتباط بها عن أبيك منذ بداية تعرفه عليها. ولا يشفع لك في ذلك تخوفك من أن يرفضها علي التو إذا عرف بظروفها في تبرير هذا الخطأ، لهذا فهو محق تماما في احساسه بأنك قد حاولت استدراجه للقبول بارتباطك بها بغير أن تضع أمامه كل الحقائق الصحيحة عنها.. ومحق كذلك في استنكاره لهذا التصرف من جانبك لأنه يتعارض مع الثقة التي يمنحها الأب لابنه.. ومع أمانة هذا الابن في عرض الأمور عليه فالحقيقة خير دائما من أي زيف.. وفارق كبير بين أن يختلف الأب مع ابنه في تقديره لبعض الأمور اعتمادا علي الحقائق الصحيحة.. وبين أن يستدرجه

هذا الابن لتأييد بعض المواقف أو الاختيارات بالتعمية علي بعض الحقائق أو اخفائها. ففي الحالة الأولي يكون الأمر خلافا مشروعا في الرأي والرؤي بين الأب وولده أما في الحالة الثانية فإنه يكون خطأ أخلاقيا مؤسفا من جانب الابن في حق أبيه ولهذا كله فأنت مطالب أولا وقبل كل شيء بالاعتراف لأبيك بهذا الخطأ والاعتذار عنه.. ومن ثم يبدأ الحوار حول رؤية كل منكما لمن ترغب في الارتباط بها.

وفي كل الظروف والأحوال فلابد أن نسلم بأن دوافع أبيك للاعتراض علي هذا الاختيار هي في الأصل دوافع تتعلق بحدب هذا الأب عليك.. وحرصه علي سعادتك الشخصية من وجهة نظره ورغبته في سعادتك وفقا لمفاهيمه واستطرادا لأمنية كل أب لأن ينال ابنه دائما أفضل عطايا الحياة والحد الأقصي من الأشياء ومن زاوية الرؤية هذه فإنه يري أن هذا الزواج ليس الاختيار الأمثل لك لأنه يتضمن تنازلا عن الحد الاقصي للأشياء وقبولا بعبء عائلي لا يري أن ظروفك كشاب لم يسبق له الزواج تضطرك للقبول به وهو طفلتها الصغيرة غير أنه لا يغيب عن حكمة أبيك في الوقت نفسه أن السعادة مطلب عزيز المنال، وأنه إذا استشعر الإنسان صدق الحب والرغبة في السعادة مع طرف آخر تتوافر فيه كل المزايا والفضائل الأخري ولم يكن هناك ما ينكره البعض عليه سوي مثل هذه الظروف الاجتماعية التي قد تتعرض لها أي فتاة كريمة رغما عنها.. فإن الحكمة تطالبه بالنزول عن بعض هذا الحد الاقصي من المطالب من الحياة وبالقبول بما يحقق له الأمل في الهناء بغير أن يتوقف كثيرا أمام هذا الاعتبار.. كما أن الانصاف أيضا يقتضي من أبيك الرحيم كذلك ألا يركز بصره فقط علي ما تنازل عنه ابنه في سبيل الفوز بالسعادة في هذا الارتباط، وأن يمد بصيرته أيضا الي الطرف الآخر في هذه القصة ليعترف لهذه السيدة الشابة أنها هي الأخري لم تكن أقل استعدادا لتقديم القرابين في سبيل نيل الحب والسعادة والأمان.. فهي لم تتوقف علي سبيل المثال أمام ما سبق أن توقفت أمامه خطيبتك السابقة وحطمت من أجله مشروع الارتباط القديم.. وتوقف أمامه أيضا صديق والدك الحميم وأشفق علي ابنته منه وإذا كان والدك يشفق عليك من عبء الطفلة الصغيرة.. فإن حكمته لابد وأنها تدرك كذلك أن ما قد يراه من يحكم علي الأمور بالمنطق المجرد عبئا وهو هذه الطفلة الصغيرة قد يكون في رؤية المحب الراغب بشدة في السعادة مع أمها امتدادا لحبه لها وليست عبئا انسانيا كما يتصور، والمفكر الفرنسي الكبير فولتير يقول إن من أحب الشجرة أحب أغصانها! وهذه الطفلة الصغيرة هي الغصن الذهبي لشجرة هذه السيدة الشابة فإذا صدق حبك لها صدق بالضرورة حبك لابنتها.. وامتد إليها.

وبحسن المعاشرة تدوم المحبة كما يقول لنا المفكر الامريكي ايمرسون وليس بمثالية ظروف الطرفين ولا بخلوها من اية أعباء انسانية ولا بتوافقها مع الحدود القصوي للأشياء، فإذا لم يكن لدي أبيك من الاعتبارات الأخري ما يعترض عليه سوي ظروف هذه السيدة الشابة كمطلقة وأم لطفلة.. وتوافرت فيها كل الشروط والمزايا الأخري وكان الحب متبادلا وصادقا.. والرغبة في أن يعوض كل منكما الآخر عما ينقصه ويشد أزره في الحياة ويعينه علي أمره، حقيقية ومخلصة فلابد أن تنجح عشرتكما وتثمر ثمارها الطيبة بإذن الله.. غير أن كل ذلك لن يتحقق لك إلا إذا استكملت أسباب الأمل في السعادة الشخصية بنيل رضاء أبيك ومباركته لاختيارك وحياتك وثق من أنه لن يضن عليك بتأييده لك إذا كانت كل الاعتبارات الأخري متوافرة في شخصية فتاتك وإذا استشعر كذلك انك مستمسك بهذا الاختيار إلي النهاية.. ستظل صابرا ومتصبرا إلي أن يشفق عليك من أن يحرمك إلي ما لا نهاية في سعادتك ولاشك في أن والدك ممن يقدرون جيدا نعم ربهم الجليلة عليهم ويعرفون تماما أن من أجل هذه النعم أن يكون للمرء أبناء راشدون، زمام أمورهم بأيديهم ويستطيعوا أن يفعلوا بحياتهم ما يشاءون لكنهم يقبضون علي قيمهم الدينية كما يقبض المرء علي الجمر ولا يجرؤون ـ حبا وكرامة ـ علي الخروج علي طاعة آبائهم وأمهاتهم ولا تهنأ لهم حياتهم إلا إذا استشعروا رضاء الأهل الأقربين عليهم.. ومباركتهم لاختياراتهم!

==

أضعف الإيمان

انا أرملة شابة عمري٣٥ عاما، أم لثلاثة أطفال، ضحيت بنفسي وبشبابي من أجلهم مرغمة، بعد أن حرمت من الحلال بسبب القوانين الظالمة، التي أدعوك لمناقشتها، ليس من أجلي ـ فقد اخترت طريقي ـ ولكن من أجل نساء كثيرات يقتربن من الأمور المشتبهات لأن القوانين تعاقبهن علي الحلال.

أكتب إليك بعد أن قرأت رسالة نصف ساعة زواج وردك علي صاحبة الرسالة، ووجدتك تلومها وتعاتبها علي ما فعلت ـ وأنت محق في ذلك ـ ولكن استوقفني تحريمك القاطع للزواج العرفي، وكنت إلي وقت قريب أؤمن بذلك ومقتنعة به كل الاقتناع، وأسأل نفسي ما الذي يجعل مطلقة أو أرملة تلجأ إلي هذا الحل الذي يثير الشبهات ويعرضها لمشكلات جمة، وأمامها الحلال سهل وهين. وكنت أفسر ذلك بأنه حيل من الرجال للهروب من المسئولية، أو خوف من زوجاتهم، أو استهتار بالمرأة التي يشتهونها حتي يسهل لهم التخلص منها بمجرد تمزيق الورقة.

أقول لك، كنت مؤمنة بكل هذا إلي أن حدث لي ما جعلني ممزقة حائرة، ووجدتني متعاطفة مع المرأة التي تلجأ إلي هذا الحل، ودعني أحكي لك سبب هذا التغير في تفكيري.

سيدي.. تزوجت منذ سنوات من إنسان رائع، عشت معه أحلي أيام حياتي، كان حنونا، كريما، وصديقا لرحلة أيامي، تلك الرحلة التي أنجبناخلالها ثلاثة من الأبناء. لم أكن أعرف أن السعادة عمرها قصير، وأن الحزن مختبيء بأنيابه خلف كل ضحكة ضحكناها.

فجأة انقلبت حياتنا إلي بؤس وعذاب، عندما اكتشفنا مرض زوجي الشاب بالمرض اللعين السرطان.. هكذا فجأة طارت السعادة، وأصبح الألم سادسنا في البيت.. جاء المرض شرسا، نطارده ويطاردنا في المستشفيات الحكومية والخاصة، في داخل مصر وخارجها.

شهور قضيناها، أري زوجي الحبيب ينهار أمامي، تخور قواه، يؤلمه عجزه وضعفه، ينظر إلي بعينين تملؤهما الشفقة والعطف، يعتذر لي عما سببه من ألم وإرهاق، وأعتذر له لعجزي وعدم مقاسمته آلامه، كما اعتدنا في كل شيء.

كنت أنظر له وأنظر لأطفالي الصغار، وأنا لا أصدق أن شريك حياتي سيتركنا سريعا، لنواجه الحياة بمفردنا.. استحلفته أن يقاوم، أن يبقي لنا ومعنا، كان ـ كما كنا ـ يتمني ولكن إرادة الله وقدره كانا أقوي من أي رغبة لنا.

تخيل ـ يا سيدي ـ امرأة تجد نفسها وحيدة بلا رجل عمرها، بلا خبرة في الحياة، خارجة من تجربة قاسية مع مرض لا يعرف الرحمة، يستنزف الانسان نفسيا وماديا، مسئولة عن ثلاثة أطفال صغار، وتعيش في محافظة أخري غير التي تعيش فيها أسرتها.

لا يمكن لانسان أن يحس بما تعانيه امرأة وحيدة مع أطفالها غريبة في بلد لا تعرف فيه أحدا، تصاب بالفزع إذا انقطعت الكهرباء في ليل الشتاء.. تكاد قلوبنا تقف من مواء قطة أو طرقة علي الباب.

.هل الزواج ـ سيدي ـ لامرأة مثلي حرام؟

القانون في بلادنا يقول ذلك، فإذا تزوجت علي سنة الله ورسوله وعلي الملأ، سيسارع أشقاء زوجي لسحب الوصاية مني والاستيلاء علي أموال أطفالي القصر، ومساومتي علي الحضانة، لأن أمي متوفاة وليس لي إخوة.

هل تصدق أن القانون ينص في حالة زواج الأم الحاضنة، تسحب منها الحضانة إلي أمها ـ إن وجدت ـ ثم إلي أم زوجها ثم الخالة والعمة وهكذا، يعني أي واحد في العائلة إلا الأم الآثمة، التي أرادت أن تعف نفسها وتجد من يشاركها شقاء الأيام وتربية الصغار.

هل هذا معقول؟ زواج الأم يؤكد عدم أهليتها لتربية أبنائها؟

دون إثبات عدم مقدرتها هي أو زوجها الذي اختارته لهذه المهمة؟

ماذا يمكن أن تفعل المرأة ـ الأم ـ في هذه الحالة؟

إما أن ترضي بهذا الظلم، وتعيش محرومة ومقهورة، أو تستسلم لغواية الشيطان، وإما أن تلجأ إلي أضعف الإيمان بالزواج العرفي بمعرفة أهلها، لتعف نفسها وتحتفظ بحضانة أطفالها.

سيدي.. هل هناك حل ثالث، وهل من تفعل ذلك تكون آثمة؟

بالنسبة لي، استعوضت الله في شبابي وعمري، قبرتهما بيدي، وسوف أعيش ما حييت من أجل أبنائي، ولكن ماذا عن غيري من النسوة اللائي لا يقدرن علي اتخاذ هذا القرار؟!

سيدتي.. نكأت جرحا غائرا في حياتنا، نراه ونعايشه ولا نواجهه.. نعم فمثل هذا القانون ظالم، ويحتاج إلي * تعديل وإعادة صياغة، وليت المجلس القومي للأمومة والطفولة يتبني تغييره ـ كما غير قوانين أخري ـ فليس من العدل ولا الدين أن تستبعد الأم من الوصاية أو حضانة أطفالها لمجرد أنها تزوجت.

أما عن الزواج العرفي، فلست أنا الذي حرمته، ولكن دار الإفتاء المصرية وعلماء الأزهر الشريف هم الذين قطعوا بحرمانيته، ولا يجوز التعميم في الأحكام الدينية علي كل الحالات. وحسب معلوماتي أن المحرم هو الزواج السري، الذي يشترط فيه الكتمان والإخفاء عن الناس، أو غياب الولي ـ في حالة البكر ـ وهذا ما يفعله الشباب الصغار، وتقع فيه البنات معتقدة أنه زواج صحيح، ولا تفيق إلا بعد وقوع كارثة تهدم حياتها وحياة أسرتها.

وبعيدا عن مسميات الزواج ـ التي أصبحت متعددة ـ فإن الزواج الصحيح هو الذي يتوافر له شرط الإشهار والعلانية، وليت كل من يريد الزواج بطريق مختلف عن المحدد قانونا وشرعا، أن يستفتي أهل العلم في دار الإفتاء أو الأزهر الشريف، حتي يطمئن قلبه، ويتأكد من أن زواجه ليس فاسدا أو باطلا. ودعيني أسألك، لماذا يكون الزواج عرفيا، إذا كان الأهل والجيران والأصدقاء سيعرفون؟ أليس الهدف من ذلك هو عدم معرفة أهل الزوج المطلق أو الراحل، فلماذا لا يكون الزواج رسميا، مكتمل الأركان، وأمام نفس الاشخاص، مع الحرص علي كتمان الخبر عمن تريدون إخفاءه عنهم؟ وإن كانت التجارب تؤكد أن لا شيء خاصة مثل الزواج ـ عرفيا أو رسميا ـ يمكن إخفاؤه طويلا، وإن كان الزواج الرسمي أكثر حفاظا علي سمعة المرأة وكرامتها وكرامة أبنائها.

سيدتي..

أقدر مشاعرك النبيلة تجاه زوجك الراحل ومعاناتك معه، وعلي الرغم من إعلانك تفرغك لتربية أبنائك، وأن هذا الاختيار بما فيه تضحية ـ لمن يقدر ـ عظيمة، إلا أني أستشعر من كلماتك في الرسالة وتوقيعك الأخير أرملة

حزينة علي عمرها الذي ضاع أنك تعانين من الوحدة ولديك رغبة داخلية في الزواج، لذا فإني أطالبك بعدم إغلاق هذا الباب، إذا وجدت رجلا صالحا، يعفك ويراعي الله فيك وفي أولادك،
وحتي يحدث هذا، مدي حبال الود إلي أهل زوجك الراحل، حتي إذا حدث ذلك يمكنك مفاتحتهم في الأمر، مع التعهد لهم بأنك لن تستمري مع إنسان قد يسيء يوما إلي أولادك. أعرف أن الأمر صعب لكنه ليس مستحيلا، فالأبواب الموصدة تلين بالطرق، فما بالنا بالقلوب. وإلي لقاء بإذن الله.
==

أشـباح الحـب

سيدي : أنا مهندسة في منتصف الثلاثينيات من عمري، أعمل بإحدي الشركات الاستثمارية المرموقة، تزوجت منذ ما يقرب من سبعة عشر عاما وأنا مازلت في بداية دراستي الجامعية من نجل أحد معارف والدي وبدا لي حينها انه شاب متدين حريص علي الصلاة في أوقاتها وكنت قد نشأت في أسرة متدينة محافظة فلم يكن لي علاقات بشباب في مثل سني ولم أعرف ماهو الحب من قبل ولاخبرة لي أبدا بعالم الرجال فوافقت علي الزواج من هذا الشاب طمعا في تدينه رغم بساطة إمكانياته مقارنة بإمكانات عائلتي وكانت هناك بوادر في فترة الخطوبة تنبئ عن عدم تفاهم بيني وبينه بجانب ما تكشف لي عن بخله الذي فسرته انا بضيق ذات يده وما أحسسته من طمع منه في مساندة زائدة من عائلتي له في الزواج ولكن استمررت في الخطبة علي أي حال حيث قدرت وقتها انه من الصعب ان اجد انسانا يحوز علي كامل اعجابي ورضائي حيث ان لكل انسان عيوبه ومزاياه.. وهكذا تزوجت وبدأت حياتي معه فصدق حدسي وتأكدت منذ الأيام الأولي للزواج ان الحب والانسجام مفقود بيننا، ومرت سنتان أنجبت فيهما ابنتين وسافر بعدها زوجي للعمل في احدي الدول العربية وحرص علي عدم اصطحابي مبررا لي ان مدة عمله لن تزيد علي أربع سنوات يرجع بعدها بصفة نهائية لمصر ولكن مرت سنوات وراء سنوات حتي بلغت مدة سفره أربعة عشر عاما كان يأتي خلالها لرؤيتي والبنتين في الاجازات فقط وعانيت طيلة هذه السنوات من الوحدة والحرمان العاطفي والتعرض للفتن التي نجوت منها بستر الله، كما عانيت من تحملي لمسئولية تربية البنتين وحدي حتي بلغتا سن مشارف الشباب ورفض زوجي بإصرار طوال هذه السنوات اقامتي معه في مقر عمله وحجته الأزلية في ذلك أنه لاداعي لتشتت بنتينا في المدارس ومع مرور السنين وزيادة مشكلات صحية طرأت علي زوجي رغم انه في سن الشباب، تباعدت وضعفت ثم تلاشت العلاقة الزوجية بيني وبينه وكان هذا أمر الله فاستسلمت لاقداري وكنت أحاول التغلب علي حرماني العاطفي بانشغالي بعملي ورعاية بناتي حتي حدث في أواخر شهر مايو الماضي مالم أحسب حسبانه، كنت مع إحدي صديقاتي في النادي الرياضي الكبير نتسامر علي مائدة بين الأعضاء فاذا بي فجأة أشعر بظل انسان يقف بجانبي تسارعت معه دقات قلبي وأنفاسي وسرت رجفة في جسدي لاأعرف مصدرها وسمعت صديقتي تهمس ان هناك رجلا يحوم حولي فرفعت عيني اليه لأول مرة لأجد رجلا في منتصف الخمسينيات من العمر، ممتلئ الجسد، به صلع خفيف وتبدو عليه امارات الاضطراب وتطل من عينيه نظرة نادرة هي مزيج من الحب والعطف والرغبة في آن واحد وأقسم بالله تعالي ان ما من أحد في حياتي كان له مثل هذا التأثير علي ولم أتخيل ان أعيش مثل هذه المشاعر من قبل بعدما وصلت الي سن النضوج، وانصرف هذا الانسان من جانبي سريعا بعدما رأي دبلة الزواج في اصبعي وهو يلتفت وراءه ويشيعني بنظرات الحب والحسرة في آن واحد وتمالكت أنا رباطة جأشي بعد فترة وسط تعجب صديقتي مما حدث ورجعت الي بيتي وأنا عازمة علي نسيان ما كان ولكن كيف، فأنا لم أقدر علي مقاومة مشاعري وسعيت لرؤيته مرة ثانية رغم أني لا أعرف أي شيء عنه حتي ولو مجرد اسمه وأصبحت أتردد علي النادي ليل نهار واختار أحد المواقع القريبة من البوابة وأراقب الداخلين لعلي أراه مصادفة وأظل علي حالي بالساعات وتكرر الأمر طوال شهر كامل وفي النهاية كانت مكافأتي علي صبري هي رؤيتي لمن أحب بالمصادفة صباح احد ايام الاجازات في حديقة النادي وكانت بالمصادفة خالية إلا مني ومنه فقط وأصيب هو بفرحة غامرة لرؤيتي وجلست الي مائدة قريبة وهو يصوب نظراته النادرة لي وانتظر هو ان ابتسم له أو أبدي أي بادرة اهتمام فلم أفعل رغم شوقي البالغ اليه وفرحتي المماثلة لفرحته برؤيته ذلك انني تربيت في بيت يحتل الدين فيه أهمية بالغة وعلمني أهلي أن الحفاظ علي اسم الزوج وعرضه أمر مقدس ولم أكن لأسعي أبدا لأتعرف علي رجل ما وأنا علي ذمة آخر مهما تكن الأسباب فتصنعت التجاهل وأنا أحترق شوقا واختفت نظراتي وراء نظارتي السوداء حتي لا تفضحني عيوني وبعد فترة طويلة من الترقب غادر هو المكان وهو يشيعني بنفس نظرات الحب والحسرة وانخرطت انا في بكاء مرير وحيدة في الحديقة وساءت حالتي النفسية حين رجعت الي بيتي واستمررت في التردد علي النادي حتي رأيته مرتين متتاليتين في الشهرين التاليين في الصالون الخاص بالنادي وكالعادة اكتفيت بمجرد وجودي بجانبه ورؤيتي السريعة له من خلف نظارتي السوداء وكان الحال ليستمر هكذا الي الأبد حيث ان أملي في علاقة شرعية بهذا الانسان الذي أحبه قلبي كان أملا مقطوعا، ولست أنا بمن ترضي ان تقيم علاقة غير شرعية ايا كانت المسوغات وحدث بعدها في حياتي أمر مهم حيث اختلفت مع زوجي علي احد الأمور المادية فاذا بي لأول مرة أثور علي البخل والتجاهل والعجز والفشل الزوجي وقررت انني لن أحتمل الوضع هكذا في علاقة زوجية هي معاناة وحرمان أكثر من أي شيء أخر ورغبت بشدة في تغيير حياتي التعيسة التي كنت قد تعودت عليها ولكن ظهور هذا الشخص المحب الرائع في حياتي جعلني أتمرد علي تعاستي ونبهني الي أن

مقاومتي قد انهارت ورأيت ان استمراري علي وضعي الحالي في هذا الزواج قد يرشحني للسقوط في بئر الخيانة، فطلبت الطلاق من زوجي وأصررت عليه رغم تدخل الأهل الذين نصحوني بمراعاة مستقبل وسعادة البنتين ولكني قررت لأن ارتكابي لأي خطيئة محتملة سينتج عنه فقداني لديني واحترامي لذاتي للأبد وعندئذ لن ينفعني الأبناء في شيء إذا ما غضب علي ربي، وحصلت بالفعل علي الطلاق وأصبحت حرة وتجدد الأمل في قلبي في الارتباط بمن أحب وواظبت علي الذهاب للنادي، لعلي أراه وأكلمه هذه المرة بضمير مستريح، فلم يحدث للأسف ما أتمني ورأيت انه قد يكون علي سفر أو يكون قد يأس من موقفي السابق معه أو ارتبط بأخري، حيث انني أعرف انه مطلق وله ابنة في نحو الخامسة عشرة من عمرها، وقد مر علي وضعي هذا من الانتظار المرير ثلاثة إشهر، ومشكلتي التي اطلب منك مساعدتي في حلها هي كيفية معرفة أثر من احب حيث لا أعرف عنه أي معلومة ولا حتي مجرد الاسم، ولم أعد أراه رغم انتظاري له في ميعاده صباح يوم الاجازة الذي صادف ان رأيته فيه المرات القليلة الماضية، وهداني تفكيري انه لو نشرت مشكلتي تلك في بابكم الكريم فربما يقرأها وهو يعرف نفسه، وقراء هذا الباب كثيرون قد يكون من اتمني منهم، وحينئذ قد يدرك سبب تجاهلي المصطنع له ولربما يكون مازال كما كان ويأتي في الموعد والمكان الذي يعرفه ويكون بذلك بابكم سببا في انتهاء عذاب قلبي الذي لايعلمه الا الله.

سيدتي.. الحقيقة إنني لم انشر رسالتك املا في ان يقرأها هذا الرجل الغامض، فيأتيك هرولة لتحقيق حلمك الرومانسي.

لأني ومع تسليمي ـ احيانا ـ بقدرية الحب التي تجعله يهبط علي القلب دون مقدمات أو مبررات، إلا ان من في مثل ظروفك ووضعك العائلي تجعلني أتردد في قبول فكرة اصابع القدر التي تقلب القلوب ولانملك امامها من أمرنا رشدا..

فعندما رأيت هذا الرجل الذي لفتت انتباهك اليه صديقتك، كنت راضية قانعة بما انت فيه، وان كانت أشباح الحب تطاردك منذ بدايات الزواج.. هذه الأشباح جعلتك مهيأة تماما لأي اقتحام، وجاءت أجواء ظهور هذا الرجل، ومعرفتك بأنه يلاحقك ويحوم حولك، فتفجرت بداخلك كل ينابيع الشوق والاحتياج، وتذكرت كل معاناتك وصبرك علي الحياة التي لم تتحقق خلالها، فتشبثت بهذا المجهول ووصلت الي نهاية الخيال وانت علي أرض الواقع، اخترت الطلاق من أجل الزواج بشبح لاتعرفين عنه شيئا، هل هو رومانسي ياسيدتي؟ هل هو حنون؟ هل هو سليم صحيا؟ هل هو كريم؟

ماذا تعرفين عن هذا الرجل حتي تقرري ان يكون شريك حياتك المقبلة؟

قد يحدث ويظهر هذا الرجل مرة أخري ـ سواء قرأ رسالتك أو بالمصادفة ـ ووقتها لاتنظري اليه من خلف نظارتك السوداء، اعيدي النظر مرة أخري الي من يمكن ان يواصل معك رحلة عمرك، اعرفي لماذا طلق زوجته الأولي، ربما ضاقت به هي الأخري وفعلت ما فعلته، حتي لاتهربي من عذاب الي عذاب، وهذه المرة سيكون الندم أكبر.

قلت لك في البداية أنني نشرت رسالتك لهدف آخر غير ما أردته مني.. فرسالتك تكشف مأساتين متكررتين في رسائل عديدة تصل الي من بريد الجمعة الأولي هي غياب الرجل، الزوج والأب، غافلا الفجوة التي يتركها في بيته، امرأة وحيدة معذبة، وأبناء لا يعرفون معني لمفهوم الاسرة والبيت، رجل يضع نفسه موضع البنك، مصدر دائم فقط لضخ الأموال، دون ان يعي انه يفقد من رصيده الانساني لدي زوجته وأبنائه، ثم يعود معتلا ان لم يكن جسديا فنفسيا... وقتها تبدأ المأساة الثانية، فالزوجة تري وتلمس الفشل جاثما علي انفاس بيتها راضية ـ مؤقتا ـ بما هي عليه من عذابات ووحدة، مرددة دون اقتناع ان ذلك حفاظا علي البيت والأبناء، الي ان يحين الوقت متأخرا، فتعلن العصيان والفرار، ولكن بعد ان يصيب الشرخ كل جدران البيت، لو كنت ياسيدتي قد وقفت منذ البداية وقفة معه، لو كنت أصررت علي السفر معه، أو عودته الي أسرته، وإما الانفصال، لتغير الحال سواء بالطلاق وضمان سلامتك النفسية انت وابنتيك اللتين تجاهلت أي كلام عن حالهما أو تفكيرهما ـ واما بالرضا بما هو متاح وممكن لحياة أسرية مقبولة. وفي النهاية أتمني ان يكون ما هو ات افضل لك مما فات، لاننا نضيع كثيرا من العمر بحثا عن السعادة، حتي نكتشف ان العمر قد فات دون ان تعرف طريقها الينا بسبب سوء اختياراتنا أو تأخرنا في اتخاذ القرار المناسب في الوقت المناسب.

وإلي لقاء بإذن الله

==

أرجوك أعطني هذا الدواء

اسمح لي ياسيدي بأن أعرفك بنفسي، فقد أكون واحدا من هؤلاء الذين تدعونهم وتصفونهم بالذئاب.. مع التوضيح بأنني لست بالفعل الجانب الآخر لقصة الاسبوع الماضي... كما أنني لست هنا اليوم مدافعا عما قد حدث لسيدة الاسبوع الماضي التي تعرضت للاغتصاب علي يد طبيبها بطريقة غير مباشرة كما تدعي(سامحني الله إن كنت أظلمها) وتحاول التطهر أمام ملايين القراء علي صفحات بريدكم الموقر، ولكني هنا اليوم في بريد الجمعة لكي أوضح لكم ولكل القراء الجانب الاخر الذي يحدث في مئات من القصص المماثلة التي تنتهي بالحكم علي الذئاب كما تدعون.

ياسيدي أذكرك في البداية بأن الذئب بطبعه جبان.. بل شديد الجبن ولايحاول اقتناص الحمل الا اذا تخلف عن القطيع، هنا فقط يتشجع الذئب علي الانقضاض علي فريسته التي تدعي البراءة والسذاجة.. فمن المعروف ياسيدي في مجتمعنا الشرقي ان السيدة التي تذهب الي طبيب أمراض النساء وهو الشخص الوحيد غير الزوج الذي بحكم مهنته يتعرض لمواطن العفة في المرأة، من المفروض ان تصطحب معها أمها أو أختها أو جارتها أو أي محرم لتحقيق عامل الأمان للمرأة ضعيفة التحمل وهو أمر منطقي، ولكن في أحيان أخري تأتي إلينا قلة من راغبات الكشف(ولن أطلق عليهن هنا اسم المريضات) ويدعين الإحساس ببعض الآلام الوهمية لنجد السيدة منهن مرتدية أكثر الملابس إثارة، معطرة بأجمل العطور وما تلبث أثناء الكشف بإطلاق بعض التأوهات التي لاعلاقة لها بآلام الكشف أو تقلصات الرحم كما يدعين وكأنها صرخات تدعوك للمزيد والمزيد، ونظرات عينيها تكاد تتحدث قائلة أرجوك أعطني هذا الدواء.. ما المنتظر بالله عليكم ان يحدث بعد ذلك، وبعد ذلك تطلقون علي من غرر بهن أنهم ذئاب... نعم ولست مخطئا في المعني.. نحن الذين غرر بنا، وليس ذلك الحمل الوديع الذي يتناسي أنه يتعامل مع بشر لديه قدرة ـ تتفاوت ـ علي التحمل.. لماذا لم تصطحب معها تلك التي تشتكي وغيرها شخصا أيا كان، لتحتمي به معنويا، حتي ولو كانت الشغالة أو بنت البواب، ولماذا لم تخبر زوجها أساسا بأمر ما حدث من الطبيب، لماذا لم تلجأ إلي الشرطة أو لأي جهة أمنية؟ هل تعلم لماذا ياسيدي لأنها لديها قناعة داخلية أكيدة بأنها مشتركة في هذا الأمر بشكل أو بآخر.

وفي النهاية أحب أن أوضح لك وللسادة القراء من موقع تخصصي ما قد يحسم هذا الأمر تماما، وهو أن الطبيب لايستطيع الانفراد بمريضته مدة طويلة(لأكثر من ساعة كما ذكرت السيدة) وذلك خوفا علي سمعته التي هي أساس رأس ماله في عيادته الخاصة التي يتردد عليها كثير من الحالات اليومية إلا إذا... نعم إلا إذا كان هناك ترتيب ما بين الذئب والحمل علي أن يكون موعد التهامه ـ أقصد الكشف عليه ـ بعد انصراف اخر المترددين في المواعيد الرسمية وكذلك بعد انصراف الممرضة التي لاتخلو منها عيادة أي طبيب أمراض نساء.. أظن الان ان الأمر قد وضح للجميع وأعتذر للسادة القراء عن الإطالة وعن تجاوزي في بعض الأمور والحقائق، واستغفر الله ان كنت قد ظلمت هذه السيدة بالقول فلربما كان ما تدعيه حقيقة.

المحرر: قد تكون ـ كما قلت ـ لست الطرف الآخر في مأساة الذئب، وقد تكون انت، وفي الحالتين، ما ذكرته * من مبررات غير مقبول، بل يدينك اذا كنت تفعله أو تؤمن به، وأنت المؤتمن علي أعراض الآخرين، وكما قلت، الذئب جبان ولايحاول اقتناص الحمل إلا إذا تخلف عن القطيع، أي في أضعف حالاته النفسية، فإذا كانت هذه صفات الذئب، فكيف لك كإنسان، وطبيب أن تمارس جبنك مع إنسان ضعيف، ربما كان علي هذه الهيئة، سذاجة، أو تباهيا، أو حتي لو كان به ضعف وجنوح للخطيئة.

ألا تتذكر القسم الذي أقسمته بعد تخرجك، هل لي أن أذكرك ببعض ما جاء في لائحة آداب المهنة كما أرسلتها لي الطبيبة والكاتبة أسماء الطناني، فالمادة الأولي تنص علي القسم بالله العظيم ان تراقب الله في مهنتك، وأن تصون حياة الإنسان في جميع أدوارها، وفي كل الظروف والأحوال باذلا وسعك في استنقاذها من الهلاك والمرض والألم والقلق، وأن تحفظ للناس كرامتهم وتستر عوراتهم وتكتم أسرارهم، وأن تكون علي الدوام من وسائل رحمة الله، باذلا رعايتك الطبية للقريب والبعيد، للصالح والخاطئ والصديق والعدو.

أيضا أذكرك بالمادة الثالثة التي تقول: علي الطبيب أن يكون قدوة حسنة في المجتمع بالالتزام بالمبادئ والمثل العليا منزها عن الاستغلال بجميع صوره لمرضاه وزملائه أو تلاميذه.

نحن الذين غرر بنا تلك الجملة التي جاءت في رسالتك، هي التي تدفعني لتذكيرك بما أقسمت، فإن لم تكن ذئبا، فتبريرك وتعاطفك يثير الشك ويشير إلي الذئب المقتنص في داخلك

==